المنار

١٣١٥

مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية اخبارية

« تصدر فی کل شهر عربي مرتين »

لمنشئها

« السيد محمد رشيد رضا »

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافى « المنار بمصر »

المجلد السابع

قيمة الاشتراك فى مصر خمسون قرشاأميريافى السنةو ٣٥ قرشاعن نصف سنة
وفى الخارج ١٨ فرنكا وفى الهند عشر روبيات وفى روسيا ٧ روابل

طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر

فهرس المجلد السابع من مجلة المنار

صفحه

(ا)

صفحة

(ب)

صفحه

(ت)

(ي)

فهرس ثان

للآيات العزيزة المفسرة والمستشهد بها في المجلد السابع

فهرس ثالث

للاحاديث الشريفة المشروحة والمستشهد بها في المجلد السابع

(تنبيه) قد جعلنا لهذا المجلد من المنار ثلاثة فهارس أولها للمسائل والمباحث وهو المعتاد الا أنه في هذه السنة أوسع منه فيما سبقها وان كان غير مستوف لجميع المباحث المهمة · ومن رأى مطلبا في الفهرس ولم يجد له عنوانا في الصفحة المعينة فلينظر يجده في أثنائها . والفهرس الثاني للآيات المفسرة للآيات القرآنية والثالث للأحاديث النبوية لاسيما المشروحة والمخرجة وهما مرتبان على الحروف بحسب ذكر الآية أو الأحاديث في الصفحات ولو بعضها ولم يراع في الترتيب الحرف الثالث والكلمة الثانية بالتدقيق ونرجو أن نزيد ذلك اتقانا في السنين الآتية

صفحه

الجزء الأول — المجلد السابع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الجمعة غرة محرم الحرام سنة ١٣٢٢ — ١٨ مارث (آذار) سنة ١٩٠٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور، «وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور». أحيانا بتلك الروح التي نفخها في البلاد العربية، ثم أماتنا بالاعراض عن تلك الهداية السماوية. أحيانا بضع قرون، وأماتنا بضع قرون، نسأله اتمام وعده المشار اليه في الآية الكريمة، بأن يؤيدنا بروح منه وينزل علينا السكينة، ونصلي ونسلم على محمد عبده ورسوله، رسول الرحمة، ومعلم الحكمة، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بتأييد دعوته ونصرة حزبه،

وبعد فقد دخل المنار في العام السابع من حياته وهو سن التمييز في الحياة الشخصية ولعل حياته تكون في هذا الطور خيرا منها فيما قبله ان شاء الله تعالى، فاذا كان في طفوليته قد نجا من الماكرين، وانتصر على المعارضين، وقابل ما صادفه من الوثبات، بكل صبر وثبات. فالرجاء بفضل الله وعنايته ان يجعله في طور التمييز أحسن هداية ورشداً، وأقوى ناصراً وأكثر مدداً، وما بلغ المسلمون من الضعف والتخاذل ان لا تعيش لهم صحيفة ملية، وان حاجتهم اليها لأشد من حاجتهم الى الصحف السياسية، كيف وهم يرون الامم التي هي دونهم في الاعتصام بالدين، وفوقهم في الاشتغال بالدنيا، وقد سبقتهم في انشاء الصحف الدينية؛ ففي مصر وبيروت كثير من هذه الصحف باللغة العربية، فما بالك بسائر اللغات وهي لغات القوم الاصلية،

بل ان جميع الامم والشعوب قد سبقوا المسلمين في جميع الاعمال الاجتماعية التي ملاكها التعاون لا في

الصحف الملية فقط والتعاون فرض في ديننا مأمور به في كتابنا ولكن أين نحن من الكتاب وفرائضه . فياليت الذين لا يعاونون العاملين منا للامة لا يخذلونهم ولا يعارضونهم في أعمالهم ومشروعاتهم . كلا اننا نحن أعداء أنفسنا ، واننا نحن مرض أمتنا ، واننا نحن آفة نجاحنا ؛ ولو عقل الذين يشكون من الاجانب لشكوا من قومهم ؛ ولو شعر الذين يشكون من أخوتهم لشكوا من أنفسهم ؛

أرأيت هذا المنار الذي انشئ لخدمة الامة ؛ والدفاع عن الملة ، إنه ليطالب الذين ينكرون فائدته ؛ أو يدعون مضرته ؛ بأن يبينوا له وجه الضر ليتقيه ؛ ووجه النفع لينتحيه ؛ وانه لا يطالب الذين يقولون انه نافع ولا الذين يقولون انه أنفع ما يكتب للمسلمين في هذا العصر بأن يتبرعوا له بمال لتوسيع دائرته ؛ أو لزيادة مادته ؛ وانما يرضى منهم اداء حقه ؛ وحقه على جميع قرائه أداء قيمة الاشتراك التي هي قوام العمل وأداته التي لا يوجد الا بها ؛ وحقه على الخواص منهم الدعوة اليه والترغيب فيه عندما تسنح لهم الفرص ويخاطبون من يتوسمون فيه الاستعداد

لست أعني بالخواص الاغنياء ولا كبار الموظفين ؛ فان منهم من يملك الالوف وعشرات الالوف من الفدادين أو الدنانير ، وهو يماطل في دفع قيمة الاشتراك عدة سنين ، وانما أعني بهم كل من له عقل يتفكر به في مصلحة الامة ؛ وقلب يشعر بمعنى الشرف والفضيلة . أولئك هم خواص الامم الذين لم تنجح امة الا بكثرتهم فيها

لا يكثر في الأمة العقلاء المفكرون الا بالتعليم العالي ، وانى لنا به ولم ترق هذه البلاد الى ان يكون فيها مدرسة كلية ، ولا يكثر في الامة أهل الشعور بالشرف حتى ترتقي التربية النفسية فيها ؛ وأنى لنا بذلك ولم ترق معارف الناس الى ان يفصلوا بين التعليم وبين التربية ؛ فترى كبراءنا وأذكياءنا يخصون بلقب التربية نفرا من الناس تلقوا شيئا من التعليم العصري الناقص وأعلاهم تربية في عرفهم من دخل في مدارس أوربا وان كان أكثرهم كما يعرف العارفون في اخلاقهم واعمالهم لا سيما الذين تعلموا في فرنسا منهم

ان ارتقاء الفكر والشعور لا يعرف الا بأثره في العمل للامة . فاذا قلنا ان خواص الامة هم العاملون لها المخلصون في خدمتها ، الذين لا يشترون مصلحتهم بمصلحتها ، فكم رجلا نعد من هؤلاء فينا ؟ هل نعد منهم من يرى منتهى الشرف ان يشتري رتبة يتزيا بحلتها ، واوسمة يتزين بحليتها ، ؟ هل نعد منهم سماسرة الرتب والاوسمة الذين يأخذون عليها الاجور من اهل الدثور ثم يطرونهم بالاماديح قائلين انهم ما وصلوا الى هذه الحلي والحلل الا باخلاصهم للبلاد ولسيد البلاد وممثل الامة ؟ هل نعد منهم الذين يقولون ويكتبون ما يراه غيرهم حسنا وان رأوه قبيحا ، ويدعون الى ما يشعر غيرهم بفائدته اولذته وان كانوا يشعرون بغائلته ومرارته ، ؟ هؤلاء هم الذين ورد في امثالهم «لهم قلوب لا يعقلون بها» وانما يعقلون بقلوب من ينتفعون منهم «ولهم آذان لا يسمعون بها» وانما يسمعون باذان من باعوهم حواسهم ومشاعرهم كما باعوهم قلوبهم وافكارهم «اولئك كالانعام بل هم اضل» لانهم خرجوا عن قانون فطرتهم بما اوتوه من الدهاء والانعام لم تخرج عن الفطرة ، ولان في الانعام منافع للناس وهم ضارون للناس «اولئك هم الغافلون» عما يحل بأمتهم وينزل بها من المصائب بافسادهم لاخلاقها ، ومحوهم لوجدان الفضيلة والشرف الحقيقي منها ؛ ويا حسرة على امة تعد هؤلاء من خواصها ومن مرشديها ،

الخواص هم اصحاب الاخلاق والعزائم وهم الذين ينهضون بالامم في كل عمل نافع فاللهم أكثر عددهم فينا ، ووفقنا اللهم جميعا للاحسان في العمل ، والتعاون على البر والتقوى ، والاخلاص في السر والنجوى ؛ عسى ان نكون من المفلحين ؛

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ *

بين في الآيات السابقة حقيقة ملة ابراهيم في سياق دعوة العرب الى الاسلام ثم أشرك معهم أهل الكتاب لانهم أقرب الى الايمان بابراهيم وأجدر باجلاله واتباعه ، وانتقل الكلام بهذه المناسبة الى بيان وحدة الدين الالهي واتفاق النبيين في جوهره وبيان جهل أهل الكتاب بهذه الوحدة وقصر نظرهم على مايمتاز به كل دين من الفروع والجزئيات أو التقاليد التي أضافوها على التوراة والانجيل فبعد بها كل فريق من الآخر أشد البعد وصار الدين الواحد كفرا وإيمانا كل فريق من أهله يحتكر الايمان لنفسه ويرمي الآخر بالكفر والإلحاد حتى لوكان نبيهم واحدا وكتابهم واحدا

فقوله تعالى (وقالوا كونوا هودا أونصارى تهتدوا) بيان لعقيدة الفريقين في التفرق في الدين والضمير في (وقالوا) لاهل الكتاب و «أو» للتوزيع أو التنويع أي ان اليهود يدعون الى اليهودية التي هم عليها ويحصرون الهداية فيها والنصارى يدعون الى النصرانية التي هم عليها ويحصرون الهداية

فيها، وهذا الاسلوب معهود في اللغة، ولو صدق واحد منهما لما كان ابرهيم مهتديا لانه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وكيف وهم متفقون على كونه إمام الهدى والمهتدين ! لذلك قال تعالى تعليما لنبيه البرهان الاقوى في محاجتهم (قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين) أي بل نتبع أو اتبعوا ملة ابرهيم الذي لا نزاع في هداه ولا في هديه فهي الملة الحنيفية القائمة على الجادة بلا انحراف ولا زيغ ، العريقة في التوحيد والاخلاص بلا وثنية ولا شرك ،

والحنيف في اللغة المائل وإنما أطلق على ابراهيم لان الناس في عصره كانوا على طريقة واحدة وهي الكفر فخالفهم كلهم وتنكب طريقتهم ولا يسمى المائل حنيفا الا اذا كان الميل عن الجادة المعبدة ويطلق الحنيف في اللغة أيضا على المستقيم وبه فسر الكلمة بعضهم وأورد له شاهدا من اللغة وهو أقرب . ومن التأويلات البعيدة ماروي من تفسير الحنيف بالحاج ووجه القول به انه مما حفظ من دين ابراهيم

الاستاذ الامام : وقال بعض المشتغلين بالعربية من الافرنج ان الحنيفية هي ماكان عليه العرب من الشرك واحتجوا على ذلك بقول بعض النصارى في زمن الجاهلية « ان فعلت هذا أكون حنيفا » وانها لفلسفة جاءت من الجهل باللغة وقد ناظرت بعض الافرنج في هذا فلم يجد مايحتج به الا عبارة ذلك النصراني وهو الآن يجمع كل مانقل عن العرب من هذه المادة لينظر كيف كانوا يستعملونها ولا دليل في كلمة النصراني العربي على ان الكلمة تدل لغة على الشرك وإنما مراده بكلمته البراءة من دين العرب مطلقا، ذلك أن بعض العرب كانوا يسمون أنفسهم الحنفاء وينتسبون الى ابراهيم ويزعمون انهم على دينه وكان الناس يسمونهم الحنفاء أيضا والسبب

في التسمية والدعوى ان سلفهم كانوا على ملة ابراهيم حقيقة ثم طرأت عليهم الوثنية فأخذتهم عن عقيدتهم وأنستهم أحكام ملتهم وأعمالها - نسوا بعضها بالمرة وخرجوا ببعض آخر عن أصله ووصفه كالحج ، ونفي الشرك عن ابرهيم في آخر الآية احتراس من وهم الواهمين ، وتكذيب لدعوى المدعين ، :

أقول لابدع ان ينسى الاميون ما كانوا عليه فان أهل الكتاب خرجوا بدينهم عن وضعه الاول فنسوا بعضا وحرفوا بعضا وزادوا فيه ونقصوا منه . فاليهود أضافوا التلمود الى ماعندهم من التوراة وسموا مجموع ذلك مع تفاسيره وآراء أحبارهم فيه باليهودية . واما النصارى فقد ظهر دينهم بشكل لو رآه الحواريون الذين أخذوا الدين عن المسيح مباشرة لما عرفوا أي دين هو . وهؤلاء المسلمون على حفظ كتابهم في الصدور والسطور يعملون باسم الدين اعمالا يظنها الجاهلون بدينهم أعظم أركان الدين ، وما هي من الدين وانما هي بدع المضلين ، فالافرنج يكتبون في رحلاتهم ان رقص المولوية ، من أعظم العبادات الاسلامية ، وان ما يكون في جامع القلعة في ليالي المولد والمعراج ونصف شعبان من الرقص والعزف بالطبول والدفوف وغيرها من أهم الشعائر الاسلامية وسماها بعضهم (الصلاة الكبرى) ولولا ان القرآن محفوظ وسنة الرسول وسيرة السلف الصالح مدونتان في الكتب لنسينا الاصل واكتفينا بهذه البدع فان الالوف التي تحج الى ضريح السيد البدوي كل عام لا يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويحج البيت منهم الا النفر القليل . ولكن الله أراد بقاء هذا الدين وحفظه وسيرجع الى كتابه الراجعون ، ويهتدي به المهتدون ولو كره المقلدون ، وعند ذلك

تنقشع ظلمات هذه البدع التي هم فيها يتخبطون ،

وقد توهم بعض العلماء ان هذا الجواب « بل ملة ابرهيم » الخ جاء على طريقة الاقناع وليس فيه حجة حقيقية ووجهوه بقولهم ان أهل الكتاب يعاندون الحق ويكابرون في معجزة النبي عليه السلام فأمر الله نبيه بان يلزمهم بالدلائل الاقناعية التي لا يقدرون على مكابرتها والمراء فيها . والحق ان هذا الجواب حجة حقيقية وقد أشرنا الى وجهها الوجيه أول الكلام فى تفسير الآية . وقد تجرأ كثير من العلماء على مثل هذا الكلام فى كثير من الآيات التي احتج بها القرآن حتى فى اثبات الوحدانية . والسبب فى ذلك افتتانهم بالطريقة النظرية التي أخذوها عن كتب اليونان ، ولقد اهتدى بحجج القرآن الالوف والوف الالوف وقلما اهتدى بالادلة النظرية المحضة أحد من الناس . وانما تفيد فى دفع شبهاتهم التي يوردونها على العقائد ولا فائدة فيها سوى المراء والجدل ، وقد تلاشت فى عصرنا تلك الشبهات ، ورغب الناس عن هذه النظريات ، وقام بناء العلم على أسس الوقائع والحوادث والمجربات ،

وقال الجلال ان الآية نزلت فى يهود المدينة ونصارى نجران فهم القائلون ماذكر . والتحقيق ان الآية فى بيان طبيعة أهل الملتين كما تقدم ، وقول يهود المدينة ونصارى نجران ماذكر - ان صح - لا يقتضي التخصيص فانهم ما قالوا الا هولسان حال ملتهم . وغيرهم يقول مثل قولهم ، أو يصدق القائلين باعتقاده وسيرته

أمر الله النبي بان يدعو الى اتباع ملة ابرهيم ثم أمر المؤمنين بمثل ذلك فقال « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا » الخ أي لا تكن دعوتكم الى شيء

خاص بكم يفصل بينكم وبين سائر أهل الاديان السماوية بل انظروا الى جهة الجمع والاتفاق ، وادعوا الى أصل الدين وروحه الذي لا خلاف فيه ولا نزاع ، وهو التسليم بنبوة جميع الانبياء والمرسلين ، مع الاسلام لرب العالمين ، لانعبد الا الله ، ولا نفرق بين أحد من رسل الله ،

والاسباط أولاد يعقوب والفرق أو الشعوب الاثنى عشر المتشعبة منهم . قال تعالى « وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا أمما » وقد ورد أن أولاد يعقوب كانوا أنبياء ولم يرد انهم كانوا مرسلين فان صح هذا كما يفهم من اطلاق الاستاذ الامام في الدرس فالمراد بالاسباط الاطلاق الاول والا كان في الكلام تقدير مضاف أي أنبياء الاسباط كأنه قال وسائر أنبياء بني اسرائيل

وههنا نكتة دقيقة لاختلاف التعبير عن الوحي الذي منحه الله الانبياء اذ عبر بأنزل تارة وبأوتي تارة أخرى وهو ان التعبير بانزل ذكر هنا في جانب الانبياء الذين ليس لهم كتب تؤثر ولا صحف تنقل ، وذلك ان إنزال الوحي على نبي لا يستلزم اعطاءه كتابا يؤثر عنه وهذا ظاهر اذا كان النبي غير مرسل فان الوحي اليه يكون خاصا به ويكون ارشاده للناس أن يعملوا بشرع رسول آخر ان كان بعث فيهم رسول والا كان قدوة في الخير ومعدا للنفوس لبعثة نبي مرسل . وأما النبي المرسل فقد يؤمر بالتبليغ الشفاهي ولا يعطى كتابا باقيا وقد يكتب ما يوحى اليه في عصره فيضيع من بعده ، فهؤلاء الرسل الكرام الذين عبر عنهم بقوله (وما أنزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) لا يؤثر عن أحد منهم كتاب بسند صحيح ولا غير صحيح واننا نؤمن بانهم كانوا أنبياء وان ما نزل

عليهم هو دين الله الحق وانه موافق في جوهره وأصوله لما أنزل على من بعدهم . وماذكر الله من ملة ابراهيم بالنص هو روح ذلك الوحي كله . وقد جاء فى سورة النجم وسورة الاعلى ذكر صحف لابراهيم وقال الجلال هنا انها عشر . فنؤمن بانه كان له صحف ولا نزيد على ماورد شيئا . وأما اسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط فلم يثبت أن لهم صحفا ولا كتبا . فنؤمن بما أنزل اليهم بالاجمال ونعتقد انه عين ملة ابرهيم . وجاء التعبير عن وحي الذين كان لهم كتب تؤثر بقوله (وما أوتي موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم) فهو يشير بالايتاء الى ان ماأوحى اليهم له وجود يمكن الرجوع اليه والنظر فيه فان أقوامهم يأثرون عنهم كتبا

وقال بعد ماذكر الفريقين (لانفرق بين أحد من رسله) أي سواء منهم من له كتاب يؤثر ومن ليس له ذلك . نؤمن بالجميع اجمالا ونأخذ التفصيل عن خاتمهم الذي بين لنا أصل ملتهم التي كانوا عليها وزدنا من الحكم والاحكام ، مايناسب هذا الزمان وما بعده من الازمان ، والعمدة فى الدين على إسلام القلب لله تعالى (ونحن له مسلمون)

(فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) قال صاحب الكشاف ان الآية تعريض بأهل الكتاب وتبكيت لهم ، وقال الجلال ان لفظ مثل زائد واستنكر الاستاذ الامام ذلك واستكبره كعادته فانه يخطئ كل من يقول ان فى القرآن كلمة زائدة أو حرفا زائدا . وقال ان لمثل هنا معنى لطيفا ونكتة دقيقة وذلك ان أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على الانبياء ولكن طرأت على ايمانهم بالله نزغات الوثنية وأضاعوا لباب ما أنزل على الانبياء وهو الاخلاص والتوحيد وتزكية النفس والتأليف

بين الناس وتمسكوا بالقشور وهي رسوم العبادات الظاهرة ونقصوا منها وزادوا عليها ما يبعد كلا منهم عن الآخر ويزيد في عداوته وبغضائه له فقسقوا عن مقصد الدين من حيث يدعون العمل بالدين . فلما بين الله لنا حقيقة دين الانبياء وانه واحد لا خلاف فيه ولا تفريق وأن هؤلاء الذين يدعون اتباع الانبياء قد ضلوا عنه فوقعوا فى الخلاف والشقاق أمرنا سبحانه وتعالى ان ندعوهم الى الايمان الصحيح بالله وبما أنزل على النبيين والمرسلين بأن يؤمنوا بمثل ما نؤمن نحن به لا بما هم عليه من ادعاء حلول الله فى بعض البشر وكون رسولهم الها أو ابن الاله ومن التفرق والشقاق لاجل الخلاف في بعض الرسوم والتقاليد . فالذي يؤمنون به فى الله مثلا ليس مثل الذي نؤمن به منه فنحن نؤمن بالتنزيه ، وهم يؤمنون بالتشبيه ، وعلى ذلك القياس . فلو قال: فان آمنوا بالله وبما أنزل على أولئك النبيين وما أوتوه فقد اهتدوا : لكان لهم ان يجادلونا بقولهم اننا نحن المؤمنون بذلك دونكم ولفظ مثل هو الذي يقطع عرق الجدل

على ان المساواة فى الايمان بالدين بين شخصين بحيث يكون ايمان احدهما كايمان الآخر فى كيفيته وقوته وانطباقه على المؤمن به وما يكون فى نفس كل منهما من متعلق الايمان يكاد يكون محالا فكيف يتساوي ايمان أمم وشعوب كثيرة مع الخلاف العظيم فى طرق التعليم والتربية والفهم والادراك . ولو كانت القراءة : فان آمنوا بما آمنتم به : كما روي عن ابن عباس فى الشواذ لكان الاولى ان يقدر المثل فكيف نقول وقد ورد لفظ مثل متواترا انه زائد ؟

(وان تولوا) عما تدعوهم اليه من الرجوع الى أصل دين الانبياء

ولبابه بايمان كايمانكم (فانما هم فى شقاق) أي ان أمرهم محصور فى المعاندة والمشاقة أي الايذاء والايقاع فى المشقة بتحري الخلاف والتعصب لما يفصلهم ويبينهم من غيرهم دون مايقربهم منهم ويصلهم بهم (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) أي يكفيك ايذاءهم ومكرهم السيء ويؤيد دعوتك ، وينصر أمتك ، فهذا الوعد بالكفاية عام للمؤمنين وان كان الخطاب خاصا فان أهل الكتاب وغيرهم ماشاقوا النبي لذاته وما كان لهم حظ فى مقاومة شخصه ، فالايذاء كان متوجها اليه من حيث هو نبي يدعو الى دين غير ما كانوا عليه . وقد انجز الله وعده للنبي والمؤمنين عند ما كانوا على ذلك الايمان وكان الناس يقاومونهم لاجله فلما انحرفوا عنه خرجوا عن الوعد ولو عادوا لعاد الله عليهم بالكفاية والنصر « ولينصرنّ اللهُ من ينصره ان الله لقوي عزيز »

(صبغة الله) أي ان الايمان على الوجه السابق هو ماصبغ الله به أنبياءه ورسله والمؤمنين من عباده على سنة الفطرة فلا دخل فيه للتقاليد الوضعية ولا لآراء الرؤساء وأهواء الزعماء وانما هو من الله تعالى بلا واسطة متوسط ولاصنع صانع (ومن أحسن من الله صبغة) أي لاأحسن من صبغته فهي جماع الخير الذي يؤلف بين الشعوب والقبائل ويزكى النفوس ويطهر العقول والقلوب ، وأما ما أضافه أهل الكتاب الى الدين من آراء أحبارهم ورهبانهم فهو من الصنعة الانسانية ، والصبغة البشرية ، قد جعل الدين الواحد مذاهب متفرقة مفرقه ، والامة الواحدة شيعا متنافرة متمزقة ، (ونحن له) وحده (عابدون) فلانتخذ أحبارنا وعلماءنا أربابا يزيدون فى ديننا وينقصون ، ويحلون لنا بآرائهم ويحرمون ،

ويمحون من نفوسنا صبغة الله الموجبة للتوحيد، ويثبتون مكانها صبغ البشر القاضية بالخلاف والتفريق،

قال الاستاذ الامام: والآية تشير الى انه لاحاجة فى الاسلام الى تميز المسلم من غيره بأعمال صناعية كالمعمودية عند النصارى مثلا وانما المدار فيه على ماصبغ الله به الفطرة السليمة من الاخلاص وحب الخير والاعتدال والقصد فى الامور «فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله،ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لايعلمون»

باب الفقه في احكام الدين

كلمة ثانية فى أهل الذمة

هذه المقالة منقولة عن الجزء الثالث من تاريخ (أشهر مشاهير الاسلام) لرفيق بك العظم وهو تحت الطبع. وله كلمة أخرى في حسن معاملة الاسلام لاهل الذمة في الجزء الثاني من الكتاب. وقد أورد هذه الكلمة بمناسبة كتاب من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص يوصيه فيه باهل العهد والذمة ويذكره بوصية النبي بهم عامة وبالقبط خاصة ومن ذلك حديث «من ظلم معاهدا اوكلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة»

هذا الكتاب يمثل لنا سيرة عمر بن الخطاب مع أهل الذمة ويبين شدته على العمال فى منعهم عن ايذاء أهل الكتاب اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا بامره ومن تكون هذه سيرته مع أهل الذمة أفيعقل ان يريد بهم اذى بقول أو فعل؟ كلا ان العقل والبديهة يرفضان نسبة أي قول أو فعل اليه يشتم منه ولو رائحة الجفاء فضلا عن امتهان الذمي أو ظلمه.

واذ علم هذا فالذي يدعو الى العجب هو غفلة نقلة الاخبار ورواتها عن

مقاصد عمر (رض) التي هي مقاصد الشرع الاسلامي الذي جاء للتأليف بين القلوب وعدم استحيائهم من جمع المتناقضات من الاخبار ونقلهم الموضوعات منها بلا تمحيص لصحيحها من كاذبها وبدون تروّ فى النافع والضار منها

كتبنا في الجزء الثاني فصلا عن أهل الذمة نقلنا فيه رواية لابن الجوزي فى انّ عمر تقدم الى أحد عماله بختم رقاب أهل الذمة بالرصاص (١) وأبنا ثمة وجه الضعف فى هذا الخبر وعجبنا من مثل ابن الجوزي كيف ينقل مثل ذلك الخبر مع انه ليس في الدرجة التي تؤلم النفس اذ لو صح لحمل على قصد سياسي أواداري على تعبير المتأخرين يراد به ضبط احصاء أهل الجزية من الذميين لا امتهانهم اقتداء بالدول الفاتحة قبل الاسلام كالرومان والفرس الذين ثبت انهم كانوا يضربون على الرعية الجزية وربما كانت هذه العادة متبعة عندهم فى احصاء أهل الجزية وقد زاد عجبنا اضعافاً الآن اذ رأينا هذا الخبر فى الخطط نقله صاحبها المقريزي عن ابن عبد الحكم بزيادة أحر بها ان تكون محض افتراء على عمر بن الخطاب رضي الله عنه واذ قلنا بوهن الرواية الاولى فى جانب العقل وهي لأحد حفاظ الحديث فما أحرانا بتكذيب الرواية الثانية . واليكها بنصها مع الزيادة التي أوردها المقريزي قال :

كان عمرو بن العاص يبعث الى عمر بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه وكانت فريضة مصر لحفر خلجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع

(١) المراد بختم رقاب أهل الذمة بالرصاص هو حمل طوق فيه علامة من الرصاص كما في بعض التواريخ

جزائرها مائة ألف وعشرين ألفا (أي من العمال) معهم الطور والمساحي والاداة يعتقبون ذلك لايدعون ذلك صيفا ولاشتاء . ثم كتب اليه عمر ان تختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيهم ويركبوا على الاكف (جمع أكاف وهو البردعة) عرضاً ولا يضربوا الجزية الاعلى من جرت عليه المواسي ولايضربوا على النساء ولاعلى الولدان ولايتشبهوا بالمسلمين

فانظر أيها العاقل الى هذا الكتاب وقابله بكتاب عمر الذي يوصي فيه عمرو بن العاص بأهل الذمة هل تجد بينهما التشابه بالوجهة ؟ أم بينهما من البون البعيد مابين الحق والباطل . وقد أوضحنا في الجزء الثاني ضعف أمثال هذه الاخبار بما فيه الكفاية وانما عدنا اليها الآن لامر ظهر لنا بعد البحث والروية : وهو ان واضعي هذه الاخبار انما ألجأهم لوضعها أمران

الامر الاول ان الشؤون الادارية وأهمها دواوين الخراج كانت تناط في أكثر الاوقات بأهل الذمة بل استمرت تكتب بلغتهم أيضا الى عهد عبد الملك بن مروان فكانوا يستطيلون احياناً على رجال الدولة وأهل المكانة وربما تحرّج منهم أحيانا بعض الفقهاء فوضعوا لهم أمثال تلك الاخبار تنقيصا لهم وحطا من مكانتهم عند الخلفاء والملوك وابعادا لهم عن مناصب الدولة وانما ألجأهم الى نسبة هذه الاخبار الى عمر كونه كان رضي الله عنه قدوة فيما لم يرد بخصوصه شيء في الشرع وهذا بلا ريب يعد من أولئك الوضاعين تناهيا في ضعف الرأي لاسيما اذا علموا باحوال اهل التقى والعدل من الخلفاء ومعاملتهم الجميلة لاهل الذمة كعمر ابن عبد العزيز ومن حذا في ذلك حذوه من الخلفاء وبالاخص الخلفاء من

بني العباس الذين كان أكثرهم متفقها في الدين واقفا على اخبار السلف كالمنصور والمهدي والرشيد والمأمون وامثالهم ممن أتى بعدهم فكانوا يوسدون كثيراً من شؤون الدولة الى أهل الذمة ويقربونهم منهم لاسيما الاطباء والكتاب بلا أدنى تحرج في الدين وأي حرج في الدين يمنع من محاسنة الذميين وعدم ايذائهم بمثل ذلك الامتهان المشين من كلام لوضاعين ومن وقف على اخبار ماسويه وحنين بن اسحق واضرابهما مع المأمون والمتوكل يعلم هـذا . وكذلك كان حالهم مع خلفاء الفاطميين في مصر فكان القبط أرباب الكلمة العليا عند الخلفاء وكانوا كما نقل المقريزي يتولون دواوين الخراج ويركبون البغال الفارهـة ويتصرفون باموال الدولة بل بلغ بالخلفاء ان كانوا يعطون القاب التشريف الخاصـة بالعلماء والملوك وهي الالقاب المضافة الى الدين للاطباء والكتبـة من النصارى واليهود وما نذكره من هؤلاء (الشيخ موفق الدين ابن البورى الكاتب النصراني) والحكيم (موفق الدين بن المطران) وغيرهما ممن لم تحضرني أسماؤهم الآن :

هذاهو السبب الاول واما السبب الثاني لوضع تلك الاخبار فمنشأوه نزوع بعض الامراء الى اجهاد الرعية من مسلمين وذميين بالضرائب ونكث عهود هؤلاء القـديمة ولمـا لم يرو في الشريعة مخرجا لهم يتوصـلون به الى الاستبداد بالرعية وتحميل الذمي فوق ماحدده الشرع من الخراج والجزية كما حملوا المسلم لاسيما والاخبار النبوية آمرة بالوفاء معهم بالعهد والمحافظة على ما لهم من حقوق الذمة والجوار وانهـم أهـل ذمة الله وذمة رسوله ـ مهدوا لاغراضهم السبيل بالايعاز الى بعض مقربيهم بوضع مثل ذلك الخبر

مقدمة لاستباحة امتهانهم ثم إجهادهم بالضرائب يدلك عليه ماحدث فى عهد المروانيين من الاجتراء على استزادة الخراج والجزية في مصر وغيرها من غير حقها كما ستراه مبسوطاً في محله ان شاء الله

على ان سيرة الصحابة ورجال الفتح فى الصدر الاول مع أهل الذمة وحدها كافية لدحض أمثال تلك الاقوال الواهية حتي انهم افتتحوا بحسن السيرة وجميل المجاورة والمعاملة مالا يقوى عليه الحسام ، ويخرج عن طوق عددهم القليل بالنسبة لبقية الاقوام(١) وحسبك من أدبهم مع أهل الذمة من الكتابيين ان ما روى عنهم من اخبار الحروب مع الروم لم يستعملوا فيه لفظ الكافرين والمشركين البتة مع انهم كانوا يعبرون عن مجوس الفرس ووثني العرب قبل الاسلام بالمشركين ويقولون عن أولئك: الروم: والقبط : مثلا كانهزام الروم . وقاتل القبط ونحوه . يؤيد هذا كتب

(١) قد كان المسلمون كلهم كعمر من حيث العمل بمراعاه أهل الذمة ولزوم تجنب ايذائهم بالقول أو الفعل خصوصا عماله يدلك عليه ماذكره فى سراج الملوك في حكاية طويلة لامحل لذكرها هنا وخلاصتها ان عمير بن سعد عامل عمر على حمص وفد عليه مرة فسأله عن أشياء ثم قال له عد الى عملك فقال عمير أنشدك الله ان لاتردني الى عملي فاني لم أسلم منه حتى قلت لذمي : أخزاك الله : ولقد خشيت ان يخصمني له محمد صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول (انا حجيج المظلوم فمن حاججته حججته) ولكن ائذن لي الى أهلي: فاذن له فاتى أهله الخ الحكاية

فاذا كان مثل عمير بن سعد يستعفي من عمله لكلمة قالها لذمي وخاف ان يخصمه رسول الله عليها لانه قال « من ظلم ذميا فانا خصمه يوم القيمة » فهل يسوغ العقل ان يؤذي عمر وعماله الذميين بمثل جز النواصي والركوب على الاكف ونحو ذلك من أنواع الايذاء الذي لاشيء بالنسبة اليه قول عمير للذمي : اخزاك الله:

فاللهم انا نبرأ اليك مما كتبه الوضاعون وأخذ به الفقهاء على غير روية ولا تحكيم للعقل

التاريخ التي نقلت الينا أخبار الفتح بالرواية كالطبري وأشباهه، ولو فرض وجود شيء من تلك الالفاظ فيها فانه نزر يسير وهو من حشو النساخ واما كتب المتأخرين او المقلدين فان أصحابها لم يراعوا فيها ماراعاه السلف من الادب وحسن الاداء لما وقر فى نفوسهم من التعصب الذي حدث فى القرون الوسطى ولم يكن له أثر في النفوس فى صدر الاسلام لعلم أهل ذلك الصدر ان الاسلام جاء للتأليف والوئام، لا للتفريق بين الاقوام، وان اختلاف الاديان لايوجب الفرقة والخصام، لقوله تعالى « لكم دينكم ولي دين » ولان القرآن نطق بان أهل الكتاب أقرب مودة للمؤمنين وذلك فى قوله تعالى « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انّا نصارى . ذلك بانّ منهم قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون» ولهذا سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بانتصارهم على مجوس الفرس كما ذكرنا ذلك في الجزء الثاني فى حكاية هرقل مع الفرس وهي القصة التي جاءت في قوله تعالى « ألم غلبت الروم » الآية فلتراجع فى محلها

هذا ماأردنا بسطه ليكون فيه ذكرى للذاكرين وانما أطلنا الكلام فى هذا الباب اظهارا لبراءة عمر (رض) مما عزي اليه وتنبيها لاولى النهى من المسلمين الى ان دينهم يأمر بمجاسنة الذميين وينهى عن مخاشنة الكتابيين وان مرض التعصب الذميم انما طرأت اعراضه على الامة تدريجا سيما على عقب الحروب الصليبية واذ من آثار ذلك التعصب القبيح مايلاقيه المسلمون لهذا العهد من ضروب الاهانة والعسف من الدول المسيحية التي حكمت بعض الممالك الاسلامية ولم تراع فى حكم المسلمين حقوق الانسانية ولا الدين بحجة الانتقام للمسيحية، والمسيحية والاسلام يبرآن الى الله من ظلم

البشر بعضهم لبعض ولكن ما الحيلة والانسان مهما ترقت مداركه وسمى عقله فانه لايزال يتقاصر دون الوصول الى مرتبة العلم الكامل الذي يجعل البشر كلهم بالاضافة الى وجوب التعاون والاجتماع سواء، وان اختلفوا فى المذاهب والاهواء، اذ كل امريء مسؤول عن اعتقاده عند الله. وانه سبحانه يبين آياته للناس فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فعليها. ولكن: انها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور : اه

باب شبهات النصارى وحجج الاسلام

سوريا والاسلام

سوريا في حاجة شديدة الى اتفاق عناصرها لاسيما المسلمون والنصارى فاذا لم يتفقوا فلا عمران في سوريا ولا حياة ، المسلم في سوريا محتاج الى مسالمة النصراني وربما كان هذا أحوج منه الى هذه المسالمة ، النصارى في سوريا أجدر من المسلمين بالسعي في الوفاق والمسالمة لانهم سبقوهم الى العلم فكان يجب أن يسبقوهم باحساس حاجة بعضهم الى بعض ، ولأن الحاجة اذا لم تكن متساوية فى الفريقين فالاضعف يكون هو الاحوج كما أشرنا اليه آنفا . وهذا ما آنسته من أكثر فضلاء النصارى الذين ذاكرتهم في المسائل الاجتماعية

نرى عقلاء المسلمين وطلاب الاصلاح فيهم يكتبون فى صحفهم ومؤلفاتهم مايقنع المسلمين بأن دينهم يرشدهم الى محاسنة أهل الكتاب ومسالمتهم ويفرض عليهم مساواتهم في الحقوق ويحرم عليهم ايذاءهم ويخص النصارى بأنهم أقرب مودة الى المسلمين من غيرهم . وبأن مصلحة البلاد تقضي مع ذلك باتفاقهم في الاعمال الدنيوية وتعاونهم في الكسب ، الى غير ذلك من الارشاد . وبينا نحن نطبع تاريخ رفيق بك العظم وفيه ما رأيت (في النبذة السابقة) من الكلام الحسن فى أهل الذمة اذا نحن بجريدة (المناظر) ترد علينا بمقالات غريبة عن موضوعها عنوانها (سوريا والاسلام) ينفث فيها صاحبها من سموم التعصب الاعمى والقدح في الاسلام والمسلمين مايحول دون

التأليف والتوفيق ويدفع في صدور طالبي الاصلاح فيردهم على أعقابهم

قلنا ان هذه المقالات غريبة عن موضوع المناظر فان هـذه الجريدة قد سبقت جميع الجرائد العربية في العناية بالدعوة الى الوطنية الصحيحة النافعـة وترك التعصب الذميم الذي يأتي باشقاق بين أهل البلاد حتى يحل بها الدمار ، وتكون طعمة للاغيار، وقد عجبنا من قبوله لهذه المقالات التي تخالف خطته الحسنة

ماراعى الكاتب المصلحة ولا صـدق التاريخ ، ولكنه اقتبس جذوة من جذى دعاة الحروب الصليبية فألقاها في الامة التي صوّح التعصب نجمها وشجرها فصيره هشيما وناهيك بمـا تفعل النار بالهشيم

(١) كلمة جديدة

جاء الكاتب بملخص من سيرة الاسلام وسريرته في (كلمة جديدة) له لا يعرفها الاسلام ولا المسلمون. لا يعرفها القرآن ولا السنة الصحيحة، لا يعرفها التاريخ ولا الفقه الاسلامي ، ولكن يوشك ان يكون عرفها أو ادعاها أو مثلها بطرس الراهب أو اعضاء محكمة التفتيش أو قسوس أسبانيا في القرن السادس عشر . وقد انصف الكاتب اذ اعترف بان كلمته في الاسـلام جديدة ! نعم انها جديدة لم يقل بها قبله أحد فيما نعرف ولو اردنا ان نبرئ الاسلام ممـا رماه به الكاتب وهو برئ منـه ونبرئ التاريخ ممـا أسنده اليـه بغير رضاه ولا معرفته لمـا بقي من تلك المقالات الطويلة الا رأي الكاتب . فملخص تلك المقالات ان الكاتب يرى أو يحب ان يري قومه أن الاسـلام في طبيعته والمسلمين خاصتهم وعامتهم منابع للتعصب كذلك كانوا في ماضيهم ، وكذلك هم في حاضرهم ، وكذلك يكونون في مستقبلهم ، فلا يطمعن المسيحيون في وفاقهم والاتحاد معهم على ترقية سوريا أوغيرها ، ولكن ماذا يعملون بالمسلمين ؟ للكاتب ان يرى ولغـيره ان يقبل أو يرفض ونحن لا يهمنا الا ان نبين الحق وندعو الى الخير والوفاق مااستطعنا ، ولا نسمح بكثير من صحائف المنار للرد عليه بل نكتفي بالاشارة فنقول :

(٢) لماذا ظهر الدين الاسلامي

مهد لجواب هـذا السؤال تمهيدا من التاريخ خالف فيه مؤرخي الامم كلها ، صور بتمهيده الأمم التي أظلها الاسلام بجناحيه في أول ظهوره بصور بهية سنية انتهت

إلها الحضارة والمدنيـة في سوريا ومصر ولكن جميع المؤرخين يصورونها بصورة شنيعة قبيحة، لاسنية ولا مليحة ؛ ويقول المتعصبون منهم على الاسلام انه لولا ذلك الفساد في الاخلاق والعقائد والاعمـال ، ولولا ذلك الاستبداد في الاحكام والاستعباد للاقوام ، ولولا تلاشي العلم والمدنية في مصر وفارس والشام ، لما نجحت في هـذه الممالك دعوة الاسلام ، ولما تيسر لتلك الامة الامية ، ان تسود في بضع سنين على جميع أمم القوة والمدنية ،

ونحن نقول لهؤلاء نعم ان الاسلام لم ينتصر الا لانه الحق قذف به على الاباطيل ، ونور الهدى المشرق في ظلمات الاضاليل ،

ونقول لكاتبنا ومؤرخنا الجديد : اذا كان المسلمون على بداوتهم وبعدهم عن العلوم والمعارف والحق والعدالة (بزعمك) قد انتصروا « على التمدن الفينيقي ينشيء المستعمرات على الشطوط الافريقيـة ، والتمدن المصري يفغرفاه ليبتلع سورية . » واصطادوا « النسر الروماني يظلل بجناحيه القارة الاوربية ، والقسم الاعظـم من الاسيوية ، » فلاشك ان انتصارهم هـذا أعجوبة سماوية ، قد حدثت بمحض العناية الالهية ، ويقول الكاتب ان انتشار النصرانية في بلاد العرب كان السبب الوحيد لتغير حالة البدو وطلبهم المحافظة على حريتهم واستقلالهم فالاسلام لم يظهر إلا بسبب المبادي النصرانية . ونقول له ان حوادث الزمان التي أعدت العرب لظهور دين المدنية والعلم فيها على أميتها كثيرة فاذا كان منها خوفهم من النصارى المعتدين على استقلالهم كما قال فلا يصح ان تجعل النصرانية هي السبب الوحيد لظهور الاسـلام ولا يقول ذلك الا الغالي في التعصب والتحمس الديني ، وان للحرية نشوة كنشوة الخمـر ، وطغيانا كطغيان الغنى ، وانها لاعظم ثروة وأكبر لذة ، فلا متمتع بها أن يقول ويكتب ما يلذ له ويطيب

(٣) النبي العربي

ذكر الكاتب ههنا ملخصا لتاريخ النبي عليه الصلاة والسلام فقال انه « ولد بين سنة ٥٧٠ و٥٧٨ للمسيح » والصواب انه ولد في نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ ؛ وقال ان أباه مات بعد ولادته بشهر والصواب انه مات قبل ولادته ؛ وقال ان عمه أباطالب سافر به وهو ابن اثنتي عشرة سنة والصواب انه كان ابن تسع سنين . وقال انه بعد

ذلك كان يسافر الى الشام من وقت الى آخر والصواب انه ماسافر بعد ذلك الا مرة واحدة مع ميسرة غلام خديجة ، وقال انه تزوج خديجة (سنة ٥٩٥) حين بلغ العشرين . والصواب انه تزوج بها وله خمس وعشرون سنة وشهران وأياما قيل عشرة وقيل خمسة عشر . وكل هذه الاغلاط في سطور لاتكوّن صفحة واحدة من المنار .
ومن الاختصار الذي أشرنا اليه ان لانستقصي أمثال هـذه الاغلاط التاريخية وإنما نعني بالآراء والنتائج الجوهرية ومنها في هـذه النبذة اشارة الكاتب الى ان ماجاء في القرآن من الكلام في المسيح واثبات ان مريم ولدت بشراً لا الهـا قد أخـذه النبي من النساطرة اذ عرج به عمه على ديرهم في سفره به الى الشام ، وقد علم القارئ أنه كان يومئذ في التاسعة من عمره فلا عجب عند كاتبنا ان يحفظ ابن تسع بعض كلام الرهبان ويسره في نفسه زيادة عن ثلاثين سنة لاينطق به في صباه ولا في شبابه ثم يبني عليه دينا عظيما !!! ان هذا الاستدلال يشبه ماقاله بعض الظرفاء من كتاب الحاكم في قصيدة نظمها شاعر بليغ : أنه سرق قصيدته مني لانه جاء فيها :

سليل بني الزهرا ولله نسخة لقد قوبلت بالاصل في اللفظ والفحوى

(قال) فاننا نكتب على ما نبيضه من الصحف انه قوبل بالاصل ! ! : أو يشبه قول بعض ملاحدة أوربا ان مواعظ الانجيل الحسنة مأخوذة من حكم كونفشيوس الصيني وبعض فلاسفة اليونان واورد أمثلة في ذلك منها الامر بان يعامل المرء الناس بما يحب ان يعاملوه به فانها مأثورة عن كونفشيوس

ومن الخطأ العظيم قول الكاتب ان الاسلام ثبث في البادية بالسيف وان النبي أجبر اليهود والنصارى على الاسلام . كيف والله تعالى يقول فيه « وما أنت عليهم بجبّار » ويقول « لا اكراه في الدين » وأما الحرب فقد كانت بعد قوة الاسلام وانتشاره بالدعوة لمدافعة المعتدين على أهله والمهددين لدعوته وسنبين هذا بمقال مسهب في فرصة أخرى

(٤) أمؤسس شريعة أم مؤسس مملكة

قال الكاتب في جملته الرابعة التي رأيت عنوانها : « لقد صور لنا التاريخ محمـدا نبياً ومؤسس شريعة اما العقل فيصوره سلطانا ومؤسس مملكة ، لانه لايرى فيه غير صورة مؤسسي الدول والممالك وليس صورة بوذه وكونفشيو والمسيح . التاريخ ي

وضع الاسلامية لاجل هداية قبائل العرب وردهم عن الوثنية ، أما العقل فيرى انه أبقاها على ما كانت عليه في زمن الجاهلية ، » نعوذ بالله من مكابرة الحس

ثم استدل على ان الاسلامية ليست بملة جديدة ولا شريعة وبان العقل (أي عقله وحده) يحكم بان التاريخ كاذب وبأن محمدا أخذ التوحيد عن النساطرة وأضاف اليه كثيرا من التقاليد والعوائد النصرانية واليهودية ! وقال انه اذا تجرد عن كل غاية (أي الا غاية التعصب الذي يعمي ويصم) فانه يحكم بأن تصوير العقل (أي عقله) هو الحقيقي دون تصوير التاريخ . ولخص الاسلام كله بالتوحيد وقال انه عن النساطرة وكذلك انكار ألوهية المسيح وتعيين أوقات الصلوات الخمس !! وبالختان والغسل قبل الصلاة وقال انهما عن اليهود وبتعدد الزوجات وقال انه عن العرب !! أي فلم يبق في الاسلام شيء من الاسلام !! يا أرض اشهدي ويا سماء شاهدي هذا الكاتب البريء من كل غاية الذي يعيب التعصب على المسلمين فيسمى الضياء ظلاما والنهار ليلا لان الشمس طلعت عليهم فغمرهم ضياؤها

ثم قال: ولو ان غاية محمد دينية فقط — لوانها سامية كغايات جميع مؤسسي الاديان لوضع التعاليم التي قام يبثها ويبشر بها بالسيف على أسس الاخاء والحب والحرية والمساواة ولما كان عول قبل وفاته على الزحف الى سوريا» : ثم زعم أن الغاية سياسية وهي حب الرئاسة والسلطة وتفهق في ذلك بما املاه عليه احساس التساهل والبراءة من كل غاية !!

أظن ان الذين يكتبون الينا دائما بوجوب استقصاء شبهات النصارى المصوبة الى الاسلام من كل صوب لا يسمحون لي بأن أبين خطأ كل كلمة من هذا الكلام لانه ليس من قبيل الشبهات وانما هو على حد : الشمس مظلمة والسماء تحتنا والارض فوقنا : لكنني أستأذنهم بأن أسأل الكاتب المنصف : لماذا لم يذكر في مؤسسي الشرائع موسى مع ان شريعته هي شريعة المسيح الذي يعبده وفيها قال المسيح كما روي أنا جيله « ماجئت لانقض الناموس » وهذا الناموس هو بعينه الذي يأمر بافناء جميع الذكور من المحاربين واغتنام النساء والاولاد من أهل المدن البعيدة ويأمر بابادة الشعوب القريبة كبارا وصغارا رجالا ونساء كما في سفر تثنية الاشتراع من توراتهم (٢٠ : ١٠ — ١٦) فهل ينكر التوراة وموسى لاجل الطعن بمحمد ؟ واذا هو فعل هذا فمن أين يأتي بشبهة على ألوهية المسيح أو على نبوته والعقل الذي يحكمه لا يتصور ان يكون بشر إلها خالقا

لمن كانوا قبل ولادته ولمن يكونون بعد موته !!! فحجته انما تقوم على صحة دين بوذه فقط ان مسألة الطعن في الاسلام لمشروعية الجهاد فيه مسألة سياسية . وقد بينا في المنار غير مرة ان الجهاد في الاسلام ماشرع الا للمدافعة عن الحق وأهله وتأمين الدعوة وحرية الاعتقاد . وقد نشرت جريدة المناظر الغراء في ذلك ما كتبه امامنا الحكيم في مقالات (الاسلام والنصرانية) ولكن شره الكاتب على الطعن في الاسلام ينسيه ما يقرأ أو يحمله على رفضه والاكتفاء بما يصوره له تعصبه فقط . ولولا السياسة لما أكثروا من ذم الاسلام بالجهاد وكتابهم التوراة يحكم بما تقدم آنفا وتؤيد ذلك أناجيلهم بروايتها عن المسيح انه قال « لا تظنوا اني جئت لألقي سلاما على الارض ماجئت لالقي سلاما بل سيفا » (مق ١٠ — ٣٤) وقال « أما اعدائي الذين لم يريدوا ان أملك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي » (لوقا ١٩ — ٢٧) وهو صريح في ان المسيح طالب ملك وانه يبيح دم من لا يقبلون ملكه عليهم . ثم ان تاريخهم ملطخ بالدماء لاجل الاكراه على الدين . و آية الجهاد في القرآن هي « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » الخ ولعلنا نفي بوعدنا بتفصيل القول في تخطئة قول الذين يدعون ان الاسلام قام بالسيف وان الجهاد فيه مطلوب لذاته

ثم انتقل من الاستدلال بالوهم والتخيل الى الاستدلال بشيء له أصل في التاريخ ولكنه لا يدل على ما استدل به عليه . استدل على كون غاية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سياسية بتنازع الصحابة على الخلافة ويصح لنا ان نحتج بهذا على نقيض زعمه وهو انه لو كان الغرض من الاسلام تأسيس الملك لوضع المؤسس قاعدة للحكومة وجعل الملك في أسباطه وأبنائهم ولكنه فوض ذلك الى الامة بعد بيان الاصول التي لا يضل متبعها ما اتبعها كقاعدة (الشورى) ومنع الخروج على الامير ، ولو أوصى بالملك لذريته لما نازعهم أحد . وأمر الملك دنيوي مبني على القوة والعصبية . ولما اتسعت فتوحات الاسلام ودخل الناس في الدين أفواجا أمكن لمثل معاوية ان يتخذ لنفسه عصبية في الشام ورأى انه أهل لهذه السلطة فتصدى لها وكان من الواجب على أمير المؤمنين ان يقاومه ويحاربه عند عدم الخضوع لئلا تتفرق الكلمة ، فهل يقول عاقل بان طمع معاوية في السلطة والملك يكون دليلا على ان محمداً (عليه الصلاة والسلام) كان طالب ملك وهو الذي كان يعيش عيشة المساكين ويفيض بجميع ما يملك على الناس ويقيد من نفسه (أي يمكن الناس من القصاص منه) ولا ينتقم لها الخ الخ ؟ ؟

(للرد بقية)

تأييد علماء الآفاق للفتوى بحل طعام الكتابي ولباسه

نشرنا في الجزء الرابع والعشرين من السنة الماضية مقالين في ذلك لعالمين من علماء المغرب الادنى (تونس) والمغرب الاقصى (مراكش) وذكرنا في مقدمتهما اننا راينا في الجرائد الهندية مقالات في الموضوع وعلمنا ان بعض القراء يودون لو يعرب شيء منها للمنار ولكننا نعتذر لهم بأن الاكثرين قد اكتفوا بما كتبناه في المسألة وأهل المشرق (الهند وغيرها) كأهل المغرب مقتنعون بما قلناه ومؤيدون له ولكننا نذكر المقدمة الوجيزة التي افتتحت الكلام بها في الموضوع جريدة المسلمين في (عليكده) منبع الحياة العلمية وموطن النهضة الاسلامية في الهند فقد جاء في العدد الصادر من تلك الجريدة في ٨ فبراير سنة ١٩٠٤ ما تعريبه :

(هل ولد السيد أحمد خان ثانية في مصر وظهرت جريدته (تهذيب الاخلاق) بشكل المنار)

ان الله قد وهب للمرحوم السيد احمد خان طبعا سليما ودماغا عجيبا . فبينا العلماء الاعلام . والفقهاء الكرام يشتغلون عامة بوسائل التقليد وطرقه وينهمكون في البحث بعبارات أمثالهم كان السيد يبحث في أصول الدين ومقاصده بحث المجتهد المحقق ، وانبرى بهمة (أسدية) قوية لاظهار الاسلام بصورته الاصلية الاولى بنزع لباس التقليد عنه ، وازاله شوائبه منه ، اذ كان شيوخ الملة المقيدين بقيود التعصبات والاوهام قد جعلوا أحكام الحنيفية السمحة البريئة من الحرج في غاية الضيق والشدة وحكموا فيها الرسوم والعادات فجعلوها مذهبا وشريعة . عني السيد بتحقيق العقائد والاحكام وبيان الحق ولم يخف في مخالفة الجمهور لومة لائم ففصل بين العادة والعبادة . وبين الرسوم الموضوعة والاحكام المشروعة ، ليخرج المسلمين من تلك الاوهام ، ويعود بهم الى أصل الاسلام ، ولما أنشأ يطبع تحقيقاته وينشرها علت الجلبة والضوضاء ، وصاح مع العامة العلماء والفقهاء ، : قد كفر قد كفر : وطلبوا من الحرمين الشريفين الفتوى بتكفير السيد والغالب انه لم يكن في ذلك الوقت أحد من المسلمين في الهند الا وهو ينظر الى أفكار السيد وتصوراته بعين الحيرة والتعجب

لعل أكثر الناس يتذكرون ذلك الزمان الذي أجاز السيد فيه لباس الانكليز وأباح الاكل معهم وقال ان اللباس ليس من الامور الدينية بل من الرسوم والعادات

ولم يحكم الشرع بالتزام زي يختص به المسلمون وأما الاكل فهو حل بنص الآية القرآنية ، ويتذكرون كيف هب العلماء للرد عليه واستدلوا بحديث « من تشبه بقوم فهو منهم » وكفروا السيد . ولكن الاقوال التي قالها السيد منذ ثلاثين سنة يقولها الآن أشهر العلماء في الممالك الاسلامية ، والافكار التي أظهرها السيد في الماضي يظهرها في هذا الوقت مفتي الديار المصرية بالحرية التامة و « النظافة » ونحن الآن نترجم الفتوى بحل طعام أهل الكتاب ولباسهم ولكن لا ندري ماذا يقول الناس في هذا — اتفاق الحاضر مع الماضي — فان كان المسلمون قائلين بالتناسخ فليقولوا ضرورة بان السيد قد ولد (ثانية) في مصر وظهرت جريدته (تهذيب الاخلاق) في شكل (المنار) » اه المقدمة

(المنار) لتعتبر الجريدة المحدثة بأقوال علماء المسلمين في مشارق الارض ومغاربها فان كانت كتبت ما كتبته من الطعن في الفتوى عن جهل وكانت تريد باستجداء مسلمي الآفاق بيان الحق فهاهم أولاء قد أيدوا الفتوى فعلها ان تعترف بخطئها وتتوب الى ربها . ويا ليت أصحاب الجمود ودعاة التأخير يعلمون ان الاستاذ الامام وحزبه هم الذين يخدمون الاسلام والمسلمين في هذه البلاد دون سواهم وأن عقلاء المسلمين في جميع الاقطار معهم ومؤيدون لدعوتهم ومرتبطون معهم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم . فلا يغتر حزب التأخير ، بمال فلان الغني وجاه فلان الامير ، فان الحق يعلو ولا يعلى وان حزب الله هم الغالبون .

﴿ باب السؤال والفتوى ﴾

(س ١) الزي والدين . ر ، ع : بالقاهره

ان بعض الكتابيين من أهل انكلترا وأمريكا أسلموا ولم يغيروا زيهم في اللباس (كالبرنيطة والبنطلون) فهل يصح اسلامهم أم لا ؟ فان قلتم لا يصح فهل من دليل نقلي على ذلك اذ ما نعلمه من التاريخ ان الشعوب التي أسلم منها من أسلم في العصور الاولى ما كان يشترط في اسلامهم تغيير الزي وما كانو يلبسون لباسا مخصوصاً بأهل الاسلام . وان قلتم يصح اسلامهم ويقرون على لبس البرنيطة والبنطلون فكيف

جاز لبعض الناس لهذا العهد القول بحرمة لبس البرنيطة على المسلم مع ان حرمتها على ما اعتقد يقتضي ان يكون الاسلام بالزي" لا بالعمل أو بكليهما معاً واذا كان ذلك كذلك فاسلام من أسلم من أهل أمريكا وانكلترا غير صحيح ما لم يغيروا أزياءهم وهذا من الاشكال في الدرجة القصوى كما لا يخفى على بصير اذ ربما كان ذلك مدعاة لعدم انتشار الاسلام بين الاقوام الذين تقضي عوائدهم بعدم التخلي عن لبس البرنيطة وما شابهها

وأمر آخر وهو انا نرى عشرات الملايين من المسلمين يلبسون لباس الافرنج (البنطلون) فاذا صح قولهم بعدم جواز هذا اللبس وان الاسلام بالازياء أو بالازياء والاعمال فما حكم هؤلاء ؟ هل يعتبرهم القائلون بهذا مرتدين مع ان المسلمين لم يكونوا يذكرون ذلك في دعوتهم الى الاسلام بل كانوا يكتفون بالشهادتين فيه وورد في الحديث «من قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله» وهؤلاء المسلمون الذين يلبسون البنطلون يقولون لا اله الا الله ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة . فما رأيكم في هذا كله؟ نرجو الجواب، ولكم الثواب،

(ج) لا يوجد دليل في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال الائمة على اشتراط زي مخصوص للمسلم بل هناك أدلة على عدم الاشتراط كما رأيتم في المقالات التي نشرناها في الموضوع والذين قالوا ما قالوا في منافاة لبس قلانس النصارى (البراطل أو البرانيط) للاسلام لا يعرفون من الاسلام الا التقاليد العامة التي يعرفها الحوذي . قلتم ان الذين أسلموا في الصدر الاول لم يشترط عليهم تغيير أزيائهم ونزيدكم على هذا ان الصحابة كانوا يلبسون الثياب التي يغنمونها من المشركين والمجوس وأهل الكتاب بل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس من لبوسهم أيضا كما ذكرنا من قبل . ولو أراد الله ان يتعبدنا بزي مخصوص لاختار زيا والزمنا به فان لم يكن الزي الاسلامي مخترعا جديدا من الشارع فموافقته لزي أهل الكتاب أولى من موافقته لأزياء المشركين لان الاسلام يفضل الكتابي الرومي أو الروسي على المشرك الهاشمي القرشي. هذا وان المسلمين لم يلتزموا زيا واحدا في عصر من الاعصار فأي ازيائهم كان زي الدين ، وأيها كان زي الكافرين او المرتدين،

وما ذكرتم من مفاسد جعل الزي داخلا في مفهوم الاسلام صحيح واهمه امتناع

من يصعب عليهم تغيير ازيائهم من قبوله ، وأقول ان كل امة من الامم التي تعقل تهزأ بدين يجعل الزي ركنا من أركانه أوعملا من أعماله فلو قيل لاهل أوربا أو أمريكا ان الاسلام يشترط ان يلبس الداخل فيه (فرجية) واسعة الاكمام وجبة طويلة الاذيال وحذاء أصفر يظهر منه معظم الرجل : لقالوا ان هذا دين لا يليق الا بالكسالى والبطالين من أهل البلاد الحارة وما قاربها ولا ينبغي لاهل العمل والنشاط ولا يرضى به ذو عقل ولا ذوق

اما حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » فهو غير صحيح ولو صح لما أفاد المشاغبين في مسألة الزي فان معناه أن من تكلف ان يكون شبيها بقوم فانه يلتحق بطبقتهم فان تشبه بالكرام في أخلاقهم وأعمالهم عد منهم وان كان متكلفا والعكس بالعكس . ومثل هذا التشبه لا يحصل الا بتكلف السجايا الخاصة بالقوم فان من يلبس لباس الشجعان أو الاسخياء لا يعد منهم ، فالحديث إذن في معنى قول الشاعر الذي اقتبسه :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم   ان التشبه بالكرام فلاح

زيارة المسلم لغير المسلمين

(س٢) ح . ح في الجبل الاسود : معلوم عند جنابكم اننا تحت تصرف حكومة نصرانية وان النصارى يزوروننا يوم عيدنا للتهنئة بالعيد ويطلبون منا مثل هذه الزيارة في أعيادهم فهل نحن معذورون اذا زرناهم أم لا ؟ :

(ج) ثبت في الحديث الصحيح عند أحمد والبخاري وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاد غلاما يهوديا كان يخدمه قبل مرضه . وقد استكبر الغلام وأبوه الفقير هذه العناية ودعا النبي الغلام الى الاسلام فقال له أبوه : أطع أبا القاسم : فأسلم والحديث يدل على مشروعية الابتداء بالزيارة . قال الماوردي : عيادة الذمي جائزة والقربة موقوفة على نوع حرمة تقترن بها من جوار او قرابة : أي ان العيادة في المرض ومثلها الزيارة جائزة ولكنها لا تكون عبادة يتقرب بها إلى الله الا اذا اقترن بها شيء مما هو مطلوب في الشرع كحرمة الجوار والقرابة . وحسبك ان تكون الزيارة في العيد وغيره مباحة على ان القواعد الاسلامية ترشدنا الى ان حسن النية في الاعمال المباحة تلحقها بالعبادات

هذا وأنت تعرف الفرق بين الذمي الداخل في حكمنا وبين من نحن داخلون في

حكمهم فاذا صح لنا ان نجامل من نحكمهم عملا بمكارم الاخلاق التي هي أساس ديننا أفلا يصح لنا ان نجامل من يحكموننا من غيرنا ونحن أحوج الى مجاملتهم لاجل مصالحنا كما اننا نرى أنفسنا أحق منهم بمكارم الاخلاق ؟

وكأني بمتعصب يقول : قال ابن بطال « انما تشرع عيادة المشرك اذا رجي ان يجيب الى الاسلام » وأقول أولا ان كلامه في العيادة المشروعة أي المطلوبة شرعا ونحن نتكلم في العادات المباحة وثانيا ان الحديث السابق لايدل على الاشتراط وقد أورد الحافظ ابن حجر كلامه في شرح البخاري ثم قال « والذي يظهر ان ذلك يختلف باختلاف المقاصد فقد يقع بعيادته مصلحة أخرى » وظاهر ان مصالح أهل الوطن الواحد مرتبطة بمجاملة أهله بعضهم بعضاً وان الذي يسيء معاملة الناس يمقته الناس فتفوته جميع المصالح لاسيما اذا كان ضعيفا وهم أقوياء ، واذا أسند سوء المعاملة الى الدين يكون ذلك أكبر مطعن في الدين . فلك أيها السائل ولغيرك من المسلمين ان تزوروا النصارى في أعيادهم وتعاملوهم بمكارم الاخلاق أحسن مما يعاملونكم ولا تعدوا هذا من باب الضرورة فانه مطلوب لذاته مع حسن النية واتقاء مشاركتهم في المحرمات كشرب الخمر مثلا والله أعلم وأحكم

﴿ صوم يوم عرفة ﴾

(س٣) ومنه : هل وردت أحاديث صحيحة في صوم يوم عرفة ولماذا يصومه المؤمنون ؟

(ج) ورد في حديث أبي قتادة عند البخاري وغيره مايدل على استحباب صوم يوم عرفة ووردت أحاديث أخرى في النهي عن صومه أصحها حديث عقبة بن عامر عند أحمد وأبي داود والترمذي وصححه وغيرهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام وهي أيام أكل وشرب » وورد النهي عنه للحاج بخصوصه وعللوه بأنه يضعفه عن الاذكار المشروعة في ذلك اليوم للواقف بعرفات وحمل أكثر العلماء حديث أبي قتادة على هذا التخصيص وقالوا انه يستحب صومه لغير الحاج وقال بعضهم يستحب افطاره . فاما علة الافطار فلكونه ملحقا بأيام العيد وأما علة الصوم عند القائل به فلعلها مشاركة الحجاج بالعناية بالعبادة الممكنة في ذلك اليوم فيصوم غير الحاج ويكثر من التكبير فيكون ذلك مذكراً له بعبادة الحج ومشوقا اليها حتى تتيسر له ان شاء الله تعالى

﴿ صندوق التوفير في ادارة البريد ﴾
(وبيان حكمة تحريم الربا)

(س ٤) مصطفى افندي رشدي الموركي بنيابة الزقازيق : ماهو رأي سيادتكم في صندوق التوفير بعد تعديله الاخير وهل يجوز الادخار فيه وأخذ ارباحه شرعا ؟ — ولا يخفى على حضرتكم فوائده سيما أنه يربي ملكة الاقتصاد في الانسان وهو مايؤيده الشرع في ذاته ، افيدونا آجركم الله :

(ج) ان التعديل الذي تعنونه قد كان برأي لجنة من علماء الازهر جمعها امير البلاد لاجل تطبيق ايداع النقود في الصندوق على قواعد الفقه المعروفة وقد كتبوا في ذلك ماظهر لهم وارسلته (المعية) الى الحكومة فعرضته على المفتي وبعد تصديقه عليه امرت بالعمل به . هذا ماشتهر ونحن لم نقف على ماكتبوه فنبدي رأينا فيه ولكننا مع ذلك لانرى بأسا من العمل به لاننا انما ننتقد من الحيل على علماء الظاهر او علماء الرسوم (كما يقول الغزالي) ماينافي مقاصد الشرع الثابتة بالكتاب والسنة كالحيلة في منع الزكاة والحيلة في الربا الحقيقي الذى علل القرآن تحريمه بقوله تعالى «لا تَظلمون ولا تُظلَمون» والذى فصل بينه وبين التجارة بقوله عز وجل «واحل الله البيع وحرم الربو» فالتعاقد في عمل يفيد الآخذ والمعطي بيع او تجارة ، والذى يفهم سبب تحريمه من قوله تعالى « ياايها الذين آمنوا لاتأكلوا الربو اضعافا مضاعفة» وذلك انه كان في المدينة وغيرها من اليهود والمشركين من يقرض المحتاج بالربا الفاحش كما نعهد من اليهود والخواجات في هذه البلاد وفي ذلك من خراب البيوت مافيه

فالحكمة في تحريم الربا ازالة نحو هذا الظلم والمحافظة على فضيلة التراحم والتعاون او فقل : ان لا يستغل الغني حاجة أخيه الفقير اليه (كما قال الاستاذ الامام) وهذا هو المراد بقوله تعالى « فلكم رؤس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون » ولايخفى ان المعاملة التي ينتفع ويرحم فيها الآخذ والمعطي والتي لولاها لفاتهما المنفعة معا لاتدخل في هذا التعليل «لاتظلمون ولاتظلمون» لانها ضده على ان المعاملة التي يقصد بها البيع والاتجار لا القرض للحاجة هي من قسم البيع لامن قسم استغلال حاجة المحتاج . ولايخفى ان ادارة البريد هي مصلحة غنية من مصالح الحكومة وانها تستغل المال الذى يودع في صندوق التوفير فينتفع

المودع والعمال المستخدمون في المصلحة والحكومة فلا يظلم احدهم الآخر فالارجح ان ما قالوه ليس من الحيل الشرعية وانما هو من قبيل الشركة الصحيحة، من قوم المال، ومن آخرين الاستغلال ، فلا مانع إذن في رأينا من العمل بتعديلهم على ان العبرة في نظر الفقه بالعقد ولذلك يحتال بعض علماء الرسوم في الربا الحقيقي فيأ كلونه بلا عقد ويقولون ان ذلك من قبيل البيوع الفاسدة وهي صغيرة او مكروهة وهذا شيء لا يحل ولا نقول به . والحاصل ان المسألة قد احلوها من طريق الفقه الظاهر والباحث في الفقه الحقيقي وهو حكمة الشرع وسره لا يرى ما ينافي حلها بناء على ما تقدم والتضيق في التعامل يفقر الامة ويضعفها ويجعلها مسودة للامم والله أعلم واحكم

القسم العمومي

نظام الحب والبغض

تابع حب القوة

(رابطة المدنية)

(تمهيد) « ما اجتمع اثنان فأكثر اجتماعا تراد به المصلحة الا احتاجوا في انتظام شملهم وتحصيل مصالحهم الى ناموس إمّا فطري مشوب بشيء من التعليم واما تعليمي مشوب بمقتضيات الفطرة . »

لتحفظ هذه الكلمة فانا نحسبها أصل الاصول في الاخلاق والشرائع . ولكن لا يحيط بها سريعاً إلا ذهن الذين سبروا تلك الاصول . وسيجدونها عيناً صغيرة تتفجر منها مياه كثيرة . أو عيناً صغيرة تنطبع فيها محسوسات كبيرة . أو مرآة صغيرة تقابلها أشكال متعددة فترى فيها صورها . وأما غيرهم فيناسبهم شرح هذه الكلمة .

فافرضوا ان المجتمعين أربعة: امرآن وامرأتان وافرضوا ان مصلحتهم الاولى من هذا الاجتماع ان يحفروا لهم غاراً ليسكنوا فيه ويأمنوا العوادي من حر وبرد ووحش ويجمعوا أقواتهم فيه

هذا القدر افرضوا فقط فإنكم سترونا نشرح لكم في هذا الاجتماع اجمال كثير مما يدعو علماء الاخلاق والشرائع ان يحثوا فيه . واليكم هذا النموذج من بيان ذلك :

(الاول) مما يلزم لاولئكم قبل مباشرة حفر الغار محبة كل منهم ذاته اذ لو كانوا

بحيث لايحب كل منهم ذاته لما كانوا ليقدموا على هذا العمل الذى تحصل به لجميعهم مصلحة لكل منهم حصة من فوائدها. ولو كان واحد منهم لايحب ذاته لنكف وحده عن العمل (امتنع او عدل) فيكون الثلاثة قد خسروه وما خسروا الا معينا. ولو نكف اثنان لخسر الآخران معينين ولو نكف ثلاثة لعمت المصائب الأربعة.

فأنتم ترون ان حب الانسان ذاته هو أول مايلزم للمجتمعين. وهو أول مايبحث فيه فلاسفة الاخلاق اذ هو الاصل الاعظم فى صلاح الاخلاق ان صلح، وفى فسادها ان فسد، وهو موجود فى الفطرة ولكن لطروء المرض يحتاج لطب التعليم.

(الثاني) مما يلزم لهؤلاء محبة كل منهم غيره. اذ محبة الغير هي الاصل الاعظم فى تحصيل مصالح الذات وهي الاصل الاعظم في اجتماع المتعددين ولولاها لكان هؤلاء الاربعة متنافرين متناحرين، لامتضافرين متناصرين،

(الثالث) مما يلزم لهؤلاء العدل، ومعناه: اعطاء المرء لغيره عدل ما أعطاه أي شيئاً يعادله. فاذا عمل كل واحد من هؤلاء مثل مايعمل صحبه كان ذلك من دواعي محبة بعضهم بعضاً ومما يوطد اجتماعهم. وأما اذا أراد أحد منهم ان يفضل نفسه عليهم فلا يعمل معهم كما يعملون ويريد أن ينتفع بما عملوا، أوان ينتفع بنصيب هو أكبر من انصبائهم فربما أوجب ان ينقموا منه ذلك لان «بدل الأصل، سبب الوصل، وبدل الفضل، سبب الفصل، »

(الرابع) مما يلزم لهؤلاء الاحسان. ومعناه: رضا النفس بايجاد الحسن ولو من غير بدل أو ببدل أقل مما هو عدله. فاذا كان أحد هؤلاء أضعف من الباقين فيحسن بهم ان يحسنوا فيعملوا عمل الاقوياء، ويقبلوا من الضعيف عمل الضعفاء، على انهم في النصيب سواء، وفى الاحسان مباحثات ومحاورات ليس هذا محلها وربما أتينا بها في محل آخر. والذى لاخلاف فيه بين المتمدنين هو ان الاحسان لايجب وجوباً كالعدل بل يحسن بالانسان التحلي به وقد يشتد لزومه في المجتمعين القليلين.

(الخامس) مما يلزم لهؤلاء المعرفة، اذ كل عمل لايكون الا بعلم. فان صلح العلم صلح العمل، وان فسد العلم فسد العمل. ومعنى العلم وجدان الذهن: ماهو الشيء؟ أو كيف هو؟ أو أين هو؟ أو لم هو؟ أو متى هو؟ أو كم هو؟ أو بم هو؟ فيلزم هؤلاء

ان يعرفوا أين يحفرون، وكيف يحفرون، وبم يحفرون، وكم يحفرون.

(السادس) مما يلزم لهؤلاء التعريف. ومعناه: احضار ماوجده العارف بقوة ذهنه بغير واسطة الا الالهام الى ذهن من لم يجد ذلك بواسطة الدلالات على اختلافها. ومن البديهي ان الاذهان مختلفة فى قبول الفائضات. ولا يتم العمل اللازم للكثيرين الا بتعليم من علم لمن لم يعلم. ومن ثمة عند ماتكثر اللوازم ويقل العالمون بها يعد تعليمها أو تعليم الوسائل المؤدية اليها عملا عظيما يعادل أكبر عمل من أعمال الموجدين للوازم.

هذا وبينما كان هم هؤلاء واحدا، ومصلحتهم واحدة أي تعاونهم فى حفر الغار ليأووا اليه اذ حدثت لهم بعد حفر الغار مصالح أخرى منها: حراسة المنزل خشية ان يطرقه طارق من وحش اذا خرجوا جميعاً. ومنها الاشتراك فى تحصيل القوت رجاء ان يكونوا باجتماعهم أقوى منهم اذا انفردوا. ومنها التراضي في أمر الوقاع لان في فطرة كل من المرء والمرأة اقتضاء الوقاع وان ترك هذا الامر بلا قاعدة بينهم يتراضون بها يؤدي الى تفرقهم أو تجادلهم أو تذابحهم وهم أشد من في الارض احتياجاً للاجتماع والتآلف والتناصر. فهم في هذه المصالح المتعددة (وهي من أولى المصالح) محتاجون الى تدبيرها. وفي تدبيرها محتاجون على الاقل الى ثلاثة أشياء (١) اقتسام الاعمال. و (٢) نظام العائلة و (٣) نظام التساكن.

فاقتسام الاعمال هو اللازم (السابع) وهو عبارة عن ان يعمل كل واحد عملا يحتاجه الكل على ان يكون له نصيب في عمل الآخر. فمن قام في المنزل حارساً فله حق بما يأتي به من سار للقوت محصلا. ونظام العائلة هو اللازم الثامن. وهو عبارة عن العهد الذي يقيمه المرء مع المرأة على ان يكون كل منهما للآخر زوجاً بشرط كذا وكذا.. على مايظهر لهما من المعاهدة. ونظام التساكن هو اللازم التاسع. وهو عبارة عن السبيل الحسن الذى يسير عليه جماعة اقامتهم الحاجة في منزل واحد.

ثم بينما هم فى حاجة لافراد آخرين ليتم بهم تعاونهم على مشاق الاعباء التي لايستطيعون وحدهم تحملها لما يصادفهم من الطوارئ الخارجية كغلبة الوحوش والداخلية كالضعف بنحو مرض أو تغير قلوب متحدة أواختلال نظام عائلة أو نظام تساكن اذ جبر نقصهم، وسدت حاجتهم بالأنسال التي أخذت تتزايد في كل عام.

ولكن هل يوجد خير غير مشوب بما يقابله من ضد ؟ كلا : ان هؤلاء لما أصابهم هذا الخير الذي هو توفر العدد لاتمام المدد أصابهم في مقابلته شر هو توسع الفرق والتفاوت فيما بين افراد المجتمعين، فأصبحوا كثيرين بينهم الضعفاء من صغار ومرضى مثلا وأصبح الاقوياء فيهم منهم عارف بقيمة الحي (وان كان صغيراً فانه يكبر وان كان مريضاً فانه يصح) ومنهم غير عارف . ومنهم من يحب غيره ومنهم غير محب لغيره . ومنهم عادل ومنهم غير عادل . ومنهم محسن ومنهم غير محسن . ومنهم واف بالعهود ومنهم غير واف، وبالجملة أصبحت تلك الوحدة ممزقة ، وهاتيك الاوضاع متغيرة ، أو ضاق بهم ذلك الوطن الواحد فاضطروا الى تعديد الوطن . وبتعديده انقلب شكل تلك الوحدة . فبينما كانوا أربعة يتفكرون بتدبير مصالح لهم مشتركة باتحاد القلوب وتعادل الاعمال اذ صاروا أربعين مثلا . وبينما كان غار واحد اذ صارت غيران عشرة مثلا . وبينما كان العمال متعادلين صار العمال متفاوتين . وبينما كانوا يضربون في جهة واحدة لتحصيل القوت صاروا يضربون في جهات متعددة . وبينما كانوا يخافون من الوحوش فقط صاروا يخاف بعضهم من بعض لانه وجد بينهم غير العادل وغير الوافي بالعهود ولولا ان وجد هؤلاء لكان مليار من البشر المتناسلين من أولئك المفروضين أولاً على وتيرة واحدة في كل شيء . فلا أريد ملياراً على هذا النحو . ولا مليوناً ولا مائة الف ولا عشرة آلاف ولا الفاً ولا مائة. أريد اثني عشر انساناً ليس فيهم مخادع .

التفاوت بين البشر أمر طبيعي . أي من جملة سنة الله في خلقه . ومن اقتضاء التفاوت ان يكون التضاد . ومن اقتضاء التضاد ان تكون المنازعات . ومن اقتضاء المنازعات ان يتعاون المتقاربون — في أكثر الاشياء المحسوسة والمتصورة — على المتباعدين عنهم — المتقاربين أيضا في أكثر الاشياء — ومن اقتضاء الاجتماع تقارب المنازل . ومن اقتضاء تقارب المنازل اقتسام الاعمال، ومن اقتضاء العدل التراضي بتعيين الحدود والمقادير . ومن اقتضاء التراضي تكون نظام ومن اقتضاء النظام وجوب حفظه ، ومن اقتضاء حفظه ايجاد قوة حافظة له . ولا بد للقوة من مركز ومحور لحركتها . ولا بد من ان يكون هذا المركز حيا سميعا بصيراً عليما مريداً قادراً متكلما أي انساناً بالغاً سن

الرشد والقوة ، سالماً من نواقص الجسد والعقل .

انظروا كم ترون في هذه الحالات من حاجات . كل هذه الحاجات مرت على الانسان . وكل حلقة من هذه الحلق بقيت محفوظة في هذه السلسلة حتى هذا اليوم. وفي هذه الحاجات والمقتضيات كانت تحدث لهؤلاء المجتمعين القليلين صناعات يتبادلونها فيما بينهم . ويغلب في الظن ان صنع آلات الدفاع والهجوم له حظ من التقدم. ويظهر ان أول ماصنع الانسان من هذا القبيل — بعد حفر الغيران التي هي معاقل — هو ترقيق شبا الصلد من الحجارة بواسطة حجارة أخرى حتى يقطع بها ماشاء .

ربما صنعت هذه المدى الصوّانية لامر ثم تبين ان لها نفعاً في أمور أخرى كثيرة . ويظهر انه بها نجر الشظايا من الاشجار على هيئات مختلفة لمقاصد متعددة . فكان لهم من تلك الشظايا مغزل يفتلون به أوبار الحيوانات التي يصطادونها وكان لهم منها منسج يجمعون عليه الخيوط المفتولة حتى تكون كسفاً . وكان لهم منها مخيط يضمون به بعض الكسف الى بعض ليكون لهم من مجموع ذلك أكسية (يستبدلونها بما كانوا يكتسونه من جلود المصيدات من الحيوانات ، أو المنسوج من الاعواد ولحاء الاشجار أو بعض الاوراق) وأخبية (يستبدلونها بما كانوا يختبئون فيه من الغيران الطبيعية أو الصناعية) ولا يخفى ان الحاجة كانت هي الدافعة بهم الى استبدال الأكسية والاخبية المنسوجة من الاوبار بالجلود والغيران اذ الجلود ثقيلة مثقلة للحركة ولا تفي بستر البدن على الوجه الكافي . وهذه الاكسية الجديدة — التي شرح وصفها — يتكوّن منها لباس كاف واف بالحاجة . منه الرقيق والصفيق ، ومنه الطويل والقصير ، ومنه الصغير والكبير، واذا تراكمت عليه الاوضار كانت تنحيتها متيسرة. وهذه الاخبية الجديدة يتكون منها مأوى كافية وافية بالحاجة للظعن والاقامة . فاذا استوبلوا أرضاً تركوها ونزلوا فيما استطابوا لايحتاجون الى حفر مأوى جديدة.

ومما يغلب في الظن أيضاً انهم شعروا باحتياجهم لادخار زوائد من المكسوبات اللازمة للقوت والكساء والحباء والزينة نعم ان الادخار للمجتمعين لابد منه ليكون بالزوائد المحفوظة غناء يوم لايغني سعيهم في الكسب شيئاً .

وقد سمي الزائد المدخر — في لغتنا — مالا كأن أهل هذا اللسان سموه بهذا الاسم المشتق لأن النفوس تميل اليه بالفطرة أو بحسب التجربة والاحتياج . وهم يقولون لمن حوى مكسوبات زائدة تمول . (ع ٠ ز)

﴿ بلرم ـ صقليه ﴾

ـ ٣ ـ

دور الآثار وبساتين النبات

لاتبخس أهل سيسليا (صقلية) حقهم فانهم فهموا مسألة لابأس بفهمها وأظنهم عرفوا ذلك من أخوانهم أهل شمالي ايطاليا وبقية الاوروبيين وهي المحافظة على الآثار القديمة والجديدة اما القديمة فتحفظ بذواتها واما الجديدة فتحفظ ولو بنموذج منها . بنوا ملعبا فى بلرم فصنعوا له مثالا من الخشب ووضعوه في دار الآثار . مدينة بلرم لها مثال مجسم رسمت فيه البساتين والجبال والكنائس مجسمة مصغرة بألوانها الطبيعية وألوان الارض نفسها وذلك المثال في دار الآثار . حفظوا لباس امرأة مسلمة من مسلمي صقلية وهو زي يشبه الازياء الاوربية مع ساتر للوجه يدل على ان ستر الوجه كان عاما حتى فى صقلية أيضا وان كان ذلك قد يغضب قاسم بك أمين فانه يجد له اضداداً في مسلمي أوربا فضلا عن مسلمي أسيا وأفريقيا

يحفظ القوم في متاحفهم هذه كل مايوجد من آثار المتقدمين من مصنوعات وأشجار وأحجار ولايدخرون جهداً فى حفظ ذلك حتى اذا وجدت اسم شيء في كتاب تاريخ مثلا أوعرض لك اسم فى علم من العلوم كان يدل على معنى فى الزمن السابق أمكنك ان تعرف المدلول بالعيان والمشاهدة وتحقق صحة الوصف والتعريف فما استعمله الاقدمون من آلات وأدوات وانواع ثياب وضروب مراكب ونحو ذلك تجد شيئا منه في متحف من المتاحف اوفي قصر من القصور اوفى كنيسة من الكنائس اوفي داهية من الدواهي التي هناك . وهذا مما يفيد في تحقيق المعاني التاريخية واللغوية فائدة لايعرف مقدارها الا من يسمع اسم اللأمة والدلاص والدرع والخوذة والعمامة (عمامة الحرب) ونحو ذلك من الالفاظ العربية الكثيرة الاستعمال ثم يراجعها في القاموس اوغيره من كتب المعجمات وبعد ذلك لاتستقر فى خياله صورة لمدلول من مدلولات هذه الالفاظ وقد يتخيل صورة لامناسبة بينها وبين الحقيقة وهوجهل باللغة فاضح ، وكثير منا يأكلون اللوز والجوز وينطقون باسمه في البيت وعند البائع اذا طلبوا شراء شيء منه وهم اذا رأوا شجرة الجوز أو اللوز لايميزون بينها وبين شجرة الجميز أو الفلفل اما الجماعة

فعندهم فى بساتين النبات جميع هذه الانواع من الاشجار، ومالا تناسبه درجة الحرارة في الهواء يحدثون له جواء تناسبه بالتسخين أو التبريد حتى يعيش فى جو مثل جوه. ولكل من يريد معرفة شئ ان يذهب ويعرفه بعينه ، ذلك وقد رسموا صور هذا كله فيما كتبوا من كتب اللغة ومعجمات العلوم ويتيسر للحاذق ان يعرف هذه الاشياء بصورها المرسومة فى تلك الكتب ، اما اذا قال لك صاحب القاموس: الجوز شجرم: أي معروف فماذا تستفيد من هذا وأنت فى مصر وليس في قرب الازهر شيء من شجر الجوز بل ولا فى الازبكية نفسها فكيف يصير هذا عندك معروفا وكيف يمكنك ان تحدث عن هذا الشجر اذا كنت كاتبا أو شاعراً أو طبيبا أو عالما أو أديبا

الصور والتماثيل وفوائدها وحكمها

لهؤلاء القوم حرص غريب على حفظ الصور المرسومة على الورق والنسيج ويوجد فى دار الآثار عند الامم الكبرى مالا يوجد عند الامم الصغرى كالصقليين مثلا ، يحققون تاريخ رسمها واليد التي رسمتها ولهم تنافس في اقتناء ذلك غريب حتى ان القطعة الواحدة من رسم روفائيل مثلا ربما تساوي مئين من الآلاف فى بعض المتاحف ولايهمك معرفة القيمة بالتحقيق وانما المهم هو التنافس في اقتناء الامم لهذه النقوش وعد ما أتقن منها من أفضل ما ترك المتقدم للمتأخر وكذلك الحال فى التماثيل وكلما قدم المتروك من ذلك كان أغلى قيمة وكان القوم عليه أشد حرصاً ، هل تدري لماذا ؟

اذا كنت تدري السبب في حفظ سلفك للشعر وضبطه في دواوينه والمبالغة في تحريره خصوصا شعر الجاهلية وماعني الاوائل رحمهم الله بجمعه وترتيبه أمكنك ان تعرف السبب فى محافظة القوم على هذه المصنوعات من الرسوم والتماثيل فان الرسم ضرب من الشعر الذى يرى ولا يسمع والشعر ضرب من الرسم الذي يسمع ولا يرى. ان هذه الرسوم والتماثيل قد حفظت من أحوال الاشخاص فى الشئون المختلفة ومن أحوال الجماعات في المواقع المتنوعة ماتستحق به ان تسمى ديوان الهيئات والاحوال البشرية. يصورون الانسان أو الحيوان فى حال الفرح والرضى والطمأنينة والتسليم ، وهذه المعاني المدرجة في هذه الالفاظ متقاربة لايسهل عليك تميز بعضها من بعض

ولكنك تنظر في رسوم مختلفة فتجد الفرق ظاهرا باهراً ، يصورونه مثلا في حالة الجزع والفزع والخوف والخشية ، والجزع والفزع مختلفان فى المعنى ولم أجمعهما ههنا طمعا في جمع عينين في سطر واحد بل لانهما مختلفان حقيقة ولكنك ربما تقصر ذهنك لتحديد الفرق بينهما و بين الخوف والخشية ولا يسهل عليك ان تعرف متى يكون الفزع ومتى يكون الجزع وما الهيأة التي يكون عليها الشخص فى هذه الحال أو تلك . أما اذا نظرت الى الرسم وهو ذلك الشعر الساكت فانك تجد الحقيقة بارزة لك تتمتع بها نفسك ، كما يتلذذ بالنظر فيها حسك . اذا نزعت نفسك الى تحقيق الاستعارة المصرحة في قولك : رأيت أسدا : تريد رجلا شجاعا فانظر الى صورة أبي الهول بجانب الهرم الكبير تجد الاسد رجلا أو الرجل أسدا ، فحفظ هذه الآثار حفظ للعلم في الحقيقة وشكر لصاحب الصنعة على الابداع فيها • ان كنت فهمت من هذا شيئا فذلك بغيتي أما اذا لم تفهم فليس عندي وقت لتفهيمك بأطول من هذا وعليك بأحد اللغويين أو الراسمين أو الشعراء المفلقين ليوضح لك ما غمض عليك اذا كان ذلك من ذرعه

ربما تعرض لك مسألة عند قراءة هذا الكلام وهي ما حكم هذه الصور فى الشريعة الاسلامية اذا كان القصد منها ما ذكر من تصوير هيئات البشر في انفعالاتهم النفسية ، أو أوضاعهم الجثمانية ، هل هذا حرام أو جائز أو مكروه أو مندوب أو واجب ؟ فأقول لك ان الراسم قد رسم والفائدة محققة لا نزاع فيها ومعنى العبادة وتعظيم التمثال أو الصورة قد محي من الاذهان فاما ان تفهم الحكم من نفسك بعد ظهور الواقعة وإما ان ترفع سؤالا الى المفتي وهو يجيبك مشافهة فاذا أوردت عليه حديث : ن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون : أو ما فى معناه مما ورد في الصحيح فالذى يغلب على ظني انه سيقول لك ان الحديث جاء فى أيام الوثنية وكانت الصور تتخذ في ذلك العهد لسببين : الاول اللهو والثاني التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين والاول مما يبغضه الدين والثاني مما جاء الاسلام لمحوه والمصور فى الحالين شاغل عن الله أو ممهد للاشراك به فاذا زال هذان العارضان وقصدت الفائدة كان تصوير الاشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر في المصنوعات وقد صنع ذلك في

حواشي المصاحف وأوائل السور ولم يمنعه أحد من العلماء مع ان الفائدة في نقش المصاحف موضع النزاع أما فائدة الصور فمما لانزاع فيه على الوجه الذى ذكر (١) .

وأما اذا أردت ان ترتكب بعض السيئات في محل فيه صور طمعا في ان الملكين الكاتبين أو كاتب السيئات على الاقل لايدخل محلا فيه صور كما ورد فاياك ان تظن ان ذلك ينجيك من احصاء ماتفعل فان الله رقيب عليك ، وناظر اليك ، حتى في البيت الذى فيه صور ولا أظن ان الملك يتأخر عن مرافقتك اذا تعمدت دخول البيت لان فيه صورا . ولا يمكنك ان تجيب المفتي بأن الصورة على كل حال مظنة العبادة فاني أظن انه يقول لك ان لسانك أيضا مظنة الكذب فهل يجب ربطه مع انه يجوز ان يصدق كما يجوز أن يكذب

وبالجملة انه يغلب على ظني ان الشريعة الاسلامية أبعد من ان تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين لامن جهة العقيدة ولا من وجهة العمل . على ان المسلمين لايتساءلون الا فيما تظهر فائدته ليحرموا أنفسهم منها والا فما بالهم لايتساءلون عن زيارة قبور الاولياء أو ماسماهم بعضهم بالاولياء وهم ممن لانعرف لهم سيرة ، ولم يطلع لهم أحد على سريرة ، ولا يستفتون فيما يفعلون عندها من ضروب التوسل والضراعة وما يعرضون عليها من الاموال والمتاع وهم يخشونها كخشية الله أو أشد . ويطلبون منها مايخشون ان لايجيبهم الله فيه ويظنون انها أسرع الى اجابتهم من عنايته سبحانه وتعالى . لاشك انه لايمكنهم الجمع بين هذه العقائد

---

(١) المنار: ان الذين رسموا الصالحين والانبياء انما أرادوا التبرك بصورهم وتعظيمها اكراما لهم وهذا التعظيم يسمى فى كل اللغات عبادة وجميع الصور والتماثيل التي كانت عند العرب كانت معظمة للدين ولذلك سمي في القرآن تعظيمها عبادة وكذلك النصارى كانوا يصرحون بأن تعظيم الايقونات ونحوها من الصور عبادة فلما عارض المصلحون في ذلك صار بعض المصرين عليه يسمى تعظيمها اكراما وأصر بعضهم علي تسميته عبادة هذا وان النهي عن التصوير في الاسلام لم يزد على النهي عن تعظيم القبور وتشريفها وبناء المساجد عليها وايقاد السرج عليها وقد فعل المسلمون هذا مع بقاء علته وهم يتركون التصوير وفوائده مع انتفاء علة النهي عنه أفنؤمن بظاهر بعض الدين ونكفر بحقيقة بعض؟

وعقيدة التوحيد ولكن يمكنهم الجمع بين التوحيد ورسم صور الانسان والحيوان لتحقيق المعاني العلمية ، وتمثيل الصور الذهنية ،

هل سمعت اننا حفظنا شيئا حتى غير الصور والرسوم مع شدة حاجتنا الى حفظ كثير مما كان عند اسلافنا ؟ لو حفظنا الدراهم والدنانير التي كان يقدر بها نصاب الزكاة ولا يزال يقدر بها الى اليوم أفما كان يسهل علينا تقدير النصاب بالجنيهات والفرنكات ونحو ذلك مادام المثال الاول موجودا بين أيدينا ؟ ولو حفظ الصاع والمد وغيرهما من المكاييل أفما كان ذلك مما يسر لنا معرفة مايصرف في زكاة الفطر وما تجب فيه الزكاة من غلات الزرع بعد تغيير المكاييل وما كان علينا الا ان نقيس مكيالنا بتلك المكاييل المحفوظة فتصل الى حقيقة الامر بدون خلاف. أظنك توافقني على أنه لو حفظ درهم كل زمان وديناره ومده وصاعه لما وجد ذلك الخلاف الذي استمر بين الفقهاء يتوارثونه سلفا عن خلف كل منهم يقدر المكيال والميزان بما يقدره به الآخر حتى جاء فى آخر الزمان احمد بيك الحسيني يخطئ بعضهم ويوفق بين أقوال البعض الآخر بدون ان يكون بين يديه صاع ولا مد من تلك الآصع والامداد ، وما أصعب التخطئة والتوفيق ، اذا لم يكن العيان هو المميز بين فريق وفريق ،

لو نظرت الى ما كان يوجب الدين علينا ان نحافظ عليه لوجدته كثيرا لايحصى عده ولم نحفظ منه شيئا فلنتركه كما تركه من كان قبلنا ، ولكن ما نقول في الكتب وودائع العلم هل حفظناها كما كان ينبغي ان نحفظها أو أضعناها كما لاينبغي ان نضيعها ؟ ضاعت كتب العلم وفارقت ديارنا نفائسه فاذا أردت أن تبحث عن كتاب نادر. أو مؤلف فاخر ، او مصنف جليل. أو اثر مفيد، فاذهب الى خزائن بلاد أوربا تجد ذلك فيها. اما بلادنا فقلما تجد فيها الا ما ترك الاوربيون ولم يحفلوا به من نفائس الكتب التاريخية والادبية والعلمية، وقد تجد بعض النسخة من الكتاب في دار الكتب المصرية مثلا وبعضها الآخر فى دار الكتب بمدينة كمبردج من البلاد الانكليزية . ولو اردت ان اسرد لك ماحفظوا وضيعنا من دفاتر العلم لكتبت لك فى ذلك كتابا يضيع كما ضاع غيره وتجده بعد مدة في يد اوربي فى فرنسا أو غيرها من بلاد اوربا

نحن لانعنى بحفظ شيء نستبقي نفعه لمن يأتي بعدنا ولو خطر ببال احد منا ان يترك

لمن بعده شيئاً جاء ذلك الذي بعده اشد الناس كفرا بتلك النعمة واخذ في اضاعة ماعني السابق بحفظه له فليست ملكة الحفظ مما يتوارث عندنا وانما الذي يتوارث هو ملكات الضغائن والاحقاد ، تنتقل من الاباء الى الاولاد ، حتى تفسد العباد وتخرب البلاد ، ويلتقي بها أربابها على شفير جهنم يوم المعاد ؛ (للرحلة بقية)

باب الأخبار والآراء

(الاشتراك في المنار) كل من قبل هذا الجزء من المنار يعد مشتركا الى سنة كاملة ويجب عليه دفع قيمة الاشتراك كاملة وان رد المجلة في اثناء السنة فمن لم يرض بهذا الشرط فليرجع الينا الجزء . ونرجو ان لا يطلب أحد منا الاشتراك بدون القيمة المقررة

الاسطول العثماني

بشرتنا أنباء الاستانة بان سيجهز أسطول عثماني مؤلف من السفن الجديدة التي ابتاعتها الدولة العلية من عهد قريب ومن السفن القديمة التي أصلحتها في أوربا حقق الله الآمال

منشور شيخ الاسلام فى تفليس

كتب شيخ الاسلام في تفليس عاصمة بلاد القوقاس الروسية منشورا ينصح فيه للمسلمين بالطاعة والاخلاص لدولتهم وبذل النفس والنفيس فى مساعدتها على حرب دولة اليابان الوثنيــة . وقد أحسن فيما فعل ونوافقه عليه في جملته وكان في عزمنا ان ننشر في المنار الماضي نصيحة لمسلمي روسيا بأن يفترصوا الحرب لاقناع دولتهم باخلاصهم لها لان هذا هو الذي ينفعهم ولا يغتروا ببعض اليهود والارمن الشامتين بدولتهم فالغدر والخيانة يحرمهما الاسلام في كل حال . هذا وان النصرانية أقرب الى الاســلام من الوثنيه وما قاناه من ميل المسلمين الى اليابان فسببه سياسي لاديني

تغاير العلماء في روسيا

كتب الينا فيض الرحمن أفندي أحمد القزاني المجاور رسالة ملخصها ان أحــد علماء (خان كرمان) تلقى العلم فى الاستانة ولما رجع الى وطنه سعى بانشاء مدرسة

خيرية وكان يعلم فيها حتى وشى عليه بعض المعممين الى الحكومة بانه يستميل التلامذة الى تركيا بتعليمه على الطريقة التركية فاقفلت الحكومة المدرسة ثم سعى فاستصدر أمراً بفتحها فعاد أصحاب العمائم الى الوشاية حتى أقفلوها . ولا شك ان أولئك السعاة الوشاة هم أكبر بلاء على امتهم وملتهم وقد خجلنا من ذكر صنيعهم مع كثرة ثنائنا على أخلاق مسلمي تلك البلاد فعسى ان يتوبوا الى ربهم ، ويثوبوا الى رشدهم ،

﴿ استعمار مصر ومراكش ﴾

انكلترا وفرنسا تتباحثان في وسائل الوفاق في المسائل الاستعمارية بينهما ومنها مسألة مصر التي تستعمرها انكلترا بدون نطق بكلمة حماية أو امتلاك الا ما لونت به رسم مصر في خريطة أفريقية وهو لون بلاد السودان وبلاد الترنسفال وبلاد الكاب أو رأس الرجا الصالح ، ومسألة مراكش التي تريد فرنسا ان تستعمرها هذا النوع من الاستعمار . ويوشك ان تتفق الدولتان على ان احداها لا تنازع الاخرى في مسألتها . ولكن ماذا يفعل سلطان مراكش وأمير مصر في هذه الايام ؟ أما أمير هذه البلاد فلا نبحث في أعماله وأما سلطان مراكش فلم يكتف بما عنده من آلات اللهو الاوربية وما اجتلبه من حور الاستانة وولدانها حتى ارسل يطلب من مصر جوقة من المطربين والمطربات . وشاع هنا ان محمد بن شعرون سافر بالجوقة وهي تسعة رهط وفيها بعض الراقصات المشهورات ، وتعهد لها بدفع ١٥٠٠ جنيه في الشهر وقيل اقل . ومعلوم ان السلطان يقترض المال من فرنسا وان الدين هو أوسع الابواب لدخول أوربا في البلاد . وانا ندعو الله تعالى ان يوفقه وسائر أمراء المسلمين الى ما فيه الخير الحقيقي للامة والبلاد كيفما جاء ومن أي طريق جاء

﴿ مسألة الرتب والاوسمة ﴾

قد وصل الاتجار بالرتب في الاستانة الى حد التزوير فصار السماسرة مزورين وقد حوكم من عهد قريب طاهر بك صاحب جريدة «معلومات» وغيرها منهما بتزويرها وقد اقتدت مصر بالاستانة فصار المقربون من الامير ومنهم بعض اصحاب الصحف يتوسلون اليه بهذه الرتب والاوسمة حتى علم الخاص والعام ان اكثر من نالها من غير الحكومة قد اشتراها بالمال وقد انتهى الامر بدخول اللورد كرومر في الامر وتقرر إلغاء بعض الرتب والاوسمة التي انعم بها على المرتكبين والمزورين ، وفي ذلك عبرة للمعتبرين ،

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — السبت ١٦ المحرم سنة ١٣٢٢ — ٢ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

« قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون * أم تقولون إن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى ؟ قل أأنتم أعلم أم الله ؟ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ؟ وما الله بغافل عما تعملون * تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون * »

هذا ضرب آخر من محاجة أهل الكتاب جار على نسق سابقه مؤتلف معه متصل به غير منقطع ولا نازل فى واقعة خاصة للرد على كلمات قالها اليهود كما ذهب اليه (الجلال) وغيره اذ قالوا ان اليهود قالوا يجب ان يكون جميع الناس تابعين لنا في الدين لأن الانبياء منا والشريعة نزلت علينا ولم

يعهد فى العرب أنبياء ولا شرائع : نعم لا ننكر صدور هذا القول من اليهود فانهم كانوا يقولون مثله دائما وانما نقول ان الآيات متناسقة مع ماقبلها متممة له مزيلة لشبهات كانت فاشية فى القوم في كل مكان لا خاصة برد قول لاحد يهود الحجاز

الآيات السابقة بينت ان الملة الصحيحة هي ملة ابراهيم وهي لم تكن يهودية ولا نصرانية وانما هي صبغة الله التي لا صنع لأحد فيها بل هي بريئة من اصطلاحات الناس وتقاليد الرؤساء فهي الجديرة بالاتباع ولكن التقاليد والاوضاع قد طمستها بعد ماجرى الانبياء عليها وحلت تلك التقاليد محلها حتى ذابت هي فيها وخفيت فلم تعد تعرف ولذلك جاء محمد عليه الصلاة والسلام ببيانها ودعوة الناس إلى الرجوع اليها ، فبين تعالى بتلك المحاجة الحق الذي يجب التعويل عليه ثم أخذ فى هذه الآيات يزيل الموانع ويبطل الشبهات المعترضة فى طريق ذلك الحق فأمر نبيه بما ترى من الحجة فى قوله :

« قل أتحاجوننا فى الله » بدعواكم الاختصاص بالقرب منه وزعمكم انكم أبناء الله وأحباؤه وانه لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، ومن أين جاءكم هذا القرب والاختصاص بالله دوننا (وهو ربنا وربكم) ورب العالمين فنسبة الجميع اليه واحدة هو الخالق وهم المخلوقون ، وهو الرب وهم المربوبون ، وانما يتفاضلون بالاعمال البدنية والنفسية (ولنا أعمالنا) التي تختص آثارها بنا ان خيرا فخير وان شرا فشر (ولكم أعمالكم) كذلك وروح الاعمال كلها الاخلاص فهو وحده الذي يجعلها مقربة لصاحبها من الله تعالى ووسيلة لمرضاته (ونحن له مخلصون) من دونكم فانكم اتكلتم على أنسابكم وأحسابكم ، واغتررتم بما كان من صلاح آبائكم وأجدادكم ،

واتخذتم لكم وسطاء وشفعاء منهم تعتمدون على جاههم ، مع انحرافكم عن صراطهم ، وما هو الا التقرب الى الله تعالى باحسان الاعمال ، مع الاخلاص المبني على صدق الإيمان ، وهو ماندعوكم اليه الآن ، فكيف تزعمون ان لا إدلاء الى ذلك السلف الصالح بالنسب والتوسل اليهم بالقول هو الذي ينفع عند الله تعالى وأن الاستقامة على صراطهم المستقيم والتوسل الى الله تعالى بما كانوا يتوسلون اليه به من صالح الاعمال والاخلاص في القلب لا ينفع ولا يفيد، وما كان سلفكم مرضيا عند الله تعالى الا به ؟ هل كان ابراهيم مقربا من الله تعالى بأبيه آزر المشرك أم كان قربه وفضله باخلاصه وإسلام قلبه الى ربه ؟ فكما جعل الله النبوة فى إبراهيم وجعله اماما للناس فى الاسلام والاخلاص جعلها كذلك فى محمد فاذا صح لكم إنكار نبوة محمد لانه لم يكن فى سلفه العرب أنبياء فأنكروا نبوة ابراهيم فان العلة واحدة فكيف لا يتحد المعلول ؟

وحاصل معنى الآية إبطال معنى شبهة أهل الكتاب أنهم أبناء الله وأحباؤه، وانه لا ينجو من كان على غير طريقتهم وان أحسن فى عمله وأخلص فى قصده، وأنهم هم الناجون الفائزون وان أساؤا عملا ونية، لان أنبياءهم هم الذين ينجونهم ويخلصونهم بجاههم، فالفوز عندهم بعمل سلفهم لا بإصلاح أنفسهم ولا أعمالهم . وهذا الاعتقاد هدم لدين الله الذي بعث به جميع أنبيائه ودرج عليه من اتبع سبيلهم فان روح الدين الالهي وملاكه هو التوحيد والاخلاص المعبر عنه بالاسلام وكل عمل أمر به الدين فانما الغرض منه إصلاح القلب والعقل بسلامة الاعتقاد وحسن القصد فاذا زال هذا المعنى وحفظت جميع الأعمال الصورية فانها لا تفيد شيئا بل انها تضر بدونه لانها تشغل الانسان

بما لا يفيد وتصده عن المفيد . ولاشك أن أهل الكتاب كانوا قد أزهقوا هذا الروح الالهي من دينهم فسواء كان ماحفظوه من التقاليد والاعمال مأثورا عن أنبيائهم أم غير مأثور إنهم ليسوا على دين الله، ومن كان على بصيرة منهم عرف ان ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو إحياء لروح الدين الذي كان عليه جميع الانبياء والمرسلين . ثم إن من تأمل هذا وتأمل حال المسلمين يظهر له انهم قد أتبعوا سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع، وسيرجع من يريد الله بهم الخير الى روح دين الله تعالى بالرجوع الى كتابه الذي حرم عليهم تقليد آراء الناس فجازوه بأن حرموا العمل به، كما رجع الألوف وألوف الالوف من أهل الكتاب الى ذلك في القرون الاولى من ظهور الاسلام « وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ » قال تعالى :

(أم تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أم نصارى ؟) قال الاستاذ الامام : ان (أم) هنا معادلة لما قبلها - خلافا للجلال ومن على رأيه القائلين إنها بمعنى بل - كأنه قال : أتقولون ان هذا الامتياز لكم علينا والاختصاص بالقرب من الله دوننا هو من الله مع انه ربنا وربكم الخ أم تقولون ان امتياز اليهودية أو النصرانية التي أنتم عليها بأن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا عليها ؟ ان كنتم تقولون هذا فان الله يكذبكم فيه وأنتم تعلمون أيضا ان اسمي اليهودية والنصرانية حدثا بعد هؤلاء بل حدث اسم اليهودية بعد موسى واسم النصرانية بعد عيسى كما حدث لليهود تقاليد كثيرة صار مجموعها مميزا لهم واما النصارى فجميع تقاليدهم الخاصة بهم المميزة للنصرانية حادثة فان عيسى عليه السلام كان عدو التقاليد ولهذا كان النصارى على كثرة ما أحدثوا

أقرب الى الاسلام لانهم لم ينسوا جميعا كيف زلزل روح الله تقاليد اليهود الظاهرة ما كان منها في التوراة وما لم يكن ولكن الذين ادعوا اتباعه زادوا عليهم من بعده فى ابتداع التقاليد والرسوم

وزعم بعض المفسرين ان هذه الآية نزلت فى الرد على اليهود اذ كانوا يقولون ان ابراهيم كان يهوديا وعلى النصارى اذ كانوا يقولون انه كان نصرانيا. قال الاستاذ الامام وهذا غير صحيح

كلا ان الآية نزلت في إقامة الحجة عليهم بأنهم يعتقدون أن ابراهيم كان على الحق وأن ملته هي الملة الالهية المرضية عند الله تعالى واذا كان الامر كذلك وكانت هذه التقاليد التي تقلدونها غير معروفة على عهد ابراهيم فما بالهم صاروا يذيطون النجاة بها ويزعمون ان ما عداها كفر وضلال ؟ فهو لا يثبت لهم القول بأن ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا وانما يقول انهم لا يقدرون على القول بذلك لان البداهة قاضية بكذبهم فيه ولذلك قال لنبيه (قل أأنتم أعلم أم الله) أي اذا كان الله قد ارتضى للناس ملة ابراهيم باعترافكم وتصديق كتبكم وذلك قبل وجود اليهودية والنصرانية فلماذا لا ترضون أنتم تلك الملة لانفسكم ؟ أأنتم أعلم بالمرضي عند الله أم الله أعلم بما يرضيه وما لا يرضيه ؟ لا شك ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون ، وقد صرح ابن جرير الطبري بأن قراءة «أم يقولون» بالتحتية شاذة وعلى القول بأنها سبعية يكون في الكلام التفات. ثم قال :

(ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) فى هذا الاستفهام وجهان أحدهما أنه متمم لما قبله من اقامه الحجة بملة ابراهيم، يقول ان عندكم شهادة من الله بأن ابراهيم كان علي الحق وكان مرضيا عند الله تعالى فاذا كتمتم

ذلك لاجل الطعن بالاسلام فقد كتمتم شهادة الله وكنتم أظلم الظالمين واذا اعترفتم به فاما ان تقولوا انكم انتم أعلم من الله بما يرضيه واما ان تقوم عليكم الحجة وتحق عليكم الكلمة ان لم تؤمنوا بما تدعون اليه من ملة ابراهيم، وأحد الامرين ثابت، لا يقبل مراوغة مباهت،

والوجه الثاني - وهو أظهر - ان الشهادة المكتومة هي شهادة الكتاب المبشرة بأن الله يبعث فيهم نبيا من بني إخوتهم وهم العرب أبناء اسمعيل وكانوا ولا يزالون يكتمونها بالانكار على غير المطلع على التوراة وبالتحريف على المطلع. فهو يبين هنا-بعد إقامة الحجة بابراهيم على أن زعمهم حصر الوحي ببني اسرائيل باطل-أن هناك شهادة صريحة بأن سيبعث فيهم نبي من العرب فكان هذا دليلا ثالثا وراء الدليل العقلي المشار اليه بقوله «وهو ربنا وربكم» والدليل الالزامي المشار اليه بقوله «أم تقولون ان ابرهيم واسمعيل» الخ فكأنه يقول: إن هؤلاء الامجادلون في الحق بعد ما تبين، مباهتون للنبي مع العلم بأنه نبي، اذ ما كان لهم ان يشتبهوا فى أمره بعد شهادة كتابهم له، فاذا كان ظلمهم أنفسهم قد انتهى بهم الى آخر حدود الظلم وهو كتمان شهادة الله تعالى تعصبا لجنسيتهم الدينية التي ارتبط بها الرؤساء بالمرؤسين بروابط المنافع الدنيوية من مال وجاه فكيف ينتظر منهم ان يصغوا الى بيان، أو يخضعوا لبرهان، ؟ والاستفهام هنا متضمن للتوبيخ والتقريع المؤكدين بقوله (وما الله بغافل عما تعملون) وانما الجزاء على الاعمال. ثم ختم المحاجة بتأكيد أمر العمل وعدم فائدة النسب فقال:

(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) وانما تسئلون عن أعمالكم وتجازون عليها فلا ينفعكم ولا

يضركم سواها . وهذه قاعدة يثبتها كل دين قويم ، وكل عقل سليم ، ولكن قاعدة الوثنية القاضية باعتماد الناس فى طلب سعادة الآخرة وبعض مصالح الدنيا على العظماء المعتقدين تغلب مع الجهل كل دين وكل عقل ، ومنبع الجهل التقليد المانع من النظر فى الادلة العقلية والدينية جميعاً اللهم الا مكابرة الحس والعقل وتأويل نصوص الشرع تطبيقا لهما على مايقول المقلدون المتبعون (بفتح اللام والباء) وقد أول المأولون نصوص أديانهم تقريرا لاتباع رؤسائهم والاعتماد على جاههم فى الآخرة لذلك جاء القرآن يبالغ فى تقرير قاعدة ارتباط السعادة بالعمل والكسب وتبيينها ونفي الانتفاع بالانبياء والصالحين لمن لم يتأس بهم فى العمل الصالح ولذلك أعاد هذه الآية بنصها في مقام محاجة أهل الكتاب المفتخرين بسلفهم من الانبياء العظام ، المعتمدين على شفاعتهم وجاههم وان قصروا عن غيرهم فى الاعمال . وفائدة الاعادة تأكيد تقرير قاعدة بناء السعادة على العمل دون الآباء والشفعاء بحيث لا يطمع في تأويل القول طامع والاشعار بمعنى يعطيه السياق هنا وهو ان أعمال هؤلاء المجادلين المشاغبين من أهل الكتاب مخالفة لاعمال سلفهم من الانبياء فهم في الحقيقة على غير دينهم ،

وقد سبق القول بأن الآية أفادت فى وضعها الاول أن ابراهيم وبنيه وحفدته قد مضوا الى ربهم بسلامة قلوبهم واخلاصهم فى أعمالهم وانقطعت النسبة بينهم وبين من جاء بعدهم فتنكب طريقهم وانحرف عن صراطهم وان أدلى اليهم بالنسب فكل واحد من السلف والخلف مجزي بعمله لا ينفع احدا منهم عمل غيره من حيث هو عمل ذلك الغير وذلك انها جاءت عقيب بيان ملة ابراهيم وايصائه بنيه بها وايصاء بعضهم بعضا بها وبيان درجهم عليها . ثم جاء

بعد ذلك الاحتجاج على القوم بمن يعتقدون فيهم الخير والكمال وكونهم لم يكونوا على هذه اليهودية ولا هذه النصرانية اللتين حدثتا بعدهم فجاءت قاعدة الاعمال فى هذا الموضع تبين ان المتخالفين في الاعمال والمقاصد لا يكونون متحدين فى الدين ولا متساوين فى الجزاء ، فأفادت هنا ما لم تفده هناك . وللمسلمين ان يحاسبوا أنفسهم ويحكموا قاعدة العمل والجزاء بينهم وبين سلفهم ولا يغتروا بالتسمية ان كانوا يعقلون

﴿ موعظة للمسلمين ، بآيات الكتاب المبين ﴾

يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ ٱلْغَرُورُ * مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ، إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ، وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ * وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، إِنَّمَا تُنْذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ ، وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللهِ ٱلْمَصِيرُ * وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ ، وَلَا ٱلظُّلُمَاتُ وَلَا ٱلنُّورُ ، وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَاءُ وَلَا ٱلْأَمْوَاتُ ، إِنَّ ٱللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي ٱلْقُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللهَ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ، وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَابِّ وَٱلْأَنْعَامِ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ، إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ *

لك الحمد اللهم أن أنزلت هذه الآيات البينات بلسان عربي مبين، على عبدك ورسولك محمد خاتم النبيين وامام المصلحين، فأنرت بها وبأمثالها تلك الظلمات، وأحييت بها أولئك الاموات، فأقاموا ما أنزلت من الكتاب والميزان، (١) وأدبوا بالحديد من أباهما من أهل الطغيان، حتى تزلزلت فى الممالك تلك التقاليد، والقت اليهم الامم بالمقاليد، فكانوا - وهم الاميون - أئمة أهل الكتاب والحكمة، وسادة أهل السلطان والقوة، فصل وسلم اللهم على ذلك النبي المرشد الحكيم، «ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤف رحيم»

ثم خلف من بعد هذا السلف الصالح خلف كفروا بنعمة آياتك فاستبدلوا بها مذاهب وتقاليدهم بها عاملون، «وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون،» وغرتهم الحياة الدنيا فطغوا بالميزان، وغرهم بالله الغرور فانحرفوا عن صراط القرآن، وطلبوا العزة بالكلم الخبيث، دون العمل الصالح والسعي الحثيث، فكانت عزتهم ذلا، وكثرتهم قلا، ومكروا السيئات فقادوا العلماء والفقهاء، بسلاسل سياسة السلاطين

(١) قال تعالى «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس» والمراد بالميزان البرهان العقلى فى العقائد والعدل فى الاحكام

والامراء ، وأوهموا الوازرين والخاطئين ، بأن سيحمل أثقالهم عنهم نفر من صلحاء الميتين ، ففسدت الاعمال والنيات ، واتكل الاحياء على شفاعة الاموات ، وتبع ذلك تفرق الكلمة بالباطل . وعدم الاجتماع على نصرة الحق ، فخلا الجوّ للامراء الظالمين ، والرؤساء الغارّين ، وفسد بذلك على الامة أمر الدنيا والدين ،

طغوا فى الكتاب ففضلوا الاعمى على البصير ، وطغوا في الميزان فاختاروا الظلمات على النور ، وأخرجوا الامة من الظل الي الحرور ، وفقدوا حياة العمل والتعاون فاستمدوا المعونة من أصحاب القبور ،

جهلوا آيات الله فى الاكوان ، وحكمه فى اختلاف الاوضاع والالوان ، ورغبوا عن معرفته تعالى بآياته فى الآفاق وفى أنفسهم كما أرشدهم القرآن ، وحاولوا معرفته بنظريات فلسفة اليونان ، فتماروا بالبيان ، وقلدوا فى الدليل والبرهان ، فكانوا بلا علم ولا عرفان ، ولا خشية ولا إذعان ، وانما هي دعاوي يلوكها اللسان ، واماني يسوّلها الشيطان ،

وجملة القول انهم أضاعوا مقاصد القرآن كلها ، وان شئت قلت أضاعوا دين الاسلام كله فان الاسلام هو القرآن ، وما جاء فى بيانه من سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل اليهم » وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا كان شيء من أمر دينكم فاليّ واذا كان شيء من أمر دنياكم فانتم أعلم به » رواه أحمد ومسلم وابن ماجه عن أنس والاخير عن عائشة . وقال أيضا « أنتم أعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم عن أنس وعائشة

وقد حرم علينا الخلف الطالح الاهتداء بالقرآن والسنة في أمر ديننا

ولم يعطونا حرية للعمل في أمر دنيانا ، وزعموا ان الدين هو الذي حكم بذلك التحريم وبسلب هذه الحرية ، فاذا احتججت عليهم بالكتاب والسنة على ان طريقتهم هي المخالفة للدين ، قالوا انما نحن واياك من المقلدين ، واذا استدللت عليهم بالعقل قالوا انما أنت من الملحدين ، ولا يرضيهم الا أتباع آرائهم وآراء بعض المؤلفين الميتين ، على هذا جرى علماء الرسوم مع الحكام والسلاطين ، فهدموا ذلك البناء المتين ، وماز الوا هادمين ، وكذلك أهلك الله من أهلك من الامم باستبداد الرؤساء المترفين ،

ليت هذه الامة التى نكبت بهؤلاء الرؤساء فى دينها ودنياها تعلم ما هي قوتهم التي يستعينون بها عليها ، ليتها تعلم انها هي قوتهم التي بها يعتزون ، وانها هي معاولهم التي بها يهدمون ، وانها هي حجتهم التي بها يحتجون ، ذلك بأنهم إذا قالوا ان وضع كتب الشريعة بصفة سهلة كوضع كتب القوانين بدعة منكرة قالت العامة : بدعة منكرة : وان أدى هذا القول الى استبدال القانون الفرنسي بالشريعة . واذا قالوا ان العلوم الطبيعية والرياضية كفر أو طريق الى الكفر قالت العامة : هي كفر وأي كفر : وان حرمت الامة بذلك من مجاراة الامم الحية وصارت تحت أقدام الامم التي يسمونها كافرة فاجرة ، – فياليت هذه الامة تعلم من أضاع شريعتها ودينها ، ومن أفسد عليها أمر دنياها ، وياليتها تعلم انهم ما قدروا عليها لولاها .

طال زمن الهدم في هذه الامة لاتفاق رؤساء الدين مع رؤساء الدنيا عليه ، ولكن قد تباينت الرغائب في هذا العصر لا سيما فى البلاد الهندية والعثمانية والمصرية فقد دخلت فى الامم بعض العلوم العصرية ، والاعمال المدنية ، فانقسمت الامم الى قسمين عظيمين قسم يريد المحافظة

على التقاليد والعادات القديمة باسم الدين ، وسلاحه موافقة العامة ، وقسم يريد الانسلاخ منها واكثر أهله من الخاصة، وأهم ما استفاد هذا القسم من التعلم الجديد حرية الفكر . لذلك تولد من بين هذين الزوجين قسم ثالث يريد التوفيق بينهما واقناع الجميع بان الاسلام دين الفطرة والمدنية ودين العلم والعقل ، والمنار انما أنشىء لهذه الدعوة وتأييد هذا الحزب وتنميته، والرجاء بالله ان يكون هذا الحزب هو الفائز والعاقبة له « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال »

باب آثار السلف

(خطبة من خطب عمرو بن العاص)

منقولة من الجزء الثالث من كتاب أشهر مشاهير الاسلام

رأينا في تاريخ ابن عساكر خطبة نفيسة لعمرو بن العاص من أحسن أقواله يوصي بها الناس بالقصد وعدم السرف وحسن معاملة القبط وصرف العناية الى خيل الجند بالقيام على تربيتها وسمنها وغير ذلك من الوصايا الجميلة النافعة رواها ابن عساكر عن بُحَيْر بن داخِر المَعَافري قال :

ركبت أنا ووالدي الى صلاة الجمعة وذلك آخر الشتاء بعد حمم (كذا) النصارى بايام يسيرة فأطلنا الركوع اذ أقبل رجال بأيديهم السياط يؤخرون الناس فذعرت فقلت يا أبت من هؤلاء ؟ قال يابني هؤلاء الشرط . واقام المؤذن الصلاة فقام عمرو ابن العاص على المنبر فرأيت رجلا قصير القامة أدعج أبلج (١) عليه ثياب موشية (أو موشاة) كأن بها العقيان (٢) تتألق عليه ، وعليه عمامة وجبة فحمد الله واثنى عليه حمداً موجزاً وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس فأمرهم ونهاهم فسمعته يحض على الزكوة وصلة الرحم وينهى عن الفضول وكثرة العيال وقال في ذلك

---

(١) الادعج اسود العين والابلج المضيء المشرق (٢) العقيان الذهب الخالص

يامعشر الناس ايّاي وخلالا اربعاً فانها تدعو الى النصب بعد الراحة، والى الضيق بعد السَعة، والى الذلة بعد العزّ، إيّاي وكثرةَ العيال، وانخفاض الحال، وتضييعَ المال، والقيل بعد القال، في غير درك ولانوال ، ثمّ انه لابد من فراغ يأول المرء اليه في توديع جسمه، والتدبير لشأنه، وتخليته بين نفسه و بين شهواتها، فمن صار الى ذلك فليأخذ بالقَصد (١) والنصيب الأقل، ولا يضيع المرء في فراغه نصيب نفسه من العلم فيكون من الخير عاطلا، وعن حلال الله وحرامه عادلا، يامعشر الناس قد تدلت الجوزاء، وركبت الشعرى، واقلعت (٢) السماء، وارتفع الوفاء، وطاب المرعى، ووضعت الحوامل، ودرجت السمائم (٣) وعلى الراعي حسن النظر. فحيّ بكم على بركة الله على ريفكم فتناولوا من خيره ولبنه، ومرافقه وصيده، وأربعوا بخيلكم وأسمنوها وصونوها وأكرموها فانها جُنَّتكم (٤) من عدوّكم وبها تنالون مغانمكم و(تحملون) أثقالكم . واستوصوا بمن جاورتم من القبط خيراً. وايّاي والمومسات (٥) المفسدات فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم • حدثني عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «انّ الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فان لكم منهم صهراً وذمة » فكفوا أيديكم وفروجكم وغضوا ابصاركم • فلأعلمن ما أتاني رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه (٦) واعلموا اني معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن أهزل فرسهُ من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك • واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم، ولإشراف قلوبهم اليكم والى داركم، معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة التامة. حدثني عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله (ص) يقول (اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض) فقال له أبو بكر: ولمَ ذاك يارسول الله ؟ قال: (لانهم في رباط الى يوم القيامة) فاحمدوا ربكم معشر الناس على ما اولاكم واقيموا في ريفكم ما بدا لكم .

(١) أي بالاعتدال (٢) واقلعت السماء اي كفت وهو كناية عن انقطاع المطر (٣) كذا في الاصل ولعلها السوائم وهي الماشية (٤) الجنة هي الوقاية (٥) الزواهر (٦) جواب قسم محذوف اكد بالنون الثقيلة وما مصدرية اي فوالله لاعلمن اتيان رجل موصوف بما ذكر وفي طيه من الترهيب البليغ ما لايخفى وقد بين بعدُ جزاء من فعل ذلك بقوله فمن أهزل فرسه الخ

فاذا يبس العود، وسحق العمود، وكثر الذباب، وحمض اللبن، وصوّح (١) البقل، وانقطع الورد، فحيّ على فسطاطكم على بركة الله، ولا يقدمن احد منكم على عياله الا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته او عسرته اه

(المنار) هكذا كانوا يخطبون الناس يعلمونهم ما به صلاح دينهم ودنياهم ويرشدونهم الى حسن العمل فى المعايش، وحسن المعاملة مع الموافق والمخالف . فليعتبر بهذا خطباء التقليد فى هذا العصر ان كانوا يفقهون . و (السمائم) نوع من الطير والسماسم النمل. والشعرى الكوكب الذى يطلع فى الجوزاء وذلك عند اقبال الحر · فهو يقول ذهب الشتاء وجاء وقت العمل والحرث · والوصية من النبي وعمرو بالمرابطة في مصر تدل على ان هذه البلاد لا تحفظ من اعتداء الاجانب الا بالقوة الجندية الدائمة فانها مقصودة من الفاتحين لخيرها وضعف اهلها ، ولكن المسامين المتأخرين والمتوسطين ، لم يفهموا ما يؤثر عن الاولين ،

﴿ باب السؤال والفتوى ﴾

(البعث الجثماني)

(س ٥) عبد الرحيم أفندى محمد القناوي الحسيني بمدرسة الحقوق بمصر

تحادثت مرة مع صديق عن كيفية البعث والنشور وهل الحشر والحساب يكونان بالاجسام التي نحن بها فى عالم الدنيا كما جاء في أصول الشريعة أم بغير ذلك · فانكر عليّ ان الحشر يكون بالاجساد وعد ذلك من المستحيلات مستنداً في رأيه على ما درسه من علوم الطبيعة حيث تقرر بها ان العلم التجريبي أثبت ان المادة لا تزيد ولا تنقص ولا تنعدم مطلقا وان جميع الكائنات من نبات وجماد وحيوان تتداخل وتتناسخ فاذا مات الانسان وصار رفاتا تحلل جسمه الى العناصر البسيطة الأولية التي يتركب منها كالكربون والازوت وقد ذهب بعض علماء الكيمياء الى ان الجسم يتركب من سبعين عنصرا مختلفة فهذه العناصر التي كان يتركب منها الجسم حال وجوده لا تنعدم بعد فقده وانما تحلل تحليلا كيماويا وينفرد كل عنصر على حدته ثم يمتزج بما يلائمه من المواد

(١) صوح اي يبس اعلاه

الاخرى ومن ذلك تتكون الاسمدة والاسبخة التي تتغذى منها النباتات والاشجار ومنها يأكل الانسان فيتغذى جسمه وينمو وبهذه الواسطة تتكون الاجسام الحية من ثمرات البالية المندثرة وهكذا تتقدم تلك الاجسام الحية وتتكون منها أجسام أخرى حتى يأذن الله . اذا تقرر ذلك نتج بلاشك ان جثمان أحد معاصرينا مثلا مركب من عدة أجسام تحللت وقد دخلت فى تكوينه بواسطة الطريقة المتقدمة فاذا سلمنا بان الحشر سيكون بالاجساد التي نحن بها فى الدنيا فكيف يمكن حشر هـذه العناصر اذا جاء يوم الحساب ؟ بل كيف يمكن حشر العالم باجمعه منذ خلق الدنيا لان المادة الموجودة لا تكفي لذلك ؟ فدعتني الحالة الى تحرير ذلك اليكم لتزيلوا بفضل علمكم كل شبهة تتعلق بهذا الموضوع والسلام عليكم

(ج) ان علم الكيمياء قد قرب بارتقائه مسألة حشر الاجساد من العقل وأدناها من التصور حتى صرنا نبحث في كيفيتها بحثا علميا على ان أمور الآخرة من عالم الغيب التي يكتفى فيها بالتسليم الاجمالي من غير بحث فى الكيفية وانما يشترط فيها ان تكون من غير المحال عقلا فليس لنا ان نبحث عن كيفية البعث ولا عن كيفية الحساب ولا عن كيفيـة الجزاء فى دار النعيم ودار العـذاب متى علمنا انها ممكنة . اما شبهة محادثك التي صورت له البعث بالروح والجسم معا محالا فهـي واردة على أقوال بعض العلماء أو أكثرهم اذ زعموا ان البعث إنمـا يكون بالجسم الذي عمل به الانسان أعماله التي يجازى عليها . ولم يرد هذا القول في النصوص الإلهية وانمـا هو شيء استنبطوه بأقيستهم وفلسفتهم النظرية اذ قالوا لا يجوز ان يقع الجزاء الاعلى الجسم الذي تلبس بالعمل لئلا يكون الجزاء على غير العامل . ويا ليت شعري ماذا يقول هؤلاء اذا اطلعوا على ما أثبته العلم حديثا من تبدل مادة جسم الانسان فى كل بضع سنين مرة بمعنى أن الأجسام التي نعيش بها اليوم ليست عين الاجسام التي كانت لنا قبل هذه المدة ؟ أيقولون فيمن ارتكب ما يوجب الحد وغاب مدة يثبت العلم انه قد تحلل فيها كل جسمه الذي زاول به ذلك العمل السيء انه لا حد عليه ولا جزاء لأن الجسم الذي عمل قد ذهب وحل محله جسم آخر ؟ ؟

ان الدين قد اثبت ان للناس حياة أخرى بعد هـذه الحياة وانمـا الناس خلق مركب من جسد وروح وسيكونون في الحياة الثانيه ناسا كما كانوا فى الحياة الاولى الا ان

تلك الحياة أرقى من هـذه الحياة للراقين وأسـفل منها للمتسفلين فمن عرف ماهو الانسان بحسب العلم الحديث سهل عليه ان يقبل هذا الاعتقاد لانه يعلم ان الحياة صفة لازمة للروح وان ظهور الارواح في الصور المادية هوالذي يعطي المادة الحياة وبهذه الحياة تأخذ من عناصر الطبيعـة مايكون ممدا للجسم الذي تظهر فيه وعوضا عما يتحلل منه ويندثر كل آن ، وبها يكون الجديد كالقديم في وضعه وصفاته الصورية والمعنوية بحيث لايكون الانسان المعين بتحلل جسمه الاول وحدوث جسم جديد له إنسانا آخر

واذا فهمنا هذا نفهم انه لايشترط في تحقق الحياة الثانية ان تكون مادة الجسم هناك عين مادته هنا لانه ليس له هنا مادة ثابتة مستقرة بذاتها وعينها وإنما هي مواد معينة بالتعين النوعي دون الشخصي فالعناصر البسيطة لاتشخص فى اجزائها يميز جزءا عن جزء وإنما هي كالثياب تتجدد على كل حيّ ويبقى هو هو « وننشئكم فيما لاتعلمون »

والقول بأن كل جزء من اجزاء العناصر دخل في بدن إنسان لابد ان يعود بعينه فى الآخرة اليه فلسفة باطلة وهو محال كما قال محدث السائل لان هذه الاجزاء كما دخلت في بدن زيد دخلت فى ابدان الألوف وألوف الألوف من الناس والحيوان والنبات ولان هذا القول يقتضي ان يكون كل شخص في الآخرة كبير الجرم جداً الى درجة لم تخطر على بال احد حتى الذين قالوا ان طول الانسان في الجنة يكون ستين ذراعا

ولا يقال ان مادة الارض لاتكفي لاجسام جميع من عاشوا عليها اذا عادوا كلهم احياء في ذلك اليوم الآخر لان الحياة الاخرى ليست على هذه الارض وانما تكون « يوم تبدّل الارض غير الارض والسموات » وانما يكون خراب العالم باصطدام الارض باحد الاجرام السماوية ثم بانتثار الكواكب ورجوعها هباء (أوسديما) كما كانت قبل هذا التكوين « اذا رُجّت الارض رَجّاً وبُسّت الجبال بَسّاً (أي تفتت) فكانت هباء منبثا » « اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت » وفي معنى هذه الآيات آيات كثيرة فالنشأة الآخرة تكون فى كوكب أوعالم أكبر من هذا العالم والأرواح الخالدة تأخذ منه مادتها ويكون الناس هم هم كما يتبدل جسم الانسان في الدنيا عدة مرات ويبقى هو هو في عقائده وأخلاقه وعاداته والله أعلم وأحكم

﴿ علم الغيب للأنبياء ومسألة كتابة عمر للنيل ﴾

(س٦و٧) الدكتور نصر افندي فريد بالمنصورة : جمعنا مجلس علمي تناقشنا فيه مع احد افاضل الازهريين اذ تنبأ ان المحكمة ستبرئ متهمين في قضية فقلنا له : لا يعلم الغيب الا الله : فقال ازلي حجة في قوله تعالى «الا من ارتضى من رسول» قلنا لست برسول فقال: يقصد بالرسول هنا في اللغة ما يعم لا النبي المرسل المصطلح عليه فقط: فحاججناه فلم يقتنع

ثم دار بنا الحديث على مسألة كتابة عمر رضي الله عنه ورقة للنيل في مسألة الفيضان المعلومة فقلنا له انها خرافة وثنية مخالفة للدين وقد كنا قرأنا ذلك في مناركم الاغر لكننا لم نعثر عليه الآن . فنرجو نشر ذلك مع الفتوى في مناركم الاغر إحقاقا للحق وازهاقا للباطل حتى لا تعم هذه الخرافات التي أضرت بالدين الحنيف

(ج) قوله تعالى « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول» يراد بالرسول فيه النبي المرسل المبلغ عن الله تعالى دينه بدليل قوله تعالى في الآية التي بعد هذه « ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم » فقول الازهري ان لفظ الرسول هنا عام يشمل النبي المرسل وغيره باطل لاوجه له ويا ليتكم سألتموه عن هذا العموم اللغوي أيدخل فيه كل رسول أرسله إنسان في حاجة له أم يشمل بعض رسل الناس دون بعض وما معنى العموم حينئذ . وانا لنعلم ان كثيرا من الذين أخذوا بعض قشور العلم يحرفون كل كلام حتى كلام الله تعالى ليؤيدوا دعاويهم أمام الناس وان هذا من أكبر أبواب الفساد الذي طرأ على العلم والدين ولكنهم كانوا يحرفون ويأولون ما يحتمل ذلك بحسب اللفظ في الجملة وما رأينا أحدا تجرأ مثل أزهريكم على تحريف القطعي تفسيرا للقرآن برأيه وهواه نعوذ بالله ؛ ولو صح ان يكون مثل هذا رسولا لما كان ممن ارتضى الله .

ثم ان المراد بالغيب الذي يظهر الله من ارتضى من رسله عليه هو عالم الآخرة فقد أظهرهم على أمر الحساب والجزاء وأعلمهم بأن هناك دارا للنعيم ودارا للعذاب ، وأطلعهم على عالم الملائكة الخ ما أبلغوه من رسالات ربهم كما هو منصوص في الكتاب العزيز . وليس معناه ان الله تعالى يطلع الرسل على ما غاب من أمر العباد وما يجري لهم في الدنيا من رزق ونعيم وبلاء وغير ذلك . والدليل على ان هذا غير مراد ما أمر الله

تعالى خاتم النبيين ان يبلغه الناس عن نفسه بقوله « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء ، إن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » وماحكاه ايضا عن غيره من رسله كقوله عن لسان نوح عليه السلام « ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولاأقول إني ملك» الخ وأمر نبينا بمثل هذا في سورة الانعام

وأما مسألة النيل فقد كان من وثنية قدماء المصريين الاعتقاد بأن النيل مقدس اواله وان عمر بن الخطاب عليه الرضوان ابطل خرافة إلقاء البنت العذراء فيه كما نقل والقصة مبسوطه مع تأويلها في مجلد المنار الثاني فلتراجع في مبحث الكرامات المأثورة (ص ٥٥٠)

﴿ البدعة الدينية والبدعة الدنيوية ﴾

(س ٨) ا ٠ ش ٠ التتاري بروسيا: ايش معنى البدعة والمحدثة في قول النبي صلى الله عليه وسلم « وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » ومعنى السنة الحسنة في حديث الرسول (ص) « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » ؛ وقد قسم بعض العلماء البدعة الى حسنة وسيئة وبعضهم يقول ان كل بدعة سيئة وضلالة كما في الحديث والمراد من السنة الحسنة الشيء الآخر فكيف العمل دام فضلكم؟

(ج) كل ما أحدثه الناس في أمر الدين ولم يأخذوه من كتاب الله أو سنة رسوله المبينة لكتابه فهو بدعة سيئة وضلالة يستحق متبعها العقوبة في النار وان لم يصح في الحديث زيادة « وكل ضلالة في النار » فقد أتم الله الدين وأكمله فمن زاد فيه كمن نقص منه كلاهما جان عليه وغير راض بما شرعه الله ٠ وأعني بالدين هنا مسائل العقائد والعبادات والحلال والحرام دون الاحكام الدنيوية التي فوض الشرع أمرها الى أولي الأمر ليقيسوها على الاصول العامة التي وضعها لها . ذلك أن الجزئيات لا تنحصر فيحددها الشرع بل تختلف باختلاف العرف والزمان والمكان فمن ابتدع طريقة لتسهيل التعامل أو التقاضي غير ما كان عليه السلف وكانت نافعة غير منافية للاصول الشرعية العامة كبعض نظام المحاكم الجديد كان له اجر ذلك ، واما ما يعتقد في الله واليوم الآخر وما يتقرب الى الله تعالى به من العبادة فهو لا يختلف ولذلك لا يقبل رأي أحد فيه بل يؤخذ كما ورد عن الشارع من غير زيادة ولا نقصان ٠ وانا لنعجب من الذين زادوا في العبادات أحكاما وأذكارا وأورادا كيف غفلوا عن تقصير الناس في القيام بما ورد فقاموا يطالبونهم

بأكثر منه وقد قال النبي (ص) في الاعرابي الذي حلف انه لايزيد على مافرض الله عليه شيئا ولا ينقص منه شيئا «أفلح الاعرابي ان صدق» وهذه أذكار القرآن وأدعيته لانكاد نرى مسلما من أهل الاوراد يدعو بها كلها فهل كانت أدعية شيوخهم المخترعة خيرا منها ؟ على ان الدعاء بغير ماورد لايعد بدعة الا اذا كان مخالفا لما ورد أو كان معه بدعة أخرى كاتخاذه شعارا دينيا والتزامه فى مواقيت معينة

واما السنة الحسنة والسنة السيئة فى الحديث الآخر فهي تشمل كل مايخترعه الناس من طرق المنافع والمرافق الدنيوية أو طرق المضار والشرور فمن اخترع طريقة نافعة كان مأجورا عند الله تعالى ما عمل الناس بسنته وله مثل أجر كل عامل به لانه السبب فيه ، وكذلك حكم مخترعي طرائق الشرور والمضار كالضرائب والغرامات والفواحش عليهم وزرها ماعمل الناس بها كما تقدم، ونظن ان قد سبق لنا الالمام بهذا المعنى وقد أوضحناه أتم الايضاح فى كتابنا (الحكمة الشرعية) فعسى ان نوفق لطبعه

وقالوا بدعة حسنة وبدعة سيئة وهو يصح فى البدعة اللغوية أو الدنيوية. ومن قال من العلماء ان البدعة لاتكون الا سيئة أراد البدعة الشرعية أي الابتداع في الدين وقد ذكر نحو هذا ابن حجر في الفتاوي الحديثية

﴿ كيفية زيارة قبور الصالحين ﴾

(س٩) محمد افندى صدقى بزفتى : طالعنا ما نشرتموه فى شأن البدع التي تحصل عند زيارة مقامات الأولياء مما تكافئون عليه من الله بأحسن الجزاء ونسأل الله ان يوفقكم الى تربيتنا وهدينا الى سواء السبيل • ونرجو ان ترشدونا الى مايحسن اتباعه عند زيارة هذه المقامات خصوصا مقامات آل البيت ولكم الشكر

(ج) لم يرد فى الكتاب ولا في السنة التى يحتج بها شيء فى زيارة قبور الصالحين خاصة بل كان النهي عن زيارة القبور في أول الاسلام مقصودا به إبعاد المسلمين عن مظنة تعظيم قبور الصالحين ولما أذن النبي بعد ذلك بالزيارة للرجال وعلل ذلك بانها تذكر بالموت او بالآخرة ظل ينهى عن تشريف القبور وبناء المساجد عليها وعن الصلاة بالقرب منها وعن ايقاد السرج عليها وكان يلعن فاعلي ذلك وقال في بعض هذه الاحاديث «أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا» الخ

كما في مسند أحمد وصحيحي البخاري ومسلم وغيرها من الكتب • فعلم من هذه الاحاديث ان زيارة قبور الصالحين هي مظنة الفتنة وتعظيم مالم يأذن الله بتعظيمه لاسيما اذا كانت هذه القبور محاطة بالبدع كبناء المساجد عليها وايقاد الشموع عندها والصلاة بالقرب منها والتمسح بأحجارها ونحاسها والتماس الخير ودفع الشر منها بالاستقلال أو الواسطة فهذه البدع والمنكرات تجعل زيارة قبور الصالحين دون زيارة سائر القبور التي تقل عندها المنكرات الا اذا كان من يحضر عند تلك القباب والمساجد يأمر بالمعروف وينهى عن كل منكر يراه . فان كان لا يفعل هذا فأي فائدة له من حمل حرمة السكوت على المنكرات الكثيرة لاجل فائدة الزيارة التي لم تفرض عليه ولم تسن له ولم تعهد من الصحابة عليهم الرضوان وغاية مافيها ان النبي (ص) اذن بها لاجل الاعتبار بعد النهي والمنع، والأمر الوارد على منهي عنه يفيد الاباحة وأكثر مافيه ان يقال هو مستحب اذا خلا من كل منكر

على اننا مع العلم بهذا كله قد اهتدينا لحكمة ومنفعة خاصة لزيارة قبور المعروفين بالعلم والصلاح وبيناها في المنار من قبل وهي تذكر تاريخهم وسيرتهم الحسنة وما يبعث في النفس حب التأسي بهم في طاعة الله وخدمة الحق وخذلان الباطل وهذا المعنى هو المراد من قول بعض العلماء ان في زيارة قبور العلماء العاملين والصالحين بركة فان البركة هي الزيادة والزيادة لابد ان تكون في شيء مزيد فيه ولا شيء في مقام الزيارة موضع للمزيد الا الاعتبار المقصود من الزيارة شرعا . ويستحب للزائر ان يسلم ويدعو للمزور كما ورد فيقف متأملا معتبرا داعياً مستعبرا. فهذه هي الزيارة المحمودة والاحاديث صريحة في أن الرخصة في زيارة القبور خاصة بالرجال فلا تجوز للنساء

﴿ تشييع الجنازة ﴾

(س ١٠) ومنه: نرجو الافادة عما يجب اتباعه في تشييع جنازة الميت • وهل يجوز ماهو شائع الآن من قراءة القرآن والاذكار والصلوات وغير ذلك في الشوارع والاسواق أم لا ؟ والله المسؤل ان يبقيكم ويجعلكم خير مرب للامة آمين

(ج) الذي يستفاد من الاحاديث الصحيحة انه يستحب الاسراع بالجنازة ويحرم اتباع المصحوبة بنائحة وقد ذكرنا من قبل ان هذه الاذكار والاشعار والترانيم التي

يصيح بها المسلمون امام الجنازة متبدعة وانها سرت اليهم من الملل الاخرى واظن ان أكثر الناس لايزالون يعرفون هذا فاننا نسمعهم يقولون في الجنازة التي لااصوات معها: انها على السنة: وان لكل حالة عبادة تناسبها ولا أفضل لمشيع الجنازة من التفكر في الموت وما بعد الموت

القسم العمومي

نظام الحب والبغض

تابع حب القوة

(رابطة المدنية)

ويظهر ان أول مال تموله الانسان هو ماأسره من الحيوانات الكثيرة التي سهل عليه أسرها وتأنيسها . أي جعلها أنيسة غير نافرة ولاعادية . وبهذه الحيوانات التي طفقت تتناسل وتتزايد في ظل حمايته ورعايته وعنايته قد استغنى أولئك الاوائل بعض الاستغناء عن الكد في الصيد . فان الفاطر أوحى اليهم ان يجربوا ألبان الحيوانات المأسورة فرأوا ان ألبان البعض منها غذاء طيب ساد عن كل شيء . ووجدوا بعد هذا ان اللحوم أمر زايد يجنحون اليها اذا ماوجدوا في أنفسهم سآمة من الالبان. ولا يبعد انهم قبل ان يتمولوا هذا المال كانوا يجتزأون بالعشب والحبوب يوم لايجدون مصيداً . ولذلك بقوا يحنون الى بعض الاعشاب التي استطابوها بعد ان وجدوا هذا الغذاء الكافي . وربما كان تخصيص بعض الحبوب والنباتات بالاكل تطلباً بوحي وإلهام ثم اعتادوها دائما حتى صاروا يدخرونها ولذلك يجوز لنا ان نظن أن المال الثاني الذي تموله النوع هو مااعتاد أكله الانسان مما تخرج الارض من نباتها وحبها فكأن طفق فريق منهم يجمعونها ويدخرونها ثم وجدوا حرجاً في جمعها حبة حبة مثلا من كل بقعة فرأوا ان يبذروها في بقاع خاصة فحدثت لهم صناعة الحرث والزرع ولاتنسوا تلك المدى الصوانية فهي التي نجرت لهم المحراث الذي يحثون به في الارض ليدفنوا به الحبوب وهي التي نجرت المدق لاستخراج الحبوب.

ولما كان المزروع يستدعي الحفظ من الحيوانات طواعم الاعشاب وادخار الحبوب ليوم البذار ليستدعي أماكن يؤمن فيها من البلل الضار بها احتاج الذين عنوا بهذا

المال الثاني الى الاقامة بجوار الارضين التي يبذرون فيها واحتاجوا الى اتخاذ بدل عن تلك الاخيرة التي لاتقي الحبوب الكثيرة من البلل فرأوا ان يقلدوا الفيران ويتخذوا لهم ولحبوبهم أماكن تخينة يؤلفونها من الحجر والتراب ، أو من الاعواد والتراب . وليس ببعيد ان يكونوا تعلموا صنعة البناء من الحيوانات الصغيرة التي تدخر الحبوب كالنمل مثلا كما تعلموا صنعة النسج من الحيوانات التي تنسج كالعنكبوت مثلا ولكن الاقرب ان يكونوا تعلموا كل أوائل الاشياء بالهام من الفاطر كما ان الحيوانات كلها تعلمت ماتحتاج اليه بحسب خلقتها بالهام منه (جل وعلا) .

ثم عجز هؤلاء الزراع عن ان يتمولوا الكثير من الحيوانات المأسورة لان العناية بها تقتضي الرحيل الدائم لاجل تتبع الارضين التي فيها الكثير من العشب الطبيعي وعجز أولئك الرعاة عن ان يتمولوا الكثير من تلك الحبوب التي تقتضي الاقامة والاشغال بالحرث وتوابعه فانقسم الذين كانوا مجتمعين الى فريقين فريق المتمولين من الحيوانات وفريق المتمولين من الحبوب . واختار كل من الفريقين ما مالت اليه نفسه من المال ودأب يسعى في تنميته والاثراء منه وبحسب هذا الانقسام انقسم الوطن الى قسمين وطن الرحل ووطن المقيمين . وأصبح كل من الرحل والمقيمين محتاجين في الحقوق والمعاملات التي بينهم أنفسهم الى ناموس . ومحتاجين الى ناموس آخر في الحقوق والمعاملات التي بينهم وبين الآخرين . ويمكننا ان نسمي الاول بالسياسة الداخلية، والثاني بالسياسة الخارجية .

وههنا حان لنا ان نأتي القراء بالاشارة الى أقسام النظامات التي تندرج تحت تينكم السياستين لتعلموا ان الشرائع كتربية الاخلاق قديمة جداً ينتهي قدمها الى أوائل المجتمعين من البشر وذلك لايعلمه الا الذي خلق . وبذلك تعلمون قدم عهد المدنيات التي بسطنا هذا الكلام لتشرح شيء من بنيتها التي عظمت جدا . والخالق اعلم بما سيكون

فمن تلكم الاقسام نظام المبادلات والمعادلات وبدون هذا النظام لايتم اجتماع صالح للنمو والامن والتميز على الحيوانات وفيه اقسام (١) شريعة البيوع . وهو اللازم العاشر و (٢) شريعة الاجارات وهو اللازم الحادي عشر . و (٣) شريعة القسمة: وهو اللازم الثاني عشر و (٤) شريعة القروض والودائع والعواري وهو اللازم الثالث

عشر و(٥) شريعة الغصب والاتلاف. وهو اللازم الرابع عشر

ومنها نظام المواريث وهو اللازم الخامس عشر . وهذا أيضا من الضروري لانه اذا مات الواحد لابد من ان يأخذ ماله الاحياء فمن هو الاحق بأخذه .

ومنها نظام الجزاء وهو اللازم السادس عشر فبدون الجزاء يتمادى المعتدي وينتفي الامن

ومنها نظام حماية الضعفاء وهو اللازم السابع عشر . فبدون تي الحماية يؤول الامر الى عدم تكاثر القليلين وهم الى ذلك محتاجون

ومنها نظام المعاهدات الخارجية . وهو اللازم الثامن عشر فبدونه لايتسنى لسكان الارض من البشر ان يستريحوا طرفة عين . ولولاه لمانما البشر ولما أخذ النوع حظه من التميزات والارتقاء البديع .

ومنها نظام احداث القوة . وهو اللازم التاسع عشر .

وفي هذا أقسام (١) ركز القوة في مركز أي اقامة الرئيس ونصبه (٢) طاعة المرؤوسين للرئيس (٣) تسليم القوة للرئيس (٤) شروط الرئيس والرآسة والطاعة واستلام القوة والتصرف بالقوة وحدود كل من المذكورات ومقاديرها .

ومنها نظام وضع النظامات. وهو اللازم العشرون ومأخرناه في الذكر الالانه يتأخر حدوثه في المجتمعين لانهم يضعون النظامات أولاً من غير نظام فيظهر فيها خلل ما قليل أو كثير فيحتاجون لنظام النظامات، قانون القوانين، ناموس النواميس، شريعة الشرائع ،

هذه الشرائع والنظامات ، أو هذه اللوازم والمقتضيات، هي جل أو كل الاصول التي يخوض في جداول فروعها علماء الاخلاق وعلماء الشرائع . وان كنت قد نسيت شيئا فليس بعسير على من قرأ هذا النموذج ان يحصي مانسيت مع ماذكرت .

وكل ماأحصيناه يحتاج اليه الفريق الرحّل كالفريق المقيمين غير ان الرحّل الرعاة بما جمدوا على ذلك المال الواحد وبما رضوا من الحياة البسيطة التي لازينة فيها بقوا في أمر هذه الشرائع على سذاجة الفطرة او ماهو قريب منها . واما المقيمون فانهم مازالوا يتقلبون في الحاجات التي يسوقهم اليها حب الزينة (الذي يألف المقيمين ويتنيخ لديهم) حتى توسعوا في الحياة فاحتاجوا ان يتوسعوا في امر الشرائع . ويظهر ان هؤلاء المقيمين بعد ان اختاروا الاقامة لأجل زرع الحبوب وحفظها وماهو من بابها بدأوا يطلعون

بواسطة البحث في الارض للبذر فيها على مافي خزائن الارض مما نسميه «المعدن» وهو المال الثالث . ثم أخذوا يصطنعون من المعدن وبواسطة المعدن مصنوعات كثيرة زائدة وهي المال الرابع .

ولا مجال للظن في معرفة أول معدن اطلع عليه البشر وعرفوا خاصته . ولكن يمكننا ان نظن ان الانسان بقي في ابسط الحالات حتى اكتشف سر النار وانه لم ينفعه شيء من المعادن مثل مانفعه الحديد . لان الحديد ابو الآلات كلها ففي اليوم الذي عرف الانسان خاصة الحديد ، دخل في دور جديد . وذلك لان اجتماع مئة انسان مثلا في أرض واحدة وتجاورهم في المساكن يقضي عليهم ان لا يكونوا متحدين في الصنعة لوجوه كثيرة — منها ان قواهم البدنية تختلف فمنهم من يستطيع الحرث ومنهم من لا يستطيع . افيترك من لا يستطيع الحرث سدى ام يعمل شيئا آخر وماذا يعمل؟

ومنها ان قواهم العقلية تختلف فمنهم من يجد ذهنه اعمالا غير الحرث فهل يجبر على الحرث ام يعمل كما وجد ذهنه . وماهو ؟

ومنها ان قواهم القلبية تختلف فمنهم من يقنع بحالة واحدة ولا يغرم بالزينة ومنهم من لا يقنع ويكلف بها . افيموت قهراً لانه لم يجد مايقنعه ام يتفكر بإيجاد مايقنعه وماهو؟

ومنها ان المال الواحد اذا عمل الكل على تنميته نما جدا حتي يتعسر حفظه أو يصير العمل بتنميته على الدوام مع كثرته الهائلة عبثاً فهل يشتغلون بالعبث ام يتفكرون بمال آخرهم وما هو ؟

هذه الوجوه المبينات هي الحاكمة على مئة مجتمعين معاً ان يتفكروا فيجدوا باذهانهم ماهي تلك الاشياء المسؤول عنها من الاعمال والصنائع اللازمة . وبعد ان يجدوا بأذهانهم يعمل كل واحد منهم في العمل الذى استعد له بحسب بدنه ، بحسب عقله ، بحسب قلبه . واذا كان عشرة من المئة يكفونهم جميعهم الهم في تحصيل الحبوب اللازمة مع الزيادة فماذا يصنع التسعون ثم اذا وسعنا هذا المقياس نرى ان الف الف من البشر يكفيهم في الحرث مئة الف مثلا فماذا يصنع (٩٠٠٠٠٠) ؟

ليس شيء اسهل من ان يقول السامع : يشتغل هذا العدد بصناعات متعددة . نعم ولكن بم يصنعون ؟ أبأيديهم اللحمية أم بآلاتهم الاولى الخشبية ، أم بعداهم الاولى الصوانية؟

لا يسهل الجواب عن هذا الا من بعد معرفة خاصة الحديد والاستفادة منه • فانه في ذلك اليوم الذي عرف فيه الحديد تعددت المصانع، فاتسعت المزارع، فتوفرت المتاجر، فعظمت الشرائع،

وانا لنعلم أنه ليس لأحد غير الخالق علم بكل ماتقلب فيه الانسان من الاطوار لاسيما التي في بدء امره . ولكن جرأنا على هذه الظنون اعتقادنا ان هذا النوع لم تخلق له كل العلوم والصنائع التي نراها اليوم مثلا يوم خلق • وحملنا عليها اعتقادنا ان الاجتماعات العظيمة في النوع انما كانت على التدرج • واعتقادنا ان لكل اجتماع خواص تقتضي ظهور أمور جديدة فتتبعها تلك المقتضيات وتظهر بسرعة او بطء على قدر الاقتضاء

على اننا اذا لم نجل الخاطر فيما جرى للاولين، لا يكمل تفقهنا في أحوال الحاضرين، ولا نكون قد أخذنا لانفسنا حظا من لذة النظر في مرآتي الكون الانساني التي تتجلى فيها الصور على انحاء شتى بعضها في نظرنا أجمل من بعض ؛ ولا حظا من فائدة التفكر لوجدان اسباب معقولة لمسببات محسوسة ؛ ووجدان حلق مجهولة • تتصل بها الحلق المعلومة

نحن اليوم في قرى ومدن وبين أيدينا مالا يحصى من مزارع ومصانع ومعادن وحيوانات؛ ونحن اليوم جماعات كثيرة بعضنا لبعض عدو، وبعضنا لبعض ظهير، افخلقنا هكذا ؟ أم أوصلنا الى هذا الحاضر ماض طويل ؟ اجيّد لنا هذا الحاضر؟ ايوجد اجود منه ؟ هل الاجود في الماضي ؟ هل الاجود في الحاضر ؟ ان كان في الماضي فما محاه؟ ان كان في الآتي فكيف يأتي ومتى ؟

يا اخوان القراءة الا تخطر في بالكم هذه الاسئلة ؟ الا تهيء شؤون هذه الحياة الاجتماعية الملفقة من لبنات متعددة الالوان

وكيف يمكننا الجواب عنها اذا لم نجل الخاطر يمنة وشمالا في التقلبات الماضية؟

من أجل ذلك تكلمنا في « رابطة القومية » على نبذة من ماضي الانسان في تناسله وتقاربه وتباعده حتى بينا ان تلك الرابطة نافعة غير ان نفعها ابتر • وانه قد ينقلب نفعها ضررا اذا قاومت بأحكامها ماهو أنفع منها • ثم تكلمنا في « رابطة الدين » على نبذة من ماضي الانسان في احتياجاته للمصطفين الأخيار الذين يوحي اليهم ان يعلموا البشر

اعظم اركان الحكمة وأصل الاصول فى مصلحة النفس فى انفرادها واجتماعها وبينا فوائدها في شؤون نظام الاجتماع من حيث هو . وبالجملة قد بينا في الاثنتين الاسباب التي تدعو اليهما والنتائج التى تنتج منهما . وبديهي لمن قرأ انهما كلتيهما لم تنتج عنهما وحدهما هذه البزة الحاضرة للبنية الاجتماعية أفلا يقال ما أحدثها ؛

ان أقل انما أحدثها «حب الزينة» و«حب التميز» فما كان الصواب ليعدوني في هذه القولة ـ وقد قلتها من قبل في مناسبة اخرى ـ ولكن هل يكفي حب الشيء في تحصيله من غير آلات ؟ انذلك لم يكن قط . فالآلات التي تحصل للنوع (افراداً ومجموعاً) مابه الزينة ـ على حسب اعتبار كل ـ ومابه التميز (على حسب تصور كل) هي اعضاء هذه البنية . وحب الزينة وحب التميز روح حركتها . والنظام ، الناموس ، القانون ، الشريعة ، المنهاج ، روح تعظمها وتكملها وانبساطها .

ونسمي المجموع « رابطة المدنية » او « رابطة الوطنية » و« رابطة الاجتماع » او « رابطة الحكومات » وقد اخترنا الأول واقتصرنا عليه . لأنه اظهر دلالة بحسب اللغة والاصطلاح والحقيقة . وللكلام في هذه الرابطة التي تحدث قوة كبرى للأمم المجتمعة . نحرر هذه النبذة وقد منا بين يديها هذا التمهيد عسى ان يكون موقظا للتفكر فانما يسطع العلم في الافكار المتهيئة .　　　(لها بقية)　　　ع . ز

آثار علمية ادبية

(تقريظ المنار ورسالة التوحيد * لاحد علماء الشيعة الاماجيد)

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على خير خلقه وسيد أنبيائه ورسله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين *

لم أكن منذ تصديت لاكتساب المعارف والنظر في علوم الدين ، أرغب فى الاطلاع على جريدة ، أوصرف مدة فى امعان النظر فى مجلة ، لما انغرس فى فكري من قلة الفائدة بذلك وتضييع الوقت ، حتى ملأت مسمعي ضوضاء المجلات وتعرضها للدين ، كل على حسب اغراضه ودواعيه ، فتاقت نفسي لمطالعة بعضها وتفريغ وقت

لتسريح النظر فيها ، وأولها وقع في يدي كراريس وصحف متفرقة من مجلة الاسلام في عصر العلم فاعجبني من منشئها الفاضل الحمية للاسلام ، وعلو همته وتعلقه بأمور عالية يعم نفعها ، وتكثر حاجة الوقت الى بسطها ونشرها ، ونسئله تعالى ان يمده بسعة الباع ، وكثرة الاعوان وعوز الاطلاع ،وقد رأيته يدور حول مركز لا يعدوه ويقرع بابا ربما يفتح له ان أدمن ، والا فحسبه ثواب حسن النية ،ولكل امرئ ما نوى وقد انقطع صوته عني منذ برهة، وعسى ان تفتح له أبواب مقاصده ويتسع عليه مجاله وتزول العوائق عن سير مجلته وينفع الخاصة والعامة بما يهتدي اليه ويهديه للامة من دواء دائها العضال

ومنذ أيام اتحفت بالمجلد الخامس من مجلتكم الغراء ، حسنة هذه الايام، ونتيجة سعد هذا الدور(منار الاسلام) ، بل النور الساطع في كافة الانام، والماحي بلألائه حنادس الظلام، ولابدع اذ انبثق من فرع زيتونة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، وغصن شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ومن طابت ارومته،وزكت جرثومته، فهو الجدير بان يحلوجناه ،وتعرب عن طيب أصله أقواله وسجاياه،

مما استعذبته وكلها عذب سائغ ، تأليفكم بين فرق الاسلام ، ورفع الوحشة التي نشأت عليها احداث الامة في الاعصر الاواخر ،وفشت بين العامة والخاصة حتى فتت في عضد الاجتماع ، وحلت عرى الارتباط ، وخيل للسواد أن لا جامع ولا رابط، وان البون بعيد المسافة ، والقرن مبتول ومنفصم ،وجعلوا لكل فرقة نبزا تمتاز به ، ونسبة تحاز اليها ، وماهي الافتنة ألقحها من الماضين حب تشتت الرأي في ذوي الآراء ، وإلجائهم للمناظرة ، واستحكام شبهة للبعض ،حتى أصر كل على رأيه، ولم يكن في شيء من دعائم الدين ، ولا في الضروريات من اصوله ،ولا في امهات فروعه ؛ اترى فيهم حاشاهم من يشك في التوحيد ، اوينازع في النبوة ، اويخالف في المعاد، اويتأمل في وجوب الصلاة، أويتنظر في افتراض الزكوة، اويناقش في الحج، اويثبط عن حفظ بيضة الاسلام وحوزته ؟ كلا وانما ذاك في امور ربما يعذر المخطىء بهابل يؤجر ، بعد الاجتهاد وبذل الوسع والطاقة ، في النظر بالمقدمات التي يتوقف عليها البرهان، واتقانها وأحكامها حسب الجهد والامكان، «لايكلف الله نفساً الا وسعها»، وما هو الا كاختلاف

الائمة رضوان الله عليهم (الذي هو رحمة للامة) في فروع لم تعلم من نص الكتاب، ولا من السنة المتواترة ولا من اجماع الامة والاصحاب، على ان ذلك في الكثير يسير، وفي الباقي لفظي يؤل الى الوفاق في المقصد والاتحاد في المراد وان اختلف التعبير

وحسبك في ذلك مايقتبس من رسالة التوحيد لاستاذ الكل، ووحيد هذا العصر اومن نظيره قل، علم العلوم الذي عم مده، الشيخ محمد عبده، كثر الله في الامة امثاله، وزاد بين الورى اعظامه واجلاله، فكم له فيها من حزّ أصاب المفصل، ورمية لم يخط بها الغرض وان خفي على المتأمل، وتحقيق كشف به الحجاب، لاولي البصائر والالباب، ولم يدع بعده عذرا لمنكر ولا مرتاب، وحاشا ان تخلو الارض من عامل يعمل فيها بخير وهدى، وداع يدعو فيها الى طريق نجاة ورشاد للورى، فكم دافع عن الايمان، بلسان امضى من السنان، وعن الاسلام، باقلام أمض وقعا في الكفر من مريشات السهام، وعن الحنيفية البيضاء بمسود مداد، اقطع من البيض الحداد، اوضح مع الايجاز ادلة التوحيد، بعد اثبات الواجب بما لايطلب المتأمل بعده من مزيد، وجال جولة في بيان مايمكن الوصول اليه من الصفات، اغنى بها المنصف عن اللجاج والتعرض للهلكات، وأوجز في صفتي الكلام والبصر، مافيه البلاغ والعبر، وتكلم في أفعاله تعالى بما يسبق إلى القلوب اعتقاده، وألف بين الفريقين بما هو حري ان يتبع وقرّب ماتوهم استبعاده، وسلك في الجبر والاختيار جادّة الاعتدال، ومال في مبحث حسن الافعال الى أحسن الاقوال، وبسط القول في النبوّة والرسالة، حتى أوضح الحق وقمع الجهالة، وألف في مبحث الرؤية بين الفريقين، ورفع الوحشة وأزال النزاع من البين، وذلك الفضل من الله يؤتيه من عباده من يشاء، ويمنحه من سبقت له العناية فيه منذ فطر الاشياء، فجدير بمصر، ان تفتخر بمن فيها من أفاضل العصر، وحقيق بحملة العلم في كل قطر، ان ترفع ايدي الابتهال، لعزة ذي الجلال، بالدعا، لكم بدوام التأييد والمجد، والتوفيق لنصرة الدين وإيضاح الحق، ودحض الباطل وارشاد الضال، وجمع الكلمة واحكام الالفة بين المسلمين، انه على ذلك قدير، وبالاجابة جدير، آمين آمين

٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٢١ (ع ١٠٥)

﴿ الفتاة اليابانية والحرب ﴾

لاتلم كفي اذا السيف نبا صح مني العزم والدهر أبى
رب ساع مبصر في سعيه أخطأ التوفيق فيما طلبا
مرحباً بالخطب يبلوني اذا كانت العلياء فيه السببا
عقني الدهر ولولا أنني أوثر الحسنى عققت الأدبا
إيه يادنيا اعبسي أوفابسمي لاأرى برقك الاخلبا
أنا لولا ان لي من أمتي خاذلا مابت أشكو النوبا
أمة قد فتّ في ساعدها بغضها الاهل وحب الغربا
وهي والاحداث تستهدفها تعشق اللهو وتهوى الطربا
لاتبالي لعب القوم بها أم بها صرف الليالي لعبا
ليتها تسمع مني قصة ذات شجو وحديثا عجبا

*
* *

كنت أهوى في زماني غادة وهب الله لها ما وهبا
ذات وجه مزج الحسن به صفرة تنسي اليهود الذهبا
حملت لي ذات يوم نبأ لارعاك الله ياذاك النبا
وأتت تخطر والليل فتى وهلال الافق في الافق حبا
ثم قالت لي بثغر باسم نظم الدر به والحببا
نبؤني برحيل عاجل لا أرى لي بعده منقلبا
ودعاني موطني أن اغتدي علني أقضي له ما وجبا
نذبح الدب ونفري جلده أيظن الدب أن لا يغلبا
قلت والآلام تفري مهجتي ويك ماتصنع في الحرب الظبا
ماعهدناها لظبي مسرحا يبتغي ملهى به أو ملعبا
ليست الحرب نفوساً تشترى بالتمني أو عقولا تستبى
أحسبت القد من عدتها أم ظننت اللحظ فيها كالشبا
فسليني انني مارستها وركبت الهول فيها مركبا ..

وتقحمت الردى في غارة … أسدل النقع عليها هيدبا
قطبت ما بين عينيها لنا … فرأيت الموت فيها قطبا
جال عزرائيل في أنحائها … تحت ذاك النقع يمشي الهيدبى
فدعيها للذي يعرفها … والزمي ياظبية البان الخبا
فأجابتني بصوت راعني … وأرتني الظبي ليثاً أغلبا
ان قومي استعذبوا ورد الردى … كيف تدعوني أن لا أشربا
أنا يابانية لا أنثني … عن مرادي أو أذوق العطبا
أنا ان لم أحسن الرمي ولم … تستطع كفاي تقليب الظبى
أخدم الجرحى وأقضي حقهم … وأواسي في الوغى من نكبا
هكذا (الميكاد) قد علمنا … أن نرى الاوطان أما وابا
ملك يكفيك منه أنه … أنهض الشرق فهز المغربا
واذا مارسته ألفيته … حوّلا في كل أمر قلبا
كان والتاج صغيرين معاً … وجلال الملك في مهد الصبا
فغدا هذا سماء للعلا … وغدا ذلك فيها كوكبا
بعث الامة من مرقدها … ودعاها للعلا أن تدأبا
فسمت للمجد تبغي شأوه … وقضت من كل شيء مأربا

(محمد حافظ ابراهيم)

باب الأخبار والآراء

الخلافة - أو الترك والعرب

ما رأينا جريدة بينها وبين مشرب صاحبها من البون مثل مانراه في جريدة الجوائب المصرية فان صاحبها خليل أفندي المطران لايرى منه جليسه الا الادب والذكاء ونبذ التعصب والتحمس الديني ولكنه يرى من جريدته احيانا مايخالف هذه المزايا . ذلك ان هذه الجريدة كانت أيام فتنة بيروت ناراً تتلظى من التعصب على

المسلمين ولو كانت منتشرة في سوريا لما خمد لهيب الفتنة الى اليوم والى ماشاء الله تعالى

والشاهد المقصود أنا بالذات ما كتبته في مسألة (دعوى الخلافة) التي ناقشنا فيها جريدة ترك الغراء اذ ادعت ان العرب في جميع البلاد وسائر الشعوب الاسلامية تحسد الترك على لقب الخلافة ويدعي كل منها انه أحق بالخلافة من الترك ، واذ قامت تفاخر هذه الشعوب بتفضيل الترك عليهم ، ولما كنا على علم يقيني بأن النداء باسم الجنسية والتفاخر بها والتعصب لها مما لا يبيحه دين الاسلام ومما يفرق كلمة المسلمين ويجعل بأسهم بينهم شديدا أنكرنا على رصيفتنا هذه الخطة وأكدنا لها القول بأنه لا يوجد شعب اسلامي يفكر في منازعة الترك السلطة لاجل لقب الخلافة وان العرب في الحجاز ونجد والشام ومصر وغيرها من الاقطار يتمنون لو تدوم سلطة الدولة العثمانية مؤيدة بالقوة والعدل مادامت الارض والسماء ، وانه لا يضر هذه السلطة شيء مثل المفاخرة بالجنس التركي واحتقار سائر الشعوب الاسلامية لاثبات فضله عليها. وقد قلنا ان جميع من لقيناهم من كبار رجال الترك الفضلاء قد وافقونا على اعتقادنا هذا

فتطفلت جريدة الجوائب المصرية على الجريدتين الاسلاميتين وافتاتت علينا بالحكم فكتبت في العدد ال ٣٥٤ الصادر في ١٢ المحرم نبذة افتتحتها بقولها «تشغل الخلافة أفكار المسلمين في جميع الاقطار لكثرة ادعاء الملل الاسلامية بها فالعرب والترك يتزاحمون عليها» الخ ماقاله مناقضا لقولنا في الرد على جريدة (ترك)

وقد جعل ملة الاسلام الواحدة مللا متعددة فكنا نداوي علة اختلاف الجنس بمرهم الاتحاد الملي فحكمت علينا جريدة الجوائب المصرية الغراء بأنه ملل متعددة لا ملة واحدة ثم هذا الافتئات وماهو الغرض منه ياترى ؟

ومن العجب ان هذه الجريدة الجديدة على تحكمها قد تبرأت من التحكم وزعمت ان كلامنا ومناقشتنا تنتج التفريق الضار بجميع الامم الشرقية فانتحلت لنفسها القصد الذي دفعنا الى الكلام وكلامها ينتج نقيضه إذ أثبتت ان التنازع بين الترك والعرب واقع بالفعل فاذا صدقها الشعبان فان كلا منهما يعتقد ان الآخر خصمه وانما نحاول نحن اقناع الفريقين بان هذا التنازع وهمي أو خيالي لا وجود له الا على السنة أفراد من المنافقين

ثم استدلت الجريدة على ان الترك أحق من العرب بالخلافة بدليل يثبت نقيض

المدعى وهي أبلغ المطاعن في السلطان عبدالحميد قالت : «لا بأس ان نذكر كلمة تنسب لجلالة السلطان الاعظم عبد الحميدفقد أوصل اليه بعض المقربين لجلالته صوت تشكي الحجاج عموما من عون الرفيق باشا شريف مكة وظامه واستبداده الفائق التصور والحد طمعا بان يصدر جلالته إرادته السنية بعزله وتعيين خلف له فدري جلالته بالغرض من التشكي وقال انى لا أعزل عون الرفيق باشا ولن أعزله كل حياته بل أتركه عبرة ومثالا للذين يستثقلون ظلم خليفة الترك لاريهم كيف يكون ظلم خليفة العرب » اه كلام الجوائب المصرية بحروفه

فهذه الجريدة تريدان تقنع قراءها من العرب بأن ظلم الشريف الذي يشكون منه مع غيرهم انما هو جزء من ظلم السلطان التركي لانه على قولها قد أقامه هناك ليظلم ولن يردعه عن ظلمه في الحرم لغرضه السياسي فى ذلك ٠ وكل الناس يعلمون ان امراء مكة يربون فى الاستانة على ماتحب الدولة العثمانية وترضى وانهم عمال للحكومة العثمانية فان أساؤا وظلموا فالاساءة والظلم ينسبان الى من ولاهم وأقرّهم على ظلمهم

ومن يربط الكلب العقور ببابه فكل بلاء الناس من رابط الكلب

هذا ما تنشره هذه الجريدة وأصحاب جريدة ترك الفضلاء يطبعون جريدتهم في مطبعتها فيعلمون ماهنالك ولا يردون عليها ولا يدافعون عن جنسهم وسلطانهم الا الاوهام التي يسندها الجواسيس ودعاة الفتنة الى العرب فحسبنا الله ونعم الوكيل

كتبنا هذه الكلمات بمداد التأثر مما كتبت جريدة الجوائب الغراء ويغلب على ظننا ان هذه النبذة المردودة ليست من قلم صاحب الجريدة ولا اطلع عليها قبل نشرها لما لنا من حسن الظن بقصده وأدبه فعسى ان نرى فيها بعد مايحقق حسن ظننا

عرف قراء المنار ان من منهجه الدعوة الى الوحدة والنهي عن الفرقة والتسليم لذوي السلطة وقد كتبنا في السنة الاولى مقالات في الخلافة والخلفاء مثلنا فيها تاريخ الاسلام ومناشىء علله وأمراضه من هذه الجهة كامثلناها في مقالات أخرى فى العلماء والمرشدين وقد قلنا في فاتحة المقالة الاولى مانصه : (كما في العدد ٣٣ ص ٢٥٧)

«ليس من غرضنا فى الكلام على الخلافة بيان شرطها وانطباقها على القائم في مقام الخلافة الآن اوعدم انطباقها فان هذه المباحث انما يأتيها ارباب الاغراض الدنيوية

بل الامراض الروحية ، الذين يثيرون رواكد الاوهام، ويسرون فى دياجير الظلام،
ونقول قبل الدخول في المبحث ان كل من يحاول إشراب الافهام وجوب نزع الامامة من بني عثمان فهو عامل على الاجهاز على السلطة الاسلامية ومحوها من لوح الوجود وما لهؤلاء النوكى تكأة يتكئون عليها الا قولهم « الخلافة فى قريش » وغفلوا أو أغفلوا الشروط المهمة التى لا تكاد توجد اليوم في قرشي كالعدالة على شروطها الجامعة ، والعلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل والاحكام ، والرأي الصحيح المفضي الى سياسة الرعية وتدبير المصالح وجمع الكلمة

« وكل الذين توسوس لهم أمانيهم بالخلافة وتطريهم جرائدهم باستحقاقهم لها عراة من هذه الصفات التى هي اركان بناء الخلافة . وما جعل النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة في قريش الا لما كان لهم من المكانة في النفوس التي من أثرها اجتماع القلوب عليهم والاذعان لسلطانهم عن رضى واختيار ، وقد نال هذا المعنى آل عثمان فحصل المقصود الشرعي به »

هذا ما كتبناه من بضع سنين ولم يكن قد مضى علينا في هذه البلاد الحول فكنا نتوهم صدق بعض أقوال المرجفين ونحاول اقفال هذا الباب وإيئاس الناس منه لما فيه من الضرر

وكتبنا فى تقريظ جريدة اللواء كافي (ص٧٠٢) من السنة الثانية ما نصه:

« وقد انتقدنا عليها (اي جريدة اللواء) امرا ذا بال وهو الارجاف بأن بعض الناس فى مصر يسعون فى اقامة خلافة عربية كأن الخلافة من الهنات الهينات، تنال بسعي جماعة أو جماعات ، ولا يمكن احتقار مقام الخلافة الاعلى بأ كثر من هذا الارجاف. مقام الخلافة اسمى من ان يتطاول اليه أحد، وقد سلم السواد الاعظم من المسلمين زمامه لبني عثمان تسليما. والرابطة بين الترك والعرب هي (كما قال المرحوم كمال بك الكاتب الشهير) موثقة بالاخوة الاسلامية والخلافة العثمانية فان كان أحد يقدر على حلها فهو الله وحده وان كان أحد يفكر في ذلك فهو الشيطان . ويعلم كل خبير بحال هذا الزمن انه لا يرجف بالخلافة الارجلان ـ رجل اتخذ الارجاف حرفة للتعيش وأكل السحت أو التحلي بالوسامات والالقاب الضخمة ، ورجل اتخذه الاجانب آلة لخداع بسطاء

المسلمين بايهامهم ان منصب الخلافة ضعيف متزعزع يمكن لأي أمير ان يناله ولاية جمعية ان تزحزحه عن مكانه ليزيلوا هيبته من القلوب ويقنعوا نفوس العامة الاغرار بامكان تحويله في وقت من الاوقات ، وبأن المسلمين ليسوا راضين من الخلافة العثمانية جميعا.

« كان مصطفى كامل أفندي يوم ألف كتاب المسألة الشرقية ينسب هذا الطمع الاشعبي للانكليز ، واليوم نرى مصطفى كامل بك ياتي القول فيه على عواهنه في خطبته وجريدته (١) ويدع نفوس البسطاء تذهب فيه كل مذهب، واذا سئل الافصاح وبيان المجمل يجمجم ويغمغم ، فان كان على رأيه الاول فليصرح به ليرجع العامة عن أوهامهم والخاصة عن سوء الظن به وانه أحد الرجلين اللذين ذكرناهما آنفا ولا نظنه الا على مذهبه الاول ،وعلى اللواء في البيان المعول ،» اه

فيرى القارئ اننا في عبارة السنة الاولى كنا مغترين بكلام بعض المرجفين واننا في السنة الثانية علمنا حق العلم ان مسألة الخلافة لايلغط بها الا النفر من أصحاب الاغراض كما قلنا في مقالة (دعوى الخلافة) ويرى ان لهجتنا قوية في الانكار على كل من تكلم في هذه المسألة لاعتقادنا بضرر الخوض فيها، فقد عادانا صاحب جريدة اللواء لتشديدنا في الانكار على ما كتبه بذلك في أول ظهورها وماقاله في خطبة له تلاها في ذلك العهد• وقد كنا في غنى عن إحراج مثله بعدما كان راضيا عنا وعن المنار حتى انه كان يهنئنا على بعض المقالات ويقول ان هذه الخطة أنفع مايكتب للمسلمين . فليعذرنا أصحاب جريدة ترك وصاحب جريدة الجوائب فاننا لايمكننا السكوت عن الانكار على كل من يذكر الناس بما يوجب التفرق والخلاف لاجل لقب الخلافة المشئوم أو اختلاف الجنسية اللغوية، فحسبنا مامنينا به من المصائب والنوائب، واستبداد الحكام وسلطة الاجانب ،

أخبار الحجاز والحجاج في هذا الموسم

كتب الينا كاتب مرافق للمحمل المصري بمثل ما كتب الينا آخر من سوريا عن فقد الامن وعموم المخاوف في بلاد الحجاز وما حل بالحجاج في هذا الموسم من القتل والسلب والنهب. وكتب كاتب مصري مع المحمل من ينبع الى صديق له في مصر كتابا في تسع خلون من المحرم قال فيه مانصه :

« الحج في هذا العام لم يطرأ عليه أي طارئ وبأي فضلا عن كثرة الحجاج وازدحامهم وقذارة الطرق واهمال موظفي الصحة العثمانية

الامن مفقود في كل بلدة مر بها الحجاج والعربان مسلحون بسلاح جيد وأغلبه مكتوب عليه بالحروف الافرنجية (س ۱۰ تيمنس) والاهالي مجردون من السلاح والحكومة تمنع حمل السلاح بكل تدقيق الا الاعراب كما انها لاتحرك ساكنا اذا وقع أمامها أيّ مقتلة وقد حدث ليلة نزولنا عن عرفة قتال بالبنادق أمام مركز الحكومة الحميدية بمكة بقرب الحرم المكي الذي يقول الله فيه « ومن دخله كان آمنا » وقتل في تلك الليلة بجهة خيام المحمل (ديده بان) من العسكر المصري أثناء تأدية وظيفته ولابد ان تكونوا عرفتم تفصيل الحادثة لان أمير الحج بادر باخبار الحكومة المصرية بذلك بالبرق وبالبريد والى الآن لم نر من الحكومة العثمانية نتيجة

قتل وجرح وسلب عدد ليس بالقليل من الحجاج الذين لم يكونوا مرافقين للمحمل على الطريق بين جدة ومكة ومن وصل حيا من الجرحى لم تسعفهم الحكومة ولا بشربة ماء ، الى ان وصل المحمل وأسعفهم بالقوت والعلاج . لجأ واحد منهم الى بيت الشريف فلم يسمع له قول وحتم عليه أن يفصل واقعته على ورق تمغه وهو أمامهم مجروح مجرد ولو كان معه ثمن ورقة تمغه لسد به رمقه ، وستر به بدنه ،

تعدد خروج الحجاج المسافرين من مكة وكانت الجمالة تقتل بعض الركاب معهم وتسلب امتعة الجميع وتهرب بالاجرة وبما سلبت . ولما طالب امير الحج الوالي ولو برد الأجرة (اي الثابتة عند حكومة الحجاز رسميا) وعد بالنظر ولم يكن لوعده أقل فائدة !

اخذ المطوفون من الحجاج اعانة لسكة الحديد الحجازية ومن تأخر عن الدفع كانوا يشيرون بحبسه والذي يأمر بالحبس يكفي ان يكون واحدا من عبيد الشريف بحيث تعددت السلطة ومصادرها فلا يدري الانسان من يخافه ومن يتقيه !

الباعة في الاسواق ، والمطوفون في الحرم ، واعوان الشريف في كل مكان ، وكل من في مكة الا القليل عبارة عن منصر حرامية (زعماء لصوص) يسلبون الناس أموالهم بحيث يهلك الفقير جوعا لأن الاسعار غالية جدا والشيء الذي كانت قيمته في مكة خمسة قروش وصل الى ريالين . ذلك لان كل ما يرد من المأكولات وما يذبح يلتزمه أحد (محاسيب) الشريف ويبيعه بالثمن الذي يرضيه للباعة وأولئك قوم من جهة يشترون

بأغلى الاثمان ومن جهة أخرى يستوفون من الناس أضعاف القيمة والفقير حائر كيف يقتات ، وهو مجبور على الاقامة أياما معدودات ،

بماذا أحدثك أيها الاخ (الشفوق) أين المنصفون من أصحاب النظر يشاهدون ماشاهدناه ويعودون اليكم شارحين الحال، واصفين بلسان المقال،

تعددت الشكاوي الى أمير الحج المصري فكتب وتوجه بنفسه الى الوالي والشريف فاعترف الاول بالكتابة بأن المطوفين يحبسون الحجاج والثاني كذب. ولما أراد سعادة أمير الحج إثبات الامر رسميا خاطبه الشريف بقوله : ياحضرة الباشا مالكم حق فى التداخل : وكررها مراراً

خاطبت واحداً من التجار الاجانب: هل يعاملونكم كما يعاملون باقي التجار المكيين؟ فقال : لا وانما نتيجة السلب واحدة فاننا ندفع أجرة نقل بضائعنا بين جدة ومكة أضعافا : قلت : أما تشكون لقناصلكم ؟ فقال لي كأنهم متحدون مع السالب تمام الاتحاد فالسلب عام من الجميع والكيفية مختلفة

سمعت ان بائعي السبح قد منعوا من بيعها أولا وكانوا قد استعدوا على كميات وافرة منها فساءهم هذا الامر ولكنهم أدركوا المقصود فجمعوا مبلغا من المال وقدموه فألغوا تنبيههم الاول وأباحوا لهم بيع السبح، وانظر بعد ذلك أثمان السبح....

آه ! لوسمعت «الفرمان العلي الشان» وهو يتلى في صيوان الشريف ثاني العيد ذلك الفرمان الطويل العريض مملوء بعبارات الثناء العاطر وتعديد صفات ماسمعت تركيا وصف بها نبيا من الانبياء - ولورأيت النياشين المرصعة فى صدر الشريف والخلع التي ألبسها في هذه الحفلة بعضها فوق بعض، والوزراء والامراء والوجهاء واقفون وقوفهم للصلاة وكذلك العسكر - ولورأيت ماحوله من الجياد المطهمة عليها السرج المثقلة بالذهب الخالص الوهاج - ولو نظرت جميع الحاضرين يقبلون يد الشريف او ثيابه (الا انا فانني ولله الحمد لم أسلم عليه ولا بالإشارة) وهو لايتحرك لأكبرهم - لاستكبرت الامر واستنكرته وعلمت ان المسلمين فى غفلة اينما كانوا فى كل قطر وفي ظل كل دولة لكن بؤسهم يتفاوت بحسب حال دولهم.

لاشك أننا وصلنا الى حال يتبرأ منها الدين ويحل بنا غضب الله بسببها . كيف

نصدق فرمان خليفة المسلمين وشاهد الحال يناقضه في نفس الحفلة ؟ كيف نسمع ان الشريف مؤمن الطرق وقاطع الأشرار ، والسالك نهج آبائه الأطهار ، وانه مقيم الدين ، وناشر لواء شريعة سيد المرسلين ، (اي هذه بعض الالقاب التي يوصف بها في الفرمان وهي عشر معشار ألقاب رئيسه السلطان) اين أثر الدين فيما شاهدنا ، والاسلام يتبرأ من هذا الذي رأينا . اين الهداة الداعون الى الاسلام ؟ هل ألغي حكم آية « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

خاطبت واحداً — قيل لي إنه من علماء مكة — في شأن ما اشاهده وما حل بالحجاج فقال : لايهولنك الامر فقد ورد في القرآن في حق الحرم « ويتخطف الناس من حوله » (كذا) وقال لي آخر : « لم تكونوا بالغيه إلا بشق الانفس » . ألفاظ لايعون لها معاني ولن ترى امامك الاعمائم لاتفضل أمثالها في باب المزينين فما دونه !!! وحدث عن الوثنيات هنا بما لاتحتمله الروايات ، واسمع من المطوفين ما يثقل على الآذان خرافات وموضوعات ، تخرج الضعيف من الاسلام ، الى عقائد اولئك الجهلة الطغام ، والجهل سائد عام ، والضال المضل سيد وإمام ،

يأسف الانسان على بلاد كانت مشرق شمس الاسلام ، وفيها بيت الله الحرام ، ويكون هذا مصيرها . أريد الكلام ويمنعني أنك سريع التأثر ولكن القلب والقلم يحملان على الكتابة ، لعلك تنيبني عنك في صدقة مقبولة هي في مقدمة الصدقات ، ألا أصرف على حسابك ماتجود به نفسك على عسكر الدولة الانفار الصابرين الذين هم يبيعون الاشياء التافهة على الحجاج وحالهم اسوأ حال . كنا نسمع عن دراويش التعايشي انهم يلبسون المرقعات ولكن الفرق بين مرقعاتهم وكساوي عسكر الدولة ان مرقعات الدراويش تخاط من اول امرها ، وثياب العسكر هنا من ارث ما يكون ، مرقعة في اغلبها رقعا متراكمة فوق بعضها مختلفة الالوان ، وهي بجملتها في اشد حالات البلى والرثاثة وهم مع ذلك من اصبر الناس على هذه الحال ، وامرهم في ذلك معروف . وبأسهم الحرب موصوف ، والذي سمعته ان ذلك لم يكن من تقتير الدولة بل من سلب رؤسائهم حقوقهم . وملبسهم سواء يوم الاستعراض والايام المعتادة وكثير منهم يلبس النعال القديمة او « المراكيب » الحمر بدل « الجزم » حتى وقت (التشريفة الكبرى) .

قد رافق المحمل الشامي من المدينة الى مكة « البيجم » وهي ملكة بهوبال التابعة للحكومة الانكليزية وكاد العرب يقتلونها وهي في ركب المحمل طمعا في المال لولا ان هربوها من تحتها في شقدف كواحدة من الناس ولولا ان أمير الحج الشامي أرضاهم لفتكوا بها ان لم تعطهم كل ماطلبوا وقد قتل أحد اليوزباشية الاتراك وجرح بيكباشي في هذه الواقعة . وقد قابلني ابنها الثاني (أي ابن الملكة) الذي يلقبونه بالنواب وكنت أنا وسعادة أمير الحج على سطح الحرم المكي ودعانا الى بيته ثم دعا بعض رجال المحمل معنا وتوجهنا الى مقر «البيجم» فأكرمونا ثم ألقت علينا خطابا من خلف ستار ترجمه لنا «فيس قنصل» الانكليز بجدة وقد أجاب عليه سعادة أمير الحج ومتى عدت الى مصر أعدت اليكم أكثر ماشاهدته وقد سافرت (أي الملكة) الى بلادها ساخطة على فقد الأمن وبلغني انها شافهت الشريف بعبارات شديدة وقد انتقدا بنها على شهامة العرب قائلا : كيف يتعدون على امرأة ؟

رافقنا من مكة الى ينبع الصدر الأعظم السابق لدولة إيران لنزور المدينة معا فلما وصلنا الى ينبع تعنت الاعراب معنا ومنعونا المرور للاسباب التي سأذكرها لكم بعد ولما كان يهمه دخول المدينة باكرا ليحضر بها يوم عاشوراء (والقوم أمثال القوم) اتفق مع العرب على دفع خمس جنيهات عن كل نفر معه جعلا للعرب نظير المرور فقط لا في نظير خدمة، وترك مرافقة المحمل وسافر . ورافقنا من مصر وزير المغرب الأقصى الى ينبع ورافقنا من مكة أمير حج ابن دينار وجماعة فقال عنهم الاعراب : ان معكم سلطان مراكش وسلطان دارفور ولا تمرون الا بما يناسب مقام الدولة ومقام ذينك السلطانين

وصلنا الى ينبع يوم السبت الماضي ولا نزال بها الى اليوم ننتظر عودة سعادة أمير الحج من جدة الذي ذهب ليخابر الحكومة المصرية بالتلغراف بما يرغبه الاعراب لخلو مينا، ينبع من التلغراف . ومحصل مسألتهم انهم في العام الماضي طلبوا من أمير الحج ان يصرف لهم مرتبات لم تصرف اليهم منذ ثلاثين سنة وهي آلاف من الريالات فقال لهم : إني لا أعلم بأثر من مرتباتكم هذه ولكن لكم ان تكتبوا طلبا الى الحكومة بها وان تتنازلوا عن الماضي الى الآن ومتى وجد لمرتباتكم أثر تصرف اليكم من جديد ، عاد بطلباتهم واستكشف عنها فلم يجدلها أثراً فأعادوا الطلب منه الآن وامتنعوا عن التنازل عن مامضى واغلظوا القول وبعثوا اليه الكتاب بالتهديد والإنذار والممانعة من المرور،

وليتنا رأينا فيهم رشيدا بل هم أراذل ادنياء قليلو الأدب يكذب بعضهم بعضا ويحتقر أحدهم الآخرين كثيرو اللغط بلا فائدة ومع محاسنتنا لهم وتعب أمير الحج والمحافظ معهم سرا وعلانية لم يفد كل ذلك فيهم فاضطر الى السفر الى جدة للمخابرة ولابد انكم تعلمون النتيجة قبل ان نعلمها هنا .

التلغراف: في هذه البلاد يؤخذ فيه عن كل كلمة ثلاثة فرنكات تقريبا، وواو العطف كلمة ، ولو كانوا قوما يفقهون لرخصوا الأجرة فيقبل الحجاج عليهم ويتخاطبون مع أهليهم بتلغرافات عديدة ولربحوا الأموال الطائلة . البوستة غريبة فى كل أحوالها التي لاتتفق مع المعقول ولا أمان فيها على المراسلات . حتى انني لا أدري ايصل اليكم هذا أو يصل الى الشريف ؟ وقد كتبته وكلا الامرين مفيد عندي . رأيت وانا على جبل عرفات عربية على رأسها برنيطة فقلت لها : بيعيني مظلتك هذه : فقالت : الشمس تؤذيني : قلت : هذه شمسيتي الثمينة خذيها فهي انفع وتعبت معها حتى اقنعتها وسأحضرها معي . اه المراد منه

(المنار) قد كتب بمعنى هذا الكتاب كثيرون من الحجاج الى أهليهم وأصدقائهم وأعجب شئ فيه عندي تحريف ذلك الجاهل المعمم في مكة لقوله تعالى « أولم يروا أنا جعلنا حرما آمناً ويتخطف الناس من حولهم » فان الله يمتن بهذه الآية على من فى الحرم بأنه وهبهم الأمن في بلاد المخاوف فهم آمنون والبلاد التي وراء الحرم من كل ناحية أي التي حوله لاأمن فيها ، وقد جعل ذلك الجهول الآية مثبتة لنفي الامن من الحرم نفسه . ومثله فى الجهل من حرف امتنان الله تعالى على أهل مكة الناس عامة بالأنعام اذ جعل من منافعها انها تحمل أثقالهم الى البلاد التي لاتبلغ لولاها الابشق الانفس فجعلها مثبتة لوجوب اهانة الحجاج والتعدي عليهم . ويقصد الكاتب بأمثالهم فى باب المزينين أهل الازهر وقد رأى القراء في باب السؤال والفتوى نموذجا من تحريف بعضهم لكتاب الله تعالى . اللهم ان بني اسرائيل لم يحرفوا كتابك التوراة بأكثر مما تحرف هذه العمائم كتابك الفرقان فافرق بينهم وبين عبادك المغرورين بغرورهم بهم وافصل بينهم بالحق وأنت خير الفاصلين . (انتظر الكلام على الحج في الجزء الآتي)

﴿ رزء الشام بالشيخ محمد علي أفندي مسلم ﴾

وافانا نبأ وفاة هـذا النابغة قبيل طبع الصحيفة الاخيرة من هذا الجزء عاجلته المنية بالامس عن أربعين سنة أي عند ما بلغ أشده واستوى وصار يرجى منـه في تحمل اعباء الدعوة الى الاصلاح أكثر مما سبق له فكان ألم المصاب به عاما وأشدوقعه على انصار العلم والاصـلاح الذي فقدوا بفقده ركنا ركينا واخا كريما • وقد قال صديقه رفيق بك العظم هذه الابيات المؤثرة في رثائه رحمه الله واحسن عزاء نافيه:

أيها المـوت كم هززت نفوساً ... طالما هزت الخطوب الجساما
نحن كنا كالصلد ان مسه الخطـ ... ـب ورت ناره وأذكت ضراما
فاصطلمت الجـلادة اليوم منـا ... فغـدا القلب يشتكي الآلاما
وتجـاوزت غاية الصبر حـتى ... قد فقدنا السكون والاحتشاما
مذ صـدعت القلوب بالنبأ الفا ... جع صدعاً لن يقبل الالتئاما
ورميت الصـديق منك بسـهم ... دأبه ان يصيب منا الكراما
قـد كفانا بالامس فقـد همام ... فلـم اليوم قـد فقـدنا هماما
عمـرك الله مانطيـق حياةً ... بعد ذا الخطب أونريد سـلاما
كلما أنـعم الزمان بفـرد ... ورجونا ان ينفـع الاسـلاما
فجعتنا به المنـون كأن الـ ... ـموت يفدي بالا كرمين الطغاما
أوكأنّ المنون حاكم قـوم ... مستبـد يصادر الاحـلاما
ياعليـا بتّ العـليّ وانا ... لم نزل بالدنا نعاني السـقاما
ما رعينـا فيـك الذمام والا ... لتبغنـاك لو رعينـا الذماما
مذ رأيت الحياة في الشرق أضحت ... نكداً يؤلم النفوس العظاما
كبرت نفسـك العظيمة حـتى ... ماتطيق الدنيـا ولا الاجساما
فمضت للسـماء تطلب فيهـا ... عالم الروح منزلا ومقـاما
حبـذا منزلا ولكن فى عد ... مك للنـاس حاجـة ومراما
كنت للحق والفضيلة ركـنا ... فتـداعى وللثبات قـواما
ولقيت الخطوب ممن يعـادى الـ ... ـعقل والعـلم أو يحب الخصاما
فلك اليوم فى النفـوس مقـام ... نلت فيـه محبـة واحـتراما
فعليك العيون تبـكي دماءً ... وعليك السـلام يتلو السـلاما

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — السبت غرة صفر سنة ١٣٢٢ — ١٧ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٤ ﴾

﴿ القسم الديني ﴾

﴿ تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

« سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ؟ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ، وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ انَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * »

كان أنبياء بني اسرائيل يصلون الى بيت المقدس وكانت صخرة المسجد الأقصى هي قبلتهم وقد صلى النبي والمسلمون اليها زمنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتشوف لاستقبال الكعبة ويتمنى لو حول الله القبلة

اليها فأمره الله بذلك كما يأتي تفصيله في الآيات الآتية . وقد ابتدأ الكلام فى هذه المسألة ببيان مايقع من اعتراض اليهود وغيرهم على التحويل وإخبارالله نبيه والمؤمنين به قبل وقوعه وتلقينهم الحجة البالغة عليه والحكمة السديدة فيه ، ويتضمن هذا بيان سر من أسرار الدين وقاعدة كبرى من قواعد الايمان كان أهل الكتاب فى غفلة عنها وجهل بها ، فهذه الآيات متصلة بما قبلها في كونها محاجة لاهل الكتاب فى أمر الدين لإمالتهم عن التقليد الاعمى فيه والجمود على ظواهره من غير تفقه فيه ولا نفوذ الى أسراره وحكمه التى لم تشرع الأحكام الالأجلها

ليست صخرة بيت المقدس بأفضل من سائر الصخور فى مادتها وجوهرها ، وليس لها منافع وخواص لاتوجد في غيرها ، اولا هيكل سليمان فى نفسه من حيث هو حجر وطين أفضل من سائر الابنية، وكذلك يقال فى الكعبة والبيت الحرام كما تقدم فى تفسير « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت » وإنما يجعل الله للناس قبلة لتكون جامعة لهم فى عبادتهم الى آخر ماتقدم شرحه في تفسير « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » وفى الكلام على الكعبة والحج . ولكن سفهاء الاحلام من أهل الجمود يظنون أن القبلة أصل فى الدين من حيث هى الصخرة المعينة أو البناء المعين ولذلك كانت الحجه التي لقنها الله لنبيه فى الرد على السفهاء الجاهلين بهذه الحكمة (قل لله المشرق والمغرب) أي إن الجهات كلها لله تعالى لافضل لجهة منها بذاتها على جهة وان لله أن يخصص منها ماشاء فيجعله قبلة لمن يشاء وهو الذي (يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وهو صراط الاعتدال فى الافكار والاخلاق كما يبين في الآية الآتية،

فعلم أن نسبة الجهات كلها الى الله تعالى واحدة وان العبرة فى التوجه اليه سبحانه بالقلوب لا بالوجوه

ومن مباحث اللفظ أن السفه والسفاهة الاضطراب فى الرأي والفكر أو الأخلاق يقال : سفه حلمه ورأيه ونفسه : ومنه : زمام سفيه أي مضطرب لمرح الناقة ومنازعتها إياه . واضطراب الحلم (العقل) والرأي جهل وطيش ، واضطراب الأخلاق فساد فيها لعدم رسوخ ملكة الفضيلة . قال البيضاوي وأحسن فى تفسير السفهاء هم « الذين خفت أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر . يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين . وفائدة تقديم الاخبار توطين النفس وإعداد الجواب » وولاه عن الشيء صرفه عنه

قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وهو تصريح بما فهم من قوله « والله يهدي من يشاء » الخ أي على هذا النحو من الهداية جعلناكم أمة وسطا . قالوا ان الوسط هو الخيار وذلك أن الزيادة على المطلوب فى الامر إفراط والنقص عنه تفريط وتقصير وكل من الافراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة فهو شر ومذموم فالخيار هو الوسط بين طرفي الامر أي المتوسط بينهما . قال الاستاذ الامام بعد ايراد هذا : ولكن يقال لم اختير لفظ الوسط على لفظ الخيار مع ان هذا هو المقصود والاول إنما يدل عليه بالالتزام ؟ والجواب من وجهين - أحدهما أن وجه الاختيار هو التمهيد للتعليل الآتي فان الشاهد على الشيء لابد أن يكون عارفا به ومن كان متوسطا بين شيئين فانه يرى أحدهما من جانب وثانيهما من الجانب الآخر وأما من كان في أحد الطرفين فلا يعرف

حقيقة حال الطرف الآخر ولا حال الوسط أيضا . وثانيهما ان في لفظ الوسط إشعارا بالسببية فكأنه دليل على نفسه أي أن المسلمين خيار وعدول لانهم وسط أي انهم ليسوا من أرباب الغلو في الدين المفرطين، ولا من أرباب التعطيل المفرّطين ، فهم كذلك في العقائد والاخلاق والاعمال

ذلك أن الناس كانوا قبل ظهور الاسلام على قسمين - قسم تقضي عليه تقاليده بالمادية المحضة فلا همّ له الا الحظوظ الجسدية كاليهود والمشركين وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحانية الخالصة وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية كالنصارى والصابئين وطوائف من وثنيي الهند أصحاب الرياضات

وأما الامة الاسلامية فقد جمع الله لها في دينها بين الحقين حق الروح وحق الجسد فهي روحانية جثمانية وان شئت قلت انه أعطاها جميع حقوق الانسانية فان الانسان جسم وروح حيوان وملك . فكأنه قال جعلناكم أمة وسطا تعرفون الحقين ، وتبلغون الكمالين ، (لتكونوا شهداء) بالحق (على الناس) الجسمانيين بما فرطوا في جنب الدين ، وعلى الروحانيين اذ أفرطوا وكانوا من الغالين ، فتشهدون على المفرّطين بالتعطيل القائلين : « إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » بأنهم أخلدوا الى البهيمية ، وقضوا على استعدادهم بالحرمان من المزايا الروحانية ، وتشهدون على المفرطين بالغلوّ في الدين القائلين : ان هذا الوجود حبس للارواح وعقوبة لها فعلينا أن نتخلص منه بالتخلي عن جميع اللذات الجسمانية وتعذيب الجسد وهضم حقوق النفس وحرمانها من جميع ما أعده الله لها في هذه الحياة : بأنهم خرجوا عن جادة الاعتدال وجنوا على أرواحهم بجنايتهم على أجسادهم وقواها الحيوية ، تشهدون على هؤلاء

وهؤلاء وتسبقون الامم كلها باعتدالكم وتوسطكم فى الامور كلها، ذلك بأن ماهديتم اليه هو الكمال الانساني الذي ليس بعده كمال لان صاحبه يعطي كل ذي حق حقه - يؤدي حقوق ربه وحقوق نفسه وحقوق جسمه وحقوق ذوي القربى وحقوق سائر الناس. قال تعالى (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي ان الرسول عليه الصلاة والسلام هو المثال الاكمل لمرتبة الوسط وانما تكون هذه الأمة وسطا باتباعها له فى سيرته وشريعته وهو القاضي بين الناس فيمن اتبع سنته ومن ابتدع لنفسه تقاليد أخرى أو حذا حذو المبتدعين، فكما تشهد هذه الأمة على الناس بسيرتها وارتقائها الجسدي والروحي بأنهم قد ضلوا عن القصد يشهد لها الرسول بما وافقت سنته وما كان لها من الاسوة الحسنة فيه بأنها استقامت على صراط الهداية المستقيم فكأنه قال: انما يتحقق لكم وصف الوسط اذا حافظتم على العمل بهدي الرسول واستقمتم على سنته، وأما اذا انحرفتم عن هذه الجادة فالرسول بنفسه ودينه وسيرته حجة عليكم بأنكم لستم من أمته التي وصفها الله فى كتابه بهذه الآية وبقوله «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» الخ بل تخرجون بالابتداع من الوسط وتكونون فى أحد الطرفين كما قال الشاعر وقد استشهد به الزمخشري فى تفسير الآية:

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

﴿الاستاذ الامام﴾ يقال ان هذا خبر عظيم بمنحة جليلة، ومنة بنعمة كبيرة، فكيف جيء به معترضا فى أطواء الكلام عن القبلة ولم يجئ ابتداء أو فى سياق تعداد الآلاء والنعم؟ والجواب ان الله تعالى علم ان الفتنة

بمسألة القبلة ستكون عظيمة ، وأن سيقول أهل الكتاب ان محمدا ليس على بينة من ربه لانه غير قبلته ولو كان الله هو الذي أمره بالصلاة الى بيت المقدس لما نهاه عنه ثانيا وصرفه عن قبلة الانبياء ، ويقول المنافقون انه صلى أولا الى بيت المقدس استمالة لاهل الكتاب ودهانا لهم ثم غلب عليه حب وطنه وتعظيمه فعاد الى الكعبة فهو مضطرب فى دينه ، وأمثال هذه الشبهات على كونها تدل على عدم الاعتدال فى أفكار قائليها تؤثر فى نفوس المسلمين فالمطمئن الراسخ فى الايمان يحزن لشكوك الناس وتشكيكهم فى الدين والضعيف غير المتمكن ربما يضطرب ويتزلزل ، لذلك بدأ الله باخبار المسلمين بما سيكون بعد تحويل القبلة من إثارة رياح الشبه والتشكيك ولقنهم الحجة ، وبين لهم مافيها من الحكمة ، وبين لهم منزلتهم من سائر الامم وهي أنهم أمة وسط لا تغلو فى شيء ولا تقف عند الظواهر وانهم شهداء على الناس وحجة عليهم باعتدالهم في الامور كلها ، وفهمهم لحقائق الدين وأسراره ومن أهمها أن القبلة التي يتوجه اليها لا شأن لها فى ذاتها وانما العبرة فيها باجتماع أهل الملة على كيفية واحدة عند التوجه الى الله تعالى ولما كانت نسبة الجهات اليه سبحانه وتعالى واحدة اذ لا تحصره ولا تحدده جهة كان التزام الجهة المعينة منها لغير مجرد الاتباع لامر الرسول عن الله تعالى ميلا مع الهوى أو تخصيصا بغير مخصص ، وكلاهما مما لا يرضاه لنفسه العاقل المعتدل فى أمره ، نعم ان له ان يسأل عن حكمة التحول والانتقال لا سيما بعد ما ثبت بالواقع ان الرسول الذي أمر به لم يأمر الا بما ظهرت فائدته ومنفعته للممتثلين له من إصلاح النفوس وحملها على الخير وتوجهها الى البر مما دل على انه مؤيد من الله تعالى .

وجملة القول ان إعلام الله رسوله والمؤمنين بما سيكون من الكافرين

والمنافقين وتلقينه إياهم الحجة وانزالهم منزلة الشهداء والحكمين ثم تبيينه لهم حكمة التحويل كان مؤيدا ومسددا لهم ونورا يسعي بين أيديهم في ظالمة تلك الفتنة المدلهمة ولعمري ان هذه هي البلاغة التي لاغاية وراءها. اعلام بما سيكون من اضطراب السفهاء في أقوالهم أشير اليه بالاستفهام مجملا ولم يذكر معه وجه الشبهة حتى لاتسبق الى النفوس والغرض إقامة الموانع من تأثيرها عند ورودها من أربابها ،واختصار للبرهان ببيان ان المشرق والمغرب كسائر الجهات لله تعالى أي يخصص منها مايشاء فيجعله قبلة لمن يشاء، وبيان لمكانة الامة المحمدية التي أعطيت كل أصل ديني بدليله وحكمته وكلفت بالعدل والاعتدال في الامر كله أي فلا يليق بها ان تبالي بانتقاد السفهاء المذبذبين بين الافراط والتفريط بعد هذا . قال عز شأنه:

(وماجعلنا القبلة التي كنت عليها الالنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) قال مفسرنا الجلال : وما صيرنا القبلة لك الآن الجهة التي كنت عليها اولا وهي الكعبة الخ : وهو مبني على قول الاقلين إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي اولا الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى بيت المقدس فيكون النسخ قد حصل مرتين والاكثرون على ان المراد بالقبلة التي كان عليها بيت المقدس أي وماجعلنا القبلة فيما مضى هي الجهة التي كنت عليها الى اليوم ثم امرناك بالتحول عنها الى الكعبة الاليتبين الثابت على ايمانه ممن لاثبات له فهو عرضه لرياح الشبهات تطير به حيث تغدو وتروح أي ان الله تعالى يختبر المؤمنين بمايظهر به صدق الصادقين وريب المرتابين وانما يثبت من فقه في الشيء فعرف سره وحكمته واما المقلد لآخذ بالظواهر من غير فقه ولاعرفان فلا يثبت في مهاب عواصف الشكوك والشبهات.

وقال بعض المحققين ان هذه الجملة من قبيل « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الافتنة للناس » فالرؤيا لم تكن بنفسها فتنة وانما افتتن الناس اذ أخبروا بها ولم يفقهوا المراد منها . كذلك القبلة ليس في جعل جهة كذا قبلة فتنة واختبار للناس وانما الفتنة فيما ترتب على ذلك من حيث كونه صرفا عن قبلة الى غيرها فالسفهاء والجهال الذين لا يفقهون ينكرون هذا التحويل ويرونه أمرا عظيما ، والذين هداهم الله الى فقه ذلك يرونه أمرا حكيما ، ولذلك قال تعالى (وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله) فمنحهم الاعتدال في الفكر والادراك وفي الميل والرغبة

وقوله تعالى «لنعلم» معهود في القرآن كثيرا ومثله «ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم» وقوله «ليعلم الله من يخافه» والعقل والنقل متفقان على ان علمه تعالى قديم لا يتجدد وللمفسرين في هذه الالفاظ أقوال ذكر الاستاذ الامام أظهرها فقال ما مثاله : جرت عادة العرب في لغتها ان ينسبوا للرئيس والكبير ما يحدث بأمره وتدبيره . يقولون: فتح الامير البلد وقاتل الجيش: وكثيرا ما يقولون هذا والامير ليس واحدا من العاملين فهو أسلوب معهود اذا أريد اسناد الفعل الى الجمهور اسندوه الى المقدم فيهم . ولما كان الله تعالى ولي الذين آمنوا وخاطبهم خطاب السيد صح بحسب هذا الاسلوب العربي ان يذكر الفعل بصيغة الجمع التي تشمل المتكلم وغيره وان كان غيره هو المقصود بالفعل ، فمعنى « الا لنعلم» الا ليعلم عبادي المؤمنون باعلامي إياهم ، وقد علم المؤمنون في هذه الفتنة من هو الثابت على اتباع الرسول (ص) ومن هو المنافق الذي قلبته ريح الشبهة على عقبيه ، وكان المنافقون مع المؤمنين بحيث لا يميز أحدهم الآخر لقيامهم جميعا بأداء الاعمال الظاهرة

المطلوبة ، وهكذا كان سبحانه وتعالى يمحص ما في القلوب بما يبتلي به الناس من الفتن «أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين» وعلى هذا الاسلوب جاء ماروي في الحديث القدسي «ياعبدي مرضت فلم تعدني ، وجعت فلم تطعمني ، وعطشت فلم تسقني» خرجوه على ان المراد مرض عبادي الفقراء الذين هم عيال الله فلم تعدهم الخ نعم ان الرواية غير صحيحة ولكن لم يفهم أحد منها انها على ظاهرها لقطع العقل بأن هذا محال ولقوله تعالى «ماأريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون» وقالت العرب : اني جائع في بطن غيري وعريان في ظهر غيري : ويدخل في هذا الاسلوب أيضا مثل قوله تعالى «من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا» أي يعطي عباده المحتاجين ، والله يكافئه عنهم اذ كانوا عاجزين ،

وثم وجه آخر في تفسير «لنعلم» هو أدق من هذا جرى عليه مفسرنا (الجلال) وغيره وهو ان المراد بالعلم في مثل هذا علم الظهور والوقوع ذلك أن الله تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها أنها ستقع لا أنها واقعة ويعلمها بعد وقوعها أنها وقعت والجزاء يترتب على ما وقع بالفعل فقوله هنا «لنعلم» يراد به الثاني أي لنعلم علم وقوع ووجود يترتب عليه الثواب والعقاب وليس معناه انه تجدد له علم لم يكن وانما التجدد في المعلوم لا في نفس العلم أي ان المعلوم لم يكن موجودا ثم وجد وظهر كانه قال : ماجعلنا القبلة جهة بيت المقدس الا لنحولها ونمتحن المؤمنين بالتحويل ليظهر ماثبت في العلم القديم من اتباع بعض الناس للرسول واستقامتهم على هدايته وانقلاب بعضهم على عقبيه وإظهاره ما أكنه في نفسه من الريب وبذلك يمتاز

المهتدون من الضالين، وتقدم الحجة للمؤمنين على الكافرين . ومعنى الانقلاب على العقبين هو الانصراف عن الشيء وتركه بالمرة فالمنقلبون قد خرجوا من عداد المؤمنين . ويقال رجع على عقبيه ونكص على عقبيه وأبلغها انقلب على عقبيه لما فيها من الاشعار بانه رجع عن خير الى شر أو من سوء الى اسوأ

قال الاستاذ الامام : ومن قبيل استعمال العلم في متعلقه ومايصدق عليه قوله تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي » الآية وقوله « ولو ان مافي الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله » فالمراد من الكلمات هنا الموجودات كلها عبر عنها بذلك لان كل موجود منها وجد بكلمة الله (كن)

ثم قال جل شأنه (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أكثر المفسرين ومنهم الجلال على ان المراد بالايمان هنا الصلاة إذ ورد ان بعض المؤمنين أحبوا ان يعرفوا حال صلاتهم قبل التحويل أو صلاة من مات ولم يصل الى الكعبة فاراد الله أن يبين لهم انه يتقبل من الصلاة ماكان أثر الايمان الخالص أي متى كنتم تصلون إيمانا واحتسابا لارياء ولا سمعة فصلاتكم مقبولة لانها أثر الايمان الراسخ في القلب المصلح للنفس، فتسمية الصلاة على هذا إيمانا ليس لانها أعظم أركان الدين بل للاشارة الى ما قلناه وبيان ان مزيتها في منشئها الباعث عليها من الايمان والاخلاص ولذلك يقرن الايمان دائما بذكر الصلاة والزكاة . فالصلاة هي آية الايمان القلبية الخفية لأنها لاتكون آية الا باخلاص القلب ، والزكاة هي الدليل الحسي الظاهر . وقد يغش الجاهل بالصلاة فيتوهم انه أقامها كما أمر الله اذا ادى هذه الاعمال الظاهرة التي هي صورتها وان كانت هذه الصورة

خالية من روح الاخلاص والتوجه القلبي الى الله تعالى ولكن الزكاة آية على الايمان ، لايقدر ان يغش نفسه بها إنسان، فليحاسب مؤمن بالله وكتابه نفسه

الاستاذ الامام : ان سياق الآية بل الآيات يدل على أن الايمان هنا مستعمل فى معناه فانه لما بين أمر الفتنة فى تحويل القبلة وبين ان من الناس من ينقلب الى الكفر ويترك الايمان ومنهم من يثبت علي ايمانه عالما ان الاعتماد فى مثل مسألة القبلة على اتباع الرسول لان الجهات فى نفسها متساوية لافضل لجهة منها على جهة بشر هؤلاء المؤمنين المتبعين بأنهم يجزون علي ايمانهم الجزاء الاوفى فلا يضيع الله أجرهم ولا يلتهم من ثباتهم على اتباع الرسول شيئا

وهذا الذي قاله الامام ظاهر لكل من يفهم هذا السياق العجيب ومن عجيب شأن رواة أسباب النزول انهم يمزقون الطائفة الملتئمة من الكلام الالهي ويجعلون القرآن عضين بما يفككون الآيات ويفصلون بعضها من بعض بل ربما يفصلون من الجمل الموثقة فى الآية الواحدة فيجعلون لكل جملة سببا مستقلا كما يجعلون لكل آية من الآيات الواردة فى مسألة واحدة سببا مستقلا . انظر هذه الآيات تجد اعجازها فى بلاغة الاسلوب ان مهدت للامر بتحويل القبلة مايشعر به فى ضمن حكاية شبهة المعترضين التي ستقع منهم ، وبتوهين هذه الشبهة بإسنادها الى السفهاء من الناس وإيرادها مجملة ، وبوصلها بالدليل على فسادها ، وبذكر هداية الصراط المستقيم الذي لاتفريط فيه ولا إفراط، وبذكر مكانة هذه الأمة بدينها واعتدالها فى جميع أمرها، وببيان الحكمة فى جعل القبلة الاولى قبلة ، وبالتلطف فى الاخبار عما سيكون من ارتداد بعض من يدعون الايمان عن دينهم افتتانا

بالتحويل وجهلا بالامر اذ أورد الخبر في سياق بيان الحكمة حتى لا يعظم وقعه على النبي والمؤمنين ، وبيان ان المسألة كبيرة على غير المنعم عليهم بالهداية الالهية التي سبق ذكرها وهي الايمان الكامل بمعرفة دلائل المسائل وحكم الاحكام، ثم بتبشير المؤمنين المهتدين الثابتين على اتباع الرسول (ص) بإثابة الله إياهم برأفته ورحمته وفضله وإحسانه . وبعد هذا كله أمره بالتحول أمرا صريحا كما سيأتي في تفسير بقية الآيات . أفيصح فى مثل هذا السياق الموثق بعض جمله وآياته ببعض ان تفك وُثُقه ويجعل نتفا نتفا ويقال ان كل جملة منه نزلت لحادثة حدثت أو كلمة قيلت وان أدى ذلك الى قلب الوضع وجعل الاول آخرا والآخر أولا ، وجعل آيات التمهيد متأخرة في النزول عن آيات المقصد ؟؟؟ اتسمح لنا اللغة والدين ، بأن نجعل القرآن عضين ، لاجل روايات رويت وان قيل ان اسناد بعضها قوي بحسب ما عرف من تاريخ الراوين ؟؟؟

وقد ختمت الآية بقوله تعالى (ان الله بالناس لرؤف رحيم) لبيان إن توفية المؤمن المخلص أجره هي من آثار رأفته ورحمته سبحانه فلا يخشى ان تتخلف وأن يضيع أجر المؤمنين الصادقين . قال الجلال : والرأفة شدة الرحمة وقدم الابلغ للفاصلة : وأنكر الاستاذ الامام هذا القول أشد الانكار وينكر مثله فى كل موضع فيقول ان كل كلمة فى القرآن موضوعة فى موضعها اللائق بها فليس فيها كلمة تقدمت ولا كلمة تأخرت لاجل الفاصلة . لان القول برعاية الفواصل اثبات للضرورة كما قالوا فى كثير من السجع والشعر انه قدم كذا وأخر كذا لاجل السجع أو لاجل القافية والقرآن ليس بشعر ولا التزام فيه للسجع وهو من الله الذي لا تعرض له الضرورة بل

هو على كل شئ قدير وهو العليم الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه.
وما قال بعض المفسرين مثل هذا القول الا لتأثرهم بقوانين فنون البلاغة وغلبتها عليهم في توجيه الكلام مع الغفلة في هذه النقطة عن مكانة القرآن في ذاته وعدم الالتفات الى ما لكل كلمة في مكانها من التأثير الخاص عند أهل الذوق العربي. (قال) وعندي ان الرأفة أثر من آثار الرحمة والرحمة أعم فان الرأفة لا تستعمل الا في حق من وقع في بلاء والرحمة تشمل دفع الالم والضرر وتشمل الاحسان وزيادة الاحسان، فذكر الرحمة هنا فيه معنى التعليل والسببية وهو من قبيل الدليل بعد الدعوى فهو واقع في موقعه كما تحب البلاغة وترضى كأنه قال ان الله رؤف بالناس لانه ذو الرحمة الواسعة فلا يضيع عمل عامل منهم أو لا يبتليهم بما يظهر صدق ايمانهم واخلاصهم في اتباع رسوله ليضيع عليهم هذا الايمان والاخلاص بل ليجزيهم عليه أحسن الجزاء. واذا كان أثر الرأفة دفع البلاء كما قال الاستاذ الامام فيجوز ان يكون ذكر الرحمة بعدها إيماء الى انه لا يكتفي تعالى بدفع البلاء عن المؤمنين برأفته بل يعاملهم بعد ذلك بالرحمة الواسعة والاحسان الشامل ويزيدهم من فضله

ثم ان المفسرين قد بينوا ان كلا من الرأفة والرحمة في الانسان انفعال في النفس أثره ماذكر آنفا والانفعال محال على الله تعالى فتفسر هذه الالفاظ اذا وصف بها سبحانه وتعالى بآثارها وتقدم شرح هذا المقام في تفسير البسملة

شبهات النصارى وحجج الاسلام

﴿ سوريا والاسلام (٢) ﴾

﴿ (٥) سوريا قبل الفتح العربي ﴾

أراد صاحب مقالات (سوريا والاسلام) ان يثبت ان التعصب لم يكن في سوريا قبل الفتح الاسلامي فذكر «ان تلك الشعوب العظيمة التي عاشت هناك منذ أول عهد التاريخ حتى انقراض الدولة الفينيقيــة ، كانت الحروب بينها وبين الفراعنة مستمرة وكانت سجالا والغالبة تأخذ الجزية من المغلوبة ولكن لم يكن ذلك لاجل الدين بل لاجل السلطة والعظامة . ثم ذكر ان الاسرائيليين الذين هجموا على فلسطين هجوم العرب على سوريا «(حاولوا) ان يلبسوا حروبهم صبغة دينية لكن قبائل الكنعانيين والحثيين والاموريين واليبوسيين وغيرها حاربهم دفاعا عن الوطن وعن الحرية والاستقلال» ثم ذكر ان «هذا التعصب والثوب الديني الذي (حاول) الاسرائيليون ان يلبسوه لحروبهم وان يضموا به جامعتهم وينهضوا مملكتهم» مالبث ان تمزق بعد سليمان ثم بلي

ماأعجب شأن هذا الكاتب وما أشد تعصبه لما يعلم أولما لايعلم !! كان بالامس يمثــل بديانة بوذه للدين الصحيح الذي لاحرب فيه ويستدل على انه شارع محق ولا يذكر موسى ولا شريعته عند التمثيل للديانات الصحيحة بل يعرض بأنها باطلة وهو اليوم يفضل تلك القبائل الهمجية الوثنية التي كانت تقيم في سوريا قبل الفنيقيين على شعب إسرائيل شعب الله كما يفضل عليهم فراعنة مصر وأهلها الوثنيين ، ويفضل عليهم أيضا تلك القبائل الوثنية التي كانت في بلاد فلسطين وان كان الله قد فضل شعب إسرائيل على هؤلاء أجمعين ، ونجاه من سلطة بعضهم وجعل له السيادة على الآخرين . كل هذا يخالف دينه واعتقاده وهكذا يفعل الغلو في التعصب حتى يجني الغالي على مايتعصب له !!! اي مزية لقبائل نيفليم وأميم ورفايم وزوزيم وعناقيم وزمزوميم تلك الحيوانات الوثنية على بني إسرائيل سلالة النبيين وحملة الكتاب والدين . انه قد أثبت لليهود عين ماينسبه الى الاسلام ولم يتلطف معهم الا بكلمة (حاولوا) وهي لغو حيث وضعها فان كان ينكر الديانة الموسوية لاجل الانكار على الديانة المحمدية لشرهه واسرافه في بغض هذه أفلا يتذكر انه يهدم بذلك الديانة المسيحية أيضا ؟؟

وان كان لا يبالي بهدم الاديان السماوية بغضا بالمسلمين فليجعل المفاضلة بين الديانة الوثنية ، وديانة التوحيد الالهية ، وان كان يرى تحريم الحرب لاجل حرية الدين ونشره وهو ما لا يفعله الآن أحد الا المسيحيون — وان سبقهم به اليهود والمسلمون — هو الذي يفضل به دين دينا فلاشك ان الوثنية أفضل من المسيحية وغيرها من الديانات السماوية فما باله يخص المسلمين بالذم والقدح؟

هذا الكاتب نصراني في الظاهر ولكنه في الواقع اما وثني وإما معطل يحكم العقل فقط فان كان وثنيا فلا كلام لنا معه الا بعد المناظرة في أصل الوثنية فان أثبتها فله الفالج فيما يتفرع عنها والا فكلامه ساقط ، وان كان يحكم العقل فكيف ساغ له ان يعد الحرب السياسية لأجل « توسيع الحدود وبسط السلطة والعظمة » جائزة وخيرا ونافعة ، والحرب لاجل حرية الدين ونشر دعوة الحق التي يعتقد صاحبها ان فيها سعادة الدارين ممنوعة وشرا وضارّة ؟ وكيف ذكر بعبارة الرضى والاستحسان اغارة البابليين على الاسرائيليين وسبيهم وتخريب هيكلهم وزحف الرومانيين الى سوريا واحراق الهيكل بعد ما بني ثانية وتدمير المدينة بفعل طيطس ؟ أليس هذا اضطهادا للدين لم يفعل مثله المسلمون ؟

ثم ذكر ان الرومانيين قد قضوا على بقية تعصب اليهود في سوريا بما فعله طيطس الوثني الظالم وانه لم يظهر التعصب فى سوريا بعد ذلك الا بعد الفتح العربي . وطوى فى هذه الدعوى تاريخ النصرانية وما كان منها من التعصب الذي تقشعر منه الجلود والذي جعل اليهود من أنصار المجوس على النصارى تشفيا وانتقاما ثم من انصار المسلمين عليهم أيضا ليستنشقوا فى ظل هذا الدين نسيم الحرية الدينية الرطب اللطيف بعد النجاة من رمضاء التعصب النصراني وسمومه التي تلفح القلوب دون الجلود . وهذا الذي نومئ اليه مدون بالبسط في كتب أحرار الافرنج المنصفين وغيرهم الذين لهم الفضل على محبي الحقائق في كل زمان ومكان

قال الكاتب المؤرخ ان التعصب الاسرائيلي زال من سوريا بعد تدمير طيطس مدينة أورشليم سنة ٧٠ بعد المسيح . ولكن التاريخ يقول بغير ما قال هذا المؤرخ — يقول التاريخ ان اليهود قد حقدوا زمنا وكتموا تعصبهم عجزا ثم دفعهم الحقد الى ثورة عظيمة ادعى زعيمها بيرة قوشير انه هو المسيح فاجتمع عليه اليهود واشتعلت نار

الحرب بينهـم وبين الرومانيين على عهد الامبراطور هارديان ثلاث سنين حتى قتل الزعيم ويقال انه قتل في هذه الحرب من الاسرائيلين خمس مئة ألف ونيف وأمر هارديان بمحو خرائب أورشليم وطمس أطلالها ورسومها وان تبنى هناك مدينة جديدة تسمى عاصمة ايليا فكان ذلك في سنة ١٣٢ للمسيح وأباح للمسيحيين والوثنيين الاقامة في هذه المدينـة وأخرج اليهود منها ثم لم يبح لهم الرومان الدخول فيها الا في القرن الرابع وانما أذن لهم أن يدخلوها مرة واحدة في السنة زائرين من شاء منهم فكانوا يدخلونها باكين نادبين. وقد اضطهد النصارى هؤلاء اليهود فى وطنهم أشد الاضطهاد ومنعوهم من كثير من بلادهم لا من مدينتهم المقدسة فقط

ولما زحف الفرس في عهد خسرو على سوريا وفلسطين كان اليهود انصارا لهم حتى اذا مافتحوا أورشليم ذبحوا سكانها النصارى واصطلموهم اصطلاما . ولما انتصر هرقل على الفرس وأجـلاهم عن سوريا ومصر انتقم من اليهود شر انتقام وعاملهم بقانون هارديان ومنه انه يجب ان يكونوا على بعـد ثلاثة أميال من أورشليم على الاقل وكان الاسلام قد ظهر والمسلمون قد زحفوا على سوريا وفلسطين .. اذن ان التعصب الديني بين اليهود والنصارى كان على أشده في سوريا عند ظهور الاسلام ولم يكن قد زال قبل النصرانية كما زعم الكاتب الذي جنى تعصبه على التاريخ والدين ، لاجل تمكين العداوة فى سوريا بين النصارى والمسلمين ، ولولا أن اشترطنا الاختصار لاطلنا فى بيان هذا التعصب بين اليهود والنصارى فى سوريا وبينا ان الاسلام أضعفه بل أضعف التعصب المطلق بل أماته حتى أحيته الحروب الصليبية التي أضرمها تعصب النصارى

(٦) سوريا والفتح العربي

يقول الكاتب ان التعصب ظهر بعد فتح المسلمين أورشليم وعقد المعاهدة بينهم وبين النصارى في بيت المقـدس وذكر نص المعاهدة نقلا عن المؤرخ الايطالي قيصر كنتو وهي مزورة على نسق المعاهدات الاوربية مؤلفة من ١٥ مسألة (بند) ولاشك ان هذه المعاهدة مختلقة من الايطالي أو غيره من غلاة التعصب وكل من قرأها من العارفين باللغة العربية وأساليبها والعارفين بحال الناس في ذلك العصر يعرف انها مكذوبة بالبداهة وانما نذكر نص المعاهدة التي أوردها امام المؤرخين والمحدثين ابن جرير الطبري في

تاريخه ثم نذكر ما أورده هـذا الكاتب المتعصب عن اساتذته متعصبي أوربا ليقارن صاحب جريدة المناظر الغراء وأمثاله من فضلاء النصارى المنصفين بين الروايتين ويعلموا من أين جاءنا النزاع والخصام. امانص مافى الطبري فهو :

﴿عهد سيدنا عمر لاهل بيت المقدس﴾

«بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ماأعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لانفسهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها أن لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولاينقص منها ولامن حيزها ولامن حليهم ولامن شيء من أموالهم ولايكرهون على دينهم ولايضار أحد منهم ولايسكن بايلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان بها من أهل الارض قبل مقتل فلان (كذا ولعله تحريف) فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله فانه لايؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى مافي هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية ابن أبي سفيان . وكتب وحضر سنة ١٥ »اه وفيه دليل على مانقلناه من التاريخ من منعهم اليهود من سكنى بيت المقدس واما المعاهدة المكذوبة التي أوردها الكاتب المتعصب فى جريدة المناظر فهي :

١ - يسمح للمسيحيين الذين سلموا للمسلمين ان يبقوا فى مدينتهم المقدسة وان يقيموا فروض دياناتهم وطقوسهم كما يشاؤون ولكن لايسمح لهم ان ينشئوا معابد ولا كنائس جديدة لا فى المدينة ولا فى نواحيها

٢ - يجب على المسيحيين ان يتركوا أبواب كنائسهم مفتوحة أوان الصلاة واستعمال الطقوس ويباح للمسلمين الدخول اليها عندئذ لمراقبة مايصنعون خوفاً من ان يتآمروا سراً على المسلمين

٣ - يجب ان تكون ابواب المسيحيين مفتوحة لجميع ضيوف المسلمين

٤ - يجب على المسيحين ان يقدموا للمسلمين الذين يأتون لزيارة المدينة المقدسة (اعني أورشليم) طعاماً ليوم واحد فقط بدون ان يأخذوا ثمنه واذا مرض أحد أولئك

الضيوف التزموا بخدمته حتى يبرأ

٥ ـ لايجوز للنصارى ان يمنعوا أولادهم من تعلم القرآن ولايجوز لهم ان ينهوهم عن اعتناق المذهب الاسلامي اذا أرادوا

٦ ـ يجب ان يعتبر المسيحيون المسلمين أسياداً لهم وان يكون لهم فيهم المقام الاول فى كل شيء

٧ ـ لايجوز للمسيحيين ان يلبسوا لباس الاسلام ولا ان يتسموا بأسمائهم ولا ان يتصفوا بصفاتهم بل يجب ان يكونوا على خلاف منهم في كل شيء

٨ ـ يجب على المسيحيين اذا أرادوا ان يركبوا ان لا يركبوا خيلا ولا نوقاً بل حميراً أو بغالا ولايجوز لهم ان يقلوا سلاحاً ولا ان يستعملوه فى بيوتهم وكذلك لايجوز ان تكون منازلهم مزينة بمثل الزينة والتحف والاشياء التي يزين بها المسلمون منازلهم حتى ولا براذع حميرهم يجوز ان تكون كبراذع حمير المسلمين

٩ ـ لايجوز للمسيحيين ان يبيعوا خمراً ولا كحولا البتة ولا أشربة روحية ما إلا باذن الخليفة أو ممثليه فقط ولايجوز لهم ان يتركوا خنازيرهم ومواشيهم تسرح في الاسواق

١٠ ـ يجب على المسيحيين ان يلبثوا ثياب الحداد دائما وان يشدوا وسطهم بسيور من جلد سواء كانوا في المدينة أم في الخارج

١١ ـ لايجوز للمسيحيين ان يرفعوا صلبانا فوق الكنائس ولا ان يدقوا جرساً. والاجراس والصلبان الموجودة حالا متى وقعت لايجوز ان يوضع غيرها في مكانها

١٢ ـ لايجوز للمسيحيين ان يطلوا على المسلمين في معابدهم

١٣ ـ يجب ان يقدموا الجزية فى أوانها ولا يتأخروا عن جمع الضرائب التي يفرضها عليهم المسلمون

١٤ ـ يجب ان يحترموا الخلافة الاسلامية والمسلمين كسادة للبلاد وأصحابها ولا يتآمروا عليهم البتة

١٥ ـ يلتزم الخليفة بتأمين النصارى الطائعين والخاضعين لجميع شروط ونصوص هذه المعاهدة . اه

ومما ينتقد من هذه المعاهدة ان المسلمين لم يكونوا يقولون «مدينتهم المقدسة»

ولا كما (الطقوس) ولم يكونوا يرحلون لزيارة تلك البلدة ولم يكن لهم لباس مخصوص بل كانوا يلبسون ملابس الروم التي يغنمونها ولم يكونوا يزينون بيوتهم ولم يكن في زمانهم شيء يسمى (الكحول) ولا الاشربة الروحية وانما كانوا يسمون كل مسكر خمرا الا النبيذ اذا صار يسكر ويمتنع شرعا ان يقيد بيع الخمر باذن الخليفة، ولم يكن لهم معابد يمنعون المسلمين من الاشراف عليها ولم يضربوا على أهل تلك البلدة ضرائب ولم يكونوا يعبرون عن السلطة بالخلافة الاسلامية ولا عن عمر بالخليفة - هذا ولم يكونوا يخافون من المؤامرة عليهم فانهم غلبوا القوم وهم مستعدون للقتال ومعهم الروم فكيف يخافونهم بعد ذلك ولو خافوا أو احتاطوا لم يكن ذلك معيبا ولا منتقداً ولا باعثاً للتعصب فانه أمر طبيعي معهود من جميع الفاتحين والسيادة بطبيعتها للفاتح فلا معنى لاشتراطها، ولم يكن من فائدتهم المنع من التشبه بهم ورؤية عباداتهم وتعلم كتابهم والتسمي بأسمائهم. فالظاهر ان المعاهدة وضعت في هذا العصر لان أسلوبها واصطلاحاتها كلها عصرية. فأين المنصفون يميزون بين تساهل المسلمين وتعصب غيرهم. انهم ليختلقون على سلفنا حتى في هذا العصر - عصر الحرية والعلم ليعيبونا وينفروا قومهم وسائر الناس منا فهل فعلنا نحن شيئا من مثل هذا ؟؟

أكتفي بهذه الاشارات في تفنيد مسائل هذه المعاهدة المختلقة ولكني أقول انني لا أنكر ان منها ماله نظير في بعض كتب المسلمين ولكن لا ثقة بروايته ومن المأثور في ذلك مارواه البيهقي من طريق حزام ابن معاوية قال: كتب الينا عمر: أدبوا الخيل ولا يرفع بين ظهرانيكم الصليب ولا تجاوركم الخنازير: ولكن إسناده ضعيف ولو صح لأمكن حمله على جماعة المسلمين. على ان أقوال الصحابة ليست حجة في الدين عند جمهور علماء الاصول الا ان يجمعوا عليها أو ترفع الى النبي (ص) أو يكون لها حكم المرفوع بأن يكون هناك دليل على انها ليست من اجتهادهم بل سمعوها عن الشارع (ص). ومنها مارواه البيهقي عن ابن عباس: كل مصر مصره المسلمون لا تبنى فيه بيعة ولا كنيسة ولا يضرب فيه ناقوس ولا يباع فيه لحم خنزير: وفي إسناده حنش وهو ضعيف على ان المسلمين أحرار في مصر مصروه لانفسهم ان يمنعوا غيرهم من الاقامة معهم فيه مطلقا أو بشروط وكذلك أهل الذمة اذا كانت لهم أرض وجعلوها بلدا

ولم يقبلوا ان يبيعوا منها شيئاً لمسلم فان الاسلام لايكرههم على بيعها ولولاجل المسجد . ومفهوم كلام ابن عباس انه لايمتنع بناء الكنائس في غير المصر الذي مصره المسلمون كالامصار القديمة ومامصره غيرهم ولو بشركته معهم .

ولو صحت هذه المعاهدة التي نقلها لما كانت أبعد مما يعامل به أهل أوربا المسلمين وغيرهم في مستعمراتهم لاسيما في اثناء الفتح اذ تكون السياسة عسكرية بل هي أخف منه . وقد أعجبني قول الياس افندي الحداد من وجهاء نصارى طرابلس الشام جواباً عن قول آخر: ان بعض الاحكام التي عامل بها المسلمون أهل الذمة قاسية . قال الياس افندي: ان هذه سياسة عسكرية وهي ضرورية في اثناء الفتح لابدمنها لكل فاتح مهما كان عادلا ومتساهلا : واقول انها مع كونها عسكرية كانت أعدل وأرحم سياسة كما قال بعض فلاسفة أوربا (راجع علوم العرب واكتشافاتهم في المجلد الخامس من المنار اوص ١٠٥ من كتاب الاسلام والنصرانية) ثم انني لم أر في كتب الحديث والمغازي المأثورة شيئاً في معاملة أهل الذمة قال روايه ان الصحابة اتفقوا أو أجمعوا عليه رأياً الا مارواه ابن عساكر عن الوليد عن عمر وغيره وهو:

« ان عمر واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمع رأيهم على إقرار ماكان بأيديهم من أرضهم يعمرونها ويؤدون منها خراجها الى المسلمين فمن أسلم منهم رفع عن رأسه الخراج وصار ما كان في يده من الارض وداره بين أصحابه من اهل قريته يؤدون عنها ما كان يؤدي من خراجها ويسلمون له ماله ورقيقه وحيوانه، وفرضوا له في ديوان المسلمين وصار من المسلمين له مالهم وعليه ماعليهم ، ولايرون انه وان اسلم أولى بما كان في يده من ارضه من اصحاب من اهل بيته وقرابته ولا يجعلونها صافية للمسلمين . وسموا من ثبت منهم على دينه وقريته ذمة للمسلمين، ويرون انه لايصلح لاحد من المسلمين شراء مافي أيديهم من الارضين كرها لما احتجوا به على المسلمين من امساكهم كان عن قتالهم وتركهم مظاهرة عدوهم من الروم عليهم . فهاب لذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر قسمهم وأخذ مافي أيديهم من تلك الارضين وكره أيضا المسلمون شراءها طوعا لما كان من ظهور المسلمين على البلاد وعلى من كان يقاتلهم عنها ولتركهم كان البعثة الى المسلمين وولاة

الامر في طلب الأمان، قبل ظهورهم عليهم . قال وكرهوا شراءها منهم طوعا لما كان من ايقاف عمر وأصحاب الارضين محبوسة على آخر الامة من المسلمين المجاهدين لاتباع ولاتورث قوة على جهاد من لم يظهروا عليه بعد من المشركين ولما ألزموه أنفسهم من اقامة الجهاد » اه بحروفها كافي (كنز العمال). وأغرب مافي هذه الرواية ان يسلم الذمي تنتزع منه أرضه وتعطى لاصحابه الذميين من ذوي قرباه ويفرض له بدل ذلك من بيت مال المسلمين . فليقارن المنصف بين هذا وبين انتزاع أعظم دول أوربا وطنية وحرية ومدنية أرض المسلمين من أيديهم حتى أوقافهم الدينية وذلك بوسائل لامروج لها الا القوة القاهرة والبلاد التي يجري فيها ذلك قريبة منا ويعرف مافيها العارفون (للرد بقية)

﴿تنوير الافهام، في مصادر الاسلام﴾

تفنيد الكتاب بكلمة

نشرت الجمعية الانكليزية المكلفة بالدعوة الى النصرانية كتابا سمي بهذا الاسم خاضت فى أمره الجرائد الاخبارية ويا ليتها لم تخض فانها بتهويلها تشوق الناس الى الاطلاع على هذا الهزء والتمويه الباطل من حيث لاتزيل تمويهه ولا تبين هزؤه حتى انه ربما علقت ببعض الاذهان الضعيفة بعض شبهه وان كانت سخيفه وقد رمينا بالبصر الى جمل منه في مواضع متفرقة فرأيناه قد سلك في الرد على الاسلام المسلك الذي جرى عليه بعض علماء أوربا في هدم الديانتين اليهودية والنصرانية إذ ألفوا كتبا يذوا فيها مصادر كتب العهد العتيق المسمى بالتوراة وكتب العهد الجديد المسمى بالانجيل أو الاناجيل ورسائل الرسل

يعرف الناظرون فى كتب العهد الجديد ان مؤلفيها لم يستدلوا على الدين المدون فيها بادلة عقلية نظرية أو كونية وانما يقيمون أساسه على كلمات انتزعوها من العهد العتيق على انها بشارات أنبياء بني إسرائيل. فهذا الدين — الذي يسمونه مسيحيا ونسميه نحن وبعض فلاسفتهم وعلمائهم (كتولستوي الروسي) بولسيا — مبني على كتب العهد العتيق وينهدم بهدمها وتبطل الثقة به بظهور بطلان الثقة بها . وقد قال الحكيم الافغاني مامثاله : ان الناظر في كتب العهدين يتراءى له ان مؤلفي كتب العهد الجديد قد فصلوا ثوبا من كتب العهد العتيق وألبسوه للمسيح بما زعموا من انطباقه عليه :

أراد مؤلف الكتاب ان يقلد علماء اوربا في هذه المسألة فأساء التقليد فان اولئك قد بينوا ان كلمة الاله والآلهة فى التوراة مأخوذة من لغة اخرى وان العبرانيين استعملوها كما كانت مستعملة فى الملة التي اخذوها منها، ولعلنا نفصل ذلك في فرصة اخرى بترجمة ماقالوه ولكن صاحبنا اساء التقليد، وشبهته ان الاسلام وافق الجاهلية في تسمية خالق الكون، وهل ينطق النبي الابلسان قومه ام جاءني بلغة جديدة لا يعرفها احد فأفاد الناس بها ؟ « وماارسلنا من نبي الا بلسان قومه ليبين لهم»

مثل هذا المؤلف في صنيعه هذا كمثل الذي قلد جوابا فأساء التقليد، سمع جماعة رجلا ينادي ياعبدالله فقال له احدهم : كلنا عبيدالله فمن تعني ؟ وكان فيهم رجل بليد سمع مرة اخرى رجلا ينادي : ياحمزة : فأجابه : كلنا حماميز الله فمن تعني ؟ ورأى أمير على غلام مخايل الذكاء والنجابة فامتحنه بأسئلة منها : ماأطيبُ الدجاج ؟ قال جلدها : فأجازه جائزة حسنة وكان له اخ بليد فحسده وتعرض للامير قائلا : سلني كما سألت أخي : فقال له الامير : ما اطيب شيء في الجاموسة ؟ قال جلدها : فأمر بجلده

أما الكلمة التي أهدم بها هذا الكتاب فهي ان محمدا النبي الامي بعث ليهدي الناس الى صراط الفطرة السليمة باصلاح ماافسدوا من دين الانبياء وإقامة الدين على أساس الاستدلال والعلم دون التقليد للرؤساء . وهذا الكتاب يثبت للنبي الامي الاطلاع على جميع اديان الامم وتقاليدها وعاداتها ولغاتها وانتخاب قواعد الاسلام واحكامه منها كانه كان ناشئا في مكتبة كمكاتب باريس وبرلين ولندره حيث الكتب في جميع اللغات والعلوم والفنون تأتي طالبها بآلات كهربائية كلمح البصر مع انه لم يقرأ ولم يكتب ولا نشأ بين قوم قارئين كاتبين وانما كان أميا ناشئا فى امة امية جاهلية لا كتب عندها ولا علوم . ثم ان هذا الكتاب لا يعتبر الدين صحيحا الا اذا كانت أحكامه كلها مخالفة لما عليه البشر وان كان حقا وخيرا وفضيلة كأنه يشترط فى الدين ان يكون مصادما للفطرة في كل شيء حتى اذا ما أقرّ شيئا من الخير الذي لا يخلو من الناس كان فاسداً ومقتبسا كله من الناس. فجميع طعن هذا الكتاب في الاسلام لا يعدو موافقة بعض أحكامه لما كان عند الناس وان كان عندهم فاسدا فاصلحه او ناقصا فأتمه وقد رأيت مثالا من طعنه وسنريك غيره فيما يأتي ان شاء الله تعالى

رأي في سلب الامن من الحجاز

تواترت الاخبار تواترا حقيقيا أصوليا باختلال الأمن في بلاد الحجاز وبان حكومة الحجاز التي زمامها بيد أمير مكة ووالي الحجاز قد كانت من عوامل هذا الخلل. ظهر للناس كلهم من سبب ذلك الطمع في مال الحجاج الذي كانت الحكومة تسلبه منهم وتنهبه باسم إعانة سكة الحديد الحجازية واسم زيادة اجرة الجمال وبأسماء أخر سمتها ماأنزل الله بها من سلطان. والسبب الخفي الذي يعتقده بعض الخواص دون بعض هو أن كل ماقد جرى فانما جرى بتمهيد وايعاز من الاستانة ولانبحث في ادلتهم على ذلك الآن وإنما نقول انه لايبرئ الدولة العثمانية من هذه الجناية الكبرى الاعزل أمير مكة وواليها ومحاكمتهما ومجازاتهما وعزل وكيليهما أيضاً فان فعل السلطان ذلك فقد استبرأ لدينه ومنصبه والاثبت لجميع مسلمي الارض مايتهامس به بعضهم الآن من أن كل ماجرى موعز به من الاستانة وان الغرض منه منع الحج بالمرة أو منع خواص المسلمين وعلمائهم من زيارة تلك البلاد لئلا يتآمروا هناك وينصبوا لهم خليفة بالانتخاب الشرعي وذلك ان الخواص وأهل العلم هم الذين يعلمون ان الفريضة تسقط عنهم عند عدم الامن على الارواح أو الاموال وهم الذين يحافظون على حياتهم كما يجب وهم الذين تخشى جانبهم سياسة التفريق التي يصعب عليها ان يجتمع اثنان أو ثلاثة من أهل العلم والرأي ولو في بلد غمره الاستبداد، وتغلغلت فيه العيون والجواسيس، فكيف يسهل عليها ان يجتمع العلماء والفضلاء من جميع الاقطار في موقف مقدس ويتمتعون مع ذلك الاجتماع بالامن على أرواحهم وأموالهم ؟؟ وأكبر أمانينا ان يكذب سلطاننا (وفقه الله) هذه الظنون بما ذكرنا ويعين للحجاز أميرا وواليا آخرين يجعل عليهما تبعة كل التقصير في حفظ الاموال والارواح في تلك البلاد التي حرم الله ان يصاد صيدها وان يختلى خلاها، فان لم يفعل كان إهماله أمر هذه البلاد المقدسة لاجل لقب الخلافة هو الذي ينزع منه هذا اللقب العظيم، وينفر من الدولة قلوب جميع المسلمين،

ليس امر العبث بالامن في الحجاز كأمر العبث بالامن في بلاد مكدونية وأرمينية ولا الإلحاد في الحرم كالالحاد في بلاد الروم وان كانت (باية أستانبول العلمية) أعلى في قانون الدولة من (باية الحرمين) فان ملاك هذا الامر الذي يسمونه الخلافة هو في اعتقاد

أكثر المسلمين القائلين به حفظ الحرمين وتسهيل إقامة هذا الركن الديني فاذا صار مهدداً بالهدم برضاء السلطان او بعجزه فأيّ عمل من أعمال الخلافة يبقى له؟ وظيفة الخليفة إقامة الدين وحفظه فاذا كان المرتد لا يقتل - واذا كان الألوف من المسلمين يكلفون بترك صلاة الجمعة للوقوف امام الجامع الحميدي عند صلاتها - واذا كان ركن الزكاة قد هدم والسلطان العثماني لا يبالي بهدمه كما بالى الخليفة الاول اذ حارب مانعي الزكاة باقرار الصحابة - واذا كان الصوم سرابين العبد وربه - فهل بقي من ركن من الخمسة تطلب فيه عناية سلطان المسلمين غير الحج ؟ وهل يطلب منه في ذلك شيء أقل من حفظ الامن ومنع تعدي العمال وأعوانهم من الاعراب على أنفس الحجاج وأموالهم ؟ ألم ير السلطان كيف أقبل المسلمون على إعانة سكة الحديد الحجازية بالالوف وألوف الالوف مع اهمالهم فضيلة التعاون على الاعمال العمومية في هذا الزمان ؟ ألم يعلم ان السبب في هذا هو اعتقادهم بان هذه السكة تسهل لهم طريق الحجاز ؟ فاذا رأوها آلة لسلب الامن على المال والانفس في الحال ، فكيف يصدقون ان الغرض منها حفظ الامن في الاستقبال ،؟

الا يعلم السلطان ان كل مسلم يسائل نفسه اليوم : هل السلطان قادر على تأمين الحرمين الشريفين ام لا ؟ وأنهم لا يجدون في انفسهم الا أحد جوابين إما انه قادر ولكنه يريد سلب الامن وإما انه غير قادر . فأي الجوابين يرضيه اذا لم يبادر الى معاقبة أمير مكة وواليها وعزلهما مع وكيليهما ووضع أخرين مسئولين عن الامن في موضعهما واعلام جميع الاقطار بذلك

أيظن ان المسلمين في مشارق الارض ومغاربها يخدعون بقول جرائد الاستانة وجرائد بيروت ان امير الحجاز وواليه قد حفظا الأمن أتم حفظ وان الحجاج كانوا في غاية الرفاهة والراحة لا شغل لهما الا تكرار الدعاء للخليفة الأعظم والسلطان الافخم كما جاء في المنشور الرسمي الذي ارسلاه الى الاستانة حسب العادة المتبعة في كل عام؟ كيف يخدع من يرى هذه الجرائد - وقليل ماهم - بقولها وقد انبث في الاقطار مئتا ألف حاج وكلهم يخبرون بكذبها ؟ اذا حدث كل حاج عشرة من الناس بما رأى وسمع وقاسى وعانى يكون مجموع العارفين مليونين وكم يخبر كل واحد من هذين المليونين ؟ ان هذا امر ليس كسائر الأمور فينفع فيه تضليل الجرائد التي

يخدع بها الجاهلون بسلطة السياسة عليها . على ان الجرائد الحرة فى مصر وغيرها أكثر من تلك الجرائد انتشارا، واصدق أخبارا، وقد اجمعت على تمثيل فقد الأمن في الحجاز لاسيما بعد ماورد تقرير أمير الحج المصري على الحكومة ونشرته في الجريدة الرسمية وفيه من تمثيل المخاوف والاعتداء على الاموال و الانفس مايؤكد رسائل الحجاج الكثيرة

يسند بعض المنافقين من اصحاب الجرائد وغيرهم كل إلحاد فى الحرم الى شريف مكة وجريدة (ترك) تملأ ماضفيها بذم العرب والاشراف مستدلة بسوء سيرة الشريف ولكن العاقل والجاهل يعلم ان الشريف أحد عمال السلطان ويذهب كثير من الناس الى صحة ماقالته جريدة الجوائب المصرية (كما في الجزء الماضي) ان السلطان قد أقامه هناك وأقره على الظلم ليكون حجة على العرب والشرفاء امام المسلمين ، ولكن هذا غير معقول فان الناس يعرفون ان السلطان قادر على عزله وعلى تأديبه في كل آن ويعرف الكثيرون ان الشريف لم يكن له امر ولانهي على عهد عثمان باشا والي الحجاز السابق بل كان ذلك الوالي قد ألجأه الى ترك المقام في مكة فأقام في المدينة المنورة حتى عزلت الدولة عثمان باشا عن الحجاز . وكان أول عمل كسر به شرته ان أمر فرقتين من العسكر بحمل مدفعين والاحاطة ببيت الشريف وطلب جان التجأ اليه منه وقال لهم ان أبى تسليمه فضعوا الحديد في يد الشريف نفسه وأحضروه الى هنا بالقوة . وقد بادر البكباشي الى إخبار الشريف بذلك فارسل الجاني حالا وكان يهزأ قبل ذلك بالحكومة اذ تطلبه منه

لعل بعض القراء يمتعض من شدة انكارنا لميله مع ريح السياسة أكثر من ميله الى خدمة الدين ، وربما يسبق الى وهمه أن للنفس هوى في هذه الكتابة لما تعود عليه من كتابة أهل السياسة . ولي ان اقول لهذا الواهم : انني ورب الكعبة أتمنى لو احج وانني ورب الكعبة لا آمن على نفسي بل اعتقد ان الحج حرام عليّ مادام هؤلاء الحكام على سيرتهم هذه فى الحجاز ، وانني والله أتمنى لو تصلح حكومة الدولة العثمانية فتكون خير حكومة فى الارض . ولكنني احب صلاح الدولة لاجل الاسلام لا انني احب الاسلام لاجل الدولة

ان الله تعالى امتن علينا بجعل البلد الحرام والبيت الحرام أمنا للناس كما نطق بذلك القرآن الكريم ومانحن من تفسير بعض آياته في ذلك ببعيد ومنها قوله تعالى « فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً » وقوله عز وجل « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم »

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى خطبته بعرفة يوم النحر من حجة الوداع «فان دماءكم واموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا في بلدكم هذا الى يوم تلقون ربكم، ألاهل بلّغت؟ - قالوا نعم قال - اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلَّغ اوعى من سامع فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه احمد والبخاري فجعل حرمة الدماء والاموال مشبها وحرمة البلد الحرام والشهر الحرام مشبها به كانه أبلغ فى التحريم فكيف صارت الاموال والدماء تباح فى البلد الحرام في الشهر الحرام ولا يوجد من يسأل عنها؟، وكيف يحرم الله في ذلك المكان والزمان قتل القمل والحشرات وقلع النبات وتحلل الحكومة العثمانية قتل النفوس المنيبة الى ربها اللاجئة الى بيته الداخلة في ضيافته وسلب الاموال المحرمة كذلك ثم ندهن لها ونكون من المؤمنين؟

ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان»: رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم ونحن قادرون على الانكار بألسنتنا فكيف نسكت؟ والواجب على المسلمين ان يخرجوا عن طاعة هذه الحكومة اذا ثبت انها تتهاون بأمر الامن فى الحجاز ولا تمنع الظلم منه فان سكتوا ورضوا كانوا ملعونين في القرآن ويوشك ان يسلط الله عليهم من ينزع منهم مابقي بأيديهم يعيثون فيه فسادا حتى الحجاز «لُعِنَ الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون»

هذا واننا انما نشدد في الانكار رجاء التأثير ونسأل الله تعالى ان يوفق هذه الدولة الى المبادرة الى تلافي هذا الامر بطريقة تقنع القريب والبعيد، والذكي والبليد، بان الامن قد عاد الى تلك البلاد المقدسة والافات العاقبة تنذر بخطر عظيم يشعر به المتفكرون، وان عمي عنه الطامعون، وتغافل عنه المنافقون، وجهل مثاره الغافلون، «وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون»

القسم العمومي

﴿ بلرم - صقلية ﴾

(٥)

(أمير وأميرة من الاسرة الخديوية)

البحر هادئ والهواء عليل ٠ وقد قرب الغروب واليوم آخر أيام السفر، وانا محبوس في هـذا المكان الضيق لتحرير هـذه الأحرف إجابة لطلب بعض الناس ، وبودي لو استنشق الهواء لكن بقيت عليّ قصـة أقصها ولو تركتها اليوم ، لم يعد اليها القلم فى يوم ،

صعدت الى المركب من مسينا وجلست انتظر مسيره وبينا انا كذلك واذا بأمير من اعضاء العائلة الخديوية يصعد من السلم الى السطح فنهضت للسلام عليه وتساءلنا عن مراحل أسـفارنا وفهمت منه ان معه حرمه وهي من أعضاء العائلة الخديوية كذلك ٠ فقلت أمير جليل ربي على الطريقة الاوربية وتعود السفر الى بلاد أوروبا مع حرمه وهي كذلك قد ربيت على العظمة والحرية فلاريب ان نرى الأميرة مع الأمير ولايقدح ذلك فى كرامة واحـد منهما فان الأميرات المصونات قد يرين الناس من حيث لايراهن النـاس لالأنهن من عالم غير عالمهم ولكن لأن الناس يغضون الطرف احتراما لهن ولا حظر عليهن فى رؤية من لايراهن ٠ لكني مكثت مع الأمير الى وقت العصر ثم تركته وذهبت الى محل الأكل لاتناول شيئا ممـا يتناول في هذا الوقت فكان جلوسي مع بعض أرباب البيوت من الفرنسيين المقيمين فى الاسـكندرية ٠ فبدأوني بالكلام فتكلمت وامتد بي وبهم الحديث الى حالة المركب وازدحامه بالركاب وضـيقه عنهم فقال قائل أوقالت قائلة : ماأسوأ ماصنعت الشركة مع البرنسيس فانها وضعتها في قمرة ضـيقة لاشباك لهـا وهي ملازمة لهـا ليلها ونهارها ولو كانت ممن يخرجن ويستنشقن الهواء لسهل الامر ولكن الاميرة لاتخرج أبداً لانها لم تخرج قط من يوم ركبت المركب ومن القمرات ماهو أفضل من قمرتها وأوسع : فسألت هل بها شئ تألم له لو خرجت ؟ فقيل لي : لا ، الظاهر أنها في غاية الصحة وكمال العافية غير أنها لاتحب ان تخرج والقمرة مقفلة في جميع الاوقات :

امكنني بعد ذلك ان أسأل حتى يتم سروري بمـا فرحت لأوله فعلمت ان الاميرة

كانت في أوربا تسدل على وجهها نقابا أزرق على نحو ما يسدل نساء الاستانة أو سوريا بحيث لايميز الناظر شيئا من وجهها، ومتى ركبت المركب لزمت قمرتها واغلقتها عليها الى أن تصل الى غاية سفرها ، وكل ذلك تفعله حرصاً منها على كرامتها ومحافظة على المعروف من عوائدها من حيث هي أميرة مسلمة . فقلت مثل صالح لابد من ذكره والثناء عليه حتى يتعلم أولئك المقلدون أن من أمرائهم وأميراتهم من هم أولى بتقليده وان خيراً لهم ان يقلدوا أميرا مصريا من العائلة الخديوية الكريمة من ان يقلدوا جماعة من الاوربيين غير معروفين لهم ولايحسون بتقليدهم ولايستفيدون من حذوهم حذوهم الاتجردهم مما يميزهم من حيث هم مصريون أومسلمون ، واختفاءهم في غمرة أولئك الاوربيين لايتميزون عن عامتهم فى شيء ، وسريان مايشكو منه القوم من الفساد الى أنفسهم أوأنفس نسائهم ،فبارك الله فى الامير وفى الاميرة وأرشد الله شباننا الى التأسي بهما ان كان لابد لنسائهم ان يذهبن الى أوربا لمداواة علة،أو إيناس فى غربة،

لعلك تسأل من هذا الأمير ومن هذه الاميرة ؟ فاني أقول لك الامير هو الامير عباس باشا حليم والاميرة هي الاميرة خديجة أخت أفندينا الخديوي عباس باشا حلمي ومما يسرك ان كنت مثلي تحب العفة ووضع الشيء موضعه ان الامير لاينفق في سفره ن كان وحده أكثر من ثلاث مئة وخمسين جنيها واذا كان مع الاميرة فلاينفق أكثر من ستمائة جنيه فى مدة شهرين ونصف وهو يعيش عيشة الامراء

تقول: لعله يقتصد ليكتنز،ويوفر ليستكثر، فأقول لك اني علمت أنه ينفق من ماله فى تربية تلامذة فى مصر وفى الاستانة وفى انكلترا يتعلمون العلوم العالية في المدارس الحربية أومدارس الطب أو الزراعة .فما قولك في نفقة مثل هذه بدل النفقة فى الشهوات وفوائت اللذات، ؟ ألست توافقني على أنه من أفضل الامراء عملا ، ومن أنبلهم قصدا، فانه يربي أناسا يقومون بشئون بيوتهم أعرف بعضهم وأجهل بعضا ، ألا يكسب بهذا حسن الاحدوثة وتخليد الذكر خصوصاً اذا استزاد من هذا الخير فانه بذلك يقوي عناصر العلم فى البلاد وهو الاصل الذى نحتاج اليه لاسيما اذا انضم اليه حسن التربية كما هو مقصد الامير . ولو اقتدى به الامراء لاصبحنا فى ثروة من العلم ولم تصب حضراتهم بالافلاس من المال، بعد الافلاس من الكمال،وفقه الله وأرشدهم والسلام اه

(المنار) تمت ملاحظات السائح البصير في تعريجه على صقلية وقد كتبت النبذة الرابعة في الجزء ٢٤ من السنة الماضية ثالثة (٣) ولعله يتكرم علينا بشيء من ملاحظاته النافعة في البلاد الاخرى التي ساح فيها ليعلم السائحين الكثيرين من أمته كيف ينتفع البصير بالسياحة وكيف يأمن مضرتها، ومن أجدر من سائحنا بهذا الارشاد ،

آثار علمية أدبية

تقريظ المنار لعالم غير مقلد

قال بعد رسوم الخطاب :

منارك مرغوب المؤمن المحب لربه ولما ابدع ربه من الوجود البديع الواقف عندحدود سننه وجدير بمن أكرمه الله بالمرغوب ان يأخذ بحظ وافر من ذكره سبحانه الذكر المتعاقب الذي لايلبث معه النسيان الاخلساً قليلة . ذلك ذكر الله الذي تطمئن به القلوب ، ويتوحد به المحبوب، ولايفوت معه مرغوب، اللهم اعنا على ذكرك .

نشكرك وأنت العليم بذات الصدور — يامن أكرمتنا بكتاب «المنار» المنير نشكرك ان أتممت على ظهوره السنة السادسة سائراً سيرته التي نعتقد انها ترضيك . نشكرك لك الفضل، ولك الحمد ، ولك المنة ، ومنك العون، ومنك التوفيق .

وياصاحب المنار لقد قمت فينا مقام المصلحين فعليك منا الثناء نعلنه لك ليكون من آيات أثمار غرسكم النافع . ومن آيات حبنا اياك في الصراط المستقيم الذي نرجوان نصل فيه الى المجد الحقيقي والسعادة التي لاينكرها أحد — ولا السوفسطائية ،

انتهت السنة السادسة اما أشواق الملأ الى بدائع ماتحيون من السنن فلما تنته ولما ينهها خاطر من الخواطر بل هنالك حداة بها يزيدون في سيرها . تلك أشواق الذين ذاقوا كنه الامور فاصبحوا يميزون بين الحقائق والاوهام، كالتميز بين وقائع اليقظة والاحلام .

وهذه السابعة أقبلت فعسى ان يكون مباركاً اقبالها وعسى ان يزيد المنار فيها اشراقاً يستنير به المخلصون المنصفون، ويشرق به الحسدة والمعاندون .

واليك أرسلنا هذا الكتاب نصف فيه مسرتنا بأننا من محبي المنار المتمنين دوام سطوع اضوآئه . وفى كل حرف حررناه نطق للفؤاد بأدعية خالصة بها تضرعنا للقوي سبحانه ،أن لايخيب أملنا ، وان يخلص اليه عملنا، وأنت اللهم ولي المؤمنين .

الجزء الثالث من كتاب أشهر مشاهير الاسلام

قد صدر الجزء الثالث من هذا التاريخ الاسلامي الوحيد فى بابه وهو فى سيرة أشهر قواد الخليفة الثاني وعماله ـ أبي عبيدة عامر بن الجراح فاتح الشام وسعد بن أبي وقاص فاتح بلاد الفرس وعمرو بن العاص فاتح مصر وقد جرى مؤلفه (رفيق بك العظم الشهير) في تراجمهم على الطريق التي جرى على تراجم من سبقهم أعني طريق التمحيص والتحقيق وبيان أسباب الحوادث ونتائجها والارشاد الى وجوه العبر فيها وبسط الكلام في موضوعات استطرادية نافعة يعبر عنها بالكلمات فمنها كلمة فى العمال وكلمة في القبور وقد سبق لنا نشرها فى المنار وكلمة ثانية فى أهل الذمة وقد نشرناها أيضا . ومعظم الكتاب فى ترجمة عمرو بن العاص فانه أعظم عمال عمر دهاء وسياسة وأعمالا وان كان أبو عبيدة أعظمهم أمانة واستقامة وورعا وديانة ويليه في ذلك سعد بن أبي وقاص (رض) . وقد اعتذر المؤلف عن عمرو أن زج نفسه في غمرة الفتنة بين أمير المؤمنين علي ومعاوية بأنه لم يسعه على حبه للرياسة والتقدم فى الامور ماوسع النفر المعتزلين من حب السلامة بل رأى ان انتفاع فريق من أولئك المختلفين برأيه ربما كان فيه تعجيل باطفاء شواظ الفتنة وحسم لمادة الاختلاف الذي أهريق فيه دم الامة ، وانه في ذلك كغيره من الصحابة الذين دخلوا مدخله ، وانه اراد ان يجعل معاوية وسيلة يعمل به ثم يعمل لنفسه اذ كان يطمع في الخلافة ، وانه في ذلك كعظماء الدين في هذا الزمان وفي كل زمان فان كثيرا من الملوك قتلوا اخوتهم او اولادهم لاجل الملك ولم يطعن الناس فى اصل دين احد منهم واكثر ما يقال فيهم انهم عصوا الله اذ رجحوا دنياهم على دينهم. وبين المؤلف ان عمرا كان يعتقد ان معاوية على الخطأ وقال بعد ذلك : وهذا يدل على ان عليا رضي الله عنه لو تألف عمرا واستدناه اليه لانتفع به ولصدقه الخدمة اكثر منها لمعاوية ولكن إغراق عليّ في حب الفضيلة دعاه الى ترك الحيلة بمثل عمرو كما دعاه الى عدم قبول اشارة من اشار عليه بتأليف معاوية وتثبيته على ولاية الشام كما سترى بعد » اه وهذا يؤكد ان تلك الاعذار عين الذنوب،

اما الكتاب فهو فى غنى عن التشويق اليه والترغيب فيه فنه قدراج رواجاعظيما حتى انه ليوشك أن يعاد طبع الاجزاء السابقة. وطبع هذا الجزء في مطبعة المنار وهو احسن من سابقيه طبعا وتصحيحا وثمن النسخة منه خمسة قروش صحيحة واجرة البريد قرش ونصف ويطلب من مؤلفه ومن مكتبة المنار بشارع درب الجماميز وغيرها من المكاتب المشهورة

الدولة العلية وماليتها

رسالة نافعة مفيدة لكاتب عثماني غيور رمز الى اسمه بحرفي (م.ق) بين فيها النفقات الرسمية القانونية التي تنفقها الدولة فى الوزارات والمصالح وغير الرسمية وقد كان الكاتب أرسلها الينا لننشرها تباعا فى المنار فنشرنا منها نبذة ثم رأينا بعد إشارة غير واحد من القراء عدم نشر الباقي ولكن الكاتب لم يرد أن يحرم الأمة من الانتفاع بها فطبعها على حدتها. ومن هذه الرسالة يعلم ان كبار رجال الدولة يأخذون رواتبهم الشهرية مضاعفة ويزادون من المكارم السلطانية مالاحصر له واما صغار العمال والجند فانهم لا يصلون الى رواتبهم القليلة الا في كل أشهر مرة. وقد اقترح الكاتب في آخر رسالته عشرين أمراً رأى ان إصلاح الدولة بدونها محال وهي:

١ ـ تنقيح دوائر الحكومة وتقليل المرتبات التي لالزوم لاربابها وارجاعها لاصل القانون العثماني والتخفيض من ذلك الجيش الجرار الموجود في تلك المجالس المشكلة فى الاستانة كما تقدم ذكره الى عدد لايتجاوز مانص عليه في القانون.

٢ ـ احالة أغلب القواد الحائزين على رتبة المشيرية والفريق الذين لاينتظر منهم خدمة حقيقية على المعاش والاقلال من الانعام بهذه الرتب السامية ذات المرتب وجعل عدد كل من الرتبتين لايتجاوز حداً معلوما أسوة بباقي الدول

٣ ـ إحالة قسم من الياوران على الجيش وخصم راتب الكوردون والاكتفاء براتب الرتبة كما هي الحالة المتبعة عند الدول الاجنبية

٤ ـ قطع المرتبات عن الجرائد

٥ ـ حل جيوش الجواسيس واقتصاد رواتبهم

٦ ـ إلغاء الوظائف التي لاعمل لها وابطال اسدائها لغير مستحقها لانتمائه

لبعض الكبار المعبر عنه بالمحسوبية

٧ ـ زيادة رواتب صغار المستخدمين ورواتب ضباط الجيش من رتبة الصاغ وماتحتها

٨ ـ قطع دابر الرشوة من دواوين الحكومة

٩ ـ ترتيب الترقي في الخدمات الاميرية على الخطة الجارية في أوروبا

١٠ ـ عدم عزل الموظف الا بعد محاكمته وعدم استخدام من يعزل لثبوت جريمة عليه

١٢ ـ عدم اعطاء امتيازات ذات ضمان للاجانب بل حصرها فى أهل البلاد

١٣ ـ تنشيط التجارة والزراعة وتأليف شركات تجارية وصناعية

١٤ ـ وضع رسم قليل على كل تلميذ يتعلم بالمدارس الاميرية للاستعانة بذلك على توسيع دائرة التعليم

١٥ ـ اعطاء الحرية للجرائد والمطبوعات

١٦ ـ أصلاح المكاتب العمومية (الكتبخانات) بالاستانة أو جمعها بمكتبة واحدة وفتحها دائما للمطالعة ويوضع رسم طفيف على كل داخل اليها

١٧ ـ قطع المرتبات التي تعطى من البلديات الى المنفيين أو بعض «المحاسيب»

١٨ ـ اعطاء الوزارة الحرية بالعمل

١٩ ـ عمل ميزانية سنوية ونشرها في الجرائد

٢٠ ـ تنفيذ أحكام القانون بالمساواة واستقلال القضاء عن الادارة والسياسة وهو الاهم

وفى الرسالة فوائد كثيرة وكلام في مستقبل الدولة وثمن النسخة منها قرش واحد وتطلب من مكتبة المنار

﴿ تقويم المؤيد لسنة ١٣٢٢ ﴾

أصبح هذا التقويم أشهر من نار على علم وهو يزداد فائدة عاما بعد عام حتى يقول الناظر فيه : ليت شعري أي شيء جديد يكون فيه بعد هذا ، وهو الآن مؤلف من خمسة عشر بابا يدخل في كل باب من الفوائد ماهو سمير السامر، وأنيس المسافر، وفي باب التاريخ من هذه السنة تراجم سلاطين آل عثمان وتاريخ أشهر الممالك الاوربية وكلام في مستعمراتها وجداول لتاريخ الملوك والرؤساء من كل أمة . وفى بابي أحوال مصر والسودان مالا يستغنى عن معرفته ، وفى باب القضاء معجم يشرح فيه الاصطلاحات

القضائية . وفي باب المعاهدات والسياسة كلام طويل في المسألة المكدونية والمسألة المراكشية والمسألة اليابانية الروسية وغير ذلك . وفي باب تدبير المنزل مايفيد كل منزل وفي سائر الابواب من الفوائد مالامحل هنا للاشارة اليه ولكننا نقول كلمة واحدة في تقريظ هذا التقويم وهي « انه مكتبة في الجيب » وهو مجلد تجليدا جميلا وثمن النسخة منه خمسة قروش صحيحة فقط ويطلب من مؤلفه محمد أفندي مسعود المحرر بجريدة المؤيد

﴿ تقويم العرب ﴾

يطبع في مصر كثير من التقاويم المختصرة التي يسمونها (النتائج) وهي لمعرفة تاريخ الشهور: الهجري مع الافرنجي والقبطي ويزيد بعضها العبري . وقد جرت عادتهم بأن يكتبوا بازاء الايام مايكون فيها أو يحسن من احتفال ملي أو عمل زراعي وغير ذلك . ويسمون ذلك بالتوقيعات والكثير من هذه التوقيعات يدخل في باب العادات المنتقدة والاوهام الضارة وقد وضع محمد أفندي حسين مساعد سكرتير شركة طبع الكتب العربية تقويما جديدا لهذه السنة بمساعدة خضر أفندي ابراهيم . رغب فيه عن توقيعات العادات العمومية المعتادة الى ذكر اشهر الوقائع والحوادث التاريخية ولم يهمل ذكر الاعمال النافعة في أوقاتها كابتداء زراعة القطن وغيره . فهذا التقويم على صغره تاريخ اسلامي وجيز فيه ذكر مواليد أعظم رجال الاسلام ووفياتهم وأشهر الوقائع . وقد طبعته شركة طبع الكتب على نفقتها ونرجو أن يفوق سائر النتائج في الرواج والاشتهار ولو بعد حين . وثمن النسخة منه قرش واحد .

باب الأخبار والآراء

خطر علينا وعلى الدين

نشر المقتطف مقالة بهذا العنوان لعبد القادر افندي حمزة المحامي بالاسكندرية أعجبني منها نظم الكلام وأسلوبه وترتيبه وتنسمت منه الغيرة وحسن القصد فخطر لي عند القراءة ان أكتب الى صاحب المقالة مبينا له رأيي فيها ثم رأيت ان أكتب ذلك

في المنار بالاسهاب اللائق بالموضوع فلم تسمح لي الموضوعات العارضة مع مالا بدّ منه في كل جزء كالتفسير من كتابة ماأردت في الجزئين السابقين وقد كاد يتم هذا الجزء أيضا ولم يبق منه مايسع كل ماأريد فأ كتفي ببعضه

قال ان الامة اذا كانت متأخرة جاهلة فانها لاتخطو الى الامام الا بعد التقلب في أدوار طبيعية أولها ان يكثر فيها الناصحون والمرشدون وحكم بأن الامة المصرية في هذا الدور ، والقاعدة صحيحة كما قال ولكن المرشدين لم يكثروا الا أن نقول ان المراد بالمرشدين من يتصدى للنصح على ان كثرتهم مرجوة فنحن في هذا الدور . ثم قال الكاتب ان هذه الامة على كثرة الصائحين فيها من المرشدين لاتفقه كلمة من عشر كلمات مما يلقون عليها ولاتدري الى أين تساق ، وهذه جملة مسلمة أيضا فانك كنت تجد المتعامين يصدقون الاحداث الى الامس فيما يخبرون عن مستقبل مصر واخراج فرنسا الانكليز منها ويصدقون صاحب الحمارة في ان العالم الفلاني اخطأ في بحث القضاء والقدر !!!

ثم انتقل الكاتب الى مسألة الدين فزعم ان جميع المرشدين المختلفين في كل شيء متفقون على دعوة الامة الى الدين وان الامة متفقة معهم في ذلك فاذا اختبرت الناس في كل بلد ، واذا راقبت معلمي المدارس ومربي الاطفال ، واذا نظرت الى المؤلفات الجديدة ، واذا همت في أودية الشعر مع أهله ، واذا تلوت الجرائد والمجلات ـ فإنك لاتجد في هذا كله الا دعوة الدين واقناع النفوس بان النجاح والترقي لايكون الا به . وهذه دعوى غير مسلمة قد غلا الكاتب فيها غلوا كبيرا ، فلو درت في البلاد واختبرت حال الناس لقلت انهم لادين لهم ولا همّ لهم في الدين ولكنك تجد عند الفلاحين شيئا من التقاليد المنسوبة الى الدين وأكثرها ليس منه في شيء وهؤلاء لاينظر اليهم في هذه المسألة لانهم لارأي لهم وهم لم يأخذوا ذلك عن المرشدين في هذا الدور

ولو عرفت حال معلمي المدارس لما رأيت فيهم عشرة في المئة أو في المجموع يؤدي الواجب عليه في قانون الحكومة من تعليم الدين بل ان منهم من يشغل وقت درس الدين بتعليم العربية ويقول للتلامذة هذا أنفع لكم لان درس الدين لاشأن له في (نمر الشهادة) . وقد اقترح واحد من الذين عهدت اليهم نظارة المعارف بالنظر في قانونها (البروغرام) أن يضاف اليه درس ديني في القسم التجهيزي فرفض طلبه بأ كثر

الآراء!! ولو علم الناس ماعلل به الرافضون رفضهم لقضوا عجبا !!!

ولو التفت الى الشعراء وطلاب الخيال لوجدتهم لاينظمون شيئاً في ترقي الامة ولا يذكرون ذلك الا أن يحثوا الأمة على الفناء في حب الامير وتفويض الامر كله اليه . والتعويل في السعادة عليه، اما المصنفات فالديني منها قليل جدا

وأما الجرائد والمجلات فليس فيها ماهو ديني اصلاحي الا (المنار) ولا أدري هل قلب صحائفه من قلب الدعوة الدينية على جميع وجوهها حولين كاملين أم لا ؟ ولا أنكر انه يوجد أحيانا في الجرائد كلام أوكلم في الدين ولكنه يوجد عرضاً، يرمون به غرضا، ولا أعرف جريدة لها دعوة دينية أو رأي في الاصلاح الديني تحاول اقناع الناس به فان كان الكاتب يعرف فأرجو ان يدلني على هذه الجريدة لأستعين بها في عملي . من هذه الجرائد المعروفة ماهي للامير خاصة تدور معه حيث دار ، فاذا حضر الامير احتفالات الموالد والمواسم المبتدعة في الاسلام قامت تنادي باحياء هذه الامور خدمة للاسلام، واذا احتفل بمرقصه السنوي وفيه مافيه من شرب الخمور، وهصر الخصور ؛ ـ قامت تنوه بفضل هذا الاحتفال وتعده من أصول المدنية والعمران ومرقيات الامة ، ومنها مالاهم لصاحبه الا المال والفخفخة فهو يسلك لاجله كل مسلك ، ويسير في كل فج ، ناصبا للمال والجاه كل فخ ، ومن ذلك إظهار الغيرة على الدين عند سنوح الفرص وحدوث الحوادث ، ويقل فيها ما يكتب لمجرد الغيرة على الدين ، وان خالف اهواء العامة والحاكمين، ثم ان وجد هذا أحيانا فانه لايلتزم دائما ، وهذا الذي قلناه قد اعترف به الكاتب وقال انهم يتاجرون بكلمة الدين ، ويتخذونها مطية للتغرير والتضليل ، ولكننا نذكره بأنه لايوجد واحد منهم رسم لنفسه خطة ، وفرض على نفسه الدعوة ، اذاً لايوجد فيهم من يشغل الامة بالدين عن أي عمل من أعمال الترقي فلا خطر علينا ولا على الدين منهم

ثم انتقل الى مسألة (ميراثنا الديني) فأحسن وأصاب في قوله ان أهم أسباب مانحن فيه من الخلل الديني التقليد ولكنه غلا في تمثيل ارثنا بعض الشيء ولا حاجة للبحث فيه وانما ننتقل معه الى البحث في النتيجة

قال « ان في الـداء بالدين اليوم وهو كما هو من الانحراف عن صورته الاصلية

خطرا عليه لا يبعد اذا لم تداركه ان ينتهي بانحلاله وضياع أصله في قليل من السنين ، ثم استدل على ذلك بسوء حال طلاب المدارس وعلماء الشرع وسائر طبقات المسلمين وبين بعد الجميع عن الدين . وهذا صحيح ولكنه لا ينتج ماقال أولا لان هـذا ليس أثرا لنداء المرشدين أو المتصدين للارشاد بالدين وانما هو أثر التقاليد المتبعة بالعمل قبل ان تدخل الامـة في هذا الطور أو الدور الذي قال أولا انه أول أدوار ترقي الامم فليس الخطر علينا وعلى الدين اذاً من هذا النداء الجديد ـ ان كان ـ وانما الخطر كل الخطر في بقائنا على التقاليد الموروثة بالتربية والعمل أو « بالبدع والخرافات، والتقاليد والعادات » التي لهـا باب مخصوص فى المنار. فاننا لا نقوى بها على معارضـة المدنية الجديدة ولا على مجاراتها، ولا نقدر ان نكون بها أمة عزيزة قوية

ثم ضرب لنـا مثلا ماكان من الانقلاب الديني فى أوروبا وفي سـياقه مجال للبحث ولكنه غير جوهري فهو لا يشغلنا عن الحقيقة البيضاء النقيـة فى قوله: « ألا فلنعرف جيداً ولو ساءتنا هذه المعرفة اننا بجهلنا الاعمى وتشيعنا الكاذب أوصلنا الدين اليوم الى حال إن استمرت ولم نقف في طريقها أدت ولا محالة الى زواله » : ثم بين الكاتب طريق تلافي الخطر المتوقع بالاجمال فقال:

« لا يقولن مندفع الى أريد بهذا ان يترك الدين جانبا !! فمعاذ الله ثم معاذ الله ان أريد ذلك او ان يخطر على فكري شيء منـه . انمـا أريد ان يلبس الدين بيننا ثوبه الحقيقي ، ذلك الثوب الابيض الطاهر الذي تنظره الابصار فيعجبها جماله ، وتسرها حقيقته، أريد ان ترمى تلك التقاليد والعادات الموروثة التي تلبست بالدين بعيدا ليعود خاليا من الشوائب ، يتسع المجال فيه للفهم السليم ، والنظر الصحيـح ، أريد ان تحفظ للدين كرامته فلا يجعل هدفاً لكل متشدق مغرور يتجر بالمناداة به على جهل ولغير داع ، اريد ان تمحى من بيننا آثار التغالي والتشيع فنعلم ان القرآن لم ينزل الا بقواعد عامة للناس جميعا، فلنا ولكل امة ان تتصرف فى مدلولاتها بما يناسب الزمان والمكان دون تقييد او حجر على الافهام، الا ميخرج عن الدين . أريد ان لا يؤتى بكلمة الدين امام العلم ليقال ان آية أو حديثا يعارض معناها شيئا من العلم فان الدين لم ينزل ليعلم الناس العلم ، أولينا في العقل فى شيء حتى يعارضهما ولو في بعض الاحايين ، أريد أخيرا ان

لانكثر من الصياح بأسم الدين حتى لاتلتفت العقول الناشئة اليه قبل ان يظهر في ثوبه الحقيقي لئلا تنفر منه ونكون قد جنينا من حيث طلبنا الفائدة » اه

نقول هذا هو صفوه المقالة وجوهرها ونحن نسلم له بكل مايريد مع بحث في الامر الاخير المبني على المقدمات التي منعناها وقلنا ونقول الآن : ان الذين ينادون باسم الدين على قلتهم فيما نعلم وكثرتهم فيما قال لايضرون الدين ولا أهله وإن كان الدين على غير وضعه اذ لانعرف بدعة جديدة حدثت بهذا النداء بل منه مازعزع كثيراً من البدع والتقاليد التي يريد الكاتب محوها . ثم نقول له كيف السبيل الى الرغائب التي يريدها ، ويريد ان لايذكر الدين معلم ولا مربّ ولا كاتب ولا مؤلف قبل وجودها ؟ هل يريد ذلك ارادة حقيقية أم هي خواطر سنحت عند الكتابة أو عند تصور موضوعها ؟ ان « المنار » يدعو منذ بضع سنين الى مثل مادعا اليه الآن وكل ماذكره فهو اشارة الى موضوعات مجملة ، نشرت في المنار مبينة مفصلة ، منها ماهو لصاحب المنار ومنها ماهو لاكبر المسلمين المعروفين عقلا وعلما كالاستاذ الامام وصاحب سجل جمعية أم القرى . فهل نظر في ذلك أم لا ؟ ان كان لم ينظر فيه فكيف يصح قوله انه لم يكتب في الموضوع الابعد ان قلبه وعرف ظاهره وباطنه ، وان كان نظر فيه فما هو رأيه في هذه الدعوة ؟ ان كان يقول بها فكيف اقترح اسكات كل متكلم بالدين ؟ وان كان يراها كغيرها مع تضمنها لمراداته فما هي السبيل الى هذه المرادات ؟ أم هي أماني ميئوس منها ؟ عن هذه الاسئلة نطالبه بالجواب ، ولم نخاطبه ونطالبه الا لاننا رأيناه بحث في أصول دعوتنا بعقل نعترف به بالاجمال ولذلك عنينا بكلامه على اننا قلما تتم قراءة شيء مما يكتبه أكثر الكاتبين في هذه المسألة لاننا نراه من اللغو . ولعلنا لانعدم من هذا الكاتب الباحث رأيا جديدا ، وارشادا مفيدا ، فانه بذلك جدير ، « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

﴿ الوفاق الفرنسي الانكليزي ﴾

أصبحت الممالك الاسلامية بفضل ملوكها وأمرائها طعمة للامم لايصرفها عن ابتلاعها صارف الا التنازع وكالارض الموات من سبق الى شيء منها ملكه . وقد سبق الانكليز الى احتلال مصر بطلب من أميرها ليحموه من أمته ، وبرضى من السلطان ليكفوه شر الحكومة الخديوية التي طالما نازعته في سلطته ، وقد كان لمصر

من الامل الوهمي" ان حقوق الدول المالية في مصر تحول دون استئثار انكلترا بالسلطة فيها فمازال هذا الأمل يذوب ويضمحل بفضل السلوك الذي سلكه الامير مع المحتلين وهو مصادمة الضعيف للقوي أولا واستلامه له ثانيا حتى فني بالمرة بالمعاهدة الاخيرة

حقوق الدول في مصر مالية وبها يراقبون على مالية مصر فلا تستطيع ان تقوم بمشروع مالي دون إذن من صندوق الدين الرقيب من قبل أوربا على المالية ، والمال هو المقصود من الاستعمار ، وقد حمل مستشار المالية السابق دكريتو من الامير وسافر الى أوربا لايدري أحد ماذا يريد الا الأمير واللورد كروس والنظار ، وعلى هذا الدكريتو بني الاتفاق الجديد على مسألة مصر بين فرنسا وانكلترا. وبمقتضى هذا الوفاق صارت انكلترا حرة في جميع تصرفاتها في مصر فهي تنفق باسم الحكومة الخديوية جميع الملايين المتوفرة والتي تتوفر من مالية مصر في المشروعات التي تراها. وبمقتضى هذه المعاهدة صار الاحتلال الانكليزي غير موقت ولا يطلب توقيته ، عاهدت فرنسا انكلترا على هذا وعلى مساعدتها في ارضاء الدول واعطتها انكلترا مراكش بدلا عن حقوقها في مصر !! وفرنسا أكثر الدول حقوقا فروسيا حليفتها راضية تبعا لرضاها وإيطاليا وديدة الانكليز راضية وكذلك النمسا راضية وألمانيا لاتشذ عن اوربا كلها فقد قضي أمر المسألة المصرية، من جهة الدول والأريكة الخدوية ، ولم يبق للامة رجاء الا بعناية الله تعالى واستعدادها للارتقاء فاذا صارت أمة فالمستقبل لها واذا بقيت لاهية بالشهوات ، فهي مستعبدة الى ماشاء الله تعالى

يطلب منا كثير من الناس ان نحط عنهم بعض قيمة الاشتراك ولو علمنا من هؤلاء الطالبين العجز عن دفع عشرة قروش أو عشرين في السنة مع شدة الرغبة في المطالعة كما يقولون لحططنا عنهم القيمة كلها كما حططناها عن قوم آخرين ولكن ما يثقل بذله كل سنة في مثل هذه السبيل يخف بذله وبذل أضعافه كل يوم في السبل الاخرى. وان الذي يريد ان ينقصنا بعض الثمن أو كله لايفكر في كثرة أمثاله وفي أن الكثير ينهض بالواحد والواحد لايقدر على النهوض بالكثير

ان المنار أرخص المجلات العربية المنتشرة ثمنا وكم من مجلة وقد زادت في قيمة اشتراكها عما قررته في أول إنشائها ومنها ماقارن الزيادة في ثمنها نقص في مادتها. وقد زدنا في مادة المنار وتحسينه مع بقاء قيمة الاشتراك على أصلها . وانا لنعلم ان طلب النقص لابد منه سواء علينا أزدنا في القيمة أم نقصنا فلو جعلناها ثلاثين لقال باذلها الآن: إنني لاأقدر على أكثر من عشرين : ولو جعلناها ثمانين لجادت يده بالاربعين ،

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و« مناراً » كمنار الطريق)

(مصر — الاثنين ١٦ صفر سنة ١٣٢٢ — ٢ مايو (أيار) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

« قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ، وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ، وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * »

قالوا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتشوف لتحويل القبلة عن بيت

المقدس ويرجوه بل قال (الجلال) انه كان ينتظره لان الكعبة قبلة ابيه ابراهيم والتوجه اليها ادعى لايمان العرب أي وعلى العرب المعول فى ظهور هذا الدين العام، لانهم كانوا أكمل استعدادا من جميع الانام، قال الاستاذ الامام ولا بعد في تشوفه الى قبلة ابراهيم وقد جاء باحياء ملته، وتجديد دعوته، ولا يعد هذا من الرغبة عن أمر الله تعالى الى هوى نفسه، كلا ان هوى الانبياء لا يعدو أمر الله تعالى وموافقة رضوانه. ولو كان لاحد منهم هوى ورغبة في أمر مباح مثلا وأمر الله تعالى بخلافه لانقلبت رغبتهم فيه الى الرغبة عنه الى ماأمر الله تعالى به ورضيه، بل المقام أدق، والسر أخفى، ان روح النبي منطوية على الدين فى جملته، قبل ان ينزل عليه الوحي بتفصيل مسائله، فهي تشعر بصفائها وإشراقها بحاجة الأمة التى بعث فيها شعورا اجماليا كليا لا يكاد يتجلى فى جزئيات المسائل وآحاد الاحكام الا عند شدة الحاجة اليها، والاستعداد لتشريعها، عند ذلك يتوجه قلب النبي الى ربه طالبا بلسان استعداده بيان مايشعر به مجملا، وإيضاح مايلوح له مبهما، فينزل الروح الامين على قلبه، ويخاطبه بلسان قومه عن ربه، وهكذا الوحي إمداد، فى موطن استعداد، لا كسب فيه للعباد، واذا كان حكم شرع لسبب مؤقت، وزمن فى علم الله معين، تشعر روح النبي بذلك فى الجملة فاذا تم الميقات وازف وقت الرقى الى ماهو افضل وجدت من الشعور بالحاجة الى النسخ مايوجهها الى الشارع العليم، والديان الحكيم، كما كان يتقلب وجه نبينا فى السماء تشوفا الى تحويل القبلة

وفسر بعضهم تقلب الوجه بالدعاء وحقيقة الدعاء هي شعور القلب بالحاجة الى عناية الله تعالى فيما يطلب، وصدق التوجه اليه فيما يرغب، ولا

يتوقف على تحريك اللسان بالالفاظ فان الله ينظر الى القلوب وما أسرت فان وافقتها الالسنة فهي تبع لها والا كان الدعاء لغوا يبغضه الله تعالى فالدعاء الديني لا يتحقق الا باحساس الداعي بالحاجة الى عناية الله تعالى وعن هذا الاحساس يعبر اللسان بالضراعة والابتهال، فهذا التفسير ليس بأجنبي من سابقه . فتقلب الوجه في السماء عبارة عن التوجه الى الله تعالى انتظاراً لما كانت تشعر به روح النبي صلى الله عليه وسلم وترجوه من نزول الوحي بتحويل القبلة . ولا تدل الآية على انه كان يدعو بلسانه طالبا هذا التحويل ولا تنفي ذلك . وهذا التوجه هو الذي يحبه الله تعالى ويهدي قلب صاحبه الى ما يرجوه ويطلبه لذلك قال عزوجل ﴿ فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ وقرن الوعد بالامر فقال ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ والشطر يطلق على معان الظاهر منها هنا النحو والجهة فالواجب استقبال جهة الكعبة في حال البعد عنها وعدم رؤيتها . واذا صح إطلاق الشطر على عين الشي فى اللغة فلا يصح ان يرادهنا لما فيه من الحرج الشديد لا سيما على الامة الامية . ثم أمر بذلك المؤمنين عامة فقال ﴿ وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ وقد عهد من أسلوب القرآن ان يكون الامر يؤمر به النبي ولا يذكر انه خاص به أمرا له وللمؤمنين به فاذا أريد التخصيص جيء بما يدل عليه كقوله تعالى «ومن الليل فتهجد به نافلة لك» وقوله «خالصة لك من دون المؤمنين» وإنما أمر الله المؤمنين فى هذه الآية بما أمر به النبي فيها نصا صريحا للتأكيد الذي اقتضته الحال في حادثة القبلة فانها كانت حادثة كبيرة استتبعت فتنة عظيمة فأراد الله ان يعلم المؤمنين بعنايته بها ويقررها في أنفسهم فأكد الامر بها وشرفهم بالخطاب مع خطاب

الرسول عليه الصلاة والسلام لتشتد قلوبهم وتطمئن نفوسهم ويتلقوا تلك الفتنة التي أثارها المنافقون والكافرون بالحزم والثبات على الاتباع

بعد هذا عاد الى بيان حال السفهاء مثيري الفتنة في مسألة تحويل القبلة فقال (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) أي أن تولي المسجد الحرام هو الحق المنزل من الله على نبيه . وجمهور المفسرين على ان أكثر أولئك الفاتنين كانوا من أهل الكتاب المقيمين فى الحجاز ولولا ذلك لم تكن الفتنة عظيمة لان كلام المشركين فى مسائل الوحي والتشريع قلما يلتفت اليه واما أهل الكتاب فقد كانوا معروفين بين الناس بالعلم ومن كان كذلك فان عامة الناس تتقبل كلامه ولو نطق بالمحال لان الثقة بمظهره، تصد عن تمحيص خبره، فهو فى حاله الظاهرة شبهة اذا أنكر وحجة اذا اعترف لان الجماهير من الناس قد اعتادوا على تقليد مثله من غير بحث ولا دليل. وقد جرى أصحاب المظاهر العلمية والدينية على الانتفاع بغرور الناس بهم فصار الغرض لهم من أقوالهم التأثير فى نفوس الناس فهم يقولون مالا يعتقدون لاجل ذلك ويسندون مايقولون الى كتبهم كذبا صريحا أو تأويلا بعيدا كما كان أحبار اليهود يطعنون فى النبي صلى الله عليه وسلم وماجاء به ويذكرون للناس أقوالا على انها من كتبهم وماهي من كتبهم ان يريدون الا خداعا ، وقد كذب الله هؤلاء الخادعين وبين انهم يقولون غير مايعتقدون كأنه يقول ان هؤلاء قد قام عندهم الدليل على ما سبقت به بشارة أنبيائهم من صحة نبوة الرسول ويعلمون ان أمر القبلة كغيرها من أمور الدين قد جاء به الوحي عن الله تعالى وانه الحق لا محيص عنه (وما الله بغافل عما يعملون) فهو المطلع على الظواهر والضمائر ، الحسيب على مافى

السرائر ، الرقيب على الاعمال ، فيخبر نبيه بما شاء ان يخبره واليه المرجع والمصير ، وعليه الحساب والجزاء ،

سبق القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على هداية أهل الكتاب راجيا بايمانهم مالا يرجوه من إيمان المشركين فبمقدار حرصه ورجائه كان يحزنه عروض الشبه لهم فى الدين ويتمنى لو أعطي من الآيات مايمحو كل شبهة لهم ، فلما كانت فتنة تحويل القبلة بخادعهم الناس اخبره الله تعالى بأنهم غير مشتبهين فى الحق نتزال شبهتهم وانماهم قوم معاندون مجاحدون على علم ثم أعلمه بأن الآيات لاتؤثر في المعاند ولا ترجع الجاحد عن غيه فقال (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك) فلا يحزنك قولهم ولا إعراضهم ولا تحسبن الآيات والدلائل مؤثرة فيهم وصارفة لهم عن عنادهم فهم قوم مقلدون لانظر لهم ولا استدلال. وكما أيأسه من اتباعهم قبلته أيأسهم من اتباعه قبلتهم فقال (وما أنت بتابع قبلتهم) فانك الآن على قبلة ابراهيم الذي يجلونه جميعا ولا يختلف فى حقية ملته أحد منهم فهي الاجدر بالاجتماع عليها وترك الخلاف فيها فاذا كان اتباع ابراهيم لا يزحزحهم عن تعصبهم لما ألفوا ، وعنادهم فيما اختلفوا ، واذا كان التقليد يحول بينهم وبين النظر فى حقيقة معنى القبلة وكون الجهات كلها لله تعالي وان الفائدة فيها الاجتماع دون الافتراق فأي دليل أم أية آية ترجعهم عن قبلتهم وأي فائدة ترجى من موافقتك إياهم عليها .؟ ألم تر كيف اختلفوا هم فى القبلة فجعل النصارى لهم قبلة غير قبلة اليهود التى كان عليها عيسى بعد موسى (ومابعضهم بتابع قبلة بعض) لان كلا منهم قد جمد بالتقليد على ماهو عليه والمقلد لا ينظر فى آية ولا دليل ولا

في فائدة ماهو فيه والمقارنة بينه وبين غيره فهو أعمى لا يبصر، أصم لا يسمع، أغلف القلب لا يعقل،

(ولئن اتبعت أهواءهم بعد ماجاءك من العلم إنك اذا لمن الظالمين) أي إننا قد أقمنا لك مسألة القبلة على قاعدة العلم الذي عرفت به ان نسبة الجهات الى الله تعالى واحدة وان جمود أهل الكتاب على ماهم فيه انما جاءهم من التقليد وحرمان أنفسهم من النظر. وان طعنهم فيك وفيما جئت به من أمر القبلة وغيره ليس الا مجاحدة ومعاندة لك مع العلم بأنك النبي الموعود به في كتبهم يأتي من ولد اسمعيل - فبعد هذا العلم كله لا ينبغي لاحد من أتباعك المؤمنين ان يفكر في اتباع أهواء القوم استمالة لهم اذ لا محل لهذه الاستمالة والحق قوي بذاته وغني بمن ثبت عليه ومن عدل عنه مجاراة لاهل الاهواء لما يرجى من فائدتهم أو اتقاء مضرتهم فهو ظالم لنفسه وظالم لمن يسلك بهم هذه السبيل المعوجة

الاستاذ الامام: هذا الخطاب بهذا الوعيد لأعلى الناس مقاما عند الله تعالى هو أشد وعيد لغيره ممن يتبع الهوى ويحاول استرضاء الناس بمجاراتهم على ماهم عليه من الباطل فانه أفرده بالخطاب مع ان المراد أمته خاصة اذ يستحيل ان يتبع هو أهواءهم أو ان يجاريهم على شيء نهاه الله تعالى عنه لينبه الغافل ويعلم المؤمنون ان اتباع أهواء الناس ولو لغرض صحيح هو من الظلم العظيم الذي يقطع طريق الحق، ويردي الناس في مهاوي الباطل، كانه يقول ان هذا ذنب عظيم لا يتسامح فيه مع أحد حتى لو فرض وقوعه من أكرم الناس على الله تعالى لسجل عليه الظلم وجعله من أهله الذين صار وصفا لازما لهم «وما للظالمين من أنصار» فكيف حال من ليس له مايقارب مكانته عند ربه عز

وجل ، نقرأ هذا التشديد والوعيد ونسمعه من القارئين ولا نزدجر عن اتباع أهواء الناس ومجاراتهم على بدعهم وضلالاتهم حتى أنك ترى الذين يشكون من هذه البدع والاهواء ويعترفون ببعدها عن الدين يجارون أهلها عليها ويمازجونهم فيها واذا قيل لهم في ذلك قالوا : ماذا نعمل : مافي اليد حيلة:العامة عمى : آخر زمان : وأمثال هذه الكلمات هي جيوش الباطل تؤيده وتمكنه في الارض حتى يحل بأهله البلاء ويكونوا من الهالكين

وأعجب من هذا الذي ذكره الامام انك ترى هؤلاء المعترفين بهذه البدع والاهواء ينكرون على منكرها ويسفهون رأيه ويعدونه عابثا أومجنونا اذ يحاول مالافائدة فيه عندهم، فهم يعرفون المنكر وينكرون المعروف ويدعون مع ذلك أنهم على شيء من العلم والدين .

وأعجب من هذا الاعجب أن منهم من يرى إزالة هذه المنكرات والبدع ، ومقاومة هذه الاهواء والفتن، جناية على الدين . ويحتج على هذا بأن العامة تحسبها من الدين فاذا أنكرها العلماء عليهم تزول ثقتهم بالدين كله لابها خاصة !! وبأنها لاتخلو من خير يقارنها كالذكر الذي يكون في المواسم والاحتفالات التي تسمى بالموالد وكلها بدع ومنكرات حتى ان الذكر الذي يكون فيها ليس من المعروف في الشرع !! والسبب الصحيح في هذا كله هو محاولة إرضاء الناس بمجاراتهم على أهوائهم وتأويلها لهم ولولا ذلك لما سكت العالمون بكونها بدعا ومنكرات عليها ، إنهم سكتوا بالثمن - «اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا » وهم مع ذلك يظهرون التعجب من مجاحدة أهل الكتاب للنبي والقرآن وما كانوا أشد منهم جحودا، ولا أكثر جمودا،

هذا إيماء الى اتباع العلماء اهواء العامة بعد ماجاءهم من العلم وما

نزل عليهم من الوعيد عليه. ولو شرح شارح اتباعهم لاهواء السلاطين والامراء ، والوجهاء والاغنياء ، وكيف كانوا يؤلفون الكتب لهم ، ويخترعون الاحكام (والحيل الشرعية) لاجلهم ، وكيف حرموا على الامة العمل بالكتاب والسنة وألزموها بكتبهم ، - لظهر لقارئ الشرح كيف أضاع هؤلاء الناس دينهم ، فسلط الله عليهم من لم يكن له عليهم سبيل ولبان له وجه التشديد في الآية بتوجيه الوعيد فيها الى النبي المعصوم المشهود له بالخلق العظيم ،

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) ذكر فى الآية السابقة ان الذين أوتوا الكتاب يعلمون ان ماجاء به النبي فى أمر القبلة هو الحق من ربهم ولكنهم ينكرون ويمكرون وذكر فى هذه ماهو الاصل والعلة فى ذلك العلم وذلك الانكار وهو انهم يعرفون النبي (ص) بما فى كتبهم من البشارة به ومن نعوته وصفاته التي لاتنطبق على غيره وبما ظهر من آياته وآثار هدايته كما يعرفون أبناءهم الذين يتولون تربيتهم وحياطتهم حتى لايفوتهم من امرهم شيء . قال عبدالله بن سلام رضي الله عنه - وكان من علماء اليهود واحبارهم - : انا أعلم به مني بابني : فقال له عمر رضي الله عنه : لم ؟ قال : لاني لست أشك فى محمد انه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت : فقد اعترف من هداه الله من احبارهم كهذا العالم الجليل وتميم الداري أنهم عرفوه صلى الله عليه وسلم . معرفة لايتطرق اليها الشك (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) انه الحق الذي لامرية فيه فماذا يرجى منهم بعد هذا ؟ وذهب بعض المفسرين الى ان الضمير فى «يعرفونه» لما ذكر من أمر القبلة. واستبعدوا عوده الى الرسول مع تقدم ذكره فى الايات ومع مايعهد من الاكتفاء بالقرائن في مثل هذا التعبير

وقد اسند هذا الكتمان الى فريق منهم اذ لم يكونوا كلهم كذلك فان منهم من اعترف بالحق وآمن واهتدى به ومنهم من كان يجحده عن جهل ولو علم به لجاز أن يقبله . ثم قال عز شأنه

(الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) أي ان العمدة في معرفة الحق هو الوحي يأتيك من عند ربك فلا تلتفت الى أوهام هؤلاء الجاحدين فانها لا تصلح شبهة على الحق الصريح الذي علمك الله فتمتري بها. والنهي في الآية هو كالوعيد في الآية السابقة وجه الخطاب به الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد أمته من كان منهم غير راسخ في الايمان، وخشي عليه الاغترار بمظاهر أولئك المخادعين الذين يغتر بأمثالهم الاغرار في كل زمان ومكان،

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة — تابع ويتبع

(الوجه الخامس والخمسون) قولكم قد قال أبيّ : ماشتبه عليك فكله الى عالمه: فهذا حق وهو الواجب على من سوى الرسول فان كل أحد بعد الرسول لابد ان يشتبه عليه بعض ماجاء به وكل من اشتبه عليه شيء وجب عليه ان يكله الى من هو اعلم منه فان تبين له صار عالما مثله والا وكله اليه ولم يتكلف مالا علم له به . فهذا هو الواجب علينا فى كتاب ربنا وسنة نبينا وأقوال أصحابه وقد جعل الله سبحانه فوق كل ذي علم عليما ، فمن خفي له بعض الحق فوكله الى من هو اعلم منه فقد أصاب فأي شئ في هذا من الاعراض عن القرآن والسنن وآثار الصحابة واتخاذ رجل بعينه معيارا على ذلك وترك النصوص لقوله وعرضها عليه وقبول كل ماوافق به ورد كل ماخالفه ، وهذا الاثر نفسه من أكبر الحجج على بطلان التقليد وان أوله: ما استبان لك فاعمل به وما اشتبه عليك فكله الى عالمه . ونحن نناشدكم الله اذا استبانت لكم السنة هل تتركون قول من قلدتموه لها ، وتعملون بها ؛ وتفتون أو تقضون بموجبها ، أم تتركونها وتعدلون عنها الى قوله وتقولون : هو اعلم بها منا : فأبي رضي الله عنه مع سائر الصحابة

على هذه الوصية وهي مبطلة للتقليد قطعاً وبالله التوفيق . ثم نقول : هلا وكلتم ما اشتبه عليكم من المسائل الى عالمها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ هم اعلم الامة وأفضلها ثم تركتم أقوالهم وعدلتم عنها، فان كان من قلدتموه ممن يوكل ذلك اليه ، فالصحابة أحق ان يوكل ذلك اليهم ،

(الوجه السادس والخمسون) قولكم : كان الصحابة يفتون ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حي بين أظهرهم وهذا تقليد للمستفتين لهم . فجوابه : ان فتواهم انما كانت تبليغا عن الله ورسول وكانوا بمنزلة المخبرين فقط لم يكن فتواهم تقليداً لرأي فلان وفلان وان خالفت النصوص فهم لم يكونوا يقلدون فى فتواهم ولا يفتون بغير النصوص ولم تكن المستفتين (١) لهم تعتمد إلا على مايبلغونهم إياه عن نبيهم فيقولون أمر بكذا أو فعل كذا ونهى عن كذا.

هكذا كانت فتواهم فهي حجة على المستفتين لهم في ذلك الا في الواسطة بينهم وبين الرسول وعدمها . والله ورسوله وسائر أهل العلم يعلمون انهم وان مستفتيهم لم يعلموا الا بما علموه عن نبيهم وشاهدوه وسمعوه منه هؤلاء بواسطة وهؤلاء بغير واسطة ، ولم يكن فيهم من يأخذ قول واحد من الامة يحلل ماحلله ويحرم ماحرمه ويستبيح ماأباحه . وقد أنكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على من افتى بغير السنة منهم كما انكر على ابي السنا بل وكذبه ، وانكر على من افتى برجم الزاني البكر ، وانكر على من افتى باغتسال الجريح حتى مات ، وانكر على من افتى بغير علم كمن يفتي بما لا يعلم صحته، واخبر ان اثم المستفتي عليه • فافتاء الصحابة في حياته نوعان: أحدها . كان يبلغه ويقرهم عليه فهو حجة باقراره لا بمجرد افتاهم • الثاني ما كانوا يفتون به مبلغين له عن نبيهم فهم فيه رواة لا مقلَّدون ولا مقلِّدون.

(الوجه السابع والخمسون) قولكم : وقد تعالى « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم » فأوجب قبول نذارتهم وذلك تقليد لهم: جوابه من وجوه (أحدها) ان الله سبحانه انما أوجب عليهم قبول ما أنذروهم به من الوحي الذي ينزل في غيبتهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) كذا في الاصل ولعل كلمة سقطت كقوله (جماعة) او (فئة) قبل المستفتين

في الجهاد فأين في هذا حجة لفرقة التقليد على تقديم آراء الرجال على الوحي. (الثاني) ان الآية حجة عليهم ظاهرة فانه سبحانه نوع عبوديتهم وقيامهم بأمره الى نوعين أحدهما نفير الجهاد، والثاني التفقه في الدين وجعل قيام الدين بهذين الفريقين وهم الامراء والعلماء أهل الجهاد وأهل العلم فالنافرون يجاهدون عن القاعدين، والقاعدون يحفظون العلم للنافرين، فاذا رجعوا من نفيرهم استدركوا مافاتهم من العلم باخبار من سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهنا للناس في الآية قولان أحدها ان المعنى: فهلا نفر من كل فرقة طائفة تتفقه وتنذر القاعدة: فيكون المعنى في طلب العلم وهذا قول الشافعي وجماعة من المفسرين واحتجوا به على قبول خبر الواحد لان الطائفة لايجب ان يكون عدد التواتر. والثاني ان المعنى: فلولا نفر من كل فرقة طائفة تجاهد لتتفقه القاعدة، وتنذر النافرة للجهاد اذا رجعوا اليهم ويخبرونهم بما نزل بعدهم من الوحي، وهذا قول الاكثرين وهو الصحيح لان النفير انما هو الخروج للجهاد كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «واذا استنفرتم فانفروا» وأيضا فان المؤمنين عام في المقيمين مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والغائبين عنه والمقيمون مرادون ولابد فانهم سادات المؤمنين فكيف لايتناولهم اللفظ. وعلى قول أولئك يكون المؤمنون خاصا بالغائبين عنه فقط والمعنى وما كان المؤمنون لينفروا اليه كلهم فلولا نفر اليه من كل فرقة منهم طائفة وهذا خلاف ظاهر لفظ المؤمنين واخراج للفظ النفير عن مفهومه في القرآن والسنة وعلى كلا القولين فليس في الآية ما يقتضي صحة القول بالتقليد المذموم بل هي حجة على فساده وبطلانه فان الانذار انما يقوم بالحجة فمن لم تقم عليه الحجة لم يكن قد انذر. كما ان النذير من أقام الحجة فمن لم يأت بحجة فليس بنذير فان سميتم ذلك تقليداً فليس الشان في الاسماء. ونحن لاننكر التقليد بهذا المعنى فسموه ماشئتم وانما ننكر نصب رجل معين يجعل قوله عياراً على القرآن والسنن فما وافق قوله منها قبل، وماخالفه لم يقبل، ويقبل قوله بغير حجة، ويرد قول نظيره أو اعلم منه والحجة معه. فهذا الذي أنكرناه وكل عالم على وجه الارض يعلن بانكاره وذمه وذم أهله

(الوجه الثامن والخمسون) قولكم: ان ابن الزبير سئل عن الجد والأخوة فقال: اما الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لو كنت متخذا من أهل الارض

خليلا لاتخذته خليلا » يريد ابا بكر رضي الله عنه فانه انزله أباً : فأي شيء فى هذا مما يدل على التقليد بوجه من الوجوه وقد تقدم من الأدلة الشافية التى لامطمع فى رفعها مايدل على ان قول الصديق في الجد اصح الأقوال على الاطلاق ، وابن الزبير لم يخبر بذلك تقليدا بل اضاف المذهب الى الصديق لينبه على جلالة قائله وانه ممن لايقاس غيره به لا ليقبل قوله بغير حجة ويترك الحجة من القرآن والسنة لقوله . فابن الزبير وغيره من الصحابة كانوا أتقى لله ، وحجج الله وبيناته أحب اليهم من أن يتركوها لآراء الرجال ولقول أحد كائنا من كان ، وقول ابن الزبير : ان الصديق انزله أباً : متضمن للحكم والدليل معاً .

(الوجه التاسع والخمسون) قولكم : وقد أمر الله بقبول شهادة الشاهد وذلك تقليد له : فلو لم يكن فى آفات التقليد غير هذا الاستدلال لكفى به بطلانا ، وهل قبلنا قول الشاهد الا بنص كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع الأمة على قبول قوله ، فان الله سبحانه نصبه حجة يحكم الحاكم بها كما يحكم بالاقرار ، وكذلك قول المقر أيضا حجة شرعية وقبوله تقليد له كما سميتم قبول شهادة الشاهد تقليداً فسموه ماشئتم ، فان الله سبحانه أمرنا بالحكم بذلك وجعله دليلا على الحكام ، فالحاكم بالشهادة والاقرار منفذ لامر الله ورسوله ، ولو تركنا تقليد الشاهد لم يلزم به حكما ، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقضي بالشاهد وبالاقرار ، وذلك حكم بنفس ما أنزل الله لا بالتقليد فالاستدلال بذلك على التقليد المتضمن للاعراض عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وتقديم آراء الرجال عليها ، وتقديم قول الرجل على من هو اعلم منه ، واطراح قول من عداه جملة — من باب قلب الحقائق ، وانتكاس العقول والأفهام ، وبالجملة فنحن اذا قبلنا قول الشاهد لم نقبله لمجرد كونه شهد به بل لان الله سبحانه أمرنا بقبول قوله فأنتم معاشر المقلدين اذا قبلتم قول من قلدتموه قبلتموه لمجرد كونه قاله اولان الله أمركم بقبول قوله وطرح قول من سواه

(الوجه الستون) قولكم : وقد جاءت الشريعة بقبول قول القائف والخارص والقاسم والمقوم والحاكمين بالمثل فى جزاء الصيد وذلك تقليد محض : اتعنون به انه تقليد لبعض العلماء فى قبول أقوالهم أو التقليد لهم فيما يخبرون به ؟ فان عنيتم الاول

فهو باطل ! وان عنيتم الثاني فليس فيه ما تروحون اليه من التقليد الذي قام الدليل على بطلانه ! وقبول قول هؤلاء من باب قبول خبر المخبر والشاهد لا من باب قبول الفتيا في الدين من غير قيام دليل على صحتها بل لمجرد احسان الظن بقائلها مع تجويز الخطأ عليه. فأين قبول الاخبار والشهادات والأقارير من التقليد في الفتوى ؟ والمخبر بهذه الأمور يخبر عن أمر حسي طريق العلم به ادراكه بالحواس والمشاعر الظاهرة والباطنة وقد امر الله سبحانه بقبول خبر المخبر به اذا كان ظاهر الصدق والعدالة وطرد هذا ونظيره قبول خبر المخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قال اوفعل وقبول خبر المخبر عمن اخبر عنه بذلك وهلم جرا فهذا حق لا ينازع فيه احد واما تقليد الرجل فيما يخبر به عن ظنه فليس فيه أكثر من العلم بأن ذلك ظنه واجتهاده فتقليدنا له في ذلك بمنزلة تقليدنا له فيما يخبر به عن رؤيته وسماعه وادراكه فأين في هذا ما يوجب علينا او يسوغ لنا ان نفتي بذلك او نحكم به وندين الله به ونقول هذا هو الحق وما خالفه باطل ونترك له نصوص القرآن والسنة وآثار الصحابة واقوال من عداه من جميع اهل العلم. ومن هذا الباب تقليد الأعمى في القبلة ودخول الوقت لغيره • وقد كان ابن أم مكتوم لا يؤذن حتى يقلد غيره في طلوع الفجر، ويقال له: اصبحت اصبحت: وكذلك تقليد الناس للمؤذن في دخول الوقت وتقليد من في المطمورة لمن يعلمه باوقات الصلاة والفطر والصوم وامثال ذلك • ومن ذلك التقليد في قبول الترجمة والرسالة والتعريف والتعديل والجرح كل هذا من باب الاخبار التي أمر الله بقبول المخبر بها اذا كان عدلا صادقا.

وقد اجمع الناس على قبول خبر الواحد في الهدية وادخال الزوجة على زوجها وقبول خبر المرأة ذمية كانت او مسلمة في انقطاع دم حيضها لوقته وجواز وطئها وانكاحها بذلك وليس هذا تقليد في الفتيا والحكم واذا كان تقليدا لها فالله سبحانه شرع لنا ان نقبل قولها ونقلدها فيه ولم يشرع لنا ان نتلقى احكامه عن غير رسوله فضلا عن ان نترك سنة رسوله لقول واحد من اهل العلم ونقدم قوله على قول من عداه من الامة !!!

(لها بقية)

شبهات النصارى وحجج الاسلام

سوريا والاسلام

(٧) نهوض الدولة العربية وسقوطها

مانا قشنا احدا وكنا عند الرد على كل جملة من كلامه نلوم النفس على التصدي له الا كاتب مقالات (سوريا والاسلام) فان من كان يخلق مايقول ويفتحر له علله و تائجه افتحارا لا ينبغي اضاعة الوقت فى الرد عليه وان ساء تأثير قوله وقد خطر لنا الآن ان نترك الرد عليه لولا أننا لانحب ان نشرع فى شيء وندع اتمامه مختارين

قال ان سبب تأسيس تلك المملكة العربية العظيمة هي (١) كون جنات عدن لايدخلها الا المجاهدون وهذا الحصر غير صحيح في الاسلام

و (٢) الغنائم والتحف التي كانت ترسل من سوريا الى بلاد العرب: وهذا هذيان ظاهر فان كل فاتح يغنم وما كل من غنم اسس مثل ذلك الملك العظيم . ثم ان ارسال الغنائم من الفاتحين بالفعل الى المقيمين في بلاد العرب لاينبغي ان يزيد في همتهم أنما يزيد فيها استئثارهم بما يغنمون . و (٣) تولية كل قائد على البلاد التي يدوخها وهذا غير صحيح واذا صح فهو لا يصلح سببا لان القائد فى العرب لم يكن حاكما مستبدا مستعبدا الجيشه يسيرهم لمصلحته ولان أكثر أولئك القواد الكرام لم تكن لهم عناية بالولاية

والسبب الصحيح لتأسيس الدولة العربية هو أن الامم التي فتحت العرب بلادها كانت كلها فاسدة الدين والاخلاق مختلة النظام معتلة الاحكام فجاء الاسلام وجمع كلمة العرب المتفرقة على الاعتقاد الصحيح والتهذيب الكامل والعدل الشامل فكانوا بذلك سادة لتلك الامم التي سبقتهم بالمدنية وبكل مقومات الامم قبل انحطاطها وتقدمهم

وقد جاءت في كلامه كلمة فيها روح الحق لو فهم ماترمي اليه لما كتبها وهي ان العرب قنعوا أولا بامتلاك سوريا ولولا ان رأوا أنفسهم مهددين بالروم الذين يحيطون بهم من كل جانب لما تصدوا لافتتاح غيرها . وروح الحق في هذه الجملة هو ان السبب الصحيح في زحف المسلمين الى سوريا هو اعتداء أهلها من العرب المتنصرة وغيرهم على من يدخل

في الاسلام وقطع الطرق عليهم ومنعهم من التجارة وانما شرع الجهاد في الاسلام لاجل تأمين الدعوة ليكون الانسان على الدين الذي يختاره بلا إكراه ولا اجبار. ثم انهم بعد ذلك صاروا محاربين للروم الحاكمين على سوريا ومصر وغيرهما من الاقطار ومثل هذه الحرب لاتنتهي الا بتدويخ احدى الطائفتين الاخرى . ومثل هـذا المقام يشتبه على الاكثرين وسنبينه في المقال الموعود به في تاريخ الحرب واصلاح الاسلام فيه

ثم أراد الكاتب ان يبين اسباب سقوط الدولة العربية فذكر اموراً (احدها) ان ما بني على الظلم مهدوم فان الامم التي خضعت للعرب كرها كانت كالماء المحصور بسد عظيم يطلب ثغرة ينفجر منها : ولو كان سقوط الدولة العربية بخروج السوريين والمصريين والفرس عليها واشعالهم نيران الثورات والفتن الاهلية في بلادهم لاسقاطها أو إزالة ظلمها لكان لقوله وجه ولكن شيئا من ذلك لم يكن اذ لم ير أهل هذه الممالك أرحم ولا اعدل من دولة العرب فهذا السبب مخترع من مخيلة الكاتب المتعصب كما ترى

(ثانيها) ان اتساع المملكة وعدم وجود رابطة بين امها غير الدين كان يجزئها : ولهذا وجه يشرح بغير ما قرره . (ثالثها) عدم مهادنة دولة الروم : وهو كما ترى لاقيمة له.

(رابعها) أن اطلاق الخلفاء لحكام المقاطعات والولايات الحرية التامة في تدبير شؤون ولاياتهم حمل هؤلاء على الاستبداد والاستقلال عند ضعف الدولة. وهذا سبب صحيح مسطور في الكتب لاينازع فيه ولكنه لايبرد غليل تعصب الكاتب

(خامسها) وهو المهم عنده ان التعصب الديني واضطهاد المسلمين لتلك العناصر المختلفة والتضييق عليهم في كل شيء بسبب الاختلاف الديني حمل هـذه العناصر على كره الاسلام وخلفائهم وولاتهم وحمل مسيحيي سوريا على الاخص على مد يد الاستغاثة الى اخوانهم في أوربا حتى جروا على المسلمين الحروب الصليبية المشهورة

وهذا كما ترى مكرر مع الاول لايزيد عليه الا في ذكر نتيجة كراهة نصارى سوريا للمسلمين . وقد أنسى الكاتب تعصبه أن الحروب الصليبية ماحدثت الا بعد انحطاط الدولة العربية فكيف يكون الشيء سببا لما وجد قبله ؟؟

التاريخ الصحيح يشهد للعرب بأنهم كانوا أعدل الحاكمين والحروب الصليبية لم تحدث بسوء معاملتهم ولكن بتعصب نصارى أوربا. وذكر كتاب النصارى العارفون بالتاريخ ان الذين

أساؤا معاملة زوار القدس هم السلجوقيون وان تعصب أوربا انما ثار لذلك . جاء في دائرة المعارف ان زوار النصارى كانوا يفدون الي بيت المقدس على عهد الدول العربية ويذهبون « بأمان وطمأنينة ولاسيما في زمن العباسيين حتى قيل ان هارون الرشيد الذي استحكمت الصداقة بينه وبين معاصره شرلمان بعث اليه بمفاتيح بيت المقدس تأمينا لقلوب الزوار وتطييبا لخواطرهم . فكان القبر المقدس وكنيسة القيامة في أيديهم يتمتعون بزيارتها بلامعارض ولايدفعون الااليسير من المال. ولما انتقلت الخلافة الى الفاطميين واستولوا على القدس سنة ٩٧٢ م ساروا على أثر العباسيين وظلوا يحسنون الى المسيحيين وزوارهم الى ان قام الخليفة الحاكم بأمر الله فضيق على النصارى وشوه الامكنة المقدسة عندهم وآذى الزوار فقلقت أوربا لذلك ولكنها مالبثت ان عادت الى السكون لان خلفاء الحاكم رجعوا فأحسنوا السياسة. ولما استولى السلاجقة على بلاد فلسطين ظلموا النصارى وضايقوا زوارهم فهاجت الخواطر في أوربا » الخ فقد رأيت مااعترف به مؤلف الدائرة وهو نصراني عالم بالتاريخ يقل نظيره في كتاب العربية . اعترف بأنه لم يظلم النصارى أحد من ملوك العرب الا الحاكم العبيدي وقد كان مجنونا يظلم النصارى يوما والمسلمين يوما ويحرم أكل الملوخية يوما ويحلها يوما ....

ولايسع هذا الموضع ذكر الشواهد التاريخية على حسن معاملة العرب للنصارى وسائر الملل بالعدل والمساواة وكيف كان هؤلاء يفضلون سلطتهم على سلطة ابناء دينهم لاسيما في أول الاسلام إذ كان العمل بالدين دون السياسة. ولايسع أيضا ذكر الاكاذيب التي افتراها قسوس أوربا على الاسلام والمسلمين ليهيجوا شعوبهم على غزو البلاد السورية وابادة المسلمين منها فقد خلقوا لنا من العقائد الوثنية والتقاليد الكفرية والعيوب الدينية والخلقية ماتقشعر منه الجلود ولا يخطر على بال أحد من البشران يخترعه الا أمثال هؤلاء المتعصبين الذي خلفوا لنا من بعدهم (رفول سعاده) فورث تعصبهم وقرائحهم القادرة على الاختراع . ومن شاء ان يرى العجب العجاب من ذلك فليقرأ كتاب (الاسلام ــ خواطر وسوانح) للكونت كستري الفرنسي الذى عربه احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر

ولد التعصب الديني الذميم في أوربا وتربى فيها وساح الى الشرق فأفسده على أهله

ولم يكن قبل حرب الصليب غلو في التعصب على المخالف في الدين يذكر بعد ما علم العرب الناس التساهل بالعدل والمساواة بينهم وبين غيرهم فسكن بذلك ما كان بين اليهود والنصارى من قبل · وكل ما كان يقع من النزاع والخلاف بين المختلفين في الدين فقد كان يقع مثله بين أهل الدين الواحد والجنس الواحد ومن شاء زيادة البيان في هذا فليراجع مقالات (التعصب) التي نشرناها في السنة الاولى للمنار فقد كانت موضع إعجاب النصارى والمسلمين

افتات رفول سعاده على العرب وجردهم من مزية العدل والانصاف التي شهد لهم بها العالم أجمع ولم يكتف تعصبه بهذا بل جردهم أيضا من سائر المزايا العلمية فقال «وهكذا سقطت الدولة العربية ولا أسف عليها لانها لم تترك أثرا صالحا الا نشرها اللغة العربية في اطراف المعمور» : ولو سأل مؤرخي الفرنجة وفلاسفتها وعلمائها عن آثارهم لقالوا له ان العرب أحيوا العلم بعد موته والفاسفة بعد دفنها والفنون بعد تلاشيها وانهم اساتذتنا في كل العلوم والمعارف فيا أسفي على دولتهم ويا أسفي على أيامهم ويا ليتها دامت أو طالت، وبلغت من السعي في الفضل ما أرادت. ليأخذ العالم عنها كل شيء كاملا : ليقرأ تاريخ سيديو المؤرخ وكتاب الفيلسوف جيون وغيرهما من الكتب الافرنجية بدلا من رسائل بطرس الراهب وخطبه التحمسية التعصبية فذلك خير له ان كان يريد ان يكتب كلاما مقبولا عند العقلاء ويخدم سوريا العربية التي يملك معظمها المسلمون

ان الكاتب يفتخر بالسوريين الاصليين الذين انقرضوا وبادوا وصارت سوريا بعدهم عربية خالصة. فليخبرنا أي أثارة من علم تركها السوريون الاصليون وهم قبائل نيفليم وأميم ورافاييم وزوزيم وعناقيم . وان ذكر الفينقيين أقل له انهم جاؤا سوريا من جبال كردستان وليسوا بسوريين أصليين فهم فاتحون كالعرب ولم يكن لهم من الآثار العلمية مثل ما للعرب وإنما كانوا أصحاب ملاحة وتجارة

أعود في آخر هذه النبذة الى معاتبة نفسي على تفنيد كلام مخترع ككلام هذا المتعصب الغالي الذي غرني بأوائله نشر جريدة المناظر محبة الانصاف له ولعلها تنشر الرد عليه ليكون هذا كفارة لذلك والله يتولى هدانا أجمعين . (للرد بقية)

باب السؤال والفتوى

(الدليل على وجود الله تعالى)

(س ١١) احمد أفندى الالفى في ميت سمنود : ماهو الدليل العقلي على وجود الله سبحانه وتعالى الذي لايمكن لمشكك ان يشتبه فيه ؟

(ج) ان الناس قد اشتبهوا في المشاهدات وغيرها من المحسوسات وأنكر السوفسطائية منهم حقائق الاشياء وطفقوا يشككون الناس فى ذلك قائلين كيف نثق بما نراه وقد ظهر لنا الغلط في بعضه ويجوز على بعض المتساويين ماجاز على الآخر . مثلا اننا نرى العود مستقيما خارج الماء ونراه معوجا فى الماء ونرى النجم صغيرا وكلنا يعلم انه كبير ويذوق من يسمونه الصفراوي العسل مرا ويذوقه غيره حلوا ويرى المحموم أو النائم أمامه أشياء كثيرة يقول من في حضرته انها لاوجود لها . فأمثال هؤلاء اذا كانوا يشكون أو يشككون فى وجود الله تعالى لاينفع معهم دليل ولا برهان . واما طالب الحقيقة فهو الذي لايشتبه فى الحق الا لعارض يصرفه عن الدليل فاذا نبه اليه تنبه ورجع . ومن الناس من يسهل تنبيههم وهم أصحاب الافكار المستقلة ومنهم من يتعذر أو يتعسر تنبيهه على حسب بعده من التقليد وقربه من استقلال الفكر . وفي المشتغلين بالعلم والفلسفة من المقلدين نحو مافى المشتغلين بعلم الدين فان أحدهم يسمع أو يقرأ ان فلانا الفيلسوف الذي يعجب به قال انه لم يثبت عندي دليل على وجود الله تعالى فيقول هذا المقلد له لو كان هناك دليل قطعي لما خفي على ذلك الفيلسوف ويكلف نفسه بان تشك وترتاب أو تنكر وتفند كل دليل من هذا القبيل

ذهب بعض العلماء والحكماء الى أن معرفة الله تعالى فطرية في البشر لاحاجة بهم الى اقامة الدليل عليها لولا ماأحدثته الاصطلاحات العلمية من البحث في الضروريات والبديهيات كعلم الانسان وشعوره ووجدانه . واستدلوا على ذلك بأن جميع أصناف البشر من أرقاهم كالانبياء والحكماء الى أدناهم كالقبائل الضاربين فى معامي الارض واغفالها كلهم يعتقدون بقوة غيبية وراء الطبيعة سواء منهم من تعلم شيئا من صفات ذي القوة ومايجب له من العبادة ومن لم يتعلم ، وبأن المعطلين نفر قليل يعدون من الشواذ ويحال شذوذهم على مرض عرض على هذا الشعور الفطري كما يعرض للاحساس بالحلاوة مرض

يمنع من ادراكها وكما يعرض لبعض مراكز المخ شيء يحول دون ادراك بعض المعلومات مع سلامة سائر المدارك ؛ فقد ثبت ان بعض الناس نسي بعض أرقام الحساب فكان لا يحسن عملية حسابية هي فيها ويحسن غيرها ومثل هذا كثير فلا يقال ان من المعطاين من لا يشك أحد بسلامة عقولهم فان من الناس من يضعف ادراكه لشيء واحد وان كان قويا فى غيره ولم يعرف أحد قويت مداركه في كل فرع من انواع الادراك

وذهب بعضهم الى ان المسألة نظرية وانه لابد من اقامة البراهين على اثبات وجود البارئ تعالى لان الانبياء والحكماء قد استدلوا وأقاموا الحجج على ذلك . ونقول جمعا بين القولين ان المسألة فطرية في الحقيقة وان اقامة الانبياء والحكماء الحجج عليها هي لاصلاح فطرة من عرضت لهم الشبه فيها كما تعرض فى غيرها من الامور الفطرية والضرورية ولإزالة غلط المعتقدين بتلك القوة الغيبية أو بالله تعالى في بعض صفاته وفي نسبة المخلوقات اليه اذ أشركوا به وجعلوا له وسطاء وشفعاء كالملوك الظالمين لذلك قال الله تعالى «أفي الله شك فاطر السموات والارض؟» الخ فأشار أولا الى ان الايمان به أمر ثابت في الفطرة لا موضع للشك فيه ثم ذكر بعض صنعه الدال على قدرته وانفراده بالتأثير والتدبير وهو كونه فطر السموات والارض أي شق وفصل بعضها من بعض بعد ان كان الجميع مادة واحدة الخ ما جاء فى الآية

وانني وجدت أقرب الدلائل تنبيها واقناعا لعقول المشتغلين بالعلوم العصرية كما ثبت لي بالتجربة والمناظرات معهم هو أن جميع ما نعرفه من الموجودات حادث عندهم حتى أنهم ليقدرون للارض والشمس والكواكب أعماراً لقطعهم بحدوثها ، ثم انهم قاطعون بان الموجود لا يصدر عن نفسه ولا عن معدوم كما قال تعالى « أم خُلِقُوا من غيرِ شيءٍ أم هم الخالقون » فتعين ان يكون لهذه الموجودات كلها مصدر وجودي ثم انهم قاطعون بأن مصدر الكائنات والاصل الذي وجدت منه غير معروف فى ذاته وانما يجب ان يكون موجوداً ذا قوة . فالمادي منهم يقول المادة مع القوة هي أصل الموجودات كلها فاذا سألته ماهي المادة التي تعنيها يقول ان حقيقتها غير معروفة فكأنه اختلف مع غيره فى التسمية واتفق الجميع على ان هذه الكائنات كلها قد صدرت عن موجود ذي قوة حقيقية غير معروفة الكنه وهو ما عليه المسلمون ولذلك قلنا في المنار ان الفلاسفة الاوربيين

الذين أنكروا آلهتهم ما أنكروا إلا الاله الكنيسة أي الآله الذى تصفه الكنيسة بصفات غير معقولة ككونه مركبا من ثلاثة أقانيم وكون أحدها حل في أحشاء امرأة فأولدها إلها كاملا وانسانا كاملا الى غير ذلك من الصفات التي لا يقبلها عقل .

هذا الاعتقاد هو الذي صرح به سسل رود الذي قالوا انه كان غير مؤمن بالله وهو الذي كان يعتقده هكسلي وسبنسر وغيرهم من الفلاسفة الذين نقل عنهم التعطيل، « والله يقول الحق ويهدي السبيل »

البيع فى الذمة والسلم - أو المضاربة العصرية

(س ١٢) محمد أفندى حسن وبعض تجار البورصة بالاسكندرية :

ماقولكم دام فضلكم في رجل من المسلمين اشترى من القطن ألف قنطار مثلا موصوفة في ذمة البائع بثمن معلوم فى شهر المحرم مثلا على ان يستلمها منه فى أجل معلوم شهر ربيع الاول كذلك ودفع بعض الثمن عند التعاقد وأجل باقيه الى الاستلام . فهل للمشتري قبل قبض المبيع وقبل حلول الميعاد أن يبيع ذلك القطن الموصوف فى الذمة ويكون تمكين البائع للمشتري من البيع في أي وقت من أوقات الميعاد قبضاً وتخلية حتى يكون ذلك البيع صحيحاً لانه معرض للربح والخسران الذي هو قانون البيع ويكون ماعليه المسلمون اليوم فى تجاراتهم من المضاربة وبيع الكنترانات جائزاً فى دين الله تعالى أم يكون ذلك بيعاً فاسداً وعملا باطلا مشابها للميسر كما يزعمه بعض الناس ؟ واذا كان باطلا فاي فرق بين قبضه بنفسه وبين إذن البائع له بالبيع فى أي وقت وما السر في ذلك وأين اليسر في قوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ؟ بل هو عين الحرج فى البيع والشراء وقد قال تعالى « ماجعل عليكم في الدين من حرج » أم كيف يحرم المسلمون من منفعة هذه التجارة العظيمة التي تعود على الكثير منهم ؟ . نطلب من حضرتكم الجواب الموافق لكتاب الله وسنة رسوله ودينه الصحيح من غير تقيد بمذهب من المذاهب مفصلا مبيناً فيه سند الجواز أو المنع على لسان مجلتكم الغراء التي أخذت على عاتقها خدمة الاسلام والمسلمين لان الاجابة على هذا السؤال بما يوافق الشرع أعظم شيء يستفيده التجار المسلمون من أمر دينهم وكلهم بلسان واحد يطلبون من حضرتكم الاجابة في أقرب وقت على صفحات المنار سواء كانوا بالاسكندرية أو غيرها

وفيهم مشتركون في مجلة المنار الغراء والكل مشتاق اليها اشتياق الظمآن للماء ليطمئن الجميع نسأل الله تعالى ان يعلي شأنكم ويعضد عملكم ويجملكم ملجأ للقاصدين .

(ج) نهى الكتاب العزيز عن أكل أموال الناس بالباطل أي بغير حق يقابل ما يأخذه احد المتعاوضين وأحل التجارة واشترط فيها التراضي فقط ، ومن أكل أموال الناس بالباطل ما ورد في الاحاديث من النهي عن بيع الغرر وعن الغش وعن بيع ما لا يملك لعله لا يقدر عليه . وقد ورد في حديث ابن عمر في الصحيحين وغيرهما أنهم كانوا يتبايعون الطعام جزافا بأعلى السوق فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعوه حتى يحولوه وفي رواية ينقلوه وقال « من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه » وفي رواية لأحمد « من اشترى طعاما بكيل او وزن فلا يبعه حتى يقبضه » . وروى احمد ومسلم من حديث جابر « اذا ابتعت طعاما فلا تبعه حتى تستوفيه » وهذه الاحاديث خاصة بالطعام وبالتجارة الحاضرة تدار بين التجار كما يدل عليه كونهم كانوا يفعلون ذلك في السوق وامروا بالتحويل . وفي حديث حكيم بن حزام عند احمد والطبراني قال قلت يارسول الله اني اشترى بيوعا فما يحل لي منها وما يحرم ؟ قال « اذا اشتريت شيئاً فلاتبعه حتى تقبضه » وهو عام ولكن في سنده العلاء بن خالد الواسطي ضعفه موسى بن اسماعيل . وهناك حديث آخر عام في الطعام وغيره خاص بالسلع الحاضرة وهو وهو حديث زيد بن ثابت عند ابي داود وابن حبان والدارقطني والحاكم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تباع السلع حيث تباع حتى يحوزها التجار الى رحالهم : وقد خص بعض العلماء النهي بالطعام واستدلوا على ذلك بأحاديث اخرى تدل على صحة التصرف بالمبيع قبل القبض ومن هذه التصرفات ما هو مجمع عليه كالوقف والعتق قبل القبض . وقد علل ابن عباس النهي بان الشيء الحاضر اذا تكرر بيعه ولم يقبض كان ذلك بمنزلة بيع المال بالمال . اى فان المال ينتقل من يد الى يد والشيء حاضر لا يمس كأنه غير محتاج اليه ولا مراد رواه الشيخان قال مسلم انه قال لما سأله طاووس عن ذلك : الا تراهم يبتاعون بالذهب والطعام مرجأ : وحاصل هذا التعليل ان النهي لمنع الاحتيال على الربا ولابد في التجارة ان تكون السلع هي المقصودة فيها لاسيما اذا كانت حاضرة فما معنى شراء فلان السلعة الحاضرة بعشر جنيهات وبيعها من آخر بخمس عشرة وهي

حاضرة وهم حاضرون الا الحيلة على الربا ؟ واي فائدة للناس في حل مثل هذا اللعب بالتجارة وانا نعلم ان بيع البورصة ليس من هذا القبيل ولكن احببنا ان نورد اصل مآخذ العلماء في تحريم بيع الشيء قبل قبضه ليميز المسلم بين البيوع التي تنطبق عليها الاحاديث وغيرها

ثم ان علماء المسلمين كافة يجيزون إرجاء الثمن أو ارجاء القبض ولكن اكثرهم يمنع بيع الشيء قبل قبضه مطلقا فان احتجوا بالاحاديث المذكورة آنفا فقد علمت انها لا تدل على هذا الاطلاق، وان قالوا ان بيع ما في الذمة لا يخلو من غرر وربما يتعذر تسليمه نقول ان هذا رجوع الى القواعد العامة التي وضعها الدين للمعاملات وكلها ترجع الى حديث «لا ضرر ولا ضرار» فكل ما ثبتت مضرته ولم يكن في ارتكابه منع ضرراً كبر منه فهو محرم والا كان حلالا وهذا ينطبق على قاعدة بناء الشريعة على اليسر ودفع الحرج ولا شك ان في مبايعات البورصة ماهو ضار وماهو نافع وتحرير ذلك بعد العلم بأصول الاحكام التي ذكرناها متيسر للتاجر المتدين

وقد جاء في الصحيح النهي عن بيع المخاضرة وهو بيع الثمار والحبوب قبل بدو صلاحها وذلك لما كثر تشاكيهم ودعوى البائعين ان الآفات والجوائح أصابت الثمر قبل بدو صلاحه وانما هذا في ثمر شجر معين لقوله صلى الله عليه وسلم «اذا منع الله الثمرة بم يأخذ أحدكم مال أخيه» والحديث في البخاري . ولا يدخل في هذا بيع كذا قنطاراً من القطن قبل بدو صلاحه اذا لم يعين شجر القطن . ويدل على ذلك جواز السلم الذي يدخل في تجارة البورصة فان الكثير منها في معنى السلم الا انه لا ينطبق على جميع شروطه وأحكامه المشروحة في كتب الفقه فنذكر حقيقة ما جاء فيه في الاحاديث الصحيحة فيه انارة للموضوع فاننا غير واقفين على تفصيل ما يجري في البورصة من البيوع فنكتفي بالكلام فيها

روى أحمد والشيخان وأصحاب السنن من حديث ابن عباس قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين فقال «من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل معلوم» فالكيل المعلوم أو الوزن المعلوم شرط لانهم كانوا يسلفون في ثمار نخيل بأعيانها وفيه غرر وخطر كما علم مما تقدم. واما الاجل فقال الشافعية انه ليس بشرط وان الجواز حالا أولى وهو الراجح وان

خالفهم الجمهور . وأقل التأجيل عند المالكية ثلاثة أيام . وروى أحمد والبخاري من حديث عبد الرحمن بن ابزى وعبد الله بن أبي أوفى قالا : كنا نصيب المغانم مع رسول الله (ص) وكان يأتينا انباط من انباط الشام فنسلفهم في الحنطة والشعير والزيت الى أجل مسمى ، قيل أ كان لهم زرع أولم يكن ؟ قالا ما كنا نسألهم عن ذلك : وفى رواية لاحمد وابي داود والنسائي وابن ماجه «وما نراه عندهم» أي المسلم فيه وهو دليل على انه لايشترط في المسلم فيه ان يكون عند المسلم اليه . قال ابن رسلان : واما المعدوم عند المسلم اليه وهو موجود عند غيره فلاخلاف في جوازه : واجاز الجماهير السلم فيما ليس بموجود عند العقد خلافا للحنفية ويدل عليه حديث ابن عباس السابق فان السلف فى الثمار الى سنتين نص فيه اذ الثمار لاتمكث سنتين

وروي أبو داود وابن ماجه من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله (ص) «من أسلم فى شئ فلا يصرفه الى غيره» وفى اسناده عطية بن سعد العوفي قال المنذري لايحتج بحديثه واذ كان هذا الحديث غير صحيح ولاحسن فلا يوجد حديث غيره يدل على امتناع جعل المسلم فيه ثمنا لشيء قبل قبضه أو امتناع بيعه قبل القبض . ثم ان بيعه قبل القبض ليس فيه شئ مما لم يكن في العقد الاول فيحال عليه الفساد فهو جائز

فعلم من هذا كله ان بيع ما فى الذمة جائز كالحوالة فيه الا اذا كانت التجارة غير مقصودة بل حيلة للربا أو المقامرة او كان في ذلك غش اوتغرير ومنه ان يبيع الانسان ويشتري وليس له مال ولاسلع تجارية وانما يخادع الناس فان ربح طالبهم وان خسر لا يأخذون منه شيئا . فليحاسب مؤمن بالله نفسه بعد العلم بأحكام دين الله والله الموفق والمعين

سادة أصناف البشر ، وآية الكرسي

(س ١٣) . محمد أفندى حلمى كاتب سجون حلفا :

جاء فى كتاب المخلاة مانصه ، قال صلى الله عليه وسلم «سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولافخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد البقرة آية الكرسي» ثم أورد فى هذا الموضوع فضائل آية الكرسي بكثرة فهل ذلك حقيقي أرجو منكم ارشادي الى الحقيقة ولكم مزيد الشكر والاجر

(ج) هذا الحديث تشهد عبارته وأسلوبه والغلو فيه بانه موضوع ولكن المحدثين قالوا انه ضعيف . وفي اسناده مجالد بن سعيد قال فيه الامام أحمد انه ليس بشيء وهو في الديلمي وابن عساكر . وقد ورد في سورة البقرة أحاديث أمثلها حديث أبي هريرة عند الترمذي «لكل شيء سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن — آية الكرسي»

قضاء الفوائت في النار

(س١٤) ومنه : رجل بلغ من العمر نحو ثلاثين سنة وفي خلالها لم يؤد الصلوات المفروضة عليه وابتدأ في تأدية الفريضة بعد هذه المدة هل هو ملزم شرعا بأن يعوض مامضى في الدنيا وان كان لم يعوضها فى الدنيا فهل يؤديها يوم القيامة افيدونا بالصريح ولجنابكم الثواب

(ج) قضاء الصلوات الفائتة واجب ومايتناقله العوام والصبيان من ان من عليه فائتة يقضيها على بلاط جهنم غير صحيح لقوله تعالى «يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون» — الى قوله «وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون»

القرآن لقضاء الحوائج

(س١٥) ومنه : ماقولكم ادام الله النفع بكم للاسلام فيما هو متبع وشائع ومعلوم لكل انسان من تلاوة بعض الآيات طلبا للنجاة أو السلامة فمنها مايقرأ قبل النوم ومنها ماهو عند ركوب البحر وللدخول امام الحكام وكذا استعمالها لمداواة بعض الامراض مثل وجع الرأس والجنون والحفظ من الشيطان الخ وكل هذا عمل بالحديث المتداول بين الناس وهو «خذ من القرآن ماشئت لما شئت» فهل هو صحيح؟ أرجو التكرم بالافادة ولكم الفضل

(ج) لا اذكر انني رأيت هذا الحديث في الكتب التي يعول عليها وقد راجعت عنه الآن في مظانه فلم أجده وما أظنه الا من اختراع أصحاب العزائم والنشرات التي ورد في حديث جابر وغيره انها من عمل الشيطان . فقد حول هؤلاء فائدة القرآن الى غير ماأنزل لأجله من الهداية وجعلوه آلة لا كل أموال الناس بالباطل فانك لتجد الذي يكتب لك ماتتقرب به الى الحكام عاجزا عن التقرب اليهم والقبول عندهم وتجد الذي

يكتب لك ماتغنى به من أفقر الناس الاحيث يروج الدجل ويبذل المال الكثير في الوسائل الوهمية فان البارع في الايهام والدجل قديستغني في أمثال هذه البلاد ولكن بركة جهل الناس لابتأثير عزائمه ونشراته ٠ وكذلك الذين يكتبون لشفاء الامراض تجدهم أوعيالهم غير ممتعين بالصحة ٠ ولوصح الحديث لكان معناه خذ من القرآن ماشئت من آيات الهداية والعبر لما شئت من أمراض النفس وعلل القلب فانه كما قال الله «شفاء لما في الصدور» لاشفاء لما يقول الدجالون من امراض العظام والجلود

﴿ المهدي المنتظر ﴾

(س ١٦) ومنه : مشهور بين الكافة من أهل الاسلام علي ممر الاعصار ان لابد فى آخر الزمان من ظهور رجل يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي علي الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال ومابعده من اشراط الساعة الثابتة بعده وان سيدنا عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه الخ (واني نظرت ذلك فى متن صحيح البخاري) فرأيت ان أكتب لجنابكم فى هذه المسألة لكى تكرموا علينا بالافادة ولحضرتكم الاجر

(ج) ليس فى متن البخاري ذكر صريح للمهدي ولكن وردت فيه أحاديث عند غيره منها ماحكموا بقوة اسناده ولكن ابن خلدون عني باعلالها وتضعيفها كلها . ومن استقصى جميع ماورد في المهدي المنتظر من الاخبار والآثار وعرف مواردها ومصادرها يرى انها كلها منقولة عن الشيعة وذلك انه لما استبد بنو أمية بأمر المسلمين وظلموا وجاروا وخرجوا بالحكومة الاسلامية عن وضعها الذي يهدي اليه القرآن وعليه استقام الخلفاء الراشدون وهو المشاورة فى الامر وفصل الامور برأي أهل الحل والعقد من الامة حتى قال على المنبر من بعد من خيارهم وهو عبدالملك بن مروان: من قال لي اتق الله ضربت عنقه : — لما كان هذا كان أشد الناس تألما له وغيرة على المسلمين آل بيت النبي عليه وعليهم السلام وكانوا يرون أنهم أولى بالامر وأحق باقامة العدل فكان من تشيع لهم يؤلفون لهم عصبية دينية يقنعونها بأن سيقوم منهم قائم مبشر به يقيم العدل ويؤيد الدين ويزيل ما أحدث بنو مروان من الاستبداد والظلم وعن هذا الاعتقاد صدرت تلك الروايات والناظر فى مجموعها يظهر له انهم كانوا ينتظرون

ذلك فى القرن الثاني ثم في الثالث وكانوا يعينون أشخاصا من خيار آل البيت يرجحون ان يكون كل منهم القائم المنتظر فلم يكن . وكان بعضهم يسأل من يعتقدانه صاحب هذا الامر فيجيبه ذاك بأجوبة مبهمة ومنهم من كان يتنصل ويقول ان الموعد ماجاء ولكنه اقترب ومنهم من كان يضرب له أجلا محدودا ولكن مرت السنون والقرون، ولم يكن ماتوقعوا ان سيكون،

وقد جرت هذه العقيدة على المسلمين شقاء طويلا اذ قام فيهم كثيرون بهذه الدعوى وخرجوا على الحكام فسفكت بذلك دماء غزيرة وكان شر فتنها فتنة البابية الذين أفسدوا عقائد كثير من المسلمين وأخرجوهم من الاسلام ووضعوا لهم دينا جديدا وفي الشيعة ظهرت هذه الفتنة وبهم قامت ثم تعدى شرها الى غيرهم . ولا يزال الباقون منهم ومن سائر المسلمين ينتظرون ظهور المهدي ونصر الاسلام به فهم مستعدون بهذا الاعتقاد لفتنة أخرى نسأل الله ان يقيهم شرها .

ومن الخذلان الذي ابتلي به المسلمون ان هذه العقيدة مبنية عندهم على القوة الغيبية والتأييد السماوي لذلك كانت سببا فى ضعف استعدادهم العسكري فصاروا أضعف الامم بعد ان كانوا أقواها . وأشدهم ضعفا أشدهم بهذه العقيدة تمسكا وهم مسلمو الشيعة في إيران فان المسألة عندهم اعتقادية اما سائر المسلمين فالامر عندهم أهون فان منكر المهدي عندهم لا يعد منكرا لاصل من الدين . ولو كانوا يعتقدون أنه يقوم بالسنن الالهية والاسباب الكونية لاستعدوا لظهوره بما استطاعوا من قوة ولكان هذا الاعتقاد نافعا لهم

وجملة القول اننا لانعتقد بهذا المهدي المنتظر ونقول بضرر الاعتقاد به ولو ظهر ونحن له منكرون لماضره ذلك اذا كان مؤيدا بالخوارق كما يقولون . وقد بينا ذلك في كتابنا (الحكمة الشرعية) وفى هذه الايام ألف أحد علماء الفرس (زعيم الدولة الدكتور ميرزا محمد مهدي خان رئيس الحكماء) المقيم بالقاهرة كتابا في تاريخ البابية يطبع عندنا الآن واسمه (مفتاح باب الابواب) وقد ذكر فيه أصل هذا الاعتقاد وما ورد فيه وتاريخ من ادعى المهدوية مجملا وماذا كان من أثر ذلك فلينتظر صدوره محبو التفصيل فان العاقل يستنبط منه ماسكت المصنف عن استنباطه عمدا

القسم العمومي

نظام الحب والبغض — تابع ويتبع

حب القوة

(رابطة المدنية)

(تمهيد ثان) البر وطن البشر يسبحون فيه كما تسبح الحيتان فى البحر . يوجد فى الارض بران عظيمان : احدهما عرف قديماً والآخر عرف أخيراً (سنة ٨٩٨هـ — ١٤٩٢ م)

البر القديم قطع ثلاث كبرى : أوربا فى الغرب الشمالي ، وأفريقية فى الغرب الجنوبي، وآسيا في الشرق من الشمال الى الجنوب: والبر الجديد قطعة لاشرقية ولاغربية، وفي البحار قطع متجاورات من الجزائر صغيرة وكبيرة تتبع فى اصطلاح المقسمين لواحد من هذه البرور الا الجزائر التي تقع فى الاوقيانوس الجنوبي فأنها تحسب قطعة وحدها . على انه حيث كان البر مهما عظمت مساحته فهو جزيرة فى البحر . واذا كانت البرور كلها جزائر فأول بشر فى أية جزيرة وجد ؟ وكيف انتقل البشر من جزيرة الى أخرى ؟ وفي أي الجزائر حدثت له مراقي المدنية ؟ فلبيان هذه المسائل حررت هذا التمهيد الثاني :

يلهج كثيرون بقولهم ان آسيا مهد البشر ولكن لادليل على ذلك بل لادليل على ان هذا النوع وجد بادئ بدء فى البر القديم مطلقا كما لادليل على انه وجد بادئ بدء فى البر الجديد . وانما لهج الناس بهذه القولة لان ماحفظه التاريخ يدل على قدم سكان آسيا . ويدل على ان سكان أوربا أتوها مهاجرين من جهات آسيا .

وفريق من الحكماء تقدست أفكارهم عن الجمود فراموا نبأ عن البشر قبل العهد الذي حدثت فيه صناعة الكتابة ولم يعبأوا بكثير من أساطير الاولين . ومنهم من أوحي اليهم لروح الطاهر ان يستهدوا بطبقات الارض فاهتدوا بها الى معرفة أنواع من الحيوانات كانت فبادت . وهدوا الى معرفة العهد الذى وجد فيه الانسان . فمن هؤلاء يرجى ان تقتبس المعرفة في هذه المسئلة فسائلوهم ان حرصتم على هذه المعرفة ولكن أوصيكم لاتقنعوا منهم بجواب مجرد عن الدليل واعلموا انه لايتم لهم دليل حتى يثبتوا انهم

نقبوا في كل جزيرة في كل طبقاتها . اما الآن فلتبق هذه المسئلة مجهولة لدينا والله بكل شيء عليم .

ومن الناس من يزعمون ان البشر ينتهون الى أصول متعددة وجدت في جزائر متعددة وهو وهم ناجم من عدم التدقيق ومن جمود الفكر على بعض المحسوسات . وما اقبح جموداً ينتهي بصاحبه الى جهل يظنه علما ، ويصرفه عن علم يخاله جهلا .

وانا قدمنا اشارات نافعة الى كيفية تحكم الحاجات على الانسان مع مشاركة فطرته لها بالتحكم . ومنها علمتم كيف تحدث له الصنائع والاعمال ، على قدر الحاجات والآمال ،

والآن نبني على ماقدمنا فنقول : ان من فطرة الانسان وجملة خواصه الحرص على ادخار الزوائد عن حاجته وان الحرص يحمله ان لايقف موقفا واحداً في اجتلاب المكسوبات والمدخرات . ففريق الرحل يحتاجون في توفير الحيوانات المأسورة والاستكثار منها الى التنقل الدائم في المراعي ومتى كثروا وكثرت أموالهم تلك يحتاج كل طائفة منهم الى ديار واسعة يتنقلون فيها في الصيف والشتاء والاعتدالين ولايزالون يستولون على الديار ويتقاتلون من أجلها حتى تضيق بهم ويحتاج الاضعفون منهم ان يرحلوا الى ديار لاديّار فيها من الاقوين .

وفريق المقيمين يحتاجون في توفير الحبوب والمعادن والمصنوع من المعادن الى المبادلات الدائمة فلاتزال طوائف منهم يضربون في الارض يبتغون ان يبدل بعضهم من بعض ماصنعوا وملكوا ومتى كثروا وكثرت أموالهم كثرت — على هذه النسبة — مقراتهم ثم اضطروا ان يتغالبوا على احسن الديار وأوسعها ليتخذوا فيها أوطانهم . ولايزالون يتغالبون حتى يضطر الأضعفون للرحيل الى ديار أخرى يتخذونها وطناً . وعلى هذا الوجه حدث مانسميه القرى أو البلاد وتباعدت بينها المسافات وصار السفر للمقيمين ضربا من اللوازم يقوم به طوائف منهم على نسبة اقتسام الاعمال ، وكثرة الأموال والآمال

فافرضوا على هذا الوجه أن طائفة من الأضعفين القريبين من البحار ضايقهم الأقوون من جيرانهم حتى اضطروهم الى الرحيل ولم يبق امامهم الا الموت او تجربة الحياة على متن ما كانوا قد جربوه فرأوه يطفو في البحر (وهم جيرته) من الواح الأخشاب فأي الامرين يختارون ؟ أفلا يختارون ان يركبوا ماجربوه من الطوافي

ويجربوا على ظهره كيف يحيون، ويأملوا ان يتيح لهم من الغيب ما به يحيون؟

افرضوا انهم سلموا أنفسهم للبحر على متن الالواح آملين ماهم آملون وبيناهم كذلك اذ أشرفوا على بر في بحر ودنت بهم الالواح حتى نزلوا الى ذلك البر ووجدوا فيه ما كان يجده أوائل البشر من رزق أفلا يصيرون أمة كما صار من الزوج الاول امم لا تحصى

هكذا افرضوا ان أبيتم ان تقولوا ان نفراً من جيران البحر أولئكم جربوا السير في البحر على الألواح من غير ضرورة الجأتهم كالتي مثلناها بل أوحي اليهم ان يجربوا تلك التجربة وفي سيرهم وجدوا براً في بحر ثم احبوا ان يتخذوا لهم وطناً لما وجدوا فيه من رغد زائد على ما في وطنهم الاول. على أي الوجهين بنى الباني يمكنه ان يقول: هكذا كان أول سير في البحر. وهكذا كان أول انتقال من جزيرة الى أخرى.

وهكذا عرف البشر ان في البحر بروراً فصاروا ينتقلون حسب الحاجات أو حسب الآمال من جزيرة الي أخرى حتى ملئت الجزائر بشرا وملئوا بها.

أما الجزيرة الاولى التي حدثت فيها للنوع مراقي المدنية بادي بدء فلا يبعد ان تكون هي البر المعروف قديما ثم لا يبعد ان تكون قطعة آسيا منه هي مهد المدنية. وفرق بين قولنا مهد البشر وبين قولنا مهد المدنية. (ثمة بقية) ع. ن

آثار علمية ادبية

(التقريظ)

﴿ تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

صدر الجزء الثاني من هذا التاريخ المفيد الذي يجب على الناطقين بالضاد الاعتراف لمؤلفه جرجي أفندي زيدان بفضل السبق الى خدمتهم به وبإيتهم يحدونه ويتلون تلوه فيه. صدر هذا الجزء من نحو تسعة أشهر وقد ارجأنا الكلام عليه لنطالعه كله وننتقده إجابة لطلب المؤلف ولم نجد سعة في كل هذه المدة لمطالعته على شدة الشوق وصدق الرغبة فرأينا ان لابد من التنويه به شكرا لمؤلفه وتوجيها للنفوس اليه وان لم نقرأ منه الا قليلا الجزء في ثروة الدولة الاسلامية وأسباب تكونها وانحطاطها وثروة المملكة مدنها

وقراها . وقد أحسن المؤلف أن أشار في أخريات صفحات الكتاب الى عزو النقل الى الكتب التي أخذ عنها عملا باقتراح بعض الفضلاء ولكن الطريقة التي جرى عليها وسبقه بها غيره لاتخلو من ايهام وإبهام فانه يذكر أمرا ويضع فى آخره رقما يضع مثله في أسفل الصفحة تحت خط أفقي ويذكر عند الرقم اسم الكتاب أو المؤلف الذي أخذ عنه فيتوهم القارئ ان ذلك الامر كله من ذلك الكتاب وربما كان المراد بعضه كما يظهر لك من أول عزو في الكتاب وستراه قريبا

قسم المؤلف ثروة الدولة الاسلامية الى خمسة ادوار أو اعصار — عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء الراشدين وعصر الأمويين وعصر العباسيين الاول وعصرهم الثاني فقال في عصر النبي (ص) مانصه:

«اذا كان المراد بثروة الدولة مايزيد من دخلها على خرجها أو ماتختزنه بعد نفقاتها من الأموال ونحوها فالدولة الاسلامية فى عصر النبي لم يكن عندها ثروة حقيقية لانهم لم يكونوا يختزنون مالا ولا كان عندهم بيت مال بل كانوا اذا أصابوا غنيمة فرقوها فيما بينهم وكذلك الصدقات فانها كانت تفرق فى أهلها واذا ظل منها شيء استبقوه لحين الحاجة اليه . وكان النبي يتولى ذلك بنفسه وأكثر الصدقات من الماشية والابل والخيل فكان يسمها بميسم خاص بها تمتاز به عن سواها

« فكانت ثروة الدولة فى عصر النبي عبارة عن بقايا الزكاة من ابل أو خيل أو ماشية وتمتاز عن أموال سائر الناس بمراع خاصة كانت تحبس فيها بالبقيع قرب المدينة يعبرون عنها بالحمي (١) وبميسم كان النبي نفسه يسمها به (٢) وبلغت الاموال في أيام النبي نحو ٤٠٫٠٠٠ بين ابل وخيل وغيرها (٣) ومن هذه الاموال ومايلحق بها من مال الصدقة النقد كانوا ينفقون على غزواتهم وعلى تحصيل الزكاة واعالة الفقراء ونحوهم» اه

فترى انه أشار عند الرقم (١) الى النقل عن الماوردي فتتوهم ان الجملة من قوله « فكانت ثروة الدولة» الى الرقم معزوة الى الماوردي والصواب ان المأخوذ عن الماوردي هو تسمية المراعي بالحمى وانها كانت بالبقيع وقد وقع في هذا السهو أيضا كما تعرفه من عبارة الماوردي نفسها قال : «وحمى الموات (أي الارض التي لامالك

(١) الماوردي ١٧٦ (٢) البخاري ١٩٠ ج ١ (٣) شرح الموطأ (خط)

لها) هو المنع من إحيائه أملاكا ليكون مستبقى الاباحة لنبت الكلأ ورعي المواشي قد حمي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وصعد جبلا بالبقيع قال أبو عبيد هو النقيع بالنون وقال هذا حماي وأشار بيده الى القاع وهو قدر ميل فى ستة أميال حماه لخيل المسلمين من الانصار والمهاجرين » : اه بنصه (ص ١٧٦)

وعبارة صاحب التاريخ تفيد ان الخيل من مال الزكاة والصواب انه لا زكاة فيها والمراد بالخيل في عبارة الماوردي خيل المسلمين المملوكة لهم . ومثل هذا الغلط لا يسلم منه من يأخذ العلم الديني عن الكتب التاريخية من غير تلقي أحكامه عن أهله . فالمصنف جعل الخيل من مال الزكاة وجعل الحمى خاصا بإبل الزكاة وخيلها وماشيتها وكلا الأمرين غلط كما رأيت . ثم قال في عصر الخلفاء ما نصه :

«هذا هو عصر الاسلام الذهبي . عصر العدل والتقوى . كانت الحكومة جارية فيه على سنن العدل والاستقامة والغيرة الحقيقية على الدين ونبذ الدنيا ، وهو العصر الذي اتخذه المسلمون منوالا ينسجون عليه وكلما حادت دولة من دولهم عن جادة الحق طلبوا اليها الرجوع اليه والسير على خطوات الخلفاء الراشدين . لان الحكومة انتقلت بعدهم الى طور جديد وانقلبت من الخلافة الدينية الى الملك السياسي ونشأت فى الخلفاء والعمال المطامع وأخذوا في حشد الاموال بأية وسيلة كانت » اه فليتأمل قول هذا المؤرخ المنصف صاحب مقالات (سوريا والاسلام) وكم فى أبناء ملته من حجة مثله عليه ثم قال

« فلما كثرت الاموال فى أيام عمر ووضع الديوان فرض الرواتب للعمال ومنع ادخار المال وحرم على المسلمين اقتناء الضياع والزراعة أو المزارعة لان أرزاقهم وأرزاق عيالهم تدفع لهم من بيت المال حتى الى عبيدهم ومواليهم — أراد بذلك ان يبقوا جندا على أهبة الرحيل لا يمنعهم انتظار الزرع ولا يقعدهم الترف والقصف . فاذا أسلم أحد من أهل الذمة سكان البلاد الاصليين صار ما كان فى يده من الارض وداره الى أصحابه من أهل قريته تفرق بينهم وهم يؤدون عنها ما كان يؤدي من خراجها ويسلمون اليه ماله ورقيقه وحيوانه ويفرضون له راتبا فى الديوان مثل سائر المسلمين » الخ ما ذكره في هذا المقام نقلا عن ابن عساكر وهو موافق لما نقلناه فى الجزء الماضي ردا على صاحب مقالات سوريا والاسلام . ثم ذكر ان الخلفاء الراشدين لم يتأثلوا

مالا ولا عقارا لما كانا عليه من الزهد وشدة التمسك بالدين وذكر ان أكثر عمالهم كانوا كذلك فليعتبر بهذا ذلك المتعصب الذي ينسب الى المسلمين في الصدر الاول ماهم براء منه بشهادة جميع العلماء من جميع الملل

ثم ذكر ان رأي عمر بعدم اختزان المال ينافي المبدأ الاساسى الذي تقام عليه الدول وتتأيد به السلطات وان سببه النزعة الدينية وان المسلمين عادوا بعد ذلك الى الاصل الطبيعي في الدول فجمعوا الاموال فى عهد بني أمية حتى انهم بدءوا في زمن عثمان لتساهله مع عماله منهم وان معاوية اقتنى الارضين واقتدى به الناس فى الاقتناء والبيع

وبعد ان ختم الكلام بمثل مابدأه من الثناء على الراشدين انتقل الى عصر بني أمية وذكر ماكان فيه من اقتدائهم بالروم والفرس فى الترف وبسطة العيش وماجرهم ذلك اليه من الظلم والجور ولكن معظم ثروتهم كانت تنفق فى الحروب وانهم ابتدعوا ضرائب جديدة وظلموا الرعية حتى جاء عمر بن عبدالعزيز العادل فيهم فرد المظالم وأنصف الناس مؤمنهم وكافرهم من أهله وولده وسائر الناس وعزل الولاة الظالمين ثم قال «فترى مما تقدم ان القواعد الأساسية التى قام عليها الاسلام تدعو الى الانصاف والرفق ولكنها تختلف مظاهرها باختلاف الذين يتولون شؤونها . ولو أتيح لعمر بن عبد العزيز أن يعيدها الى ماكانت عليه فى عهد ابن الخطاب لامحت مظالم بني أمية ولكن جاء فى غير أوانه فذهب سعيه هدرا ولما مات عادت الأمور الى مجاريها ورافقها رد الفعل» الخ

ونقول ان السبب الصحيح في تمكن بني أمية من الظلم هو هدم قاعدة الشورى وسيطرة الامة على الحكام التي صرح به أبوبكر في خطبته يوم ولي الخلافة ثم صرح بها عمر كذلك يوم ولي (راجع المنار ص ٢٣٤ م ٤) وقالها عثمان يوم قام الناس عليه قال على المنبر (أمري لامركم تبع) وقد تمكن بنو أمية من هدم هذا الركن الركين بعصبتهم المؤلفة من الموالي وغيرهم ممن لم يتمكن الاسلام من نفوسهم واستعانوا على ذلك بالمال الذي أخذوه من غير حقه كما هو مفصل فى الكتاب الذي نقرظه. ثم انتقل الى الكلام على بني العباس فأسهب وأفاد ولعلنا نعود الى مطالعة ماكتبه واقتباس بعض فوائده

وصفحات هذا الجزء ١٩٠ وثمنه ١٥ قرشا ويطلب من مكتبة الهلال

السعادة العظمى

صدرت في تونس مجلة عربية جديدة بهذا الاسم وهي « مجلة علمية أدبية إسلامية تصدر فى غرة كل شهر عربي وفي سادس عشره لمنشئها عبده محمد الخضر بن الحسين الحصل على رتبة التطويع العلمية بجامع الزيتونة الاعظم » وقيمة الاشتراك فيها بالمملكة التونسية ٨ فرنكات فى السنة وبالجزائر وطرابلس الغرب عشرة فرنكات وبالممالك الشرقية ومراكش ١٢ فرنكا والعدد منها يتألف من كراستين وهو مطبوع على ورق جيد بالحرف الاستانبولي. وقد سرنا من هذه المجلة انها دلت على تساهل من دولة فرنسا مع المسلمين في نشر العلم كما توقعنا وعلى توجه المشايخ المشتغلين بالعلوم الاسلامية الى الصحافة فنسأل الله تعالى ان يوفقنا ويوفق صاحب هذه المجلة الى خدمة الاسلام الخدمة النافعة وان ينجح عملنا وعمله آمين

باب التربية والتعليم

التعليم الاسلامي فى سيراليون

جاء في مجلة سيراليون الاسبوعية الانكليزية (عدد ٢٩ م ٢٠) تحت هذا العنوان ما يأتي

يخضع سكان هذه المستعمرة منذ بدء استعمارها أتم الخضوع للحكومة الانكليزية وقد كان السير تشارلس ماك كارثي حاكم سيراليون بين ثمانين وتسعين سنة مضت أول من وجه انظار الحكومة الانكليزية الى فائدة تسهيل المواصلات مع المسلمين القاطنين في البلاد الواقعة شرق سيراليون وسنغال وكان يومئذ حاكم المقاطعتين اذ كانت سنغال من الاملاك الانكليزية . وهو أول من حول تجارة مقاطعات البربر الى الشاطيء الغربي وذلك بما كان يبديه من الكرم والمجاملة لزعماء القبائل المحمدية الذين كانوا يأتون الى الشاطيء تباعاً تلبية لدعوته •

ولكن أعمال السير تشارلس ماك كارثي كانت تجارية بحتة. فانه لم يحلم بان سيصبح أولئك الاقوام جزءاً من الامبراطورية الانكليزية فى وقت من الاوقات وانهم يحتاجون حينئذ الى الدربة العلمية والسياسية ليكونوا عضواً عاملا فى جسم المملكة

ولم يكن الا في الثلاثين سنة الاخيرة أي منذ تولى السير ارثور كنيدى ادارة تلك البلاد ان اعتني بتوسيع دائرة التعليم فى المستعمرة لكي تضم المسلمين اليها . وقد كان السير ارثور كنيدى وخلفه السير جون بوب هنيسى ميالين أشد الميل الى تعليم المسلمين العلوم الغربية لانهما رأيا فيهم نشاطاً يمكن الحكومة من الاعتماد عليهم في أعمالها الداخلية وقد لحظا ان المسلمين هم الشعب الوحيد المستنير بنور المدنية والذي يؤلف هيئة اجتماعية في تلك الاقطار المظلمة وانه يمكن بواسطتهم اخضاع جميع القبائل العظيمة في داخلية البلاد . وفى عهد هذين الرجلين تمهدت الطرق للانكليز فى جميع المقاطعات الواقعة بين سيراليون وسوكوتو وكان في امكانهم انشاء مراكز سياسية ودوراً علمية متصلة بعضها ببعض بين سيراليون وهوسالاندر ولكن ذلك أصبح مستحيلا الآن لدخول القوات الاجنبية ومدها نفوذها فى تلك الجهات . ومع ذلك فان الساسة الانكليز يرون ان انتشار التعليم بين المسلمين في سيراليون لا يخلو من التأثير فيما بقي من الاراضي الواقعة وراء المستعمرة فى قبضة الانكليز . ولاشك فى أن اقامة مدرسة للمسلمين ينطبق تعليمها على معتقدهم تجذب الى المستعمرة جميع أهل وطنهم والمتدينين بدينهم في قلب القارة .

ولكن أهم ماحمل الحكومة على انشاء مدارس اسلامية أساسية فى سيراليون هو ان هذه المستعمرة التي هي المستعمرة الانكليزية الوحيدة على الشاطئ والتي يتكلم باللغة الانكليزية في جميع انحائها يجب ان تكون قاعدة لمدرسة جامعة يعلم فيها الشبان المسلمون العلوم العالية من علوم الانكليز والغرب . وقد أشار الحاكم ناتان الى شيء من هذا القبيل في خطابه الذي القاه في ٧ اغسطس ١٨٩٩ اذ افتتح المدرسة الاسلامية فى مدنية فوله قال :

اني اعتقد ان فتح هذه المدرسه سيكون فجر يوم باسم فى التعليم الاسلامي وانه لايمضي بضع سنين حتى يكون في سيراليون مدرسة جامعة تنبعث منها الحكمة والمعرفة وتنبسطان فوق جميع ارجاء غربي أفريقيا .

وهذا القول الذي فاه به الحاكم المذكور في ذاك الحين قد رددت صداه السياسة الانكليزية فى الوقت الحاضر وذلك بالنظر الى ماتراه من التبعة الملقاة عليها ازاء العدد العديد من الشعب الاسلامي الذي يقطن غربي أفريقيا وقلبها .

وقد انتبه الرأي العام الانكليزي الى أهمية تعليم مسلمي أفريقيا العلوم الغربية على أثر قيام اللورد كتشنر ومناداته بطلب المال لتأسيس مدرسة جامعة في الخرطوم لتعليم النشء الاسلامي .

وقد قال اللورد كتشنر في مخاطبته الشعب الانكليزي ان علينا تبعة كبيرة ملقاة على عواتقنا فان على الفاتح ان يهذّب ويمدن . والعمل الذى قامت العقبات في سبيله بعد موت غوردون يجب ان يجدد الآن ولذلك اقترح ان تؤسس فى الخرطوم مدرسة جامعة بمال الانكليز تنسب الى اسم غوردون لاحياء ذكره ولتدل على اننا لا نزال نذكر هذا الرجل العظيم ولنحقق امانيه التي كان يسعى الى الحصول عليها ولا يلزمني ان أضيف الى قولي هذا انه لا يجب ان تتداخل بعملنا هذا فى دين القوم . والمدرسة التي اقترحت انشاءها ستوضع لها خطة تعليمية بحتة ولا يجب ان يدخل عليها شيء من الدروس الدينية . وسنجلب اليها التلامذة من مسلمي السودان واني واثق بان اتخاذ المدرسة للتعاليم الدينية يذهب بالفائدة المطلوبة منها

وقد اقترح اللورد كتشنر هذا الاقتراح بعد ستة أشهر من القاء الماجور ناتان لخطابه عند افتتاح مدرسة فوله .

فغربي افريقيا في حاجة الآن الى مدرسة جامعة كالمدرسة التي أسسها اللورد كتشنر فالحكومة الانكليزية انشأت خمس كليات فى الهند على طراز كلية لندره . وهذه الكليات انشئت في كلكوتا ومدراس وبومباي والله اباد وبنجاب . ومن الاسف ان يقال انه رغم التسهيلات الكبيرة التي أوجدت للتعليم فى تلك الجهات مدة جيلين على الاقل لم يكن للتلامذة حتى الذين حازوا قصب السبق منهم أدنى المام بالحياة العملية والحالة هناك سائرة من سيئة الى سوءى .

والوطنيون الاذكياء قدشعروا بهذه الحالة السيئة منذ سنين عديدة . وجميع حكام المستعمرة انتقدوا الخطة التي تسير عليها المدارس والسير ارثور كنيدى شعر بهذا الاختلال بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٢ وفى عام ١٨٧٢ تقدم بعض زعماء الوطنيين بقيادة المرحوم المستر ويليام غرانت من السير جون بوب هنيسي الذى كان حاكماً على المستعمرة يومئذ ورفعوا اليه عريضة يطلبون فيها من الحكومة انشاء كلية لغربي أفريقيا في سيراليون

فأعجب الحاكم بشعورهم هذا ووافق على مشروعهم وابدى آراء عديدة بهذا الشأن ادرجت في ذاك الحين في جريدة «النيجرو » . ولم يفكر في انشاء كلية للاشراف وذوي الثروة بل كان من رأيه تأسيس كلية جامعة في غربي أفريقيا غير مختصة باولاد الرؤساء وذوي اليسار بل يدخلها أيضا ابناء الفقراء الذين فيهم قابلية للعلم ليتغذوا بلبان العلوم أسوة بابناء الكبار كما كانت الحالة في كليات ايرلندا وفي كليات أوروبا . وقد كتب الحاكم بهذا الشأن الى اللورد كمبرلي الذى كان وزير المستعمرات في ذاك الحين . ولم يعارض . الوزير في هذا الامر ولكن الحاكم كنيدي الذى كان مصمماً على انفاذ هذا المشروع غادر المستعمرة في اثناء المناقشات التي كانت جارية بهذا الصدد فاهمل المشروع يومئذ . ولكن تأثير هذه المناقشات ظل سائراً وقد لوحظ ان إلحاق مدرسة خليج فوره العليا بكلية درهام كانت نتيجة ذلك المشروع .

ولا يوجد بلاد في العالم أحوج الى التعليم من هذه البلاد لان عليه وحده يتوقف الاصلاح . فالآراء التي تحكم العالم في هذه الايام تتشعب جذورها ببطء ولكن تشعب الجذور في هذه البلاد ابطأ منه في غيرها . فالرجل الذى يرجى منه ان يكون معلماً أو مصلحاً في هذه البلاد يجب ان يعامل بمنتهى الصبر والأناة . ولكن النتيجة لابد ان تكون مرضية ولو بعد حين ولذلك لا يجب ان يهمل أي مشروع يكون من ورائه النجاح عاجلا أو آجلا . في الختام نزف التهاني الى السير تشارلس كنج هارمان حاكم المستعمرة الذى قام بهذا المشروع العظيم ولا شك ان مسلمي تلك البلاد يقدرون أعماله حق قدرها . » اه وكتبت المجلة في هذا العدد أيضا ما يأتي

افتتاح مدرسة اسلامية جديدة أميرية في سير اليون

بعد ظهر الاثنين في ١٤ مارس احتفل حاكم مستعمرة سير اليون السير تشارلس كنج هرمان بافتتاح مدرسة اسلامية أميرية بحضور جم غفير . وقبل الموعد المحدد اجتمع عدد كبير من المسلمين وغيرهم في الشوارع منتظرين قدوم الحاكم واتباعه وعند قدومه احاط به القوم تتقدمهم « البالانجاى » وهي موسيقى وطنية فاخذ بعض مشاهير العازفين يعزفون عليها وانتخب اثنتان من نساء « البلي » لتنشدا مديح الحاكم

واللادى كنج هارمان اتباعاً لعادة بعض قبائل البلاد الداخلية وهي انه عند اقبال أحد الرجال العظام عليهم يأتون ببعض النساء المغنيات ليعدوا مآثره بالنشيد . وقد أحدثت هاتان المغنيتان تهيجاً بعبارات الاطراء التي فاهتا بها . ولما دخل الحاكم غرفة المدرسة التي كانت الطريق المؤدية اليها مزدانة بالاعلام وبأغصان النخل نهض الاولاد وانشدوا نشيد الملك . ثم مشى الحاكم وجماعته وصعدوا الى فسحة مرتفعة حيث كانت الكراسي معده للزائرين . وقد كانت غرفة المدرسة قبلا قذرة وغير منتظمة ولكنها أصلحت الآن وأصبحت آية في النظام والرونق

وقد انشئت هذه المدرسة بناء على مشروع جديد أريد بهضم مدرستي ماندينغو وفوله وجعلها مدرسة واحدة وانتخب لها ناظر مدرب ومعلمون ذوو كفاءة . وقد كان تحاسد القبيلتين حائلا دون هذا الضم والوحدة في العمل ولكن ما ألقي على زعمائهما من الوعظ والارشاد جعلهم يقدرون الاتحاد والتعاضد حق قدره فنبذوا التباغض والتحاسد وراء ظهورهم وتوافقوا على المنفعة العامة لاولادهم.

وبعد استقبال الحاكم بدأ الامام عبد العزيز بالدعاء ثم رتل التلامذة ترنيمة إسلامية باللغة العربية ثم تلا الالفا اسكندر تقرير مدرسة الماندينغو وعقبه الالفا الحسين بتقرير المدرسة الاسلامية وقدم التقريران الى الحاكم . ثم قام الحاكم لابداء ملاحظاته فقوبل باصوات الابتهاج . وبدأ أولا بشكر الجمع الحاضر من مسلمين ومسيحيين على حسن استقبالهم له وللادي كنج هارمان وأبدى لهم عظيم ارتياحهما الى المهمة التي اتيا من أجلها وهي ضم المدرستين وجعلهما مدرسة واحدة. وقال ان مدرسة الماندينغو أسسها الحاكم ناتان في عهد توليته ادارة المستعمرة وأراد بتأسيسها تعليم أولاد القبائل الداخلية اللغتين العربية والانكليزية : وقال انه لما زار المدرسة في ابريل العام الماضي وجد فيها ما لا يسر الخاطر فبدلا من ان تكون مدرسة اسلامية وجدها مدرسة مسيحية خلافاً لما كانت تنويه الحكومة من انشائها . فرأى اذ ذاك ان يسحب من متولي ادارة المدرسة رخصة الحكومة لانهم لم يسيروا بموجبها وسرّ بان عمله هذا ادى الى نتيجة حسنة . وقد عاش بينهم مدة طويلة وعرف الطرق التي تعود عليهم بالمنفعة من وراء التعليم فبينما كانت الحكومة راغبة في تعليمهم ما ينطبق على دينهم كانت ايضاً

راغبة في تعليمهم اللغة الانكليزية التي تساعدهم على العمل والارتزاق . وانه ليدهش حين يرى قسماً منهم يمارض في تعليم اللغة الانكليزية فلا يبرحن اذهانهم انهم مع كونهم مسلمين فهم أيضاً رعايا الحكومة الانكليزية وتعلم اللغة الانكليزية يوصلهم الى معرفة ماهو جار من الاعمال العظيمة في العالم. وليس في نية الحكومة ان تبدل جنسيتهم فتجعلهم انكليزا بل تريدان يبقوا أفريقيين ولكن تعلم اللغة الانكليزية يساعدهم على حياتهم القومية وعلى أعمالهم

ثم ابدى اسفه لوفاة ناظر المدرسة الاول سانا جاوارا فقد كان رجلا طيب القلب وصديقاًله ولكنه سر بعد وفاته أن رأى الوسائل متخذة لاصلاح حالة التعليم في المدرستين وانهم عولوا على ازالة النفور من بينهم وعلى العمل يداً واحدة لمنفعة أولادهم . فلا يتمكن شعب من الشعوب من السعي في خير وطنه الابتكاتف اعضائه . والمباراة تعود بالربح في بعض الاحيان ولكنها اذا أفضت الى سفك الدماء فلاتكون عاقبتها الا الخراب والدمار . وانه ليسر بان يراهم الآن متعاضدين ويشتغلون يداً واحدة للنفع العام.

وفي الختام حرضهم الحاكم على التمسك بالطرق المعدة لهم الآن واتخاذها وسيلة لاصلاح حالهم وقال انه واثق بان كل فرد منهم يسعى في جعل المدرسة مركزاً للنور تنبعث منه الاشعة الى القبائل التي يتألف منها الشعب . ثم أعلن الحاكم فتح المدرسة

وبعد ذلك اديرت المرطبات ثم أخذ التلامذة ينشدون الاناشيد وانصرف الجمع في الساعة الخامسة ونصف وصحبت الموسيقي والمغنيتان الحاكم وقرينته الى دار الحكومة.

وقدكان في جملة الذين جلسوا مع الحاكم الامام جامبوريا والالفا دارامي وعبد العزيز والمستر باكارد والمس باكارد والمستر جونسون وقرينته والمستر توماس ورئيس الشمامسة ماكولي والمستر كومبر مدير عموم سكة حديد سيراليون والمستر ماي . وقام باعداد معدات هذه الحفلة الدكتور بليدن مدير المدارس الاسلامية . اه

(المنار) اننا نوهنا في مجلد المنار الرابع (ص ٧٠٧) بافتتاح مدرسة فوله في سيراليون وقلنا في فاتحة الكلام انه لاتوجد بلاد إسلامية أعطي أهلها من حرية التعليم ما أعطي البلاد التي استعمرها الانكليز : فعلى مسلمي تلك البلاد ان يهتموا بالتعليم بالعربية والانكليزية وان يتركوا التنازع المبيد ، ولنا عودة لنصحهم ان شاء الله تعالى

﴿ المنار ﴾

وجاء في العدد ٣٠ من مجلة سيراليون أيضا تحت هذا العنوان ما تعريبه

هذا اسم مجلة عربية تطبع في القاهرة • وقد ورد علينا عدد فبراير منها وفيه مقالة ضافية الذيول عن مسلمي سيراليون يتضمن الماما الى بدء نشر التعليم الانكليزي بينهم• وفي هذه المقالة ايضا اشارة الى كتاب الدكتور بليدن عن النصرانية والاسلام والجنس الاسود مع ابداء الاسف والتصريح بان هذا العمل لم يعد معروفاً عند مسلمي الشرق

وقد علمنا ان كاتب هذه المقالة هو مسلم شرقي متوطن في فريتون. وعلمنا أيضاً انه كان حاضراً افتتاح المدرسة الاسلامية الجديدة في يوم الاثنين ١٤ مارس ولابدان ينشر بعض مقالات أخرى في المجلة المذكورة ،

وقد ذكرت المنار وصول هارون الرشيد الى القاهرة منذ بضعة أشهر وهو شاب مسلم من مدينة فوله في هذه البلاد. وقد تمكن الشاب المذكور من دخول الازهر بمساعدة صاحب المجلة وهذا الجامع لايزال يجذب اليه الطلبة من جميع أقطار العالم الاسلامي وحبذا لو أمكننا الحصول على معلمين من ذلك الجامع الشهير ليقوموا بتعليم تلامذتنا التعاليم الاسلامية . اه

النساء المسلمات في الهند

قد سبقت الهند مصر وغيرها من بلاد المسلمين في المدنية الحديثة حتى صار النساء فيها يخطبن في الاندية العامة على الملأ من الرجال والنساء . وقد تلي في مؤتمر التربية الاسلامية المنعقد في هذا العام خطاب كتبته عقيلة من فضليات نساء المسلمين وتلته عقيلة أخرى بالنيابة عنها لغيبتها. اما الكاتبة فهي صبيحة زوج المير ساطان محيي الدين صاحب النائب السياسي في مدراس واما التي خطبت به فهي فاضلة تسمى كابراجي . والخطاب متضمن لتذكير الرجال بما منح الاسلام للنساء من الحقوق وماحث عليه من تعليمهن وتربيتهن ، وشكر أعضاء المؤتمر على «تجديد السنة الاسلامية» بقبول دخول النساء فيه واشتراكهن مع الرجال في البحث والائتمار بوسائل ترقي المسلمين . وقالت عن هذه المزية انها كادت تجدد عندنا الاسلام لأول ظهوره وما أعطيت المرأة فيه من الحرية التامة فلا يعزب عن اذهانكم هدى هذا الدين ووصاياه بل مثلوا عظمته وارتفاع شأنه وسعة ممالكه في أذهانكم وأحيوا أحكامه وانصروا برهانه فقد أمسى لهذا العهد على

عظمته وقوته كالاسد المحتضر . ثم اقترحت ان ينشئ المؤتمر معرضا في وسط البلاد تعرض فيه مصنوعات أيدي النساء ترغيباً لهن فى الصناعة وتبرعت لذلك بخمسين روبية على ان تكون فاتحة اكتتاب للعمل اذا أمكن والافهي للمؤتمر

﴿ رأي فاضلة هندية ، فى العرب والعربية ﴾

وخطبت فى احتفال المؤتمر فاضلة تسمى (نفديدا) خطبة ضافية عن حال الاسلام والمسلمين . ومن الافكار العالية التي تكلمت فيها توسيع الاسلام دائرة الوفاق والتأليف بين البشر بالغاء الجنسية النسبية والوطنية وجعل المؤمنين اخوانا حيث كانوا وأين حلوا. وأطنبت فى الكلام عن العرب وما قاموا به من خدمة العلم والمدنية واحيائهما بعد موتهما وقالت ما معناه ان الهند التي عاشت بالعلم بعد الدخول في الاسلام انما حييت بارشاد العرب بل بامتزاج دم العرب بدم الهنود حتى قالت ان الدم العربي لايزال يجري حارا فى عروقنا وهو الذى يحركنا الى الترقي الآن . ووصفت الاسلام بأنه دين الفطرة والاستقلال والعلم وانه يمشي معه الترقي حيث مشى . وقالت ان العلة فى قلة انتشاره في الهند هو جهل الهنود باللغة العربية فانها أقل في الهند انتشارا منها فى سائر البلاد الاسلامية . قالت : ومن البعيد ان نرجو تقدما فى ديننا مع عدم التمكن من لغته ولنا الرجاء فى الوصول الى مقصدنا قريبا بمساعدة المسلمين من أهل البلاد العربية بالرأي والعمل خدمة للاسلام

فلله در هذه الفاضلة التي يقل نظيرها فى علمائنا المدرسين فى مصر والهند.وقد سبق لنا من بيان فوائد ماداراعليه خطابها المفيد مايمنع من العود اليه الآن.أكثر الله من أمثالها في رجالنا ونسائنا فانا لانحيا الا بامثال الذين على هذا المثال

الجمعية الخيرية الاسلامية

دعا رئيس هذه الجمعية جميع المشتركين فيها للاجتماع في ٢٩ المحرم الماضي لعرض أعمال مجلس الادارة عليهم واطلاعهم على مشروع أعمال سنة ١٣٢٢ وميزانيتها وانتخاب خمسة اعضاء لمجلس الادارة فلبي الطلب بعض واعتذر بعض وتخلف الاكثرون.وقد بين الرئيس فائدة الحضور ومضرة التخلف ومنه ان إشراف الجمهور على أعمال البعض يحمل على الاتقان والنشاط ويعود الناس على الاعمال المشتركة والتعاون وبه قوام الامم. ومن مشروعات الجمعية الجديدة انشاء مدرسة فى المحلة الكبرى وسنتكلم عليها في الجزء القادم

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٢ — ١٦ مايو (أيار) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا ، إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ، وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ *

احتج تعالى على أهل الكتاب بقوله « وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق » وقوله « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم » أي واذا كان الامر كذلك فكل مايأتي به عن الله فهو حق فما بالهم يشاغبون فى مسألة القبلة من الاحكام الفرعية خاصة ؟ فالكلام من قبيل إقامة الدليل بعد ايراد الدعوى وليس اعتراضيا كما توهم بعضهم . ثم جاء بحجة أخرى على أهل الكتاب وغيرهم ترغم أنوف المعارضين وحتم بعدها الامر بتولية الوجوه نحو المسجد الحرام وتأكيده فقال (ولكل وجهة هو موليها) أي لكل أمة من الامم جهة توليها فى صلاتها فلم تكن جهة من الجهات قبلة في كل ملة بحيث تعد ركنا ثابتا فى الدين المطلق كتوحيد الله تعالى والايمان بالبعث والجزاء . فابراهيم واسماعيل كان يوليان الكعبة وكان بنو إسرائيل يستقبلون صخرة بيت المقدس وترك النصارى ذلك الى استقبال الشرق . وكان الانبياء المتقدمون يستقبلون جهات أخرى . فاذا كان الامر كذلك ولم تكن جهة معينة ركنا ثابتا فى الاديان فأي شبهة من العقل أو من تقاليد الملل على فتنة المشاغبين فى أمر القبلة ، وأي وجه لما أظهروه من الشبهة والحيرة ، وزجوا أنفسهم فيه من الغمة ، حتى جعلوه مسوغا للطعن في النبوة والتشريع ؟ وسيأتي إيضاح لهذه الحجة في قوله تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » الخ

واذا لم تكن مسألة القبلة المعينة من أصول الدين ولا من مخه وجوهره بل كانت ولا تزال من الفروع التي تختلف باختلاف حال الامم فالواجب فيها الاتباع المحض والتسليم لامر الوحي وان لم تظهر حكمة التخصيص للناس كما هو الشأن فى أمثالها من الفروع المأخوذة بالتسليم كعدد الركعات

فى كل صلاة وكون الركوع مرة والسجود مرتين فى كل ركعة (فاستبقوا الخيرات) باتباع الامام المرشد واياكم والجدل والمشاغبة فى أمثال هذه الامور. وهذا الامر عام موجه الى أمة الدعوة لاخاص بالمؤمنين المستجيبين لله والرسول. ثم قال (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) فذكر بالجزاء يوم البعث بعد الامر بالاستباق الى الخيرات ليفيد ان الجزاء انما يكون على فعل الخيرات أو تركها لاعلى الكون في بلد كذا أو جهة كذا ففى أي جهة وأي مكان يقيم المرء فالله تعالى يأتي به إذ البلاد والجهات لاشأن لها في أمر الدين لذاتها وانما الشأن لعمل البر واستباق الخير (ان الله على كل شيء قدير) فلا يعجزه الاتيان بالناس مهما بعدت بينهم المسافات، وتناءت بهم الديار والجهات، فالتصريح بالقدرة تذكير بالدليل على الدعوى. والامر بالخيرات هنا بعد بيان اختلاف الملل فى القبلة إجمال يفصله ذكر انواع البر فى آية «ليس البر ان تولوا وجوهكم» المشار اليها آنفا وستأتي. وكأنه يقول للفاتنين والمفتونين فى مسألة القبلة ان مخ الدين وجوهره هو فى المسارعة الى فعل الخيرات فهل رأيتم محمدا وأتباعه قصروا عن غيرهم فى ذلك أم هم السابقون الى كل مكرمة، المسارعون الى كل مبرة، المتصفون بكل فضيلة، ففي الكلام مع بيان روح الدين ومقصده تعريض بأهل الكتاب الذين تركوا فضائل الدين وقصروا فى عمل الخير والبر واكتفوا من الدين بالجدل والمراء واستنباط الشبه للطعن فى العاملين الكاملين، اذلم يكونوا من المجادلين المشاغبين

(ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) قال الاستاذ الامام اعاد الامر فى صورة أخرى ليبين انه شريعة عامة في كل زمان ومكان لايختص ببلاد دون أخرى ولا بحضر دون سفر. وقد كان الامر

بالتحويل نزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى الصلاة فأعلمه بصيغة الامر انه ليس خاصا بتلك الصلاة ولا بذلك المكان بل عليه ان يفعل ذلك من حيث خرج وأين توجه . وقد وثق الامر وأكده بقوله (وانه للحق من ربك) ثم قال فى حال الناس (وما الله بغافل عما تعملون) أي انكم أيها المخاطبون باتباع النبي في كل مايجئ به من أمر الدين تحت نظر الحق دائماً فهو لايغفل عن أعمالكم «فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» وفي الكلام التفات عن خطاب النبي «ص» الى خطاب جميع المكلفين . وقرئ «يعملون» بالياء وهو يعود الى اولئك المجادلين في القبلة. يقول لنبيه: لايحزنك أمرهم فان الله تعالى هو الذي يتولى جزاءهم وماهو بغافل عن فسادهم وفتنتهم. ثم قال

(ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره) ابتدأ هذه الآية بصيغة الامر الواردة فى الآية قبلها وقرن بها صيغة الامر السابقة وجمع فيها بين خطاب النبي وخطاب الامة ليرتب على ذلك التعليل وبيان الحكمة وهو (لئلا يكون للناس عليكم حجة) الخ وليس هذا الجمع والاعادة لمجرد التأكيد كما قال مفسرنا (الجلال) وإنما هو تمهيد للعلة وتوطئة لبيان الحكم الموصولة به . وهو أسلوب معهود عند البلغاء (والمتأخرون الذين لايذوقون طعم الاساليب البليغة يكتفون فى مثل هذا المقام بقولهم : كل ذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة : وهو نظم غير معهود فى الكلام البليغ لاسيما فى مقام الاطناب والتأكيد والاحتجاج وإزالة الشبه) . والمراد بالناس المحاجون في القبلة المعروفون وهم فريقان اهل الكتاب والمشركون . ووجه انتفاء حجتهم

على الطعن فى النبوة بتحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة هو أن أهل الكتاب كانوا يعرفون من كتبهم ان النبي الذي يبعث من ولد اسماعيل يكون على قبلته وهي الكعبة، فجعل بيت المقدس قبلة دائمة له حجة على انه ليس هو النبي المبشر به فلما كان التحويل عرفوا انه الحق من ربهم، وان المشركين كان يرون ان نبيا من ولد ابراهيم جاء لإحياء ملته لاينبغي له ان يستقبل غير بيت ربه الذي بناه جده ابراهيم وقد جاء التحويل موافقا لما يرونه فانتفت حجة الفريقين (الا الذين ظلموا منهم) فهم لايهتدون بكتاب ولايعتبرون ببرهان ولاينظرون الى حكم الامور وأسرارها بل يجادلون فى الله وشرعه بلا هدى ولا كتاب منير، وهم الذين أثاروا الفتن وحركوا رياح الشبه فى مسألة القبلة. ولاقيمة لما يقول هؤلاء فانهم هم السفهاء كما وصفوا فى الآية الاولى (فلا تخشوهم) اذ لامرجع لكلامهم من الحق، ولا تمكن له فى النفس، لانه لايستند الى برهان عقلي، ولاالى هدي سماوي، (واخشوني) أنا فانني القدير وقد وعدتكم بأن أمكن لكم دينكم الذي ارتضيت لكم وابدلكم من بعد خوفكم أمنا وانني لاأخلف الميعاد. والآية ترشدنا الى ان صاحب الحق هو الذي يخشى جانبه وان المبطل لاينبغي ان يخشى، فان الحق يعلو ولايعلى، وما آفة الحق الاترك أهله له، وخوفهم من أهل الباطل فيه، وذكر الاستاذ الامام هنا من له شبهة حق كصاحب النية السليمة يشتبه عليه الامر فيترك الحق لانه عُمّيَ عليه ولو ظهر له لاخذ به، وهو أيضا لايخشى جانبه خلافا لما فهم بعض الطلاب من كلام الاستاذ وانما استثناه من مشاركة الظالمين فى عدم المبالاة به فأولئك لايخشون ولا يبالى بهم وهذا

لا يخشى على الحق ولكنه يبالي به ويعتني بأمره بتوضيح السبيل وتفصيل الدليل لما يرجى من قرب رجوعه وقال ان الذين ظلموا يعم اليهود ومشركي العرب خلافا للمفسرين الذين قالوا انهم المشركون خاصة مع انهم فسروا السفهاء بما يعم الفريقين وماهؤلاء الذين ظلموا الا أولئك السفهاء الذين قالوا: ماولاهم عن قبلتهم الخ

ثم ذكر العلة أو الحكمة الثانية فقال (ولأتم نعمتي عليكم) وبيانه ان النبي عربي من ولد ابراهيم وبلسان العرب نزل عليه الكتاب وهم وقومه الذين بعث فيهم أولا وظهرت دعوته فيهم وامتدت منهم وبهم الى سائر الامم وكانوا إذ آمنوا يحبون ان تكون وجهتهم فى عبادتهم بيتهم الحرام، وان يحيوا سنة ابراهيم بتطهيره من عبادة الاصنام، لانه معبدهم وأشرف أثر عندهم ينسب الى أبيهم ابراهيم الذي بناه ورفع قواعده لعبادة الله تعالى وهو شرفهم ومجدهم وموطن عزهم وفخرهم فأتم الله عليهم النعمة بإعطائهم مايحبون. نعم ان كل أمر يصدر من الله تعالى فامتثاله نعمة ولكنه اذا كان فيه حكمة ظاهرة وشرف للامة يتعلق بتاريخها وكان أثره حميدا نافعا فيها تكون النعمة أتم والمنة أكمل ولذلك عبر بالاتمام

وذكر الاستاذ الامام من الحكمة فى جعل القبلة في أول الامر بيت المقدس ان الكعبة كانت في أول الاسلام مشغولة بالاصنام والاوثان وكان سلطان أهل الشرك متمكنا فيه والامل في انكشافه عنه بعيدا فصرفه الله أولا عن استقبال بيت مدنس بعبادة الشرك وان كان الله أمر ابراهيم بتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود الى بيت المقدس قبلة اليهود الذين هم أقرب الى ماجاء به من التوحيد والتنزيه ولما قرب زمن تطهير

البيت الحرام من الاصنام والاوثان وعبادتها وإزالة سلطة الوثنيين عنه جعله الله تعالى قبلة للموحدين ليوجه النفوس اليه فيكون ذلك مقدمة لتطهيره واتمام النعمة بالاستيلاء عليه والسير فيه على سنة إبراهيم من التوحيد والعبادة الصحيحة لله تعالى وحده . أقول يؤيد ماقرره الاستاذ الامام في تفسير الاتمام وكون تحويل القبلة مقدمة له قوله تعالى بعد ذكر فتح مكة في سورة الفتح «وليتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما» فكان في الآية بشارة بفتح مكة ونصر الله التوحيد على الشرك وما يتلو ذلك من نشر الاسلام ، وانتشار نوره في الانام ، ولذلك قال في سورة الفتح بعد ماذكر «وينصرك الله نصرا عزيزا»

ثم ذكر سبحانه وتعالى حكمة ثالثة لتحويل القبلة فقال (ولعلكم تهتدون) أي وليعدكم بذلك الى الاهتداء بالثبات على الحق والرسوخ فيه فأن المعارضات والمحاجات تظهر ضعف الباطل وزهوقه ، وتبين قوة الحق وثبوته ، فالحجة تتبختر اتضاحا ، والشبهة تتضاءل افتضاحا ، وقد خلت سنة الكون بأن الفتن تنير الطريق لاهل الحق وتظلمه على أهل الباطل . كل انسان يرى نفسه على الحق في الجملة ولكن التمكن في المعرفة والثبات على الحق لا يعرف في الغالب الا اذا وجد للمحق خصم ينازعه ويعارضه في الحق هنالك تتوجه قواه الى تأييد حقه وتمكينه ويحس بحاجته الى المناضلة دونه والثبات عليه وكثيرا مايظهر الحقّ الباطل . المعارضة في الحق تحمل صاحبه على تنقيحه وتحريره وتنقيته مما عساه يلتصق به أو يجاوره من غواشي الباطل وتجعل علمه به مفصلا بعد أن كان مجملا ، ومبرهنا عليه بعد ان كان مسلما ، فهي مدرجة الكمال لاهل اليقين ،

ومزلة الريب للمقلدين ، قال بعض الصوفية جزى الله أعداءنا عناخيرا اذلولاهم ما وصلنا الى شيء من مقامات القرب: وقال الشاعر :

عداتي لهم فضل عليّ ومنة فلا اذهب الرحمن عني الاعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

ذلك ان العدو ينقب عن الزلات ، ويبحث في الهفوات ، وطالب الحق يتوجه دائما الى الاستفادة من كل شيء والنظر من كل أمر الى موضع العبرة، وطريق الحقيقة، فاذا وجد في كلام العدو مغمزاً صحيحا توقاه، أوعثارا في طريقه نحاه ، وان ظهر له انه باطل ثبت على حقه، وعرف منافذ الطعن فيه فسدّها ، فكان بذلك من الكملة الراسخين . ـ لهذا كله كانت الفتنة التي أثارها السفهاء على المؤمنين في مسألة القبلة معدة للاهتداء ، ووسيلة للثبات على الحق ، ثم قال تعالى

(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) أي يتم نعمته عليكم باستيلائكم على بيته الذي جعله قبلة لكم وتطهيركم إياه من عبادة الاصنام والاوثان وهو البيت الذي في قلب بلادكم وموضع شرفكم وفخركم كما أتمها عليكم بارساله رسولا منكم فالقبلة في بلادكم والرسول من أمتكم . والخطاب للعرب كما هو ظاهر . ثم وصف هذا الرسول بالاوصاف التي كان بها نعمة تامة ، ورحمة شاملة ، فقال (يتلو عليكم آياتنا) الدالة على ان ماجاء به من التوحيد والهداية هو الحق من عند الله . وهذه الآيات أعم من أن تكون آيات القرآن أوغيرها من الدلائل والبراهين على أصول الدين وقد تقدم في تفسير الآيات في دعوة ابراهيم بأن الآيات يصح ان يراد بها الآيات الكونية والعقلية وان يراد بها آيات الوحي والتعميم أولى وانما خصها بعض

المفسرين بآيات القرآن بقرينة «يتلو» على ان التلاوة أعم فكل برهان يقيمه فقد تلا عليهم عبارته وذكر لهم فيه آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم . ووجه المنة انه يقودهم الى الحق بالدليل والبرهان دون التقليد والتسليم بغير فهم ولا إذعان ، والطريقة الاولى يكون بها العقل مستقلا والدين مؤيدا له وهاديا ، لا مرغما ولا معطلا ،

والآيات تتعلق باثبات العقائد وأصول الدين وهي المقصد الاول ويليها تهذيب الاخلاق ولذلك قال (ويزكيكم) أي يطهر نفوسكم من الاخلاق السافلة ، والرذائل الممقوتة ، ويخلقها بالاخلاق الحميدة بحسن الاسوة ، لا بالقهر والسطوة ، وخص المفسر (الجلال) التزكية بالتطهير من الشرك قال الاستاذ الامام : وهذا لا يصح فان الاسلام كما جاء بالتوحيد الماحي للشرك جاء بالتهذيب المطهر من سفساف الاخلاق وقبائح العادات والمعاصي التي كانت فاشية في العرب فقد كانوا يئدون بناتهم (يدفنونهن أحياء) ويقتلون اولادهم للتخلص من النفقة عليهم وذلك نهاية القسوة والشح ، وكانوا يسفكون الدماء فيما بينهم لأهون سبب يثير حميتهم الجاهلية لما اعتادوا عليه من شن الغارات ونهب بعضهم بعضا ، وكان عندهم من التسفل ان أحدهم يتزوج زوجة أبيه أو يعضلها حتى تفتدي منه ، الى غير ذلك . وقد زكاهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كله باقتدائهم باخلاقه الكاملة ، وهديه الشريف ، وجمعهم بعد تلك الفرقة ، وألف الله بينهم على يديه حتى صاروا كرجل واحد ، وجعلت شريعته ذمتهم واحدة يسعى بها أدناهم . فاذا أعطى مولى او رقيق منهم أمانا لاي إنسان محارب كان ذلك كتأمين أمير المؤمنين له ، فأي تزكية أعلى من هذه التزكية ،

وبعد ذكر التربية العملية بالاسوة الحسنة ذكر أمر التعليم فقال (ويعلمكم الكتاب والحكمة) وتقدم تفسيره فى الكلام على دعوة ابراهيم وماهو ببعيد . وقد جاء الاستاذ الامام هنا بتفصيل فى معنى الحكمة لم يذكر هناك فقال مامثاله : دعا القرآن الى التوحيد وأمهات الفضائل وبين أصول الاحكام ولكنه لم يفصل سيرة الملوك والرؤساء مع المحكومين المرءوسين ولم يفصل سيرة الرجل مع أهل بيته فى الجزئيات وهو مايسمونه نظام البيوت (العائلات)، ولم يفصل طرق الاحكام القضائية والمدنية والحربية وذلك انهذه الامور ينبغي أن تؤخذ بالاسوة والعمل بعد معرفة القواعد العامة التى جاءت فى الكتاب ولذلك كانت السنة هي المبينة ذلك بالتفصيل بسيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيوته ومع أصحابه فى السلم والحرب والسفر والاقامة وفى حال الضعف والقوة والقلة والكثرة فالسنة العملية المتواترة هي المبينة للقرآن بتفصيل مجمله وبيان مبهمه وإظهار مافي أحكامه من الاسرار والمنافع ولهذا اطلق عليها لفظ الحكمة فانها كانت كالحكمة لتأديب الفرس ولولا هذه التربية بالعمل لماكان الارشاد القولي كافيا فى انتقال الامة العربية من طور الشتات والفرقة والعداء والجهل والامية الى الائتلاف والاتحاد والتآخي والعلم وسياسة الامم . فالسنة هي التي علمتهم كيف يهتدون بالقرآن ، ومرنتهم على العدل والاعتدال فى جميع الاحوال،

كلنا يعرف الحلال والحرام وقلما ترى احدا عاملا بعلمه وانما السبب في ذلك أن الاكثرين يعرفون الحكم دون حكمته فهم لايفقهون لم كان هذا حراما ولا تنفذ أفهامهم فى الحكم فتصل الى فقهه وسره فتعلم علما تفصيليا ماوراء المحرم من الضرر لمرتكبه وللناس وما وراء الواجبات

والمندوبات من المنافع العامة والخاصة . ولو علموا ذلك وفقهوه بالتربية عليه وملاحظة آثاره كما أخذ الصحابة عن الرسول عليه الصلاة والسلام لخرجوا من ظلمة الاجمال والابهام في المعرفة الى نور التجلي والتفصيل حتى تكون الجزئيات مشرقة واضحة ولكان هذا العلم معينا لهم على إحلال الحلال بالعمل وتحريم الحرام بالترك فقد أوقف النبي «ص» أصحابه «رض» على فقه الدين ونفذ بهم الى سره فكانوا حكماء علماء ، عدولا نجباء ، حتى إن كان أحدهم ليحكم المملكة العظيمة فيقيم فيها العدل ويحسن السياسة وهو لم يحفظ من القرآن الا بعضه ولكنه فقهه حق فقهه . وهذا المعنى ـ فقه الدين ومعرفة اسرار الاحكام ـ غير التزكية ولكنه يتصل بها ويعين عليها حتى يطابق العلم العمل

فهذه الآية نبأ عن استجابة دعوة ابراهيم عليه السلام «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم» الآية . وقد تقدم هناك ذكر تعليم الكتاب والحكمة على التزكية ، وقدم هنا ذكر التزكية على تعليم الكتاب والحكمة والنكتة في ذلك ان ابراهيم عليه السلام لاحظ في دعوته الطريق الطبيعي وهي ان التعليم يكون اولا ثم تكون التزكية ثمرة له ونتيجة ، وههنا ذكر الترتيب بحسب الوجود والوقوع وذلك ان أول شيء فعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو أن دعا الناس الى الايمان بما تلا عليهم من آيات الله تعالى ودلائل توحيده والى الاعتقاد بإعادة الناس ليوم لا ريب فيه يحاسب فيه كل نفس بما تسعى فاجاب الناس دعوته بالتدريج وكل من انضم اليه كان يقتدي به في أخلاقه وأعماله ولم تكن هنالك أحكام ولا شرائع ثم شرعت الاحكام بالتدريج فالتزكية والتربية بالتأسي به عليه الصلاة والسلام كانت متأخرة عن إقامة الآيات

والدلائل على أصول الايمان ومتقدمة على تلقي الشرائع والتفقه فى لاحكام،
ثم قال تعالى (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) اي مالا طريق لكم الى معرفته بالنظر والفكر وهو ما لا يعلم الا من الوحي كاخبار عالم الغيب وسيرة الانبياء واحوال الامم التى كانت مجهولة عندهم وكثير منها كان مجهولا عند أهل الكتاب فانه صحح أغلاطهم ، وبين سقاطهم ، وخص هذا بالذكر وان كان مما اشتمل عليه الكتاب اهتماما به ، وتنويها بشأنه ، فكأنه قال ويعلمكم في الكتاب مالم تكونوا تعلمونه . الاستاذ الامام : هذا ماقالوه ويصح ان يراد مالم تكونوا تعلمون من شؤون أنفسكم والسنن الالهية الحاكمة فيكم وقد بلغوا بتعليمه وإرشاده مبلغا فاقوا فيه سائر الامم اي فالتعليم ليس محصورا فى الكتاب بل هناك زيادة أعد الله تعالى نبيه لتبيينها . والمقابلة بين هذا التعليم وتعليم الكتاب مبنية على ان المراد بالكتاب القرآن وبالآيات الدلائل وقد تقدم فى تفسير دعوة ابراهيم وجه آخر فى الكتاب وهو أنه مصدر كتب اي ويعلمكم الكتابة بعد ان كنتم أميين ولا مقابلة على هذا والامر ظاهر
(فاذكروني) بما شرعت لكم من أمر القبلة للفوائد الثلاث التى تقدم شرحها وبما اتممت عليكم من النعمة بارسال رسول منكم يعلمكم ويزكيكم ولا تنسوا انني انا المتفضل بافاضة هذه النعم عليكم (أذكركم) بادامتها عليكم تجنون ثمارها وتتمتعون بأثرها وهو العزة والقوة والشرف والسلطان وغير ذلك من أركان السعادة . قال الاستاذ الامام : وهذه الكلمة من الله تعالى كبيرة جدا كأنه يقول انني أعاملكم بما تعاملونني به وهو الرب ونحن العبيد وهو الغني عنا ونحن الفقراء اليه : أي وهذه أفضل تربية من الله تعالى لعباده اذا ذكروه ذكرهم بادامة النعمة والفضل ،

واذا نسوه نسيهم منه بمقتضى العدل ، ثم بعد ان علمهم مايحفظ النعم، أرشدهم الى مايوجب المزيد بمقتضى الجود والكرم ، فقال (واشكروا لي) هذه النعم بالعمل بها وتوجيهها الى ماوجدت لأجله (ولا تكفرون) أي لا تكفروا نعمي باهمالها أو صرفها الى غير ماوجدت لأجله بحسب السنن الالهية .
وهذا تحذير لهذه الامة مما وقعت فيه الامم السالفة اذ كفرت بنعم الله تعالى فحولت الدين عن قطبه الذي يدور عليه وهو الاخلاص وإسلام الوجه لله وحده . وعطلت ماأعطاها الله من مواهب المشاعر والعقل فلم تستعملها فيما خلقت له وهكذا انحرفوا بكل شيء عن أصله فسلبهم الله ما كان وهبهم تاديبا لهم ولغيرهم ثم رحمهم بان أرسل اليهم رسولا بهداية عامة تعرفهم وجه تلك التربية الآلهية وتحذرهم العود الى أسبابها . وقد امتثل المسلمون هذه الاوامر زمنا قصيرا فسعدوا ثم تركوها بالتدريج فحل بهم مانرى فاذا عادوا عاد الله عليهم بما كان أعطى سلفهم والا كانوا من الهالكين

شبهات النصارى وحجج الاسلام

كتاب تنوير الافهام

(كلمة ثانية في هدم الكتاب)

ذكرنا في الجزء الثالث كلمة هادمة لذلك الكتاب الذي زعم انه بين مصادر الاسلام ـ وليس للاسلام الا مصدر واحد وهو الوحي ـ وذكرنا هنالك اننا لم نقرأ من الكتاب الا جملة قليلة . ثم اننا عدنا اليه فألفيناه يبتدئ الكلام في الاسلام ابتداء من يتوهم انه عرفه وانه يتكلم في قواعده وأصوله ولكن لم نلبث أن رأينا فيه من الجهل والافتئات على الاسلام ما أثبت لنا ان واضعه كغيره من الطاعنين لم يكتب مايري ويعتقد ولم

يعتقد ماعرفه وعلمه بل خبط خبط عشواء فظلم نفسه ، وأتعب عقله وحسه ، وكان بعد ذلك من الخاسرين

انظر تعلم اننا نصفه لانشتمه ـ ذكر ان أساس الدين القرآن والسنة أوالحديث كما قال وذكر ان الحديث مبين للقرآن فان خالفه لايقبل لان القرآن هو الأصل وذكر ان كتب الحديث المعتمدة عند أهل السنة ستة وعد منها الموطأ وأهمل سنن النسائي ولا بأس بذلك وذكر الكتب المعتمدة عند الشيعة كذلك . ثم بنى طعنه فى القرآن على ما فسره به من الحديث بزعمه وههنا الخلط والاختراع وسوء القصد كما ترى فيما نورد عنه من الشواهد

أول مثال أورده لبيان القرآن بالسنة آية «سبحان الذي أسرى » نزعم ان حديث المعراج مبين لها فاوهم القارئين ان ماورد من عروج النبي الى السماء (بروحه فقط كما عليه قوم من المسلمين أوبروحه وجسده كما عليه آخرون) مفسر ومبين لآية من القرآن مع ان المسلمين مجمعون على ان المعراج مأخوذ من الحديث لامن القرآن ولذلك لايقولون بكفر منكره بل نقلوا ان من الصحابة من أنكره بالمرة حتى السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وأردف هذا المثال بآخر فقال : « وكذلك لولا الحديث لما فهم أحد معنى : ق وهو اسم احدى سور القرآن فالاحاديث هى التي أوضحت أن المراد بالحرف ق اسم جبل قاف. ولهذا عزمنا بحوله تعالى طلبا للاختصار أن لانورد في هذا الكتاب شيئا مختصا بمصادر الاسلام من عقيدة إسلامية أو تعليم الا ما كان له أصل وأساس في القرآن ذاته ويكون ورد له تفسير وشرح فى الاحاديث المشهورة المتواترة بين كل المسلمين سواء كانوا من اهل السنة او الشيعة » :

انظر الى ما اشترطه على نفسه في الاعتماد على الاحاديث المبينة والمفسرة للقرآن اشترط ان تكون الاحاديث مشهورة متواترة بين كل المسلمين مع أن تفسير حرف (ق) بأنه اسم جبل لم يرد فى حديث مرفوع لامتواتر ولامشهور ولا آحادي صحيح ولاضعيف ولم يذكر في كتاب من الكتب الستة التي ذكر أن أهل السنة وهم القسم الاكبر من المسلمين يعتمدون عليها . فكيف يوثق بكلام مؤلف ويصدق بأنه التزم

ما اشترطه على نفسه فى هذا الكتاب . نعم ان فى كتب التفسير التي لايكاد يخلو واحدمنها من سرد الاقوال الاسرائيليــة أثرا فى ذكر جبل قاف وقدقال القرافي من محققي الامة انه لايعول عليه ولايصح وان هذا الجبل لايوجد ولايهمنا أن بعض عشاق الروايات الكثيرة سلم به وانما نقول انه شيء لم يصح فى الكتاب ولافي السنة ولم يوجد فى الكتب المعتمدة الذي ذكرها ولافى غيرها مرفوعا الى النبي (ص)

ثم ان للاسرائيليات منبعاً آخر فى غير كتب التفسير هو أغزر مادة وأكثر رواية وهو كتب القصص الخرافية التي أسندت الى مؤلفين لاشأن لهم ككتاب عرائس المجالس وغيره في قصص الانبياء وخريدة العجائب وأمثالهـا وهي كتب طافحة بالموضوعات والاكاذيب كما نبه على ذلك حفاظ الحديث حتى كان الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول: لايصح في التفسير شيء : وعلى أمثال هذه الكتب يعتمد صاحب كتاب تنوير الأفهام فى تفسير القرآن وبيانه مع ماعلمت من شرطه الخادع . ومن ذلك ماأورده فى الصفحة (٤٢) ومابعدها من قصة ابراهيم عليه السـلام أخذها من عرائس المجالس ينبوع الكذب واستدل منها على ان القرآن يستمد أحكامه وأخباره من كتب اليهود ثم اعترف بأن مافي القرآن وعرائس المجالس غير مطابق لما فى كتبهم وسببه بزعمه ان محمـدا أخذها عن اليهود مشافهة ولم يرها في كتبهـم !! ! على ان موافقة القرآن نفسه أو الحديث الصحيح لبعض مافى كتب اليهود دون بعض لايدل على انه أخذ عنهم وإنما يدل على ان الله تعالى بين له حق كلامهم من باطله وصدقه من كذبه فان كتبهم كأقوالهم لايعتمد عليها كلها لظهور الكذب والتناقض فيها الى اليوم ولظهور تلفيقها واقتباسها من الامم الأخرى كما بينا ذلك مرارا فهي ككتب القصص عندنا فيها شيء من القرآن والسنة ولكنه ممزوج بالاكاذيب والآراء المقتبسة من الأمم . ولاشيء يعوّل عليه فى صحة بعض أقوال كتب اليهود دون بعض بعدما طرأ عليها من الضياع والتحريف والخلط الا الوحي وقد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل الساطعة ، والآثار النافعة ، وهم يقولون ان المسيح فرّق بين الانبياء الصادقين والانبياء الكذبة بآثارهم وثمارهم فوجب الاعتماد على ماجاء به هذا النبي الكريم دون غيره . والبحث بأنه سمع أو اطلع من الهذيان . وأني يعول النبي الذي لاينكر الكافرون رجحان عقله على قول أولئك

اليهود الذين شرح للناس مكرهم وكذبهم وتلطف في شأن مايعزونه الى الوحي فأمر أصحابه بأن لايصدقوهم فيه ولا يكذبوهم !!!

كذلك تراه قداعتمد على عرائس المجالس في قصة سليمان مع ملكة سبأ (كمافي ص ٦١) وفي قصة هاروت وماروت (كمافي ص ٦٤) وقدمر تفسير القصة في المجلد السادس من المنار بمـا يكذب القصاصين كصاحب عرائس المجالس وغيره ومن على رأيهم من المفسرين (راجع ص ٤٤٣ من المجلد المذكور)ــ وفي « سبع دركات الارض » (كمافي ص ٨٥) واعتمد على كتاب قصص الانبياء في وصف اللوح المحفوظ بناء على انه تفسير لقوله تعالى « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » ذكر ذلك في (ص ٩٣) وعبر عنه بمعلومات المسلمين التي استفادوها من أحاديثهم . ثم رجح في الصفحة ا ٩٩ ان النبي (ص) اقتبس هذه الكلمة من اليهود حين سمعهم يقولون ان الوصايا التي اعطاها الله لموسى كتبت في لوحين. كأنه يرى ان محمدا عليه أفضل الصلاة والسلام ما كان يعرف هـذا اللفظ (لوح محفوظ) لولا انه سمعه من اليهود وان كان اللفظ عربيا والسورة التي ورد فيها مكية انزلت قبل ان يعرف النبي أحدا من اليهود اذ كانوا في المدينة لا في مكة. ثم رجح بناء على تحكمه هذا ان المسلمين لم يفهموا معنى قوله (لوح محفوظ) فكذبوا له تلك الكذبة المذكورة في قصص الانبياء !!! وليت شعري كيف لم يفهموا هـذه الكلمة وهي من لسانهم والكتابة في الألواح معهودة عندهم. وكيف اختص النبي بالسماع من اليهود دونهم مع انه كان يراهم ويحاجهم اذ يدعوهم الى الاسلام والمسلمون حاضرون ولم يعرف انه كان يخلو بهم !!! نعم إن ماذكره صاحب قصص الانبياء يجوز ان يكون بسوء فهم وان يكون بسوء قصد ثم عاد الى تفصيل القول في تفسير (ق) بجبل قاف ناقلا عن عرائس المجالس وقصص الانبياء وذكر موافقة مافيهما لما قاله أحد اليهود في كتاب لهم اسمه حكيكاه

وياليت مؤلف الكتاب كان سأل أحد علماء المسلمين عن كتاب عرائس المجالس وكتاب قصص الانبياء قبل ان يطالعهما ويستخرج منهما تفسير القرآن : هل هذان الكتابان معتمدان عندكم في التفسير وغيره وهل تعد روايتهما صادقة ؟ إذن لأجابه بمـا كان يكفيه مؤنة التعب والعناء بمطالعة تلك الخرافات والاكاذيب وتلخيص الاخبار منها . اننا نشفق عليه من مطالعة كتب يحرم المسلمون قراءتها لما فيها من الكذب

والكفر اذا كان قد طالعها ظانا انها معتمدة يحتج بها ولكن الراجح انه يعلم انها كتب خرافية بدليل انه ذكر كتب الحديث المعتبرة عند المسلمين وان كانوا لايحتجون بجميع مافيها ولكنه مع وعده بأن سينقل منها المشهور والمتواتر لم ينقل منها حتى مالم يشتهر ولم يتواتر . لماذا ؟ لانه يريد ان يشكك عوام المسلمين في دينهم بايهامهم انه يعرف كتبهم المعتمدة وينقل عنها وينتقدها . وعند ذلك يتسنى له أو لغيره من شيعته ان ينصر بعض هؤلاء العوام الجهال بعد تشكيكهم مرغبا لهم بمنفعة دنيوية كما عهد من المبشرين في دعوة المسلمين . ولم يعلم المسكين أن من عرف من الاسلام شيئا يصعب ان يهين نفسه بالنصرانية ويعبد البشر (المسيح) من دون الله ويقول ان الله مولود من انثى

ان كتاب عرائس المجالس وقصص الانبياء على شحنهما بما يخالف عقائد الاسلام وأخباره وأحكامه هما أمثل من كتب النصرانية ولا يرضى لنفسه من لم يعرف من الدين والعلم شيئا غير خرافاتهما ان يستبدل بها عقيدة النصارى الوحيدة التي هي مناط الخلاص عندهم وهي ان الآله عجز عن التوفيق بين صفتيه المتناقضتين من الأزل وهما العدل والرحمة فلم يهتد وسيلة لذلك الامنذ ١٩٠٤ اذ رأى ان يحل في بطن امرأة ويولد منها فيكون انسانا ثم يصلب كارها راضيا ويجعل نفسه ملعونا لاجل ان يخلص الناس بحملهم على تصديق هذه القصة التي لاتعقل ويجعل من يصدق بها من أهل الاباحة له الملكوت وان كان أفسق الفاسقين وأظلم الظالمين !!! هل يمكن لمن له ذرة من العقل ان يفضل هذا الاعتقاد الخرافي على خرافات عرائس المجالس وقصص الانبياء ؟ لا لا لا

هذا نموذج من الشواهد التي زعم مؤلف الكتاب ان القرآن أخذها من كتب اليهود بناء على تفسير الاحاديث المتواترة المشهورة في كتب المسلمين على زعمه وماهي الا في كتب الخرافات كما علمت .

وقد ذكرنا لك في الجزء الثالث شاهداً مما طعن فيه بالقرآن من حيث اقتباسه من العرب ونذكر لك الآن شاهداً آخر على سبيل الفكاهة لتعرف مبلغ علم هذا المؤلف بالعربية وأساليبها كما عرفت مبلغ علمه بالاحاديث المتواترة وهي عند المسلمين مارواه جمع عظيم في كل زمن من عهد النبي (ص) الى الآن – وما أورده لم يروه جمع ولا واحد –

جاء في الصفحة الرابعة والعشرين وما بعدها عقيب الكلام في التوحيد الذي مر

الشاهد فيه وفي الختان الذي لم يذكر في القرآن مانصه :

« قال المعترضون وبصرف النظر عن كل هذا فان بعض آيات القرآن مقتبسة من القصائد التي كانت منتشرة ومتداولة بين قريش قبل بعثة محمد وأوردوا بعض قصائد منسوبة الى امرئ القيس مطبوعة فى الكتب باسمه لتأييد قولهم هذا . ولاشك انه ورد فى هذه القصائد بعض أبيات تشبه بل هي عين آيات القرآن على حد سواء أو تختلف عنها فى لفظة أو لفظتين ولكنها لاتختلف عنها فى المعنى مطلقا. وهاك الابيات التي يوردها المعترضون وقد أشرنا على العبارات التي اقتبسها القرآن بوضع علامة تحتها كهذه ـ

دنت الساعة وانشق القمر عن غزال صاد قلبي ونفر
احور قد حرت في أوصافه ناعس الطرف بعينيه حور
مر يوم العيد في زينته فرماني فتعاطى فعقر
بسهام من لحاظ فاتك فتركني كهشيم المحتظر
واذا ماغاب عني ساعة كانت الساعة أدهى وأمر
كتب الحسن على وجنته بسحيق المسك سطراً مختصر
عادة الاقمار تسري في الدجى فرأيت الليل يسري بالقمر
بالضحى والليل من طرته فرقه ذا النور كم شي زهر
قلت اذ شق العذار خده دنت الساعة وانشق القمر

﴿ وله أيضا ﴾

أقبل والعشاق من خلفه كأنهم من حدب ينسلون
وجاء يوم العيد فى زينته لمثل ذا فليعمل العاملون

لولا ان فى القراء بعض العوام لما كنت فى حاجة الى التنبيه على أن هذه القصيدة يستحيل ان تكون لعربي بل يجب ان تكون لتلميذ أو مبتدىء ضعيف في اللغة من أهل الحضر المخنثين عشاق الغلمان فهي فى ركاكة أسلوبها وعبارتها وضعف عربيتها وموضوعها بريئة من شعر العرب لاسيما الجاهليين منهم فكيف يصح ان تكون لحامل لوائهم ، وأبلغ بلغائهم ، هب ان امرأ القيس زير النساء كان يتغزل بالغلمان وافرضه جدلا ولكن هل يسهل عليك ان تقول ان أشعر شعراء العرب صاحب « قفا نبك

من ذكري حبيب ومنزل » يقول

أحور قد حرت فى أوصافه ناعس الطرف بعينيه حور

وتضيق عليه اللغة فيكرر المعنى الواحد فى البيت مرتين فيقول أحور بعينيه حور . أتصدق ان عربيا يقول : انشق القمر عن غزال : وهو لغو من القول ؟ وما معنى : دنت الساعة : فى البيت ؟ وأي عيد كان عند الجاهلية يمر فيه الغلمان متزينين ؟ وهل يسمح لك ذوقك بأن تصدق ان امرأ القيس يقول : فرماني فتعاطى فعقر : وأي شيء تعاطى بعد الرمي، والتعاطي التناول ومعناه في الآية «فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر» أنه تناول رمحا أو خنجرا فعقر الناقة به والابل تعقر فى نحورها، والعشاق انما يرمون باللحاظ في قلوبهم فهل يقول العربي بعد ما قال ان محبوبه رماه انه تعاطى بعد ذلك فعقر ؟ وهل يقول امرؤ القيس : لحاظ فاتك : ؟ فيصف الجمع بالمفرد . وهل يشبه العربي طلوع الشعر في الخد بالسرى فى الليل مع انه سير فى ضياء كالنهار؟ وكيف تفهم وتعرب قوله

بالضحى والليل من طرته فرقه ذا النور كم شيء زهر

وهل يقول عربي أو مستعرب فصيح فى حبيبه ان العذار شق خده شقا ؟

اما البيتان الآخران فهما أبعد عن ذوق العرب وعباراتهم واذ كرانني رأيت من عزاهما الى بعض المولدين لا أدري هل هو ابن حجة أو غيره على انهما اقتباس من القرآن على ان في الاشارة الى موضع الاقتباس هنا خطأ نحو الخطأ في القصيدة ففي الآية «وهم من كل حدب ينسلون» وانت ترى ان المعنى في البيت لا يستوي فان الحدب هو النشز اي المرتفع من الارض والعشاق لم يكونوا يسرعون مقبلين من ذلك المحل الذى يشبهه مثل هذا الشاعر بالحدب وانما يصح ان يكونوا مقبلين اليه !! اما مخالفة لفظ القرآن في البيت الثاني ففى استبدال ذا بهذا وانظر وزنه المرجوح

بعد هذه الاشارات الكافية فى بيان ان الشعر ليس للعرب الجاهليين ولا للمخضرمين وانما هو من خنوثة وضعف المتأخرين أسمح لك بان تفرض أنه لامرئ القيس إكراما واحتراما للمؤلف . ولكن هل يمكن احدا ان يكرمه ويحترمه فيقول ان الكلمات التي وضع لها العلامات هي عين آيات القرآن . أما البيتان فقد رأيت ما فيهما. واما ما في

البيت الاول من القصيدة فهو دون جملة ولا يستقيم له معنى . وليس فى القرآن (فرماني فتعاطى فعقر) وقد ذكرنا لك الآية آنفا. وقوله (تركني كهشيم المحتظر) مثله وانما الآية الكريمة : « انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر » فالمعنى مختلف والنظم مختلف وليس فى البيت الاذكر المشبه به وهو فيه فى غير محله لان تشبيه الشخص الواحد بالهشيم يجمعه صاحب الحظيرة لغنمه لامعنى له وانما يحسن هذا التشبيه لامة فنيت وبادت كما في الآية، ولعل في الاصل تركتني بدل (فتركني) وبها يستقيم اللفظ والمعنى في الشطر. وليس في القرآن أيضا : كانت الساعة أدهى وأمر : وانما فيه « سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » فههنا وعيدان شرهما الساعة المنتظرة فصح أن يقال: انها أدهى وأمر: وليس في البيت شيء يأتي فيه التفضيل على بابه. واعلم ان هذا الشعر من كلام المولدين المتأخرين هو أدنى مانظموا فى الاقتباس، ولم ينسبه الى امرئ القيس الأ أجهل الناس،

ثم ان المعنى مختلف والنظم مختلف فكيف يصح قول المؤلف: ان هذه الكلمات من آيات القرآن وانها لاتختلف عنها في المعنى. ولو فرضنا ان هذه الكلمات العربية استعملت فى معنى سخيف فى الشعر ليس فيه شائبة البلاغة ثم جاءت في القرآن العربي بمعان أخرى وأسلوب آخر وكانت آيات فى البلاغة كما انها فى الشعر عبرة في السخافة، فهل يصح لعاقل ان يقول : ان صاحب هذا الكلام البليغ في موضوع الزجر والوعظ مأخوذ من ذلك الشعر الخبث في عشق الغلمان وان المعنى واحد لايختلف ؟؟ فمن كان معتبرا باستنباط هؤلاء الناس وتهافتهم فى الطعن والاعتراض على القرآن فليعتبر بهذا ومن أراد ان يضحك من النقد الفاضح لصاحبه الرافع لشأن خصمه، فليضحك. ومن أراد أن يزن تعصب هؤلاء النصارى بهذا الميزان فليزنه وانه ليرجح بتعصب العالمين. ومن أراد ان يقيس سائر ماقاله هذا المؤلف في الاستشهاد على كون القرآن مقتبسا من كلام العرب وعقائدهم بعد ماأعياهم أمره ، وقلب طباعهم هديه ؛ ومن كتب سائر الملل في مشارق الارض ومغاربها وان لم يسمع بها، بهذا الشاهد وبالشاهد الذى سبق فله ان يقيس فان كل مزاعمه، من هذا القبيل. وان لنا كلمة أوضح فى الرد عليه نؤخرها لجزء آخر وهي فصل الخطاب ان شاء الله تعالى

﴿ باب السؤال والفتوى ﴾

(قصص القرآن)

(س ١٧) الشيخ محمد نجيب المدرس بالمدرسة الشمسية بتونتار (روسيا) :

هل القصص الواردة في القرآن أنزلت لاجل الاعتبار والاتعاظ أم هي وقائع تاريخية أم على التبعيض أرجو بيان هذه المسألة المهمة في أحد اعداد المنار ولكم الاجر والمنة

(ج) تقدم الالماع في التفسير غير مرة الى ان قصص القرآن لا يراد بها سرد تاريخ الامم أو الاشخاص وانما هي عبرة للناس كما قال تعالى في سورة هود بعد ماذكر موجزا من سيرة الانبياء عليهم مع اقوامهم : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب » ولذلك لاتذكر الوقائع والحوادث بالترتيب ولا تستقصى فيذكر منها الطم والرم، ويؤتى فيها بالذرة واذن الجرة كما فى بعض الكتب التي تسميها الملل الاخرى مقدسة . وللعبرة وجوه كثيرة وفي تلك القصص فوائد عظيمة أذكر انني كتبت منها نحو ثلاثين اذ وجهت نفسي للبحث عن فوائد التكرار فيها وهذه الوجوه تذكر منفصلة في مواضعها من التفسير الذي ننشره في المنار . وافضل الفوائد وأهم العبر فيها التنبيه على سنن الله تعالى فى الاجتماع البشري وتأثير اعمال الخير والشر في الحياة الانسانية وقد نبه الله تعالى على ذلك فى مواضع من كتابه كقوله « وقد خلت سنة الاولين » وقوله « سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون » ـ يذكر امثال هذا بعد بيان احوال الامم فى غمط الحق والاعراض عنه والغرور بما أوتوا ونحو ذلك فالآية الاولى جاءت فى سياق الكلام عن المعرضين عن الحق لايلوون عليه ولا ينظرون في أدلته لانهماكهم في ترفهم وسرفهم وجمودهم على عاداتهم وتقاليدهم. والآية الثانية جاءت في سياق محاجة الكافرين والتذكير بما كان من شأنهم من الانبياء وبعد الامر بالسير في الارض والنظر في عاقبة الامم القوية ذات القوة والآثار فى الارض وكيف هلكوا بعد ما دعوا الى الحق والتهذيب فلم يستجيبوا لما صرفهم من الغرور بما كانوا فيه ولم ينفعهم إيمانهم عندما نزل بهم بأس الله وحل بهم عذاب التفريط والاسترسال فى الكفر وآثاره السوءى

وليس المراد بنفي كون قصص القرآن تاريخاً أن التاريخ شيء باطل ضار ينزه القرآن عنه .

كلا ان قصصه شذور من التاريخ تعلم الناس كيف ينتفعون بالتاريخ. فمثل ما في القرآن من التاريخ البشري كمثـل ما فيه من التاريخ الطبيعي من أحوال الحيوان والنبات والجماد ومثل ما فيه من الـكلام في الفلك — يراد بذلك كله التوجيه الى العبرة والاستدلال على قدرة الصانع وحكمته لا تفصيل مسائل العلوم الطبيعية والفلكية التي مكن الله البشر من الوقوف عليها بالبحث والنظر والتجربة وهداهم الى ذلك بالفطرة وبالوحي معا ولذلك نقول لو فرضنا ان المسائل التاريخية والطبيعية المذكورة في الـكتاب ليست مطابقة الا لمـا يرى أو يعتقد الناس كلهم أو بعضهم في زمن التنزيل لمـا كان ذلك طعنا فيه لان هذه المسائل لم تقصـد بذاتها بل المراد منها توجيه النفوس لطريق الاستفادة بمـا أشرنا اليه فتدبه

المذاهب الاسلامية في الاصول وطريقة المنار

(س ١٨) أحمد أفندي صبحي بأشمون: اننا نود وغيرنا من اخوانـكم المسلمين يودون من حضرتكم ان تدرجوا في المجلة طريقة كل مذهب من المذاهب الاخرى مثل الشيعة والزيدية والوهابية والجبرية وغيرهم لنطلع على ذلك ولنعرف ما عليه هذه المذاهب فان البعض من اخوانكم المسلمين يعتقدون انهم مسلمون وعلى الـكتاب الشريف والبعض يقول غير ذلك

(ج) كل هؤلاء الذين ذكرتم مسلمون واصل الدين عندهم كتاب الله تعالى ويقرون بوحدانية الله وبرسالة خاتم النبيين وكون ما جاء به حقا ويقيمون الصـلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت الحرام ويصبرون على ظلم الحكومة العثمانية فيـه . ولكنهم يختلفون في تأويل بعض الآيات وبيان المراد منها وفي رواية الحديث وسيرة السلف اختلافا قريبا أو بعيدا من الحق فللشيعة ومنهم الزيدية روايات غير معروفة أو غير معتمدة عند أهل السنة وبذلك اختلفوا في مسائل كثيرة أغلبها في فروع الاحكام ولهم أيضا طرق في الاستنباط يخالفون في بعضها طرق فقهاء المذاهب الاخرى واما الوهابية فليس لهم كتب تعتمد في الحديث غير كتب أهل السنة وهم أقرب الى العمل بالسنة من جميع المسلمين على غلو في بعضهم وليس من موضوع المنار تفصيل مسائل الخلاف وانما هو مجلة المسلمين عامة يخاطبهم ويعظهم بالاصل المتفق عليه عنـد الجميع وهو كتاب الله تعـالى والسنة العملية التي كان عليها السلف الصالح بلا

خلاف ويدع لهم كل ما اختلفوا فيه حتى يفيئوا الى أصل الوفاق ان شاء الله تعالى . فالدين واحد والكتاب واحد والله يقول فيه « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء » ويقول فى قوم غير مرضيين عنده « وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » ولم يسلم المسلمون مما جرى لمن قبلهم من الامم باختلاف التأويل والروايات الآحادية وأهواء الرؤساء والتعصب للمرشدين ونرجو ان يعودوا بتربية الزمان القاسية الى الوفاق بالعود الى الاصل المجمع عليه وهو الكتاب والسنة العملية المتفق عليها ويعذر بعضهم بعضا في الروايات القولية الآحادية مع البحث والمجادلة بالتي هي أحسن حتى يفيء المخطىء الى أمر الله الذي لاخلاف فيه .

هذه هي الطريقة المثلى في إرشاد المسلمين في رأينا وقد أخطأها الوهابية فحاولوا بغرارة البداوة وقسوتها ان يرجعوا المسلمين عن البدع بالقوة القاهرة فكانوا من الخائبين ، وأساء الظن فيهم سائر المسلمين ؛ ومن العجائب ان عند المسلمين إحساسا عاما بانه لا يصلح حالهم ويعود مجددينهم الا بابطال المذاهب كلها والرجوع الى الاصل الاول والامام المبين وهو القرآن اذ اتفق سنيهم وشيعيهم على ان المصلح المسمى بالمهدي سيبطل المذاهب كلها أي ان الاصلاح لا يكون الا بذلك ولكنهم جعلوا طريق ذلك غير معقول وهو شخص مخصوص يظهر بالخوارق دون السنن كما تقدم فى الجزء الماضي

(إثبات الولاية بالرؤى والاحلام)

(س ١٩) أمين أفندى عبد الكريم بالزقازيق : ماهو رأي المنار فيما رواه مكاتب إحدى جرائد العاصمة (اللواء) بمركز ميت غمر تحت عنوان (ميت يتكلم) وخلاصة روايته تنحصر في انه رأى في منامه كأن شخصا يخبره بأنه مدفون فى جزيرة بقريتهم ويسأله تكليف العمدة بنقله لقبر آخر فقص الرجل على العمدة رؤياه وهذا قال له من أين لنا معرفة محله وفي الليلة التالية رأى من أتاه أولا في نومه يقول له أخبر عمدتكم ان اسمى (عمرو بن وهب) وسأجعل لكم علامة على قبري فانقلوني فكان بعد ذلك أنه وجدوا علامتين عرفوا بهما محل القبر ففتحوه ووجدوا فيه ميتا نظيف الثياب، أسود اللحية فنقلوه الى قبر في غير الجزيرة الى آخر مافى رسالة المكاتب

هذا ملخص تلك الرواية المدهشة التي نطلب من المنار الزاهر انه يفيض القول

عليها من جهة مطابقتها للعلم سواء كان شرعيا أووضعيا مع مراعاة الجواب على تصور وضع الملامتين وعدم طروء التحليل على هيكل ذلك الجسم ووجه الاتصال بين الروح والجسد وسماع صوت من جانب الميت على ماورد في رسالة أخرى بتلك الجريدة جاءت تصديقا للرواية الاولى وذلك ان ناقلي الميت عند مارأوا جثته ذعروا وولوا مدبرين فسمعوا (اقبلوا اقبلوا فإن الجنة هي المأوى) ومن هو عمرو بن وهب في سير السابقين ان صح في رأي حضرتكم ان المسألة خوارق العادات وتنطبق على الدين الحنيف من جهة إمكان وقوعها ولكم الفضل:

(ج) أصابت الشمس جرة ماء فسخن جانبها الذي أصابته فجاء الفيلسوف فحول الجرة وجعل الجانب السخن الى جهة الارض والجانب البارد الى الشمس ثم نادى تلامذته وسألهم يمتحنهم عن العلة في كون الجانب المقابل للشمس باردا والجانب الملاقي للارض الباردة سخنا؟ فطفقوا ينتحلون العلل وهو يردها ويبين فسادها حتى اعترفوا بالعجز وسألوه بيان العلة الصحيحة فقال لهم ان الواجب ان يتثبت في معرفة الشيء أولا ثم يبحث عن سببه وعلته وما سألتكم عنه غير حقيقي وانما قلبت الجرة لاختبر فطنكم

وهكذا نقول: أثبت لنا ان الامر وقع حقيقة بلا حيلة وسل بعد ذلك هل يصح ان نعتقد بأن الميت الذي رأوه أولا في المنام ثم كلمهم في اليقظة هو من الأولياء وما هو تاريخه • امثال هذه الحكايات تكثر في الامم الجاهلة المستعبدة للخرافات ولقد روي أمثالها عن أهل أوربا في القرون المظالمة حتى كان في بعض بلاد فرنسا موضع يسمونه (الشهداء) كانت الأموات تظهر فيه جهارا لاسيما في الليل ولما عقل الناس لم تعد تظهر !! . فمن الناس من يكذب في هذه الحكايات المنقولة ومنهم من يظهر غريبة من هذه الغرائب بالمواطأة مع أشخاص آخرين لمنفعة ما، ومنهم من تعرض له شبهات في ذلك نعرف كثيرا منها وليس هذا موضع شرحها ولكننا سنذكر بعض الشواهد

أما حكم الرؤى والاحلام في الشرع فهو أنه لا يبنى عليها حكم ولا يثبت بها شيء من الاشياء حتى صرح العلماء بأن من يرى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الرؤيا ويتلقى منه أمرا أونهيا لا يجوز له في اليقظة ان يعتمد على ذلك لعدم الثقة بضبطه لما يرى وانتفاء اختلاط الأمر عليه فيه ولان الله تعالى لم يتوف نبيه اليه الا بعد أن أتم الدين

على يديه ولم تبق حاجة الى بيان آخر فيه «الا أن يؤتي الله عبدا فهما في القرآن» كما ورد ولكن عوام المسلمين وجهالهم كجهال سائر الملل يرون ان الرؤى والاحلام، من أركان العلم والعرفان، لاسيما اذا كان موضوعها الخرافات والأوهام،

وأما القول ببقاء أجساد الاولياء بعد الموت فهو من القول بغير دليل مع تكذيب الحس لذلك ومخالفته لسنة الله تعالى في تحليل الاجساد «ولن تجد لسنة الله تبديلا» وورد في الانبياء حديث عند أحمد وغيره ولا يفيد القطع فيعارض الحس والنص لانه من الآحاد وورد ما يخالفه في يوسف عليه السلام فقد اخرج الطبراني والحاكم من حديث أبي موسى والخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث علي ان موسى عليه السلام استخرج عظام يوسف من قبره بأمر من الله قبل خروجه من مصر وصيغة الأمر هكذا «انك عند قبر يوسف فاحمل عظامه معك» وفيه أنهم: اخرجوا عظام يوسف: والناس يزورون قبر يوسف في جامع الخليل بفلسطين مع العلم بأنه دفن في مصر اعتمادا على هذا الحديث وان موسى احضر عظامه ودفنها هناك. فاذا بحثوا في سند الحديث أوقالوا لا يعتمد عليه لانه من الآحاد نقول نعم ولكنه موافق لسنة الله والحديث الآخر على كونه من الآحاد معارض بسنة الله في الخلق التي قال في كتابه واثبت النظر في خليقته انها لا تتبدل ولا تتحول فان لم نأخذ به فلنترك كل ما يقال في ذلك ونهدم ذلك القبر حتى لا نكون مزورين.

وكذلك كلام الموتى مخالف لسنن الكون الثابتة بالعقل والنقل قطعا فلا نقول به الا بدليل قطعي كأن نشاهد بأعيننا ميتا قد ثبت موته قطعا ثم تكلم ونحن نسمع منه من غير مظنة شعوذة ولا تلبيس. اما طرق التلبيس في هذا المقام فكثيرة نذكر حادثتين منها على سبيل النموذج

في طرابلس الشام قبر ولي يسمى (سيدي عبد الواحد) في حجرة عند باب مسجد منسوب اليه وقد كانت الحكومة أسكنت في هذا المسجد طائفة من مهاجري الشركس بعد الحرب الروسية العثمانية الاخيرة وقد حدث ذات ليلة ان فرّ أولئك المهاجرون من الجامع بنسائهم وأولادهم ومتاعهم زاعمين انهم رأوا السيد عبد الواحد الولي خرج من قبره بهيئة نورانية وصعد المنبر ووجهه يتلألأ نورا وطردهم من هناك . اعترف بهذه الكرامة كبيرهم وصغيرهم وذكرهم وأنثاهم وكانت شهادة

حالهم أقوى دلالة على صدقهم من لسان مقالهم اذ لولا ذلك لما خرجوا من ذلك المأوى الكثير المرافق المتدفق الأمواه بتلك الهيئة المنكرة

حقا انهم قد رأوا رجلا خرج من القبر يتألق وجهه نورا محسوسا وصعد المنبر وأشار بطردهم من المسجد . ولكن من هو ذلك الرجل؟ هل هو السيد عبد الواحد المدفون هناك من عدة قرون كما ينقلون ؟ كلا انه الشيخ أحمد المغربي امام المسجد وخطيبه وابن ناظره ضاق بوساختهم ذرعا ولم يجد حيلة لطردهم من المسجد الا هذه الطريقة لان العوام عبيد الخرافات والاوهام وقد استحضر مادة فسفورية واختبأ بحيلة لم يدركوها تحت تابوت الخشب الموضوع على القبر من أول الليل وكان أخبر بعض أصحابه بما دبره من الكيد. فلما جن الليل وأخذ القوم مضاجعهم مسح وجهه بالمادة النيرة ثم احدث في مرقده اضطرابا وصوتا نبههم فهبوا وأسرعوا الى جهة الحجرة فرأوا التابوت قد ارتفع وخرج من الارض رجل يزهر وجهه بالنور فولوا مذعورين وفتح هو الباب الذي كان يظنونه مقفلا ولكن مفتاحه كان معه وابتدر المنبر وأشار اليهم بوجوب الخروج من المسجد فلبوا خاضعين خاشعين . وقد سمعت هذا الحديث منه كما سمعه كثيرون

وحدثني الياس أفندي الحداد الطرابلسي المقيم فى القطر المصري انه مر فى عهد الحداثة بمقبرة ليلا فرأى رجلا خرج من أحد القبور ومشى أمامه على بعد ورأى معه نورا فلم يشك في أنه أحد القديسين أو الشهداء لان اعتقاد عوام النصارى في ذلك كاعتقاد عوام المسلمين أخذ هؤلاء عن أولئك ما أخذوه عمن قبلهم بالتقليد لما يسمعون من العجائز والبله . فملكه الرعب ولم يكن له مندوحة عن السير حتى اذا اقترب من العمران الذي يقصده نبح كلب على هذا الرجل النوراني الذي كان يمشي بالنور امام الياس افندي فأجابه هذا بالنباح فاذا هو كلب واذا بالموضع الذي خرج منه قبر منبوش وانما مثله الخيال رجلا لان الرائي لم يكن يعرف ان الكلاب ونحوها تبرق أعينها في الليل وكانت الخرافات متمكنة من خياله فلما رأى شيئا غير معهود إذ خرج من بطن الارض بنور معه لم يشك في انه مثال لتلك الحكايات التي كان سمعها من بعض الجاهلين، وغلب خياله على حسه فكان من الواهمين،

أمثال هذين الشاهدين يحار فيهما العقل الصغير قبل ان يسمع تأويلهما وبيان الحقيقة فيهما ولكن ذلك لايمنعه ان يصدق ما يشابههما من الحكايات ممـا لايظهر له تأويله الا اذا نضب ينبوع الخرافات من خياله وزال سلطان الوهم من قلبه. وهكذا يقيس الجاهل مالا يعرف سببه على مالم يعرف سببه كما يرد العاقل مالا يعرف الى مايعرف .

وقد حدث مثل هـذا الحلم لرجل من أغنياء مديرية الجيزة رأى في نومه وليا أخبره انه مدفون فى مكان كذا وأخبره بنسبه فاشترى قطعة من الارض بثمن غال وبنى له فيها قبرا مشرفا وقبة عظيمة فخسر بذلك من دينه وعقله اضعاف ماخسر من ماله

ومن المصائب أن الجرائد التي من وظيفتها محاربة الاوهـام هي في مصر تزيد الناس غشا فقد سمعنا ان جريدة (اللواء) لما نشرت خرافة السؤال أقرتها . فمثل هذه الجرائد كمثل رؤساء الاديان المضلين الذين يوافقون العامة على أهوائها لاجل الانتفاع بمـا عندها من الحطام، ولتمكين الجاه في نفوسها فلاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم

القسم العمومي

نظام الحب والبغض — تابع ويتبع

المدنية ، وماهيه ؟

للمدنية تعريفان أحدهما يبين حقيقتها ، والآخر يصف من مزاياها وخواصها، وآثارها وثمراتها ، وللقارئ هنا حظه من التعريفين :

كلمة المدنية من الكلمات المحدثة عنـد المتمدنين والمقصود منها «التعاون فى العلوم والاعمـال لاكتساب المطالب التي تقتضـيها حياة الانسان النوعية» هذا هو القول الشارح لحقيقتها .

المطالب آلام فى آمال ، وهي طبيعية للحياة النوعية من جملة سنة الله فى الانسان . والمدنية طب هذه الآلام وقدوهم من يزعمون ان المدنية هي مجلبة تلك الآلام، بل الآلام طبيعية من اقتضاء الآمال التي لاتقف عنـد حد . وهي من اقتضاء الفطرة. وما المدنية الاعلاج تلك الآلام وتسكين ماهنالكم من الانزعاجات التي يثيرها الطلب الحثيث لمـافوق الحاجات . فلاتقلدوا الواهمين ولا يلفتنكم شعر أولئكم الذين يهجون

الحياة النوعية (التي يمتاز بها الانسان) ويمدحون الحياة الجنسية (التي للبهائم وغيرها) فان الله ورسله والحكماء برآء من الذين يحبون ان لا تظهر فطرة الانسان بأبهى مظاهرها .

المدنية هي التعاون في العلوم والأعمال . والانسان مدني بالطبع ولكن مدنية كل انسان على مبلغه من العلم والعزم. ومدنية كل أمة على مبلغ افرادها النوابغ من النصب في سبيل أمتهم . وكم من امرئ يعيش بين المتمدنين لاحظّ له من الشعور بالمدنية وأسبابها الا تقليد القوم بما تيهم ومآخذهم وشعاراتهم في كل شيء . بل هذا حظ الجمهور الآن في كل المشرق. وكم من امرئ يعيش بين المتوحشين فلا يلبث الا قليلا حتى ينهض بهم في المدنية الى الدرجات العلى .

علم أسباب المدنية يقال له «طب الاجتماع» والعالم العامل بهذا العلم يقال له «سياسي» وللسياسيين تأثير في العالم كل بقدَر. وهم الذين يغيرون بأذن الله أطوار الامم من هبوط الى رفعة، ومن رفعة إلى هبوط . ولذلك كان مدار التاريخ في الغالب على أخبار السياسيين فالذين أخلصوا لله في مصنوعاته وأحسنوا عملا رفعوا أممهم وأمّوا مع أممهم الى منازل السعادة، وأوردوهم مناهل السيادة ، أولئك تزدان بهم سور الحمد في كل سفر من أسفار الأمم ، وكل عصر من أعصارهم ، وكل مصر من أمصارهم ، يمجدهم الجمهور: الاعداء كالأولياء، والوضعاء كالاعلياء ، والذين حادّوا الله وحادوا في مصنوعاته عن حدود الاخلاص والاصلاح هووا بأممهم وامم مع أممهم الى مهاوي البوار ، وثووا معهم في مثاوي النار ، لا تخفف عنهم الأحمال ، ولا توزن لهم الاعمال ، ولا يبلغون في شيء الآمال ، ومن أخسر عملا ممن كفر بالنعم فاضاعها وأحاطت به خطيئته ؟

المدنية جمال معقول مع جمال محسوس : عدل واحسان، ادب وعرفان ، صنائع وبدائع ، اموال وبضائع ، افهام واوهام ، آمال واعمال ، جمال وتجمل ، مجد وتمجد ، ميزة وتميز ،

المدنية مواهب الانسان، تتجلى للعيان ، يشكرها اولو الألباب السليمة، وينكرها اولو الأذهان السقيمة .

المدنية رابطة يحشر السياسيون تحت لوائها اقواما كثيرين مختلفين بالأنساب ، مختلفين بالأديان ، فهي الرابطة التي يتجلى نفوذها وتأثيرها في حفظ نظام الاجتماع.

وللرابطتين المارتين ـ رابطة القومية ورابطة الدين ـ فضل في تعظيم شانها، وتكبير سلطانها، وفضل آخر في تهديدها اذا طغت في الميزان، واسرفت بالاثم والعدوان، وهي الرابطة التي بواسطتها قامت هذه البنية الحاضرة للاجتماع البشري العظيم. فاذكروا أيها البشر اذ كنتم في الأوجار، تأكلون الاعشاب وتخصفون من ورق الاشجار، واذ فرق بينكم شيطان الشهوات، وأوقعكم في البغضاء والعداوات، واذ أنتم اليوم في المدن الزاهرة، والمظاهر الباهرة، ترجون مافوق الزرقاء، ويرهبكم ماتحت الغبراء، قد ألفت بينكم قرابة الآمال والمعاملات، أكثر مما ألفت قرابة الابدان واللفات، يرحم الكبير الصغير، والصحيح المريض، وابن البلد ابن السبيل، والآسر للاسير،

واذكروا ما أنتم فيه من الوابور، والبالون، والشمندفر، والتليفون، والتلغراف، والفونوغراف، والفوطغراف، والليطوغراف، والتلسكوب، والمكرسكوب، وما هنالكم مما لم نحصه لتعلموا مانفعات لكم المدنية من خير ومارفعت لكم من قدر على الأنعام.

في أقصى المشرق تأخذون نبأ عن أقصى المغرب في لحظة من الزمن لاتجاوز ان يطعم الواحد غداءه.

من المسافات البعيدة يسمع أحدكم صوت صاحبه كأنه في حضرته.

الي حين من الدهر يُحفظ صوت أحدكم ثم يؤديه المستحفظ كما استودعه.

في الدقيقة الواحدة ينسخ لكم ألوف من الصحف السيارة التي تنقل اليكم أنباء المسكونة وسكانها.

في البر تقطعون مسافة الأيام الكثيرة بساعات قليلة على متن ذلول من الحديد لايكل، يطوي بكم البيد طياً.

في البحر على متن الوابور أنى شئتم تسيرون.

في الجو في بطن البالون حيث رمتم تطيرون

الارض ألقت اليكم من افلاذها مالم تكونوا تعلمون، السماء عرفتم من أسرار كونها كثيراً مما كنتم تجهلون.

العمي في عهدكم يقرأون، والصم البكم يكتبون.

ومن العجماوات عوارف لما تقولون، فواعل لما تأمرون، توارك لما تنهون وتزجرون،

هذه آثار المدنية وهذه ثمراتها . ولكن هــل بلغ الانسان فيها الكمال ؟ كلا فان كثيرين من البشر لم تدخل المدنيــة فى عهدنا هذا ديارهم . وفي ديار المدنية يوجــد كثيرون غير متمدنين حق التمدن . والمتمدنون أنفسهم لايزالون سائرين في طرق التكمل . فلا المدنية عمت كل الارض، ولا المتمدنون بلغوا الكمال .

وقد عمر الارض من قبلنا كثير من الأمم كان لهم نصيب من المدنية ثم ابادهم ومدنياتهم افساد السياسيين واقام غيرهم مقامهم اصلاح السياسيين . ولم توجد امة خلقها الخالق متمدنة وانمــا هو التدرج تراه فى كل شيء . سنة الخالق في خلقه .

فاذا رأيتم اليوم فى احدى الجزائر قوما متوحشين (التوحش يقابل التمدن) وقد غُبِّيَ عليكم تاريخهم فلكم ان تظنوا ان التمدن لم يدخل جزيرتهم قط لأن التوحش سابق دائمــا . ولكم ان تظنوا انهــم كانوا قد تمدنوا يوماً من الايام ، ثم أبادهم وتمدنهم فسقهم عن الناموس والنظام . كذلك عاقبة الظالمين .

يوجد الآن فى الارض أقوام كثيرة متوحشــة لايزالون على ماهو قريب من الأطوار الاولى للبشرية اذا شئتم ان تجدوا فرقاً بينهم وبين الحيوانات العليا يصعب عليكم ان تجدوا ذلك الفرق وذلك أعظم سيئات التوحش .

يوجد أولئكم المتوحشون هذا التوحش فى كثير من مجاهل أفريقيا التي لم تدخلها جيوش الفاتحة الاسلامية . ويوجدون في كثير من فدافد أمريكا التي لم تختلط بعد بالمكتشفة الاوربية، ويوجدون في مجاهل أوستراليا (الجزائر الأوقيانوسية) وفى جوار القطبين توجد هذه الضالة التي ينشدها محبو السذاجة .

اما الامم الآسياوية الحاضرة ــ وفي حكمهم أمم أفريقا الشمالية ــ فأ كثرهم وارثون لاسلاف متمدنين . ولكنهم أضاعوا ذلك التراث ولم يرعوه حق رعايته فلولا التمدن المستعار الذى وجد بواسطة الاوربيين لصح لنا ان نقول : ان آسيا لاتفضل أفريقيا فى التمدن الابقية من تراث الاولين معرضة للزوال

فمن أخذته الحمية الآسياوية وكان حريصاً على ان يدعي للآســياويين مقاماً بين المتمدنين يجب عليه ان يرد العواري ثم لينظر هل يجد ثمة الاالعوار ؟

ان يكن فى آسيا تمدن غير مستعار فانه ناقص جداً : الاديان من التمدن وقد ضعفنا

بها علماً وعملا، الحكومات من التمدن وقد خسرنابها حساً ومعنى ، الزراعات من التمدن ونحن لانتقنها ، الصناعات من التمدن ولاخبرة لنابأنواعها الكثيرة، التجارات من التمدن واننا فيها متأخرون ، الزينة من التمدن واننا فيها مرضى الاذواق، العلوم من التمدن وهي عندنا كاسدة ، الآداب من التمدن وهي لدينا فاسدة ، القوانين من التمدن ونحن فيها جامدون ، الاعمال العظيمة من التمدن ونحن فيها خامدون ، الاختراعات من التمدن ولكننا فيها موتى ، الاكتشافات من التمدن ولكن لا تسمعون لنا فيها صوتا .

فاعلموني يارفاقي الآسياويين ماهو تمدننا المحلي الذي نقصه ليس بفاحش وأنتم بعد ذلك غير محاسبين على النقص القليل .

ثم هلموا ننظر نظرة في مدنية أوربا وما أوربا ؟ – أوربا الزاهرة . ذات المدن الباهرة ، والصناع الفاخرة الماهرة ، مقر العلوم العالية ، والاعمال الفائقة ، مهبط السياسة السامية ، وملتقى الساسة النامية ،

هنالكم الاختراعات النافعة ، والاكتشافات الهادية ، على يدهم ظهرت الأرواح الباطنة ، فاصبحت أسرارها سارية ، في الاجسام الجامدة والجارية ، منهم ظهرت الآلات المنبئة ، وبهم تأتيكم انباء الامم النائية ، في اللحظة الواحدة ، صحفهم ناشرة ، للانباء الجائبة ، والافكار الدائبة ، أولئك هم السابقون فى المدنية الرافعة ،

هذه أوربا وهذا مجدها وانا أريكموها من تلك الجهة الثانية جهة النواقص التي فيها :
الاستبداد الذي حاربوه واهرقوا فى سبيل محوه كثيراً من دمائهم لايزال له أثر كامن في صدور العلية منهم ومقلديهم من الدهماء . ومن آثاره أنواع التعصبات الباقية .
الجهل الذي حاربوه بأنفسهم وأموالهم لايزال بين كثير من طبقاتهم ومن آثاره شيوع الفحشاء والرذائل المتنوعة .

الفقر الذي يدأبون وراء ابعاده عن ديارهم لايزال آخذاً بتلابيب أكثر الافراد وليس أولو الثروات العظيمة الانفراً قليلين فى بعض المدن الكبيرة .

ثم اذا صرفنا النظر عن مراقي الحياة النوعية فبم يمتاز الاوربيون ؟ هل طالت أعمارهم ؟ هل صرفت عنهم الاسواء من أسقام وآلام ؟ هل خفت عنهم اعباء الحياة

التي تقتضي الكد والكدح ؟ هل تقدسوا عن البغضاء فيما بينهم ؟ هـل ترفعوا عن سفساف الأمور ؟ هل استغنوا عن المشرق البتـة ؟ هل بلغوا بعلومهـم ان يخرقوا نواميس الوجود ؟ هل بلغوا بها ان يكون عيش أحدهم كله كما يتمنى ؟ هل بلغوا بها ان يرتقوا لعيشة روحية محضة لا نصب فيها ولا لغوب ؟ هل بلغوا بها ان يستغنوا عن الحروب التي هي اليق بالعجماوات منها ببني الانسان ؟ هل بلغوا بها ان يستخدموا بين الارواح المدركة كهربائية للإنباء والاستنباء ؟

اذا شئت ان أعـد كل ماهو من النواقص يطول بي العدّ والسرد . وفى الذى ذكرت اشارات كافية للمتبصر تنبهه الى أمثلة نقصان المدنية الاوربية التي لا يوجد اليوم للبشر مثلها عند غيرهم من المشارقة والمغاربة الآخرين .

نعم هم لم يبلغوا الكمال ولـكنهم ساعون لا يألون جهداً بالاكتشاف والاختراع والبحث والتفكر . ونحن مع نقصنا الفاحش غير ساعين فهل يليق ذلك بنا ونحن ابناء الذين ابتدأوا التمدن؟أليست هذه آسيا كم التى ربّت فى حضنها أشهر مشاهير الرجال؟

كلا ان ذلك لا يجدر ولا يحسن بأبناء تلك الام التي أحسنت تربية كل المؤسسين الأولين . بل علينا اليوم ان تتفقه فى «رابطة المدنية» كما تفقه اسلافنا من قبل وكما يتفقه جيراننا ومعاملونا الاوربيون الذين نعدهم أجانب ومبغضين ولا ينفعنا الجمـود ومعاداة كل أشياء الاجنبي باسم الوطن فان الوطن للبشر واحـد هو دار الأعمال والتكاليف التى تطلب من الكل ، وتوزع على الكل ، ويتبادلها الكل ، وليس حب الوطن هو الكزّ على عادات الاسـلاف أوالحرص على اللبث فى مساقط الروس كما يفسره جمهور العوام ، ولا الاقدام على مجاهدة الذين يريدون ان تكون لهـم سلطة فيه وان كانت أنفع من السلطة الاولى كما يفسره جمهور السياسيين ومقلديهم ، فان كلا المعنيين بعيـدان عن الحقيقة التي يحبها الحكماء أولو الفضيلة واخوانهم المخلصون من السياسيين . وكم ينشيء السياسيون أشعار حماسة تفعل فى عقول الجمهور فعل الامراض العصبية وقد تحقق للعلماء استعداد العامة الذين لم يأخذوا حظا وافراً من العلم لتلك الامراض وماهو على شاكلتها من الانفعالات للتوهيمات الشعرية والخطابية .

وسوف يرون ـ حين نفيض في حب الوطن ـ ان الوطن هو سبيل الله ، وسبيل

الله هو الوطن، وتعالى الله عن ان يكون محدوداً يؤدي اليه سبيل، أو محسوسا يدنو منه قبيل دون قبيل، فسبيله الذي يؤدي الى القرب من منحه القدسية التي يتسامى ويتكمل بها الانسان هو استعمال الفكر مبلغ الاستطاعة في تفهم أسرار الفائضات والمصنوعات الربانية، وافراغ خواصها وفوائدها في قوالب المصنوعات الانسانية، ليكون كل فرد عابداً للصانع الحكيم بمعرفة شيء من أسرار حكمته، وشاكرا على مواهب نعمته، باستعمال القوى التي في فطرته فيما خلقت لاجله، من عمل الصالحات لنفسه واخوته بني نوعه، والله غني حميد.

وهنالكم سنين كيف اشتبه على الاقوام شكل الحقيقة فى الوطن وكيف وهموا ـ تقليداً للسياسيين ـ فى حب شيء ليس بجدير ان يحب كمساعدة حكومات جائرة مفسدة على حكومات عادلة مصلحة باسم الوطن الموهوم.

هذا ولا ينفعنا أيضاً تقليد كل أشياء الاجانب باسم التمدن فانه لا عصمة لأمة من الخطأ ولا يستحق أحد ان يقلد تقليداً محضا بل علينا ان نستعمل التفكر، ونستهدي بالتجارب، ونساعد فى تأييد أنفع الروابط، واسقاط أضر الروابط للتكمل البشري

يومئذ تنقسم الارض الطبيعية غير هذا الانقسام الصناعي ويصافح المشرقي المغربي، والشمالي الجنوبي، على انهم اخوان متعاونون في العلوم، متقاسمون للاعمال، في دار واحدة فسيحة، يحكم بينهم منتخبون منهم متعددون بنسبة التقسيم، ومتحدون بنسبة التنظيم، لا يحارب بعضهم بعضا باسم القوميات ولا باسم الاديان، ولا باسم الديار والاقاليم، وانما تحارب قوتهم العامة من فسق منهم عن أمر العهد العام، والنظام الشامل.

هذه نسخة من صورة الكمال للتمدن فانظروا واما أجملها وتفكروا فيها ان كنتم تحبون الجمال والكمال. واما الصور الحاضرة فلا والله لا ألفي في واحدة منهن جمالا، ولا أتصور فيهن كلهن كمالا، ولا تطمئن بهن قلوب صحيحة، ولا تميل اليهن أفكار سليمة،

واذا كان ميزان هذا الامر بيد السياسيين، فلا يحسن بالناس تركهم ان يفعلوا ما يشتهون بل ليكن شرع وقانون، ليكن رقباء عارفون، ليكن نواب محاسبون، ليكن إخاء عام وتعاون عام، وعهد عام، ونظام عام، ووطن عام، وسلم عام، فى ظل قوة عامة. «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» واعلموا ان الانسان بتلك النعمة جدير، والله على كل شيء قدير.

ع. ز

باب الأخبار والآراء

أخبار بلاد العرب

عقد النصر لواءه في نجد لآل سعود امرائها الاولين وغلب ابن الرشيد اميرها الحالي على أمره حتى خرج معظم البلاد والقبائل من يده وأكثر الأهالي فى جذل وفرح لما قاسوا من ظلم ابن الرشيد ومايعهدون من عدل آل سعود واستقامتهم . واذا تمت لهؤلاء النعمة ، ودالت لهم الدولة ، فانهم يكونون للدولة العلية خيرا مما كان ابن الرشيد فى الولاء اذا هي شاءت ذلك ولم تساعد عليهم عدوهم الآن،ولم ترهقهم من أمرهم عسرا فيما بعد ، فان هؤلاء لايرضون بالظلم ولايجارون عليه . وقد شاع ان الدولة العلية أمدت ابن الرشيد بالمال والرجال وما نخال الخبر صحيحا ولئن صح ليكونن شراً على الدولة اذ يخشى ان يستنجد آل سعود اذا غلبهم جندالدولة بانكلترا التي تخطب ودهم فتمدهم بالجنود الهندية ويكون الخطب كبيرا . وقد قيل ان الامير عبد الرحمن فيصل أنذر بذلك والي البصرة ليعرضه على السلطان ففعل ووعد السلطان بأنه لايحارب آل سعود بالجنود العثمانية والله أعلم بالمصير

سبق لنا نشر رسالة من عدن فى (ص ٧٥٨) من المجلد السادس وردت فى رمضان الماضي فيها ان انكلترا تحاول الاستيلاء على جهات جبل يافع المشهور وانها أرسلت شرذمة من جندها بالضالع الى جبل شيب ولم تلبث ان عادت ادراجها لشعورها بالخطر من العرب . وان المناوشات بين الانكليز والعرب على الحدود مستمرة الخ. وقد كتب الينا أخيراً من عدن كتاب مؤرخ في ١٢ صفر الماضي يقول فيه مرسله:

قد رجع أمير المكلا عن محاربة حجر بدون نتيجة ووصل كثير من عساكره الى عدن قافلين الى جبل يافع ومن أجل ماخسره فى تجهيز هذه الحملة والتي قبلها قد ابتدع ضرائب وضاعف المكوس وستؤثر هذه السياسة الخرقاء بزيادة الهلاك وربما عجلت تداخل الانكليز فى تلك النواحي . وقد أرجع الانكليز كثيرا من عسكرهم الى الضالع لاتمامهم التحديد مع الترك حسب زعمهم أو لترقب فرصة أحسن لهم حسب

عادتهم ولهم عناية باستمالة صاحب نصاب والعوالق ، ويتحدثون بمدسكة حديد من عدن تخترق جزيرة العرب الى الكويت : ثم قال : وقد وصل الى عدن بعض الجند الانكليزي من السومال اذ انجلى الانكليز عنها لتعسر هضمها الآن وسيخلون بين الملا القائم وأرضه لعله يبطر ويظلم سكرا بنشوة السلطة والسيادة كما فعل خليفة متمهدي السودان ثم يكرون عليه اذا أبغضه قومه واختلفت القلوب. والله المسؤول ان يوفق المسلمين لانتهاز الفرص والعمل السديد : ثم قال ان في عدن كثيرا من دعاة النصرانية اضجروا الأهالى وملأوا آذانهم بالسب والشتم والحكومة معضدة لهم : ونقول ان هذا من سوء السياسة والجهل بالامم فان العرب لا يتنصرون، ودعاتهم للنصرانية لا ينتصرون ؛

الجمعية الخيرية الاسلامية

صدر تقرير هذه الجمعية عن أعمالها وحسابها فى سنة ١٣٢١ ومشروع أعمالها وميزانيها ومحضر جلستها العمومية فى سنة ١٣٢٢ وقد جاء فيه ان ايراد الجمعية من الاشتراكات والمساعدات السنوية قد بلغ ١١٦٢ جنيها وأربعين قرشاً ومن ريع الاطيان (وهي ٢٨٠ فدانا وكسور) ١٢٢٣ جنيها وتسعة وخمسون قرشا ونصف ومن الاحتفال السنوي ١٦٣٤ جنيها وثلاثة وسبعون قرشا وهنالك ايرادات متفرقة هي نحو ماتقدم. والعبرة فيما ذكرنا أن الاصل في الجمعيات الخيرية هي الاشتراكات والمساعدات السنوية. ومن العار العظيم على أغنياء مصر ووجهائها من المسلمين وهم الاكثرون عددا ومددا ان يكون اشتراك الجمعية الخيرية الوحيدة لهم بهذه الدرجة من القلة . وأن تكون ليلة من ليالي اللهو خيرا لفقرائهم ولجمعيتهم من كرم جميع كرمائهم فيما يتفضلون به مدة سنة عن روية واخلاص لا لعب فيه ولا لهو. وان كان معظم ايراد ليلة الاحتفال منهم أيضا. وللقارئ ان يجعل الجمعية الخيرية ميزانا لترقي مسلمي مصر فى الحياة الاجتماعية ، ومن البلية أنه يرى كثيرين من المشتركين وهم خيار القوم لا يخرج الحق منهم الا نكدا ويرى مجلس ادارة الجمعية يمحو في كل سنة أسماء كثير من المشتركين الاغنياء لمطلهم وليّهم وتعذيب المحصل بالتردد عليهم المرة بعد المرة عدة سنين (فيا للخجل ويا للعار) . على اننا لا ننكر ان في مصر نسمة خفيفة من الحياة ولكن ما أتعب الذين يحاولون نفخها في سائر الاجسام المنفوخة من قبل بحب الفخفخة الباطلة ، واللذة

القاتلة ، ولعل التعب يفيد ، ولو بعد أجل بعيد ،

وجاء فى قسم النفقات ان ما أنفق في السنة الماضية على التعليم بلغ ٢٤٥٩ جنيها وكسور وعلى إعانة الفقراء نحو ٣٧٣ جنيها . ولو بذل كل مصري قرشا واحدا لهذه الجمعية كل سنة وتحمل الاغنياء مايفرض من ذلك على الفقراء – على انه لايصعب على أحد بذل قرش فى السنة – لسهل على الجمعية ان تعمم مدارسها حتى لايخلو منها مركز من المراكز ولكن أين الشعور الذي يدفع الناس لجمع المال والتعاون على البر والتقوى اما المخصص للتعليم فى الميزانية الجديدة فهو ٣٦٠٠ جنيه مصري واما المخصص لاعانة الفقراء فيها فهو نحو ٦٥٥ جنيها

مدرسة الجمعية فى المحلة الكبرى

أشرنا الى هذه المدرسة فى الجزء الماضي وقد جاء فى آخر التقرير عنها مانصه: بعد تحرير هذه الميزانية ورد مبلغ ١٣٣٣ جنيها و ٨١٠ مليمات من أعيان مدينة ومركز المحلة الكبرى جمعوه بالاكتتاب الذي عمل فيما بينهم على ذمة (كذا) انشاء مدرسة بالمحلة الكبرى بمعرفة الجمعية مثل مدارسها وقد لبت الجمعية طلبهم وستباشر فتح المدرسة من أول السنة المكتبية المقبلة وعليه يجب اضافة المبلغ المذكور على ايرادات التعليم على ذمة مدرسة المحلة الكبرى :

ونزيد على ذلك ان وجوه المحلة قد دعوا رئيس الجمعية للاحتفال بتأسيس المدرسة فأجاب الدعوة هو وحسن باشا عاصم وكيل الجمعية ومدير مدارسها وحسن باشا عبد الرازق أحد أعضائها فقوبلوا بالحفاوة اللائقة وحضر الاحتفال الالوف من الناس وكان ذلك لخمس بقين من المحرم سنة ١٣٢٢ وتليت الخطب وانشدت القصائد فى مدح العلم والاستاذ الامام ناشره وناصره . وقد أعجب الفضلاء من خطبة الشيخ محمد بسطويسي بركات التاجر بالمحلة قوله : أيها الاستاذ الامام قد جادلتنا فأحسنت جدا لنا حتى أجبنا دعوتك للعلم والدين ، وجاهدتنا في الله حتى محوت آية الجهل بالدليل وجعلت فينا آية العلم مبصرة باليقين ،وهانحن (أولاء) الواقفون بباب علومك نرى ان قيامك بأمر الدين فى وقت امتزجت العادات فيه بالعبادات كبر الا على العارفين – كبر على من أشربوا حب التقليد وتعظيم من في القبور – كبر على من ورثوا حب

الشرك الظاهر عن آبائهم ، وان حجوا أوطولبوا بالدليل قالوا « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » الخ

وانا نثني أطيب الثناء على وجهاء المحلة الكبرى ونخص بالذكر محمداً أفندي البهلوان من أعيان الدواخلية اذ تبرع ببيت من بيوته مدة خمس سنين لتنشأ فيه المدرسة — الى ما أنفق على اصلاحه زيادة على ما تبرع به مع المتبرعين ، ونرجو ان يسري روح حب العلم في سائر المراكز فتتباري سماحة الاغنياء وأهل الغيرة في انشاء المدارس وان يعتمدوا فى ذلك على الجمعية الخيرية الاسلامية التي تسلك بهم الطريقة المثلى بمعارف رئيسها الامام ، وأعضائها الاعلام ،

مراكش

ذكرنا في آخر صحيفة من الجزء الثالث نبذة عن الوفاق الفرنسي الانكليزي وانه قضي فيه على مصر بسوء سياسة الامراء والحاكمين الذين استبدوا في الامة وأذلوها حتى فقدت الاستقلال الشخصي والقومي وهو قوة الامم والدول وعدتها ثم سلطوا عليها أوربا وأعطوها من الامتيازات ماشاركتهم فيه بالحكم حتى صار لكل مصري فى بلاده ألوف من المستعبدين

واما مراكش فالذي قضى عليها هو الجهل الفاضح في حكامها ومحكوميها فقد اختاروا ان يقوا على البداوة والهمجية امام أوربا التي تسير فى المدنية والقوة مع البرق — ولا أقول مع البرق على سبيل التشبيه كما كان يقول الاولون ، بل أقوله على سبيل الحقيقة كما يعرف المتأخرون ، فان الافرنج قد استخدموا أم البرق هي وولدها وما أمه الا الكهربائية التي تنار بها الاسواق والبيوت والمساجد والحوانيت الكثيرة حتى في بعض بلاد الشرق كمصر

نقول ان الجهل قد قضى على مراكش ولا نعني بها ان حالها بعد دخول فرنسا فى شؤنها ستكون شرا من حالها قبله ، كلا اننا صرحنا في مقالة نشرت فى آخر الجزء الخامس عشر من السنة الماضية بأن كل حال تنتقل اليها البلاد فهي خير من حالها الحاضرة ولكننا نعني بذلك فقد الاستقلال الذي هو موت الدول والامم على ان مراكش لم تكن حية فتموت وانما كانت مستعدة لحياة طيبة لو وجد لها حكام

عارفون بطرق ترقي الامم

لقد أنذرنا حكومة مراكش بسوء المصير كما أنذرها غيرنا وأول نبذة كتبناها في ذلك مضى عليها ست سنين اذ نشرت في العدد الخامس عشر من السنة الاولى للمنار الصادر في ٩ خلون من صفر سنة ١٣١٦ وقلنا هناك ردا على جريدة قالت ان مراكش يصعب على الاوربيين الاستيلاء عليها: ان الاوربيين لاتقف أمامهم المصاعب والامم الهمجية لاتقدر على مقاواة الامم المتمدنة . واذا دام أهل مراكش على جهلهم بالفنون العصرية التي عليها مدار العمران اليوم تقليدا لآبائهم وإبقاء لما كان على ما كان فلابد ان يغمرهم طوفان أوربا كما غمر جيرانهم: ثم نبهنا السلطان عبد العزيز الى ترك التقليد والاعتبار بما بين يديه وماخلفه والاتعاظ بما عن يمينه وشماله والاندفاع بهمته كلها الى التربية والتعليم وان يستعين بالسلطان العثماني على التعليم العسكري والمدني والاقتصادي وقلنا انه اذا فعل ذلك «يرجى ان يندفع ذلك الطوفان الذي يتهدد بلاده وما هو الا النفوذ الاجنبي الذى غمر جيرانه»

ومن البلاء انه ترك التقليد لمن قبله بخير ما كانوا عليه وقلد الاوربيين بشر مايوجد عليه سفهاؤهم وسفهاء غيرهم وهو التفنن في الشهوات واللهو الباطل والزينة . وقد اجتمعنا بعد كتابتنا تلك بوجيه مراكشي يلقب بالدكتور (أي انه عالم) فكلمناه في الموضوع فقال انكم لاتعرفون حال مراكش ولذلك تكتبون ماتكتبون . ان تلك البلاد أمنع من جبهة الأسد وعندها من القوة والمنعة ماتصادم به أوربا كلها اذا زحفت عليها ! فقلنا له وأين السلاح الجديد والفنون العسكرية فقال انها متوفرة وتقدر الدولة على زيادة ماتشاء فان عندها من كنوز الاموال مددا لاينفد وهي أغنى دولة على وجه الارض ثم ان لها قوة أعلى من كل القوى وهي مافيها من قبور الاولياء الحامين لها !!!

هذا نموذج من غرور القوم بدنياهم ودينهم وجهلهم بالامرين فهم لم يعدوا لاعدائهم ما استطاعوا من قوة المدافع والبنادق والعلم والنظام كما أمر الله ولم يعتمدوا فيما وراء الاسباب على الله القوي القدير وانما يعتمدون على أصحاب القبور الذين لايملكون لهم ولا لأنفسهم نفعا ولا ضرا . فهل يمكن ان تنزلهم فرنسا عن هذه الدركة ، وتدفنهم في حفرة أعمق من هذه الحفرة ، كلا انها ستعلمهم رغم أنوفهم مايرقيهم - لابالمدارس

تنشئها لهم ولكن بالاعمال والسيرة التي تسلكها فيهم سواء كانت قاسية أولينة . ولا ينبغي لعاقل ان يكره التربية والنظام ويعادي وسائل العمران وانما الانسان يحب ان يجيء الخير لامته على أيدي رؤسائها فاذا كان الرؤساء هم المفسدين الذين يخربون بيوتهم بأيديهم فماذا يفعل المرؤوسون ولاجامعة لهم ولا علم ؟

ظهرت غاية قوة مراكش الحربية والمالية بعجزها عن اخماد ثورة داخلية واضطرارها بها وبثوران شهوة السلطان الى اقتراض المال من فرنسا وهذا المال سيكون ثمن تلك السلطة الجائرة الجاهلة . وقد عرج على مصر وزير حربها السابق (المنبهي) قاصداً الحج فسأله أرباب الجرائد عن حال الثورة والقائم فحدثهم عن ضعف القائم وقوة النائم (السلطان عبد العزيز) بمثل ماحدثني الدكتور اوبما يقرب منه وكذب جميع مانقله البرق وبريد أوربا من خبر الخارج وقوته على الحكومة ! ! وقد عاد من الحج ونود أن يسأل عن الوفاق الفرنسي الانكليزي لنسمع ماذا يقول

﴿ المولد النبوى ﴾

يحتفل المسلمون فى هذا الشهر بتذكار المولد النبوي الشريف ويقرأون قصة المولد في احتفالهم وماهي بقصة واحدة وانما هي قصص لم نر منها مايخلو من الكذب والوضع الا قصة جديدة ألفها الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق الشام سماها (شذرة من السيرة المحمدية) اقتبسها من كتب الحديث المعتمدة فنحث جميع الذين يقرأون تلك القصص على قراءتها لما فيها من الفائدة ، وعلى ترك القصص الكاذبة ، وثمن النسخة منها اثنى عشر مليما مع أجرة البريد وتباع بمكتبة المنار

﴿ المحكمة الشرعية بمصر ﴾

كلما علت شكوى الناس من هذه المحكمة ومن سائر المحاكم الشرعية بناتها وكلما ألحوا فى طلب إصلاحها يلح رجالها الذين يشكى منهم في غيهم ويسرفون فى أعمالهم التي هي مثار الشكوى وأصل البلوى . وقد أكثر الخواص في هذه الايام من الخوض فى سيرة المحكمة العليا لاسيما بعد ماعلموا بما نشره المؤيد فى يوم الخميس الماضي من اذن القاضي لابن رجل منع من دعوى فى وقف لعدم جواز سماعها بمضي المدة الشرعية بان يخاصم فى الدعوى التي منع منها أبوه في المحكمة نفسها مع انه لو صحت

دعوى أبيه لكان مستحقا فى الوقف وأما الوليد فليس بمستحق وليس موضوع الدعوى مصلحة عامة بل المراد اخراج الوقف عن كونه خيريا وجعله اهليا . ويتحدثون بأن الابن قد طلب من بلد آخر وكلف برفع القضية بناء على الاذن الذي ناله بعد طلب كلف به ويقولون ان العلة فى هذه السنة السيئة ونحوها من الخلل بعض أعضاء المحكمة العليا وان هذا هو الذي يعنيه المؤيد بقوله انه « علة العلل » لامراض المحكمة العليا ولعلنا نسهب القول في وجوب اصلاح هذه المحاكم في جزء آخر

الحرب المضطرمة فى الشرق

ابتدأت الحرب في البحر فكان الفلج فيها لليابانيين وتبين ان أسطولهم أتم استعدادا وبحارتهم أوسع معرفة ودراية وقد ألزم أسطول هؤلاء أسطولي روسيا بان يستعصم كل منهما في مينائه الى أن حصرهما في المدة الاخيرة بسد مدخل ميناء بور أرثر واكتفاء شر خروجه فى غيبة الاسطول الياباني ووقوفه لاسطول فلاديفستك بالمرصاد . ولما ظهر فوز اليابان فى البحر قالوا هي دولة بحرية ولكن لا يستطيع أولئك الاقزام الصفر ان يثبتوا امام الجنود الروسية من فرسان القوزاق، ومشاة الآفاق، ولم يكن من بوادر الوقائع البرية الا الفوز الباهر المقرون بالشجاعة الكاملة وحسن التدبير وطول الباع فى الفنون العسكرية . وقد كانت الجرائد الانكليزية تصف اليابانيين بذلك والجرائد الفرنسية تشكك فيه حتى اذا أثبته العمل اتفق عليه المختلفون واعترفت أوربا وأميركا بأن الجيش الياباني في مقدمة جيوش العالم بل صرح بعضها حتى فى ألمانيا بأنه أحسن جيوش العالم . ولم يبق من منازع في ذلك الا جريدة عربية في مصر برعت فى التأويل حتى ان ما تكتبه لا يخطر على بال أحد فى روسيا نفسها . نعم ان ظفر اليابان فى البر والبحر لم يصل بالروسيين الى هاوية اليأس بل يجوزان ينتصروا بعد بالكثرة . وقد خفي عن جريدتنا المصرية أن جريدة روسيا قامت تنذر اوربا بالخطر الاصفر وتحاول اقناعها بان اليابان يوشك ان تنظم عسكرية الصين ، وتستولى بها على اوربا بل على العالمين، وفي ذلك من تعظيم شأنها من عدوتها مالا تعظيم وراءه والفضل ما شهدت به الاعداء

اما السبب فى هذا الرقي التام الذي أدهشت اليابان العالم به فهو عزة نفوس اليابانيين وعلو أخلاقهم بسبب سلامة استقلالهم ألوفا من السنين لم يتسلط عليهم فيها من يذلهم ويفسد بأسهم فليعتبر بذلك حكامنا وقومنا ان كانوا معتبرين

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٢٢ — ١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٤ ﴾

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ *

ذهب الذين ينظرون من القرآن في جمله وآياته مفككة منفصلا بعضها عن بعض التماسا لسبب النزول في كل آية أو جملة او كلمة ولا ينظرون اليه في سياق جمله وكمال نظمه — الى أن الأمر بالاستعانة في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا

استعينوا بالصبر والصلاة) هو للاستعانة على أمر الآخرة والاستعداد لها وان المراد بالصبر فيه الصبر على الطاعات وبهذا صرح الجلال وقد اورد الاستاذ الامام قوله وسأل الله تعالى الصبر على احتمال مثل هذا الكلام ثم بين وجه الاتصال بما مثاله

ذكر الله تعالى افتتان الناس بتحويل القبلة وتقدم شرح مادلت عليه الآيات من عظم أمر تلك الفتنة ، وإزالة شبه الفاتنين والمفتونين ، وإقامة الحجج على المشاغبين ، وحِكَم التحويل وفوائده للمؤمنين ، ومنها إتمام النعمة ، والبشارة بالاستيلاء على مكة ، وكون ذلك طريقا للهداية ، لما في الفتن من التمحيص الذي يتميز به المؤمن الصادق ، من المسلم المنافق ، ولا غرو فان مادة الفتنة من لفظ (الفتّانة) وهو الحجر الذي يحك به الناقد الذهب فيعرف به زيفه ونضاره . وكذلك الفتن تظهر الثابت على الحق المطمئن به وتفضح المنافق المرائي بما تظهر من زلزاله واضطرابه فيما لديه ، أو انقلابه ناكصا على عقبيه ، ثم شبه هذه النعمة التامة بالنعمة الكبرى وهي إرسال الرسول فيهم ، يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وفي ذلك من التثبيت في مقاومة الفتنة ، وتأكيد أمر القبلة ، ما يليق بتلك الحالة . وقفى ذلك بالأمر بذكره وشكره على هذه النعم للإيذان بأن تحويل القبلة الذي صوره السفهاء من الناس بصورة النقمة ، هو في نفسه أجل واكبر نعمة ،

لاجرم ان تلك النعم التي يجب ذكرها وشكرها للمنعم جل شأنه كانت تقرن بضروب من البلاء ، وانواع من المصائب ، اكبرها مايلاقيه أهل الحق من مقاومة الباطل وأحزابه ، وأصغرها مالا يسلم منه أحد في ماله وأهله وأحبابه ، أليس من النسب القريب بين الكلام ، ومن كمال

الارشاد فى هـذا المقام ، ان يرد بعد الأمر بالشكر ، أمر آخر بالصبر ، وأن يعد الله المؤمنين بالجزاء على هذا كما وعدهم بالجزاء على ذاك ؟ بلى ان هذه الآيات متصلة بما قبلها ، متممة للارشاد فيها ، وقد هدى سبحانه بلطفه الى علاج الداء قبل بيانه فأمر بالاستعانة على ما يلاقيه المؤمنون بالصبر والصلاة ووعد على ذلك بمعونته الالهية ثم أشعرهم بما يلاقونه فى سبيل الحق والدعوة الى الدين والمدافعة عنه وعن أنفسهم . فهو سبحانه وتعالى يأمرهم بالصبر على ذلك كله لان الآية فى الانقطاع الى العبادة والصبر على الطاعـة مطلقا بحيث يكون القاعد عن الجهاد بنفسه وماله اعتكافا فى مسجد أو انزواء فى خلوة عاملا بها

كان المؤمنون فى قلة من العدد والعدد وكانت الامم كلها مناوئة لهم فالمشركون اخرجوهم من ديارهم وأموالهم وما فتئوا يغيرون عليهم ، ويصدون الناس عنهم، ثم كانوا يلاقون فى مهاجرهم ما يلاقون من عداوة أهل الكتاب ومكرهم ، ومن مراوغة المنافقين وكيدهم ، فأمرهم الله تعالى ان يستعينوا فى مقاومة ذلك كله وفى سائر ما يعرض لهم من المصائب بالصبر والصلاة . اما الصبر فقد ذكر فى القرآن سبعين مرة ولم تذكر فضيلة أخرى فيه بهذا المقدار وهذا يدل على عظم أمره، وقد جعل التواصي به في سورة العصر مقرونا بالتواصي بالحق اذ لا بد للداعي الى الحق منه . والمراد بالصبر فى هـذه الآيات كلها ملكة الثبات والاحتمال التي تهون على صاحبها كل ما يلاقيه في سبيل تأييد الحق ونصر الفضيلة . فضيلة هي ام الفضائل التى تربي ملكات الخير في النفس فما من فضيلة الا وهي محتاجة اليها . وانما يظهر الصبر فى ثبات الانسان على عمل اختياري يقصد به إثبات حق أو إزالة

باطل او الدعوة الى عقيدة او تأييد فضيلة او إيجاد وسيلة الى عمل عظيم لأن امثال هذه الكليات التى تتعلق بالمصالح العامة هي التي تقابل من الناس بالمقاومة والمحادّة التي يعوز فيها الصبر، ويعز معها الثبات على احتمال المكاره، ومصارعة الشدائد، فالثابت على العمل فى مثل هذه الحال هو الصابر والصبار وان كان فى أول الأمر متكلفا ومتى رسخت الملكة يسمى صاحبها صبورا. وليس كل متحمل للمكروه من الصابرين الذين اخبر الله في هذه الآية انه معهم وبشرهم فى الآية الآتية وأثنى عليهم فى آيات كثيرة بل لا بد من العمل للحق والثبات فيه كما قدمنا لأن الفضائل لا تتحقق الا بما يصدر عنها من الأعمال الاختيارية التي هي مناط الجزاء، بل الصبر نفسه ملكة اكتسابية ولذلك أمر الله تعالى به وانما يكون الامتثال بتعويد النفس على احتمال المكاره والشدائد في سبيل الحق. وعلى ذلك جرى النبي عليه الصلاة والسلام واصحابه عليهم الرضوان حتى فازوا بعاقبة الصبر المحمودة، ونصرهم الله تعالى مع قلتهم وضعفهم على جميع الامم مع قوتها وكثرتها، وإنما كان ذلك بالصبر، لأن الله تعالى جعله سببا للنجاة من الخسر كما جاء في سورة العصر،

المتحمل للمكروه مع السآمة والضجر لا يعد صابرا وهذا هو شأن منتحلي العلم ومدعي الصلاح في هذا الزمان، تراهم أضعف الناس قلوبا وأشدهم اضطرابا اذا عرض لهم شيء على غير ما يهوون، على أن عنوان صلاحهم واستمساكهم بعروة الدين هو جرْس الذكر وحركات الاعضاء فى الصلاة، وما كان للمصلي ولا للذاكر ان يكون ضعيف القلب عادم الثقة بالله تعالى وهو جل ثناؤه يبرّئ المصلين من الجزع الذي هو ضد الصبر بقوله « ان الانسان خُلِقَ هَلُوعا * اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا * الا المصلين » وقد

جمل ذكره مع الثبات في البأساء في قرن اذ قال «يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون» وقد قرن في الآية التي نفسرها الصلاة بالصبر وجعل الامرين معا ذريعة الاستعانة على ما يلاقي المؤمنون في طريق الحق من الشدائد. ولو كان هؤلاء الأدعياء مصلين لكانوا من الصابرين، وانما تلك حركات تعودوها يقصدون بها قلوب الناس يبتغون عندها المكانة الرفيعة بالدين لما يترتب على ذلك من المنافع والفوائد الدنيوية التي لا يعقلون سواها. فيجب على كل مؤمن ان يعوّد نفسه على احتمال المكاره ويحاول تحصيل ملكة الصبر عندما تعرض له أسبابه فمن لم يستعن على عمله بالصبر لا يتم له أمر، ولا يثبت على عمل، لاسيما الاعمال العظيمة كتربية الامم والانتقال بها من حال الى حال. لذلك ترى كثيرين يشرعون في الأعمال العظيمة فيعوزهم الصبر فيقفون عند الخطوة الثانية. ومن يزعم انه عاجز عن تحصيل هذه الملكة فهو خائن لنفسه جاهل بما أودع الله فيه من الاستعداد فهو باحتقاره لنفسه محتقر نعمة الله تعالى عليه، وهو بهذا الاحساس بالعجز قد سجل على نفسه الحرمان من جميع الفضائل

وجه الحاجة الى الاستعانة بالصبر على تأييد الحق والقيام بأعبائه ظاهر جليّ. واما الحاجة الى الاستعانة بالصلاة فوجهها محجوب لا يكاد ينكشف الا للمصلين الذين هم في صلاتهم خاشعون. تلك الصلاة التي أكثر من ذكرها الكتاب العزيز ووصف ذويها بفضلى الصفات وهي التوجه الى الله تعالى وحضور القلب معه سبحانه واستغراقه في الشعور بهيبته وجلاله وكمال سلطانه. تلك الصلاة التي قال فيها جل ذكره «وإنها لكبيرة الا على الخاشعين» وقال فيها «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» وليست

الي الصورة المعهودة من القيام والركوع والسجود والتلاوة باللسان خاصة اتى يسهل على كل صبي مميز ان يتعود عليها والتى نشاهد من المعتادين عليها لإصرار على الفواحش والمنكرات ، واجتراح الآثام والسيئات، واي قيمة لتلك الحركات الخفيفة في نفسها حتى يصفها رب العزة والجلال بالكبر الا على الخاشعين . انما جعلت تلك الحركات والأقوال صورة للصلاة لتكون وسيلة لتذكير الغافل ، وتنبيه الذاهل ، وداعياً يدفعه الى ذلك التوجه المقصود الذي يملأ القلب بعظمة الله وسلطانه حتى يستسهل فى سبيله كل كل صعب ، ويستخف بكل كرب ، ويسهل عليه عند ذلك احتمال كل بلاء ، ومقاومة كل عناء ، فإنه لايتصور شيئا يعترض فى سبيله الا ويرى سيده ومولاه أكبر منه . فهو لايزال يقول : الله أكبر : حتى لايبقى فى نفسه شيء كبير ، الا ماكان مرضيا لله العلي الكبير ، الذي يلجأ اليه فى الحوادث ، ويفزع اليه عند الكوارث ،

ثم قال (ان الله مع الصابرين) ولم يقل معكم ليفيد أن معونته انما تعدهم اذا صار الصبر وصفا لازمالهم ، وقالوا ان المعية هنا معية المعونة فالصابرون موعودون من الله تعالى بالمعونة والظفر ومن كان الله معينه وناصره لايغلبه شيء . وقال الاستاذ الامام : ان من سنة الله تعالى ان الأعمال العظيمة لاتتم ولاينجح صاحبها الا بالثبات والاستمرار وهذا انما يكون بالصبر فمن صبر فهو على سنة الله والله معه بما جعل هذا الصبر سببا للظفر لانه يولد الثبات والاستمرار الذى هو شرط النجاح ومن لم يصبر فليس الله معه لانه تنكب سنته ، ولن يثبت فيبلغ غايته ،

علم الله تعالى ماسيلاقيه المؤمنون فى الدعوة الى دينه وتقريره من المقاومات

وتثبيط الهمم ومايقوله لهم الناس فى ذلك ومايقول الضعفاء فى أنفسهم: كيف تبذل هذه النفوس وتستهدف للقتل بمخالفة الامم كلها، وماهي الغاية من إعدام الانسان نفسه لاجل تعزيز رجل في دعوته؟: وغير ذلك مما كانوا يسمعونه من المنافقين والكافرين، وربما أثر فى نفوس بعض الضعفاء فاستبطأوا النصر، فعلمهم الله سبحانه وتعالى مايستعينون به على مجاهدة الخواطر والهواجس، ومقاومة الشبهات والوساوس، فأمر أولا بالاستعانة بالصبر والصلاة ثم ذكر اعظم شيء يستعان عليه بذلك وهو القتل فى سبيل دعوة الحق وحمايته۔ ذكره مُدرجا فى سياق تقرير حقيقة ودفع شبهة فقال (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات) اي لاتقولوا فى شأنهم هم اموات. وقالوا ان اللام فى لهم للتعليل لا للتبليغ والمعنى ظاهر والتركيب مألوف (بل) هم (أحياء) فى عالم غير عالمكم (ولكن لا تشعرون) بحياتهم اذ ليست في عالم الحس الذي يدرك بالمشاعر. ثم لابد ان تكون هذه الحياة حياة خاصة غير التى يعتقدها جميع المليين فى جميع الموتى من بقاء أرواحهم بعد مفارقة اشباحهم ولذلك ذهب بعض الناس الى ان حياة الشهداء تتعلق بهذه الاجساد وان فنيت أو احترقت او أكلتها السباع او الحيتان وقالوا إنها حياة لا نعرفها ونحن نقول مثلهم إننا لا نعرفها ونزيد اننا لا نثبت مالا نعرف. وقال بعضهم انها حياة يجعل الله بها الروح فى جسم آخر يتمتع به ويرزق ورووا في هذا روايات منها الحديث الذي أشار اليه المفسر (الجلال) وهو ان ارواح الشهداء عند الله في حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة. (*) وقيل انها حياة الذكر الحسن والثناء بعد الموت

(*) المنار: فى الحديث شيء من الاضطراب ففى رواية مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود انها « في حواصل طيور خضر تسرح من أنهار الجنة حيث شاءت

وقيل إن المراد بالموت والحياة الضلال والهدى روي هذا عن الاصم أي لاتقولوا ان باذل روحه في سبيل الله ضال بل هو مهتد . وقيل أنها حياة روحانية محضة . وقيل ان المراد أنهم سيحيون في الآخرة وان الموت ليس عدما محضا كما يزعم بعض المشركين ، فالآية عند هؤلاء على حد « ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم » أي ان مصيرهم ذلك . قال الاستاذ الامام بعد ذكر الخلاف : وقال بعض العلماء الباحثين في الروح إن الروح انما تقوم بجسم أثيري في صورة هذا الجسم المركب الذي يكون عليه الانسان في الدنيا وبواسطة ذلك الجسم الاثيري تجول الروح في هذا الجسم المادي فاذا مات المرأ وخرجت روحه فانما تخرج بالجسم الاثيري وتبقى معه وهو جسم لايتغير ولايتبدل ولا يتحلل واما هذا الجسم المحسوس فانه يتحلل ويتبدل في كل عدة سنين . قال ويقرب هذا القول من مذهب المالكية فقد روي عن مالك رحمه الله تعالى انه قال إن الروح صورة كالجسد أي لها صورة وما الصورة الا عرض وجوهر هذا العرض هو الذي سماه العلماء بالاثير :

واذا كان من خواص الاثير النفوذ في الاجسام اللطيفة والكثيفة كما يقولون حتى انه هو الذي ينقل النور من الشمس الى طبقة الهواء فلا مانع

ثم تأوي الى قناديل تحت العرش » الخ وفي رواية عبد الرزاق من حديث عبدالله بن كعب بن مالك « ان أرواح الشهداء في صور طيور خضر معلقة في قناديل الجنة حتى يرجعها الله يوم القيامة » فهذا يدل على انها محبوسة في مكان خاص والأول يفيد أنها مطلقة تسرح حيث تشاء ثم ان لها مأوى تأوي اليه حين تشاء . وفي رواية مالك وأحمد وأصحاب السنن ماعدا أبا داود انها « في أجواف طيور خضر تعلق من ثمر الجنة أوشجر الجنة » كذا في بعض التفاسير وهناك روايات أخرى

أن تتعلق به الروح المطلقة في الآخرة ثم هو يحل بها جسما آخر تنعم به وترزق سواء كان جسم طير أو غيره . وقد قال تعالى في آية أخرى « أحياء عند ربهم يرزقون » وهذا القول يقرب معنى الآية من العلم . والمعتمد عند الاستاذ الامام في هذه الحياة هو أنها حياة غيبية تمتاز بها أرواح الشهداء على سائر أرواح الناس ، بها يرزقون وينعمون ولكننا لا نعرف حقيقتها ولا حقيقة الرزق الذي يكون بها ولا نبحث عن ذلك لانه من عالم الغيب الذي نؤمن به ونفوض الامر فيه الى الله تعالى

ذكر الله تعالى فضل الشهادة التي استهدف لها المؤمنون في سبيل الدعوة الى الحق والدفاع عنه ثم ذكر مجموع المصائب التي يلاقونها فقال (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات) فعلمهم ان مجرد الانتساب للإيمان ، لا يقتضي سعة الرزق وقوة السلطان ، وانتفاء المخاوف والاحزان ، بل يجري ذلك بسنن الله تعالى في الخلق ، وانما المؤمن الموفق من يستفيد من مجاري الأقدار ، اذ يتربى ويتأدب بمقاومة الشدائد والاخطار ، ومن لم تعلمه الحوادث ، وتهذبه الكوارث ، فهو جاهل بهدي الدين ، متبع غير سبيل المؤمنين ، غير معتبر بقوله تعالى بعد ذكر هذا البلاء المبين ، (وبشر الصابرين) فانه تعالى أراد أن ينبهنا بهذا إلى أن هذه الامور هي التي تكتسب بها ملكة الصبر التي يقرن بها الظفر ويكون صاحبها أهلا لأن يبشر بحسن العاقبة في الامور كلها . فالبشارة في الآية عامة ولم يذكر المبشر به إيذانا بذلك وهو إيجاز لا يعهد مثله في غير القرآن الحكيم فأنت ترى انه لو أريد ذكر ما يبشرون به لخرج الكلام الى تطويل لا حاجة اليه كبيان عاقبة من يقع في أنواع المخاوف

فيصابرها وينجح فى أعقابها وهى كثيرة ، وهكذا

الخوف المشار اليه في الآية - وأعداء الاسلام على ما كانوا عليه من الكثرة والقوة - ظاهر لايخفى على ان بعضهم فسره بالخوف من الله تعالى وهو كما ترى . واما الجوع فقد قالوا انه مايكون من الجدب والقحط قال الاستاذ الامام وليس هذا هو المراد فى الآية المسوقة لبيان ما يلاقي المؤمنون فى سبيل الايمان ولا وقع للصحابة فى ذلك العهد وانما هو أحدهم يؤمن فينفصل من أهله وعشيرته ويخرج فى الغالب صفر الدين ولذلك كان الفقر عاما في المسلمين من أول عهدهم الى مابعد فتح مكة . ومن هذا التفسير يفهم المراد من نقص الأموال وهي الانعام التى كانت معظم مايتموله العرب واما الثمرات فهي على أصلها وكان معظمها ثمرات النخيل وقيل هي الولد ثمر القلب كما يقولون في المجاز المشهور . وقد بلغ من جوع المسلمين ان كانوا يتبلغون بتمرات يسيرة لاسيما في واقعة الأحزاب . واما نقص الانفس فهو ما كان من القتل والموتان من اجتواء المدينة فقد كانت عند هجرتهم اليها بلد وباء وحمى

ثم ذكر من وصف الصابرين قوله (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون) وليس المراد بالقول مجرد النطق بهذه الكلمة على ان يحفظوها حفظا وان كانوا لا يعقلون لها معنى وانما المراد التلبس بمعناها والتحقق فى الايمان بانهم من الله والى الله يرجعون فهو الذي بيده ملكوت كل شيء ولا يفعل الا ماسبقت به الحكمة ، واقتضاه النظام الإلهي المعبر عنه بالسنة ، بحيث ينطلق اللسان بالكلمة بدافع الشعور بهذا المعنى وتمكنه من النفس . فأصحاب هذا الاعتقاد والشعور هم الجديرون بالصبر إيمانا وتسليما بحيث لايملك الجزع نفوسهم ، ولا تقعد المصائب هممهم ، بل تزيدهم ثباتا

ومثابرة فيكونون هم الفائزين

ولا ينافي الصبر والتثبت مايكون من حزن الانسان عند نزول المصيبة بل ذلك من الرحمة ورقة القلب ولو فقد الانسان هذه الرحمة لكان قاسيا لايرجى خيره ولا يؤمن شره وانما الجزع المذموم هو الذي يحمل صاحبه على ترك الأعمال المشروعة لأجل المصيبة والأخذ بعادات وأعمال مذمومة ضارة ينهى عنها الشرع ، ويستقبحها العقل ، كما نشاهد من جماهير الناس في المصائب والنوائب . وقد ورد في الصحيحين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى عند ماحضر ولده ابراهيم عليه السلام الموت وقيل له أليس قد نهيتنا عن ذلك فأخبر أنها الرحمة وقال « ان العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول الا مايرضي ربنا وإنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » (رواه الشيخان من حديث أنس) . وفائدة الاخبار بالبلاء قبل وقوعه توطين النفس عليه واستعدادها لتحمله والاستفادة منه « مامن دهي بالامر كالمعتد » هذا ان لم يقترن بالخبر ارشاد وتعليم ، فكيف اذا اقترنت به هداية العزيز العليم ،

ذكر البلاء وبشر الصابرين عليه وذكر الوصف الذي يستحقون به البشارة وختم القول ببيان الجزاء بالاجمال فقال (اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) فاما الصلوات فالمراد بها انواع التكريم والنجاح واعلاء المنزلة عند الله والناس . واما الرحمة فهي مايكون لهم في نفس المصيبة من حسن العزاء ، وبرد الرضى والتسليم للقضاء ، فهي رحمة خاصة يحسد الملحدون عليها المؤمنين فان الكافر المحروم من هذه الرحمة فى المصيبة تضيق عليه الدنيا بما رحبت حتى انه ليبخع نفسه اذا لم يعد له رجاء فى الاسباب التى يعرفها و ينتحر بيده ويكون من الهالكين . ثم قال تعالى في الصابرين

(وأولئك هم المهتدون) أي الى ما ينبغي عمله في اوقات المصائب والشدائد اذ لا يستحوذ الجزع على نفوسهم، ولا يذهب البلاء بالامل من قلوبهم، فيكونون هم الفائزين بخير الدنيا والراحة فيها المستعدين لسعادة الآخرة بعلو النفس وكرم الاخلاق

علماء الأزهر والمحاكم الشرعية

« يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِم وأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الأَبْصَار »

قعد أهل الأزهر عن إجابة طلب اسماعيل باشا الخديو تأليف كتاب في الحقوق والعقوبات موافق لحال العصر سهل العبارة مرتب المسائل على نحو ترتيب كتب القوانين الأوربية. وكان رفضهم هذا الطلب هو السبب في إنشاء المحاكم الاهلية واعتماد الحكومة فيها على قوانين فرنسا وإلزام الحكام بترك شريعتهم وحرمانهم من فوائدها، وفي توجيه عزائم الكثيرين من نابتة الامة الى درس تلك القوانين في مصر وأوربا وبذل النفقات العظيمة من الحكومة ومنهم لأجل تحصيلها. ولولا جمود اهل النفوذ من علماء الازهر لكانت كل هذه المحاكم شرعية آهلة بالعمائم التي يتحاسد حماتها على الشيء اللقا ويتنافسون فيما يرغب عنه غيرهم لقلة ذات يدهم. ولكانت تلك العمائم موضع الاحترام والاجلال كما يليق بها لا كما هي اليوم في نظر أكثر الناس. ثم انك تجد بعض أصحاب هذه العمائم يتشدقون بتلاوة « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون» «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» يعرّضون بأهل المحاكم الاهلية ثم انهم يتحاكمون اليهم عند الحاجة ويتملقون لهم في المجامع

ليس إبطال هؤلاء العلماء للشريعة بعدم اجابة طلب اسماعيل باشا السابق بأعجب من اعتذارهم عنه وتعللهم فيه، انهم تعللوا بل احتجوا بأنهم يحافظون بذلك على الشرع وطريقة سلفهم الازهري في كيفية التأليف وهو ان يكون الكتاب مؤلفاً من متن وشرح وحاشية وعند زيادة البيان والتحقيق تضاف اليه التقارير — فهذه هي سنة المشايخ المألوفة. وتأليف كتاب أو كتب يقتصر فيها على القول الصحيح ويجعل بعبارة

سهلة مقسما الى مسائل تسرد بالعـدد على كيفية كتب القوانين من البدع المصادمة لتلك السنة التي جرى عليها المتون من عدة قرون !!!

حدثني علي باشا رفاعة قال ان اسماعيل باشا لما ضاق بالمشايخ ذرعا استحضر والده رفاعة بك وعهد اليه بأن يجتهد في إقناع شيخ الازهر وغيره من كبار الشيوخ بإجابة هذا الطلب وقال له انك منهم ونشأت معهم فأنت أقدر على اقناعهم فأخبرهم ان اوربا تضطرني اذا هم لم يجيبوا الى الحكم بشريعة نابليون . فأجابه رفاعة انني يامولاي قد شخت ولم يطعن أحد في ديني فلا تعرضني لتكفير مشايخ الازهر اياي في آخر حياتي وأقلني من هذا الامر فأقاله وكان إنشاء هذه المحاكم التي يرى المشايخ أنها مؤسسة على الكفر والظلم والفسق أثر المحافظة على الدين ، وصونه من عبث الحاكمين ، وماهذا الدين الذي حافظوا عليه الابدعة سيئة وهي كيفية التأليف التي ألفوها كما تقدم ولم ينزل بها كتاب ولاوردت بها سنة ولاجاءت في أثر عن الصحابة والتابعين . والكيفية التي دُعوا اليها فخبوها خرقا في الاسلام هي أفضل وأنفع مما حافظوا عليه ــ فالنتيجة أنهم أضاعوا الشريعة لاجل الجمود على هذه الكتب الحديثة الضارّة المضيعة للعلم فكانوا من الخاطئين . وأعني بما أقول جمهورهم لا كلهم كما لايخفى

حدثت المحاكم الاهلية فكانت قسيمة للمحاكم الشرعية ولكن ظهر للناس بالاختبار ان المحاكم التي يحكم فيها بقانون فرنسا أضمن للحقوق وأقرب للانصاف من المحاكم التي تسند شريعتها الى الوحي السماوي حتى كان شيوخ الازهر يتحاكمون اليها فالشيخ العباسي رفع اليها بعض القضايا وكان شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية . وكذلك شيخ الازهر السابق الشيخ سليم البشري تحاكم اليها في قضية تتعلق بأوقاف الازهر وكان له مندوحة عن ذلك . فكانت جنايتهم على الشريعة أنهم كانوا السبب في إضاعة القسم الاكبر منها وأنهم سلكوا في القسم الثاني الذي بقي للمحاكم الشرعية طريقة سوءى ذهبت بثقتهم وثقة سائر الناس منها ــ وكل ذلك بحجة حماية الدين وحفظ الشريعة الذي هو فخرهم ولو بالباطل ينالون به الزلفى في نفوس عامة المسلمين المقلدين لهم الذين لايعلمون بماذا يقلدون

تكاد حماية الدين والمحافظة على الشريعة عند هؤلاء تذهب برسومهما كما ذهبت

بروحهما فان السماء والارض تستغيثان من خلال المحاكم الشرعية وتلجآن الى الحكومة طلبا لاصلاحها ولكن الشيوخ عقبة فى طريق كل اصلاح وحجتهم الوهمية المحافظة على الدين الذي لا يعرفه سواهم وقوتهم غرور العامة بهم وتصديق دعاويهم والحكومات تحترم دائما عقائد العامة وعاداتها وتقاليدها حقا كانت أو باطلة لئلا تهيج عليها الرأي العام ولذلك كان صلاح حال العامة بالتربية الصحيحة والتعليم النافع مفضيا الى صلاح حال الحكومة بالطبع لأن رأي الامة يكون حينئذ صحيحا وقوة الامة لا تقاوم لان يد الله مع الجماعة

هذا بعض آثار التقليد الاعمى للميتين والجمود على العادات الموروثة وليس كل علماء الازهر على هذا الجمود بل السواد والدهماء منهم وانما العامة مع الاكثرين حتى يظهر خطأهم الزمان ، الذي لا يعلو حكمه حكم إنسان ، هذا احدهم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية اليوم قد رأي منذ من طويل فساد هذه المحاكم وشعر بتألم العدل من سيرة القضاة الشرعيين وسعى فى صلاحها وصلاحهم محاولا إقناع أمير البلاد به ومازال يلح عليه حتى عهد اليه الامير بان يضع بمساعدة بعض الفضلاء تقريرا فى ذلك سنة ١٨٩٦ ولكن كان نصيب التقرير الاهمال حتى قام المستر سكوت الانكليزي مستشار الحقانية يحاول وضع لائحة لاصلاح سير هذه المحاكم التى كثر تألم الناس منها وشكواهم للحكومة فأرشده الشيخ لذلك التقرير فطلبه من أحد حاشية الامير واستفاد منه واضعوا اللائحة الحديثة كثيرا من الفوائد ولكنها لم تكن كافية

وفي سنة ١٨٩٩م حاولت الحكومة المصرية عمل شيء في المحاكم الشرعية على انه من الاصلاح فقامت قيامة العلماء والجرائد وتهيجت العامة لاعتقاد الجميع ان ما كان يحاول غير جائز شرعا (وفى الحقيقة انه لم يكن هو الاصلاح المطلوب للمحاكم) ولكنهم لم يطلبوا شيئا غيره يجوز عندهم شرعا. وكنا قبل هذه الفتنة قد كتبنا فى المنار الصادر آخر سنة ١٣١٦هـ مقالة فى (التعليم القضائي) بينا فيها ان إصلاح المحاكم الشرعية لا يكون الا بقضاة صالحين للقيام بأعباء القضاء وان هذا لا يتم الا بتعليم خاص بينا طريقه واقترحنا على شيخ الازهر ومجلس ادارته تنفيذه ولكن أنى ينفذ وحماة الدين من مشايخ الازهر اصحاب النفوذ لا يرضون بشيء جديد غير ما تبعوا عليه آباءهم الا الشيخ

محمد عبده وهو صاحب هذا الرأي ولكن لا موافق له منهم عليه في مجلس الادارة الا الشيخ عبد الكريم سلمان وأكثر الآراء كانت على ضد ما يطلبان

انتهت فتنة المحاكم بسكوت الحكومة عن المشروع الذى أعدته ولكن المتقاضين لم يسكتوا على حقوقهم تضيع . في أثرها عهد بمنصب إفتاء الديار المصرية للرجل الذي كان اول ساع في الاصلاح والمشهود له بأنه أعرف الناس بطرقه فكلفته الحكومة تفتيش هذه المحاكم ووصف خللها وبيان ما يحتاجه من العلاج ففعل ووضع في ذلك تقريره المشهور الذي أجمع الناس على استحسانه حتى ان الذين يقاومون الاصلاح باسم الدين لم يجهروا بنقده ولا بالاعتراض عليه . ثم ألفت الحكومة لجنة للنظر فيما يمكن العمل به من التقرير رئيسها ناظر الحقانية وكان في اعضاء اللجنة مع المفتى قاضي مصر السابق وشيخ الازهر واخترمت المنية القاضي فى تلك الاثناء فوقف سير اللجنة واستمر على وقوفه وعذر الحكومة فى ذلك العامة وبلاء العامة العلماء وهاك ما قاله اللورد كرومر عن هذه المحاكم في تقريره عن سنة ١٩٠٢ وهو :

﴿ المحاكم الشرعية ﴾

« يقول المفتشون من العلماء التابعين لنظارة الحقانية ان أحكام قضاة المحاكم الشرعية في الاحوال الشخصية وانجازهم للقضايا قد تحسنت بعض التحسن ولاريب ان زيادة انفاق المال تفضي الى إصلاح مهم في هذه المحاكم ولكن لا ينتظر ان يجري حتى يلح الاهالي فى طلب الاصلاح من أنفسهم وذلك يكون بتقدم العلم والمعرفة . والشكاوي الآن كثيرة ولكن المعارضة شديدة في كل تغيير مهما كان لازما وخاليا من الضرر . والغالب ان تلك المعارضة تحتج بدعوى ان الاصلاحات مخالفة للشريعة او لعادة القوم » اه

فانظر تجدان هذا السياسي او اقف على حالة البلاد أتم الوقوف يصرح بأن الاصلاح لا يمكن الا بعد ان تحول العامة عن اعتقاد ما يقوله المشايخ فى مقاومة الاصلاح وأوضح منه ما قاله في تقريره عن سنة ١٩٠٣ الماضية . وانك لتجد شيوخنا يطلعون عليه ويعرفون ما يقول الناس فى جمودهم ولا يرجعون عنه رحمة بالشريعة التي انتحلوا حملها وبأنفسهم ، وهذا هو نصه :

﴿ المحاكم الشرعية ﴾

هذه ترجمة محضر مأخوذ عن الجريدة الرسمية وهو يتعلق بأعمال مجلس شورى

القوانين في جلسة حديثة العهد . والحديث فيها بين أحمد بك يحيى من أعيان المصريين وحضرة الشيخ حسونة النواوي وهو عالم جليل من علمائهم تولى منصب الافتاء فيما مضى

« حضرة احمد بك يحيى : ان الطريقة المتبعة حتى الآن في المحاكم الشرعية في أمر المرافعات وتأجيل القضايا أوجبت شكاوى كثيرة فلذا أقترح على مجلس شورى القوانين تأليف لجنة تدرس هذه الامور وتضع فيها تقريرا

« فضيلة الشيخ حسونه النواوي : اني لا أعلم ان المحاكم الشرعية تحتاج الى الاصلاح في أمر من أمورها

« تقرر بالاغلبية التصديق على رأي الشيخ حسونه النواوي » انتهى

فهذه الاعمال مشددة للعزائم لانها تدل على ان في مجلس شورى القوانين نفسه بعضا من الاعضاء الاذكياء الذين يشعرون بوجوب الاصلاح للمحاكم الشرعية

اما كون الاصلاح ضروريا تتشوق اليه النفوس فذلك أمر ثابت لا شك فيه إذ ليس للناس أقل ثقة بهذه المحاكم الشرعية وقد علا الضجيج من أعمالها وكثرت شكاوي المتقاضين بين يديها وحجتهم عليها ترجح يوما عن يوم . والاصلاح يطلب من وجه معروف لا يختلف فيه وهو بسيط سهل المنال وذلك ان الشرع نفسه لا يمكن ان يطرأ عليه تغيير مطلقا فغاية ما يطلب إذن هو أن يقضى به بين الناس بطريقة معقولة على يد قضاة جمعوا من العلم والاستقلال ما يمتنع معه تأثير كل مؤثر خارجي أيا كان مصدره

وكانت الحكومة قد شرعت منذ خمس سنوات تقريبا في معالجة هذا الداء ولكنها عدلت عنه لأن الغرض الذي كانت تقصده من الاصلاح انما هو صيانة المصريين أنفسهم فلم تجد منهم التأييد الكافي فأغفلته . اما الحكومة البريطانية فلا تبدأ بالسير في هذا السبيل ولكنها تنظر بعين الرضى الى كل اصلاح يبدأ به ذوو الشأن أنفسهم الذين يعنيهم أمر المحاكم الشرعية أكثر من سواهم وتؤيدهم وتشدد عزائمهم . ورأيي الخصوصي هو ان مجلس شورى القوانين يحسن صنعا بالعودة الى هذا الموضوع وايفائه حقه من البحث لا سيما ان التعجيل في اصلاح هذه المحاكم خير من التأجيل ففي مصر جيل جديد يختلف عن أجداده في أمور كثيرة فيمكن ان تحدثه نفسه يوما بأن يمد الى تلك الاركان القديمة يدا لا تعرف حرمة القديم فتكون أشد عليها من يد حكومة

تمدها اليوم طبقا لارشاد قوم لاشأن لهم فى الامر لانهم لايدينون بالدين الاسلامي.
فاذا كان لهذا الحساب نصيب من الصواب فالاجدر بأبناء اليوم أن يشرعوا في الاصلاح ويتلافوا الأمر قبل حلوله . وعسى ان المصلحين من أبناء القطر لاتضعف عزيمتهم لأول فشل حل بهم فان الرأي العام لأبناء دينهم هو في جانبهم وهو ينمو ويزداد وان كانوا لايجاهرون به فعليهم الثبات إذن لاسيما اذ لم يكن أحد ينتظر ان الناس تتغلب على أميالها وتوافقهم على مرادهم بعد أول حملة

ويجدر بي ان أذكر في هذا المقام ان مجلس شورى القوانين اقترح على الحكومة فى الملحوظات التي أبداها على ميزانية السنة الحاضرة أن تزيد مصروف المحاكم الشرعية فرفضت الحكومة هذا الاقتراح. وعندي أنها أحسنت في رفضها لأن كل زيادة فى هذا الباب تعد تبذيراً لاموال الأمة حتى يجيء الوقت الذي تباشر فيه مسألة الاصلاح بالجد والاهتمام » اه كلام اللورد

قبل ان يظهر تقرير اللورد هذا اجتمعت الجمعية العمومية المؤلفة من نظار الحكومة واعضاء شورى القوانين ومندوبي البلاد المصرية واقترح غير واحد من أعضائها مطالبة الحكومة باصلاح المحاكم الشرعية . فاحيل الطلب على مجلس شورى القوانين فأجمع الشيوخ أمرهم وأرادوا ان يدافعوا عن الحاضر حسب عادتهم ، فأتمر من يعنيهم الامر مع انصارهم في مجلس الشورى وكبيرهم هم قاضي مصر الذى خلق فى بلاد الروم مصريا ، وتعلم فى الاستانة ولكنه كأنه تخرج أزهريا ، وكثر السعي قبل الجلسة واتفقوا على شيء يدافع به القاضي الاكبر

ولما طرحت المسألة فى المجلس قال القاضي الاكبر كلمته المروّزة وهي:

« قد سمعنا المقترحات المتعلقة بالمحاكم الشرعيـة ونقول ان أعمال تلك المحاكم ترجع اولا الى الشرع الشريف وهذا لايمكن مسلم ان يقول انه يحتاج الى اصلاح — وثانيا الى قضاة يحكمون بذلك الشرع وهؤلاء تنتخبهم لجنة من كبار العلماء الخيرين تشكل بنظارة الحقانية بحضور ناظرها وطبعا انما تنتخبهم من العلماء الاكفاء — وثالثا الى لوائح سنتها الحكومة بعد أخذ رأي مجلس شورى القوانين . فان كان هناك اعتراضات توجهت أو تتوجه فى المستقبل فطبعا انما هي متوجهة على تلك اللوائح

ولو رجعت الحكومة فى جميع أعمال المحاكم الشرعية الى قواعد الشرع ونفذت بالطرق الشرعية جميع ماصدر من تلك المحاكم من الاحكام لم يوجد أدنى اعتراض فلذلك أطلب استلفات الحكومة الى ماذكر :

هذا نص ماكتب، وتناقل الناس عن قاضي مصر يومئذ زيادة منها أنه قال في الجلسة ان القضاة يدرسون علومهم في الازهر ويمتحنون فيه بحضور جماعة من كبار العلماء وانه لم يعرف عن أحد من قضاة المحاكم مايشكى منه وجاء فى آخر كلامه : اما إذا ارادت الحكومة تكميل المرشحين للقضاء باضافة بعض دروس مثل أدب القاضي وشيء من التمرين فلا بأس. وذكرت جريدة المؤيد يومئذ أنه قال ماينبغي لمثله فى مقامه ان يقوله. وكان له حزب مستعد لتأييد رأيه ولكن مفتي الديار المصرية تعقبه بعد مأمر الكاتب بكتابة جميع ماقاله وقرر المفتي ماملخصه ـ

أما كون الشرع نفسه لايحتاج الى اصلاح فسلم لكنه في كتبه التي في أيدي الناس بعيد عن أفهام الخصوم فهو في أشد الحاجة الى التقريب من الافهام فيجب النظر في ذلك ولا نطلب فيه الا عملا سبقتنا الى مثله الدولة العثمانية في كتاب المجلة التي عليها العمل في محاكمها المسماة (بالعدلية) وفي المحاكم الشرعية فى ابواب المرافعات جميعها ولم يقل أحد ان الدولة في عملها ذلك قد خرجت عن الدين. (عند هذا قال الشيخ حسونة النواوي : كتاب الاحوال الشخصية الذي وضعه قدري باشا موجود وهو من أحسن مايكون :)

وأما مسألة امتحان القضاة في لجنة من علماء الازهر وانتخابهم بلجنة فيها كبار العلماء فيجب بيان مافيها لهيأة المجلس لانني من اللجنتين ـ لجنة الامتحان ولجنة الانتخاب . أما الامتحان فيجري في موضوعات خاصة من عدة فنون يبتدأ فيها بالاصول فالمعاني فالبيان وهكذا ولايأتي الفقه الا في آخر الدروس عند مايكون الممتحن قد مل السؤال والطالب قد مل الجواب فيكتفي الاساتذة من الطالب ببعض كلمات ثم ينقلونه الى فن آخر . على أن الامتحان فى الفقه كان ولايزال في أبواب العبادات مثل التيمم ونحوه. وقد ألح في المدة الاخيرة على لجنة الامتحان لتعين مواضع الامتحان في المعاملات فحصل ذلك لكن كثيرا مايرجع عنه فهل مثل هذا الامتحان له علاقة بالقضاء الشرعي

وهل تعرف به درجة القاضي ان كان أهلا للقضاء أوغير أهل

(قال) أنا عضو في اللجنتين كما قلت لكم وربما كنت أعرف الناس بمن ينتخبون للقضاء ولكني أقول لكم إننا نعمل في الانتخاب على قاعدة ارتكاب أخف الشرين فنختار أخف القاصرين قصورا وكثير ماتكون الاغلبية على انتخاب المتقدم في الزمان وان كان متأخرا في العلم والاستعداد

(قال) واما لوائح المحاكم التي يتوهم من لم يعرف تاريخها ان الحكومة وضعتها من عندها فهي بعيدة عن الشرع ومذاهبه فانا أذكر لكم حقيقة أمرها. كانت الحكومة في عهد أمراء مصر السابقين تاركة للمحاكم الشرعية تمام الاستقلال وكان الناس يستغيثون من خللها وظلمها وشيوع الرشوة فيها فلما أقلقوا الحكومة أمر سعيد باشا بوضع لائحة لسير هذه المحاكم وقد كان ذلك باقرار لجنة من علماء الازهر مؤلفة من علماء المذاهب الاربعة فاللائحة الاولى كان متفقا عليها من علماء الشرع — طال الزمان وظهر ان اللائحة لم تأت بالمطلوب واستمرت الشكوى من أعمال المحاكم فوضعت اللائحة الثانية بمعرفة الشيخ العباسي شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية لذلك العهد. واما اللائحة الاخيرة فقد عرضت كذلك على شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وأقرها كما أقرها قاضي مصر السابق. فاللوائح لا تعاب اذن بمخالفة الشرع ولكنني أقول مع هذا انها قاصرة وفي حاجة الى الاصلاح فتعين ان المحاكم الشرعية في حاجة الى الاصلاح من كل جهة وهذا الاصلاح ينحصر عندي في خمسة أمور وهي:

(أولها) تقويم طريقة التعليم لعمال المحاكم الشرعية من قضاة وكتبة واضافة ما تحتاج اليه وظائف القضاء الشرعي ومايتعلق بها من المعلومات الى مايتعلمون الآن وذلك يكون بانشاء فرقة خاصة بهذا الغرض من طلبة الجامع الازهر بالجامع الازهر ثم تكميل قاعدة انتخابهم بما يكفل التحقق من كفاءتهم. (ثانيها) تعديل لوائح المحاكم الشرعية على وجه يكفل انتظام سيرها وسرعة الفصل في قضاياها وازالة كل مايشتكي منه بشرط المحافظة على الشرع (ثالثها) الاتفاق مع جماعة من شيوخ الحنفية على ايجاد طريقة لتقريب فهم الاحكام الشرعية التي يتقاضى الناس على حسبها حتى يمكن للخصوم ان يعرفوا الى أية قاعدة شرعية يرجع الحكم فيما يتخاصمون فيه ويسهل على

القضاة أنفسهم خصوصا فى بدء أمرهم الرجوع الى مايحكمون بمقتضاه ويكون ذلك شاملا جميع أبواب المعاملات من الفقه (رابعها) وضع قاعدة لتنفيذ الاحكام الشرعية تكفل انتفاع المحكوم له بالحكم ضد أي شخص كان بما لايخالف الشرع (خامسها) ترقية مرتبات عمال المحاكم الشرعية والحاقهم بباقي موظفي الحكومة :

اقترح المفتي هذا وأمر بكتابته فكتب وظهرت على المجلس امارة الاعجاب والرضى به فقال بعض المؤتمرين ان هذا لاينافي قول القاضي والرأي مارآه القاضي . قال المفتي لك ان تقول ان رأيك موافق لرأي القاضي وليس لك ان تقول هذا عن غيرك وان كان القاضي يقر هذا الرأي فهو ماينبغي ولافرق بين ان ينسب الي أواليه . فقال ذلك العضو لا بأس بموافقة القاضي على هذا ولكن تحذف المقدمات . قال المفتي وتحذف مقدمات القاضي أيضا . قال بعض الاعضاء الاولى ابقاء المقدمتين والموافقة على الرأي الاخير (رأي المفتي) مع اتفاق القاضي . وبعد ذلك استقر الرأي على ان يمحى ما كتب عن القاضي والمفتي ويستبدل به : ان المجلس يقترح على الحكومة الاصلاح بالاوجه الخمسة المذكورة وكذلك كان

هذا ملخص ماكان فى الجلسة ولهج به الناس يومئذ كتبناه كما سمعناه من كثير من الاعضاء ومن يجتمع بهم . ولكن الجرائد خلطت في المسألة ومنها مانسب الاقتراح للقاضي وانما كان رداً عليه ثم انه لم ير بدا من موافقة المجلس . والذي يهمنا اننا وصلنا بعد جهاد المجاهدين في سبيل الاصلاح الى أن مجلس الشورى طلب باتفاق الاراء ان تبادر الحكومة الى اصلاح هذه المحاكم فليس لها بعد هذا عذر بالارجاء وهو أقصى أو فوق ما كان يتمنى اللورد كرومر

أرأيتك هؤلاء القضاة الشرعيين هل اعتبروا باجماع أهل الرأي والحل والعقد وغيرهم على فساد أمرهم وسوء سيرتهم ؟ كلا انهم لم يزدادوا الا غيا وتماديا حتى ان المحكمة العليا التي تشرف على جميع مجاري العبر هي أوغل من محاكم الواحات فى الغرور والخلل والزلل . ومن أعجب ماصدر عن قاضي مصر فى هذه الأيام ببركة مستشاره أو مشيره التصدي لمنع ديوان الاوقاف من تنفيذ لائحة المساجد التي وضعها مفتي الديار المصرية وأقرها مجلس الاوقاف الأعلى بعد مباحثات طويلة

﴿لائحة المساجد﴾

ماهي لائحة المساجد وماوجه الحاجة اليها ؟ هي لائحة تدور على جعل أئمة المساجد وخطبائها من أهل العلم بالدين ليؤدوا الفرائض على وجهها وجعل مؤذنيها وخدمتها من أهل الكفاءة للقيام بعملهم على وجهه. ولايجهل أحد ان أكثر الأئمة في هذا العهد من الجهال حتى باحكام الطهارة والصلاة وأكثر الخطباء يغلطون على المنبر حتى بآيات القرآن ويأتون فى وعظهم بما يتبرأ الدين منه في الغش والكذب على الله ورسوله ودينه بسرد الأحاديث الموضوعة والخرافات المصنوعة . أليس من العجائب ان يوجد في المسلمين من يحافظ على هذه المنكرات ويطلب بقاءها وعدم إزالتها باسم الدين وهو يعد مع هذا من علماء المسلمين ؟ بلى وانهم ليحتجون بأنهم يحافظون على شروط الواقفين ، وهل وجد واقف اشترط ان يكون الائمة والخطباء من الجاهلين ؟؟ رب أعوذ بك من همزات الشياطين

أوقاف المسلمين تزداد ريعا ونموا ومساجد المسلمين فى خراب حسي ومعنوي الاما عمرت جدره وزخرفت سقفه لجنة الآثار العربية ليتمتع بالنظر اليها السائحون من الافرنج الذين يحبون الاطلاع على مباني الاولين ، وراتب الخطيب والامام اليوم كما كان منذ قرن أوقرون اذ كان مالك الالف يعد غنيا كبيرا ، والالف لاتشبع فى سنتنا الحمار شعيرا ، لهذا يضطر ديوان الاوقاف ان يجعل الجاهلين الكسالى المعدمين أئمة وخطباء اذ لايرضى العالم الفاضل أن ينقطع لعمل لايزيد راتبه في الشهر على مئة قرش وقد يكون خمسين قرشا . هذا وان مساعدة أهل العلم والدين على معايشهم من أفضل المبرات التي تنشأ لها الاوقاف الخيرية لهذا كان من موضوع لائحة المساجد أن يجعل للامام والخطيب راتب يتراوح بين خمس مئة قرش وثمان مئة قرش وللمؤذن والخادم راتب يرتقي الى ثلاث مئة قرش وذلك بعد انتقائهم بحسب الشروط التي تؤهلهم للقيام بعملهم على أكمل وجه . وقد رفقت اللائحة بحال الحاضرين على ماهم فلم تقض بعزل أحد منهم وانما جعلت مبدأ الاصلاح فيمن يتجدد

بهذه اللائحة تصرف أموال الاوقاف المكنوزة فى أفضل مصارفها ، بهذه اللائحة تقام صلاة الجماعة على وجهها ، بهذه اللائحة تكون الخطابة مؤدية للحكمة

التي شرعت لاجلها ، بهذه اللائحة تكون بيوت الله نظيفة طاهرة كما يليق بها ، بهذه اللائحة ينمو علم الدين بما وجد لاهله من المعاش الطبيعي الذي يليق بكرامتهم بعد ان أقفلت في وجوه المنقطعين له أبواب الرزق ، واحتقرهم الناس ولو بغير حق ، ومع هذا كله تجد في أصحاب العمائم من يسعى في إلغاء اللائحة بحجة أنها مخالفة للدين ؛ وانها وضعت للافساد وهم من المصلحين ؛ يحاولون إلغاءها بسلطة المحكمة الشرعية التي ضجت السماء والارض من فساد حالها ، وشدة اختلالها ، فلماذا لايصلحونها ويقيمون حكم الله فيها ان كانوا صادقين ؟

كتب قاضي مصر الى مدير الاوقاف يطلب اللائحة لينظر فيها ويأمر بتنفيذ مايرى تنفيذه منها وإلغاء مايرى إلغاءه وذكرت الجرائد انه هدد المدير بعزله اذا لم يفعل فعرض المدير كتابته على مجلس الاوقاف الاعلى فقرر المجلس اجابة القاضي بأن هذا أمر لايعنيه وأنه ليس في اللائحة أمر مخالف للشرع كما قرر مفتي الديار المصرية وأن الامر العالي الصادر في سنة ١٢٩١ يجيز للمجلس سن أمثال هذه اللائحة ولهذا يرفض المجلس طلب القاضي ويأمر بتنفيذها كما قررها — هكذا ورد في جريدة الاهرام وقد أنذرت القاضي بأن لايلعب بالنار ونعم مافعلت ، فان الامر خطير كما ذكرت ،

هذا نموذج من سيرة هذه المحكمة بعد ماعمت البلوى ، وعظمت الشكوى ، يلعب أهلها بالنار ، ويسخطون الديار ، ويفقدون الانصار ، ولا نسمع من علماء الازهر كلمة انكار ، بل يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ياأولي الابصار ،

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

تابع ويتبع

(الوجه الحادي والستون) قولكم : وأجمعوا على جواز شراء اللحمان والاطعمة والثياب وغيرها من غير سؤال حلها اكتفاء بتقليد أربابها : جوابه ان هذا ليس تقليدا في حكم من احكام الله ورسوله من غير دليل بل هو اكتفاء بقبول قول الذابح والبائع وهو اقتداء واتباع لأمر الله ورسوله حتى لوكان الذابح والبائع يهوديا اونصرانيا أوفاجرا اكتفينا بقوله في ذلك ولم نسأله عن أسباب الحل كما قالت عائشة رضي الله عنها : يارسول الله ان ناساً يأتوننا باللحمان لاندري اذكروا اسم الله عليها ام لا ؟

فقال : « سموا انتم وكلوا » فهل يسوغ لكم تقليد الكفار والفساق في الدين كما تقلدونهم في الذبائح والأطعمة ؟؟

فدعوا هـذه الاحتجاجات الباردة وادخـلوا معنا فى الأدلة الفارقة بين الحق والباطل لنعقد معكم عقد الصلح اللازم على تحكيم كتاب الله وسنة رسوله والتحاكم اليهما وترك اقوال الرجال لهما ، وان ندور مع الحق حيث كان ولا نتحيز إلى شخص معين غير الرسول ، نقبـل قوله كله ، ونرد قول من خالفه كله ، وإلا فاشهدوا بأنا اول منكر لهذه الطريقة وراغب عنها، وداع الى خلافها .والله المستعان

﴿ الوجه الثاني والستون ﴾ قولكم : لو كلف الناس كلهم الاجتهاد وان يكونوا علماء ضاعت مصالح العباد وتعطلت الصنائع والمتاجر وهذا مما لاسبيل اليه شرعا وقدرا !!

فجوابه من وجوه : (احدها) ان من رحمة الله سبحانه بناورأفته انه لم يكلفنا بالتقليد فلو كلفنا به لضاعت أمورنا وفسدت مصالحنا لانا لم نكن ندري من نقلد من المفتين والفقهاء وهم عـدد فوق المئين ولايدري عددهم في الحقيقة إلا الله، فان المسلمين قد ملأوا الأرض شرقا وغـربا وجنوبا وشمالا وانتشر الاسلام بحمدالله وفضله وبلغ مبلغ الليل فلو كلفنا بالتقليد لوقعنا فى اعظم العنت والفساد ولكلفنا بتحليل الشيء وتحريمه، وإيجاب الشيء وإسقاطه معا، ان كلفنا بتقليد كل عالم.وان كلفنا بتقليد الاعلم فالأعلم فمعرفة مادل عليه القرآن والسنن من الاحكام اسهل بكثير كثير من معرفة الاعلم الذي اجتمعت فيه شروط التقليد ومعرفة ذلك مشقة على العالم الراسخ فضلا عن المقلد الذي هو كالاعمى.وان كلفنا بتقليد البعض وكان جعـل ذلك الى تشهينا واختيارنا صار دين الله تبعا لارادتنا واختيارنا وشهواتنا وهو عين المحال فلا بد ان يكون ذلك راجعا إلى امر الله ورسوله باتباع قوله وتاقي الدين من بين يديه وذلك محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب رسول الله وامينه على وحيه ، وحجته على خلقه، ولم يجعل الله هذا المنصب لسواه بعده ابدا (الثاني) ان بالنظر والاستدلال صلاح الامور لاضياعها واباهاله وتقليد من يخطيء ويصيب اضاعتها وفسادها كما الواقع شاهد به . (الثالث) ان كل واحد منا مأمور بأن يصدق الرسول فيما اخبر به ويطيعه فيما امر وذلك لايكون الا بعد معرفة امره وخبـره ولم يوجب الله سبحانه من ذلك على الامـة الا ما فيـه حفظ دينها

ودنياها وصلاحها فى معاشها ومعادها، وباهمال ذلك تضيع مصالحها، وتفسد امورها، فما خراب العالم الا بالجهل ، ولا عمارته الا بالعلم، واذا ظهر العلم فى بلد اومحلة قل الشر فى اهلها ، واذا خفي العلم هناك ظهر الشر والفساد ، ومن لم يعرف هذا فهو ممن لم يجعل الله له نورا ،

قال الامام احمد : لولا العلم كان الناس كالبهائم . وقال : الناس احوج الى العلم منهم الى الطعام والشراب لان الطعام والشراب يحتاج اليه في اليوم مرتين اوثلاثا والعلم يحتاج اليه فى كل وقت .

(الرابع) ان الواجب على كل عبد ان يعرف مايخصه من الاحكام ولايجب عليه ان يعرف مالا تدعوه الحاجة الى معرفته وليس في ذلك اضاعة مصالح الخلق ولا تعطيل لمعاشهم فقد كان الصحابة رضي الله عنهم قائمين بمصالحهم ومعاشهم وعمارة حروثهم والقيام على مواشيهم والضرب في الأرض لمتاجرهم والصفق بالاسواق وهم اهدى العلماء الذين لايشق في العلم غبارهم . (الخامس) ان العلم النافع هو الذي جاء به الرسول دون مقدرات الاذهان ومسائل الخرص والالغاز وذلك بحمد الله تعالى أيسر شيء على النفوس تحصيله وحفظه وفهمه ، فانه كتاب الله الذي يسره للذكر كما قال تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِر * » قال البخاري في صحيحه: قال مطر الوراق : هل من طالب علم فيعان عليه ؟ ولم يقل فتضيع عليه مصالحه ، وتتعطل عليه معايشه ، وسنة رسول الله وهي ــ بحمد الله ــ مضبوطة محفوظة ، اصول الاحكام التي تدور عليها نحو خمس مئة حديث . وفرشها وتفاصيلها نحو أربعة آلاف . وانما الذي هو فى غاية الصعوبة والمشقة مقدرات الاذهان، وأغلوطات المسائل، والفروع والاصول التي ماأنزل الله بها من سلطان، التي كل مالها في نمو وزيادة وتوليد والدين كل ماله فى غربة ونقصان ، والله المستعان .

﴿ الوجه الثالث والستون ﴾ قولكم : قد أجمع الناس على تقليد الزوج لمن يهدي اليه زوجته ليلة الدخول ، وعلى تقليد الاعمى في القبلة والوقت ، وعلى تقليد المؤذنين وتقليد الائمة فى الطهارة وقراءة الفاتحة ، وتقليد الزوجة فى انقطاع دمها ووطئها وتزويجها : فجوابه ماتقدم ان استدلالكم بهذا من باب المغاليط وليس هذا من التقليد

المذموم على لسان السلف والخلف في شيء ونحن لم نرجع الى أقوال هؤلاء لكونهم اخبروا بها بل لأن الله ورسوله امر بقبول قولهم وجعله دليلا على ترتب الأحكام فاخبارهم بمنزلة الشهادة والاقرار . فأين في هذا مايسوغ التقليد في احكام الدين . والاعراض عن القرآن والسنن ، ونصب رجل بعينه ميزانا على كتاب الله وسنة رسوله؟؟

﴿ الوجه الرابع والستون ﴾ قولكم : أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقبة ابن الحرث ان يقلد المرأة التي أخبرته بانها أرضعته وزوجته. فيالله العجب فأنتم لاتقلدونها في ذلك ولو كانت احدى أمهات المؤمنين ولا تأخذون بهذا الحديث وتتركونه تقليدا لمن قلدتموه دينكم وأي شيء في هذا مما يدل على التقليد في دين الله ؟ وهل هذا الا بمنزلة قبول خبر المخبر عن امر حسي يخبر به وبمنزلة قبول الشاهد ؟ وهل كان مفارقة عقبة لها تقليدا لتلك الامة أو اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث امره بفراقها ؟ فمن بركة التقليد انكم لاتأمرونه بفراقها وتقولون هي زوجتك حلال وطئها !!!

واما نحن فمن حقوق الدليل علينا أن نأمر من وقعت له هذه الواقعة بمثل ما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعقبة بن عامر سواء ولا نترك الحديث تقليدا لاحد. (لها بقية)

شبهات النصارى وحجج الاسلام

سوريا والاسلام

(٨ مسيحو سوريا فى أيام الدولة العربية)

زعم الكاتب المتحمس ان المسلمين لما استولوا على سوريا ابتدأوا يسومون السوريين الذل والهوان قال « ولو ان المسلمين حكماء كباقي الفاتحين الذين اكتسحوا سوريا أو بالحري كالسلوقيين والرومانيين الذين لم يكونوا يتعرضون للسوريين بماءس عوائدهم وعواطفهم دينيا وأدبيا بل كانوا يكتبون بحفظ سيطرتهم السياسية عليهم - لو كانوا حكماء ولم يصنعوا بهم ماصنعوه لما كانوا الاقوامن السوريين الا الملاطفة والطاعة »

ثم طفق يسرد الالفاظ التي يعرفها من اللغة تدل على الظلم والاستبعاد والتي لاتدل أيضا ليعظم الامر ويهيج تعصب نصارى سوريا على مسلميها وان كان هذا التعصب

يضر قومه أكثر مما يضر المسلمين وهو لا يدري لسكره بخمرة حرية أمريكا التي سمحت له بأن يشتم الاسلام والمسلمين بما شاء قال:

«ولا يظن القارىء ان تعصب المسلمين ضد المسيحيين في أيام الدولة العربية كان بسيطا كما نفهمه اليوم . كلا . بل كان استبدادا مطلقا واستعبادا. تصور ايها القارىء حالة أمة يهجم عليها في منازلها وكنائسها ويقتل بعضها ويسبي البعض الآخر . تصور حالة أمة يحكم عليها تارة بهدم معابدها وأخذ عشر بيوتها وطورا بأخذ أحسن دورها ومنازلها لتجعل جوامع أو بيوتا للقضاء ، تصور حال أمة يحكم عليها بأن تعلق على أبواب منازلها صور الشياطين تميزا لها عن بيوت المسلمين. تصور حالة أمة يحكم عليها بأن تقفل مكاتبها ويمنع أولادها وصغارها من تعلم القراءة. تصور حال أمة لم يكن يقبل أحد من أفرادها فى دواوين الحكومة المتسلطة عليها . تصور حالة أمة لم يكن يسمح لها بأن تظهر صلبانها فى الاسواق ولا بأن تدق جرسا. تلك هي حالة المسيحيين فى سوريا فى أيام الدولة العربية . ولقد حدثت هذه وجرى هذا الضغط في أيام جميع الخلفاء الامويين والعباسيين وكان بالاكثر فى أيام جعفر المتوكل على الله فى سنة ٨٤٩ أو بالحري عند ما ابتدأت العربية ان تشعر بضعفها وانحطاطها ».

وجوابنا عن هذا كله كلمة فذة نضطر ان نصرح بها مع الاسف وهي : ان هذا اختراع محض فلا هجوم على البيوت والكنائس ولا صور شياطين، ولا منع من تعليم، فان العرب كانوا أرحم الدول الفاتحة وأعدلها وكانت سيرتهم نقيض ما قال هذا المتعصب بشهادة عدول المؤرخين حتى من الافرنج الذين أوجدوا الغلو فى التعصب الديني في الارض ثم طفق بعضهم يذمه فى هذا الزمان . ومن شاهد ما تعامل به دولهم المسلمين وغيرهم فى مثل بلاد جاوه لشاهد ما تقشعر منه الابدان، وهو فوق ما اخترعته مخيلة رفول سعادة وألصقته بالعرب وقد تقدم في رد النبذة السابعة السابقة ما يؤيد قولنا هذا في العرب وسنزيده بيانا

أما السلوقيون فقد كانت أيامهم كلها حروبا داخلية وخارجية من أول عهدها الى آخره وكان فيها من الفظائع ما فيها ومن أقبحها ضغط الملك انطوخيوس الثاني على اليهود ونهب هيكلهم واسرافه في قتلهم ونهب أموالهم فى القرن الثاني قبل المسيح وقد سلم هذا الملك الفاجر الذى لقب نفسه باسم (الله) زمام حكومته لنسائه وندمائه فأسرع

الخراب والدمار بسوء سيرتهن وسيرتهم الى سوريا ولم تنطف من بعده نيران الثورات والفتن من سوريا. ولما ولي انطيخوس الثالث الملك انبرى لاخماد ثورة مولو القائد السوري الذي استقل في جهة نهر الفرات فانتهز الفرصة اخيوس وخرج عليه وادعى الملك لنفسه وهو من بيت سلقوس مؤسس المملكة فشغله ذلك عن محاربة مصر زمنا ثم عاد اليها بعد ماتولاها بطليموس الخامس وهو صغير السن وكان استولى على فلسطين وفينيقيه وسوريا السفلى. ثم زوج بطليموس ابنته ووعده بان يعطيه فلسطين وسوريا السفلى مهرا لها ولكنه لم يصدق. وبعد محاربة الرومانيين إياه وثورة ارمينيا عليه نهب هيا كل آسيا ومعابدها فاحتوى جميع كنوزها وخزائنها. ثم طالبه ملك مصر بما وعد به ابوه من مهر ابنته وهو فلسطين وسوريا السفلى فأغار على مصر حتى اذا كاد يظفر صده الرومانيون فعاد ينتقم من اليهود بما جنى غيرهم فهجم على بيت المقدس ونهب الهيكل وعاث فيه فسادا ولطخه بالنجاسة . ولم تكن حال من بعده بأمثل من حاله فهذا نموذج من سيرة السلوقيين الذين فضلهم هذا المتعصب الغالي على العرب الذين كانوا أفضل الفاتحين فى الارض وارفقهم وأعدلهم. ان سوريا لم يستقر لها فى أيامهم قرار ، ولم تكنها مع الامان دار ، حتى ان السوريين سئموا الحياة في آخر عهدهم ودعوا طغرانيس ملك أرمينية فولوه عليهم فأمنت البلاد، وأطمأن العباد ، فأين مثل هذه الثورات والفتن فى أيام العرب ؟ لقد استولى على سوريا كثير من الفاتحين الغرباء فلم يمتزج السوريون بأحد امتزاجهم بالعرب وحسبك انهم استعربوا فلم تعد تعرف لهم جنسية غير العربيـة . فاعتبر بتعصب هـذا الكاتب الذي أراه بغض المسلمين النور ظلمة والسعادة شقاء والخير شرا والحق باطلا ، وانظر هل يتيسر لنا جمع كلمة السوريين وفيهم مثل هـذا يكتب وينشر ، ويفرق ويمزق ، ويقنع المسلمين بان سيرة سلفهم توجب عليهم عداوة النصارى ، ولا يجد له من أبناء ملته مفندا ولا رادعا حتى كأن الجميع معه فى ارائه، مع علمهم بخطأه واختلاقه.

اما الرومانيون فتاريخهم معروف ، وعتوهم وجورهم غير مجهول ، ومؤرخو النصارى يعترفون بما قاسى السوريون منهم عامة وماقاسى اليهود منهم خاصة لاسيما بعد مادخل الرومانيون في النصرانية . ولقد تنصر معظم أهل سوريا ولـكن لم يتجنسوا

بالجنسية الرومانية ولم يكن حكامهم يعاملونهم على اتفاقهم معهم في الدين معاملة المساواة لذلك أدهشهم عدل الاسلام ومساواته فكانوا عونا للمسلمين على الروم في حروبهم ولولا ذلك لم يتم للعرب فتح سوريا فى تلك المدة القصيرة. قال البلاذري في فتوح البلدان

حدثني ابو جعفر الدمشقي قال حدثنا سعيد بن العزيز قال بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا اخذوا منهم من الخراج وقالوا «قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم» فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم : ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لايدخل عامل هرقل مدينة حمص الا ان نغلب ونجهد : فأغلقوا الابواب وحرسوها. وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا : ان ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا على ما كنا عليه والافانا على أمرنا مابقي للمسلمين عدد :

وقال فى كتابه فتوح الشام يذكر اقبال الروم على المسلمين ومسير أبي عبيدة من حمص : « فلما أراد ان يشخص دعا حبيب بن مسلمة فقال اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم فانه لاينبغي لنا إذ لانمنعهم (أي نحميهم) أن نأخذ منهم شيئا وقل لهم نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح ولا نرجع عنه الا أن ترجعوا عنه وانما رددنا عليكم أموالكم لانا كرهنا ان نأخذ أموالكم ولانمنع بلادكم : (اي نحميها) فلما أصبح أمر الناس بالمسير الى دمشق ودعا حبيب بن مسلمة القوم الذين كانوا أخذوا منهم المال فأخذ يرده عليهم وأخبرهم بما قال ابو عبيدة وأخذ أهل البلد يقولون : ردكم الله الينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ولكن والله لو كانوا هذا ماردوا الينا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ماقدروا عليه من أموالنا : اه وقد اورد هذين الشاهدين الشيخ شبلي النعماني فى رسالة الجزية والاسلام واستدل بهما وبغيرهما على ان الجزية جزاء الحماية والدفاع (راجع ص ٣٥٦ من منار السنة الاولى)

التعدي على الكنائس وجعلها مساجد لم يكن مما يستحله المسلمون كما يعلم من له أدنى اطلاع من مسألة عمرو بن العاص مع العجوز القبطية في مصر. وهؤلاء بنو

أمية أظلم العرب قد اقترفوا هذا الاثم مرة والقصة تدل على كونها من الظلم على عدل العرب وبعدهم عن مثل هذا الاعتداء قال البلاذري في فتوح البلدان مانصه :

قالوا ولما ولي معاوية بن ابي سفيان أراد ان يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسكه • ثم طلبها عبدالملك بن مروان في ايامه للزيادة في المسجد وبذل لهم مالا فأبوا ان يسلموها اليه • ثم ان الوليد بن عبد الملك جمعهم في أيامه وبذل لهم مالا عظيما على ان يعطوه إياها فأبوا فقال : لئن لم تفعلوا لأهدمنها : فقال بعضهم ياامير المؤمنين ان من هدم كنيسة جن أو أصابته عاهة : فأحفظه قوله ودعا بمعول وجعل يهدم بعض حيطانها بيده وعليه قباء خز أصفر ثم جمع الفعلة والنقاضين فهدمها فى المسجد . فلما استخلف عمر بن عبد العزيز شكا النصارى اليه ما فعل الوليد بهم فى كنيستهم فكتب الى عامله يأمره برد مازاده في المسجد عليهم فكره أهل دمشق ذلك وقالوا نهدم مسجدنا بعد أن أذنا فيه وصلينا ويرد بيعة ؟ وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي وغيره من الفقهاء وأقبلوا على النصارى فسألوهم ان يعطوا جميع كنائس الغوطة التي أخذت عنوة وصارت فى أيدي المسلمين على ان يصفحوا عن كنيسة يوحنا ويمسكوا عن المطالبة بها فرضوا بذلك وأعجبهم فكتب به الى عمر فسره وأمضاه : اه

فهذه الحادثة على مافيها من خروج الوليد عن نهج الشرع لفسقه المشهور تدل على شدة محافظة العرب على الكنائس وحقوق الذمة فان ملكهم اضطر الى كنيسة ليوسع بها مسجدا رأى ان يكون اثرا من آثاره ، وموضعا لفخاره ، بعد ماعجز عنه سلفه حرمة للذمة فجاء بنفسه يسترضي النصارى ويبذل لهم المال الكثير وهم يأبون عليه ويهددونه بالوقوع في العاهات ويخاطبونه بكلمة (الجنون) فهل يصح ان يكون هذا شأن رعية مظلومة مضطهدة مع الفاتحين القاهرين ، أم هو إدلال من عوملوا بالعدل والمساواة ، والحلم والاناة ، ولم يتعودوا ان يهضموا حقا ، ولا ان يسلبوا رزقا ،

قال البلاذري : حدثني هشام بن عمار انه سمع المشايخ يذكرون أن عمر بن الخطاب عند مقدمه الجابية من أرض دمشق مر بقوم مجذومين من النصارى فأمر ان يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت . وقال هاشم سمعت الوليد ابن مسلم

يذكر ان خالد بن الوليد شرط لاهل الدير الذي يعرف بدير خالد شرطافي خراجهم بالتخفيف عنهم حين أعطوه سلما صعد عليه فانفذه لهم أبو عبيدة . ولما فرغ أبو عبيدة من أمر مدينة دمشق سار الى حمص فمر ببعلبك فطلب أهلها الامان والصلح فصالحهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب أمان لفلان بن فلان وأهل بعلبك رومها وفرسها وعربها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها وعلى أرحائهم وللروم ان يرعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلا ولا ينزلوا قرية عامرة فاذا مضى شهر ربيع وجمادى الاولى ساروا الى حيث شاؤا ومن أسلم منهم فله مالنا وعليه ما علينا . ولتجارهم ان يسافروا الى حيث ارادوا من البلاد التي صالحنا عليها وعلى من أقام منهم الجزية والخراج ، شهد الله وكفى بالله شهيدا : »

أرأيت الفاتح الذي يصالح خصمه مثل هذا الصلح اللين يقال فيه انه قاس يهدم الكنائس ويأخذ المنازل . كيف وقد أسلفنا في النبذة الماضية انهم كانوا يدعون لهم أملاكهم حتى ما يأذنون للمسلمين ان يشاركوهم فيها ولو بحق !!!

أما الدواوين التي زعم المتعصب ان نصارى سوريا كانوا محرومين منها فقد كانت في الحقيقة فى أيديهم خاصة فان عمر لما دون الدواوين كانت دواوين بلاد الشام بالرومية لكثرة الكتاب فى الروم وقلتهم فى العرب مع عدم عناية المسلمين باحتكار اعمال الدولة ومن المشهور أنها ظلت على ذلك الى عهد عبد الملك ابن مروان وانظر ماقاله المؤرخون في سبب نقلها الى العربية . ونختار عبارة البلاذري لقدمه وتحريه في الرواية قال

« قالوا ولم يزل ديوان الشام بالرومية حتى ولي عبد الملك بن مروان فلما كانت سنة ٨١ أمر بنقله وذلك ان رجلا من كتاب الروم احتاج ان يكتب شيئا فلم يجد ماء فبال فى الدواة فبلغ ذلك عبد الملك فأدبه وأمر سليمان بن سعد بنقل الديوان فسأله ان يعينه بخراج الاردن سنة ففعل ذلك فلم تنقض السنة حتى فرغ من نقله . واتى به عبد الملك فدعا بسرجون كاتبه فعرض ذلك عليه فغمه وخرج من عنده كئيبا فلقيه قوم من كتاب الروم فقال اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم :

فانظر بهذا تجد انه لم يكن التعصب الديني مانعا للعرب من جعل جميع رجال

الذين من الروم يكتبون بلغتهم ماشاؤا حتى أساؤا ووجد عبد الملك انه ينبغي للدولة العربية ان تكون دواوينها عربية ففعل. ولم يمنع ذلك غير المسلمين ان يكونوا عمالا لهم بعد تعلم العربية ولاسيما في دولة بني العباس بل كان مثل ابراهيم الصابي يرتقي الى ان يكون وزير القلم ولسان الخليفة العباسي وكم ارتقى مثله من سائر الطوائف (راجع مقالات الاسلام والنصرانية في المجلد الخامس)

وانك لتجد الكاتب مع تعصبه قد تفلت منه القلم فأومأ الى الفرق بين أول عهد العرب وآخره ولاشك ان أول عهدهم خير لانهم كانوا اشد تمسكا بالاسلام وعملا به وهذا يثبت أن الاسلام نفسه علة للعدل لأنه يأمر به قال تعالى «ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قوم على ان لاتعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى» اي لاتحملنكم عداوة بعض الناس لكم على عدم العدل فيهم بل اعدلوا مع العدو وغيره . (للرد بقية)

﴿ باب السؤال والفتوى ﴾

(تعدد الزوجات)

(س ٢٠) نجيب أفندي قناوي أحد طلبة الطب في أمريكا : يسألني كثير من أطباء الامريكانيين وغيرهم عن الآية الشريفة «فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة» ويقولون كيف يجمع المسلم بين أربع نسوة ؟ فاجبتهم على مقدار مافهمت من الآية مدافعة عن ديني وقلت ان العدل بين اثنتين مستحيل لانه عند مايتزوج الجديدة لابد ان يكره القديمة فكيف يعدل بينهما والله أمر بالعدل فالاحسن واحدة، هذا ماقلته وربما أقنعهم ولكن أريد منكم التفسير وتوضيح هذه الآية وماقولكم في الذين يتزوجون ثنتين وثلاثا : ؟

(ج) ان الجماهير من الافرنج يرون مسألة تعدد الزوجات اكبر قادح في الاسلام متأثرين بعاداتهم وتقليدهم الديني وغلوهم في تعظيم النساء وبما يسمعون ويعلمون عن حال كثير من المسلمين الذين يتزوجون بعدة زوجات لمجرد التمتع الحيواني من غير تقيد بما قيد القرآن به جواز ذلك وبما يعطيه النظر من فساد البيوت التي تتكون من زوج واحد وزوجات لهن أولاد يتحاسدون ويتنازعون ويتباغضون. ولا يكفي مثل

هذا النظر للحكم في مسألة اجتماعيـة كبرى كهذه المسألة بل لا بد قبل الحكم من النظر في طبيعة الرجل وطبيعة المرأة والنسبة بينهما من حيث معنى الزوجية والغرض منها، وفى عدد الرجال والنساء في الامم أيهما أكثر، وفى مسألة المعيشة المنزلية وكفالة الرجال للنساء أو العكس أو استقلال كل من الزوجين بنفسه. وفى تاريخ النشوء البشري ليعلم هل كان الناس في طور البداوة يكتفون بأن يختص كل رجل بامرأة واحدة. و بعد هذا كله ينظر هل جعل القرآن مسألة تعدد الزوجات امرا دينيا مطلوبا أم رخصة تباح للضرورة بشروط مضيق فيها ؟

أنتم معشر المشتغلين بالعلوم الطبية أعرف الناس بالفرق بين طبيعة الرجل والمرأة وأهم التباين بينهما. ومما نعلم نحن بالاجمال ان الرجل بطبيعته أكثر طلبا للانثى منها له وانه قلما يوجد رجل عنين لا يطلب النساء بطبيعته ولكن يوجد كثير من النساء اللاتي لا يطلبن الرجال بطبيعتهن ولولا أن المرأة مغرمـة بأن تكون محبوبة من الرجـل وكثيرة التفـكر فى الحظوة عنده لوجد فى النساء من الزاهدات فى التزوج أضعـاف ما يوجد الآن . وهـذا الغرام فى المرأة هو غير الميل المتولد من داعية التناسل في الطبيعة فيها وفي الرجل وهو الذي يحمل العجوز والتي لا ترجو زواجا على التزين بمثـل ما تتزين به العذراء المعرضة والسبب عندي في هذا معظمه اجتماعي وهو ماثبت فى طبيعة النساء واعتقادهن القرون الطويلة من الحاجة الى حماية الرجال وكفالتهم وكون عناية الرجـل بالمرأة على قدر حظوتها عنده وميله اليها . احس النساء بهذا فى الاجيال الفطرية فعملن له حتى صار ملكة موروثة فيهن حتى ان المرأة لتبغض الرجل ويؤلمها مع ذلك ان يعرض عنها ويتهمها وانهن ليألمن ان يرين رجلا — ولو شيخا كبيرا أو راهبا متبتلا — ولا يميل الى النساء ولا يخضع لسحرهن ويستجيب لرقيتهن . ونتيجة هذا ان داعية النسل في الرجل أقوى منها في المرأة فهذه مقدمة أولى

ثم ان الحـكمة الالهية فى ميل كل من الزوجين الذكر والانثى الى الآخر الميل الذي يدعو الى الزواج هو التناسل الذي يحفظ به النوع كما ان الحـكمة فى شهوة التغذي هي حفظ الشخص . والمرأة تكون مستعدة للنسل نصف العمر الطبيعي للانسان وهو مئة سنة . وسبب ذلك ان قوة المرأة تضعف عن الحمل بعد الخمسين في الغالب فينقطع دم حيضها وبيوض التناسل من رحمها والحـكمة ظاهرة فى ذلك والاطباء أعلم

بتفصيلها . فاذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من امرأة واحدة كان نصف عمر الرجال الطبيعي في الأمة معطلا من النسل الذى مقصود الزواج اذا فرض ان الرجل يقترن بمن تساويه في السن وقد يضيع على بعض الرجال أكثر من خمسين سنة اذا تزوج بمن هي أكبر منه وعاشا العمر الطبيعي كما يضيع على بعضهم أقل من ذلك اذا تزوج بمن هي أصغر منه وعلى كل حال يضيع عليه شيء من عمره حتى لو تزوج وهو في سن الخمسين بمن هي فى الخامسة عشرة يضيع عليه خمس عشرة سنة. وما عساه يطرأ على الرجال من مرض أوهرم عاجل اوموت قبل بلوغ السن الطبيعي يطرأ مثله على النساء قبل سن اليأس . وقد لاحظ هذا الفرق بعض حكماء الافرنج فقال لو تركنا رجلا واحدا مع مئة امرأة سنة واحدة لجاز ان يكون لنا من نسله في السنة مئة إنسان واما اذا تركنا مئة رجل مع امرأة واحدة سنة كاملة فأكثر مايمكن ان يكون لنا من نسلهم إنسان واحد والارجح ان هذه المرأة لاتنتج أحدا لان كل واحد من الرجال يفسد حرث الآخر . ومن لاحظ عظم شأن كثرة النسل في سنة الطبيعة وفى حال الامم يظهر له عظم شأن هذا الفرق — فهذه مقدمة ثانية

ثم ان المواليد من الاناث أكثر من الذكور فى أكثر بقاع الأرض . وترى الرجال على كونهم أقل من النساء يعرض لهم من الموت والاشتغال عن التزوج أكثر مما يعرض للنساء ومعظم ذلك في الجندية والحروب وفي العجز عن القيام بأعباء الزواج ونفقاته لان ذلك يطلب منهم فى أصل نظام الفطرة وفيما جرت عليه سنة الشعوب والامم الاماشذ . فاذا لم يبح للرجل المستعد للزواج ان يتزوج بأكثر من واحدة اضطرت الحال الى تعطيل عدد كثير من النساء ومنعهن من النسل الذي تطلبه الطبيعة والامة منهن ، والى إلزامهن بمجاهدة داعية النسل فى طبيعتهن وذلك يحدث أمراضا بدنية وعقلية كثيرة يمسي بها أولئك المسكينات عالة على الامة وبلاء فيها بعد ان كن نعمة لهاءأو الى اباحة أعراضهن والرضى بالسفاح وفى ذلك من المصائب عليهن لاسيما اذا كن فقيرات مالايرضى به ذو إحساس بشري . وانك لتجد هذه المصائب قد انتشرت في البلاد الافرنجية حتى أعيا الناس امرها وطفق أهل البحث ينظرون في طريق علاجها فظهر لبعضهم ان العلاج الوحيد هو اباحة تعدد الزوجات . ومن العجائب أن ارتأى هذا

الرأي غير واحدة من كاتبات الانكليز وقد نقلنا ذلك عنهن في مقالة نشرت في المجلد الرابع من المنار (تراجع في ص ٧٤١) وانما كان هذا محيبا لان النساء ينفرن من هذا الامر طبعا وهن يحكمن بمقتضى الشعور والوجدان ، أكثر مما يحكمن بمقتضى المصلحة والبرهان ، بل ان مسألة تعدد الزوجات صارت مسألة وجدانية عند رجال الافرنج تبعا لنسائهم حتى لتجد الفيلسوف منهم لايقدر ان يبحث فى فوائدها وفى وجه الحاجة اليها بحث بريء من الغرض طالب كشف الحقيقة — فهذه مقدمة ثالثة

وانتقل بك من هذا الى اكتناه حال المعيشة الزوجية وأشرف بك على حكم العقل والفطرة فيها وهو ان الرجل يجب ان يكون هو الكافل للمرأة وسيد المنزل لقوة بدنه وعقله وكونه أقدر على الكسب والدفاع وهذا هو معنى قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) وان المرأة يجب ان تكون مدبرة المنزل ومربية الاولاد لرقتها وصبرها وكونها كما قلنا من قبل واسطة في الاحساس والتعقل بين الرجل والطفل فيحسن أن تكون واسطة لنقل الطفل الذكر بالتدريج الى الاستعداد للرجولية ولجعل البنت كما يجب ان تكون من اللطف والدعة والاستعداد لعملها الطبيعي . وان شئت فقل فى بيان هذه المسألة ان البيت مملكة صغرى كما ان مجموع البيوت هو المملكة الكبرى فللمرأة في هذه المملكة ادارة نظارة الداخلية والمعارف وللرجل مع الرياسة العامة ادارة نظارات المالية والاشغال العمومية والحربية والخارجية، واذا كان من نظام الفطرة ان تكون المرأة في البيت وعملها محصورا فيه لضعفها عن العمل الآخر بطبيعتها وبما يعوقها من الحبل والولادة ومداراة الاطفال وكانت بذلك عالة على الرجل — كان من الشطط تكليفها بالمعيشة الاستقلالية بَلَهَ السيادة والقيام على الرجل. واذا صح ان المرأة يجب ان تكون في كفالة الرجل وان الرجال قوامون على النساء كما هو ظاهر فماذا نعمل والنساء أكثر من الرجال عدداً ؟ ألا ينبغي أن يكون فى نظام الاجتماع البشري أن يباح للرجل الواحد كفالة عدة نساء عند الحاجة الى ذلك لاسيما فى أعقاب الحروب التي تجتاح الرجال وتدع النساء لا كافل للكثير منهن ولا نصير ؟ ويزيد بعضهم على هذا ان الرجل في خارج المنزل يتيسر له ان يستعين على أعماله بكثير من الناس ولكن المنزل لا يشتمل على غير أهله وقد تمس الحاجة الى مساعد للمرأة على أعماله الكثيرة كما

تقضي قواعد علم الاقتصاد في توزيع الاعمال ولا يمكن ان يكون من يساعدها فى البيت من الرجال لما في ذلك من المفاسد فمن المصلحة على هذا ان يكون في البيت عدة نساء مصلحتهن عمارته ـ كذا قال بعضهم ـ فهذه مقدمة رابعة

واذا رجعت معي الى البحث في تاريخ النشوء البشري في الزواج والبيوت (العائلات) أو في الازدواج والانتاج تجد أن الرجل لم يكن فى أمة من الامم يكتفي بامرأة واحدة كما هو شأن أكثر الحيوانات وليس هذا بمحل لبيان السبب الطبيعي في ذلك بل ثبت بالبحث أن القبائل المتوحشة كان فيها النساء حقا مشاعا للرجال بحسب التراضي وكانت الام هي رئيسة البيت اذ الاب غير متعين في الغالب وكان كلما ارتقى الانسان يشعر بضرر هذا الشيوع والاختلاط ويميل الى الاختصاص فكان أول اختصاص فى القبيلة أن يكون نساؤها لرجالها دون رجال قبيلة أخرى ومازالوا يرتقون حتى وصلوا إلى اختصاص الرجل الواحد بعدة نساء من غير تقيد بعدد معين بل حسب مايتيسر له فانتقل بهذا تاريخ البيوت (العائلات) الى دور جديد صار فيه الاب عمود النسب وأساس البيت كما بين ذلك بعض علماء الالمان والانكليز المتأخرين فى كتب لهم في تاريخ البيوت (العائلات) ومن هنا يزعم الافرنج ان نهاية الارتقاء هو ان يختص الرجل الواحد بامرأة واحدة وهو مسلم وينبغي ان يكون هذا هو الأصل في البيوت ولكن ماذا يقولون فى العوارض الطبيعية والاجتماعية التي تلجيء الى ان يكفل الرجل عدة من النساء لمصلحتهن ومصلحة الامة ولاستعداده الطبيعي لذلك . وليخبرونا هل رضي الرجال بهذا الاختصاص وقنعوا بالزواج الفردي في أمة من الامم الى اليوم؟ أيوجد فى أوربا فى كل مئة ألف رجل لا يزني ؟ كلا ان الرجل بمقتضى طبيعته وملكاته الوراثية لا يكتفي بامرأة واحدة اذ المرأة لاتكون فى كل وقت مستعدة لغشيان الرجل إياها كما انها لاتكون فى كل وقت مستعدة لثمرة هذا الغشيان وفائدته وهو النسل فداعية الغشيان فى الرجل لاتنحصر فى وقت دون وقت ولكن قبوله من المرأة محصور في أوقات وممنوع في غيرها . فالداعية الطبيعية فى المرأة لقبول الرجل انما تكون مع اعتدال الفطرة عقيب الطهر من الحيض، وأما فى حال الحيض وحال الحمل والاثقال فتأبى طبيعتها ذلك وأظن أنه لولا توطين المرأة نفسها على إرضاء الرجل والحظوة عنده ولولا مايحدثه

التذكر والتخيل للذة وقمت في ابانها من التعمل لاستعدادتها لاسيما مع تأثير التربية والعادات العمومية لكان النساء يأبين الرجال في أكثر أيام الطهر التي يكن فيها مستعدات للعلوق الذي هو مبدأ الانتاج . ومن هذا التقرير يعلم ان اكتفاء الرجل بامرأة واحدة تستلزم ان يكون في أيام طويلة مندفعا بطبيعته الى الافضاء اليها وهي غير مستعدة لقبوله أظهرها أيام الحيض والانقال بالحمل والنفاس وأقلها ظهور ايام الرضاع لاسيما الاولى والايام الاخيرة من ايام طهرها وقد ينازع في هذه لغلبة العادة فيها على الطبيعة . واما اكتفاء المرأة برجل واحد فلامانع منه في طبيعتها ولا لمصلحة النسل بل هو الموافق لذلك اذ لاتكون المرأة في حال مستعدة فيها لملامسة الرجل وهو غير مستعد مادام في اعتدال مزاجهما . ولانذكر المرض لان الزوجين يستويان فيه ومن حقوق الزوجية وآدابها ان يكون لاحدهما شغل بتمريض الآخر في وقت مصابه عن السعي وراء لذته . وقد ذكر عن بعض محققي الاوربيين ان تعدد الازواج الذي وجد في بعض القبائل المتوحشة كان سببه قلة البنات لوأد الرجال إياهن في ذلك العصر — فهذه مقدمة خامسة

بعد هذا كله اجل طرفك مني في تاريخ الامة العربية قبل الاسلام تجد أنها كانت قد ارتقت الى ان صار فيها الزواج الشرعي هو الاصل في تكوّن البيوت وان الرجل هو عمود البيت وأصل النسب وان تعدد الزوجات لم يكن محدودا بعدد ولا مقيدا بشرط وان اختلاف عدة رجال إلى امرأة واحدة يعد من الزنا المذموم ، وأن الزنا على كثرته يكاد يكون خاصا بالاماء وقلما يأتيه الحرائر الا أن يأذن الرجل امرأته بأن تستبضع من رجل يعجبها ابتغاء نجابة الولد ، وأن الزنا لم يكن معيبا ولا عارا صدوره من الرجل وانما يعاب من حرائر النساء . وقد حظر الاسلام الزنا على الرجال والنساء جميعا حتى الاماء فكان من يصعب جدا على الرجال قبول الاسلام والعمل به مع هذا الحجر بدون إباحة تعدد الزوجات ولولا ذلك لاستبيح الزنا في بلاد الاسلام كما هو مباح في بلاد الافرنج — فهذه مقدمة سادسة

ولا تنس مع العلم بهذه المسائل ان غاية الترقي في نظام الاجتماع وسعادة البيوت (العائلات) ان يكون تكوّن البيت من زوجين فقط يعطي كل منهما الآخر ميثاقا غليظا على الحب والاخلاص ، والثقة والاختصاص ، حتى اذا ما رزقا اولادا كانت عنايتهما متفقة على حسن تربيتهم ليكونوا قرة عين لهما ويكونا قدوة صالحة لهم في الوفاق والوئام والحب والاخلاص — فهذه مقدمة سابعة

فاذا انعمت النظر في هذه المقدمات كلها ،وعرفت فرعها وأصلها ، تجلى لك هذه النتيجة أو النتائج: هي ان الاصل في السعادة الزوجية والحياة البيتية هو ان يكون للرجل زوجة واحدة وان هذا غاية الارتقاء البشري في بابه والكمال الذي ينبغي ان يربى الناس عليه ويقتنعوا به، وأنه قد يعرض له ما يحول دون اخذ الناس كلهم به وتمس الحاجة الى كفالة الرجل الواحد اكثر من امرأة واحدة، وان ذلك قد يكون لمصلحة الافراد من الرجال كأن يتزوج الرجل بامرأة عاقر فيضطر الى غيرها لاجل النسل ويكون من مصلحتها أو مصلحتهما معا ان لا يطلقها وترضى بأن يتزوج بغيرها لاسيما اذا كان ملكا او أميرا، او تدخل المرأة في سن اليأس ويرى الرجل انه مستعد للإعقاب من غيرها وهو قادر على القيام بأود غير واحدة وكفاية أولاد كثيرين وتربيتهم ، او يرى ان المرأة الواحدة لا تكفي لاحصانه لأن مزاجه يدفعه الى كثرة الافضاء ومزاجها بالعكس أو تكون فاركا منشاصا (أي تكره الزوج) أو يكون زمن حيضها طويلا ينتهي الى خمسة عشر يوما في الشهر ويرى نفسه مضطراً لأحد الأمرين التزوج بثانية أو الزنا الذي يضيع الدين والمال والصحة ويكون شراً على الزوجة من ضم واحدة اليها مع العدل بينهما كما هو شرط الاباحة في الاسلام ولذلك استبيح الزنا في البلاد التي منع فيها التعدد بالمرة

وقد يكون التعدد لمصلحة الامة كأن تكثر فيها النساء كثرة فاحشة كما هو الواقع في مثل البلاد الانكليزية أو تقع حرب مجتاحة تذهب بالألوف الكثيرة من الرجال فيزيد عدد النساء زيادة فاحشة تضطرهن الى الكسب والسعي في حاج الطبيعة ولا بضاعة لاكثرهن في الكسب الا أبضاعهن . واذا هن بذلنها فلا يخفى على الناظر ماوراءها من الشقاء على المرأة لاكافل لها اذا اضطرت الى القيام بأود نفسها وأود ولد ليس له والد لاسيما عقيب الولادة ومدة الرضاعة بل الطفولية كلها . وما قال من قال من كاتبات الانكليز بوجوب تعدد الزوجات الا بعد النظر في حال البنات اللواتي يشتغلن في المعامل وغيرها من الاماكن العمومية وما يعرض لهن من هتك الاعراض والوقوع في الشقاء والبلاء . ولكن لما كانت الاسباب التي تبيح تعدد الزوجات هي ضرورات تتقدر بقدرها وكان الرجال انما يندفعون الى هذا الامر في الغالب إرضاء للشهوة لا عملا بالمصلحة وكان الكمال الذي هو الاصل المطلوب عدم التعدد جعل التعدد في الاسلام رخصة لا واجبا ولا مندوبا لذاته وقيد بالشرط الذي نطقت به الآية الكريمة وأكدته تأكيدا مكررا فتأملها

قال تعالى : « وان خفتم أن لاتقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم، ذلك أدنى ان لاتعولوا» الخ فأنت ترى أن الكلام كان في حقوق الايتام ولما كان في الناس من يتزوج باليتيمة الغنية ليتمتع بمالها ويهضم حقوقها لضعفها حذر الله من ذلك وقال ان النساء امامكم كثيرات فاذا لم تتقوا من أنفسكم بالقسط فى اليتامى اذا تزوجتم بهن فعليكم بغيرهن فذكر مسألة التعدد بشرطها ضمنا لااستقلالا والافرنج يظنون أنها مسألة من مهمات الدين فى الاسلام . ثم قال « فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة » ولم يكتف بذلك حتى قال « ذلك أدنى ان لاتعولوا » أي إن الاكتفاء بواحدة أدنى وأقرب لعدم العول وهو الجور والميل الى أحد الجانبين دون الآخر من عال الميزان اذا مال وهو الارجح فى تفسير الكلمة فأكد أمر العدل وجعل مجرد توقع الانسان عدم العدل من نفسه كاف في المنع من التعدد . ولا يكاد يوجد أحد يتزوج بثانية لغير حاجة وغرض صحيح يأمن الجور لذلك كان لنا ان نحكم بأن الذوّاقين الذين يتزوجون كثيراً لمجرد التنقل فى التمتع يوطنون أنفسهم على ظلم الاولى ومنهم من يتزوج لأجل ان يغيظها ويهينها ولاشك ان هذا محرم في الاسلام لما فيه من الظلم الذي هو خراب البيوت بل وخراب الأمم، والناس عنه غافلون باتباع أهوائهم

هذا ماظهر لنا الآن فى الجواب كتبناه بقلم العجلة على أنا كنا قد أرجأنا الجواب لنمعن فى المسألة ونراجع كتابا أورسالة في موضوعها لأحد علماء ألمانيا قيل لنا انها ترجمت وطبعت فلم يتيسر لنا ذلك فان بقي فى نفس السائل شىء فليراجعنا فيه والله الموفق والمعين

﴿ الأعطار الافرنجيه والكحول طهارتها ﴾

(س ٢١) أحمد أفندى عزمي بمصر :

الاستاذ يعلم ان أنواع الاعطار المستحضرة بمعامل أوروبا شغلت حيزاً كبيراً جداً في ميدان التجارة . وعلى تلك النسبة شاع استعمالها بين العموم خصوصاً العائلات ولاأزيد الاستاذ علما باني ربما جاورت في بعض صفوف الصلاة رجالا قد عم المسجد روائح ماباجسامهم وملابسهم من تلك الاعطار . على اننا نعلم من الفن ومن المشاهدة أن تلك المستحضرات جميعها يدخلها الكؤول « اسبرتو » ويقولون إن الكؤول نجس باجماع المذاهب الاربعة لتخمره وهو ينتج نجاسة كافة أنواع هذه الاعطار فاذا صحت هذه النتيجة تبعاً لصحة المقدمة تكون مصيبة الامة الاسلامية من ذلك عظيمة جدا ولا غرابة في ذلك اذا علمنا ان الطهارة شرط فى كثير من العبادات على ان الكحل

يعني كل المسلمين واقعون في هذه المصيبة وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً .
فهل للاستاذ حفظه الله للاسلام ان يخوض هذا الموضوع ويهدينا فيه الى سواء السبيل فان كنا مصيبين ثبتنا على مانحن عليه والا أعلنتم ذلك الخطأ العام والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . والله يحفظكم لنا

(ج) ان هذه الاعطار طاهرة ومعاذ الله ان يجعل دين الفطرة الطيب قذارة وقد بينا ذلك بالتفصيل ، وإقامه الدليل تلو الدليل ، في المجلد الرابع من المنار وقد انتقد ذلك جاهل فرددنا عليه في نبذتين عنوانهما (طهارة الكحول . والرد على ذي فضول) فليراجع ذلك كله (في ص ٥٠٠ و٨٢١ و٨٦٦)

﴿ حضور عبادة النصارى ﴾

(س ٢٢) ا ٠ ف ٠ في أسيوط : يقيم المبعوثون الامريكانيون في مدارسهم حفلة سنوية يلقي فيها التلامذة خطبا علمية ومناظرات أدبية ويدعون لحضور هذه الحفلة من شاؤا من المسلمين وغيرهم . ومن المعلوم أنهم يقيمون في اول كل عمل لهم صلاة دينية كالتي يقيمونها عند افتتاح الحفلة . وهذه الصلاة عبارة عن دعاء يطلبون به من المسيح بصفته ابنا لله وفاديا للناس (نعوذ بالله) أن يبارك الحفلة والمحتفلين . فهل يجوز للمسلين اجابة هذه الدعوة ، وحضور هذه الحفلة ، وعند الصلاة يقفون جميعا بهيئة هذه الصلاة فهل يجوز قيام المسلمين معهم مجاراة لهم ؟ ثم اذا لم يقفوا هل عليهم في سماع هذه الألفاظ وهذا الدعاء من حرج ؟ أفتونا ولكم الفضل :

(ج) مجاراة المسلم لغير المسلم وتشبهه به في عمل من أعمال دينه الخاصة به لايجوز بحال والمنصوص في كتب الفقه انه يعتبر ردة وخروجا من الاسلام اذا كان بحيث يشتبه بهم ويظن انه منهم . وأما مجرد رؤية صلاتهم وسماع دعائهم من غير مشاركتهم فيه فلا يحرم الا على من يخشى عليه ان يميل الى دينهم من الاطفال ونحوهم ودعاء غير الله تعالى شرك في الاسلام وان كان ما يدعى به خير وقال الفقهاء ان الرضى بالشرك شرك ولكن ماكل متفرج على شئ يرضى به . ومازال المسلمون في السلف والخلف يطلعون على عبادات أهل الملل كلهم ولم نعلم ان أحداً من الأئمة حرم ذلك أو أنه ورد في الكتاب او السنة حظر له . وقد بلغنا ان بعض جهال المسلمين الذين يحضرون احتفالاتهم في المدارس وغيرها يتشبهون بهم في صلاتهم ويجارونهم فيها ولكنك لا تجد من الذين دفعتهم الاهواء الى تحريم ماأحل الله من طعام ولباس لأنه تشبه

بالنصارى على زعمهم – وما التشبه في المباح بردة ولا محرم ان فرض – لاينكرون على الجهال عملهم هذا ولايقولون كلمة في نصيحتهم « وأهواء النفوس ضروب »

المنار في تونس

كتب في إحدى الجرائد الفرنسية التونسية مقالة لكاتب تونسي جاء فيها ان بعض المشايخ يخافون على نفوذهم أن يسقط اذا رسخت تعاليم المنار في نفوس طلاب العلم وانهم رأوا لذلك ان يقاوموه بالمحل والسعاية . وقد اكدت الجرائد العربية أن هذا الخبر غير صحيح وهو المعقول اذ لو أنكر أحد المشايخ شيئا في المنار لكتبوا الينا فان النهي عن المنكر فرض ولاعذر لهم في السكوت عنه مع تصريحنا مرارا بأن من أنكر علينا شيئاً فاننا ننشر انكاره وقد فعلنا ذلك تكرارا . ولايكفي في الانكار على مجلة سيارة في الآفاق الانتقاد عليها أمام بعض الناس أو تنفيرهم عن قراءتها مع بقاء المنكر ثابتا منتشرا بل لابد من إطلاع جميع القراء على الانتقاد ودليله . فكل من ينتقد المنار في شئ خصوصا أمر الدين وهو لم يكتب الينا بذلك فهو فاسق بسكوته عن نهينا وإرشادنا والفاسق لايقبل قوله المؤمنون .

المناظر والمنار

نحن نجل المناظر ونعتقد إخلاصه في خدمة بلاده وبراءته من التعصب الذميم ونحمد منه إطلاق حرية البحث للكتاب وان خالفوا رأيه وانما لمناه على نشر مقالات (سوريا والاسلام) لانها ضارة وهادمة لمايبني المناظر وغيره من بناء التأليف بين أهل الوطن من حيث لاتثبت حقيقة ، ولم نلمه لانها طعن في الاسلام كما لم نلمه على نشر الرد على مقالات الاسلام والنصرانية مع علمنا بما فيها من الخطأ فليتأمل الرصيف العادل في الفرق ، ولانعهده الامحبا للحق ،

(تصحيح) جاء في الصفحة الأولى من الجزء الرابع في الآيات « فريقا ليكتمون » والصواب « فريقامنهم » فيجب ان تزاد كلمة منهم قبل « ليكتمون » وجاء في الصفحة ١٦٨ منه مايشعر بأن تميما الداري كان من اليهود والصواب انه كان نصرانيا فليزد بعد اسمه (من علماء النصارى) يصح الكلام

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿مصر — غرة ربيع الآخر سنة ١٣٢٢ — ١٥ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٤﴾

﴿ القسم الديني ﴾

﴿ تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ ٱللهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ، وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ ٱللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللاَّعِنُونَ * إِلاَّ ٱلَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللهِ وَٱلْمَلاَئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ *

علم مما تقدم ان مسألة تحويل القبلة جاءت فى معرض الكلام عن معاندة المشركين وأهل الكتاب للنبي عليه الصلاة والسلام فكان التحويل

شبهة من شبهاتهم، وتقدم أن من حكم تحويل القبلة الى البيت الحرام توجيه قلوب المؤمنين إلى الاستيلاء عليه - كما يوجهون اليه وجوههم - لأجل تطهيره من الشرك وغيره كما عهد الله إلى أبويهم إبراهيم واسماعيل عليهما السلام وأن في طي « ولأتم نعمتي عليكم » بشارة بهذا الاستيلاء، مفيدة للأمل والرجاء، وقد علم الله المؤمنين بعد هذه البشارة مايستعينون به على الوصول اليها هي وسائر مقاصد الدين من الصبر والصلاة وأشعرهم بما يلاقون في سبيل الحق من المصائب والشدائد، فكان من المناسب بعد هذا أن يذكر شيئاً يؤكد تلك البشارة ويقوي ذلك الأمل فذكر شعيرة من شعائر الحج هي السعي بين الصفا والمروة فكان ذكرها تصريحا ضمنيا بأن سيأخذون مكة ويقيمون مناسك إبراهيم فيها وتتم بذلك لهم النعمة والهداية - لذلك قال (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلاجناح عليه أن يطوَّف بهما) فهذه الآية ليست منقطعة عن السياق السابق لافادة حكم جديد لاعلاقة له بما قبله كما توهم بل هي من تتمة الموضوع ومرتبطة به أشد الارتباط من حيث هي تأكيد للبشارة ومن حيث ان الحكم الذي فيها من مناسك الحج التى كان عليها إبراهيم الذي أحيا النبي دينه وجعلت الصلاة الى قبلته، كأنه قال لاتلوينكم قوة المشركين في مكة، وكثرة الأصنام على الصفا والمروة، عن القصد الى تطهير البيت الحرام، وإحياء تلك الشعائر العظام، كما لا يلوينكم عن استقبال البيت تقوّل أهل الكتاب والمشركين، ولا زلزال مرضى القلوب من المنافقين، بل ثقوا بوعد الله، واستعينوا بالصبر والصلاة،⁽¹⁾

(1) والصفا والمروة جبلان بمكة والمسافة بينهما ٧٦٠ ذراعا ونصف،

ولهم في الشعائر كلام هنا لا بأس به وهو أن الشعيرة والشعار والشعارة تطلق على المكان وعلى العمل المخصوص الذى هو عبادة ونسك ففي آية أخرى « لا تُحِلّوا شعائر الله » قالوا فالشعائر في الآية معناها العلامات واللغة تشهد لذلك - رمى رجل جمرة فأصابت جبهة عمر (رضي الله عنه) فقال رجل : شعرت جبهة أمير المؤمنين : يريد جرحت سمي الجرح بذلك لأنه علامة وقال عند ذلك رجل لهبي : سيقتل أمير المؤمنين : وكان ماقال

فأما كون المواضع كالصفا والمروة من علامات دين الله أو أعلام دينه فظاهر وأما كون المناسك والاعمال شعائر وعلامات فوجهه أن القيام بها علامة على الخضوع لله تعالى وعبادته إيمانا وتسليما . فالشعائر إذن لا تطلق الا على الاعمال المشروعة التى فيها تعبد لله تعالى ولذلك غلب استعمال الشعائر في أعمال الحج لأنها تعبدية . قال في الصحاح : الشعائر أعمال الحج وكل ماجعل علما لطاعة الله عزوجل : وقال الزجاج في قوله تعالى « لا تحلوا شعائر الله » أي جميع متعبداته التي أشعرها الله أي جعلها إعلاما لنا : الخ فهو يريد أن الشعائر من أشعره بالشيء أعلمه به وقد صرح بذلك ولكنه لا يدل بهذا على معنى التعبد اذ قد أعلمنا الله تعالى بالاحكام التي لا تعبد فيها أيضا

الاستاذ الامام : في الاحكام التي شرعها الله تعالى نوع يسمى بالشعائر ومنها مالا يسمى بذلك كأحكام المعاملات كافة لأنها شرعت لمصالح البشر فلها علل وأسباب يسهل على كل إنسان أن يفهمها فهذا أحد أقسام الشرائع والقسم الثاني هو ماتعبدنا الله تعالى به كالصلاة على وجه مخصوص وكالتوجه فيها الى مكان مخصوص سماه الله بيته مع أنه من خلقه كسائر العالم . فهذا شيء شرعه الله وتعبدنا به لعلمه بأن فيه مصلحة لنا ولكننا نحن لا نفهم سر ذلك

تمام الفهم من كل وجه . وهذا النوع يوقف فيه عند نص ما شرعه الله تعالى لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يقاس عليه ولا يؤخذ فيه برأي أحد ولا باجتهاده اذ من العبث أن يعمل الانسان ما لا يعرف له فائدة لقول من هو مثله وهو مستعد لأن يفهم كل ما يفهمه . ولا يأتي هذا العبث فى امتثال أمر الله تعالى لانا نعتقد أنه برحمته وحكمته لا يشرع لنا الا ما فيه خيرنا ومصلحتنا وانه بعلمه المحيط بكل شيء يعلم من ذلك ما لا نعلم والتجربة تؤيد هذا الاعتقاد فان الطائعين القائمين بحقوق الدين تصلح أحوالهم فى الدنيا ، ويرجى لهم في الآخره ما يرجى ، وان لم يفهموا فهما كاملا فائدة كل جزئية من جزئيات العمل فمثلهم كما قال الغزالي مثل من وثق بالطبيب وجرب دواءه فوجده نافعا ولكنه لا يعرف أية فائدة لكل جزء من أجزائه ونسبته الى الأجزاء الأخرى وحسبه أن يعلم أن هذا الدواء المركب نافع يشفي باذن الله من المرض .

السعي بين الصفا والمروة من هذا النوع التعبدي فهو مطلوب بقوله تعالى (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) وهذا التطوف هو الذى عرف فى الاصطلاح بالسعي بين الصفا والمروة وفسرته السنة بالعمل واذ كان مشروعا فسواء كان ركنا كما يقول الأئمة الثلاثة أو واجبا كما يقول الحنفية . وقوله عز وجل « فلا جناح عليه » قالوا انه للاشارة الى تخطئة المشركين الذين كانوا ينكرون كون الصفا والمروة من الشعائر وان السعي بينهما من مناسك إبراهيم فهو لا ينافي الطلب جزما وكذلك قوله تعالى (فمن تطوع خيرا) فان معنى التطوع في أصل اللغة الإتيان بما فى الطوع أو بالطاعة وإطلاقه على الندب اصطلاح للفقهاء .

وقوله تعالى (فان الله شاكر عليم) معناه فان الله يثيبه لانه شاكر يجزي على الاحسان، عليم بمن يستحق الجزاء ومن لا يستحقه

الاستاذ الإمام : وصف الباري تعالى بالشاكر لايظهر على حقيقته فلا بد من حمله على المجاز فالشكر فى اللغة مقابلة النعمة والاحسان ، بالثناء والعرفان ، وشكر الله في اصطلاح الشرع صرف نعمه فيما خلقت لأجله وكلاهما لايظهر بالنسبة الى الله تعالى إذ لايمكن أن يكون لأحد عنده يد أو يناله من أحد نعمة فالمعنى إذن ان الله تعالى قادر على إثابة المحسنين ، وأنه لايضيع أجر العاملين ، فسميت بهذا المعنى مقابلة العامل بالجزاء الذى يستحقه شكرا وسمى الله تعالى نفسه شاكرا . والنكتة فى اختيار هذا التعبير تعليمنا الأدب فقد علمنا سبحانه وتعالى بهذا أدبا من أكمل الآداب بما سمى إحسانه وإنعامه على العاملين شكرا لهم مع أن عملهم لاينفعه ولا يدفع عنه ضرا فيكون إنعاما عليه ويدا عنده وإنما منفعته لهم فهو فى الحقيقة من نعمه عليهم اذ هداهم إليه وأقدرهم عليه . فهل يليق بمن يفهم هذا الخطاب الأعلى أن يرى نعم الله عليه لاتعد ولا تحصى وهو لايشكره ولايستعمل نعمه فيما سيقت لأجله ؟ ثم هل يليق به أن يرى بعض الناس يسدي اليه معروفا ولا يشكره له ويكافئه عليه وان كان هوفوق صاحب المعروف رتبة وأعلى منه طبقة ؟ كيف وقد سمى الله تعالى جده وجل ثناؤه إنعامه على من يحسنون الى أنفسهم والى الناس شكرا والله الخالق وهم المخلوقون ، وهو الغني الحميد وهم الفقراء المعوزون ،

شكر النعمة والمكافأة على المعروف من أركان العمران وترك الشكر والمكافأة مفسدة لاتضاهيها مفسدة إذ هي مدعاة ترك المعروف كما أن

الشكر مدعاة المزيد ولذلك أوجب الله تعالى علينا شكره وجعل فى ذلك مصلحتنا ومنفعتنا لأن كفران نعمه باهمالها أو بعدم استعمالها فيما خلقت لأجله أو بعدم ملاحظة أنها من فضله وكرمه تعالى - كل ذلك من أسباب الشقاء والبلاء . وأما ترك شكر الناس وتقدير أعمالهم قدرها سواء كان عملهم النافع موجها الينا أو الى غيرنا من الخلق فهو جناية على الناس وعلى أنفسنا لأن صانع المعروف اذا لم يلق الا الكفران فان الناس يتركون عمل المعروف فى الغالب فنحرم منه ونقع مع الاكثرين فى ضده فنكون من الخاسرين . وانما قلنا « فى الغالب » لأن فى الناس من يصنع المعروف ويسعى في الخير رغبة فى الخير والمعروف وطلبا للكمال ولكن أصحاب هذه النفوس الكبيرة والأخلاق العالية التي لاينظر ذووها الى مقابلة الناس لأعمالهم بالشكر ولا يصدهم عن الصنيعة جهل الناس بقيمة صنيعتهم قلما تلد القرون واحدا منهم ، ثم ان كفران النعم لابد أن يؤثر فى نفس من عساه يوجد منهم فان لم يكن أثره ترك السعي والعمل كان الفتور والونى فيه واذا لم يدع المعروف لكفران الناس تركه لليأس من فائدته ، أو للحذر من سوء مغبته ، اذ الحاسدون من الاشرار ، يسعون دائما فى إيذاء الأخيار ، كذلك الشكر يؤثر فى إنهاض همة أعلياء الهمة من المخلصين في أعمالهم الذين لايريدون عليها جزاء ولا شكورا . ذلك أنهم يرون عملهم الخير نافعا فيزيدون منه ، كما أنهم اذا رأوه ضائعا يكفون عنه ،

قال الاستاذ الامام بعد بيان حسن أثر الشكر فى المخلصين ، ويروون في هذا حديثا ارتقى به بعضهم الى درجة الحسن وهو « عجبت لمحمد كيف يسمن من أذنيه » أي كان اذا ذكرت أعماله الشريفة وسعيه فى الخير

المطلق يُسرّ ويسمن - هذا وهو صلى الله عليه وسلم أخاص المخلصين الفاني في الله تعالى الذى لا يبتغي بعمله غير مرضاته فكيف لا يكون أجدر بذلك غيره ممن اذا سلم من الانبعاث الى الخير بباعث توقع الشكر والثناء فلا يكاد يسلم من حب الثناء لذاته فضلا عن مقت الكفران والكنود

ثم قال تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب) ألخ . هذه الآية عود الى أصل السياق وهو مجاحدة النبي ومعاندته من الكفار عامة ومن اليهود خاصة والكلام في القبلة انما كان في معرض مجاحدتهم له وجاء فيه أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم يكتمون الحق وهم يعلمون ولم يذكر هناك وعيد هؤلاء الكاتمين لأن ذكر الكتمان ورد مورد الاحتجاج عليهم وتسلية للنبي والمؤمنين على إيذائهم ثم عاد هنا فذكره

أما هذا الكتمان فهو انكار أخبار أنبيائهم عنه وبشارتهم به وجعل ذلك حجة سلبية على انكار نبوته اذ كانوا يقولون ان الانبياء يبشر بعضهم بعض ولم يبشروا بأن سيبعث نبي من العرب أبناء اسماعيل ولم يجيء بيان في كتبهم عن دينه وكتابه فالله تعالى يقول انهم يكتمون ما أنزل في شأن محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بعد ما بينه لهم في الكتاب وهو اسم جنس يشمل جميع كتب الانبياء عندهم . وقد اختلف الناس في كيفية هذا الكتمان فقال بعضهم إنهم كانوا يحذفون أوصافه والبشارات فيه بالمرة وهو غير معقول اذ لا يمكن أن يتواطأ أهل الكتاب على ذلك في جميع الاقطار ولو فعله الذين كانوا في بلاد العرب لظهر اختلاف كتبهم مع كتب اخوانهم في الشام وأوربا مثلا . ويذهب آخرون الى أن الإنكار

كان بالتحريف والتأويل وحمل الاوصاف التي وردت فيه والدلائل التي تثبت نبوته على غيره حتى اذا سئلوا : هل لهذا النبي ذكر فى كتبكم : قالوا : لا : على أن في كتبهم أوصافا لا تنطبق الا على نبي في بلاد العرب وأظهرها مافي التوراة وكتاب أشعيا فانه لا يقبل التأويل الا بغاية التمحل والتعسف . كذلك فعلوا بالدلائل على نبوة المسيح فانهم أنكروا انطباقها عليه وزعموا أنها لغيره ولا يزالون ينتظرون ذلك الغير

وقد بين الله تعالى في هذه الآية أنهم لم يقتصروا على كتمان الشهادة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتأويل بل كتموا مافى الكتاب من الهدى والارشاد بضروب التأويل حتى أفسدوا الدين وانحرفوا بالناس عن صراطه وذكر جزاءهم فقال (أولئك) اي الذين كتموا البينات والهدى لحرموا النور السابق والنور اللاحق (يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) أما لعن اللاعنين فليس معناه أنه ينبغي أو يطلب لعنهم وانما معناه أنهم بفعلتهم هذه موضع للعنة اللاعنين الآتي ذكره فى الآية التالية (الا الذين تابوا) عن الكتمان (وأصلحوا) عملهم بالأخذ بتلك البينات عن النبي ودينه والهدى المطابق لما جاء به (وبينوا) ما كانوا يكتمونه . وفيه وجه آخر وهو ان المراد وبينوا إصلاحهم وجاهروا بعملهم الصالح وأظهروه للناس فان بعض الناس يعرف الحق ويعمل به ولكنه يكتم عمله ويسره موافقة للناس فيما هم فيه لئلا يعيبوه وهذا ضرب من الشرك الخفي وإيثار الخلق على الحق لذلك اشترط في توبتهم إظهار إصلاحهم والمجاهرة بأعمالهم ليكونوا حجة على المنكرين، وقدوة صالحة لضعفاء التائبين ، قال تعالى (فأولئك أتوب عليهم) أي أرجع وأعود عليهم بالرحمة والرأفة ، بعد الحرمان المعبر عنه باللعنة ، قال الاستاذ وهذا

من ألطف أنواع التأديب الإلهي فانه لم يذكر أنه يقبل توبتهم كما هو الواقع بل أسند الى ذاته العلية فعل التوبة الذي أسنده اليهم وزاد على ذلك من تأنيسهم وترغيبهم أن قال (وأنا التواب الرحيم) يصف نفسه سبحانه بكثرة الرجوع والتوبة فأي ترغيب فى ذلك أبلغ من هذا وأشد تأثيرا منه لمن يشعر ويعقل

ثم ان العبرة فى الآية هي أن حكمها عام وان كان سببها خاصا فكل من يكتم آيات الله وهدايته عن الناس فهو مستحق لهذه اللعنة . ولما كان هذا الوعيد وأشباهه حجة على الذين لبسوا لباس الدين وانتحلوا الرئاسة لأنفسهم بعلمه حاولوا التفصي منه فقال بعضهم ان الكتمان لايتحقق الا اذا سئل العالم عن حكم الله تعالى فكتمه وأخذوا من هذا التأويل قاعدة هي أن العلماء لايجب عليهم نشر ما أنزل الله تعالى ودعوة الناس اليه وبيانه لهم وانما يجب على العالم أن يجيب اذا سئل عما يعلمه وزاد بعضهم اذا لم يكن هناك عالم غيره والا كان له أن يحيل على غيره وهذه القاعدة مسلمة عند أكثر المنتسبين للعلم اليوم وقبل اليوم بقرون . وقد ردها أهل العلم الصحيح فقالوا ان القرآن الكريم لم يكتف بالوعيد على الكتمان بل أمر ببيانه للناس وبالدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأوعد من يترك هذه الفريضة وذكر لهم العبر فيما حكاه عن الذين قصروا فيها من قبل كقوله تعالى « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه » الخ وقوله « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير - الى قوله فى المتفرقين عن الحق - وأولئك لهم عذاب عظيم » وقوله « لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى

ابن مريم - الى قوله فى عصيانهم الذى هو سبب لعنهم - كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه » فأخبر تعالى أنه لعن الأمة كلها لتركهم التناهي عن المنكر . نعم ان هذا فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين ولكن لايكفي فى كل قطر واحد كما قال بعض الفقهاء بل لابد أن تقوم به أمة من الناس كما قال الله لتكون لهم قوة ولنهيهم وأمرهم تأثير

وذهب بعض المأولين مذهبا آخر فقال ان هذا الوعيد مخصوص بالكافرين فترك المؤمن فريضة من الفرائض كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لايستحق به وعيد الكافرين فيلحقه بالكفار . وهذا كلام قد ألفته الاسماع، وأخذ بالتسليم واستعمل فى الافحام والاقناع ، فان الذى يسمعه على علاته يرى نفسه ملزما برمي تاركي الأمر بالمعروف والدعوة الى الخير والنهي عن المنكر بالكفر وذلك مخالف للقواعد التي وضعوها للعقائد فلا يستطيع أن يقول ذلك . ولكنه اذا عرض على الله فى الآخرة وعلى كتابه في الدنيا يظهر أنه لاقيمة له ، واذا بحثت فيه يظهر لك ان الذى يرى حرمات الله تنتهك أمام عينيه ، ودين الله يداس جهارا بين يديه ، ويرى البدع تمحو السنن ، والضلال يغشى الهدى ، ولا ينبض له عرق ولا ينفعل له وجدان ، ولا يندفع لنصرته بيد ولا بلسان ، هو هذا الذي اذا قيل له أن فلانا يريد أن يصادرك فى شيء من رزقك (كالجراية مثلا) أو يحاول أن يتقدم عليك عند الأمراء والحكام، تجيش فى صدره المراجل ، ويضطرب باله ، ويتألم قلبه ، وربما تجافى جنبه عن مضجعه ، وهجر الرقاد عينيه ، ثم انه يجد ويجتهد ويعمل الفكر في استنباط الحيل وإحكام التدبير لمدافعة ذلك الخصم أو الايقاع به ،

فهل يكون لدين الله تعالى فى قلب مثل هذا قيمة، وهل يصدق أن الايمان قد تمكن من قلبه ، والبرهان عليه قد حكم عقله ، والاذعان اليه قد ثلج صدره ؟يسهل علي من نظر في بعض كتب العقائد التى بنيت على أساس الجدل أن يجادل نفسه ويغشها بما يسليها به من الاماني التى يسميها إيمانا ولكنه لو حاسبها فناقشها الحساب ورجع الى عقله ووجدانه لعلم أنه اتخذ إلهه هواه ، وانه يعبد شهوته من دون الله ، وأن صفات المؤمنين التى سردها الكتاب سردا ،وأحصاها عدا ، - وأظهرها بذل المال والنفس فى سبيل الله،ونشر الدعوة وتأييد الحق ، - كلها بريئة منه ، وان صفات المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم كلها راسخة فيه ،فليحاسب امرؤ نفسه قبل أن يحاسب ، وليتب الى الله قبل حلول الأجل لعله يتوب عليه وهو التواب الرحيم

قال تعالى: (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) تقدم فى الآية السابقة استحقاق اللعن للكافرين بكتمان الحق واستثنى منهم الذين يتوبون ثم ذكر فى هذه الآية ومابعدها بيان أولئك اللاعنين وشرط استحقاق اللعن الأبدي الذى يلزمه الخلود في دار الهوان وهو أن يموتوا على كفرهم . فأولئك تسجل عليهم اللعنة ويخلدون فيها لاتنفعهم معها شفاعة ولا وسيلة . قال بعض المفسرين ان المراد بالناس هنا المؤمنون كأن غيرهم ليسوا من الناس وحجتهم ان حمله على ظاهره وهو العموم لا يصدق على أهل دين أولئك الكفار ومذاهبهم اذ لايلعنونهم . قال الاستاذ الامام وهو احتجاج ضعيف فان أهل مذاهبهم اذا كانوا لايلعنون الاشخاص الذين يعرفونهم منهم

فهم اذا شرحت لهم أحوالهم فى كفرهم وإصرارهم على غيهم وإعراضهم عن سعادتهم وحال الداعي الى الحق معهم وذكر لهم كيف يجاحدونه ويعاندونه فهم يلعنونهم أو يرونهم محلا للعنة ومستحقين لأشد العقوبة كأن المراد ان هؤلاء الكافرين المصرين على كفرهم الى الموت هم أهل اللعنة وموضع لها من الله ومن عالم الملائكة الروحانيين، ومن الناس أجمعين، فان الكافر من الناس اذا ذكر له الكفر وأهله وعنادهم واستكبارهم عن الحق يلعنهم ولكنه قد يخطيء فى حمل صفات الكفر على أصحابها . والنكتة فى ذكر لعنة الملائكة والناس مع ان لعنة الله وحده كافية فى خزيهم ونكالهم هي بيان أن جميع من يعلم حالهم من العوالم العلوية والسفلية يراهم محلا للعنة الله ومقته فلا يرجى ان يرأف بهم رائف، ولا أن يشفع لهم شافع، لأن اللعنة صبت عليهم باستحقاق عند جميع من يعقل ويعلم . ومن حرمه سعيه من رحمة الرؤف الرحيم فماذا يرجو من سواه؟

قال (خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) قالوا ان الخلود فى اللعنة عبارة عن الخلود فى أثرها وهو النار بقرينة «لا يخفف عنهم العذاب» ولا أذكر عن الاستاذ الامام فى هذا شيئا ولكن خطر لي أن الكلام يصح على وجه آخر توافق طريقته وهو أن اللعن بمعنى الطرد فيصح أن يكون الخلود فيه عبارة عن دوامه هو أي هم مطرودون من رحمة الله تعالى طردا أبديا لا يرجى لهم أن يسلموا منه لأن الكفر الذي استحقوه به هو غاية ما يكتسبه المرء من ظلمة الروح والجناية على الحق وتدسية النفس فمتى مات انقطع عمله وبطل كسبه فامتنع أن يجلي تلك الغمة، وينير هاتيك الظلمة ، وحرم من الرجوع الى الحق، ومن تزكية النفس، فسجل عليه دوام العذاب

لأنه نشأ عن وصف لازم له فهو دائم بدوام ذاته التي هي علته ، وامتنع أيضا أن ينظر ويمهل فيه ، لأنه لم يكن من شيء خارج عنه ، فهو الجاني والمعذب لنفسه ، فأي شي يرجو من غيره ، ؟

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة — تابع ويتبع

(الوجه الخامس والستون) قولكم قد صرح الائمة بجواز التقليد كما قال سفيان : اذا رأيت الرجل يعمل العمل وأنت ترى غيره فلا تنهه : وقال محمد بن الحسن : يجوز للعالم تقليد من هو أعلم منه ولا يجوز له تقليد مثله : وقال الشافعي في غير موضع : قلته تقليدا لعمر وقلته تقليدا لعثمان وقلته تقليدا لعطاء : جوابه من وجوه (أحدها) انكم ان ادعيتم أن جميع العلماء صرحوا بجواز التقليد فدعوى باطلة فقد ذكرنا من كلام الصحابة والتابعين وأئمة الاسلام في ذم التقليد وأهله والنهي عنه ما فيه كفاية وكانوا يسمون المقلد الامعة ومحقب دينه كما قال ابن مسعود : الامعة الذي يحقب دينه الرجال : وكانوا يسمونه الاعمى الذي لا بصيرة له ويسمون المقلدين أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل صائح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا الى ركن وثيق ، كما قال فيهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة وكما سماه الشافعي حاطب ليل ونهى عن تقليده وتقليد غيره فجزاه الله عن الاسلام خيرا لقد نصح لله ورسوله والمسلمين ودعا الى كتاب الله وسنة رسوله وأمر باتباعهما دون قوله وأمر بان تعرض أقواله عليهما فيقبل منها ما وافقهما ويرد خالفهما فنحن نناشد المقلدين هل حفظوا في ذلك وصيته وأطاعوه ، أم عصوه وخالفوه ، وإن ادعيتم ان من العلماء من جوز التقليد فكان ماذا ؟ الثاني أن هؤلاء الذين حكيتم عنهم انهم جوزوا التقليد لمن هو أعلم منهم هم من أعظم الناس رغبة عن التقليد واتباعاً للحجة ومخالفة لمن هو أعلم منهم فانتم مقرون ان أبا حنيفة أعلم من محمد بن الحسن ومن أبي يوسف وخلافهما له معروف وقد صح عن أبي يوسف انه قال : لا يحل لاحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا (الثاني) انكم منكرون أن يكون من قلدتموه من الائمة مقلدا لغيره اشد الانكار وقمتم وتقدمتم في قول الشافعي : قلته تقليداً لعمر وقلته

تقليدا لعثمان وقلته تقليد لعطاء: واضطربتم في حمل كلامه على موافقة الاجتهاد أشد الاضطراب وأدعيتم انه لم يقلد زيدا في الفرائض وانما اجتهد فوافق اجتهاده اجتهاده ووقع الخاطر على الخاطر حتى وافق اجتهاده في مسائل المعادة حتى فى الاكدرية وجاء الاجتهاد حذو القذة بالقذة فكيف نصبتموه مقلدا ههنا. ولكن هذا التناقض جاء من بركة التقليد ولو اتبعتم العلم من حيث هو واقتديتم بالدليل وجعلتم الحجة اماماً لما تناقضتم هذا التناقض وأعطيتم كل ذي حق حقه. (الثالث) ان هذا من أكبر الحجج عليكم فان الشافعي قد صرح بتقليد عمر وعثمان وعطاء مع كونه من أئمة المجتهدين وأنتم مع إقراركم بأنكم من المقلدين لاترون تقليد واحد من هؤلاء بل اذا قال الشافعي وقال عمر وعثمان وابن مسعود فضلا عن سعيد بن المسيب وعطاء والحسن تركتم تقليد هؤلاء وقلدتم الشافعي وهذا عين التناقض فخالفتموه من حيث زعمتم انكم قلدتموه فان قلدتم الشافعي فقلدوا من قلده الشافعي فان قلتم بل قلدناهم فيما قلدهم فيه الشافعي قيل لم يكن ذلك تقليدا منكم لهم بل تقليدا له والا فلو جاء عنهم خلاف قوله لم تلتفتوا الى أحد منهم. (الرابع) ان من ذكرتم من الائمة لم يقلدوا تقليدكم ولا سوّغوه البتة بل غاية مانقل عنهم من التقليد فى مسائل يسيرة لم يظفروا فيها بنص عن الله ورسوله ولم يجدوا فيها سوى قول من هو أعلم منهم فقلدوه وهـذا فعل أهل العلم وهو الواجب فان التقليد انما يباح للمضطر واما من عدل عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وعن معرفة الحق بالدليل مع تمكنه منه الى التقليد فهو كمن عدل الى الميتة مع قدرته على المذكى فان الاصل أن لايقبل قول الغير الا بدليل الا عند الضرورة فجعلتم أنتم حال الضرورة رأس أموالكم.

﴿ الوجه السادس والستون ﴾ قولكم قال الشافعي: رأي الصحابة لنا خير من رأينا لانفسنا: ونحن نقول ونصدق رأي الشافعي والائمة لنا خير من رأينا لانفسنا: جوابه من وجوه: (أحدها) انكم أول مخالف لقوله ولاترون رأيهم لكم خيرا من رأي الائمة لانفسهم بل تقولون رأي الائمة لانفسهم خير لنا من رأي الصحابة لنا فاذا جاءت الفتيا عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وسادات الصحابة وجاءت الفتيا عن الشافعي وأبي حنيفة ومالك تركتم ماجاء عن الصحابة وأخذتم ماأفتى به الائمة فهلا كان رأي الصحابة لكم

خيرا من رأى الائمة لكم لو نصحتم أنفسكم (الثاني) ان هذا لايوجب صحة تقليد من سوى الصحابة لما خصهم الله به من العلم والفهم والفضل والفقه عن الله ورسوله وشاهدوا اوحي والتلقي عن الرسول بلا واسطة ونزول الوحي بلغتهم وهى غضة محضة لم تشب ومراجعتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أشكل عليهم من القرآن والسنة حتى يجليه لهم فمن له هذه المزية بعدهم؟ ومن شاركهم في هذه المنزلة حتى يقلد كما يقلدون؟ فضلا عن وجوب تقليده وسقوط تقليدهم أو تحريمه كما صرح به غلاتهم وتالله ان بين علم الصحابة وعلم من قلدتموه من الفضل كما بينهم وبينهم وفي ذلك قال الشافعي في الرسالة القديمة بعد أن ذكرهم وذكر من تعظيمهم وفضلهم: وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا: قال الشافعي: وقد أثنى الله على الصحابة في القرآن والتوراة والانجيل وسبق لهم من الفضل على لسان نبيهم ماليس لاحد بعدهم وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لاتسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحُدٍ ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وقال ابن مسعود: ان الله نظر في قلوب عباده فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ثم نظر في قلوب الناس بعده فرأى قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبته وجعلهم أنصار ووزراء نبيه فما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه قبيحا فهو عند الله قبيح:

وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باتباع سنة خلفائه الراشدين وبالاقتداء بالخليفتين . وقال أبو سعيد : كان أبو بكر أعلمنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود بالعلم ، ودعا لابن عباس بأن يفقهه الله في الدين ، ويعلمه التأويل ، وضمه اليه مرة وقال : « اللهم علمه الحكمة » وناول عمر في المنام القدح الذي شرب منه حتى رأى الري يخرج من تحت أظفاره وأوله بالعلم وأخبر أن القوم ان أطاعوا أبا بكر وعمر يرشدوا . وأخبر لو كان بعده نبي لكان عمر. وأخبر ان الله جعل الحق على لسانه وقلبه. وقال : « رضيت لكم مارضي لكم ابن

أم عبد » ـ يعني عبدالله بن مسعود ـ وفضائلهم ومناقبهم وماخصهم الله به من العلم والفضل أكثر من أن يذكر فهل يستوي تقليد هؤلاء وتقليد من بعدهم ممن لايدانيهم ولايقاربهم؟ (الثالث) إنه لم يختلف المسلمون أنه ليس قول من قلدتموه حجة وأكثر العلماء بل الذي نص عليه من قلدتموه أن أقوال الصحابة حجة يجب اتباعها ويحرم الخروج منها كما سيأتي حكاية ألفاظ الائمة في ذلك وأبلغهم فيه الشافعي ونبين أنه لم يختلف مذهبه : أن قول الصحابي حجة : ونذكر نصوصه فى الجديد على ذلك ان شاء الله وان من حكى عنه قولين فى ذلك فانما حكى ذلك بلازم قوله لا بصريحه واذا كان قول الصحابي حجة فقبول قول حجة واجب متعين وقبول قول من سواه أحسن أحواله أن يكون سائغا فقياس أحد القائلين على الآخر من أفسد القياس وأبطله .

﴿ الوجه السابع والستون ﴾ قولكم : وقد جعل الله سبحانه فى فطر العباد تقليد المتعلمين للمعلمين والاستاذين فى جميع الصنائع والعلوم إلى آخره : فجوابه إن هذا حق لاينكره عاقل ولكن كيف يستلزم ذلك صحة التقليد فى دين الله وقبول قول المتبوع بغير حجة توجب قبول قوله وتقديم قوله على قول من هو أعلم منه وترك الحجة لقوله وترك أقوال أهل العلم جميعا من السلف والخلف لقوله : فهل جعل الله ذلك فى فطرة أحد من العالمين ؟ ثم يقال بل الذي فطر الله عليه عباده طلب الحجة والدليل المثبت لقول المدعي فذكر الله سبحانه فى فطر الناس انهم لايقبلون قول من لم يقم الدليل على صحة قوله ولأجل ذلك أقام الله سبحانه البراهين القاطعة، والحجج الساطعة ، والأدلة الظاهرة ، والآيات الباهرة ، على صدق رسله اقامة للحجة، وقطعا للمعذرة ، هذا وهم أصدق خلقه وأعلمهم ، وأبرهم وأكملهم، فأتوا بالآيات والحجج والبراهين مع اعتراف أممهم لهم بأنهم اصدق الناس . فكيف يقبل قول من عداهم بغير حجة توجب قبول قوله . والله تعالى إنما أوجب قبول قولهم بعد قيام الحجة ، وظهور الآيات المستلزمة لصحة دعواهم ، لما جعل في فطر عباده من الانقياد للحجة وقبول صاحبها وهذا أمر مشترك بين جميع أهل الارض مؤمنهم وكافرهم ، وبرهم وفاجرهم ، الانقياد للحجة وتعظيم صاحبها وإن خالفوه عنادا وبغيا فلفوات أغراضهم بالانقياد ولقد أحسن القائل :

أين وجه قول الحق في قلب سامع * ودعه فنور الحق يسري ويشرق
سيؤنسه رشداً وينسى نفاره * كما نسي التوثيق من هو مطلق
ففطرة الله وشرعه من أكبر الحجج على فرقة التقليد .

(الوجه الثامن والستون) قولكم : ان الله سبحانه فاوت بين ذوي الاذهان ، كما فاوت بين قوى الابدان ، فلا يليق بحكمته وعدله ان يفرض على كل أحد معرفة الحق بدليله في كل مسئلة إلى آخره : فنحن لا ننكر ذلك ولا ندعي ان الله فرض على جميع خلقه معرفة الحق بدليله في كل مسئلة من مسائل الدين دقه وجله وانما أنكرنا ما أنكره الائمة ومن تقدمهم من الصحابة والتابعين وما حدث في الاسلام بعد انقضاء القرون الفاضلة في القرن الرابع المذموم على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نصب رجل واحد وجعل فتاويه بمنزلة نصوص الشارع بل يقدمها عليه ويقدم قوله على أقوال من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جميع أمته والاكتفاء بتقليده عن تلقي الاحكام من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة وان يضم الى ذلك انه لا يقول الا بما في كتاب الله وسنة رسوله ، وهذا مع تضمنه للشهادة بما لا يعلم الشاهد والقول بلا علم والاخبار عمن خالفه وإن كان أعلم منه أنه غير مصيب للكتاب والسنة ومتبوعي هو المصيب أو يقول كلاهما مصيب للكتاب والسنة وقد تعارضت أقوالهما فيجعل أدلة الكتاب والسنة متعارضة متناقضة والله ورسوله يحكم بالشيء وضده في وقت واحد ودينه تبع لآراء الرجال وليس له في نفس الامر حكم معين فهو اما ان يسلك هذا المسلك أو يخطيء من خالف متبوعه ولابد له من واحد من الامرين وهذا من بركة التقليد عليه اذا عرف هذا فنحن انما قلنا ونقول : إن الله تعالى أوجب على العباد ان يتقوه بحسب استطاعتهم وأصل التقوى معرفة ما يتقى ثم العمل به فالواجب على كل عبد ان يبذل جهده في معرفة ما يتقيه مما أمره الله به ونهاه عنه ثم يلتزم طاعة الله ورسوله وما خفي عليه فهو فيه أسوة أمثاله ممن عدا الرسول فكل أحد سواه قد خفي عليه بعض ماجاء به ولم يخرجه ذلك عن كونه من أهل العلم ولم يكلفه الله مالا يطيق من معرفة الحق واتباعه . قال أبو عمرو : ليس أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا وقد خفي عليه بعض أمره فاذا أوجب الله

سبحانه على كل أحد ما استطاعه وبلغته قواه من معرفة الحق وعذره فيما خفي عليه منه فأخطاه أو قلد فيه غيره كان ذلك هو مقتضى حكمته وعدله ورحمته بخلاف مالو فرض على العباد تقليد من شاؤا من العلماء وأن يختار كل منهم رجلا ينصبه معيارا على وحيه ويعرض عن أخذ الاحكام واقتباسها من مشكاة الوحي فان هذا ينافي حكمته ورحمته واحسانه ويؤدى الى ضياع دينه ، وهجر كتابه وسنة رسوله كما وقع فيه من وقع وبالله التوفيق . (لها بقيه)

باب السؤال والفتوى

فتحناهذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ التوارث مع اختلاف الدين ﴾

(س٢٣) أحمد أفندي صبحي في (أشمون) : ماهو حكم شريعتنا الغراء فى شخص كان مسيحيا فأسلم ثم توفي والده فهل يرثه أم لا

(ج) انه لاتوارث مع اختلاف الدين ومن المسلمين من يمتعض لمثل حادثة السؤال ولكنهم اذا تنبهوا الى ان هذه المسألة من المعاملات التي تحكم فيها الشريعة العادلة بالمساواة ولاحظوا انه لايرضيهم ان يرث الولد اذا تنصر اوتهود مثلا من أبيه المسلم يظهر لهم أنه يجب عليهم أن يرضوا بالعكس ويفتخروا بشريعة المساواة والعدل

﴿ خلود الكافر فى النار ﴾

(س٢٤) محمد أفندي حلمي كاتب سجون (حلفا) : هل حقيقة ان الكافر والنصراني يخلدون في النار أم كيف ؟اه بنصه

(ج) نطق القرآن العزيز بأن الكافرين والمنافقين يخلدون فى النار وأكد هذا فى آيات وجاء فى غيرها استثناء « الا ماشاء ربك » فأولوه بعدة وجوه كما أولوا اطلاق الخلود فى جزاء القتل فى قوله تعالى « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالد فيها » الآية . وقالوا ان المراد بالخلود طول المكث واستقر رأي المتكلمين على أن من بلغته دعوة

نبينا صلى الله عليه وسلم على وجه صحيح يحرك الى النظر فلم يؤمن عناداً للحق أو جموداً على تقليد آبائه وقومه فهو خالد في الدار التي أعدها الله تعالى للكافرين والمجرمين وأشهر أسمائها (النار) وان لم تكن كلها ناراً بل فيها برد وزمهرير كما ورد. واستثنوا من هذا الحكم من بلغته الدعوة فنظر فيها وبحث بجد واخلاص فلم يظهر له الحق ومات على ذلك غير مقصر في النظر فقالوا انه يعذر عند الله تعالى لانه «لا يكلف الله نفساً الا وسعها»

إرم ذات العماد

(س ٢٥) ومنه: ماهو تفسير «إرم ذات العماد»

(ج) إرم في الآية عطف بيان لقوله (عاد) أو بدل منه في وجه والمعنى عاد التي هي إرم أي عاد الأولى وهي قبيلة عربية وفيها بعث الله هوداً عليه السلام ولهم في وصفها بذات العماد أقوال منها ماروي عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالعماد القدود الطوال وينقل ان طولهم كان يبلغ اثنى عشر ذراعاً ولعله مبالغة. وفي رواية أخرى عن ابن عباس ان المراد بذات العماد ذات الخيام التي تقام على الاعمدة وكانوا أهل بادية وحل وترحال وهذا هو المتبادر. وقيل ذات العماد ذات الرفعة على الاستعارة وهو بعيد. وما في كتب القصص وبعض كتب التفسير من ان إرم مدينة صفتها كيت وكيت فهو من خرافات القصاصين.

احياء النبي للموتى

(س٢٦) ومنه: موضح في الجزء الخامس من مجلة المنار (ص١٨٩ س١٧) ان سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام أحيا ابن جابر ولم أجد ما يثبت لي ذلك فأرجو تفصيل هذه العبارة

(ج) يريد السائل الجزء الخامس من المجلد السادس والعبارة هناك خطأ والصواب (شاة جابر) والحديث أخرجه أبو نعيم وفيه انه صلى الله عليه وسلم أحيا الشاة بعد ماطبخت وأكلت والحديث ضعيف وانما ذكرناه هناك على سبيل التمثيل. وأخرج البيهقي في الدلائل أن رجلاً جاء النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي وفيه انه جاء قبرها وسألها هل تحب الرجوع الى الدنيا فأجابته الخ وهو كسابقه

لا يصح له سند ، على أن نقل هذه المعجزات هو أقوى مما ينقل أهل الكتاب وغيرهم عن أنبيائهم اذ لأسانيد لهم يعرف تاريخ رجالها فيقال هذا سند صحيح أو ضعيف

الحكمة فى اختلاف الناس فى الدين

(س٢٧) حسين أفندي الجمل معاون البريد فى (بورسعيد) : ما الحكمة في خلق العالم مؤمنين وكفارا ولم لم يكونوا كلهم مؤمنين

(ج) لم يخلق الله كافرا قط بل كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما ورد فى الحديث . خلق الله تعالى هذا الانسان وأعطاه المشاعر والعقل، وجعله مستعدا لمعرفة الخير والشر، والحق والباطل، بنظره واستدلاله، ليجازى على كسبه وعمله، ويكون هو سبب سعادة نفسه أو شقائها. ولو خلقه لا كسب له ولا ارادة ولا اختيار لكان اما ملكا روحانيا أو حيوانا أعجما لا مؤمنا ولا كافرا فمن يريد ان يكون نوع الانسان على غير ماهو عليه فهو يريد في الحقيقة عدم هذا النوع بالمرة

﴿ إثبات استدارة الارض ودورانها من القرآن ﴾

(س ٢٨) ومنه : هل في القرآن الشريف مايؤيد قول القائلين باستدارة الارض ودورانها حول الشمس

(ج) نعم انهم يؤيدون هذه الدعوى بمثل قوله تعالى « يكوّرُ الليل على النهار ويكوّرُ النهار على الليل» فان هذا يكاد يكون نصا صريحا في كروية الارض إذ به يتصور التفاف النور والظلام عليها وما أحسن هذا التعبير وألطفه . ومثله قوله تعالى « يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا » وهذا ظاهر في الدلالة على كروية الارض ايضا ورأيت مختار باشا الغازي — وهو من تعرف في البراعة بالعلوم الفلكية — يقول ان هذا دليل قطعي على الكروية وعلى دوران الارض معا اذ لا يستقيم المعنى بدونهما . على انه ليس من مقاصد الدين بيان حقائق المخلوقات وكيفياتها وانما يذكر ذلك في القرآن للعبرة والاستدلال على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته

اما كون حدوث الليل والنهار بسبب حركة الارض فلا نعرف فيه نصا صريحا فى القرآن ولكن يمكن ان يستنبط منه استنباطا وفى كتاب (صفوة الاعتبار) للشيخ محمد بيرم الخامس التونسي فصل في هذا الموضوع تكلم فيه أولا على اثبات كروية الارض

بكلام الحكماء والفقهاء والصوفية والاستدلال عليه ببعض الآيات القرآنية ثم ذكر خلاف الحكماء فى سبب الليل والنهار هل هو حركة الارض على محورها تحت الشمس أم حركة الشمس بفلكها حول الارض وأن الثاني هو الذي كان مرجحا عند المتقدمين ومنهم المسلمون ثم قال مانصه

« ثم أحي المذهب الأول وتأكد الآن عند علماء العصر بهذا الفن وأنكره المتسبون للاسلم من المسلمين ظنا منهم أن المذهب الاول من عقائد الاسلام وان المذهب الآخر مصادم للنصوص والحق أن ليس شيء من هذا ولا من ذلك هو مما يجب اعتقاده عندنا وانما المدار عندنا على الاعتبار بالآثار المشاهدة من الليل والنهار واشباه ذلك واثبات جريان للشمس وأما كيفيته فلا تعلق لها بالعقائد وسير الشمس ثابت على كلا المذهبين لان المتأخرين يثبتون لها حركة رحوية على نفسها وحركة ثانية على منطقة لها أيضا ثم حركة ثالثة لها مع جميع مايتبعها من الكواكب حول شيء مجهول كما أن هذه الدورة مجهولة المستقر أيضا وكأنها المشار اليها بقوله تعالى « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » وذلك أن المستقر أتى بلفظه منكراً للابهام فيفيد انه غير معلوم للخلق ولهذا أتي به مضافا الى الشمس باللام فكان منكرا ولم يقل مستقرها بالإضافة المفيدة للتعريف لأن ذلك المستقر غير معروف وعلماء هذا الفن الآن من غير المسلمين مقرون بذلك فهو حينئذ دليل اجماعي بيننا وبينهم

« ثم ان كون حدوث الليل والنهار هو من آثار دوران الارض ربما كانت آيات عزيزة تشير اليه فمنها الآية المتقدمة (يعني قوله تعالى « وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ») فانه تعالى بعد أن ذكر الدلائل على وجوده من السماء (أي بقوله قبل هذه الآية « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وسخر الشمس » الخ) ذكر الدلائل الارضية وخرط فيها الليل والنهار فيشير ذلك الى انهما من آثار الارض لان وجودها وان كان يستلزم الشمس والارض معا لكن تخصيصه بالانخراط فى الدلائل الأرضية يدل على تعلق خاص وهو كون دورانها هو السبب على أن منطوق الآية فيه تدعيم لهذا حيث قال « يغشي الليل النهار » فجعل الليل

الذي هو ظلمة الارض يغشى به النهار الذي هو ضوء الشمس ففيه تلميح الى أن الارض هي التي تحدث ذلك بفعل الله

« ومن الآيات المشيرة الى ذلك أيضا قوله تعالى « والشمس وضحاها* والقمر اذا تلاها * والنهار اذا جلاّها* والليل اذا يغشيها* » فجعل النهار الذي هو مقابلة وجه الارض للشمس مجليا لها . والليل الذى هو الظلمة الاصلية للارض مغشيا لها (كان ينبغي ان يقول غاشيا لها) فأسند فاعلية ذلك لغير الشمس بل لفاعل آخر وهو الليل والنهار الذي هو من آثار الارض . واذا كان هذا ثابتا فما يدل من الآيات على طلوع الشمس وغروبها وغير ذلك يمكن تأويله باعتبار الابصار والعرف الجاري في اللسان » اه وهو حسن وأنت ترى الذين يعتقدون بأن الارض تدور على محورها فيكون الليل والنهار من ذلك يقولون طلعت الشمس وغربت ويقولون: غطست فى البحر ، وبينها وبين البحر مقدار كذا :

مطالعة كتب الملل غير الاسلامية

(س ٢٩) م ٠ خ ٠ فى (تونس): ماهو حكم الله فيمن يطالع الكتب السماوية الاخرى مثل التوراة بقصد الاحاطة خبرا بما جاء فى غير شريعتنا وهل كان النهي عن قراءتها عاما ؟ اذا سلمنا ذلك تكون الشعوب غير الاسلامية ممتازة على المسلمين بعدم منع أنفسهم إجالة النظر في القرآن الشريف فيستفيدون مما جاء فيه من الآيات البينات ويحتجون به علينا به عند اللزوم ونحن لا نقدر ان نقابلهم بالمثل لأن كتبهم مغلقة في وجوهنا . أفيدونا بما علمكم الله من العلم ولكم أجران أجر المفيد وأجر المصيب

(ج) الامور بمقاصدها فمن يطالع كتب الملل بقصد الاستعانة على تأييد الحق ورد شبهات المعترضين ونحوه وهو مستعد لذلك فهو عابد لله تعالى بهذه المطالعة واذا احتيج الى ذلك كان فرضا لازما وما زال علماء الاسلام في القديم والحديث يطلعون على كتب الملل ومقالاتهم ويردون عليهم بما يستخرجونه منها من الدلائل الالزامية وناهيك بمثل ابن حزم وابن تيمية فى الغابرين ورحمة الله الهندي صاحب اظهار الحق فى المتأخرين . أرأيت لو لم يقرأ هذا الرجل كتب اليهود والنصارى هل كان يقدر على ماقدر عليه من إلزامهم وقهرهم في المناظرة ومن تأليف كتابه الذي أحبط اعمال

دعاتهم في الهند بل وغير الهند . أرأيت لو لم يفعل ذلك هو ولا غيره اما كان يأثم هو وجميع اهل العلم وهم يرون عوام المسلمين تأخذهم الشبهات من كل ناحية ولا يدفعونها عنهم ؟

نعم انه ينبغي منع التلامذة والعوام من قراءة هذه الكتب لئلا تشوش عليهم عقائدهم وأحكام دينهم فيكونوا كالغراب الذي حاول ان يتعلم مشية الطاووس فنسي مشيته ولم يتعلم مشية الحجل

﴿ إخبار الانسان بعمره ﴾

(س ٣٠) ومنه : رأيت ببعض الكتب المعتمدة ان الشيخ محمد بن أبي بكر بن الحاج قاضي غرناطة سئل عن عمره فلم يجب قائلا انه ليس من المروءة ان يخبر الرجل بسنه كذا قال الامام مالك اه فلم أهتد لفائدة هذا الحظر الذي نسبه لامام دار الهجرة لأنه يظهر بادئ بدء أن هذا القول مخالف لما هو مسطر بكتب تراجم الرجال حيث نجد فيها أعمار الاعيان المترجم لهم ولا شك ان ذلك سرى للمؤلفين بأحد وجهين اما بالتواتر والنقل عن أولئك الاعيان أنفسهم واما بالوقوف على تقييدات وقع العثور عليها بعد وفياتهم فاذا سلمنا ان مانسب للامام مالك صحيح الرواية فلا يمكن تأويله الا بانه ليس من المروءة ان يقوم الانسان خطيبا بين الناس مجاهرا بعمره من دون ان يسئل عن ذلك لان صنيعه والحالة تلك يعد ضربا من الهذيان ولم يطالبه أحد بالتعريف بعمره . وأما اذا عكسنا النازلة وفرضنا ان الرجل يسأله سائل عن سنه سيما اذا كان ذلك لمصلحة مثل اشهار فضله وتعريف الناس به فلا شبهة في ان النص المعزو لسيدنا مالك بن أنس لاينطبق على هاته الحال ولا يقال انه غير صاحب مروءة اذا أجاب سائله عن سؤاله وأنت ترى أن تسجيل الاعمار بالبلاد الافرنجية ضربة لازب على الذكر والانثى وان مشاهير رجالهم معروفة أعمارهم ومرسومة تحت كل ورقة ولم يضرهم ذلك شيئا ولم يخس أحد ثمن مروءتهم فما معنى هذا الحظار علينا حتى في الجزئيات التي لاعلاقة لها بالدين مثل هاته أفتونا بما علمكم الله من العلم لازلتم محط رحال المستفيدين.

(ج) إن المسألة ليست من أمر الدين في شيء واذا صحت الرواية عن الامام مالك

فهو لايقصد بها الحظر الشرعي بمعنى انه يقول ان اخبار الانسان بعمره محرم أومكروه شرعا ، كلا انها مسألة أدبية وكانوا لايرون من الادب ولا من الذوق ان يسئل الانسان عن عمره أو عن ماله أوأن يخبر هو بذلك بغير سبب كما هو مذكور في كتب الادب والمحاضرة ولا يزال كثير من الناس لاسيما الشيوخ في البلاد الاسلامية على هذا الرأي أوالذوق ويختلف سببه باختلاف الاشخاص ولعل الشيوخ يحبون ان يكونوا دائما على مقربة من عصر الشباب وقلما يوجد شاب يحب ان يظن ان سنه أكثر مما هي في الواقع الا اذا توهم أن في ذلك نقصا من مهابته كأن يكون ذا منصب أصابه فى سن الصباويرى ان الناس لوعلموا بسنه لاستكثروه عليه كما جرى للقاضي يحيي ابن أكثم فقد نقل ابن خلكان عن تاريخ بغداد للخطيب ان يحيي ابن أكثم ولي قضاء البصرة وسنه عشرون سنة أونحوها فاستصغره أهل البصرة فقالوا كم سنّ القاضي فعلم أنه قد استصغر فقال: أنا أكبر من عتاب ابن أسيد الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ ابن جبل الذي وجـه به النبي (ص) قاضيا على اليمن وأنا أكبر من كعب بن سوز الذي وجه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيا على أهل البصرة : فجعل جوابه احتجاجا .

وجملة القول انهم كانوا لايستحسنون ان يسئل المرء عن عمره أوماله أويخبر هو به وماكانوا يقولون ذلك الا لحاجة وان الاحساس الذى كان عند الشيوخ فيما يظن هوان ذكر السنّ يستلزم تذكر الموت وقرب الرحيل واما إحساس الشبان فهو ماذكرناه آنفا من توهم الاستصغار . وهذا هو السبب في الاختلاف في تحديد أعمار أكثر العلماء والعظماء وعدم الجزم بتاريخ مواليدهم وبناء تاريخهم على وفياتهم

فان قيل ان الكاملين من الأئمة والفضلاء يجلون عن كتمان أعمارهم لمثل هذا الاحساس: نقول نعم ولـكنهم يجارون من يعاشرون على مايستحسنون ويستقبحون مالم يخل بالمصلحة كما قلتم لانه من آداب المعاشرة العامة والمروءة تختلف باختلاف عرف الناس ، ألاترى أن أكثر أهل المشرق يرون كشف الرأس فى المحافل مخلا بالمروءة ويرى عكس ذلك الافرنج ومن قلدهم في آدابهم

﴿علامات الاستفهام والتعجب وغيرهما فى الكتابة العربية﴾

(س٣١) ومنه : حصل لي توقف عند قراءة المنار الثاني من هـذه السنة من

استعمال طابعه أو مصححه للعلامات الاصلاحية عند الافرنج من نقطة الاستفهام ونقطة التعجب وعلامة العطف الخ مع كون اللغة العربية غنية عن ذلك وبالأخص منها القرآن المجيد الذي هو في أعلى درجات البيان كما لايخفى وتراكيبها تؤدي معنى الاستفهام والتعجب وكل مايخيله الفكر وينطق به اللسان وأنكرت ذلك سيما وانه لم يسبق له سابق بهذه المجلة البديعة فما الباعث على ذلك نرجو الافادة ، وان كانت بالجواز واعتبار تلك العلامات مثل علامات الرفع والنصب والخفض والسكون المصطلح عليها عندنا فليكن الجواب بالبسط حتى يزول ماوقع فى النفس . وفى هذا المقام نقول : اني لم أفاتح أحدا فى شأن هذا التوقف الذي حصل والذي لاينبغي ان يفهم منه الاعتراض بل مجرد الاسترشاد :

(ج) قد عني المسلمون بكتابة القرآن عناية عظيمة فلم يكتفوا بوضع النقط في منتهى آياته حتى زادوا على ذلك علامات الوقف والابتداء وجعلوا ذلك على أقسام - الوقف التام والمطلق والجائز والممنوع الا لضرورة ضيق النفس. ووضعوا لهذه الاقسام حروفا تدل عليها كالميم والطاء والجيم و(لا) يكتبونها صغيرة فى موضع الوقف. وكان لقائل أن يقول ان الله جعل القرآن سورا وجعل السورة آيات وجعل للآيات فواصل تعرف بها فهو غني عن هذه المحسنات ولكنهم لم يقولوا ذلك بل أجمعوا على استحسان هذا التحسين فى الكتابة الذي ينبه الى المعاني المفهومة بذاتها لأهل اللغة لانها فى أعلى درج البيان. ولو وضعوا يومئذ علامات أخرى لمقول القول يعرف بها متى يبتدئ وأين ينتهي وللاستفهام والتعجب لكانوا لها أشد استحسانا فيما نظن لأن اعانتها على الفهم ليست دون اعانة علامات الوقف فكثيرا مايأتي القول المحكي في القرآن من غير ان يتقدمه: قال وقالوا: وكثيرا مايشتبه على غير العالم النحرير انتهاء القول المحكي كما ترى المفسرين يختلفون فى بعض الآيات هل هي من القول المحكي أم ابتداء كلام جديد. وكذلك يجيء الاستفهام أحيانا مع حذف أداته وكذلك التعجب، والاستفهام أنواع منه الحقيقي ومنه الانكاري والتعجبي والتوبيخي فلو وضع لكل نوع منها علامة لكان ذلك معينا على الفهم بسهولة ولتقبله علماء السلف بأحسن قبول. ولكن علماءنا لم يخطر ببالهم هذا أيام يقدر كل تحسين وكل اصلاح قدره لعدم الحاجة اليه كهذا الزمان

ثم أنهم لم يستعملوا المحسنات التي وضعوها لكتابة القرآن في غيره مما لايدانيه في بيانه وسهولته وكان ينبغي تعميم هذه الاصلاح بأن توضع نقط في اواخر الجمل التامة وعلامات وقف حيث يحسن الوقف في اثناء الكلام ولوفعلوا ذلك لكان فيه ترغيب فى قراءة الكتب واعانة على الفهم بل افسد المتأخرون ماوضعه المتقدمون من الفصول في الكلام اقتداء بسور القرآن ومعنى هذا الفصل ان يكون فارقا بين الكلامين ببياض فى الطرس يبدأ بعده بالكلام الجديد ولعلهم ظنوا ان لفظ الفصل هو المقصود فصاروا يكتبونه فى وسط السطر ويبقى الكلام به متصلا في الكتابة بحيث لايرى الناظر فى الصحف الاسوادا في سواد وذلك مما ينفر عن القراءة اويقلل من النشاط فيها ولذلك لم يكتف علماؤنا بكون القرآن مقسما الى سور حتى قسموه الى أجزاء وقسموا كل جزء الى أحزاب وأرباع وجعل بعضهم لكل عشر آيات علامة والغرض من هذا كله التنشيط على القراءة . فعلمنا من هذا ان كل مايعين في الكتابة على فهم المعنى فهو حسن ومنها علامات الاستفهام والتعجب التي سبقنا اليها الافرنج فهم يضعونها وان كان فى الكلام مايدل على المقصود بدونها كما ترى في اللغة الانكليزية فان صيغة الخبر عندهم مخالفة لصيغة الاستفهام وهم يضعون للاستفهام علامة مع هذا. ومافى المنار من هذه العلامات هو من وضع منشئه فهو المحرر والمصحح وليس لغيره فى المنار عمل الا ما كان من قول نسب الى قائله بالتصريح أو الاشارة .وليس هذا جديدا فيه وانما تنبه اليه السائل في الجزء الذي ذكره ولو راجع المجلدات الماضية لوجد هذه العلامات وعلامات القول والحكاية(: « »)وغير ذلك فيها ولكنها لم تلتزم التزاما في كل جملة . وهو يراها من المحسنات لاسيما حيث يكون في الكلام مايقضي التعجب من جهة المعنى وليس فيه صيغة التعجب وحيث تكون الجملة أو الجمل المبدوءة بأداة الاستفهام طويلة يتوقع أن ينسى بعض القراء في نهايتها ان القول كله موضع للاستفهام ، وهو لم ير مانعا من استعمال هذا التحسين لادينيا ولا غير ديني.واما هذه العلامة (،) فنستعملها للسجع ومايشبهه من الفصل بين الجمل قبل تمام المعنى

العمر الطبيعي

(س٣٢) ومنه : أرجو الافادة على صفحات المنار أيضا عن عمر الانسان الطبيعي

وهل يصح ان نعتقد مثلا ان سلمان الفارسي عاش ٣٥٠ سنة فضلا عن كون بعض اصحاب الطبقات يزعم أنه عاش اكثر من ذلك وبعضهم نقل انه ادرك المسيح فان هذه المسألة هي مدار كلام اهل الأدب عندنا اليوم

(ج) ان ماذكرتموه عن عمر سلمان (رض) لم ينقل بسند صحيح على سبيل الجزم وانما قالوا انه « توفي سنة خمس وثلاثين في آخر خلافة عثمان وقيل اول سنة ست وثلاثين وقيل توفي في خلافة عمر والأول اكثر . قال العباس بن يزيد قال اهل العلم عاش سلمان ٣٥٠ سنة فأما ٢٥٠ فلا يشكون فيه . قال ابو نعيم كان سلمان من المعمرين يقال انه ادرك عيسى ابن مريم وقرأ الكتابين » اه من (اسد الغابة) فانت ترى ان الرواية الاولى الاولى مشكوك فيها فما بالك بالاخيرة المحكية بيقال وهي أنه ادرك المسيح . وعباس بن يزيد قال الدارقطني تكلموا فيـه فقوله لايؤخـذ على غرة على انه يجوز ان يعيش الانسان ٢٥٠ سنة ولا يوجد دليل علمي يحدد العمر الذي يمكن ان يعيشه الانسان بحيث نقطع انه يسـتحيل اكثر من ذلك . وقـد نشر في المقتطف الذى صدر في صفر سنة ١٣١١ مانصه :

﴿ إطالة العمر ﴾

« بحث احد العلماء في سبب الشيخوخة فاستنتج انه اذا امتنع الانسان عن الاطعمة التي تكثر فيها المواد الترابية واكثر من أكل الفاكهة ذات العصار الكثير وشرب كل يوم ثلاثة اكواب من الماء القراح في كل منها عشر نقط من الحامض الفصفوريك المخفف لتذيب مايرسب في عضلاته من أملاح الكلس (الجـير) طال عمره كثيرا وقد يعمر حينئذ مئتي عام » اه

فانت ترى ان علماء العصر يجوزون ان يعيش الانسان مئتي سنة بالتدبير الصحي وحسن المعيشة من غير أن تكون بنيته قد امتازت بقوة زائدة على المعتاد وهم لاينكرون ان بعض الناس يخلقون أحيانا ممتعين بقوى خارقة للعادة وهؤلاء يكونون مستعدين لعمر أطول اذا لم يفاجئهم القدر بما يقطع مدد الاستعداد . اما العمر الطبيعي للانسان الذي يرى الاطباء انه خلق ليعيشه لولا مايجنيه على نفسه بالافراط والتفريط فهو مئة سنة وذلك بالقياس على سائر الحيوانات اذ ثبت لهم بالاستقراء ان الحيوان يعيش ثلاثة

أمثال الزمن الذي يتم نموه فيه . ولكن لايكاد يخلو قطر من الاقطار فى عصر من الأعصار عن بعض الناس الذين يتجاوزون المئة وقد ذكر بعض علماء أوربا فى كتاب له اشخاصا بلغوا نحو ١٧٠ سنة . أما نوح عليه السلام ، فالراجح انه كان في عصر كانت فيه طبيعة الارض وبنية الانسان ، على غيرماهي عليه الآن، ثم تغيرت بالطوفان، وذهب بعض أهل الكتاب الى أن سنيهم لم تكن كسنينا بل كانوا يسمون الفصل سنة وحكت الكتب السماوية خبرهم على اصطلاحهم، وهو يحتاج الى نقل وتاريخ ذلك العصر مجهول بالمرة فلايعرف عنه شيء الابالوحي ومايفيده العلم الحديث من اختلاف أطوار الأرض واختلاف حال الاحياء بحسب ذلك فلا نقيس طبيعتها الحديثة وهي مابعد الطوفان على طبيعتها قبل ذلك

وجملة القول: ان الذي قالوه عن اعتقاد فى عمر سلمان رضي الله عنه هو انه ٢٥٠ سنة ولكن الرواية فيه ليست بحيث يجزم بها ولايوجد دليل علمي يحمل على الجزم بكذبها فهي محتملة الصدق وغيرها ظاهر الكذب لاسيما القول بكونه أدرك المسيح اذ لو كان كذلك لحدّث عنه وتوفرت الدواعي على نقله عنه ولم ينقل الاماينافيه وهو أنه أخذ النصرانية قبيل الاسلام عن بعض القسوس (راجع قصته فى آخر المجلد الرابع من المنار)

﴿ الصفا والمروة ــ تطهير المسعى ﴾

(س٣٣) السيد علي الامين الحسيني من علماء سوريا: لدى تشرّفي بالحج الى بيت الله الحرام في سنة عشرين من المائة الرابعة بعد الألف من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم كان أكبرهمي وقت السعي بين الصفا والمروة التحفظ من القذرات الملوّنة لكل ساع هناك مماألقاه اهل الدكاكين والاسواق المكتنفة بهذا المشعر الشريف ومما يعرض عليه من دواب القوافل والمستطرقين فضلا عن الغبار الذي يثور من الارض التى لم يجعل لها امتياز في التنظيف والرصف عن سائر الازقة كما هو حقها ومن المشقات التى تعرض هناك مدافعة القوافل للساعين والاختلاط بهم الموجب لايذائهم والخلل بأعمالهم وهيئتهم الشاغل لهم عن توجه القلب واستشعار الرقة والخشوع فى هذا المشعر فكدت أقضي العجب من قلة الالتفات لهذا الامر وعدم الاهتمام فيه ولم أتحقق المانع من التحجير بين الفريقين بالفولاذ اوالحديد وفرش المسعى بالرخام بل والبسط الفاخرة

ودفع هذه المشقة عن المتطوفين كما يصنع بالمساجد المشرفة والمشاهد المعظمة او ليس من ذلك تعظيم شعائر الله وهل هناك سر لعدم التفات أهل الثروة من مسلمي الآفاق الذين لم يخل منهم عام لذلك وعدم تصديهم له فان لاح لكم شيء خال عن النقض وافدتمونا يكن لكم الفخر والأجر والافان نشرتم شيئا نافعا بذلك فهو المعهود من سجاياكم ومساعيكم النافعة فى الدين ولازلتم مرجعاً للمسلمين آمين آمين

(ج) حسبنا أن ننشر هذا التنبيه الذي ورد في صورة السؤال لعل بعض أهل الغيرة يسعى فى تنظيف ذلك المكان وتطهيره وتسهيل القيام بشعيرة السعي في ذلك الموضع الذي شرف الله قدره بذكره من كتابه المجيد. واننا لا نعرف سبب اهمال العناية به ولم نره فنبدي رأينا فيما ينبغي عمله تفصيلا فنسأل الله أن يمن علينا بذلك

القسم العمومي

﴿ هذا أوان العبر ﴾

﴿ فهل نحن أحياء فنعتبر ﴾

أنّ كلّ ما يحيط بنا من أحوال الأمم، وأعمال البشر وآثار العقول، وثمار العلم والعدل، ونتائج الجهل، وفضائح الظلم، آيات للعبر، وبينات لا تحتاج في الحكم الى كثير نظر، يلمسها الاعمى بيده، ويراها البصير حتى فى نفسه وبيته وبلده وجواره، فالمرء فى هذا العصر حيثما كان وأنّى التفت وأينما اتجه يرى من آثار العبر مايتعظ به العاقل، ويتنبه الغافل، أفليس من العجب ان يكون المسلمون فاقدي الشعور بهذا المحيط غافلين عن تلك العبر يتعسفون في أخريات الامم، تعسف الخابط في ظلام الجهالة مع وضوح الطريق ووفور أسباب السلامة والاهتداء

ربما كان يقوم لهم العذر يوم اذ كانت الارض متنائية الاطراف. متباعدة الاقطار. تنشأ في قطر منها دولة وتدول أخرى فلا يسمع أهل قطر آخر بما كان فيه وماصار اليه الا بما ينقله السفار بعد سنين عاريا عن الحقيقة بعيدا عن وجوه العبر. فما عذرهم فى هذا العصر وقد تضامت أطراف الارض بقوة البخار، واتصلت أقطارها بعضها ببعض باسلاك البرق، وارتبط سكانها بروابط التعاون والاتجار فاختلطوا اختلاط الامة الواحدة

على بسيط واحد وتعرف أهل كل قطر أحوال القطر الآخر تعرف الجار بأمور جاره فصار مايحدث في أقصى الشرق في الصباح يعلمه أهل المغرب في المساء فقد المسلمون يلمسون آثار الامم الاخرى لمساً، ويسمعون أخبارها يوما فيوما، وتساق اليهم العبر كل يوم سوقا، ويرى كل فرد منهم نتائج ترقي الامم بعينه، ويشاهد آثارها حتى في ملبسه ومأكله ومسكنه، ومع هذا فكأنما هم فى واد والعالم فى واد يرتقي غيرهم وينزلون، ويصعد سواهم ويتدلون، فما علة هذا الجمود الشامل والى أية غاية هم صائرون،

أخذت الامم اسباب العلم النافع وشيدت صروح المدنية الحاضرة فعظم شأنها وتضاعفت قوتها فانكفأت دولها على أرجاء الارض تدوخ الممالك وتستأثر بالسيادة على الارض الاهذا الفريق العظيم من البشر وهم المسلمون فانهم اصبحوا طعمة كل جائع، ومطمع كل طامع، تمزق ممالكهم الدول المسيحية، وتستعبدهم الامم الغربية، فلا تأخذهم نعرة الوطن ولا الدين ولا الجنس، ولا تنهض بدولهم الغيرة ولو على سيادتهم المطلقة في استعباد المسلمين، فالحاكم منهم والمحكوم شقي مهضوم، والأمة كالفرد موجود في حكم المعدوم،

كل من أطلق عنان النظر على سكان الارض يرى ان تنازع البقاء بين الامم قائمة حربه الآن بين أقسامهم الثلاثة الكبرى الذين اليهم ينتهى السلطان على ارجاء الارض وهم المسلمون والمسيحيون والوثنيون (اتباع كونفوشيوس وبوذه) وقد كانت الدول المسيحية مذ تسلحت بسلاح العلم الجديد وآنست من نفسها القدرة على مكافحة دول الارض واندفعت للفتح والاستعمار لاترى لها خصماً قويا جباراً ينازعها الملك فى افريقيا وآسيا منازعة القرن للقرن الاالمسلمين ولم تكن تحفل بذلك القسم الآخر من الاثنين بل كانت تظن ان زلزال الساعة العظيم انما يكون يوم تخوض جيوشها عباب الممالك الاسلامية وتخطو أول خطوة لمناوأة دول الاسلام فيصدها الاحجام تارة ويسوقها الاقدام أخرى حتى اذا مزقت حجاب الرهبة ومضت في وجهتها الاستعمارية بالخدعة تارة والحرب أخرى انكشف لها من حال المسلمين وضعف دولهم ما أزال ارتيابها من جهة ذلك الخصم الموهوم ووطدت عزيمتها على إتمام الرغبة وإنجاح الطلبة فبثت جنود العلم والقوة في انحاء آسيا وأفريقيا ورفعت أعلام الفتح على أكثر ممالك الاسلام

وصرفت تلك الدول عن الاذهان ذلك الوهم الذي كان سائدا على ساستها من جهة قوة المسلمين الذين نازعهم الملك في كل بقعة من أسيا وأفريقيا فغلبهم عليه وانما منعهن عن الاجهاز على البقية الباقية منهم تنازعهن على كيفية اقتسامها. ولم يخطر لساسة تلك الدول يوم كانت ترهب جانب المسلمين ان الفريق الثالث الذي ينتهي اليه السلطان أيضا على قسم عظيم من الارض وهم أتباع كونفوشيوس وبوذه أعظم خطراً على الدول المسيحية من المسلمين وأشد لدادة وخصاماً في موقف النضال عن الحوزة والتنازع على الملك والسلطان حتى قامت فى هذه الآونة دولة اليابان تناهض أعظم الدول المسيحية قوة وأضخمهن ملكا وسطوة وتدافعها عن حوزة الملك الموروث للجنس الاصفر منذ دحا الله الارض وجعل الصين على رأي البوذيين منبت الانسان ومهبط آدم أبي البشر فادهش تلك الدول ماأدهشها من قوّة العلم والمدنية التى تذرعت بها دولة اليابان لمزاحمة الدول المسيحية وصد غاراتها المتوالية على الممالك الشرقية على حداثة عهدها في قبول المدنية الجديدة بجميع فنونها النافعة

اذا تقرر هذا علمنا أنّ المسلمين أصبحوا فى معمعان هذا التنازع العام مغلوبين على أمرهم دون غيرهم وان الأمم المسيحية والوثنية كادت تنفرد بالسيادة على الارض لان المدنية الحاضرة اصبحت بعلومها ومخترعاتها ملاك قوة الامم ومادة حياة الدول وليس للمسلمين حظ منها ولالأمرائهم نزوع الى الاخذ باسبابها، ولالدولهم رغبة مافي مجاراة أربابها. وحسبك شاهدا لايماري فيه العقل ولايكذبه الحس ماصارت اليه الممالك الاسلامية المحكومة بدول اسلامية من التقهقر فى العمران والتدلي فى العلم والصناعة والضعف في القوة والجبن في السياسة.

(لها بقية) رفيق العظم

آثار علمية أدبية

رسائل أبي العلاء المعري وترجمته

قد ولع الناس فى القرون المتوسطة بحفظ الرسائل التى كانت تدور بين الأدباء والكتاب ومن احسنها رسائل أبي العلاء على قلتها حفظوها فى الكتاب ونسوا مؤلفاته النافعة حتى لانكاد

نجد منها غير دواوينه الشعرية وسبب ذلك ان العلم كان قد أخذ فى التدلي او التولي فلا يؤثر منه الا مافيه لذة وفكاهة . وهذه الرسائل على كونها اقل ما كتب الفيلسوف كما هي العادة هي كنوز آداب ولطائف لايكاد يفهمها الا من أوتي حظا من الاطلاع على اللغة العربية مفرداتها واساليبها ، وسهما من تاريخها وامثالها ، ولعل الله تعالى اذن بفضله لهذه اللغة ان تنشط من عقالها ، وتستيقظ بعد طول سباتها ، فأوحى لأنصار العلم ان يخدموها ، وألهم رجال المدنية ان يتدارسوها ، فراجت بضاعتها في اسواق العلم فى بلاده وأعني بها المدارس الاوربية الكبرى ، وعمد القوم اخراج كنوزها ونشرها بين الناس . ولا اجهل ان غرض الاوربيين السياسيين الاستعانة بهذه اللغة على استعمار البلاد العربية ولكن العلم لاسياسة له ولا دين فمتى اخذ رجاله بطرف منه اخذوه بجد ، وخدموه باصلاح ونصح ، ولايضرهم مع ذلك استفاد منه قومهم ام غير قومهم

ومن الكتب التي عني الاوربيون بترجمتها ونشرها بلسانهم ولسانها رسائل ابي العلاء المعري نقلها الى الانكليزية صاحبنا الدكتور مرجليوث الانكليزي مدرس اللغات الشرقية بمدرسة اوكسفورد الجامعة وقد اهدانا نسخة منها مطبوعة باللغتين وفي آخرها ترجمة ابي العلاء وفهارس تشير الى مافى الرسائل من أسماء الرجال والنساء والقبائل والحيونات ، وأسماء الاماكن والبلاد ، والاصطلاحات العروضية ، واسماء النجوم . لكلّ فهرس مرتب على حروف المعجم ، وما احسن هذا الاصطلاح وانفعه لو كنا نجري عليه فى طبع كتبنا كما يجرون عليه فيها وفى كتبهم بالأولى

وانت ترى ان نقل الكتاب من لغة الى اخرى هو اصعب من تدريسه. وإنا لنعلم انه يقل فى قراء العربية من اهلها من يقدر على تدريس هذه الرسائل فما تقول في فضل أعجمي ينقلها الى لغته . فنهنئ صاحبنا على عمله ونشكر له هديته اجمل شكر

اما ترجمة ابي العلاء فقد نقلها من تاريخ الذهبي وفيها انه اخذ العربية عن اهل بلده كبني كوثر واصحاب ابن خالويه ورحل الى طرابلس فاستفاد من خزائن كتبها وانه «كان قانعا باليسير له وقف يحصل له منه فى العام نحو ثلاثين دينارا قدر منها لمن يخدمه النصف وكان اكله العدس وحلاوته التين ولباسه القطن وفراشه لبد وحصيره

بورية . وكانت له نفس قوية لايحمل منة احد والا لو تكسب بالشعر والمديح لسكان ينال بذلك دنيا ورياسة » كذا قال الذهبي ونحن نقول انه لولم يكن كذلك لما وجدنا في شعره من الفلسفة العالية والمدارك الدقيقة في نقد العالم البشرى ما نجد . ثم ذكر ماقيل في زندقته لانه التزم ان يذكر ماروي له وعليه واورد بعض شعره الدال على شكه في الدين واعتراضه على الشرائع ثم نقل عن الحافظ السلفي في ضد ذلك مانصه

«ومما يدل على صحة عقيدته ماسمعت الخطيب حامد بن بختيار النميري بالسمسمانية — مدينة بالخابور — قال سمعت القاضي ابا المهذب عبد المنعم ابن احمد السروجي يقول سمعت اخي القاضي ابا الفتح يقول : دخلت على ابي العلاء التنوخي بالمعرة ذات يوم في وقت خلوة بغير علم منه وكنت أتردد اليه، واقرأ عليه، فسمعته وهو ينشد من قبله

كم غودرت غادة كعاب وعمرت امها العجوز
احرزها الوالدان حرزا والقبر حرزلها حريز
يجوز ان تبطئ المنايا والخلد في الدهر لايجوز

ثم تأوّه مرات وتلا : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * »

ثم صاح وبكا بكاء شديدا وطرح وجهه على الارض زمانا ثم رفع رأسه ومسح وجهه فقال: سبحان من تكلم بهذا في القدم ،سبحان من هذا كلامه. فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فرد فقال: متى اتيت ؟ فقلت الساعة . ثم قلت ياسيدي ارى في وجهك اثر غيظ : فقال : لا يا ابا الفتح بل انشدت شيئا من كلام المخلوق وتلوت شيئا من كلام الخالق فلحقني ماترى : فتحققت صحة دينه وقوة يقينه » اه

ولعل تلك الخواطر الدالة على الالحاد كانت في بداية امره ثم رجع عنها على ان أكثرها يحتمل التأويل ، وان لم يلتفت الى ذلك المتشدقون من المرتابين في هذا العصر

﴿ إلياذة هوميروس ﴾

هوميروس كبير شعراء اليونان أشهر من نار على علم وأشهر شعره ماسمي بالالياذة

وهو مانظمه في وصف حرب قومه اليونان لطرواده وقد عنيت أمم العلم والادب فى القديم والحديث بنقل الالياذة الى لغاتها الا الذين أحيوا جميع علوم اليونان بعد موتها وهم العرب حتى قام فى هذه الايام سليمان أفندي البستاني مؤلف دائرة المعارف العربية فعربها نظما . ثم انه شرح النظم فكان كتابا حافلا بالتاريخ والادب . ووضع له مقدمة طويلة جمع فيها فصولا فى تاريخ هوميروس مفصلا ، وفى الالياذة ومكانتها فى نفسها وعند الامم وتفصيل مافيها من المعارف ، وفي التعريب وأصوله ، وفي النظم وبحوره وضروبه ، وفي الشعر وتاريخه وطبقات أهله في العرب ، وفي الشعر العصري والملاحم ، وفي الشعر واللغة ، وهي مقدمة مفيدة جدا تدل على غزارة علم المؤلف وحسن ذوقه وسعة أطلاعه . ثم انه وضع للكتاب معجما خاصا فسر فيه غريبه ، ومعجما آخر للالياذة جمع فيه مافيها من الكلمات في الآلهة والمعاني والاعلام مشيرا بالارقام الى مواضعها من الصحائف . فالكتاب في مجموعه خزانة علم وأدب وصفحاته ١٢٥٨ وطبعه جميل جدا والشعر فيه مضبوط بالشكل الكامل

﴿ الاحتفال بمعرب الالياذة ﴾

نشر هذا الكتاب فتقبله أهل العلم والأدب بقبول حسن بل أكبروا أمره وبالغت الصحف في تقريظه ثم تألفت لجنة من أدبائنا السوريين في القاهرة فأولموا بالأمس وليمة فى فندق شبرد احتفالا بمعرب الالياذة اجتمع على مائدتها نحو مئة رجل من فضلاء القطرين المصري والسوري وألقيت فيه الخطب العربية والفرنسية واليونانية وتلي فيه ثلاثة كتب ممن اعتذر عن عدم حضور الاحتفال أحدها من الاستاذ الامام وكان آية الآيات وثانيها من الدكتور شميل وثالثها من الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد . ورأينا هؤلاء العلماء والادباء حاضري الاحتفال متفقين على أن تعريب الالياذة من أجل الخدم للغة العربية ومتعجبين من عدم سبق العرب الى تعريبها فى أيام دولتهم العلمية اذ عربوا كتب اليونان فى جميع العلوم ۰ وكان الدكتور يعقوب أفندي صروف أول خطيب فى الحفلة فجال فى هذا المعنى جولة المؤرخ العالم وقال ان السريان الذين كانوا يعربون الكتب اليونانية في أول الامر للعرب قد نقلوا الالياذة الى لغتهم دون اللغة العربية ثم أطنب فى وصف التعريب الجديد وما أضيف اليه من الفوائد وانتقل

الى ذكر فضل المؤلف وفضل بيت البستاني في خدمة العلم فبدأ بذكر عموده وكبيره بطرس البستاني مؤسس دائرة المعارف وصاحب الكتب والصحف الشهيرة فصفق له الحاضرون استحسانا

وتلاه بالخطابة كاتب هذه السطور فذكر معنى الاحتفال وفائدته ونسبة الالياذة الى الشعر العربي وسبب إغفال العرب لها . بينت في هذا ان الروح الادبي يسبق في الامم الروح العلمي والصناعي فمتى سمت آداب الامة ورق شعورها تحس بحاجتها الى العلم فتنبعث إليه وتبدأ بخدمة علم الادب منه . فكان مقتضى هذه القاعدة ان يبدأ العرب بنقل آداب اليونان قبل علومهم ولكن العرب كانوا في غنى عن هذه الالياذة فادونها من آداب اليونان لانه لايكاد يوجد فيها شيء من المعاني الشعرية والادبية الا وقد سبقوا الى مثله أو خير منه وفي شرح الالياذة العربية شواهد كثيرة على ذلك والسبب فيه ان حال اليونان في حروبهم التي يصفها هوميروس شبيه بحال العرب في بداوتهم وحروبهم ولكن وثنيتهم تخالف وثنية العرب. قلت: ويعلم السادة الحاضرون أن العرب لم يندفعوا الى ترجمة الكتب الا بعد الدخول في الاسلام فقد كانوا قبله أميين لايعرفون الكتاب فالاسلام هو الذي ساقهم الى طلب العلم والحكمة فلما أرادوا ترجمة كتب اليونان للاستفادة منها رأوا في آدابهم وأشعارهم العربية مثل ما عند اولئك وزيادة الا ما كان من الخرافات الدينية كأحوال الآلهة الكثيرين وهذا ما جاء الاسلام لمحوه لالاحيائه بعد موته فكان إغفال العرب للالياذة كاغفالهم لصناعة التصوير لان الصور كانت في أيامهم خاصة بالشعائر الوثنية . فلما تغيرت الاحوال وأراد الله لهذه اللغة أن تنهض نهضة جديدة أحس رجال الادب بالحاجة الى ما عند الامم الاخرى من الآداب وأقدمها واشهرها الالياذة فكان صديقنا البستاني هو السابق الى توفية هذه الحاجة فقوبل بهذا الاستحسان العظيم

واما الاحتفال فقد بينت أنه شكر لصاحب الاثر وتربية حسنة للامة فان أصحاب الاستعداد اذا رأوا ان خواص الامة يقدرون الآثار العلمية والادبية قدرها فان استعدادهم يظهر بالفعل وتنتفع الامة بمباراتهم في ذلك فقد قامت لجنة هذا الاحتفال بشكر عالم خدم الادب فكأنها احتفلت بكل عالم وأديب ، اذ يحس كل منهم بأن له في هذا

الاحتفال نصيبا ، والشكر مدعاة المزيد ومبعث الرغبة في العاملين وتركه سبب الاهمال فان العالم الكامل وان كان يتلذذ بالعلم ويحب الخير لذاته لاتنبعث همته الى إظهار الآثار النافعة اذا علم ان قومه لايعرفون قيمتها ولايقدرونها قدرها لأنه يرى ذلك من العبث . وما عساه يعمله تلذذا به لايجيء كاملا كما اذا كان يرجو أن يعرض عمله على أهل البصيرة والفضل فيزنونه بميزانه ، ويكافئوه على قدر احسانه ، لهذا كان الشكر بطبيعته موجبا للمزيد بل ان الله تعالى وهو الغني عن العالمين وذو الكمال المطلق قد جعل شكره سببا للمزيد فقال « لئن شكرتم لأزيدنكم » فلاغرو ان يزيد صديقنا البستاني في خدمته للعلم والادب بسبب هذا الشكر الحسن الذي نقابله به

هذا زبدة مابينه هذا العاجز في خطابه وهو ماخطر له عند الكلام من غير سابقة تفكر فيه . وقد أطنب بعض الخطباء في مدح الالياذة نفسها وزعموا ان ستكون ترجمتها مبدأ انقلاب في الآداب العربية وفاتحة ترق عظيم فيها وهو مبالغة والعربية أغنى من ذلك ولو نظم الالياذة غير البستاني فأحسن نظمها كما أحسن لماتي من الشكر بعض ماتي . ذلك ان صاحبنا في علمه الواسع ، وأدبه الرائع ، وخدمته السابقة ، وشجرته الباسقة ، وماأضافه الى النظم من الشرح والمقدمات التي هي أكثر فائدة للمطالع ، وخير مرجع للمراجع ، قد هز أريحية فضلاء السوريين فكان منهم مايجب ان يكون فيه أسوة حسنة لغيرهم ممن لايقدرون لعامل قدرا ، ولايؤدون لمحسن شكرا ، فحيا الله البستاني وحيا الله السوريين ؛ — هذا واننا سنعود الى الالياذة فنختار منها مقاطيع نعرضها للقراء ان شاء الله تعالى . وثمن النسخة من الالياذة جنيه انكليزي

الفلسفة اللغوية

اتسع نطاق العلوم كلها لسانية وعقلية وعملية فكثرت فروعها وتعددت طرق تعليمها وأهل الازهر ومن على شاكلتهم من مقلدي الاموات على جمودهم لاينقصون من كتب مشايخهم ولايزيدون فيها حتى صرنا لانرى شيئا من الاصلاح في العلوم العربية حتى علوم اللغة الامن تعلم في المدارس النظامية التي أصبح زمامها بأيدي الافرنج في كل قطر فبينا نرى جبر أفندي ضومط يؤلف الكتب البديعة في البلاغة والنحو كالخواطر الحسان في المعاني والبيان وفلسفة البلاغة والخواطر العراب اذا بجرجي

أفندي زيدان يؤلف كتاباً في فلسفة اللغة العربية وتاريخها وتاريخ التمدن الاسلامي . وقد كان ألف كتاب (الفلسفة اللغوية) سنة ١٨٨٦ م ونشره في بيروت وأعاد طبعه في هذه السنة مع زيادة فيه . وموضوعه « الادلة اللغوية التحليلية على ان اللغة العربية مؤلفة في الاصل من أصول قليلة ثنائية آحادية المقطع معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية والاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان (نطقا) غريزيا » فهو يبحث عن كيفية نشأة اللغة وارتقائها . وهو بحث جليل أفرده الافرنج بالتدوين وأقاموه على قواعد علمية استقرائية . وصفحات الكتاب ١١٨ ولعلنا نوفق لمطالعته ونقده مساعدة لمؤلفه على خدمة لغتنا الشريفة . وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة وثمنه عشرة قروش وأجرة البريد قرش

﴿ الخواطر العراب ﴾

كتاب جديد في النحو ألفه جبر أفندي ضومط أستاذ العلوم العربية في المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت وصاحب الخواطر الحسان ، وفلسفة البلاغة . وضعه باسلوب تعليمي غاية في البسط ، ودقة البحث ، وحسن البيان ، واستيفاء التقسيم ، وكثرة التمثيل ، واختيار الامثلة ، — يمثل بالآيات الكريمة ، والاحاديث الشريفة ، والامثال الحكيمة ، والاشعار الرقيقة في الحكم والغزل وغيرها . فهكذا يكون التأليف لا سيما في مثل هذا العصر الذي كثرت فيه العلوم والفنون وعرف فيه الاقتصاد في الوقت فصار الانسان يبخل على فن النحو بالسنين الطويلة ينفقها في مدارسته وهو من وسائل اللغة وما اللغات وفنونها الا وسيلة للعلوم الحقيقية التي تبين للناس كيفية الاعمال المعاشية وغيرها . وانه ليسهل على المعلم البارع ان يدرس هذا الكتاب في سنة واحدة وهو كاف في هذا الفن .

الكتاب تحت الطبع وقد تفضل صديقنا المؤلف بارسال كراريسه الينا تباعا لننتقدها وقد تصفحنا بعض صفحاته فوجدناها تجل عن الانتقاد الا ما لا يكاد يخلو منه كتاب حديث كاستعمال بعض الالفاظ او الجمل استعمالا غير صحيح او غير فصيح

﴿ الاحاطة . في أخبار غرناطه ﴾

صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب طبعته شركة طبع الكتب العربية على ورق جيد كالعادة وهو كما علم القراء من تقريظ الجزء الأول تأليف الوزير محمد لسان الدين بن الخطيب الشهير وأوله ترجمة محمد بن يوسف أمير المسلمين بالاندلس لذلك العهد وآخره ترجمة

محمد بن عبد الرحيم اللخمي ذي الوزارتين والجزء كله في ترجمة المحمدين من حرف الميم وهو ٣٠٣ صفحات وروح لسان الدين الشعر والادب فهي فائضة في الكتاب وكانت سوقه نافقة في الاندلس لعهده وثمن الكتاب عشرة قروش صحيحة

مراثي الأمة القبطية

صدرت النبذة الثانية من هذه النبذ التي يكتبها أحد شبان القبط في انتقاد رجال ملته. وهذه النبذة في المدرسة الاكليركية — تاريخها ونظامها الاداري ومدرسيها وثورتها وهذا الانتقاد من جملة أمارات الحياة الكثيرة في هذه الطائفة المستيقظة وقد أهديت لنا النسخة من بضعة أشهر وكنا أضللناها فنشكر لكاتبها غيرته الملية ونرجو ان تكون نافعة لقومه

(رسالة في ان العمل بالحقائق الدينية عماد الارتقاء في الحياة الدنيوية)

ألف هذه الرسالة السيد حسين كمال أفندي الشريف أودعها محاورة بينه وبين أخيه السيد مصطفى فهمي أفندي الشريف في أسباب تأخر الامة الاسلامية وما الذي يجب عليها في تلافي هذه الاسباب وقد قرأنا جملا منها فاذا هي في الدعوة الى العمل بالكتاب والسنة الصحيحة وترك كل ماسواهما من جهة الدين والبحث في بعض المسائل الدينية كالامر بالمعروف ورجم الزاني وفيها انكار على منصور افندي الشريف لانه يكتب في مسائل دينية برأيه وقال أنه لم يتلق العلم عن أحد . وفيها بحث في الفتوى الترنسفالية المشهورة — هذا ماظهر لنا من تصفح معظم صفحات الرسالة ولم نقرأ شيئا من مباحثها بالتدقيق وقد حمدنا من المؤلف هذه المباحث

جرائد جديدة

(المنعم) جريدة سياسية وطنية أسبوعية تصدر بالقاهرة محررها الطفي بك عيروط المحامي بالاستئناف ومديرها سليم أفندي عيروط المحامي وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشا مصريا وقد صدر منها بضعة أعداد وكتب الينا من ادارتها ان سيكتب في العدد الثامن مقالة مهمة في استعباد البلاد بالامتيازات وأخرى مثلها في خيانة المجلس البلدي في الاسكندرية فنوجه الانظار الى الجريدة والى المقالتين بخصوصهما

(الصواب) جريدة علمية سياسية أدبية تصدر في تونس يوم الجمعة من كل أسبوع

مديرها ومحررها (محمد الجعايبي) من كتاب التونسيين وادبائهم وقد رأينا في الاعداد الاخيرة منها مقالات مفيدة في انتقاد الامتحان في جامع الزيتونة وما أحوج الأزهر الى مثل هـذا الانتقاد . وانا لنشكر للحكومة التونسية إطلاق الحرية للجرائد وقيمة الاشتراك ٨ فرنكات في البلاد التونسية و١٠ في الجزائر و١٣ في سائر الممالك

(النادي) جريدة مدنية أدبية اجتماعية تصـدر في القاهرة باللغتين العربيـة والايطالية صاحبها الدكتور أنريكو أنساباتو . ومما أخذه صاحبها على نفسه بيان بعض مزايا الاسلام ولاسيما مذهب التصوف وقد جعل قيمة الاشتراك في السنة ٤٠ قرشا في البلاد المصرية و١٢ فرنكا في غيرها فنتمنى له التوفيق والنجاح

باب الأخبار والآراء

﴿ لائحة المساجد ﴾

جاء في (ع ٧٩٦٥) من جريدة الاهرام الصادر في ٢ يونيو تحت هذا العنوان ما نصه

«رأينا في أعدادنا السالفة فائدة لائحة المساجـد التي يعمر بها الازهر وتعمر بها الجوامع ويقام عماد الدين والعلم والادب وقلنا ان معاداة هذه اللائحة والقيام في وجهها هو عبارة عن معاداة صالح الازهريين وتقدمهم والوقوف في وجههم . ولقد اتفق بعض رصفائنا أمس على ان انفاذ هذه اللائحة قد أجل الى العام المقبل أي حتى عودة رجال الحكومة من الاجازة فاخذنا نبحث عن سبب التأجيل فعرفنا ان فضيلة القاضي الاكبر قدم عريضة الى سمو الجناب الخديوي فيها يشكو من بعض ما جاء في اللائحة ويدعي انه مخالف لشروط بعض الواقفيـن كأن يكون بالمسجد مبخّر وسقاء وكناس فاللائحة جمعت وظائف كثيرة في شخص واحد فالمعية ترجمت شكوى فضيلة القاضي وأرسلت هذه الترجمة الى الوكالة الانكليزية فاجابتها الوكالة ان الوقت قد انقضى وان جناب اللورد لا يقدر الآن على درس الشكوى واللائحة وانه ينعم نظره فيها بعد عودته من الاصطياف فلهذا أجل الانفاذ

ولقد دهش العقلاء لهذا العمل لان المحتلين أعلنوا مرارا أو جهارا أنهم لا يتعرضون

لامر من أمور الدين فما الذي حمل المعية اذن على ارسال تلك اللائحة الى الوكالة الانكليزية ؟ ألا توجد فى البلاد سلطة دينية عاقلة عالية تقدر على درس اللائحة وتمحيصها؟؟

واقد دار فى جميع الاندية ان ذلك كله نتيجة التسابق لارضاء المحتلين فكان دولتلو رياض باشا حمل جناب اللورد كرومر صاحب المقام الارفع كذلك المعية أحالت على جنابه شكوى العلماء وشؤن المساجد والجوامع فما أكبر حظ دولة تجد مثل هذا من أمة تحكمها وبلاد تحتلها. وما أعظم الفرق الذي يجده الانكليز بين كبار المصريين وكبار البوير فاذا كنا نحن قد لمنا رياض باشا على كلامه فانا نحن نلوم المعية على فعلها ويقيننا ان الانكليز أنفسهم يوافقوننا على هذا اللوم

(المنار) حسب الناس من العبرة الكبرى بهذا الخبر الصادع أن يعرفوه وإننا لوأردنا أن نبدي رأينا فيها لما استطعنا أن نقف عند الحد الذى تجيزه الرسوم المتبعة. وثم عبرة أخرى وهي سكوت الجرائد اليومية التي تلقب بالاسلامية عن هذا وبيان الاهرام التى يصح أن نلقبها بجريدة الامة له وسببه انه جاء من قبل الامير وحده وهو الذى يرضيها منه كل شيء ولو كان للنظار فيه رأي لقامت قيامة هذه الجرائد وأكثرت الطعن واللمز وحملت النظار وحدهم التبعة كما هي عادتها في كل أمر يقوي نفوذ المحتلين مع انه لم ينفذ شيء من ذلك الا بأمر الامير وهو وحده كان القادر على معارضة الاحتلال بالحق وأوربا عضده وأما النظار فلا عضد لهم الا الامير وهو الذى يقدر على عزلهم اذا خالفوا ، ولا يقدرون على إلزامه اذا وافقوا ، فكل ما أخذه الانكليز فمنه وعليه وعلى الامة المسكينة التي أضاعها أمراؤها في كل زمان ....

﴿ قول رياض باشا ـ أو عبيد الكلام ﴾

رفع العلم الانكليزي باذن الخديوي على السودان وخطب الامير تحته مذعنا له فلم يؤثر في المصريين ، وعقد الوفاق الانكليزي الفرنسي بناء على دكريتو خديوي ومن لوازمه تأييد الاحتلال في مصر فلم يؤثر فيهم . ولونت خريطة مصر فى مدارس حكومتها بلون المستعمرات الانكليزية فلم يؤثر فيهم . واستشار الامير اللورد في تعيين شيخ الازهر فلم يؤثر فيهم. ووكل الى اللورد النظر في لائحة المساجد وأئمة الصلاة فلم يؤثر فيهم . ويقول اللورد كرومر جهرا انه هو المسؤل عن ادارة هذه البلاد فلا يؤثر فيهم . وقال رياض باشا بخطبته في احتفال تأسيس مدرسة محمد على الصناعية ان اللورد هو صاحب النفوذ الشامل والمقام الارفع ورغب اليه فى معاهدة المدرسة حتى تبلغ أشدها فقام احداث الوطنية يلغطون فى ذلك ويعدونه حادثا جللا فانظر على ما يسكتون ، وبماذا يلغطون ،

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — ١٦ ربيع الآخر سنة ١٣٢٢ — ٣٠ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *

نطقت الآيات السابقة بأن الذين يكتمون ما أنزله الله من البينات والهدى ملعونون لا ترجى لهم رحمة الله تعالى الا أن يتوبوا فان هم ماتوا على كتمانهم وما يستلزمه كفرهم من الاعمال كانوا خالدين في اللعنة لا يخفف عنهم من عذابها شيء اذ لا يقبل منهم افتداء، ولا تنفعهم شفاعة الشفعاء،

بل « ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » لأن اللعنة تعمهم فى الآخرة من جميع الملائكة والناس بحيث يظهر للعوالم أنهم لايستحقون الرحمة حتى ان المرؤسين يتبرؤن من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم في الضلال ويتخذون كلامهم دينا من دون كتاب الله كما سيأتي - فناسب بعد هذا أن يبين الله تعالى ان شارع الدين ومحق الحق هو واحد لا يعبد غيره ولا تكتم هدايته ولا يجعل كلام البشر معيارا على كلامه، وهو مفيض الرحمة والاحسان اذ الرحمة من صفاته الكاملة اللازمة ليتذكر أولئك الضالون الكاتمون لبينات الله المؤثرون عليها آراء رؤسائهم وأئمتهم ثقة بهم واعتمادا على شفاعتهم أنهم لن يغنوا عنهم من الله شيئا ويعلموا وجه خطأهم فى كتمان الحق ومجاحدة أهله عنادا من الرؤساء وتقليدا من المرؤسين فقال

(والهكم إله واحد لا إله الا هو) أي فلا تشركوا به أحدا. والشرك به نوعان أحدهما يتعلق بالألوهية وهو ان يعتقد ان فى الخلق من يشاركه تعالى أو يعينه فى أفعاله أو يحمله عليها أو يصده عنها لأجل قربه منه كما يكون من بطانة الملوك الظالمين وحواشيهم وحجابهم وأعوانهم. وثانيهما يتعلق بالربوبية وهو أن تؤخذ أحكام الدين في عبادة الله تعالى والتحليل والتحريم عن غيره أي غير كتابه ووحيه الذي بلغه عنه رسله بحجة ان من يؤخذ عنهم الدين من غير بيان الوحي أعلم بمراد الله فيترك الاخذ من الكتاب لرأيهم وقولهم وهو المراد بقوله تعالى «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله» كما سيأتي فى موضعه ان شاء الله تعالى. وظاهر أن الواجب على العلماء بالدين ان يبينوا مانزله الله للناس ولا يكتموه لاأن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه كما زاد أهل الكتب المنزلة كلهم أحكاما كثيرة ثم هجروا الوحي اكتفاء بها. واذا كان الله تعالى واحدا لا إله

معه فلا ينبغي أن يشرك معه غيره فهو كذلك (الرحمن الرحيم) فلا ينبغي أن يعرض العبد عن أسباب رحمته اعتمادا على رحمة سواه ممن يظن أنهم مقربون عنده او لحطام زائل فحسب المؤمن من رحمة الله التى وسعت كل شئ أن يستغني بالتصدي لها عن رجاء سواها والا كان من الخائبين. قال الاستاذ الامام: نبههم سبحانه وتعالى الى أن المنافع التي يرقبونها من كفرهم إنما هي بيده الكريمة وحده كأنه يقول اذا أنتم تركتم ما أنتم فيه لأجله تعالى فهو بتفرده بالألوهية يكفيكم كل ضرر تخافونه، ويعطيكم برحمته الواسعة كل ما ترجونه، فأن بيده ملكوت كل شيء وكل ما تعتمدون عليه من دونه فليس محلا للاعتماد بل اعتمادكم عليه من قبيل الشرك فيجب أن تطرحوه جانبا وتعتقدوا أن الإله الذى بيده أزمة المنافع والقادر على دفع المضار وإيقاعها هو واحد لا سلطان لأحد على إرادته، ولا مبدل لكلمته، ولا أوسع من رحمته، وقد رأيت كيف أكد أمر الوحدة تحذيرا من طرق الشرك الخفية، وقد سبق تفسير لفظي الرحمن الرحيم في الفاتحة،

أرأيت هذا الاتصال المحكم بين الآية وما قبلها إن بعض المفسرين قد قطع عراه وفصمها وجعل الآية جوابا لقوم قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام: انسب لنا ربك: قاله الجلال . ويقول الاستاذ الإمام إن سبب النزول إنما يحتاج اليه فى مواضع مخصوصة لا فى مثل هذا الموضع يعني انه يحتاج اليه فى آيات الأحكام لأن معرفة الوقائع والحوادث التى نزل فيها الحكم تعين على فهمه وفقه حكمته وسره ومثلها ما فيه إشارة الى بعض الوقائع كواقعة بدر ومصيبة المؤمنين فى أُحد وأما الآيات المقررة للتوحيد وهو المقصود الأول من الدين فلا حاجة الى التماس أسباب لنزولها بل هى لا تتوقف على انتظار السؤال وانما تبين عند كل مناسبة

وماعساه يكون قد قارن نزولها من حادثة أو سؤال مثل هذا الذى ذكر آنفا فهو إن صح رواية لا يزيدنا بيانا فى فهم الآية ولا يصح أن يجعل سببا لنزولها لاسيما بعد الذى علم من اتصالها بما قبلها كما يليق ببلاغة القرآن. ومثل هذا السبب يجعل القرآن مبددا متفرقا لا ترتبط أجزؤه ، ولا تتصل أنحاؤه ، ومثله ماقالوه فى سبب الآية التي بعد هذه الآية فانها جاءت على سنة القرآن من وصل الدليل بالدعوى ولكنهم رووا فى سببها روايات منها أن آية « وإلهكم إله واحد » نزلت بالمدينة ثم سمع بها مشركو مكة فقالوا ماقالوا وعجبوا كيف يسع الخلق إله واحد ! كأن هذه الدعوى لم تكن طرأت على أذهانهم ولا طرقت أبواب مسامعهم — على ان النبي (ص) كان قد أقام فيهم يدعوهم الى هذا التوحيد عشر سنين ونيفا ، وطلبوا الدليل على ذلك كأنهم لم يكونوا قد سمعوا عليه دليلا مع أن معظم ما نزل بمكة آيات وبراهين على التوحيد ، فكيف نسلم بأن ماتراه فى التنزيل المدني من آيتين متصلتين إحداهما فى التوحيد والأخرى فى دليله قد كان من الفصل بينهما أن نزل الدليل بعد المدلول بزمن طويل وسبب متأخر

قال الاستاذ الامام بعد بيان اتصال الآية بماقبلها وتقرير معناها : ومن هنا يظهر انها لا يصح أن تكون جوابا للذين قالوا : انسب لنا ربك أوصف لنا ربك :لأن هذا السؤال انما يصدر ممن لا يعرف شيئا من صفات هذا الرب العظيم (أوممن ينبغي أن يعرف مقدار علم المسؤول بهذه الصفات) ويجب أن يكون جوابه بذكر جميع مايجب اعتقاده من التنزيه والصفات الثبوتية ولم يذكر فى الآية الا الوحدة والرحمة وترك ذكر العلم والحكمة والإرادة والقدرة وهي صفات لا تعقل الألوهية الا بها، أما الا كتفاء

بذكر الوحدة والرحمة على الوجه الذى قررناه فى تفسير الآية فهو ظاهر لاتطلب البلاغة غيره لأن الوحدة تذكر أولئك الكافرين الكاتمين للحق بأنهم لايجدون ملجأ غير الله يقيهم عقوبته ولعنته . وذكر الرحمة بعدها يرغبهم فى التوبة ويحول دون يأسهم من فضل الله بعد إيئاسهم ممن اتخذوهم شفعاء ووسطاء عنده فيطابق ذلك قوله تعالى فى الآية التي ذكر فيها الكتمان « الا الذين تابوا » الخ

(إن فى خلق السموات والأرض) الخ هذه آية قرآنية تشرح لنا بعض الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى ورحمته الواسعة إثباتا لما ورد فى الآية قبلها من هذين الوصفين له تعالي على طريقة القرآن في قرن المسائل الاعتقادية بدلائلها وبراهينها كما ألمعنا . فأما خلق السموات والأرض ففيه آيات بينات كثيرة يدهش المتأملين بعض ظواهرها فكيف حال من اطلع ما اكتشف العلماء من عجائبها لدال على أن مالم يعرفوه أعظم مما عرفوه . تتألف هذه الأجرام السماوية من طوائف لكل طائفة منها نظام كامل محكم ولايبطل نظام بعضها نظام الآخر لأن للمجموع نظاما عاما واحدا يدل على أنه صادر عن إله واحد لاشريك له فى خلقه وتقديره ، وحكمته وتدبيره ، وأقرب تلك الطوائف إلينا مايسمونه النظام الشمسي نسبة الى شمسنا هذه التي تفيض أنوارها على أرضنا فتكون سببا للحياة النباتية والحيوانية . والكواكب التابعة لهذه الشمس مختلفة فى المقادير والأبعاد وقد استقر كل منها فى مداره وحفظت النسبة بينه وبين الآخر بسنة إلهية منتظمة حكيمة يعبرون عنها بالجاذبية . ولولا هذا النظام لانفلتت هذه الكواكب السابحة فى أفلاكها فصدم بعضها بعضا

وهلكت العوالم بذلك فهذا النظام آية على الرحمة الإلهية ، كما انه آية على الوحدانية ، . هذه هي السموات تشير الى آياتها عن بعد « وفى الارض ايات للموقنين » فى جرمها ومادتها وشكلها وعوالمها المختلفة من جماد ونبات وحيوان فلكل منها نظام عجيب وسنن إلهية مطردة في تكوينها وتوالد ما يتوالد من أحيائها وغير ذلك حتى لو دققت النظر فى أنواع الجمادات من الصخور المختلفة الأنواع ، والجواهر المتعددة الخواص والألوان ، لشاهدت من النظام فيها ومن أنواع المنافع فى اختلافها وتنوعها ماتعلم به علم اليقين أنها ترجع فى ذلك الى ابداع إله حكيم ، رؤف رحيم ، وأقول هنا ان الاستاذ الامام يرى أن فى الجماد حياة خاصة به دون الحياة النباتية ولاأدرى أقاله في تفسير هذه الاية أم لا ولكنني سمعته منه غير مرة .

قال تعالى (واختلاف الليل والنهار) يجيء أحدهما فيذهب الاخر ويطول هذا فيقصر ذاك وكل ذلك بحسبان ، مطرد في جميع الاقطار والبلدان ، ومثله اختلاف الفصول ، باختلاف مواقع العرض والطول ، وقد ذكر هذه الاية بعد خلق السموات والأرض لأن هذا الاختلاف هو أثر مقابلة الأرض للشمس وحركتها بازائها وتفصيل ذلك مشروح فى محله من العلم الخاص بهذه المسائل . وفي المشاهد من اختلاف الليل والنهار والفصول وما للناس فى ذلك من المنافع والمصالح آيات بينة على وحدة مبدع هذا النظام المطرد ورحمته بعباده يسهل على كل أحد أن يفهمها وان لم يعرف أسباب ذلك الاختلاف وتقديره . وفى القران بيان لذلك فى مواضع كثيرة كقوله تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد

السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا » فهذه الآية تهدي الى مافي اختلاف الليل والنهار من المنافع العامة وفى معناها آيات أخرى . وقال تعالى « وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا» وهذا هداية الى المنافع الدينية . وهناك آيات تشير الى أسباب هذا الاختلاف كقوله تعالى « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » وقوله « يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثا » (١) وصفوة القول فى هذا المقام أن اختلاف الليل والنهار أثر من آثار النظام الشمسي وقلنا أن ذلك النظام يدل على وحدة واهبه ونقول إن آثاره تدل على ذلك أيضا وأما دلالتها على رحمته تعالى فظاهرة مما تقدم الاستشهاد به من الآيات آنفا

قال تعالى (والفلك التى تجري فى البحر) كان الظاهر ان تأتي هذه الآية في آخر الآيات ليكون ماللانسان فيه صنع على حدة وماليس له فيه صنع على حدة. والنكتة فى ذكرها عقيب آية الليل والنهار هي أن المسافرين في البر والبحر هم الذين يمكنهم تحديد اختلاف الليل والنهار على الوجه الذى ينتفع به ، والمسافرون في البحر أحوج لمعرفة الأوقات ، وتحديد الجهات ، لأن خطر الجهل عليهم أشد ، وفائدة المعرفة لهم أعظم ، ولذلك كان من ضروريات رباني السفن معرفة علم النجوم (الهيئة الفلكية) وعلم الليل والنهار من فروع هذا العلم قال تعالى « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر » ـ فهذا وجه الترتيب بين ذكر الفلك وما قبله . وأما كون الفلك آية فلا يظهر بادي الرأي كما يظهر كونها

(١) قدمر في الجزء الماضي الاستدلال بالآيتين على استدارة الارض مع الكلام على سبب الليل والنهار

رحمة من قوله (بما ينفع الناس) ومما يعرف فى هذا العصر بالمشاهدة والاختبار أكثر مما كان يعرف فى العصور السالفة اذ كانت الفلك كلها شراعية فلم يكن البخار يسير أمثال هذه البواخر والبوارج العظيمة التى تحكى مدنا كبيرة فيها جميع المرافق التي يتمتع بها المترفون والملوك فى البر من الأرائك والسرر والحمامات وغير ذلك اوقلاعا وحصونا فيها أقتل آلات الحرب. وكل ذلك من رحمة الاله الذى خلق هذه الاشياء وهدى اليها الانسان ، فلابد لفهم كونها آية على وحدانيته من فهم طبيعة الماء وطبيعة قانون الثقل فى الاجسام وطبيعة الهواء والريح وزد على ذلك معرفة طبيعة البخار والكهرباء التى هي العمدة فى سير الفلك الكبرى فى زماننا فكل ذلك يجري على سنن إلهية مطردة منتظمة تدل على أنها صادرة عن قوة واحدة هي مصدر الابداع وهي قوة الاله الواحد الرحيم

(وما أنزل الله من السماء من ماء) المراد بالسماء جهة العلو لا ماقاله المخذولون الذين تجرؤا على الكذب على الله ورسوله فزعموا ان بين السماء والارض بحرا قالوا انه موج مكفوف وان المطر ينزل منه على قدر الحاجة فى تفصيل اخترعوه ما أنزل الله به من سلطان، وتبعهم فيه أسرى النقل ولو خالف الحس والبرهان، ونزول المطر من الامور المحسوسة التى لا تحتاج الى نقل ولا نظر عقل وقد شرح كيفية تكونه ونزوله العلماء الذين تكلموا فى الكائنات، ووصفوا بالتدقيق الآيات المشاهدات ، ولم يخرج شرحهم الطويل عن الكلمة الوجيزة فى بعض الآيات التى ذكر فيها المطر وهى قوله تعالى « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله » فحرارة الهواء هى التى تبخر المياه والرطوبات

وتثيرها الرياح فى الجو حتى تتكاثف ببرودته وتكون كسفا من السحاب يتحلل منه الماء ويخرج من خلاله وينزل بثقله الى الارض .

ثم وصف الله تعالى هذا الماء بأعظم آثاره فقال (فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة) فبالماء حياة الأرض بالنبات وبه استعدت لظهور أنواع الحيوان فيها. وهل المراد الاحياء الأول وما تلاه من تولد الحيوانات المعبر عنها بكل دابة أو هو مايشاهد من آحاد الإحياء التى تتولد دائما فى جميع بقاع الارض ؟ الظاهر أن المراد أولا وبالذات الإحياء الاول المشار اليه بقوله تعالى فى آية أخرى « أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي » فهو يذكر جعل كل شيء حي بالماء ، فى إثر ذكر انفصال الارض من السماء ، وذلك ان مجموع السموات والارض كان رتقا أي مادة واحدة متصلا بعض أجزائها ببعض على كونه ذرات غازية كالدخان كما قال فى آية التكوين « ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض » الخ ولما كان ذلك الفتق فى الاجرام انفصل جرم الارض عن جرم الشمس وصارت الارض قطعة مستقلة مائرة ملتهبة وكانت مادة الماء وهى مايسميه علماء التحليل والتركيب (الكيمياء) بالاكسجين والهدروجين تتبخر من الارض بما فيها من الحرارة فتلاقي فى الجو برودة تجعلها ماء فينزل على الارض كما وصفنا آنفا فيبرد من حرارتها وما زال كذلك حتى صار سطح الأرض كله ماء وتكونت بعد ذلك اليابسة فيه وخرج النبات والحيوان وكل شئ حي من الماء فهذا هو الاحياء الأول

أما الاحياء المستمر المشاهد فى كل بقاع الأرض دائما فهو المشار

اليه بمثل قوله تعالى « وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » وذلك أننا نرى كل أرض لا ينزل فيها المطر ولا تجري فيها المياه من الأراضي الممطورة لا في ظاهرها ولا في باطنها خالية من النبات والحيوان إلا أن يدخلها من أرض مجاورة لها ثم يعود منها . فحياة الأحياء فى الارض انما هي بالماء سواء كانت بالإحياء الاول عند تكوين العوالم الحية وإيجاد أصول الانواع أو الاحياء المتجدد فى أشخاص هذه الانواع وجزئياتها التى تتولد وتنمو كل يوم.

وهذه المياه التى يتغذى بها النبات والحيوان على سطح هذه اليابسة كلها من المطر ولا يستثني من ذلك أرض مصر فيقال أن حياتها بماء النيل دون المطر فان مياه الانهار التي تنبع من الارض هي من المطر يتخلل الارض فيجتمع فيندفع . وقد امتن الله تعالى بذلك علينا وأرشدنا الى آيته فيه بقوله « أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه » الآية . فالبحيرات التى هي ينابيع النيل من ماء المطر والزيادة التى تكون فيه أيام الفيضان هي من المطر الذي يمد هذه الينابيع ويمد النهر نفسه فى مجراه من بلاد السودان وكثرة الفيضان وقلته تابعة لكثرة المطر السنوي وقلته هناك.

هذا هو الماء فى كونه مطرا وفى كونه سببا للحياة وهو آية فى كيفية وجوده وتكونه فانه يجري فى ذلك على سنة إلهية حكيمة تدل على الوحدة والرحمة ثم انه آية فى تأثيره فى العوالم الحية أيضا فان هذا النبات يسقى بماء واحد هو مصدر حياته ثم هو مختلف فى ألوانه وطعومه وروائحه فتجد فى الارض الواحدة نبتة الحنظل مع نبتة البطيخ متشابهتين فى الصورة متضادتين فى الطعم ، وتجد النخلة وتمرها ما تعلم وتجد فى جانبها شجرة الورد لها من الرائحة

ماليس للنخلة ، بل يوجد فى الشجر ماله زهر ذكى الرائحة ولو قطعت الغصن الذي فيه هذا الزهر تنبعث منه رائحة خبيثة - فتلك السنن التى يتكون بها المطر وينزل جارية بنظام واحد دقيق ، وكذلك طرق تغذي النبات بالماء هي جارية بنظام واحد ، فوحدة النظام وعدم الخلل فيه تدل على أن مصدره واحد فهو من هذه الجهة يدل على الوحدانية ومن جهة ماللخلق فيه من المنافع والمرافق يدل على الرحمة لالهية الشاملة . وقل مثل هذا فيما بث الله تعالى فى الارض من دابة فانها آيات على الوحدة، ودلائل وجودية على عموم الرحمة، وبثّ الدواب فى الأرض فرقها وأرسلها منتشرة فى أرجائها وأنحائها

قال تعالى (وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض) ذكر آية الرياح والسحاب بعد آية المطر للتناسب بينهما وتذكيرا بالسبب فان الرياح هى التى تثير السحاب وتسوقه فى الجو الى حيث يتحلل منه المطر كما تقدم آنفا فى آية «الله الذى يرسل الرياح» وتصريف الرياح تدبيرها وتوجيهها على حسب الارادة ووفق الحكمة والنظام فمرة تأتي من الشمال وأخرى من الجنوب وتارة تأتي نكباء بين بين ،وإذ هبت حارة في بعض الاماكن والأوقات فهي تهب عقيب ذلك لطيفة الحرارة أو باردة ، وكل ذلك يجري على سنة حكيمة تدل على وحدة مصدرها، ورحمة مدبرها ،

قال تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والأرض) ذكر السحاب هنا بعد ذكر تصريف الرياح لأنها هي التى تثيره وتجمعه وهي التي تسوقه الى حيث يمطر وتفرق شمله أحيانا فيمتنع المطر ولم يذكره عند ذكر الماء مع انه سببه المباشر ليرشدنا الى أنه فى نفسه آية فانه يتكون بنظام ويعترض بين السماء والأرض بنظام فهو فى ظاهره آية تدهش الناظر

الجاهل بالسبب لو لم يألف ذلك ويأنس به وإنما يعرفها حق معرفتها من وقف على السنن الالهية فى اجتماع الاجسام اللطيفة وافتراقها وعلوها وتسفلها وهو ما يعبر عنه علماء هذا الشأن بالجاذبية ، وهي أنواع منها جاذبية الثقل والجاذبية العامة وجاذبية الملاصقة ومن لا يعرف أسرار هذه الكائنات ، وانما ينظر الى ظواهرها فيراها كما تراها العجماوات ، فهو لا يفهم معنى كونها آيات ، لأنه أهمل آلة الفهم التى امتاز بها وهي العقل ولذلك قال الله تعالى ان فى هذه الاشياء (آيات لقوم يعقلون)

أليس أكبر خذلان للدين وجناية عليه أن لا ينظر المنتسبون اليه فى آياته التي يوجههم الى النظر اليها ، ويرشدهم الى استخراج العبر منها ، ؟ أليس من أشد المصائب على الملة أن يهجر رؤساء دين كهذا الدين العلوم التى تشرح حكم الله وآياته فى خلقه ويعدوها مضعفة للدين أو ماحية له خلافا لكتاب الله الذى يستدل بها ويعظم شأن النظر فيها ؟ بلى وانهم ليصرون على تقاليدهم هذه وليس عليها حجة وانما تبعوا فيها سنن قوم ممن قبلهم وكان بعض الحكماء المتأخرين يقول كلمة فى أهل دينه الذين خذلوه: هكذا شأن أهل الاديان كافة كأنهم تعاهدوا جميعا على ان يكون سيرهم واحدا: وهذا المعنى مأخوذ من قول الله تعالى فى الكافرين يتفقون فى كل أمة على الطعن فى نبيها «أتواصوا به ؟ بل هم قوم طاغون» وقد يزعم بعض هؤلاء الذين يعادون علم الكون باسم الدين ان النظر فى ظواهر هذه الاشياء كاف للاستدلال بها ومعرفة آيات صانعها وحكمته ورحمته فمثلهم كمثل من يكتفي من الكتاب برؤية جلده الظاهر وشكله من غير معرفة ما أودعه من العلم والحكمة . نعم ان هذا الكون هو كتاب الابداع الالهي المفصح عن

وجود الله وكماله، وجلاله وجماله، والى هذا الكتاب الاشارة بقوله تعالى «قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا» وبقوله «ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله» فكلمات الله هي آحاد المخلوقات والمبدعات الالهية فانها تنطق بلسان أفصح من لسان المقال لكن لا يفهمه الذين هم عن السمع معزولون، وللعلم معادون، الواهمون أن معرفة الله تقتبس من الجدليات النظرية، والاقيسة المنطقية، دون الدلائل الوجودية الحقيقية، ولو كان زعمهم حقيقة لا وهما لكان الله سبحانه استدل في كتابه بالأدلة النظرية الفكرية، وذكر الدور والتسلسل وغير ذلك من الاصطلاحات الكلامية، ولم يستدل بالسماء والارض والليل والنهار والفلك والمطر وتأثيره في الحياة وغير ذلك من المخلوقات التي أرشدنا القرآن الى النظر فيها، واستخراج الدلائل والعبر منها، ألا إن لله كتابين كتابا مخلوقا وهو الكون وكتابا منزلا وهو القرآن وانما يرشدنا هذا الى طرق العلم بذاك بما أوتينا من العقل فمن أطاع فهو من الفائزين، ومن أعرض فأولئك هم الخاسرون،

باب السؤال والفتوى

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

(دعوى الشعراني انه أعطي ان يقول للشيء كن فيكون)

(أو دعوى الأولياء الألوهية)

(س ٣٤) الشيخ قاسم محمد غدير في (أسيوط): ما تقولون في معنى قول الشعراني مما من الله به علي أن أعطاني قول (كن) فلو قلت لجبل كن ذهبا لكان: الخ

(ج) إن الايجاد والتصرف في الاشياء بمقتضى الارادة المعبر عنها بكلمة (كن) هو خاص بخالق العالم ومدبره يستحيل ان يكون لغيره وما كان مستحيلا فلا تتعلق قدرة الله به فيقال بجواز اعطائه لغيره كما هو مقرر في علم الكلام فلا يقال ان الله تعالى قادر على ان يجعل معه الها آخر فان القدرة لاتتعلق الا بالممكنات وهذا محال ومن يعتقد ان احداً غير الله يفعل ماشاء ويوجد ويعدم ويقلب الاعيان بقول كن فلاشك في كفره الصريح وشركه القبيح ، واذا أحسنا الظن بالشيخ الشعراني فاننا نقول ان هذه الكلمة مدسوسة عليه فقد صرح هو في بعض كتبه كاليواقيت بانهم كانوا يدسون عليه في زمنه . على ان كتبه المشهورة المتداولة طافحة بالخرافات والدعاوي التي ينكرها الشرع والعقل وهي أضرّ على المسلمين من غيرها من الكتب الضارة المنسوبة الى المسلمين والى غير المسلمين . وقد كنت من أيام أجادل بعض البابية وأبين لهم فساد دينهم الجديد فقال أحدهم : ماتقول في الشعراني ؟ فعلمت انه يريد ان يحتج بما في بعض كتبه من ان المهدي يأتي عكا وما يقوله في « مأدبة الله بمرج عكا » فان البابية يحملون ذلك على البهاء الذي انشر دينه وهو في عكا ومات فيها فقلت له ان كلام الشعراني — أي الذي انفرد به — عندي كالشيء اللقا لاقيمة له والكتب المنسوبة اليه هي العمدة في الاضلال المنتشر بين المصريين في الاولياء لاسيما في السيد البدوي فانها مرغبة في موالده التي هو قرارة المنكرات والمعاصي الخ

واني لاعلم انه لايزال في قراء المنار على استنارتهم من يعظم عليه وقع الانكار على كتب الشعراني وان كان الغرض منه تنزيه الله تعالى فان الذين أشربت قلوبهم عقائد الوثنية يعظمون المشهورين من الذين يسمونهم أولياء أكثر مما يعظمون الله تعالى ويسرون أن يوصف أولياؤهم بصفات الألوهية ويرون من الضلال أو الكفر أن يقال انهم بشر لايمتازون على غيرهم بما هو فوق خصائص البشرية . وان ما وفق له الصالحون من العمل الصالح فانما هو عمل كسبي يقدر غيرهم على الاتيان بمثله بهداية الله وتوفيقه . وإن الفتنة في الدعوى المسؤل عنها أكبر من الفتنة بكل كلام أهل الكفر والاضلال اذ لايخشى من قول عابد الصنم : إن صنمي إله : أن يفتتن به المسلم كما يخشى على عامة المسلمين وكثير من المقلدين الذين يسمون علماء وخاصة من كلمة الشعراني لأن هؤلاء

يأخذون هذه الكلمة بالتسليم بناء على أنها من باب الكرامات التى ليس لها حد عندهم ومتى سلموا بها جزموا بأن مثل هذا الولي يفعل مايشاء فيصرفون قلوبهم اليه ويطلبون حوائجهم منه فيكونون قد اتخذوه إلها باعتقادهم انه يقول للشيء كن فيكون وقد عبدوه بدعائه والاعتماد عليه وهم مع هذا كله يغشون أنفسهم بأنهم لايسمونه الها وانما يسمونه وليا كأن الاسماء هي التي تميز الحقائق دون العقائد والاعمال القلبية والبدنية . وأنني أذكرهم بان المشركين كانوا يسمون معبوداتهم أولياء ، ويعتقدون كما يعتقدون أنهم شفعاء ،قال تعالى « والذين اتخذوا من دونه أولياء: مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » وقال انهم يعبدونهم « ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وقد بينا لهم الحق لم نخف فيه لومة لائم فليضربوا بكلام الشعراني عرض الحائط ان كان كل مافى كتبه كلامه أوليحسنوا الظن به كما قلنا أولا ويحكموا بأن هذه الكتب مملوءة بالدسائس عليه، فلا يعتمد عليها ولا تتخذ حجة عليه ، وهذا هو الاسلم فنبرئه ولا نبرئها ، وندعو له بالرحمة ونطرحها ، مكتفين بهدي الكتاب والسنة ، فمن تمسك بهما نجا، وماتنكب عنهما هالك ، وأعلم أن اعظم مايغش الناس بقبول كل ماينسب للاولياء والصالحين أمران احدها وقوع بعض الامور الغريبة على أيديهم أوفى إثر الالتجاء اليهم وقد بينا طرق تأويل ذلك وكشف الحق فيه فى مقالات الكرامات والخوارق من المجلد الماضي وسنزيدها بيانا ، وثانيهما تسليم بعض الشيوخ المعرفين بالعلم أو الصلاح بذلك

﴿واقعة غريبة فى الموضوع﴾

رأى فى هذه الايام رجل موحد صديقا له من القضاة الشرعيين في المسجد الحسيني يتضرع ويشكو لسيدنا الحسين عليه السلام ويطلب منه قضاء حاجاته من غير ان يذكرها بالتفصيل اكتفاء بأنه رضي الله عنه يعرفها لانه مطلع على أحوال العالم كله ولذلك كان يقول له في كلامه مايقوله غيره من العامة : الشكوى لاهل البصيرة عيب: فقال له الموحد إن هذا الذي أنت فيه شرك بالله تعالى وان أحكامك الشرعية غير صحيحة مع اعتقادك وعملك هذا وبعد جدال اتفقا على ان يتحاكما الى عالم في الازهر هو من أشهر اهله فى مصر بالعلم والصلاح ، فقصا عليه خبرها وشرح له الموحد عقيدته . فسأله الشيخ عن استاذه الذي يحضر عليه!! فقال ليس لي استاذ وانما الكلام في العقائد لافي الاشخاص، فسأل

القاضي عن صحة ما نسبه اليه فقال له نعم هذا الذي لقينا عليه مشايخنا ومنهم فلان الصالح الشهير . فقال الشيخ الموحد ان عقيدتك يابني هي الشرع اذ لايوجد فيه شيء مما عليه الناس فاذا لم تعتقد بان أحدا من الاولياء يضر أو ينفع فان ذلك لايضرك ولكن لاتغال فتطعن فيهم اذ يخشى عليك حينئذ ولا يضرك أيضا ان تعتقد كما يعتقد القاضي فان بعض علمائنا الشافعية الذين لانستطيع أن تنكر عليهم أو نشك في فضلهم قد أثبتوا للاولياء تصرفا !! فقال الموحد أن الامر في اعتقادي القطعي الذي ألقى الله عليه هو دائر في هذه المسألة بين التوحيد والشرك فانا اعتقد أنه لاضار ولانافع الا الله وان نبينا عليه الصلاه والسلام قد جاءنا بالهداية عن الله تعالى ولم يكن له من الامر شيء وانما عليه التبليغ وقد بلغ رسالة ربه « وانتهت مأموريته » فقبضه الله اليه . والقاضي يقول أن للاولياء الميتين ديوانا وأنهم هم المتصرفون في الكون فكل مايجري فيه فانما يجري بتصرفهم ، وهذا نقيض اعتقادي ، فقال له الشيخ انك قلت أولا انك لقيت القاضي في المسجد الحسيني فماذا كنت تفعل هناك ؟ قال أزور سيدنا الحسين : قال ولماذا ؟ قال لأن زيارة القبور مسنونة للاعتبار ولأن سيدنا الحسين رجل عظيم من أولاد الرسول الذي جاءتنا الهداية على لسانه بذل دمه في سبيل نصرة الدين وازالة الظلم فانا بزيارته ازداد اعتبارا وأدعو له بالرحمة اعترافا بفضله . قال الشيخ قلت لك ان اعتقادك شرعي ولكن لاتنكر على القاضي وغيره فان شيخنا فلانا كان يرسلني في أول حضوري عليه الى سيدنا الحسين في حال شدته (أو قال مرضه لاأدري) ويأمرني ان أقول له : العادة ياسيدنا الحسين : فيحصل له خير (أو قال غير ذلك النسيان مني) فانظر أيها القارئ تجد العالم يعترف بأن كذا هو الدين والشرع ثم يقر على مخالفته اعتماداً على أن بعض مشايخه المقلدين كانوا يقرون ذلك وهو يحسن الظن بهم وأعجب من هذا أن الناس الذين يسلمون بان امر الشعراني اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون لاينافي الدين فلا يعترضون عليه بل يعترضون على ابن تيمية اذ يقول لااله لاتصرف الا الله ولادين الا ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله . فهكذا يفعل التقليد لايبقي عقيدة ولادينا ، ولاحجة فيه الا الاذعان للاشخاص الذين لاعصمة لهم من الجهل ولا من الخطأ والاحكايات ووقائع غريبة ينقل مثلها عن جميع الملل . وكثيرا مايكون هؤلاء المعتقدون بتصرف الأموات من أهل العبادة

والزهد والاخلاص بحسب تقاليدهم ولذلك يغش الآخرون بهم «وخلق الانسان ضعيفا»

إدخال السعدية الدبابيس في أشداقهم

(س ٣٥) ومنه : كنتم قلتم في تضارب السعدية بالسيوف ان ذلك لعبة عادية فما تقولون فى ادخال الدبابيس فى أشداقهم من غير ضرر

(ج) ان هذا كذلك ولايدخل منه شئ فى الدين اذ الدين جد لالهو فيـه ولا لعب ولايدخل هذه الاعمال في الدين الا «الذين اتخذوا دينهم هزؤا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا» أما التعود على هذه الاشياء والحيل فيها فلا يعرفها الا من زاولها ومن المشعوذين في أوربا وغيرها من يفعل أعظم من ذلك

حروف الكتابة ـ احترامها

(س ٣٦) ومنه : هل كل مكتوب محترم لايجوز إلقاؤه أم ذلك خاص بما احتوي على لفظ شريف وهل غير العربي مثله في ذلك ؟

(ج) ذهب الشافعية الى أنه يجب احترام الاسماء المعظمة المكتوبة كأسماء الله وأنبيائه كاحترام كلام الله تعالى فلا يجوز أن تلقى حيث تداس مثلا أوأن يتعمد عدم الاكتراث بها أو الاهانة لها كما يقال . و بالغ الحنفية فقالوا ان كل الحروف والكتابة محترمة بهذا المعنى . فاما كتابة نحو القرآن والاسماء المعظمة فان تعمد إهانتها يدل على عدم الايمان كما ينقل عن بعض الملحدين المشهورين فى مسامي مصر من انه أخذ ورقة من المصحف ولفها ووضعها في أذنه يخرج بها الوسخ منها فهـذا لاشك في إلحاده وكفره . واما اهانة كلام الناس المكتوب فلا يتصور حدوثه من عاقل الا لسبب كاعتقاد أن الكلام ضار أوكتب بسوء النية وقصد الايذاء والدهان مثلا فمن قرأ جريدة ورأى فيها شيئا من مثل هـذا فألقاها أومزقها ورماها هل يقال انه عاص لله تعالى مرتكب لما حرمه ؟ كلا ان التحليل والتحريم بغير نقل صحيح أودليل رجيح هو المحرم ولم نعرف دليلا فى الكتاب ولا فى السنة على أن القاء ورقة مكتوبة على الارض بقصد احتقار مبني على اعتقاد ضررها مثلا او بغير قصد ذلك كالاستغناء عنها وعدم الحاجة اليها من المحرمات التي يعذب الله فاعلها . وماعساه يقال في استنباط اللوازم البعيدة من : أن ذلك يستلزم احتقار الحروف واحتقار الحروف يستلزم احتقار مايكتب

بها وما يكتب بها عام يشمل كتاب الله وأسماءه : فغير مسلم ويمكن ان يستنبط مثله فيمن يلقي قشور البطيخ والباذنجان ونحوها بان يقال ان هذه نعمة يمكن ان ينتفع بها الناس أو الدواب فيجب تعظيمها واحترامها وعدم احترامها يستلزم الكفر بالمنعم بها وما أشبه ذلك . وجملة القول في المسألة ان العاقل المكلف لايقصد بالقاء الورق المكتوب اهانته الا لنحو السبب الذي ذكرناه وهو لاشيء فيه بل العاقل لايحتقر شيئاً في الوجود لذاته أو لانه وسيلة لشيء نافع اوشريف فما قاله الشافعية هو الظاهر ولا ينبغي الغلو والتنطع فيه والله أعلم

الطلاق ـ اشتراط القصد فيه

(س ٣٧) ع • ص • بمصر (القاهرة) : كنت أتجاذب أطراف الحديث مع صديق لي في أمور دينية فتدرجنا الى موضوع الطلاق فاختلفنا فيه وكان رأيه أن الطلاق يقع لمجرد النطق باللفظ ولو لم يكن الطلاق مقصودا وأما انا فرأيت انه لايقع الطلاق الا بعد الاصرار عليه • فهل لكم ان تتفضلوا بنشر الحقيقة على صفحات مناركم الأغر فتنقذوا العالم الاسلامي من وهدة الاختلاف التي وقع فيها من كثرة التأويلات ويكون لكم علينا الفضل ومنا الشكر ومن الله الأجر :

(ج) الزواج عقدة محكمة توثق بين الزوجين بعقد مقصود مع العزم فمن المعقول أن لاتحل الا بعزم وبذلك جاء الكتاب الحكيم قال تعالى « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » أي لاتعزموا عقد هذه العقدة الا في وقتها وهو انتهاء عدة المرأة والكلام فى المعتدة . وقال تعالى « وان عزموا الطلاق » الخ أي إن صمموا عليه وقصدوه قصداً صحيحاً . والقاعدة عند الفقهاء فى العقود أن العبرة بالمقاصد والمعاني ، لابالألفاظ والمباني ، وظاهر أن أعظم العقود وأهمها العقد الذي موضوعه الانسان من حيث يأتلف ويجتمع ويتوالد ويربي مثله فمثل هذا العقد يجب الحرص التام عليه لأن فى حله خراب البيوت وتشتيت الشمل المجتمع وضياع تربية الأولاد وغير ذلك من المضار ولكن أكثر فقهاء المذاهب المشهورة ذهبوا الى أن عقدة النكاح تنعقد بالهزل وتنحل بالهزل حتى كأنها أهون من العقد على أحقر الماعون الذى اشترطوا فيه مع التعاطي الايجاب والقبول الدالين على القصد الصحيح

وحجتهم فى حديث غريب كما قال الترمذي أخرجه أحمد وأصحاب السنن ماعدا النسائي من حديث أبي هريرة وهو « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة » وقد صححه الحاكم الذي كثيراً ما صحح الضعاف والموضوعات وفى إسناده عبدالرحمن بن حبيب بن (أزدك) قال النسائي فيه منكر الحديث ولذلك لم يخرج حديثه ولقد عرف النسائي رحمه الله تعالى من ابن (أزدك) هذا ماخفي على كثيرين ونحن تقدم جرح النسائي على توثيق غيره عملا بقاعدة تقديم الجرح على التعديل مع كون موضوع الحديث منكرا لمخالفته مادل عليه الكتاب من وجوب العزم فى هذا الامر ومخالفته القياس في جميع العقود وهو ان تكون بقصد وارادة وان جعله الحافظ حسنا . ولهذا لم يأخذ به مالك ولا أحمد ــ وهو أحد رواته ــ على اطلاقه بل اشترطا النية فى لفظ الطلاق الصريح واشتراطه في الكناية أولى لاحتمالها معنيين . ومن العجائب ان بعض الفقهاء يقول أن النكاح لايقع من الهازل ولكن الطلاق يقع فهو يأخذ ببعض الحديث ويترك بعضا. وقد دعم بعضهم حديث ابن أزدك بحديث فضالة عند الطبراني «ثلاث لايجوز فيهن اللعب الطلاق والنكاح والعتق » وهو على ضعفه بابن لهيعة فى سنده ينقض الأول لايدعمه لان عدم الجواز يستلزم الفساد لا الصحة كما يعرف من الأصول وجاء بلفظ آخر فيه انقطاع فلا يعول عليه ولا يبحث فيه . ثم ان مسائل العقود ومنها النكاح والطلاق كلها مشروعة لمصالح العباد ومنافعهم ، معقولة المعنى لهم وليس من مصلحة المرأة ولا الرجل ولا الأمة ان يفرق بين الزوجين بكلمة تبدر من غير قصد ولا ارادة لحل العقدة بل فيها من المفاسد والمضار مالا يخفى على عاقل فلا يليق بمحاسن الملة الحنيفية السمحة أن يكون فيها هذا الحرج العظيم . هذا وقد ورد فى الأحاديث الموافقة لأصول الدين وسماحته مايدل على أن الخطأ والنسيان غير مؤاخذ به ومثلهما الاكراه وقد قال تعالى « لايؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان » أى بتوثيقها بالقصد والنية الصحيحة والطلاق من قبيل الأيمان والله أعلم وأحكم

﴿ رأي أمير المؤمنين علي «ض» واحتياطه فى أكله ﴾

(س ٣٨) عبده افندى ناطق في (الاسكندرية) نذكر هـذا السؤال بمعناه وهو أن صاحب مجلة الهلال قال فى ترجمة سـيدنا علي كرّم الله وجهـه في المجلد

السادس (ص ٢٠٢ و ٢٠٣) انه كان ضعيف الرأي ولذلك فشل فى مسألة الخلافة « وانه لم يكن يأكل طعاما لايعرف صانعه وحامله فكان يختم على جراب الدقيق الذي يأكل منه وسئل مرة عن سبب ذلك فقال : لا أحب أن يدخل بطني الا ما أعلم : والظاهر أنه كان يفعل ذلك مخافة أن يغدر به أعداؤه فيميتوه مسموما » اه هذه عبارة الهلال وقد استبشعها السائل وكتب الينا اولا فأجبناه بكتاب خاص بأن ماذكره في الهلال حكاية فهو منقول فكتب ياح منفعلا بوجوب الجواب فى المنار فنقول فيه

(ج) ان الامام علياً لم يكن يجهل من الرأي ماكان يشير به عليه بعض الذين ظنوا انه كان ضعيف الرأي كما يعلم من خبر المغيرة معه وانما كانت السياسة تقضي فى عهده بأن يقر بعض العمال ذوي العصبية كمعاوية على اعمالهم مع اعتقاده بأنهم كانوا ظالمين ولكن وجد ان الدين كان اقوى عنده من دهاء السياسة حتى لايستطيع ان يعمل ولا ان يقر الا مايعتقده حقاً وعدلا وهذا هو السبب الصحيح فى فشله فقد كان الدين عنده امرا وجدانيا عقليا لانظريا فقط وسبب ذلك انه تربى عليه عملا فى حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عبدالباقي

ربيب طه حبيب الله انت ومن * كان المربي له طه فقد برعا

واما مسألة الأكل فقد كان سببها الورع وما استظهره صاحب الهلال فى غير محله فانه قياس على حال بعض الملوك الجبناء الظالمين الذين فتنوا بحب طول البقاء والنعيم والخوف من الرعية وما أبعد الفرق !! والمؤرخون كصاحب الهلال يأخذون الخبر على ظاهره ويستنبطون منه مايسبق الى خواطرهم بحسب معرفتهم وتأثير عصرهم. أما الأثر فقد رواه أبو نعيم فى الحلية بسنده الى عبد الملك بن عمير قال حدثني رجل من ثقيف ان عليا استعمله على عكبرى قال ولم يكن السواد يسكنه المصلون وقال لي اذا كان الظهر فرح الي فرحت اليه فلم اجد عنده حاجبا يحجبني دونه فوجدته جالسا وعنده قدح وكوز من ماء فدعا بظبية (١) فقلت في نفسي لقد أمنني حين يخرج الى جوهرا ولاادري مافيها فاذا عليها خاتم فكسر الخاتم فاذا فيها سويق فأخرج منها فصب فى

*(١) الظبية جراب صغير من جلد الظبية عليه الشعر

القدح فصب عليها ماء فشرب وسقاني فلم أصبر فقلت : ياامير المؤمنين اتصنع هذا بالعراق وطعام العراق اكثر من ذلك : قال « اما والله ما اختم عليه بخلا عليه ولكن أبتاع قدر مايكفيني فأخاف ان يفنى فيوضع من غيره وانما حفظي لذلك واكره ان ادخل بطني إلاطيبا » : وأخرج ابو نعيم ايضا من طريق سفيان عن الاعمش قال : كان علي يغدي ويعشي (اى الناس) ويأكل هو من شيء يجيئه من المدينة : وذكر الأثر الاول من غير حكاية الراوي صاحب القوت والغزالي في كتاب الحلال والحرام من (الاحياء) واتفقوا على انه من الورع والواقعة صريحة فيه وهكذا كانت سيرة المتقين من الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة والتابعين

روى البخاري من حديث عائشة قالت : كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام أتدري ماهذا قال وماهو ؟ قال كنت تكهنت لانسان فى الجاهلية فأعطاني . فأدخل اصبعه فى فيه وجعل يقيء حتى ظننت ان نفسه ستخرج وقال : اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء :

وروى ابو نعيم فى الحلية بسنده الى زيد بن ارقم قال كان لابي بكر مملوك يغل عليه فأتاه يوما بطعام فتناول منه لقمة فقال له المملوك : مالك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة : قال : « حملني على ذلك الجوع من اين جئت بهذا؟ قال مررت بقوم فى الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني فلما كان اليوم مررت بهم فأعطوني . قال : أف لك كدت ان تهلكني » فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعل لايخرج . فقيل له ان هذه لاتخرج الا بالماء فدعا بعس من ماء فجعله يشرب ويتقيأ حتى رمى بها . فقيل له : رحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة قال : لولم تخرج الا مع نفسي لأخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » فخشيت ان ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة : ورواه غيره . وروى مالك من طريق زيد بن اسلم قال شرب عمر لبنا فأعجبه فسأل الذي سقاه : من اين لك هذا اللبن ؟ فأخبره انه ورد على ماء قد سماه فاذا نعم من نعم الصدقة وهم يسقون فحلبوا لي من ألبانها فجعلته في سقائي فهو هذا : فأدخل عمر يده فاستقاءه : ـ هذا بعض شأنهم في الورع والاحتياط في المأكل ولم يكن

عهد ابي بكر وعمر كعهد علي في تهاون الناس بالحلال والحرام ولذلك بالغ هو في الاحتياط في سفره . وحاشا ان يمس الخوف من السم ذلك القلب المملوء ايمانا وشجاعة

تركة ووصيتان

(س ٤٠) السيد حسن بن علوي بن شهاب الدين في (سنغافوره)

ماقولكم فيمن اوصى بما نصه : ومايزيد من تركتي بعد ماذكر اعلاه (يعني من دينه) يقسم اثلاثا ثلثان للورثة يقسم بينهم والثلث الثالث يقسم عشرين سهما اه وعين مصرف العشرين السهم ثم قال في وصية له اخرى مانصه : وجعل لاولاد اخيه احمد مثل نصيب احد اولاده الذكور والوصية المتقدمة باقية على صحتها اه : اما الوصيتان فمعلوم صحتهما والورثة ام وزوجة وستة اولاد وثلاث بنات ولا يخفاكم انه مات قبل الاستحقاق فريق له ثلاثة اسهم ونصف سهم من العشرين السهم قبل موت الموصى فهل بسقوط هذه الاسهم تعود هذه الاسهم تركة ام يوزع مابقي على مابقي من الاسهم وتعود وصية وعلى كلا التقديرين كيف تكون قسمة التركة وكيف تصحيح المسئلة لان بعض العلماء يزيد ذلك المثل اولاً في تصحيح المسئلة ويزيد مثله للموصى له نعم ثلث المال في واقعة الحال شيء كثير فلو كان الثلث مثلا الفا ومقدار مثل نصيب احد الاولاد سبعمائة فهل يأخذ الموصى له بمثل النصيب نصيبه كاملا ام يدخل النقص على الجميع وفي مسئلتنا هنا هل يشاركهم في الزائد وهي الثلاثة الاسهم والنصف السهم الذي مات مستحقوه قبل الاستحقاق نومل من شيم الكرام الجواب على صفحات المنار مع التوضيح الكامل فالمسئلة واقعة حال ودمتم

(ج) نقول اولا ان السائل كتب حاشية للسؤال ذكر فيها اختلاف اهل العلم فى المسألة وان كلام ابن حجر اختلف فيها فظننا انها ذكرت في فتاويه بنصها فأرجأنا الجواب لمراجعة كلام ابن حجر اذ ليس عندنا فتاواه ولا تحفته ثم رأينا ان نعطي السؤال لاحد اصدقائنا من علماء الشافعية فى الازهر ففعلنا وجاءنا منه مايلي بنصه :

الحمد لله اما بعد فهاتان وصيتان على الترتيب — الاولى بالثلث وجعله عشرين سهما فلتكن التركة ستين سهما — والثانية بمثل نصيب ذكر من اولاده . وحيث قدمات اصحاب ثلاثة اسهم ونصف من العشرين قبل موت الموصي فتلك الحصة تعود تركة فتكون الوصية الأولى بستة عشر سهما ونصفا من ستين ، وتكون التركة التي فيها الوصية الثانية

ثلاثة واربعين سهما ونصفا ، تقسم كلها على الورثة لاغير وهم ام وزوجة وستة ذكور وثلاث بنات = ومسألتهم من اربعة وعشرين وتصح من ثمانية واربعين ونريد الآن الثاني لانه اسهل حسابا فلنعتبر ان الثلاثة والاربعين سهما ونصفا ثمانية واربعين سهما للزوجة الثمن بستة وللأم السدس بثمانية فهذه اربعة عشر يبقى اربعة وثلاثون لستة ذكور وثلاث بنات فتكون القسمة على خمسة عشر باعتبار البنات فلا تنقسم الاربعة والثلاثون سهما عليهم صحيحة فتضرب في خمسة عشر فيكون حاصل الضرب خمسمائة وعشرة يقسم ذلك الحاصل على خمسة عشر فتكون حصة البنت اربعة وثلاثين وحصة الذكر ثمانية وستين ثم تحول حصة الزوجة والام الى اسهم كهذه فتضرب اربعة عشر في خمسة عشر فيبلغ مائتين وعشرة تضم الى خمسمائة وعشرة حصة بقية الورثة فتكون التركه التي كانت ثلاثة واربعين سهما ونصفا سبعمائة وعشرين سهما حصة جميع الورثة فقد صححت المسألة على ذلك ويزاد عليه مثل نصيب ذكر وهو ثمانية وستون فتبلغ سبعمائة وثمانية وثمانين سهما، فاذا قسمت الثلاثة والاربعون سهما ونصف سهم الى سبعمائة وثمانية وثمانين اعطيت الزوجة تسعين والام مائة وعشرين وبقية الورثة خمسمائة وعشره للذكر مثل حظ الانثيين ، وكان لاولاد الاخ ثمانية وستين على سبيل الوصية وهي الوصية الثانية ، منها أربعة اسهم وستة وعشرون جزءا من ثلاثة واربعين ونصف زائدة على الثلث فهي موقوفة على اجازة الورثة ، وبيان كون هذا المقدار هو الزائد على الثلث انه اذا كانت الثلاثة واربعون سهما ونصف سبعمائة وثمانية وثمانين فلتكن الوصية الاولى التي هي ستة عشر سهما ونصف مائتين وثمانية وتسعين سهما وتسعة وثلاثين جزءا من ثلاثة واربعين ونصف حيث تضرب ستة عشر ونصفا في خمسة عشر فليكن المال كله قبل الوصيتين الفا وستة وثمانين سهما وتسعة وثلاثين جزءا من ثلاثة واربعين ونصف وليكن ثلثه ثلاثمائة واثنين وستين سهما وثلاثة عشر جزءا من ثلاثة واربعين ونصف ، وحيث ان الوصيتين على الترتيب فلتنفذ الاولى كلها وهي مائتان وثمانية وتسعين سهما وتسعة وثلاثون جزءا من ثلاثة واربعين ونصف ولتنفذ الثانية لاولاد الاخ فيما يتم الثلث . والذي يتممه ثلاثة وستون سهما وسبعة عشر جزءا ونصف من ثلاثة واربعين ونصف مع ان حصة الذكر ثمانية وستون فيكون الزائد عن الثلث اربعة اسهم وستة وعشرين جزءا من ثلاثة واربعين ونصف فيحتاج الى اذن الورثة

والحاصل ان التركة بحسب الاصـل ستون سهما منها عشرون للوصية الاولى رجع منها ثلاثة و نصف للتركة فتكون التركة ثلاثة و اربعين سهما و نصفا يأخذ منها اولاد الاخ ثلاثة و نصفا تتمة الثلث و يبقى بعد الثلاثة و نصف شي يتمم حصة لذكر فيحتاج الى اذن الورثة فأن اجازوا نفذ والا فلا نفود ، واذا اجازوا فلتكن القسمة على ما بينا ، بحيث تصحح مسألة الورثة أولا ثم يزاد على اصل المسألة مقدار ما يخص الذكر ثم يقسم بعد ذلك على الورثة وفيهم صاحب الوصية الثانية ولا يخفى ان تلك الزيادة هي مسألة العول الذى يدخل على جميع الانصباء .
وليس في هذه الواقعة خلاف. اقرر ناو الله اعلم حسين والي

﴿ هذا أوان العبر ﴾

﴿ فهل نحن أحياء فنعتبر ﴾

وبالجملة فقدها كل فنون المدنية النافعة التى سادت بها الدول المسيحية وسعدت الأمم الغربية واليك البيان نشر أحد كتاب العثمانيين فى العدد ٣٢ من جريدة (ترك) المؤرخة ٢٥ ربيع أول سنة ١٣٢٢ الصادرة فى مصر مقالة تستثير كوامن الشجون خلاصتها انه رأى في جرائد الاستانة كلاما طويلا عن مرور منير باشا سفير الدولة العثمانية فى باريس على صوفيا عاصمة البلغار لاجل دعوة أميرها الى زيارة الاستانة وقال انما استوقف خاطره من ذلك الكلام الطويل جـملة واحـدة وهي قول تلك الجرائد ان في جملة ما زاره السفير من المعاهد في تلك العاصمة (التي كانت تسمى فى عهد استيلاء الترك عليها مركز ولاية الطونة) معرض النباتات والحيوانات والتحف وهي العاصمة التي كانت منـذ خمس وعشرين سنة كبقية عواصم ولايات الدولة في أوربا مثل يانيا وأدرنه ومناستر قذرة الشوارع والطرقات ضيقتها محرومة من عناية المجالس البـلدية كل شيء فيها مهجور ما عدا الحبوس والمعابد والقشل (التكنات) فصارت تلك العاصمة في زمن قليل أي منذ استقلت عن الدولة فى حالة من الترقي يكاد من رآها يجهل انها مدينة صوفية القـديمة لما صار فيها من الشوارع العريضـة المنظمة والميادين الفسيحة والملاعب (التياترات) والمتنزهات والترامواي الكهربائي والتلفون وليست مـدينة صوفيا وحدها التي ترقت الى هذه المرتبة من المدنية الاوربية بل كل حواضر البلاد

التي دخلت تحت حكم البلغار كفلبه ووارنه وغيرهما ولم ينحصر هذا الترقي بالبلغار بل شمل الصرب ورومانيا واليونان وهي الممالك التي انفصلت عن الدولة العثمانيـة واستفاض فيها نور التمدن استفاضته فى البلغار وستتبعها كريد أيضا التي انفصلت بالامس عنا واما الممالك التابعة لنا فانها فضلا عن ان تترقى في فنون المدنية آخذة يوما عن يوم بالتقهقر والخراب واليك مدن أدرنه وبروسه وحلب والشام وبغداد اللائى كن عواصم كبرى للملك من أزمنة متفاوتة لم يستطعن المحافظة على عمرانهن المتخلف من ذلك الزمان : الى ان قال : وبغض النظر عن حاجة ولاياتنا الى أسباب العمران فاننا اذا نظرنا الى القسطنطينية تلك المدينة الـكبرى التي يسكنها مليون من النفوس والتي هي ذات استعداد وقابلية لان تكون عاصمة العالم أجمع نرى ان ابنيتها أدنى من ابنية قرية من قرى الممالك المتمدنة وطرقها وميادينها مملوءة بالاوحال شتاء وهي قرارة الاقذار صيفاً : ثم استرسل الـكاتب فى هذا الباب بمـا يدمي القلوب ويشجي النفوس وذكر من حال عاصمتنا الـكبرى وتدنيها العظيم وعدم مجاراتها حتى للبلدان التي انفصلت عنها بالامس وفقدانها كل وسائل الراحـة وأسـباب العمران مالم نر لايراده حاجـة خشـية التطويل. واذكر أيضا مثل هـذا الشاهد وقد نشرته من بضع عشرة سنة جريدة الاهرام التي تطبع في مصر وخلاصته ان صاحب الجريدة اجتمع في مدينة صوفيا يومئذ مع أحد كتاب الجرائد الهندية الاسلامية وجرت بينهما محادثة مما جاء فيها قول ذلك الـكاتب : ان من يرى امارة البلغار يكذب التاريخ وذلك لانه لايصدق انفصال هذه الامارة عن الدولة العثمانية منذ عشرين سنة وسبقها لأمها عاصمة الدولة هـذا السبق البعيد في كل ضروب المدنية والترقي في ذلك الزمن القليل :

وأنت ترى من هذا الشاهد وممـا سبقه وهما من أقوال كتاب المسلمين أنفسهم كيف ان الشعوب الأخرى تسرع بالترقي والمسلمون يتخلفون وكيف هو حال الممالك الاسلامية بالنسبة لحال الممالك المتمدنة على ان ماذكرنا مختص بالمملكة العثمانية دون الممالك الاسلامية الاخرى مع ان هـذه المملكة هي أرقى حالا بكثير من بقية الممالك الاسلامية من حيث الترقي المدني في المعارف الضرورية لقيام الدولة العثمانية على أمر التعليم قياماً وان كان فى نفسه غير موف بالحاجة الا انه لايخلو من شئ من

الفائدة وأخصها فائدة المدارس الحربية التي جعلت لهذه الدولة جيشا منظما بلغ الغاية من الترقي لولم يصحبه ضعف السياسة والمال بل ضعف اساس الحكومة لانها حكومة اسلامية

هذا حال هذه المملكة وهي على ظننا أرقى من غيرها بكثير فما بالك بمملكة الغرب الاقصى وفارس والافغان وحال الاولى من الفوضى والتردي في الجهالة والامعان في طرق التدلي معلوم فهذه المملكة التي ليس بينها وبين أوربا بلاد المدنية والترقي الا مضيق سبتة لم تنتفع من هذا الجوار بشيء البتة ولم ينفذ اليها على قربها من أوربا شعاع من نور المدنية الجديدة والحياة السعيدة مع ان ذلك النور عم أفق اليابان في الشرق الاقصى وبينها وبين منبعثه آلاف من الاميال فليس في المغرب الاقصى الآن أثر للتعليم على الاصول الجديدة ولا اسم للحكومة المنظمة ولا قوة للملك ولا جند منظم للدولة ولا معرفة لاهلها بأحوال العالم قط وحسبك من امعانهم فى الجهالة ان المطابع التي كانت سببا متينا من أسباب انتشار العلم بين الامم لم يبق بقعة من بقع الارض حتى مجاهل أفريقيا الا وجدت فيها وأهالي المغرب الاقصى لم يعنوا بها ولم تنتشر في بلادهم الى اليوم

جاء الى مصر فى هذه الآونة السيد المنبهي وزير الحربية السابق في المغرب الاقصى بقصد أداء فريضة الحج فاستطلعته طلع الدول والبلاد وبسطت لديه بعض أمانيّ في اصلاح المملكة فاخبرني ان المسلمين ثمة يأبون كل اصلاح وليس عندهم استعداد لقبول أي ضرب من ضروب الترقي والمدنية ولما أوضحت لديه أهون السبل للوصول الى تقويم أود الامة والدولة أظهر من خشونة المركب وشدة الاوّاه على إمكان العمل فى بلاد ذلك مكانها من عدم الاستعداد للاصلاح في التعليم والادارة والقضاء والجندية ما يظهر من كل كبير وأمير في المسلمين اذا شكوت اليه ضعف أمته وتقهقر أهل ملته حتى كأن العجز عن النهوض أصبح من العاهات السائدة على قادة المسلمين وخاصتهم كما هو آخذ بنواصي عامتهم متسلط على نفوس كافتهم

هذا اجمال حال مملكة المغرب الاقصى واما مملكة فارس فحسبك أن تقول ان تلك الامة على عراقتها في المجد وقدم عهدها فى الدولة وانها من الممالك القديمة التى كانت

ذات مدنية راقية وملك عظيم أصبحت الآن في حالة من الضعف وسوء الادارة والتدلي عن مرتبة العلم والمدنية بحيث لا ترى لها حركة تدل على شيء من الرقي المطلوب لمثلها هذا مع أن مليكها السابق والحالي جابا اطراف البلاد الاوربية ووقفا على كل فنون المدنية الحاضرة وعلما بانفسهما وجه ترقي الأمم المسيحية ومع هذا فلم يغن ذلك عن تقهقر بلادهما وتدلي الامة الاسلامية فيها شيئا فليس في البلاد الفارسية من المدارس الاما لا يتجاوز عدد الانامل وليس للدولة نظام للجندية ولو كنظام الجندية العثمانية وليس لثغورها التي أضحت مطمح الدول الغربية ولا باخرة حربية وبالجملة فسكون التناهي في الانحطاط سائد هناك كما هو سائد في بقية البلاد الاسلامية

واما الامة الافغانية فهي الى البداوة في كل أصول معيشتها ومعارفها أقرب منها الى الحضارة وليس فيها من دلائل الحياة الاقيام أميرها المتوفى وأميرها الحالي على ترتيب الجند وتدريبه على الحرب وجمع كلمة القبائل والاحزاب على الذود عن حياض الملك

فهذا بوجه الاجمال حال المسلمين في هذا العصر وحال دولهم المستقلة لهذا العهد أفليس مما يكلم القلوب ويدمي الاحشاء ان لا يكون فيهم ولو دولة واحدة تضاهي أصغر الامارات المسيحية في التقدم والارتقاء كامارة البلغار أو الصرب أو رومانيا اللائي انفصلن بالامس عن الدولة الاسلامية الكبرى فسبقتها سبقا بعيداً وصرن لها خصما عنيداً ؟

وماهي ياترى علة هذا الخمود القاتل والجمود الشامل الذي تمبد المسلمين وقطع نظامهم وجعلهم يتسكعون في أخريات الامم حتى سبقهم المسيحيون والوثنيون واستعبدهم منازعوهم على الملك وغلب على أمرهم مزاحموهم في مضمار الحياة في كل بقعة من بقاع الارض ؟ ألانهم دون اولئك السابقين خلقاً ؟ أو لانهم أضعف منهم استعداداً ؟ كلا إن الاستعداد والخلق في أبناء الطينة الواحدة لا يختلفان الا بالاعراض لا بالجواهر . أو لمطلق كونهم مسلمين وان الاسلام مانع من المدنية كما يقول أعداؤه والمارقون منه

هذه هي العقدة التي أصبحت مزدحم الافكار ومرمى نظر الباحثين في طبائع الامم في هذا العصر وانما قال بعضهم ان الدين هو المانع من ترقي المسلمين لانهم لم يروا شعبا واحدا منهم نهض لمجاراة الامم المتمدنة واستحق ان يوضع في مصاف الشعوب الراقية حكومة ومدنية ، بل كل المسلمين في هذا التأخر سواء . وان تفاوتوا

في المراتب بتفاوت الارجاء، مع ان مجاوريهم من المسيحيين أصبحوا مذ انفصلوا عنهم في اسمى درجات الارتقاء، وكذلك أبناء طينتهم الشرقيـة من اتباع كونفيوشيوس وبوذه وهم اليابانيون صاروا في مصاف الامم الراقية ودولتهم تعد من دول المشرق العظمى مع انهم لم يدخلوا في غمار هذا الترقي الجديد الا منذ ثلاثين سنة

الذين قالوا ان علة تدلي المسلمين هو الدين بعضهم يقول ان مصدر هذه العلة تعدد الزوجات لانه يهدم نظام البيوت ويفقد أصول التربية ويزج بالنفوذ في غمار الشهوات : وبعضهم يقول ان مصدرها عقيدة القدر التي تقعد بالنفوس عن السعي وتستأصل شأفة الاعتماد على النفس : وبعضهم يقول ان مصدرها الاعتقاد بالاموات الذين يسمونهم بالاولياء والصالحين ويعتمد عليهم عامة المسلمين في قضاء الحاجات دون الاعتماد على تعاطي الاسباب الموصلة للحاجات : الى غير ذلك من العلل التي اذا محصها العقل يجدها بعيدة عن غرض الاسلام أدخلها في العقائد والاعمال سوء الفهم وهي وان صاحت لان تكون سببا لتدلي المسلمين الا انها لا تصلح ان تكون برهاناً على ان الاسلام هو المانع من ترقي المسلمين بل المانع في معتقدي أمر آخر أريد وضعه لدى الباحثين في موضع النظر والنقد فاقول :

الاسلام من حيث هو دين سماوي لا يراد به الا سعادة البشر وخيرهم لا يسوغ لعاقل ان يقول انه يمنع المتدينين به من مثل هذه السعادة التي أرادها الله لعباده بواسطة الاديان وانما هي الافهام تختلف في معرفة مغزى الدين باختلاف الامم والعصور وتباين بتباين العقول . فالاسلام أول من تلقاه من الامم كما هو معروف الامة العربية التي كانت متردية في الضلالة متهافتة في البداوة ليس عندها شيء من قوانين الاجتماع ونظام الحكومات الراقية والشعوب المتمدنة فلما جاءها الاسلام باحكامه ومواعظه واوامره ونواهيه رأى العرب فيه مقصدا قريبا وأمراً جليلا وحكمة بالغة فانضموا اليه وأقبلوا عليه وقالوا هذا هو الشيء الذي هو كل شيء وغلوا في ذلك الاعتقاد غلوا أذهلهم عن أن الغرور في الدين الى حد مزجه بكل شيء من أمور الحياة الدنيوية وأخصها حياة الأمم السياسية خروج بالدين عن مقاصده الاصلية وافتئات على صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم القائل (اذا كان شيء من أمر دينكم فالي" . واذا كان

شيء من أمر دنيا كم فأنتم أعلم به » :(١) وهو إرشاد صريح الى أن للدنيا أموراً مرجعها تحكيم المصلحة والعقل فهي في جانب والدين في جانب آخر

العرب كما قلنا كانوا عريقين في البداوة وحياة البداوة قاصرة على أمس الحاجات الحيوية فلم ينظروا إلى مابعد تلك الحاجات فهان عليهم مزج الدنيا بالدين فلم يجعلوا الدين غير الدنيا كما أمرهم الشارع ولم يقفوا على سر التفريق بين الامرين الا أفراداً منهم عمر ابن الخطاب (رض) الذى كان يعلم أن المصلحة تحول بتحول الزمان وتدور معه كيفما دار (٢) لهذا فات العرب في مبدأ نشوء الدولة وظهور الامة تحكيم العقل في كثير من أمور الأمة الدنيوية ومصالحها الاجتماعية وحكموا الدين في كل شيء حتى مالا علاقة له بالدين وهو مالا نريد الخوض فيه الآن حتى توهم من أتى بعدهم أن سنة الأولين هي عين الدين

وأهم الامور التي حكموا فيها الدين فكان لها أقبح الاثر في حياة الامة الاسلامية وهي على ما اعتقد سبب كل مايعانيه المسلمون من ضروب الشقاء الى هذا اليوم انما هي الحياة السياسية أو أمر السياسة والملك. الامم كما هو الثابت انما تقوم بالحكومات والحكومة اذا لم تكن ذات روابط قانونية تراعى فيها حالة كل زمان وقوم وتسير مع ترقي الامم كيفما سار فلا حياة للامة بها، مثاله ان الحكومة المطلقة اذا وافقت عصراً وقوما لا توافق عصراً وقوما آخرين وبالعكس ربما كانت الحكومة المطلقة في قوم أصلح منها في عصر لقوم آخرين فلا بدّ اذن من ترك شأن الحكومة لمطلق المناسبات الطبيعية في كل قوم وعصر والعرب لما لم يكن لهم تاريخ لكيفية قيام الدول وتنظيم أصول الحكومات ولا أصل يرجعون اليه في ذلك كالامم المتمدنة في ذلك العصر ألصقوا مسألة الخلافة وتأسيس قواعد الملك بالدين فكان اول نزاع وقع على الخلافة قائماً بالدين وتلاه فتنة عثمان (رض) فبنوها على الدين ثم الخلاف بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما فكان يحتج كل فريق من المتخاصمين على الآخر بالدين ثم قام النزاع بين بني هاشم وبني

(١) ــ رواه احمد ومسلم وابن ماجه عن أنس (٢) يدلك على ذلك حكمه في بعض المسائل على مقتضى المصلحة مع مخالفته في ذلك لما ورد في السنة كحكمه في مسألة الطلاق والمتعة

أمية باسم الدين ثم بين بني هاشم وبني العباس كذلك باسم الدين . وأغرب من ذلك ان الخوارج الذين قالوا فى مبدأ أمرهم بعدم لزوم الخلافة وبنسف قواعدها نسفا لم يخطر لهم على بالهم تحويل طرز الحكومة الى أصول نافعة كالاصول الجمهورية مثلا حتى اضطروا للرجوع الى رسومها التي ألصقت بالدين وولوا منهم امراء استحلوا هم وأشياعهم حتى دماء الاطفال والنساء بالدين وناصبوا الخلفاء العداوة وأصلوا الامة حربا عوانا مبدأها سياسي وهو عدم الرضى عن حكومة الخلفاء الا انها انتهت الى الانتحال فى الدين. ولم يعرف الخوارج طريق المضي فى وجهتهم السياسية وبناء مذهبهم على اساس معقول اذ ليس للعرب تاريخ فى ترتيب الحكومات يرجعون اليه وكانت نتيجة ذلك كله استئثار الخلفاء بكل وظائف الدولة كالوزارة والقضاء والحرب وبيت المال وغير ذلك من ضروب الاستئثار بالسلطة الذي لا ينتظم به شأن دولة قط وذهول الامة الاسلامية فى ذلك المعترك القائم باسم الدين عن النظر فيما يوافق مصلحتها السياسية من جهة ترتيب الدولة على طرز يضمن سعادة المسلمين لا مصلحة القائمين بتلك الدعوة الدينية

فالعرب مع إغراقهم فى الحرية وعدم استكانتهم لاستبداد الخلفاء فى مبدأ الامر فاتهم ان يجاروا في وضع قواعد الدولة وتأسيس أصول الحكومات ذات الصبغة الدستورية كالجمهورية والقنصلية والحكومة المعتدلة أقرب الامم جوارا لهم يومئذ وهم الرومان واستمروا راضخين لحكم التنازع باسم الدين ولما انصبغت دولتهم بالصبغة الاعجمية وأخذوا عن الفرس والروم ما أخذوه من ضروب المدنية وأصبحوا فى حاجة الى حكومة أرقى تنزع بها يد الخليفة من القبض على كل شؤون الدولة بيده القاهرة وتوزع الوظائف على المقتدرين على القيام باعبائها لم يتمكنوا من تغيير طرز الحكومة والنظر فى مستقبل حياتهم السياسية لانها صارت حياة دينية ـ هذا مع إيغال الخلفاء في الظلم واستئثارهم بالسلطة فاضطروا العلماء الى وضع قوانين خاصة برسوم الخلافة ووظائفها كقوانين الوزارة والقضاء وأشباهها لتغل يد الخلفاء عن الاستبداد مع تحري اسنادها الى الدين تبعا لصبغة الحكومة الدينية ولكن لم تكن تلك القوانين في نظر الحكومة يومئذ إلا شيئا تعبديا لاسنادها الى الدين والتعبد أمر وجداني لا يكون الا ممن أخلص لله حق الاخلاص وليس وراءه من قوة الاكراه ما يدعو الى العمل

به قسراً كما يكون ذلك في الحكومات الديمقراطية التي لاتوكل الى سيطرة الوجدان بل الى سيطرة القوة ومن ثم تغلغل الفساد في جسم الحكومات الاسلامية ورضخ لها المسلمون بحكم الدين و باستدراج الوضاعين بمثل قولهم (أدوا للائمة حقوقهم وسلوا الله حقوقكم) حتى صاروا لا يعرفون أصلا من أصول الحكومات العادلة ولا مخرجا من ضيق الاستبداد وتأصل فيهم روح الخضوع المطلق والطاعة العمياء وناهيك بمثل هذا الروح الذي يسلب الانسان قوة الارادة ويضعه بمنزلة الاطفال الذين لا يعرفون محركا لهم غير الوالدين ولا يألفون الا ما ألفه الوالدان ومن ثم ترك المسلمون كل حول وقوة وكل اعتماد على النفس وسعي الى الترقي ونظر في وجوه الاعتبار وأحالوا ذلك على الامراء والحكام فاذا نهضوا بهم نهضوا واذا قعدوا قعدوا بل تناهى بعضهم فى ضعف قوة الارادة والتمييز لما ألفوا الخمول وأنسوا بالجهل وتتابعوا فى العماية فكانوا أعداء لمن يريد من الامراء اصلاح أي شأن من شؤونهم الاجتماعية ومس أي عادة قبيحة من عوائدهم الموروثة وتاريخ الاسلام مشحون بمثل هذه الحوادث وآخر عهد بها مابسطناه فيما تقدم عن أهل المملكة المراكشية الذين يأبون كل جديد

هذه كانت نتيجة انصراف العرب أيام بداوتهم بكليتهم الى الدين وعدم وضعهم السياسة جانباً لتكون تبعا في النمو والارتقاء لترقي حال المسلمين ويدلك على خطأهم فى ذلك أن الحكومات البدوية التي لم تصبغ بصبغة الحضارة وتجاري الزمان فى تقلبه والأمم الراقية في أصول حكومتها لم تزل لهذا العهد أدنى الدول الاسلامية رقيا وأهلها أكثرهم بأمور الحياة الاجتماعية جهلا كأهالي المغرب وجزيرة العرب الذين حالهم من التقهقر معروف الى اليوم

اذا تقرر هذا فقد علمت علة البلاء الذى أصاب المسلمين ومصدر شقائهم الاجتماعي الى هذا الحين ولا تظنن أمة وضعت نفسها فى هذه المنزلة من الاعراض عن شؤون الدنيا وألصقت كل شئ من أمور ترقيها المدنى بالدين واستسلمت لأمرائها القاهرين تلك المئات الطويلة من السنين ترضى لنفسها منزلة أرقى منها أو تلتمس وجوه العبر فتعتبر بها الا بعد عناء طويل تلاقيه وشقاء كثير تعانيه : والذي أعتقده أن الشقاء الآن استحكمت حلقاته والعبر ترادفت وجوهها وحسب المسلمين من ذلك

أن صاروا فى أخريات الأمم وكفاهم عبرة أمة اليابان الوثنية التي نهضت للاخذ بأسباب الرقي والتقدم نهضة رجل واحد فبلغت في ثلاثين سنة شأو الأمم الاوربية وناهضت دولتها أعظم الدول المسيحية ـ هذا والمسلمون ينتزع ملكهم وتهدد بالزوال دولهم وتتحكم الدول المتمدنة فيهم وفي حكوماتهم وليس فى دولهم دولة تنهض باختيارها الى تأسيس حكومة راقية تضارع بها أصغر الدول الاوربية وتدفع غارات الشعوب المتمدنة التى تنازع المسلمين البقاء بقوة العلم وسلاح المدنية وتطهير أصول الحكم من عوامل الاستبداد القاتل. وقد استعبد الاوربيون الى الآن ثلاثة أرباع المسلمين ولا يمضي ربع قرن الا والربع الباقي يصبح فى حوزتهم وتدال دولته اليهم اذا استمر هذا الربع في عمايته ولج في جهالته ولم ينهض لتدبير شؤون نفسه ويترك الاعتماد على حكوماته التي تأصل فيها مرض الاستبداد الذى هو نار تأكل الممالك وتهدم صروح المجد وتذهب بقوة الامم وهم لا يشعرون

إخواني: ان الحياة مع الجهل مستحيلة والاقامة على الذل عار والبقاء امام جيوش العلم والمدنية متعذر والسلامة مع هذا الجمود غير متأتية وما كنا عليه بالامس لا ينفعنا اليوم وما نحن فيه اليوم لم يعلمه آباؤنا الاولون ولو علموا الغيب لاستكثروا لنا من الخير ولكل عصر شأن وشأن هذا العصر ما ترون وما تسمعون من أحوال الامم الراقية والدول الدستورية وحياة الانسان غير حياة الحيوان لان الاول يطلب الترقي في كل شيء والثاني يرى الاكلة الواحدة كل شيء فاذا أردنا الحياة فحتم علينا أن ننهج نهج السابقين ونتبع خطى المسرعين، بما لا يكون فيه حرج في الدين، وان نعتقد الاعتقاد اللائق بالدين وهو انه ليس كما يقول غيرنا دين مانع من ترقي المسلمين ولنحترم جانب هذا الدين بان لا نجعله سداً في وجوهنا وغلا فى أعناقنا فنؤيد بفعلنا هذا قول المستهزئين ودعوى الطاعنين ولنتقين الله في ديننا العظيم الجليل ولا نجعله سببا لهلاكنا أجمعين، فنبوء بالخزي فى الدارين، ونشقى فى الحياتين،

هذا أوان العبر أيها المسلمون فهل أنتم معتبرون، وهذا نذير أمين فهل أنتم سامعون، موت مع الجمود، وخذلان مع السكون، وفناء عاجل مع الجهل، وخزي بين الامم، مع الرضا بما وجدنا عليه الآباء، وحياة سعيدة مع الاقدام وظفر بالمطلوب مع الحركة، وبقاء مستمر مع العلم، وإيجاد حكومة ديمقراطية مقيدة، ونخر مع الرقي الى مرتبة الكمال، فانظروا اية الحالتين ترضون، وهذا أوان العبر فهل أنتم معتبرون، والسلام على من اتبع الحق وأخذ به من المسلمين (رفيق العظم)

آثار علمية أدبية

﷽ تاريخ اللغة العربية ﷽

نوهنا في الجزء الماضي بكتاب فلسفة اللغة العربية تأليف جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال العربية وأشرنا هناك الى اشتغاله بتاريخ هذه اللغة وأهلها وقبل ان ينتشر الجزء جاءنا منه كتاب (تاريخ اللغة العربية) وهو كتاب ألفه جديدا وطبعه فبلغت صفحاته ٦٤ صفحة وقال انه يعد ما كتبه فيه خواطر سانحة فتح بها باب البحث لائمة الانشاء وعلماء اللغة ليوفوا الموضوع حقه. اما الموضوع فهو « البحث فيما طرأ على ألفاظ اللغة العربية وتراكيبها من الدثور أو التجدد مع إيراد الامثلة مما دثر منها أو تولد فيها أو اقتبسته من سواها وبيان الاسباب التي دعت الى دثور القديم وتولد الجديد » وقد جعل الكلام فيه ثمانية فصول (١) العصر الجاهلي و(٢) العصر الاسلامي و(٣) الألفاظ الادارية في الدولة العربيـة و(٤) الالفاظ العلمية فيها و(٥) الالفاظ العامة و(٦) الألفاظ النصرانية واليهودية و(٧) الالفاظ الدخيلة في الدولة الاعجمية و (٨) النهضة الحديثة وماتستلزمه . وقد أورد في كل فصل من الفصول امثلة غفلا من بيان التاريخ الذي أهمل فيه بعض الكلم وتجدد بعض ومنها مالايحتاج الى ذلك وفي بعضها نظر ظاهر او خفي والامر سهل. وفي الكتاب فوائد كثيرة ، وينابيع للبحث غزيرة ، وهو في حاجة الى النقد لجدته واختصاره ، ومصنفه منصف يحترم الانتقاد الصحيح ويعمل به فلعلنا نوفق لمشاركة زميلنا المؤلف وإسعاده على هذه الخدمة الجليلة ونحث علماء اللغة على ذلك. وثمن النسخة من الكتاب خمسة قروش وأجرة البريد ثلاثة أرباع القرش ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

﷽ رسالة في الشاي والقهوة والدخان ﷽

كتب هذه الرسالة الشيخ جمال الدين القاسمي أحد علماء دمشق الشام وأدبائها وبحث فيها عن تاريخ هذه الاشياء وصفاتها النباتية وخواصها وكيفية استعمالها وماقاله الادباء والشعراء فيها وذكر عند الكلام على الدخان اختلاف الفقهاء في حله وحرمته ومقال الاطباء في مضراته ومنفعته وختم الرسالة بنبذة في الاعتناء باستنشاق جيد الهواء فالرسالة علمية أدبية شرعية فكاهية وقد طبعت في الشام وثمن النسـخة هناك ثلاثة قروش وليته يرسل الى مصر طائفة من نسخها

شرح قانون العقوبات الجديد

نقحت الحكومة المصرية قانون العقوبات القديم فنسخت بعض أحكامه وغيرت وبدلت فيه بما رأته أصلح مما كان قبله فوصف بعد ذلك بالقانون الجديد، وماالعهد ببعيد ، وقد شرحه فوزي بك جورجي المطيعي النائب لنيابة مديرية جرجا وطبع مع الشرح طبعا متقنا على ورق جيد جدا في مطبعة المعارف الشهيرة باتقان عملها فخير للراغبين في الاطلاع على هذا القانون ان يطالعوه مع شرحه الذي يعرفهم مقاصده ووجوه مواده وهو يطلب من مكتبة المعارف بمصر وثمن النسخة منه ١٥ قرشا

قصص أو روايات

(الفرسان الثلاثة) قصة شهيرة تستتبع قصصا جعلت أجزاء لها سمي الثاني (رجع ما انقطع) وليته قال (وصل ما تقطع) والثالث والرابع (عود على بدء) والمؤلف هو اسكندر دوماس الفرنسي الشهير وقد عربها الشيخ نجيب الحداد وكان المؤلف في مقدمة القصاص في حسن التأليف والمعرب فى مقدمة المعربين والمنشئين العصريين فى حسن الأداء وسلامة التركيب قلما تعثر في كلامه بغلط أو لحن . اما موضوع القصة أو القصص فهو بيان حال بعض الشجعان البلاء في القرن السابع عشر وتمثيل بعض الاخلاق والصفات العالية فى أشخاصهم كالبسالة والشهامة والمروءة والوفاء والسخاء والدهاء يتخلل ذلك نبذ من تاريخ فرنسا وانكلترا في ذلك القرن — ما كانت عليه قصور الملك من الترف والاثرة والاستبداد وفساد الاخلاق، وما كانت عليه الامة من ظلمات التفرق والعبودية، وما كان يلوح فيها آنا بعد آن من نور يتعارف فيه طوائف وشيع من الامة فيجتمعون فيهاجون معاقل الظلم ثم يختفي آنا آخر فيثوبون الى ما كانوا عليه حتى يلمع لهم ضوءه ثانية وينقدح من لهيب تلك الظلمة الحالكة ظلمة الظلم والاستبداد . فالقصص مفيدة بما تمثل لقارئها من الفضائل ومن عبر التاريخ وبها يظهر للخبير الفرق بين الامم في طور ضعف الجهل والاستبداد فمنها ماترى فيه جراثيم حياة كامنة فتعلم درجة استعدادها للحياة السعيدة ومنها مالا ترى فيها ذلك. وما جراثيم الحياة الا الاخلاق العالية التى أشرنا الى بعضها. فانك ترى أن أهل أوربا فى القرون المظلمة كانوا على أخلاق وعادات هي التى نهضت بهم في ضوء العلم الذي أشرق فيهم ولكن الامة الفاسدة الاخلاق قد يزيدها العلم الطارئ فسادا كما نرى أمامنا . أنه على عادة لاتزال باقية في القوم من عهد جاهليتهم وهي المبارزة التى ينتقدها قومنا أشد الانتقاد

وما هي الابنت الشجاعة وإحساس الشرف والاباء ، وأين منها ماعليه أمراء المشرق وكبراؤه من الجبن والخئونة التى تسهل عليهم خيانة بلادهم وأمتهم وتسليم زمامها للاجنبي لادنى تهديد يتهددهم به . كانت هذه القصة قد طبعت وجمعت في جلد واحد ففقدت وقد طبعها أخيرا صاحب مطبعة ومكتبة المعارف كل جزء على حدته وجعل قيمة الاشتراك فيها ١٦ قرشا وأما ثمن كل جزء على حدته فستة قروش وهي تطلب منه

(الابرياء) قصة خيالية أدبية وضعها محمد أفندي محمد أحد كتاب ديوان الاوقاف وأحسن مافيها التنبيه الى خطأ الناس فى تزويج أبنائهم وبناتهم بما يوافق أهواء أنفسهم دون رغباتهن ورغباتهم ، وفيها كلام حسن فى الغربة والتكسب والاستقلال فيه وذم الخمر ومضرتها فنحث القراء على مطالعتها

(الفضيلة) قصة غرامية خياليه أنشأها محمود طاهر أفندى حقي المستخدم فى مصلحة الاوقاف بمصر وفيها مما ينقض بناء الفضيلة ذكر الاسترسال فى الشهوات، وفضيحة البنات ، وخيانة الزوجات ، واقتراف المنكرات ، وانما سميت القصة بالفضيلة لان فيها ذكر فتاة اعتصمت بالعفة ، واستمسكت بعرى الفضيلة ، اذأريد منها ان تسفه نفسها، لاان موضوعها الفضيلة كيف تنهض بالامم أوالافراد فيحيون بها سعداء ، من حيث يتردى الارذلون فى مهاوي الشقاء ، فامل المؤلف يصرف عنايته فيماعساه يكتبه من القصص بعد الى مثل هذا . وثمن القصة خمسة قروش

(الخرافة الحسناء ، أوهدية الحكماء للاغنياء) قصة خيالية أخرى موضوعها تمثيل سفه الامراء وأولاد الاغنياء الوارثين فى مصروتبديدهم المال فى طرق الشهوات واللذات ومالذلك من سوء العواقب واضعها اسماعيل أفندى شكري وفيهاروح أدبي نافع نرجو ان يكثر فى مكتوب الشبان كما نرجو العناية من هؤلاء الكاتبين بتنقيح مايكتبون والعناية بتصحيح عبارته وطبعه . وثمن هذه القصة خمسة قروش أيضا

﴿ رسائل ﴾

(البورصة) كراسة صغيرة كتبها نسيم أفندي العازار فى بيان أهم أعمال البورصة التي هي ميزان التجارة ودولابها في هذه البلاد ولعمري أن أكثر التجار والمزارعين وغيرهم فى حاجة الى معرفة حقيقة هذه البورصة واصطلاحاتها وأعمالها فكم خرب هذا الجهل بيوتا وبني بأنقاضها بيوتا . وثمنها قرش واحد وتطلب من مؤلفها بالاسكندرية

(التقرير السنوي لجمعية الشبيبة السورية) الجمعية في بيروت ومؤسسوها من

خيرة فضلاء النصارى ولم نر فيها اسم مسلم غير عبد الرحمن افندي شهبندر فيا أسفي على المسلمين ، ويا شكري وثنائي على العاملين ، وقد رأينا في هذا التقرير ان مال الجمعية لا يزال قليلا لا يذكر وأرباب الاموال لا يزالون في الشرق أجهل الناس ، وأبعدهم عن الاحساس ، (حاشا اليابان) فنتمنى للجمعية الترقي والنجاح

كلمة ورد غطاها

رسالة تتضمن محاورة بين الشيخ محمد المليجي الكتبي بمصر وفرج بنيامين البروتستنتي في النبي والقرآن والمسيح كان فيها الفلج للشيخ ، وأمثال هذه المناظرات والمجادلات والرسائل والكتب قد كثرت في مصر بتصدي مبشري البروتستنت لمجادلة المسلمين ونشر الكتب في الرد عليهم . ونرى بعض المسلمين يتأففون من هذا ويرون أنه ضار . ورأينا أن ضرره محصور في التنفير وإلقاء العداوة بين المسلمين والنصارى واما من جهة الدين نفسه فهو نافع غالبا إذ المسلمون لا يكونون نصارى بسبب هذا الجدل ولكن يرجى ان ينتبهوا به الى العناية بما هو مهمل عندهم من البحث عن أدلة الدين والتحقق من مسائله وشدة الاستمساك بها مقاومة لهؤلاء المعتدين . ولذلك كثرت المؤلفات في الرد على النصارى فهم المغلوبون لان كتابة هؤلاء المبشرين لا تزيد النصرانية قوة ولا النصارى تمسكا بها ولكنها تزيد المسلمين تمسكا بالدين وعلما به . والرسالة تباع عند مؤلفها بشارع الخلوجي

مجلات جديدة

(لسان الامم) مجلة علمية أدبية مدرسية شهرية تصدر في مصر باللغتين العربية والانكليزية لمديريها ومحرريها ه حسين روحي — م ع . أبو الهادي الدراجي » هكذا ورد اسمهما على المجلة وههنا نصرح برأي لنا قديم وهو ان يكتب كل مؤلف أو صاحب جريدة أو مجلة لقبه الذي يخاطب به عادة مع اسمه كالشيخ أو السيد فلان او فلان أفندي أو بيك أو باشا ليعلم الناس كيف يخاطبونه ومن أي صنف هو . والجزء من المجلة يدخل في ٢٠ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٣٠ قرشا في القطر المصري و ١٠ فرنكات في غيره .

(الحكمة) مجلة علمية طبية تهذيبية تاريخية تصدر في منتصف كل شهر شمسي لمنشئها الدكتور عبد العزيز أفندي نظمي من كلية مونبليه (بفرنسا) وقيمة الاشتراك فيها ٣٠ قرشا في القطر المصري و ٢٠ للاطباء والتلامذة و ١٠ فرنكات في غيره . وانا لنسر بكثرة المجلات العلمية والطبية اذ لا يعيش منها الا ما كان نافعا لكن الجرائد قد يعيش منها الضار ، لما للجمهور فيهما من سوء الاختيار ،

باب الأخبار والآراء

﴿ سبب ثناء رياض باشا على اللورد كرومر ﴾

أشرنا فى الجزء الماضي الى سخط أحداث الوطنية ، من خطبة رياض باشا فى احتفال المدرسة الصناعية ، واهتمام نسبة الكلام بقول الوزير ، دون عمل الامير ، على أن عمل الامير حكم نافذ فاذا أعطى عميد الاحتلال النفوذ الارفع صار ذلك له حقاً رسمياً ، والوزير معذور في استنجاده اللورد كرومر لحضانة المدرسة من دون الامير وثنائه عليه لانه يعتقد أن نجاح المدرسة متوقف على ذلك واليك البيان بالايجاز :

المدرسة نسبت الى اسم محمد علي لتكون تذكاراً لمرور مئة سنة على تأسيسه هذه الامارة التي يتمتع المتنسبون اليه بسعادتها وقد جعل المشروع تحت رعاية الامير الجالس على كرسي محمد علي الآن فماذا كان منه ومن أهل بيته ومن الأمة المصرية كلها ؟ كان أن افتتح الامير الاكتتاب بمئة جنيه فلم يزد الذين اكتتبوا من الامراء عن ذلك على ان أكثرهم لم يكتتبوا ، وكان مجموع ماجمع من المال من الأمة أمرائها واغنيائها لايبلغ بضعة آلاف من الجنيهات وقد تبرع الاجانب على قلتهم وعلى كون المدرسة مصرية اسلامية بنحو ذلك والكل قليل. ونستثني ماتبرع به احمد منشاوي باشا فانه صار أمة وحده . والسبب في هذه الخيبة الوطنية افتتاح الامير الاكتتاب بمئة جنيه ولو افتتحه بعشرة آلاف جنيه مثلا لوجد عدد كثير من الامراء والاغنياء يستحي أن يدفع واحدهم أقل من ألف جنيه وكان المال بذلك يكون كافيا لتأسيس المدرسة عال الوطنيين ، ولو شاء الامير أن ينجح المشروع بماله من النفوذ المعنوي لفعل . أرأيت لو كان لهج امام الوجهاء والاعيان الذين يقابلونه فى الايام التى يسمونها أيام التشريف بتقصير الامة فى هذا المشروع الصناعي الذى هو ركن من أركان الحياة في البلاد أما كانوا يتسابقون الى البذل بسخاء عظيم ، أرأيت لو منح بعض الذين تبرعوا بمبالغ عظيمة كآل محمود فى الرحمانية ـ ولا نقول منشاوى باشا ـ رتبة أو وسام عظيم أو بالثناء عليهم في محفله . أما كان يوجد كثيرون يقتدون بهم ؟ بلى ولكن الامير لم يفعل فمن المحتم ان اكتتابه ومسلكه كانا العلة الحقيقية فى عدم نجاح الاكتتاب

وأما اللورد كرومر فهو على كونه قد تبرع من جيبه بمثل ماتبرع به الامير من جيبه قد بذل نفوذه الذي يعلو كل نفوذ في هذا القطر لمساعدة المشروع بالثناء عليه قولا وكتابة وبحمل المالية بل أمرها باعطاء الجمعية أرضا لبناء المدرسة لايقل ثمنها عن المال الذي جمع من الاكتتاب وبدفع تعويض لأصحاب الاكواخ والخصاص (العشش) التى احتاجت الجمعية الى ازالتها من هناك ، ثم بأمر أحد كبار المهندسين الانكليز الذي أسس مدرسة الحكومة الصناعية على مساعدة الجمعية في تأسيس المدرسة بغير أجر ففعل أفنتكر مع هذا أن اللورد كرومر كان خيرا لهذا المشروع من جميع أمراء الوطن المحبوب وأغنيائه ووجهائه وجرائده ومن حدث السياسة الوطنية بل ومن جميع أحداثها الذين ينكرون فضله بزعمهم حب البلاد وأمير البلاد الرسمي . ألا نعذر رئيس الاكتتاب للمدرسة الذى بذل جهده لانجاحه فخاب أمله في قومه أن يعهد بالمشروع الى من هو أرجى الناس لابلاغه كماله . أمن الوطنية أن يترك الانسان الطريق الموصل الى نفع الوطن بالفعل ، ويلغط بذكره في القول ؟ فيقال إن مثل رياض باشا العامل للوطن قد مرق من الوطنية لانه شكر المحسن للوطن رجاء المزيد ، وأومأ للمقصر بتقصيره رجاء الاقلاع والتشمير ؛ أو إنه خرج عن الموضوع ؟ ؟

قال المؤيد : ان أكثر الناس قد استاؤا من خطبة الوزير ويعني أكثر اعضاء جمعية العروة الوثقى اذ لم يجتمع بأكثر الناس ولا بأكثر حاضرى الاحتفال فيقال انه يعنيهم . ونحن نظن ان اكثر العقلاء على اعترافهم بفضل هذه الجمعية وهمة اعضائها مستاؤن من تسمية مدارسها بأسماء امراء مصر السابقين — ابراهيم وعباس وسعيد واسماعيل الذين خربت في ايامهم البلاد ، وهلكت العباد ، وليس لهم اثر علمي يذكر فيشكر وهذه ذرياتهم تتمتع بالاراضى الواسعة من البلاد ولا تسمح لمدرسة ولا لجمعية خيرية بفدان واحد مهما صانعتها الجمعية . وما استياء بعض اعضاء الجمعية من خطبة رياض باشا الا كنسبة مدارسها الى اولئك الامراء اي انه أثر العبودية وبقايا الاستبداد السابق . وما كلمة رياض بجارحة لاستقلال الأمة كما قيل بل هى أثر للاحساس باستقلالها اذ معني استقلال الأمة هو شعورها التابع لاعتقادها بأن الامراء أجراء للامة لا آلهة لها فائن كان أكبر وزير فى مصر قد أومأ الى ما كان من إهمال الامير لمشروع المدرسة الصناعية إيماء فلقد كان اول الاعراب والنساء يصرحون بخطيئة عمر بن الخطاب وهو على منبر الرسول تصريحا فهذا هو الاستقلال الذى أزاله ملوكنا وأمراؤنا وجعلونا اذل الامم

قال صاحب اللواء أنه شتم رياض باشا اقتداء بالأعرابي الذى قال لسيدنا عمر «لو رأينافيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا» وانما يصح الاقتداء اذا قال الحدث مثل هذا لأمير البلاد أو للسلطان. لا لرجل اعتزل الحكومة والأحكام، وهو يمقته من قبل فاعتبروا ياأولي الأبصار ،

المتوسلون المتسولون ودعاة الوطنية

تطوّف في اسواق القاهرة وشوارعها في أي وقت شئت من ليل أو نهار، وأطلّ من شرفات بيتك أو نوافذه مراقبا للناس مستمعا لاحاديثهم ، فانك لاتكاد تسمع ذكر الله وذكر نبيه وأوليائه الا من أهل التوسل لتسول الآن يأتلي مؤتل (يحلف حالف) بسيدنا الحسين أو المتبولي أوغيرهما ممن تقسم بهم العامة. وقدغاب عن ناظري رجل أشعث أغبر أشمط كنت أراه يطوف الشوارع ولسانه رطب يتلجلج بذكر السيدة لايفتر طرفة عين عن ندائها : ياسيده ياسيده ياسيده ياسيده ياسيده... وأعرف رجلا شيخا أشيب أعمى أجش الصوت ينشد الاماديح المنظومة على طريق المواويل بالاستغاثة بالسيدة : «يابنت بنت النبي طلي وشوفينا» - يابنت بنت النبي دخلك أناعيان».....

وأعرف امرأة عمياء كانت تجلس في ظل دارنا وهي تحفظ أسجاعا متناسقة في الدعاء هممت غير مرة بأن أنصت اليها وأكتبها عنها. واما الذين يشتركون في عبارة خاصة فكثيرون كالطوافين بكلمة : مليم أجيب بو شاشه على أبول سيدنا الحسين والسيده زينب وجدهم الحبيب النبي : اي أطلب مليما (عشر القرش المصري) أشتري به كسرة من الخبز رجاء ان يقبله منكم سيدنا الحسين الخ - يقول هؤلاء مايقولون وقلوبهم تطوف في صدور الناس أيها يتأثر بذكر هؤلاء السادات المتصرفين في الاكوان فيرضخ لهم بشيء مما في يده تقربا اليهم والتماسا لبركاتهم ولكنهم لوسئلوا شيئا يبذلونه ابتغاء مرضاة السادات فانهم يقبضون أيديهم لان حظهم من حب السادات أن يأخذوا من الناس على قبولهم لأن يعطوا تقرباً اليهم، ولاغرض لهم من مدحهم وذكرهم الا التأثير في نفوس من يرجى رفدهم من محبيهم

مثل هؤلاء مثل دعاة الوطنية من أحداث السياسة في مصر - تطوف البلاد وتحضر الاندية وتغشى السمار وتقرأ الكتب والصحف المنشرة فلا تجد للوطنية داعيا، ولابذكر جلاء الانكليز عن مصر لاهجا. الا المتسول المتوسل الى حظه باسم الوطنية لعلمه بأن التفرنج الحديث قد جعل لهذه الكلمة شرفا كبيرا وذكرا مجيدا فهي تؤثر في نفوس بعض الاغنياء والوجهاء ، مالا يؤثر ذكر المتبولي والسيدة زينب

قلوب العامة والنساء ، فكم بذل مجنون بلوطنية البدر من الدنانير ، اذا كان محب الاولياء يبذل القرش والمليم ، وحظ داعي الوطنية من اللاهج بها كحظ مادح الاولياء هو أن يقول لا أن يفعل ، وأن يأخذ لا أن يعطي ،فاذا كان له منفعة من الامير فلان فهو يجعله عماد الوطنية وعتادها ، وان أمال عمادها واقتلع أوتادها، وأضاع لاجل شخصه طارفها وتلادها ، واذا خالف هواه سير عالم كامل ،او زعيم عامل ، فهو يجعل حسناته سيئات ، ويتتبع للطعن به العثرات ، فأمثال هؤلاء الوطنيين يحصرون معنى الوطن فى أشخاصهم بدعوى الوطنية كما يحصر بعض كبار المتسولين الدين فى شخصه بدعوى الصلاح والولاية . فمدعي الولاية يرمي من ينكر عليه هوسه ودعواه بالمروق من الدين ، ومدعي الوطنية يتهم من ينكر عليه هوسه ودعواه بعداوة الوطن ، وغرض كل من الفريقين المال والجاه بما يخادعون الناس « تغيير شكل ، لأجل الأكل»،وتوسل للتسول ، وأكثر الناس غافلون ، وهم فى غفلاتهم يرزقون ،

﴿ انتقاد على مقالة العلماء والمحاكم ﴾

زارنا أحد كبار القضاة الشرعيين فى المحكمة الكبرى بعد صدور الجزء السادس وقال ان ماحدثنا به المرحوم علي باشا رفاعة من اقتراح اسماعيل باشا الخديو الاسبق على العلماء تأليف كتاب على نسق القوانين فى السهولة الخ على غير وجهه والصواب أن الخديو طلب من العلماء تطبيق القانون على الشريعة وإرجاع أحكامها اليه فأبى الأكثرون وتصدى بعضهم لوضع كتاب فى الاحكام الشرعية يوافق القانون الفرنسي فى الاكثر ومعظمه من فقه الامام مالك . قال ويقال أن الشيخ محمد مخلوف المنياوي قد أتم هذا الكتاب وقدمه للحكومة الخديوية أولحاشية الأمير فلم يظهر له أثر . وحدثني بنحو هذا صديق آخر وقال كان من غرض اسماعيل باشا إرضاء أوربا بتقليدها فى كل شيء حتى في إبطال بعض الاحكام الشرعية الاسلامية كاباحة تعدد الزوجات المنتقدة عندهم وتحويل الشريعة الى قوانينهم وانه كان يقول لايمكن أن تعمل الأمة فى هذا القرن بما وضع للعرب من نحو ثلاثة عشر قرنا تقريبا . ولهذا لم يمكن للعلماء اجابة طلبه . ولا بعد فى هذه الاقوال عند العارفين بحال هؤلاء الأمراء وبعدهم عن الدين . وكأن ذلك الأمير المستبد الجاهل كان يرى أن قانون الكرباج الذي وضعه محمد علي وأفسد به بأس الأمة ونزع منها هو ومن بعده روح الشهامة والشجاعة أفضل من الشرع الالهي الذى ارتقى بالأمة العربية الى السيادة على جميع الأمم .

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و« مناراً » كمنار الطريق)

(مصر — غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٢ — ١٥ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ ، وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ *

هذه الآية مبينة لحال الذين لا يعقلون تلك الآيات التى أقامتها الآية السابقة على توحيد الله تعالى ورحمته ولذلك جعلوا له أندادا يلتمسون منهم الخير والرحمة، ويدفعون ببركتهم البلاء والنقمة ، ويأخذون عنهم الدين والشرعة ، قال المفسرون ان الند هو المماثل وزاد بعض اللغويين فيه قيدا فقال انه المماثل الذى يعارض مثله ويقاومه: ويفهم من هذا أنهم يزعمون أن الانداد مماثلة لله تعالى فى قدرته وعلمه وسلطانه يعارضونه فى الخلق

ويقاومونه فى التدبير وهذا غير صحيح لأن القرآن قص علينا خبر متخذي الأنداد فى آيات كثيرة صريحة فى أنهم لايعتقدون فيهم شيئا من هـذا الذى يفهم أو يتوهم من عبارة المفسرين بل يعتقدون غالبا أن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير وأن الأنداد وسطاء بينه وبين عباده يقربونهم اليه ويشفعون لهم عنده لأن المذنبين المقصرين لايستطيعون الوصول الى الله تعالى بأنفسهم فلابد لهم من واسطة كما هو المعهود من الرعايا الضعفاء، مع الملوك والأمراء، والوثنيون يقيسون الله تعالى على من يعظمونه من الرؤساء وعظماء الخلق لاسيما المستبدين منهم الذين استعبدوا الناس استعبادا، فالآيات الناطقة بأنهم اذا سئلوا من خلق كذا وكذا يقولون: الله: كثيرة وقال فيهم مع ذلك « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله » وقال أيضا «والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »

والأنداد عند جمهور المفسرين أعم من الاصنام والأوثان فيشمل الرؤساء الذين خضع لهم بعض الناس خضوعا دينيا ويدل عليـه الآيات الآتية « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا » الخ

فالمراد إذن من الند من يُطلب منه مالا يطلب الا من الله عزوجل أو يؤخذ عنه مالا يؤخـذ الا عن الله تعالى، وبيان الأول على ماقررناه مرارا أن للأسباب مسببات لاتعدوها بحكمة الله فى نظام الخلق وأن لله تعالى أفعالا خاصة به فطلب المسببات من أسبابها ليس من اتخاذ الأنداد فى شيء، وإن هناك أمورا تخفى علينا أسبابها، ويعمّى علينا طريق تطلابها، فيجب علينا بإرشاد الدين والفطرة أن نلجأ فيها الى القوة الغيبية ونطلبها

من مسبب الأسباب لعله بعنايته ورحمته يهدينا الى طريقها أو يبدلنا خيرا منها، وانما يجب هذا بعد بذل الجهد والطاقة فى العمل بما نستطيع من الأسباب حتى لايبقى فى الامكان شىء مع اعتقادنا بأن الاسباب كلها من فضل الله تعالى ورحمته علينا إذ هو الذى جعلها طرقا للمقاصد، وهدانا إليها بما وهبنا من العقل والمشاعر،

لايسمح الدين للناس أن يتركوا الحرث والزرع ويدعوا الله تعالى أن يخرج لهم الحب من الأرض بغير عمل منهم أخذاً بظاهر قوله « أم نحن الزارعون » وانما يهديهم الى القيام بجميع الأعمال الممكنة لإنجاح الزراعة من الحرث والتسميد والبذر والسقي وغير ذلك ويتكلوا على الله تعالى بعد ذلك فيماليس بأيديهم ولم يهدهم لسببه بكسبهم كإنزال الامطار، وإفاضة الأنهار، ودفع الجوائح، فان استطاعوا شيئا من ذلك فعليهم أن يطلبوه بعملهم لا بألسنتهم وقلوبهم مع شكر الله تعالى على هدايتهم إليه، وإقدارهم عليه، كذلك يحظر الدين عليهم أن ينفروا الى الحرب والمدافعة عن الملة والبلاد عزلا أوحاملي سلاح دون سلاح العدوّ المعتدي عليهم اتكالا على الله تعالى واعتمادا على ان النصر بيده بل يأمرهم بأن يعدوا للأعداء مااستطاعوا من قوة ويتكلوا بعد ذلك على عناية الله تعالى بتثبيت القلوب والأقدام، وغير ذلك من ضروب التوفيق والالهام، فمن قصر فى اتخاذ الأسباب اعتمادا على الله فهو جاهل بالله، ومن التجأ الى ما ليس بسبب من دون الله فهو مشرك بالله، وهذا الذي يلجأ اليه - من إنسان مكرم، (كالأنبياء والصالحين) أو ملك مقرب، أو مظهر غريب من مظاهر الخليقة، أوصنم أوتمثال جعل تذكارا لشيء من هذه، يسمى ندا لله وشريكا

له ووليا من دونه ، وقد نطق القرآن بجميع هذه الأسماء التي سماها المشركون ولم ينزل الله بها من سلطان،

قال الأستاذ الامام : قسم المفسرون الأنداد الى قسمين قسم يعمل بالاستقلال وقسم يشفع عند الله تعالى ويتوسط لصاحب الحاجة فتقضى وانما كان الشفيع ندا لأنه يستنزل من يشفع عنده عن رأيه ويحوّل من إرادته وتحويل الإرادة لابد أن يكون مسبوقا بتغيير العلم بالمصلحة والحكمة إذ الارادة تابعة للعلم دائما وهذا هو المعروف من معنى الشفاعة عند السلاطين والحكام وهو محال على الله تعالى ، وأقل تغيير فى علم المشفوع عنده هو أن يعلم أن الشفيع يهمه أمر من يشفع له ويتمنى لو تقضى حاجته . ولا يرغب عن الأسباب إلى التعلق بالأنداد والشفعاء الا من كان قليل الثقة بالسبب أو طالبا ما هو أعجل منه كالمريض يعالجه الأطباء فيتراءى له أولأحد أقاربه أن يلجأ الى من يعتقد فيهم السلطة الغيبية الخارجة عن الأسباب طلبا للتعجيل بالشفاء ، ومثله سائر أصحاب الحاجات الذين يلجئون الى من اتخذوهم أولياء ليكفوهم عناء اتخاذ الاسباب (وذكر منهم طلاب خدمة الحكومة)

أما القسم الآخر من الأنداد فهو من يُتبع فى الدين من غير أن يكون مبينا للناس ما جاء عن الله تعالى ورسوله فيعمل بقوله وان لم يعرف دليله يتخذ رأيه دينا واجب الاتباع وان ظهر أنه مخالف لما جاء عن الله ورسوله اعتمادا على انه أعلم بالوحي ممن قلدوه دينهم وأوسع منهم فهما فيما نزل الله . وفى هؤلاء نزل قوله تعالى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » كما ورد فى التفسير المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد عظمت فتنة متخذي الأنداد بهم حتى كان حبهم إياهم من نوع

حبهم لله عز وجل ولذلك قال (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) ذلك ان الحب ضروب شتى تختلف باختلاف أسبابها وعللها وكلها ترجع الى الأنس بالمحبوب او الركون والالتجاء اليه عند الحاجة، فقد يحب الإنسان شخصا لأنه يأنس به ويرتاح الى لقائه لمشاكلة بينهما ولا مشاكلة بين الله تعالى وبين الناس فيظهر فيهم هذا النوع من الحب . ومن أسباب الحب اعتقاد المحب أن فى المحبوب قدرة فوق قدرته ونفوذا يعلو نفوذه مع ثقته بأنه يهتم لامره ويعطف عليه بحيث يمكنه اللجأ اليه عند الحاجة فيستعين به على مالا سبيل له إليه بدونه فهذا الاعتقاد يحدث انجذابا من المعتقد يصحبه شعور خفي بأن له قوة عالية مستمدة ممن يحب . ويعظم هذا النوع من الحب بمقدار مايعتقد فى المحبوب من الصفات والمزايا التي بها كان مصدر المنافع وركن اللاجىء ، وكل ماللمخلوق من ذلك فهو داخل فى دائرة الأسباب والمسببات والاعمال الكسبية . أما قوة الخالق وقدرته ومايعتقده المؤمنون فيه من الرحمة الشاملة ، والصفات الكاملة ، والمشيئة النافذة ، والتصرف المطلق فى تسخير الاسباب والمسببات ، والسلطان المطاع فى الأرض والسموات ، فذلك مما يجعل حبه تعالى أعلى من كل مايحب للرجاء فيه ، وانتظار الاستفادة منه ، ولغير ذلك . وهذا الحب لاينبغي أن يكون لغير الله تعالى اذ لا يلجأ الى غيره فى كل شيء كما يلجأ اليه ولكن متخذي الأنداد قد أشركوا أندادهم معه فى هذا الحب فحبهم إياهم من نوع حبهم إياه جل ثناؤه لايخصونه بنوع من الحب اذ لا يرجون منه شيئاً الا وقد جعلوا لأندادهم ضربا من التوسط الغيبي فيه فهم كفار مشركون بهذا الحب الذي لا يصدر من مؤمن موحد ولذلك قال تعالى بعد

بيان شركهم هذا (والذين آمنوا أشد حبا لله) من كل ماسواه لأن حبهم له خاص به سبحانه لا يشركون فيه غيره فحبهم ثابت كامل لأن متعلقه هو الكمال المطلق الذي يستمد منه كل كمال، وأما متخذو الأنداد فان حبهم متوزع متزعزع لا ثبات له ولا استقرار، للمؤمن محبوب واحد يعتقد ان منه كل شيء وبيده ملكوت كل شيء، وله القدرة والسلطان، على جميع الاكوان، فما ناله من خير كسبي فهو بتوفيقه وهدايته، وما جاءه بغير حساب فهو بتسخيره وعنايته، وما توجه اليه من أمر فتعذر عليه، فهو يكله اليه ويعول فيه عليه، وللمشرك أنداد متعددون، وأرباب متفرقون، فاذا حز به أمر، أونزل به ضر، لجأ الى بشر أوصخر، أوتوسل بحيوان أوقبر، أو استشفع بزيد وعمرو، لايدري أيهم يَسمع ويُسمَع، ويشفع فيشفَّع، فهو دائما مبلبل البال، لايستقر من القلق على حال،

هذا هو حب المشركين للقسم الاول من الأنداد، ومن الحب نوع سببه الإحسان السابق. كما أن سبب الاول الرجاء بالاحسان اللاحق، ومن الاحسان ما تمتع به ساعة أويوما أو أياما متاعا قليلا أوكثيرا، ومنه ماتكون به سعيدا في حياتك كلها كالتربية الصحيحة والتعليم النافع، والارشاد الى ماخفي من المنافع، وكل هذا انما يكون من الناس بكسبهم، وليس في طاقة البشر أن يحسن بعضهم على بعض باحسان اذا قبله المحسن عليه وعمل به يكون سعيدا في الدنيا والآخرة بحيث تكون سعادته به غيرمتناهية، وهذا الاحسان الذي يعجز عنه البشر هو هداية الدين التي تعلم الناس العقائد الصحيحة التي ترتقي بها العقول وتخلص بها من ظلمات الوثنية، والتعاليم التي تهذب بها النفوس وتتزكى من الصفات البهيمية، وقوانين العبادة التي تغذي العقائد

والأخلاق ، حتى لايعتريها كسوف ولا محاق ، فالدين وضع إلهي يحسن الله تعالى به الى البشر على لسان واحد منهم لا كسب له فيه ولا صنع ، ولا يصل اليه بتلق ولا تعلم ، « إن هو الا وحي يوحى » فيجب أن يحب صاحب هذا الاحسان سبحانه وتعالى حبا لايشرك به معه أحد ، ولكن متخذي الأنداد بالمعنى الثاني فى كلامنا قد أشركوا أندادهم مع الله تعالى فى هذا الحب إذ جعلوا لهم شركة فى هذا الإحسان بسوء التأويل كما تقدم فكما يأخذون بآرائهم على أنها دين من غير أن يعلموا من أين أخذوها وان لم يأمروهم بذلك بل وان نهوهم عنه يتمسكون كذلك بتأويلهم لما انزل الله كأنه انزل به بدون استعمال العقل ودلالة اللغة وبقية نصوص الدين للعلم بانطباقه على الحق . وأما المؤمنون حقاً فانهم يوحدون الله تعالى ويخصونه بهذا الحب كما يوحدونه بالتشريع بمعنى أنهم لا يأخذون الدين الا عن الوحي ولا يفهمونه الا بقرائن ماجاء به الوحي وانما الأئمة والعلماء ناقلون للنصوص ومبينون لها بل قال الله تعالى للنبي نفسه « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم » فهؤلاء المؤمنون يسترشدون بنقلهم وبيانهم ولكنهم لا يقلدونهم في عقائدهم ولا عباداتهم ولا يأخذون بآرائهم فى الدين الذى هو عبارة عن سير الارواح من عالم الى عالم بل يجوزون كل عقبة ويدوسون كل رئاسة فى سبيل الله تعالى ومحبته وابتغاء رضوانه فهم متعلقون بالله ومخلصون له « ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم يوم القيمة فيما هم فيه يختلفون » ـ « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » ـ « ان الحكم الا لله أمر أن لاتعبدوا الا إياه » فالمؤمنون هم المخلصون لله فى

دينهم الذين لا يأخذون أحكامه الا عن وحيه » وأما متخذو الأنداد ومحبوهم بهذا المعنى فهم الذين ورد فى بعضهم « واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون » فهم لا يقبلون حكم الله فى كتابه ولكن اذا دعوا ليحكم بينهم بآراء رؤسائهم أقبلوا مذعنين ،

بعد هذا ذكر الله وعيد متخذي الأنداد على سنة القرآن فقال (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) أي لو يشاهد الذين ظلموا أنفسهم بتدنيسها بالشرك وظلموا الناس بما غشوهم به من أقوالهم وأفعالهم فحملوهم على أن يتلوا تلوهم ، ويتخذوا الأنداد مثلهم ، حين يرون العذاب فى الآخرة فتتقطع بهم الأسباب ، ولا تغني عنهم الأنداد والأرباب ، أن القوة لله جميعا يظهر تصرفها المطلق فى كل موجود ، ويتمثل لهم سلطانها تمثل الشهود ، فلا تحجبهم عنها أسباب ظاهرة ، ولا تخدعهم عنها قوى تتوهم كامنة ، لعلموا أن هذه القوة التى تدير عالم الآخرة هي عين القوة التى كانت تدير عالم الدنيا، وأنها قوة واحدة لا تأثير لغيرها فيها ولا فى شيء من العالم بدونها، وأنهم كانوا ضالين فى اللجأ الى سواها، وإشراك غيرها معها ، وأن هذا الضلال هبط بعقولهم وأرواحهم، وكان منشأ عقابهم وعذابهم ، ولو رأوا مع هذا أن الله شديد العذاب لرأوا أمرا هائلا عظيما يندمون معه حيث لا ينفع الندم. وأمثال هذا الوعيد كثير فى القرآن على من يشوب إيمانه بأدنى شائبة من الشرك ثم هو يترك كله ويترك معه ما يؤيده من السنة الصحيحة وسيرة السلف الصالحين ، والأئمة المجتهدين ، ويؤخذ بالشرك الصريح عملا بأقوال أناس من الميتين منهم من لا يعرف مطلقا وإنما سمي وليا عملا

بعض الرؤى والأحلام، أو لاختراع بعض الطغام، ومنهم من يعرف في الجملة ولكن لا يعرف له تاريخ يوثق به ولا رواية يصح الاعتماد عليها، وانما قدم كلام هؤلاء على كلام الله ورسوله وكلام أئمة السلف لأن العامة اعتقدت صلاحهم وولايتهم والعامة قوة تخضع لها الخاصة في أكثر الأزمان،

ومن مباحث اللفظ في الآية أن الرؤية فيها علمية على قول الجلال وقال الأستاذ الامام أنها بصرية وانما سلطت على المعقول لانزاله منزلة المحسوس كأنه قال لو يتمثل لهم الأمر ويتشخص لرأوا أمراً هائلاً عظيماً لا يتصور نظيره وهو مجاز لا ألطف منه ولا أبدع . ويجوز أن يراد بالعذاب مظاهره فتكون مسلطة على محسوس. وقراءة « ولو ترى » أي لو رأيت حال هؤلاء الظالمين يومئذ لرأيت كذا وكذا . وحذف جواب لو معهود في كلام العرب وفي كلام الناس اليوم وذلك عند قيام القرينة على مراد المتكلم ولو إجمالا . يقولون في شخص تغير حاله وانتقل الى طور أعلى أو أدنى : لو رأيت فلانا اليوم : ويسكتون والمراد معلوم، والاجمال فيه مقصود، لتذهب النفس في تصويره كل مذهب، ويخترع له الخيال ما يمكن من الصور، ولو على كل حال هي التي لمجرد الشرط لا يراعى فيها امتناع لامتناع

قال الاستاذ الامام بعد تفسير اتخاذ الأنداد ومحبتهم على نحو ما تقدم وبيان ان المراد بالمحبة ما يجده المحب في نفسه من الأنس بالمحبوب والثقة به والاعتماد عليه واللجأ اليه على اختلاف أطوار الانسان في وجدانه واعتقاده، اننا قد اشترطنا في ابتداء قراءة التفسير أن نتكلم عن معنى القرآن من

حيث هو دين جاء مكملا للأرواح وسائقا لها الى سعادتها في طورها الدنيوي وطورها الأخروي ، ولا يتم لنا هذا الا بالاعتبار وهو ان ننظر فى الحسن الذى يمدحه الله تعالى ويأمر به ونرجع الى أنفسنا لنرى هل نحن متصفون به ، وننظر فى القبيح الذي يذمه وينهى عنه كذلك، ثم نجتهد في تزكية أنفسنا من القبيح وتحليتها بالحسن وههنا يجب علينا أن نبحث وننظر هل اتخذ المسلمون أندادا كما اتخذ الذين من قبلهم أندادا أم لا فان هذا أهم مايبحث فيه قارىء القرآن ثم قال مامثاله

اشتبه على بعض الباحثين السبب فى سقوط المسلمين فى الجهل العميم (الا أفرادا في بعض شعوبهم لا يكاد يظهر لهم أثر) وبحثوا فى تاريخ الاسلام وما حدث فيه فكان له الأثر العظيم في الانقلاب وكان من أهم المسائل التى عرضت لهم فى ذلك مسألة التصوف وظنوا ان التصوف من اعظم الاسباب لسقوط المسلمين فى الجهل بدينهم وبعدهم عن التوحيد الذى هو اساس عقائدهم وليس الامر عندنا كما ظنوا وليس من غرضنا هنا ذكر تاريخه وبيان أحكامه وطرقه وانما نذكر الغرض منه بالاجمال ، وما كان له بعد ذلك من الآثار ، . ظهر التصوف في القرون الأولى للاسلام فكان له شأن كبير . وكان الغرض منه فى أول الأمر تهذيب الأخلاق وترويض النفس با عمال الدين وجذبها اليه وجعله وجدانا لها وتعريفها بأسراره وحكمه بالتدريج . ابتلي الصوفية فى أول أمرهم بالفقهاء الذين جمدوا على ظواهر الأحكام المتعلقة بالجوارح والتعامل فكان هؤلاء ينكرون عليهم معرفة أسرار الدين ويرمونهم بالكفر وكانت الدولة والسلطة للفقهاء لحاجة الأمراء والسلاطين اليهم فاضطر الصوفية الى إخفاء أمرهم ، ووضع

الرموز والاصطلاحات الخاصة بهم ، وعدم قبول أحد منهم الا بشروط واختبار طويل فقالوا لابد فيمن يكون منا أن يكون أولا طالبا فمريدا فسالكا وبعد السلوك إما أن يصل وإما أن ينقطع فكانوا يختبرون أخلاق الطالب وأطواره زمنا طويلا ليعلموا أنه صحيح الارادة صادق العزيمة لايقصد مجرد الاطلاع على حالهم ، والوقوف على أسرارهم ، وبعد الثقة يأخذونه بالتدريج رويدا رويدا ، ثم انهم جعلوا للشيخ (المسلك) سلطة خاصة على مريديه حتى قالوا يجب أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدي الغاسل لان الشيخ يعرف أمراضه الروحية وعلاجها فاذا أبيح له مناقشته ومطالبته بالدليل تتعسر معالجته أو تتعذر فلا بد من التسليم له فى كل شيء من غير منازعة حتى لو أمره بمعصية لكان عليه أن يعتقد أنها لخيره وان فعلها نافع له ومتعين عليه فكان من قواعدهم التسليم المحض والطاعة العمياء وقالوا ان الوصول الى العرفان المطلق لايكون الا بهذا . ثم أحدثوا اظهار قبور من يموت من شيوخهم والعناية بزيارتها لأجل تذكر سلوكهم ومجاهدتهم ، وأحوالهم ومشاهدتهم ، لأن التذكر من أسباب القدوة والتأسي . والتأسي هو طريق التربية القويم عندهم وعند غيرهم

فظهر من هذا الاجمال أن قصدهم في هذه الأمور كان صحيحا وانهم ما كانوا يريدون الا الخير المحض لأن صحة القصد وحسن النية أساس طريقهم ، ولكن ماذا كان أثر ذلك فى المسلمين ؟ كان منه أن مقاصد الصوفية الحسنة قد انقلبت ولم يبق من رسومهم الظاهرة الا أصوات وحركات يسمونها ذكرا يتبرأ منها كل صوفي والا تعظيم قبور المشايخ تعظيما دينيا مع الاعتقاد بأن لهم سلطة غيبية تعلو الاسباب التى ارتبطت بها المسببات

بحكمة الله تعالى بها يديرون الكون ويتصرفون فيه كما يشاءون ، وأنهم قد تكفلوا بقضاء حاج مريديهم والمستغيثين بهم أينما كانوا ، وهذا الاعتقاد، هو عين اتخاذ الأنداد ، وهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف من الصحابة وأئمة التابعين والمجتهدين .

وزادوا على هذا شيئا آخر هو أظهر منه قبحا وهدما للدين وهو زعمهم أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر ، فاذا اقترف أحدهم ذنبا فأنكر عليه منكر قالوا في المجرم انه من أهل الحقيقة فلا اعتراض عليه، وفي المنكر انه من أهل الشريعة فلا التفات اليه ، كأنهم يرون ان الله تعالى أنزل للناس دينين ، وانه يحاسبهم بوجهين ، ويعاملهم معاملتين ، (حاش لله) نعم جاء في كلام بعض الصوفية ذكر الحقيقة مع الشريعة ومرادهم به أن في كلام الله ورسوله مايعلو أفهام العامة بما يشير اليه من دقائق الحكم والمعارف التى لا يعرفها الا الراسخون في العلم فحسب العامة من هذا الوقوف عند ظاهره ومن آتاه الله بسطة في العلم فهم منه شيئا أعلى مما تصل اليه أفهام العامة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ممن يجد ويجتهد للتزيد من العلم بالله وسننه فى خلقه . فهذا ما يسمونه علم الحقيقة لا سواه وليس فيه شيء يخالف الشريعة أو ينافيها ومن آتاه الله نصيبا من هذا العلم كان أتقى لله من سواه « إنما يخشى الله من عباده العلماء »

هكذا كان القوم ـ الصوفية الحقيقيون فى طرف والفقهاء فى طرف آخر وبعد ما فسد التصوف وانقلب من حال الى حال مناقضة لها ، وضعف الفقه فصار مناقشة لفظية فى عبارات كتب المتأخرين اتفق المتفقهة الجامدون والمتصوفة الجاهلون وأذعن اولئك الى هؤلاء واعترفوا لهم بالسر والكرامة

وسلموا لهم بما يخالف الشرع والعقل على انه من علم الحقيقة فصرت ترى العالم الذى قرأ الكتاب والسنة والفقه يأخذ العهد من رجل جاهل اميّ ويرى انه يوصله الى الله تعالى . فان كان كتاب الله وسنة رسوله وما فهم الائمة واستنبط الفقهاء منهما كل ذلك لايفيد معرفة الله تعالى المعبر عنها بالوصول اليه فلماذا شرع الله هذا الدين ، والناس أغنياء عنه بأمثال هؤلاء الاميين وأشباه الأميين ، وهل القصور إذن فيما نزل الله تعالى أم في بيان الرسول له وبيان الائمة لما جاء عن الله تعالى والرسول ؟ حاش لله ولكتابه ورسوله فلا طريق لمعرفته عز وجل والوصول الى رضوانه غير ما نزله من البينات والهدى وانما كان غرض الصوفية الصادقين فهم الكتاب والسنة مع التحقق بمعارفهما ، والتخلق والتأدب بآدابهما ، وأخذ النفوس بالعمل بهما ، من غير تقليد لاهل الظاهر ، ولا جمود على الظواهر ،

ولقد تشوهت سيرة مدعي التصوف فى هذا الزمان وصارت رسومهم أشبه بالمعاصى والاهواء من رسوم الذين أفسدوا التصوف من قبلهم وأظهرها فى هذه البلاد الاحتفالات التى يسمونها الموالد ومن العجيب ان تبع الفقهاء في استحسانها الأغنياء فصاروا يبذلون فيها الاموال العظيمة زاعمين انهم يتقربون بها الى الله تعالى ولو طلب منهم بعض هذا المال لنشر علم او ازالة منكر أو إعانة منكوب لضنوا به وبخلوا . ولا يرون مايكون فيها من المنكرات منافيا للتقرب الى الله تعالى كأن كرامة الشيخ الذين يحتفلون بمولده تبيح المحظورات ، وتحل للناس التعاون على المنكرات ، فالموالد اسواق الفسوق فيها خيام للعواهر وحانات للخمور ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المتهتكات الكاسيات العاريات ، ومواضع أخرى لضروب من

الفحش في القول والفعل يقصد بها إضحاك الناس . وبعض هـذه الموالد يكون في المقابر وترى كبار مشايخ الازهر يتخطون هذا كله لحضور موائد الاغنياء في السرادقات والقباب العظيمة التي يضربونها وينصبون فيها الموائد المرفوعة ، ويوقدون الشموع الكثيرة، احتفالا باسم صاحب المولد ويهنئ بعضهم بعضا بهذا العمل الشريف في عرفهم

وذكر الاستاذ الامام عند شرح مفاسد الموالد ان بعض كبار الشيوخ في الازهر دعوه مرة للعشاء عند أحد المحتفلين فأبى فقيل له في ذلك فقال انني لا أحب أن أكثر سواد الفاسقين فان هذه الموالد كلها منكرات ووصف ما مر به المدعو قبل ان يصل إلى موضع الطعام. ثم قال لشيخ صديق لصاحب الدعوة كم ينفق صاحبك في احتفاله بالمولد ؟ قال أربع مئة جنيه . قال الاستاذ لا شك ان هذا في سبيل الشيطان فلو كلمت صاحبك في ان يجعل ذلك لجماعة من المجاورين في الأزهر يستعينون به على طلب العلم فيكون بذله شرعيا وهؤلاء المجاورون يذكرونه بخير ويدعون له . فاجاب ذلك الشيخ قائلا : ان الكون يلزم أن يكون فيه من هذا وهـذا : فقال الأستاذ : هذا الذي أريد فان كوننا ليس فيه الا هذه النفقات في الطرق المذمومة فأحب أن ينفق صاحبك على نشر علم الدين ليكون بعض الانفاق عندنا في الخير ويبقى للموالد أغنياء كثيرون . فقال الشيخ حينئذ أما قرأت حكاية الشعراني مع الزمار اذ رأى شيخا كبيرا ينفخ في مزمار والناس يتفرجون عليه فاعترض عليه في سره فما كان من الشيخ الا أن قال : يا عبد الوهاب أتريد أن ينقص ملك ربك مزمارا : فعلم الشعراني انه من أولياء الله تعالى. قال الأستاذ ثم تركني المشايخ بعد سرد الحكاية وذهبوا الى المولد .

فلينظر الناظرون الى أين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد أهله
بغير فهم ولا مراعاة شرع - اتخذوا الشيوخ أندادا وصار يقصد بزيارة
القبور والاضرحة قضاء الحوائج وشفاء المرضى وسعة الرزق بعدان كانت
للعبرة وتذكر القدوة ، وصارت الحكايات الملفقة ناسخة فعلا لما وردمن
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على الخير ونتيجة ذلك كله
أن المسلمين رغبوا عما شرع الله الى ماتوهموا انه يرضي غيره ممن اتخذوهم
اندادا له وصاروا كالاباحيين فى الغالب فلا عجب اذا عم فيهم الجهل
واستحوذ عليهم الضعف ، وحرموا ماوعد الله المؤمنين من النصر، لانهم
انسلخوا من مجموع ماوصف الله به المؤمنين .

ولم يكن فى القرن الأول شيء من هذه التقاليد والاعمال التى نحن عليها
بل ولا فى الثاني ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة وانما سرت الينا
بالتقليد أو العدوى من الأمم الأخرى اذ رأى قومنا عندهم أمثال هذه
الاحتفالات فظنوا أنهم اذا عملوا مثلها يكون لدينهم أبهة وشأن فى نفوس
تلك الامم . فهذا النوع من اتخاذ الأنداد كان من أهم أسباب تأخر
المسلمين وسقوطهم فيما سقطوا فيه

وهناك نوع آخر لم يكن أثره فى الفتك بهم بأضعف من أثر الأول
وهو ترك الاهتداء بالكتاب والسنة واستبدال أقوال الناس بهما فلو دخل
في الاسلام رجل عاقل أو شعب مرتق لحار لا يدري بم يأخذ ، ولا على أي
المذاهب والكتب فى الأصول والفروع يعتمد ، ولصعب علينا إقناعه بأن هذا
هو الدين القيم دون سواه أو بأن هذه المذاهب كلها على اختلافها شيء واحد،
ولو وقفنا عند حدود القرآن وما بينه من الهدي النبوي لسهل علينا أن

تفهم ماهي الحنيفية السمحة التي لاحرج فيها ولا عسر، وماهو الدين الخالص الذي لاعوج فيه ولاخلف ، ولكننا اذا نظرنا في أقوال الفقهاء وتشعبها ، وخلافاتهم وعللها ، فاننا نحار فى ترجيح بعضها على بعض اذ نجد بعضها يحتج عليه بحديث صحيح وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ولكنه غير معتمد عندهم بل يقولون فيه : المدرك قوي ولكنه لايفتى به : ولماذا ؟ لأن فلانا قال. فقول رجل من رجال كثيرين جدا نجهل تاريخ أكثرهم يكفي لترك السنة الصحيحة وان ظهر أن المصلحة فيما جاءت به السنة وبهذا قطعت الصلة بين مانحن فيه وبين أصل الدين وينبوعه . ونحن لانطعن فى أولئك القائلين أو المرجحين سواء منهم من كان تاريخه معروفا لنا ومن كان غير معروف بل نحسن فيهم الظن ونقول انهم قالوا بما وصل إليه علمهم ولم يجعلوا انفسهم شارعين بل باحثين ، واننا نسترشد بكلامهم على أنهم دالون ومبينون، لاعلى أنهم شارعون.

بل نقول انه يجب على ذى الدين ان ينظر دائما الى كتابه حتى لا يختلط ولا يشتبه عليه شيء من أحكامه ولايجوز لأحد ان يرجع فى شئ من عقائده وعبادته الا الى الله تعالى فان كانت هناك واسطة فهي واسطة الدلالة والتبليغ والتبيين لما نزل الله وتطبيقه على مانزل لأجله من حياة الروح والكمال الانساني. فيجب علينا ان نعتقد بأن الحكم لله تعالى وحده لايؤخذ عن غيره الدين كما يجب علينا ان نعتقد بان لافعل لغيره تعالى فلا نطلب شيئا الامنه وطلبنا منه يكون بالأخذ بالاسباب التي وضعها وهدانا اليها فان جهلنا أو عجزنا فاننا نلجأ الى قدرته ونستمد عنايته وحده وبهذا نكون موحدين مخلصين له الدين ،كما أمرنا فى كتابه المبين ، ومن خرج عن هذا

كان من متخذي الانداد ، «ومن يضلل له فماله من هاد ،»

وبقي صنف آخر يشبه ان يكون من الانداد وهم العامة والذين اتخذوهم أندادا هم علماء لدنيا فانهم يحلون لمرضاتهم ويحرمون ويخالفون النصوص الصريحة بضروب سخيفة من التأويل لموافقة أهوائهم . فان لم يفتوهم بخلاف النص التماسا لخيرهم أوهربا من سخطهم كتموا حكم الله من أجل ذلك فترى أحدهم اذا سئل : أهذا حق أم باطل ، وحلال أم حرام : يغض من صوته بالجواب ولا يجهر بالقول مداراة للعوام اذا كان الجواب على غير ماهم عليه لاسيما اذا كان هؤلاء العامة من الاغنياء وأصحاب السلطة . ونقول: مداراة للعوام: حكاية لقولهم اذ يسمون النفاق والمحاباة فى الدين مداراة لما كانت المداراة محمودة وكذلك كان الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ممن قبلهم يسمون كتمانهم بأسماء محمودة ولكن الله تعالى لعنهم على ذلك وسجل عليهم الكفر والفسوق والعصيان فهل يختلف حكمه فيرضى لهؤلاء بأن يؤثروا العامة على ربهم ويجعلونهم أندادا له يحبونهم كحبه أو أشد ؟ ترى العالم من هؤلاء ينتسب الى الشرع ويحترم لأجله وهو مع ذلك يتبع هوى من لا يعرف الشرع فهو من الذين اذا أوذوا فى الله جعلوا فتنة الناس كعذاب الله فلا يتخذون الله وليا ولا نصيرا فهل يكون المرء مؤمنا اذا كان يترك دينه لاجل الناس أم شرط الايمان ان يصبر في سبيله على إيذاء الناس ؟ « أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » الخ كلا : إن هؤلاء المتبوعين والتابعين بعضهم فتنة لبعض وسيتبرأ بعضهم من بعض كما أخبرنا تعالى فى قوله ..

باب العقائد

استغناء البشر عن دين جديد

(ومعنى كون دين الفطرة آخر الاديان ، وافتجار البابية)

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * (سورة الروم) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * (سورة الاحزاب)

لقد كان من عموم رحمة الله تعالى وسعتها أن جعل للحق السلطان على الباطل ، وللخير الرجحان على الشر ، فلله الشكر والحمد ، ولله الامر من قبل ومن بعد ، خلق الانسان فى أحسن تقويم ، وهداه الى الحق والى طريق مستقيم ، كمله بالمشاعر البادية والكامنة ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة . أعطاه العلم والارادة ، وأناط بعمله غوايته ورشاده ، ولذلك خلقه ضعيفا جهولا ، ليكون با كتسابه قويا عليما ، وجعل حياة الأمة من نوعه ، شبيهة بحياة الفرد فى شخصه ، تتربى بكسبها وتبلغ كمالها بالتدريج وجعل عقل الامة العام النبوة يظهرها فى أكمل أعضائها ، كما أن عقل الافراد يكون في اشرف عضو فيها ، وشذوذ بعض آحاد الامة عن هدي نبيها شبيه بشذوذ بعض أعضاء الشخص عن حكم العقل ، كاليد تبطش حيث يضر البطش ، اوالرجل تسعى الى مايحكم العقل بوجوب القعود عنه ، وسبب ذلك التقصير في التربية الدينية والعقلية

ومن آياته تعالى أن جعل شذوذ الافراد عن الاصل ، وميلهم عن الجادة ، سببا من أسباب التربية ، وعاما من أعلام الهداية ، كما جعل انتشار الباطل فى الامم معدا لها لقبول الحق ، وتفشي الظلم والاستبداد ، من مقدمات الحرية والاستقلال ، فله سبحانه في أثر كل شدة رخاء ، وفي تضاعيف كل نقمة نعماء ، فما عمّ الضلال في أمة الا وجاءها بعده الهدى ، ولا تفاقم الباطل فى قوم الا وانجلى بعد ذلك بقوة الحق ، كان يظهر لهم ذلك بتعليم الوحي المناسب لحالهم حتى اذا ما استعد النوع لان يكون أمة واحدة ، منحه الله الهداية العامة ، والرحمة الشاملة ، منحه دين الاسلام ، الذي هو

كالعقل العام، والمرشد الحكيم لجميع الأنام،

كان لضلال البشر قبل الاسلام علتان احداهما ضعف قوى الخلقة، وثانيتهما الانحراف عن سنن الفطرة، فكان من الضعف ان يعتقد الناس في كل مظهر من مظاهر الخليقة لا يعرفون علته أنه هو القوة الغيبية التي قامت بها جميع المظاهر وهي القوة الالهية فيعبدوا ذلك المظهر. وكان من الانحراف عن قوانين الفطرة ما كان من الاوضاع والبدع والتقاليد الوضعية الكثيرة. ومن عجيب أمرهم أن أسندوا معظم ذلك للدين حتى صار من المقرر عند أهل الدين وعند الحكماء الباحثين في طبائع الملل أن الدين أوضاع كلها وراء ما تدعو اليه الفطرة ويرضي العقل كأنه وضع لمصادمة الخلقة ومناصبة الفطرة ومحاولة تبديل خلق الله بشرع الله حتى جاء القرآن ينادي الداعي اليه: «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون» فعلم الناس ان الدين الحق إقامة الفطرة لا مقاومتها، والاستنارة بنور العقل لا إطفاؤه، وأن العمدة في معرفة الحق الدليل، والعمدة في العبادة الاخلاص لله تعالى وحده، والعمدة في معرفة الاحكام، والحلال والحرام، اجتناب المضار واجتلاب المنافع، فبهذا كان الاسلام هو الدين الاخير الذي اخرج البشر من حجر القصور وعبوديته، الى فضاء الرشد وحريته، وكان ناسخا لما قبله من الاديان، ولا يمكن ان ينسخ او ينقضي الزمان،

يبلغ في الشخص رشده فيؤذن له بالتصرف في حاله، والاستقلال في أعماله، فيمضي فيها فتارة يخطئ وتارة يصيب، وينجح في عمل وفي آخر يخيب، وربما أضاع رأس ماله زمنا ثم استعاده في زمن آخر. والامم أولى بالتخبط بعد بلوغ رشدها اذ الرشد لا يظهر في جميع أفرادها دفعة واحدة وانما يظهر في بعض دون بعض فتارة يغلب إصلاح الراشدين فيها وطوار يغلب، والمجموع يستفيد من كل فوز وكل خيبة، فلا يظهر الافساد في موضع الا ويلوح الاصلاح في موضع آخر تاما اوناقصا حتى يبلغ الكمال البشري أشده ويصل الى كماله العام باستقلاله في عمله بدون حاجة الى مسيطر ديني جديد كما كان يقع في الامم قبل ظهور دين الفطرة الاخير وهو الاسلام ولا يزال الاصلاح والافساد يتنازعان كل أمة قبل الوصول الى الكمال الاخير

كذلك كان شأن الناس في الاسلام نهض به الذين ظهر فيهم أولا ثم عميت عليهم سبله فوضعوا وابتدعوا ، وأولوا واخترعوا ، وتركوا الاستقلال بنور العقل في فضاء الفطرة وأقاموا لهم زعماء فنيت عقولهم وإرادتهم فيهم . وكان قد أخذ الاستقلال والاهتداء بسنن الفطرة عنهم قوم آخرون فغلب خير هؤلاء على شرهم كما غلب شر أولئك على خيرهم والسيادة والسعادة يتبعان الخير والاستقلال دائما . وقد قلب اصحاب السيادة في الأرض المجن للخاسرين فقالوا ان خساركم قد جاءكم من دينكم فاتبعونا تفلحوا ، وكان هؤلاء الخاسرون يقولون في أيام سيادتهم إننا قد سدنا بديننا فاتبعوه أيها الناس تفلحوا ، وانما كانت السيادة لكل من السائدين بالاستقلال واتباع سنن الفطرة التي أرشد اليها الاسلام — ساد بها أولئك من حيث عرفوا موردها ، وساد بها هؤلاء من حيث جهلوا مصدرها ، وانما يستظل أهل الزعامة لدينية منهم والسيطرة الروحانية فيهم بظل الذين تركوها ، ويخدعون اولئك بلقب الدين المشترك بينهما ، فعلم بهذا ان المسلمين قد تركوا ماساد وسعد به سلفهم الصالحون ، والآخرين جهلوا منبعث هذا النور الذي هم في ضوئه يسيرون ، وزعم بعضهم ان دينهم هو الذي هداهم اليه ولكن لماذا لم يهتدوا اليه بدينهم عقيب دخولهم في ذلك الدين . بل ظلوا يتسكعون في الظلمات بضعة عشر قرنا حتى انتشر الاسلام فأطلق الافكار من سيطرة الرؤساء . والارادة من عبودية الزعماء ، ووصل تعاليمه وهديه الى تلك الارجاء ، ؟

لا عجب في إنكار المخالفين مزية في الاسلام بالقول . بعد ما أنكرها أهله بالفعل . ولكن العجب العجاب في صنيع قوم قاموا يداوون الداء بالداء . ويعودون بالنوع البشري الى ضيق العبودية والاستخذاء . . ذلك أن الامة الاسلامية ضاقت ذرعا بأوزار البدع والتقاليد التي وضعها الرؤساء وألزموا الناس بها تقليدا أعمى فطفقت تنشط وترمي عن عاتقها بعض ما حملت على غير بصيرة فيما ترميه وتستبقيه هل هو النافع أم الضار وتنتظر زعيما قائما بالحق ينتاشها مما وقعت فيه من الجهل والفقر والذل والعبودية . واذا بصائح يصيح : انا القائم المنتظر : وكان ذلك مؤسس دين البابية .

البابية

المسلمون متفقون على أن الدين قد ضعف في النفوس يعترف بهذا عالمهم وجاهلهم

في الجملة ويختلفون فيه بالتفصيل ، ومتفقون على أنهم في حاجة الى الاصلاح والى أن هذا الاصلاح انما يكون بالرجوع الى العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويعتقدون أن هذا الاصلاح انما يكون على يد زعيم يدعى بالمهدي يبطل المذاهب ويقيم الناس على مثل ما كانوا عليه في عهد النبي (ص) في الدين وأحسن مما كانوا عليه في الدنيا وهذا الاعتقاد ظهر في الشيعة وامتد الى غيرهم من المسلمين حتى لا يكاد ينكره الا أفراد في كل زمان. وقد ظهر (الباب) في بلاد الفرس بهذه الدعوة في أثر ضيق شديد فتوهم الناس ومعظمهم هناك من الشيعة الذين ينتظرون المهدي في كل يوم أنه هو وحمل الضيق والبلاء كثيراً من الناس على اتباعه. وماذا كان منه ؟ هل جاء على ما كانوا يعتقدون من الصفات والنعوت والأعمال ؟ كلا إنه جاء بنزعة وثنية مناقضة لما جاء به الاسلام من الهداية العليا التي أشرنا الى مزاياها في مقدمة هذا المقال ، مبنية على استئصال جراثيم حرية الفكر. واستقلال العقل. وعلى الخضوع والعبودية لرجل مضطرب الفكر. بعيد من نور العلم. لا مزية له الا الغلو بما يخدع جهال الاعجميين. وضعفاء المقلدين. الذين اعتادوا على اعتقاد الولاية والعرفان. في أصحاب الدجل والهذيان. فكان ظهور هذا الرجل واتباع كثير من الشيعة له وتصديهم من بعده الى تعميم دعوته. ورفع كلمته. أشد مضار الاعتقاد بالمهدي المنتظر. وأكبر العظات فيها والعبر.

لم يحاول هذا الداعي المشترع إبطال دين الاسلام فيمن ينتظرون تأييده وانقاذه من التقاليد التي ذهبت باستقلاله بل حاول إفساد الفطرة وإطفاء نور العقل الذي أذكاه الاسلام وأطلقه من سجنه ، وبني دينه الجديد على تقاليد الشيعة الذين ظهر فيهم لانه كان شبعان ريان بهذه التقاليد ومحكوم الشعور والوجدان بها ، ولولا هذا ما راجت دعوته في أولئك الغلاة الذين اذا سمعوا ذكر آل البيت عليهم السلام والرحمة ضلت أعناقهم له خاضعين ، وكانوا لكل مايقوله ذاكرهم بالخير متقبلين ، ولو أن المسلمين لامذاهب لهم ولا كتب دينية غير القرآن وسيرة النبي وآله وصحبه في أعمالهم وأحوالهم وأقوالهم المنقولة بطرق متفق عليها بينهم مطابقة للاعمال والاحوال غير مخالفة للقرآن لما سرت اليهم هذه الضلالات في الماضي ولا في الحاضر فهكذا فعل التقليد بالمسلمين جعلهم غرباء عنه ، فسهل على المضلين أن ينتزعوا بعضهم منه»

القرآن بشر البشر بأن الله تعالى رفع عنهم سيطرة الرؤساء الروحانيين حتى خاطب من أنزله عليه بقوله « فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وسماه عبدا متبعا لما أمر به وانما ذكرهم بما تعهده الفطرة السليمة فاقامة هذا الدين هو الرجوع الى الفطرة المعتدلة كما ترشد اليه الآية التي صدرنا بها المقال وذلك تبشير برشد البشر واستقلالهم، والبابية يحاولون إرجاع السيطرة الدينية للاشخاص بأقبح ما كانت عليه من أشكال الوثنية فهم يعيدون البشر الى حجر الطفولية التي تفتقر الى القيم المطاع طاعة عمياء

القرآن بشر البشر بأن محمدا خاتم النبيين فلا حاجة بعده الى تعليم سماوي ولا وحي جديد لان تعليمه هو التعليم العالي الذي يرتقي به العقل ويستقل فلا يقبل الشيء الا ببرهانه ولذلك استدل على العقائد وبين منافع الآداب والأحكام وطالب بالدليل والبرهان وجعله شرطا للاعتراف بالصدق «قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين» والبابية يحاولون إرجاع أهل هذا التعليم العالي الى تعليم الاطفال الابتدائي الذي يؤخذ فيه كل شيء بالتسليم والاذعان ، بدون دليل ولا برهان ،

القرآن أبطل التقليد لأن فيه حجرا على العقول أن تفهم الدين عن الله بنفسها وتفهم مصالحها في الدنيا بالتجربة والاختبار فقال فيمن احتجوا بتقليد ما كان عليه آباؤهم «أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون» فبين أن أحدا لا يأخذ بقول أحد الا اذا عقله وتبين له وجه الهداية فيه. والبابية يحاولون إقرار الذين ضلوا عن الاستقلال على ضلالهم وإلزامهم باتباع رؤسائهم في التأويلات التي لا تعقل والخضوع لهم فيما علموا وجهلوا بل أوجبوا عليهم عبادتهم (يا للمصيبة والرزية ، وضعف البشرية)

القرآن جعل آية محمد الكبرى علمية أدبية . ولم يحتج على نبوته بالآيات الكونية لأنه دين العقل والآيات الكونية لا تعقل ولانه دين العلم وهي لا تعلم . ولانه جعل ركن ارتقاء البشر الهداية الى سننه تعالى في الخلق وكونها لا تتبدل ولا تتحول وهي على غير السنن الكونية ، والبابية زعموا ان الباب كان مؤيدا بالخوارق والآيات ولكن لم يستطيعوا إثبات ذلك بل جعلوا اللغو دلائل كما ترى قريبا

القرآن أرشد البشر الى العلوم الكونية وحثهم عليها في آيات كثيرة والباب حرم عليهم كل علم الا ما يؤخذ عنه وفرض عليهم في البيان محو جميع الكتب ثم نسخ البهاء

ذلك (في ص٢٢ من الكتاب الاقدس) ولئن أصاب البهائية في هذه فهم لايخرجون عن كونهم فرعا من البابية وكون ديانتهم مبنية على أساس البيان والمبني على الفاسد فاسد

ماذا عسى ان نقابل ونتظر بين تعليم الاسلام وتعليم البابية ؟ هذا شيء يطول وأفضل منه التنبيه والايماء الى سبب قبول بعض المسلمين لهذا الدين مع رفضهم لدين النصرانية الذي يجتهد دعاته في تنصيرهم ويبذلون القناطير من الاموال ، ويتقنون فنون التشكيك والجدال ، على ان البابية تشبه النصرانية بالقول بألوهية البشر وهي دونها فيما عدا ذلك فان كلام الباب بمكانة من السخف واللغو يضحك منها الصبيان وانما راجت دعوته في طائفة الشيعة من المسلمين والسبب فى ذلك أمور خاصة بهذه الطائفة وأمور اخرى عامة يشاركهم فيها غيرهم من طوائف المسلمين

(السبب الأول) عموم الجهل بالقرآن فمن فهم القرآن يستحيل ان يقبل دينا آخر لأنه يعلم أنه لاحاجة للبشر معه الاالى استعمال ماوهبهم الله من القوى العقلية والبدنية لنيل سعادة الدنيا والآخرة . وكان يجب على المسلمين ان يعلموا كل مسلم ومسلمة هذا القرآن ـ لا ألفاظه فقط بل ألفاظه ومعانيه وكان الخلفاء الراشدون يفرضون العطايا لمن يتعلم القرآن ولكن سلاطين الجور من بعدهم أبطلوا هذا واتفق بعد ذلك أئمة الجور من الملوك والفقهاء على الاكتفاء بكتب الفقه عن كل الدين .

(الثاني) عموم الجهل بسيرة النبي وسنته فانهما خير البيان لما نزل الله تعالى ولكنهم لم يحفلوا بذلك حتى لاتجد فى مثل الازهر من يتعلمهما والعلة فيه ماتقدم

(الثالث) الجهل باللغة العربية التي يتوقف عليها فهم القرآن ولاشك أن تعميم تعليمها واجب اذ لايفهم الدين بدونه وانني لاأعرف في بلاد المسلمين مدرسة ولامكانا تعلم فيه هذه اللغة وانما يعلم فى المدارس بعض فنونها والكتب المؤلفة بها أما اللغة وأساليبها فلا تعلم بحيث ينطق بها المتعلم ويكتب ويخطب. ولو كان أولئك الذين استجابوا للباب يعرفون هذه اللغة الشريفة لسخروا من تقليده للقرآن بالفواصل مع كثرة اللغو والغلط واللحن في كلامه حتى ان فيه مالا يعقل له معنى قط وانما هو جعجعة وسجع كسجع الكهان رعايطنه الاعجمي شيئا عظيما بليغا كالقرآن اذ لايفهم من القرآن شيئاً. ولايذوق لبلاغته طعما .

(الرابع) تعود المسلمين على أخذ كلام العلماء في الدين بالتسليم من غير إسناد الى كتاب ولا سنة ولا دليل أي تعودهم على التقليد البحت الذي ذمه القرآن وأبطله. وقد عم هذا التقليد حتى في العقائد فلو أن رجلا في هذه البلاد مثلا خالف مثل السنوسي في الصفات العشرين والدلائل التي جاء بها عليها لعدوه مارقا من الدين وان وافق هدي القرآن في سرد العقائد والاستدلال عليها بآيات الله في الكون

(الخامس) تعوّد المسلمين على الخضوع والاذعان للظاهرين بمظهر الصلاح واللابسين لباس التصوف وتقديم كلامهم على كل كلام حتى مايعتقدون انه من الدين بلاخلاف (راجع الكلام في الصوفية من تفسير هذا الجزء) وكم خدع المسلمين خادع من الباطنية وغيرهم باسم التصوف وأفسد في دينهم ماشاء، وماهؤلاء البابية الافرقة من الباطنية الملحدين. وكان الباب قد دخل الخلوات وبالغ في الرياضات. قبل أن يقوم بهذا الافتئات. ومن العجائب أن علماء المسلمين اليوم يقدسون كل كلام ينسب للمتصوفة مع اعترافهم بان منه مالا يفهم ومنه مايفهم وفيه ما يناقض الكتاب والسنة واجماع الائمة ككلام محي الدين بن عربي وعبد الكريم الجيلي وغيرهما. فلا عجب بعد هذا اذا قبل القوم كلام الباب في تفسير سورة يوسف بقصة الحسين وخضعوا للغوه في البيان والصحف والخطب والرسائل الكثيرة

(السادس) غلوّ الشيعة في تعظيم المنتسبين لآل البيت والباب منهم واعتقادهم الجازم بالمهدي المنتظر وأنه معصوم لايسئل عما يفعل. ولايعارض فيما يحكم. وقد بنى الباب دعوته على تقاليد الشيعة في الائمة والمهدي كما تقدم

وانا نورد للقراء مثالا من أقوال الباب التي يدعي أنها منزلة ليحكموا حكما صحيحا ونبدأ بما أرسله الينا في البريد الاخير أحد كبار البابية في (طهران) ردا لما كتبناه من قبل في المنار. ومحاولة لاقناعنا بهذا الدين ولعله أمثل ما عندهم وسنورد بعده ماهو شر منه. وانا نورد مايأتي بنصه ونصححه على أصله بغاية الدقة فلا يتوهمن أحد أن مافيه من الغلط والسخف من التحريف بل هو كلام الباب بحروفه قال.

﴿ الصحيفة السادسة في الخطب وهي مرتبة باربعة عشر خطبة ﴾

الخطبة الاولى

هذه الخطبة قد أنشأت في كل ماسطر في ذلك الكتاب ليكون الكل بذلك من الشاهدين ؛

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق الماء بسر الانشاء ، واقام العرش على الماء بشأن الامضاء ، وأنزل الايات من عالم العماء بجريان القضاء . وفصل ماقدر في طور السيناء بحكم الثناء ، وأمضى ماقدر بالبهاء بذوبان الاقتضاء ، فسبحانه وتعالى قدأرسل الرسل مبشرين ومنذرين الايعبدوا الااياه ، وجعل في يدي كل أحد منهم شأنا من قدرته التي يعجز عن مثلها كل ماسواه ، تثبت الحق بكلماته ، ويبطل الباطل باياته ،لئلا يكون لاحد بعد العلم بمحل حكمه حجة وكان الكل له مسلّمين،فسبحانه وتعالى قد جعل بينه وبين رسله شأن البهاء من الكلام لانها أعظم النعماء في الانشاء ، وبهايتشرف الرسل بعضهم على بعض كما نزل فى التنزيل ، بحكم الله الجليل،وما كان لبشر ان يكلمه الله الاوحيا أومن وراء حجاب أويرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء انه علي حكيم ؛ وجعل فى كلامه شأنا من القدرة التي لايشتبه بكلام عباده وانه سبحانه حي قادر ينزل على من يشاء بما يشاء من آياته سبحانه وتعالى عما يصفون . أشهد الله في ذلك الكتاب بما شهد الله لنفسه بنفسه من دون شهادة أولى العلم من عباده بانه لااله الا هو لم يزل كان بلا ذكر شيء . والآن هو الكائن بمثل ماكان لم يكن معه شيء . قد علا بعلو ذاته عن نعت الانشاء وأهلها . وتعظم بعظمة نفسه عن وصف الابداع وما يشابهها . سبحانه تقطعت الابداع كينونيته . وتفرقت الاختراع انيته . من قال هو هو فقد فقده لانه لايوجده غيره ولاله صفة دون ذاته ولا اسم عين بهائه فمن وحده فقد حجده لانه لايعرفه بشيء ولايدركه عبد انقطعت الاسماء من عالم العماء بجبروتيته ، وامتنعت الصفات من عالم الامثال بملكوتيته ، لم يزل كان ربابلا مربوب ، وعالما بلا معلوم ، وقادرا بلامقدور، وموجدا بلاموجود، والآن كان الله بمثل ماكان، وهو الكائن لامربوب ، وهو العالم لامعلوم، وهو القادر لامقدور، وهوالموجدلاموجود ، لااسم له ولاوصف، ولانعت له ولا رسم ،قد تقطع الكل ذاتيتـه .وتفرق الكل كينونيته. لاذكر له بالفصل، ولابيان له بالوصل؛ من قال هو الحق، يرجع الامر الى الخلق ، ومن قال هو العدل، يمنع العدل عن الوصف، سبحانه وتعالى قد وجدت الابداع بالانشاء بلا مسّ النار من ذاته، واخـترعت المشية بالابداع بلا فصل من نفسه، وقد منعت الابداع عن معرفة ابداعه، وانقطعت الاختراع عن محبته باختراعه، سبحانه وتعالى

لاذكر هنالك لابالنفي ولا بالاثبات ، ولا بالثناء ولا بالايات.ولا بالبهاء ولا بالعلامات.ولا بذكر الهاء.ولا بالفرار عن الواو ولا بالقيام بين الامرين، ولا بحرف اللاء سبحانه وتعالى عما يصفون ، (واشهد) لمحمد صلى الله عليه واله بما شهد الله له به حيث لا يعلم ذلك الا هو بعد مااخترعه لعزة ذاته، واصطفيه لقدس جنابه،وجعله منفردا من ابناء الجنس في تلقاء جماله، للقيام على مقامه.إذ هو لايدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير، (واشهد)ان محمد ابن عبد الله رسوله قد بلغ ماحمل فى امره،وقبض ماجرى القضاء بايدى نفسه ، سبحانه وتعالى ويحذركم الله نفسه . الاتقولوا في حقه دون ماقدر الله لنفسه.سبحانه وتعالى عما يشركون. (واشهد) ان اوصيا محمد صلى الله عليه واله اثنى عشر نفسا فى كتاب الله يوم ماخلق حرفافى الامكان غيرهم بما قد شهد الله لهم في عز جبروتيته وقدس لاهوتيته وعظم سبوحيته وعلو صمدانيته بما لايعلم ذلك احد غيره (واشهد)انهم قد بلغوا ماحملوا من وصاية رسول الله صلى الله عليه واله وانهم الفائزون حقا.(واشهد) ان قائمهم سلام الله عليه حي به قد اقام الله كل شئ وله يمد الله كل شئ وبه يوجد الله كل شئ . وان له رجعة حق بمثل ما جعل الله لهم فسوف يحيي الله الارض بظهوره . ويبطل عمل المشركين . (واشهد) ان فاطمة بنت رسول الله صلى عليه واله ورقة مباركة عن الشجرة البيضاء لااله الا الله سبحانه وتعالى عما يشركون. (واشهد)لكل حق بمثل ماشهد الله له فى علم الغيب ولكل باطل بمثل ذلك وانه ليعلم باني عبد الله مؤمن به وباياته وبكتابه الفرقان الذي لم يوجد بمثله وبالمحبة لكل ماأحبه وبالبرائة لكل ما أبغضه وكفى بالله علي شهيدا . (وأشهد) أن الموت والسؤال والبعث والحساب وحشر الاجساد والاجسام وماجعل الله وراء ذلك فى علمه لحق بمثل ماكان الناس فى علم الله ليوقنون . وأشهد ان كل ما فصل في ذلك الكتاب حق من فضل الله علي ولكن أكثر الناس لايشكرون . ولقد فصل فى ذلك الكتاب كل ماخرج من يدي من سنة ١٢٤٠ الى سنة ١٢٤٢ من شهرها بما مضى نصفه من شهرها وهو أربعة كتاب محكم وعشر صحيفة متقنة التى كل واحدة منها تكفى في الحجية على العبودية لمن فى السموات والأرض وانا اذا أذكر اسمائها باسماء ال الله منزلها لتكون حنيفا فى البيان، ومذكورا في التبيان

(الاولى) كتاب الاحمدية في شرح جزء الاول من القرآن (والثانية) كتاب العلوية وهو الذي قد فصل فيه سبعمائة سورة محكمة التي كل واحدة منها سبع آيات. (والثالثة) كتاب الحسنية وهو الذي قد فصل فيه خمسين كتابا محكمة بالآيات القاهرة. (والرابعة) كتاب الحسينية في شرح سورة يوسف عليه السلام التي كلها المفصلة بمائة واحدى عشر سورة محكمة التي كل واحدة منها اثنى وأربعين آية التي كل واحدة منها تكفي في الحجية لمن على الارض وما في تحت العرش او لم تغير وكفى بالله شهيدا (والخامسة) صحيفة الفاطمية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في أعمال اثنى عشر شهرا في كتاب الله (والسادسة) صحيفة العلوية وهي مرتبة باربعة عشر دعاء في جواب اثنى وتسعين مسئلة التي قد فصلت بعد رجعى على الحج في الشهر الصيام (والسابعة) صحيفة الباقرية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في تفسير أحرف البسملة (والثامنة) صحيفة الجعفرية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في شرح دعائه عليه السلام في أيام الغيبة (والتاسعة) صحيفة الموسوية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في جواب اثنين نفس من عباد الله التي قد قضت في أرض الحرمين (والعاشرة) صحيفة الرضوية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في ذكر أربعة عشر خطبة غراء الناطقة عن شجرة الثناء لا اله الا هو العزيز المنان (والحادى عشر) صحيفة الجوادية وهي مرتبة بأربعة عشر بابا في جواب اربعة عشر مسئلة لاهوتية (والثانى عشر) صحيفة الهادية وهو مرتبة باربعة عشر بابا في جواب اربعة عشر مسئلة جبروتية (والثالث عشر) صحيفة العسكرية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في جواب اربعة عشر مسئلة ملكوتية (والرابعة عشر) صحيفة الحجية وهي مفصلة باربعة عشر دعاء قدوسية التي قد ظهرت في بدء الامر وتنسب الى ايام العدل. فكل ذلك اربعة عشر نسخة مباركة موجودة في ذلك الكتاب مع صحيفة المشهودية في اخره في اربعة عشر كتابا من اولياء العباد كل ذلك مكتوب في هذا الكتاب واما ما خرج من يدي وسرق في سبيل الحج قد ذكر تفصيله في صحيفة الرضوية فمن وجد منه شيئا وجب عليه حفظه فياطوبى لمن استحفظ كل نزل من لدي بانواح طيبة على احسن خط فوالذى اكرمني اياته حرفا منها اعز لدي من ملك الاخرة والاولى واستغفر الله ربي عن التحديد بالقليل وسبحان الله رب العرش عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

(المنار) يرى القارئ أن هذا اللغو الذي لا يبهه حتى كاتبه انما خدع بعض الفرس لما فيه من نسبة الصحف الى آل البيت وان الله أوجدو يوجد بقائمهم كل شيء وهذا شرك ولعلهم ظنوا أن ما لا يفهم منه هو الأفهام والعقول كما يظن عامة المسلمين في كلام الصوفية.

﴿ أدلة الباب السبعة على دينه ﴾

هفت دليلي است كه بجهة جواب يكي از علماء نقطهٔ بيان نازل فرموده اندكه أول از عربي است وفارسى هم تفسير اندام قوم فرموده ند عربي اندانو شتم (*)

بسم الله الافرد الافرد

انني أنا الله لا اله الا أنا قد خلقت كل شيء بامري وما جعلت لشيء من أول ولا آخر جودا من لدنا انا كنا على ذلك لقادرين . وانتهيت كل ماقد خلقت الى بديع الاول أمراً من عندنا انا كنا على كل شيء لمقتدرين . ثم انتهينا ماقد خلقنا من بديع الاول الى محمد رسول الله ص فضلا من لدنا انا كنا فاضلين. وربنا الذين أوتوا الفرقان في ألف وماتين ثم سبعين سنينا لعلهم يستبصرون. في دينهم ليوم ظهور ربهم وحين ما يعرفهم الله نفسه ليجيبون الله ربهم ثم لينصرون . وعلمناهم في الفرقان دلائل سبعة كل واحدة منهن يكفي كل العالمين . قل (الاول) ان غير الله لن يقدر ان ينزل مثل الفرقان وهل من خلق أعجب من هذا ان أنتم فيه تتفكرون . وأمهلنا الذين أوتوا الفرقان من يومئذ الى حينئذ حتى كل يوقنون بانهم عاجزون . لعل الذين هم يستمعون آيات الله حين ظهور حجته بما آمنوا من قبل يؤمنون. انظر كيف قد سدد الله أبواب حججهم ولا يمن الله علي أمم مثلهم ولكنهم عن أمر الله غافلون. حين ماقدروا آيته لاسبيل لهم فى دينهم الا أن يقولون هذا من عند الله المهيمن القيوم. وان يقولون هذا من عند غير الله يكذبهم قول الله من قبل في الفرقان بان غير الله لن يقدر ان يأتي بآية وأنتم كلكم بذلك من قبل موقنون. قل (الثاني) مااستدل الله فى الفرقان بأمر محمد رسول الله الا بعجزكم عن آيات الله ان أنتم قليلا ماتتفكرون. ولم يكن عند الله حجة أكبر من هذا ليستدلن الله به وان مادونه ماأنتم لتذكرون كمثل ظلال عند الشمس افلا تبصرون. وأنتم

(*) هذه العبارة الفارسية لمرسل الرسالتين ومعناها الدلائل السبع التى تفضلت بانزالها نقطة البيان فى جواب العلماء بالعربية ومترجمة بالفارسية فبادرت بارسال العربية اليكم

كلكم أجمعون. لتقولون ان الفرقان أكبر آيات محمد رسول الله من قبل ان أنتم بذلك موقنون.
كيف لا تستدلون يومئذ ولا به في دين الله تدخلون. قل (الثالث) ان آيات الله أكبر عن آيات
النبيين من قبل ان أنتم قليلا ما تتفكرون . اذ لو لم يكن أكبر لا ينسخ الله بآيات الفرقان دين
عيسى بعد موسى ثم النبيين قبل موسى ولكنكم في حجة دينكم من قبل لا تتفكرون. لو لم يكن
آيات الفرقان أكبر من عصى موسى ثم كل آيات النبيين من قبل موسى وبعد عيسى كيف ينسخ
الله بها ما نزل من قبل افانتم في دلائل الله لا تتفكرون . أفأنتم في حجج الله لا تتأملون . ولو
انكم أنتم من قبل في الفرقان مستبصرون. حين سمعتم من آية لتعظمن في أفئدتكم أكبر عن خلق
السموات والارض وما بينهما ولكنكم لا تتفكرون ولا تتذكرون . قل (الرابع) انما الآيات
لا يكفين الذين اوتوا الفرقان من قبل ومن بعد ان انتم بما نزل الله من قبل لموقنون .
قل ان ذلك الدليل ليثبتن الكتاب بانه حجة من عند الله ويكفين كل العالمين مثل ما
نزل الله في سورة العنكبوت وانتم بالليل والنهار لتقرؤن . اولم يكفهم انا أنزلنا اليك
الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . قل (الخامس) دليل عقلي
مقطوع لو اراد احد من النصارى ان يدخل في دين الاسلام انتم كيف تستدلون .
وهل يكن حجتكم بالغة بالكتاب أو أنتم بغيره تستدلون . لو تستدلون بغيره لن يقبل
عنكم وان تستدلون به فاذا انتم غالبون . سواء يقبل عنكم او لا يقبل فان حجتكم قد تمت
وكملت عليه هذا ما انتم من قبل في الاسلام مستدلون . كيف لا تستدلون يومئذ في البيان
وانتم على الصراط بالحق لتمرون . (*) قل (السادس) قد أظهر الله قدرته في الآيات على شان
كل عنها عاجزون . ولا يحسبن ان هذا امر خفيف فانه لا نقل عما في السموات والارض وما
بينهما ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ما خلق الله خلقا اعز من الانسان وكل عند ذلك

(*) المنار: زعم الباب أن هذا دليل عقلي وملخصه أن كتابه البيان حجة على المسلمين كما أن
القرآن حجة على النصارى وهذا جهل مثل سابقه ولاحقه ذلك انه يجهل طريق الاستدلال
عند المسلمين وهو البرهان على الألوهية بالعقل ويدخل في ذلك استحالة حلول الباري في
البشر والبرهان بالعقل على الحاجة الى الرسالة والى بعثة محمد (ص) والاستغناء عنها بدينه وهنا
يجيء الاستدلال بالقرآن بما فيه من العلوم العالية مع ان الجائي به أمي ومن البلاغة التي أعجزت
البلغاء. وليس بيان الباب الا عي ولغو يسهل مثله على الصبيان والمجانين .

عاجزون . انظر كل بحروف الثمانية والعشرين متكلمون . وان الله قد سخر تلك الحروف وركبها بشان كل عنها بمعجزون . هذا صنع الله كل به يخلقون . ان الذين يدعون من دون الله ما لهم دليل فى كتاب الله مثلهم كمثل الذين هم كانوا من قبلهم لو شاء الله ليهديهم وان يشاء ليمهلهم وذلك نارهم عند الله ولكنهم لا يعلمون . ولكنهم لو يتفكرون اقرب من لمح البصر ليهتدون .

قل (السابع) كل موقنون بان الله لن يعزب من علمه من شيء ولا يعجزه من شيء لا في السموات ولا فى الارض ولا ما بينهما وانه كان بكل شيء عليما وانه كان على كل شيء قديرا . فاذا انسب أحد نفسه اليه ان لم يكن من عنده فعلى الله ان يظهرن من يبطلن ذلك بدليل كل به يوقنون . فان لم يظهر دليل انه حق من عند الله لا ريب فيه كل به مؤمنون . انظر ان الامر في ظهور البيان أعجب عما نزل الله من قبل الفرقان وجعله آية من عنده على العالمين ، قل الله قد نزل الفرقان من قبل بلسان محمد رسول الله فى ثلث وعشرين سنة وكل يومئذ به لمدينون من الذين أوتوا الفرقان ومن لم يؤمن به فاولئك هم عن صراط الله لمبعدون ، ولكن الله ان شاء لينزلن مثل ما نزل من قبل في يومين وليلتين اذا لم يفصل بينهما ان أنتم تحبون فتستنبؤن ، فانا كنا على ذلك لمقتدرين ، انظر باية قل نزل الله من قبل في ذكر الحج فى حول كم من خلق في حول الطين يطوفون ، هذا عظمة أمر الله في آياته وسيشهدن الذين هم يأتون من بعد في آيات البيان أكبر من ذلك ولكن الناس هم لا يعلمون ، هذا في شأن انا كنا بلسان الخلق مستدلون، والا كيف نعرفن أنفسنا باياتنا وانما هي خلق في كتاب الله تعرف بالله ربها والله لا يعرف بها وانا كنا على كل شيء لشاهدين، ان كنت في بحر الاسماء لمن السائرين ، ما من اله الا الله رب العالمين ، له الاسماء الحسنى من قبل ومن بعد كل عباد له وكل له عابدون ، وان كنت فى بحر الخلق لمن السائرين ، قد خلق الله كل شيء بامر واحد وجعل مثل ذلك الامر كمثل الشمس ان تطلع بما لا يحصي المحصون ، انما هي شمس واحدة وان تغرب بمثل ذلك انما هي شمس واحدة قل كل بالله قائمون ، فاذا فى كل الرسل أمر واحد وفي كل الكتب أمر واحد وفى كل المناهج أمر واحد كل بامر الله من عند مظهر نفسه قائمون ، هذا معنى حديث أنتم في ذكر قائمكم لتذكرون، ليذكرن من بديع الاول الى محمد وليقولن من أراد أحد من أنبياء الله فلينظرن الى ولا يقولن فلينظرن

الى غيري اذ كل فيه وكل بامر الله اذا يشاء ليظهرون ، هذا معنى قول محمد من قبل
في ذكر النبيين بانهم اياي اذ مافي كل أمر واحد قد اتصل بمحمد رسول الله ومن
محمد الى نقطه البيان ومن نقطة البيان الى من يظهره الله وممن يظهره الله الى من
يظهر من بعد من يظهره الله الى آخر الذي لا آخر له انتم مثل أول الذي لا اول له لتستنبئون
ثم لتوقنون (*). فاذا في كل ظهور كل ما ظهر فيه وكل ما يظهر من عنده يظهر ذلك معنى ما
أنتم في بحر الاسماء تذكرون . سبحانك اللهم انك أنت الاول ولم يكن قبلك من شيء وانك
أنت مؤل الاولين . قل اللهم قل اللهم انك أنت الآخر ولم يكن بعدك من شيء وانك أنت
مؤخر الآخرين . قل اللهم انك أنت الظاهر فوق كل شيء ولم يكن فوقك من شيء وانك أنت
مظهر الاظهرين . قل اللهم انك أنت الباطن دون كل شيء ولم يكن غيرك من شيء وانك
أنت مبطن الابطنين . سبحانك اللهم انك أنت القادر على كل شيء لن يعجزك من شيء
لا في السموات ولا في الارض ولا ما بينهما تنصر من تشاء بامرك انك أنت اقدر الاقدرين .
وان كنت في بحر الخلق ناظرين . مثل ذلك في مرءات الازل انا كنا منزلين ، اذ لا يرى في
المرات الا تجليها ذلك رب العالمين ، فانظر من اول ماقد دخلت في دينك هل رأيت
من نبي اوحجة الا وقد شهدت الفرقان من عند الله رب العالمين ، واستدللت به من غير
ان تسكن فيه وكنت به لمن الموقنين . فلتنصفن حين ماقد رايت الفرقان اوآيات البيان
هل رايت ما تحجبنك عن هذا او توقفنك في هذا ان كنت من المستبصرين ، وإن
ماتشاهدن غير قواعد النحويين والصرفيين هؤلاء يستنبئون علمهم من كتاب الله
وما يتلى الكتاب من عند الله لا يستبنئ من علمهم فما لهؤلاء القوم لا يتفكرون ولا
يتذكرون . (*) وهذا دليل على انكم توقنون بان الله قد اظهر حجته من عند من لم يتعلم
شؤن علمكم املكم انتم بذلك تستطيعون في دين الله توقنون ، وانا لو نشاء لنزلن مثل
ما انتم في قواعدكم مستدلون ، مثل ماقد نزلنا كتبا من قبل وان كنا على ذلك لمقتدرين ،
وان الله في كل ظهور ليحبن ان يدخلن الناس في دين الله بحجة ودليل وعلى هذا

(*) المنار: يظهر أن الشيعة يروون حديثا مرفوعا في هذا الموضوع والعارف بالعربية وأساليبها
يجزم بأنه موضوع لا أصل له ويفهم من العبارة ان الباب يعتقد بخلود الناس في الدنيا (*) انظر الى
هذا الاعتذار السخيف عن عجزه عن الكلام الصحيح كأن الله تعالى يحب اللغو الذي لا يفهم

لينصحن الرسل في كل ظهور كل عباد الله المؤمنين، والا اذا يبعث الله ذا طول عظيم ليدخلن الناس فى دين الله سوآء يحيطون علمهم بدليل أو لا يحيطون، مثل كل ما ادخل محمد رسول الله من قبل في الاسلام بجبر وقهر فان اولئك هم سوآء يطلعون بدليل او لا يطلعون، ليدخلنهم الله في رضوان الدين بفضله سوآء هم يعلمون او لا يعلمون، فلتتفكرن هل يكن حجة الذين اوتوا التورية بالغة على الذين اوتوا الزبور كيف هم صبروا فى دينهم وما دخلوا فى دين موسى ولا هم يتذكرون، ويحسبون بينهم وبين الله بانهم محسنون، بعد ما انهم عند الذين هم اوتوا التورية مسيئون، وكيف عند الله ولكن لا يعقلون، ثم انظر الى الذين اوتوا الانجيل لم يكن حجتهم بالغة على الذينهم اوتوا التورية كيف هم قد صبروا في دينهم ويحسبون بينهم وبين الله بانهم محسنون. بعد ما انهم عند الذين اوتوا الانجيل لمسيئون. وكيف عند الله ربهم ولكنهم لا يتذكرون، ثم انظر الى الذين اوتوا الفرقان بان حجتهم بالغة على الذين اوتوا الانجيل كيف هم يحسبون بانهم بينهم وبين الله محسنون. وان ما وعدهم عيسى ما جاء وهم يحسبون بينهم وبين الله ربهم بانهم فى دينهم مستبصرون. بعد ما انهم عند الذين اوتوا الفرقان لمسيئون وغير مبصرون، وكيف وعند الله ربهم ولكنهم لا يعلمون. ثم انظر الى الذين اوتوا الفرقان كيف حجة الذين هم امنوا بائمة الدين بالغة على الذين لم يؤمنوا بهم وهم يحسبون بأنهم محسنون. بعد ما انهم عند هؤلآء غير محسنون. ثم انظر الى الذين اوتوا البيان فان حجتهم بالغة على كل الامم وكل بينهم وبين الله يحسبون بأنهم محسنون وفى دينهم محتاطون ثم لمتقون. ولكنهم عند الذين اوتوا البيان غير محسنون ولا متقون. وكيف عند الله وعند مظهر نفسه وعند شهداء مظهر نفسه ولكنهم لا يتفكرون ولا يتذكرون. ثم انظر الى الذين هم اوتوا الكتاب من يظهره الله فى القيامة الاخرى فان حجتهم بالغة على الذينهم اوتوا البيان ولكنهم يحسبون فى دينهم بأنهم متقون ومحسنون. بعد ما انهم عند الذين أوتوا ذلك الكتاب غير متقون ولا محسنون، وكيف عند الله وعند من يظهره الله وعند ادلائه يا اولى البيان بالله تتقون. ان لا تفضحن أنفسكم مثل الامم قبلكم بانكم تحسبون بينكم وبين الله بانكم متقون. وعند خالق آخر غير متقون ومحسنون. وكيف عند الله ربكم فلتنقطعن عن كل علمكم وعملكم ولتستمسكن بمن يظهره الله ثم دليله وحجته ثم بما يستدل المستدلون وباهوائكم لا تستدلون ثم بما يرضى

لترضون ولا تجعلون رضائه بما ترضون بل تجعلون رضائكم بما يرضى ولا تسئلونه عن آيات غير مايؤتيه الله فانكم انتم لا تستجابون . قد وصينا كم حق الوصية لعلكم في دينكم تتقون، وعلمناكم سبل الدلائل في الايات لعلكم فى البيان لتتقون ثم لتخلصون ثم بالحق تستدلون. اه

(المنار) الذى يمكن أن يفهم بالقرائن من مجموع هذا اللغو الطويل الذي أفرغ فيه الباب جعبة دلائله أن أهل كل دين جديد يرون أنهم محقون ومهتدون وغيرهم مبطل وهكذا يراهم غيرهم وأن المسلمين الذين يؤمنون بالأئمة مع الذين لا يؤمنون بهم كذلك فوجب أن يكون دينه كذلك . ولو نهض هذا دليلا لجاز لكل أحد فى كل يوم أن يخترع دينا ويحتج به !!! وقد جهل الباب أو نسي أن المسلمين الذين يحتج عليهم يعتقدون بأن الأديان قد ختمت بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وان الدليل عليها لم يكن التنازع والخلاف بين أهل الأديان بل كان دليلا حقيقيا معقولا

وقد بنت البهائية دينها على قوله من يظهره الله ولكن أي معنى لوجود شارع يضع دينا ولا يلبث أن ينسخ دينه في عصره ويكتم كتابه قبل أن يعلم به الناس الا قليلا لا يعتد بهم فان البهائية يخفون (البيان) إذ وجد فيهم من أدرك أنه سخرية ؟ وياليت هذا الدين الصبياني قد انقسم الى دينين فقط ، كلا انه انقسم الى أربع فرق يكفر بعضها بعضا في الغالب وهي كما في خاتمة كتاب (مفتاح باب الابواب) الذى نوهنا به من قبل وقد تم طبعه الآن وسيصدر بعد أيام قال مؤلفه

﴿ فرق البابية ﴾

﴿ الأولى البابية الخلص ﴾ أي الذي اتبعوا الباب فقط ولم يرضخوا لأوامر من قام من بعده مثل الميرزا يحيى صبح أزل وأخيه الميرزا حسين علي البهاء وغيرهما وهم يعملون بأحكام البيان وينبذون جميع ما ألف وكتب بعد الباب ظهريا وهؤلاء يبلغون نحو مائتي نفس فى البلاد الايرانية دون غيرها وفى أثناء وجودنا بطهران تقابلنا مع أناس منهم وعلمنا منهم مالا تعلمه البابية الأزلية والبهائية .

﴿ الثانية البابية الازلية ﴾ وهم القائلون بخلافة أو أصالة الميرزا يحيي صبح أزل سجين قبرص الآن اي ان الأزل هو مصداق لما ورد فى كتاب البيان ﴿ من

يظهره الله أو من يريده الله) وهؤلاء يؤيدون مدعياتهم بكتب عديدة من الباب والميرزا حسين علي الى الميرزا يحيى وهي موجودة عند الأزل ويتمسكون ويستدلون بها على بطلان أمر البهاء وأتباعه وعددهم الفان ونيف تقريبا في البلدان الايرانية وغيرها وداعيتهم الأكبر وعميدهم الاعظم هو الحاج الميرزا .... القاطن الآن بطهران هو وأنجاله وأناس آخرون منهم ذكرنا أسماءهم في كتابنا (باب الابواب) وهؤلاء يتظاهرون بالاسلامية ، ويتبرؤن من الباب والبابية ، ويعملون بالتقية ، يصلون ويصومون ويقومون بجميع فرائض الدين الاسلامي في الظاهر ويكفّرون البهاء وأتباعه ويلعنونهم في الظاهر والباطن ، ويستبيحون أموال وأنفس المسلمين والبهائية عند المقدرة ويستعينون على قضاء حوائجهم هذه بالكتمان وشدة الحذر ويسندون الخلافة من بعد الميرزا يحيى الى الحاج الميرزا .... المذكور ولهم اشارات ورموز خاصة بهم لمعرفة بعضهم بعضا.

﴿ الثالثة البابية البهائية ﴾ وهؤلاء على مرّ عليك من أخبارهم يعتقدون بربوبية وألوهية البهاء وأنه هو الذي بعث الانبياء والرسل وان زردشت وموسى وعيسى ومحمد(ص) والباب انما كانوا يبلغون أحكامه ويبينون آياته فهم مظاهر أوامره وبشروا به وبظهوره كما ان ابنه الاكبر عباس يكون كذلك من بعده وان ليس لاحد أن يقوم بعده ويدعي بالامر الا بعد ألف سنة كاملة وبعد ذلك يكون الامر لمن يظهره الله (يعني لمن يظهره هو كما علمت من أقواله) وان من يدعي أمرا قبل ألف سنة يحتم قتله لامحالة ويبلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف نفس في ايران ونحو ألفي نفس في خارجها ولا عبرة بما يدعونه من انهم يبلغون الملايين من النفوس فى البلدان الايرانية ومئات الألوف فى الممالك الروسية والافرنجية والعثمانية ومثلها في الممالك المتحدة الامريكية لأن الاطراء والاغراق والغلو هي ديدنهم ودأبهم في تجسيم وتعظيم الأمور الراجعة اليهم كشأنهم في بقية المسائل المختصة بهم ،

﴿ الرابعة البابية البهائية العباسية ﴾ هؤلاء هم البابية البهائية ولكن يقدسون ويمجدون العباس كتقديسهم لأبيه البهاء بل البعض منهم يجعلون البهاء مبشرا به كما كان الباب مبشرا بأبيه وولد العباس فى اليوم الخامس من جمادى الاولى ١٢٦٥ هجرية بطهران

ورافق أباه بالنفي الى بغداد وادرنه وعكا ولم يكن للبابية البهائية شأن يذكر قبل ترعرعه ولما بلغ أشده واستلم زمام الامور بكياسته المشهورة ، نثر ونظم ، عقد وحل ، غير وبدل ، ألف وصنف ، وهو الذى اشار على ابيه بالاستقلال فى الامر والاستبداد بالرأي حتى فرق بين ابيه وعمه الازل وجعل للبهائية شأنا يذكر ولولاه لماقامت للبابية قائمة وماقام بشخص يسقط بسقوطه ويزول بزواله اذ لابقاء له بذاته ، نعم انه كان يتظاهر امام البابية انه كأقل عبد متواضع خاشع للبهاء ولكنه كان ماسكا دفة الامر بيد من حديد يديرها كيف شاء وأنى شاء وكان يخاطبه أبوه بلفظة (آقا) ومعناها (السيد) ولما مات البهاء آلت اليه الرياسة وانفرد بالمحو والاثبات في الاحكام فذعر من ذلك اخوته والخاصة من اصحاب ابيه مثل الميرزا آقاجان الكاشاني الملقب بخادم الله ومحمد جواد القزويني وجمال البروجردى واصهار البهاء فانضم هؤلاء الى الميرزا محمد على النجل الثاني للبهاء الملقب بغصن الله الاكبر وأرسلوا الدعاة الى البلدان ، ونزغوا الى الطغيان والعصيان ، وألفوا كتبا بالفارسية والعربية وطبعوها بالهند أظهروا بها مروق العباس وأشياعه من دين البهاء وكفروه وسلقوه بألسنة حداد (عندنا نسختان من الكتب المذكورة) ومن جراء ذلك انشقت البابية البهائية الى قسمين قسم سمي (بالناقضين) هم الميرزا محمد على واشياعه وقسم سمي (بالمارقين) هم العباس واشياعه وقام كل منهم الآن يؤيد دعواه ويكفر من عداه فاعتزلوا المعاشرة وحرموا معاملة بعضهم لبعض وعداوة كل منهم للآخر أشد من عداوتهم جميعا للمسلمين وغيرهم فهذا ما آل اليه أمر البهائية بعد موت البهاء ولله الامر من قبل ومن بعد ،

باب الأخبار والآراء

بشائر الاصلاح فى المملكة الفارسية

كتبنا في المنار السابق مقالة بعنوان (هذا أوان العبر) إبنا فيها عن فساد الحكم الاستبدادي وان الذي أودى بالمسلمين وأوهن قواهم وجعلهم دون غيرهم قوة ورقيا واستعدادا دولهم وعدم ملائمة طرز حكومتهم لأصول الترقي الجديدة لما أثبته التاريخ وأيده الحس فى هذا العصر من ان كل الامم التى سبقت المسلمين وآخر السابقين أمة اليابانيين انما سبقوهم بتغيير طرز الحكومة الاستبدادية الى مايوافق أصول ترقي

الامم ويلائم حالة العصر حيث أقاموا مقامها الحكومات النيابية التي هي أصل في سعادة الشعوب وأساس متين لبقاء حياة الدول وذكرنا قصور أمراء المسلمين ودولهم عن مجاراة الدول الاخرى استئثاراً بالسلطة وحرصا على بقاء القديم على قدمه وطلبنا من الامة ان تلتمس وجوه العبر بنفسها وتنهض لمجاراة الامم بغير اعتماد على حكامها. وكأن هذا الشعور الذي يشعر به كل عقلاء الأمة يشعر به أمراء المسلمين أنفسهم أيضا ويعلمون ان حياة أممهم الطيبة ورقيهم السريع متوقفان على تغيير طرز الحكومة وإطلاق أعنة العقول من أسر الاستبداد القاهر، وانما يمنعهم من العمل بما تشعر بالحاجة اليه الضمائر مغالبة النفس الميالة الى الاستئثار بالسلطة ويدلنا على هذا انتاني الوقت الذي كنا نرمي فيه أمراء المسلمين بالتقصير ونبين حاجة الأمة الى تغيير شكل الحكومة القديم واستبدال ما يوافق حالة العصر به، وبسمو بدول المسلمين الى مصاف الدول الاوربية، كان مظفر الدين شاه إيران المعظم يفكر فيما وصل اليه المسلمون في مملكته وفي حاجة دولته الى تغيير صفة الحكومة حتى ترتقي بالامة الى مرتبة الكمال كما ارتقى بها ميكادو اليابان منذ وضع في بلاده أساس الحكومة النيابية، وتنازل حبا بترقي قومه عن سلطته الاستبدادية

جاء في الجرائد الفارسية تفصيل ما كانت ألمت اليه منذ مدة التلغرافات العمومية عن جمع شاه ايران لاعيان الأمة وكبار الوزراء وإلقائه عليهم خطابا طويلا في تقرير وجوه الاصلاح اللازم للمملكة الفارسية ومحصل ماجاء في تلك الجرائد انه جمع نحو أربعمائة شخص من الوزراء والاعيان وقام فيهم خطيبا يبين ما وصلت اليه البلاد وحاجة الدولة الى الاصلاح في كلام طويل جامع. والذي حل منا محل الاعجاب من كلام ذلك الملك الكبير وكان عليه المعول وفيه المؤمل، انه أعلن قبل كل شيء على رؤوس الملأ تنازله عن كل شيء يسمى امتيازاً للملك أو الأسرة المالكة يمتازون به عن الرعية وتخلى عن السلطة الاستبدادية بمحض الرغبة بخير الدولة والامة وأشار عليهم بعد ذلك بالنظر في طرق الاصلاح الواجب سلوكها على الأمة والدولة في عصر هو أحوج ما تكون فيه الامة الى مثل هذه الرغائب العالية التي يندر صدورها عن ملك عظيم بمحض الارادة. وأنت ترى أن في قوله هذا من الصراحة في حاجة الدولة الى حكومة نيابية

ذات قوانين عصرية مايؤيد رأينا في المقالة السابقة وبذلك عليه أن الشاه المعظم أحال في ختم خطبته إيضاح لامر والنظر في أطراف المسئلة ووضعها موضع المناقشة بين أهل هذه الشورى على الوزير الاعظم فخطبهم الوزير خطبة فى موضوع الاصلاح وفيما رآه من ذلك أن وضع امامهم أكثر قوانين الدول المتمدنة وطلب اليهم انتخاب ما يوافق منها حالة الامة والدولة مع مراعاة تطبيقها على أصول الشريعة وحاجة العصر.

رأى مظفر الدين شاه لزوم الحكومة النيابية اذ أراد أن ينهض بالأمة ولزوم الاستعانة بقوانين الدول الراقية على تأسيس مثل هذه الحكومة ، والامة لم تستعد لمثل تلك المفاجأة فاشار الى انه تنازل عن حقوقه فى الحكم المطلق اشارة تغني عن كثير البيان تمهيداً للعمل ثم أشار بانتخاب مايوافق مثل تلك الحكومة من القوانين بثاً لروح الحاجة اليها في نفوس الشعب فاذا ثبت على عزمه ومضى في وجهته وجارى ميكادو اليابان فى حسن ارادته وعلو همته وحبه لخير وطنه ورعيته بتأسيس حكومة نيابية في مملكته فقد والله حقق اماني العقلاء فيه وجعل افئدة من الامة الاسلامية تهوي اليه ونهض بقومه نهوضا لاعثار بعده ان شاء الله وحسبه من ذلك فضيلة ان يكون قدوة الامراء المستبدين ، وعبرة حسنة في الآخرين ، وذكراً خالداً في تاريخ نهضة المسلمين ،

هذا واننا نرجو من صاحب المنار الغيور أن يتتبع في الجرائد الفارسية خطبة الشاه المعظم ومشروع الاصلاح الذي وضعه الصدر الاعظم ويعرب كل ذلك أوجله وينشره في المنار الاغر ليطلع عليه المسلمون في كل الاقطار التي يصل اليها المنار إفادة للمسلمين وإعلانا لهذه الحسنة الكبرى والله ولي المرشدين (رفيق)

(المنار) اننا لما علمنا بخبر طلب الشاه للاصلاح اهتززنا طربا وفاجأنا من السرور مالا يمكن التعبير عنه وعهدنا الى صديق لنا من علماء الفرس هنا بأن يعرب لنا ماتنشره الجرائد الفارسية التي تجيئنا من ذلك لاسيما جريدة (حبل المتين) فأرجأنا التعريب انتظاراً لما ستقرره اللجنة التى عهد اليها الشاه العظيم النظر فى طرق الاصلاح وأرجأنا الكتابة فى المسألة لنكتب عن بينة حتى جاء صديقنا رفيق بك يستعجلنا وله الحق فان هذا النبأ أعظم نبأ إسلامي طرق الآذان فى هذا العصر واذا سار الاصلاح في تلك المملكة الاسلامية على وجهه كان لنا ان نعد مظفر الدين أعظم ملوك المسلمين ، لأنهم وضعوا أصول

الاستبداد فى القرن الاول وتمسكوا بها بعده حتى أزالها هو فى القرن الرابع عشر لايكفي فى الاصلاح تنظيم ادارة البلاد وإقامة العدل فيها بل يجب ان يعتنى أشد الاعتناء بالفنون العسكرية والقوى الحربية وأن تنشر المعارف العصرية في البلاد طولها وعرضها وعندي أنه يجب أن يكون التعليم باللغة العربية ولغة أخرى اوربية فاذا عاشت العربية مع العلم في تلك البلاد كان لهذه الدولة شأن آخر في إفادة الامة الاسلامية كلها لاسيما البلاد العربية المجاورة لها والله الموفق للسداد

استقلال الحكومة باستقلال الامة

ان الامم الجاهلة المحكومة بالاستبداد، المذللة بالظلم والاضطهاد، لايخطر على بال أفرادها معنى يعبر عنه باستقلال الامة. ولا يعقلون أن للرعايا أثرا فى سيادة الحكومة، الابما يؤدون من الأتاوات والضرائب وما يسخرون به من الاعمال لترقية سادتهم المستبدين . فاذا عبثت باستقلال حكومتهم حكومة أخرى أجنبية طفقوا يشعرون بمعنى الاستقلال بالتدريج ويقوى فيهم هذا الشعور بنسيان ظلم حكامهم السابقين لاسيما إذا كان الاجنبي العابث ظالما على أن النفرة من سلطة الاجنبي طبيعة في الامم فان هو عدل تمنوا لو يستبدلون بسلطته سلطة من جنسهم عادلة ليكونوا مستقلين ، ولكنهم بعد هذا كله لايفهمون من معنى الاستقلال الإعادة السلطة للاسرة الحاكمة فيهم بالاستبداد من قبل ويبلغ فساد التصور من بعض الافكار ان تخيل إرشاد الامة الى ضرر الاستبداد والمستبدين من عوائق الاستقلال ، وهذا من أعجب عجائب عالم الخيال،

يامعشر المتخيلين والواهمين إنكم لن تتنسموا للاستقلال ريحا ، ولن تستنشقوا له عرفا ، الابعد الاعتقاد القاطع بأن الاستقلال انما هو استقلال الامة وذلك بأن ينفخ فيها روح من التربية والتعليم يشعر جميع طبقاتها بمعنى الأمة وحقوقها وأول هذه الحقوق أن تختار هي الحاكم الأعلى لها وأن تقيد حكومته بشريعتها وقوانينها التي ترضاها وتلزمه بتنفيذها بمشاورتها وتحت مراقبتها وسيطرتها حتى يكون لها الحق بعزل من يشذ عن ذلك أو إقامته عليه سواء الحاكم الاكبر وغيره

يامعشر المتخيلين والواهمين ان أمة محرومة من هذه الروح لن تعرف للحياة الاستقلالية معنى ، ولن تذوق للسيادة القومية طعما، بل تظل طعمة للطامعين ، وألعوبة

في أيدي المتغلبين ، فيوما يستعبدها من يشاركها حقيقة أو صورة في وصف من أوصافها كاللغة أو الجنس أو الدين ، ويوماً يستذلها من لا يشاركها الا في الصورة البشرية ، فهي تتراوح دائما بين استعباد واستذلال ، لأن طبيعتها قاضية بهذه الحال ، بفقدها تلك الروح التي تبعث بطبيعتها الاستقلال ،

يامعشر المتخيلين والواهمين ان حنين الأمة التي عبث الاجانب بسلطان حكومتها الى حكامها السابقين المستبدين ليس حنينا الى الاستقلال بل الى الاستبداد ، وان المحافظة على بقايا رسوم السلطة السابقة ، لايكون آلة لمقاومة السلطة الطارئة ، وانما الذي يمنع الامة من كل جور ، ويصد عنها كل ظلم ، هو مايهبها حقيقة الاستقلال في ذاتها ثم في حكومتها بأن تكون الحكومة مستقلة باستقلال الامة قوية بقوتها وقد عرفتم معنى ذلك الاستقلال ومهب روحه من النداء الاول فاعملوا له ان كنتم عاملين ، أو موتوا بضعفكم ان كنتم متواكلين ،

اجتماع التلامذة وانتحارهم

للتعليم ثمار مختلفة منها مايكون مطلوبا ومقصودا من المعلمين ومنها لايكون مقصودا لهم وأعني بالمعلمين هنا مديري نظام التعليم ومؤسسي المدارس . ومعلمو المدارس في هذه البلاد الافرنج سواء مدارس الحكومة وغيرها ومن مقاصدهم الباطنة فيه زلزال التقاليد القديمة للامة الذي ينتهي باضعافها أو زوالها وتحويل وجهة المتعلمين الى الى تقليد قوم المعلمين اذ بذلك تكون لهم السيادة الحقيقية عليهم بمحوهم عن مقوّمات أمتهم الذي يقطع الامل باستقلالهم . وقد مضت سنة الاولين بأن الضعيف يقلد القوي في الامور التي تضر غالبا ولا تنفع لهذا ترى المتفرنجين من المتعلمين ومقلدي المتعلمين قد أخذوا عن الاوربيين السكر والقمار والفحش والازياء والزخرف في الاثاث والماعون بدون مراعاه للاقتصاد الذي تسمح به ثروتهم كما يفعل أولئك . وقد زالت من أكثر هؤلاء المتعلمين حرمة الدين و آدابه واحتقروا أمتهم حتى صارت حالة الامة بهم شراً من حالها في أميها قبل انتشار هـذا التعليم فيها بسياسة من يستعمر بلادها ويسخرها لسعادة قومه بأساليب مختلفة

ومن ثمار التعليم الذاتية التأليف بين الافكار التي تتلقى تعليما واحدا والجمع بين

المتعلمين والارتقاء أحيانا الى تقليد المعلمين فى بعض الأمور النافعة . وكنا نري من الغرائب أن الوحدة والاجتماع قد ظهرا في تلامذة كل بلاد حتى اليونان وروسيا ولم يظهر لهما أثر فى تلامذة مصر وقد وجد فى هؤلاء من سقط في الامتحان فلجأ الى بخع نفسه تفضيلا للانتحار على العار ، وترجيحا لمرارة الموت على مرارة الاصطبار ، ولم توجد فيهم عاطفة الاتحاد والاجتماع لمقاومة منكر أولعمل معروف يعود نفعه عليهم خاصة اوعلى قومهم عامة حتى كان ما كان في هذه الايام من اجتماع مئين ممن خابوا في امتحان الشهادة الابتدائية للاحتجاج على نظارة المعارف كما يقولون ويريدون الانكار عليها في جعل الامتحان مرة واحدة فى السنة. اجتمعوا فى حديقة الازبكية وخطب فيهم نفر منهم وأجمعوا على أن يطلبوا من النظارة جعل الامتحان مرتين في كل عام حتى لا يضطر من ينجح فى كل علم الا علما اواثنين أن ينتظر سنة كاملة لاعادة امتحانه واننا نحمد منهم هذا الاجتماع لذاته بصرف النظر عن موضوعه ونتمنى من صميم الفؤاد أن نرى دائما في تلامذتنا النجباء عاطفة الوحدة والوفاق، وداعية التآلف والاجتماع

﴿ نتيجة امتحان المدارس فى هذا العام ﴾

لبعض أصحاب الجرائد اليومية المصرية مدرسة يفاخر بها ويوهم الناس أنها ينبوع الحياة العلمية والسعادة الوطنية فى القطر وقد ظهر بالامتحان أنها وراء المدارس كلها حتى قيل انه لم ينجح منها أحد قط لهذا انبرى صاحب هذه الجريدة للطعن في الامتحان وإيهام الناس أن نظارة المعارف تشدد فيه وان كثرة الذين خابوا فى الامتحان أثر تشديدها الذى تريد به محو العلم من «الوطن المحبوب» والحق أن النجاح في الامتحان كان فى هذه السنة أعظم منه فى السنين السابقة وأن مدارس المعارف لاتزال سابقة لجميع المدارس الاهلية بمراحل كثيرة فعلى الطاعنين في النظارة ان يعلموا أحسن من تعليمها ثم لينتقدوا عليها لعلهم يسمعون . ثم ان بعض المدارس الاهلية تقدم للامتحان عددا فينجح الكثير منه نجاحا يضاهي نجاح مدارس الحكومة فيقول أصحاب المدرسة وبعض الجرائد ان مدرسة خليل آغا مثلا مثل مدارس الحكومة والحق أن في هذا غشا فان المدارس الاهلية تختار أحسن التلامذة لاداء الامتحان ومنهم من يكون قد درس في مدارس الحكومة واما الحكومة فانها تلزم جميع من أتم سني الدراسة بالامتحان

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق ﴾

﴿مصر — السبت ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٢ — ٣٠ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٤﴾

﴿ القسم الديني ﴾

﴿ تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ، كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ *

(إذ تبرأ) متعلق بيرون العذاب فى الآية السابقة والكلام متصل لاحقه بسابقه فى موضوع اتخاذ الأنداد . وقد نطقت الآية السابقة بأن عذاب الله تعالى سيحل بمتخذي الأنداد من دونه وهو عام فى التابع فى الاتخاذ والمتبوع فيه . وبين فى هاتين الآيتين التفصيل حال التابعين والمتبوعين فى ذلك وأورده بصيغة الماضي تمثيلا لحال الفريقين في ذلك اليوم الذى ينكشف فيه الغطاء ويرى الناس فيه العذاب بأعينهم ، ويعرفون

أسبابه من تأثير العقائد الباطلة والأعمال السيئة فى أنفسهم ، كأن الامر قد وقع ، والبلاء قد نزل ، ورأى الرؤساء المضلون الذين اتبعوا أن إغواءهم للناس الذين اتبعوا رأيهم وقلدوهم دينهم قد ضاعف عذابهم ، وحملهم مثل أوزار الذين أضلوهم فوق أوزارهم ، فتبرءوا منهم ، وتنصلوا من ضلالتهم ، (و) قد (رأوا العذاب) فأنى ينفعهم التبرؤ (وتقطعت بهم الاسباب) فلم تبق من صلة بينهم وبين التابعين فيقال إنهم آثروا بتبرؤهم الحق على الرياسة والجاه والمنافع التي يستفيدها الرئيس باستهواء المرءوس وإخضاعه له وحمله على اتباعه فى كل مايذهب إليه . فعلم أن جملة : رأوا العذاب : وما عطف عليها فى محل الحال المبينة عدم فائدة التبرؤ لأنه لم يصدر عن ايثار الحق على الخلق بل صدر عن نفوس ترتعد من رؤية العذاب الذي أشرفت عليه بما جنت واقترفت ، بعد ماتقطعت الروابط والصلات بينها وبين المتبوعين واصطلمت ، فلا منفعة للمتبرئ تركت فيحمد تركها ، ولا هداية للمتبرأ منه ترجى فيحمد أثرها ،

لولا أن حيل بين المقلدين وهداية القرآن لكان لهم فى هذه الآية أشد زلزال لجمودهم على أقوال الناس وآرائهم في الدين ، سواء كانوا من الأحياء أم الميتين ، وسواء كان التقليد فى العقائد والعبادات ، أم فى أحكام الحلال والحرام ، إذ كل هذا مما يؤخذ عن الله ورسوله ليس لأحد فيه رأي ولا قول الا ماكان من الأحكام متعلقا بالقضاء وما يتنازع فيه الناس فلأولي الأمر فيه الاجتهاد بشرطه إقامة للعدل وحفظا للمصالح العامة والخاصة . وإنما العلماء نقلة وأدلاء ، لا أنداد بل ولا أنبياء ، فلا عصمة تحوط أحدهم فيعتمد على فهمه ، وقصارى العدالة أن يوثق بنقله ويستعان

بعلمه ، وما تنازعوا فيـه يرد الى كتاب الله وسـنة رسوله فهناك القول الفصل ، والحكم العدل ، والله يحكم لا معقب لحكمه ، ولا مرد لأمره ، في مثل هؤلاء المتبوعين والتابعـين نزل قوله تعالى في سورة الأعراف « كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا ادّاركوا فيها جميعا قالت أخريهم لأوليهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار . قال لكلٍّ ضعف ولكن لا تعلمون * وقالت أوليهم لأخريهم فما كان لكم علينا من فضـل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون *» فكل يؤاخذ بعمله فاذا حمل الأول الآخر على رأيه ودعاه الى اتباعه فيه أو في رأي غيره الذى يقلده هو فيه فهو من الأئمة المضلين وعليه إثمه ومثل إثم من أضلهم من غير أن ينقص من إثمهم شيء إذ حرم الله عليهم اتخاذ الأنداد من دون الله فاتخذوهم . وأما من يبدي في الدين فهما ، ويقرر بحسب ما ظهر له من الدليل له حكما ، يريد أن يفتح للناس أبواب الفقه ، ويسهل لهم طريق العلم ، ثم هو يأمر الناس بأن يعرضوا قوله على كتاب الله وسنة رسوله ، وينهاهم أن يأخذوا به إلا أن يقتنعوا بدليله ، فهو من أئمة الهدى ، وأعلام التقى ، وليس يضره أن يقلَّد فيـه بغير علمه ، ويُجعل ندا لله من بعد موته ، فانه إذا كان مخطئا وجاء ذلك المقلد له على غير بصيرة يوم القيامة ينسب ضـلاله إليـه فانه يتبرأ منه بحق ويقول ما أمرتك أن تأخذ بقولي على علاته ولا أعرفك ، فالذين يُتخذون أندادا كلهم يتبرأون يوم القيامة ممن اتخذوهم ولكنهم يكونون على قسمين قسم عبدهم الناس كالمسيح وبعض الصالحين من هذه الأمة ومن الامم قبلها أو قلدوهم وأخـذوا بأقوالهم فى الدين من غـير دليل شرعي كبعض الأئمة المهتدين من غير أن يأمرهم هؤلاء بعبادتهم

أو تقليدهم بل مع نهيهم إياهم عن عبادة غير الله تعالى وعن الاعتماد على غير وحيه في الدين - فهذا القسم غير مراد هنا لأن الذين عبدوا أولئك الأخيار أو قلدوهم دينهم لم يتبعوهم في الحقيقة اذ اتباعهم هو اتباع طريقتهم في الدين وما كانوا يشركون بالله أحدا ولا شيئا ولا يقلدون في دينه أحدا وإنما يأخذون دينه عن وحيه فقط . وقسم أضلوا الناس بأحوالهم وأقوالهم فاتبعوهم علي غير بصيرة ولا هدى فهؤلاء هم الذين يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا اذ تنقطع بهم أسباب الاهواء والمنافع الدنيوية التي تربط هنا بعضهم ببعض

قال تعالى (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا) أي تمنى لو أن لنا رجعة الى الدنيا لنتبرأ من اتباع هؤلاء المضلين ونتنصل من رياستهم أو لنتبع سبيل الحق ونأخذ بالتوحيد الخالص ونهتدي بكتاب الله وسنة رسوله ثم نعود الى هنا - الآخرة - فنتبرأ من هؤلاء الضالين كما تبرءوا منا إذ نسعد بعملنا من حيث هم أشقياء بأعمالهم (كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) أي ان الله تعالى يظهر لهم كيف ان أعمالهم قد كان لها اسوأ الأثر في نفوسهم اذ جعلتها مستذلة مستعبدة لغير الله تعالى فأورثها ذلك من الظلمة والصغار ما كان حسرة وشقاء عليها فالاعمال هي التي كونت هذه الحسرات في النفس ولكن لم يظهر ذلك الا في الدار الذي تسعد فيها كل نفس بارتقائها وتشقى بانحطاطها (وماهم بخارجين من النار) الى الدنيا فيشفوا غيظهم من رؤسائهم وأندادهم لأن علة دخولهم فيها هي ذواتهم بما طبعتها عليه أعمال الشرك وحب الأنداد

﴿ الأستاذ الامام ﴾ يقول المفسرون في مثل هذه الآيات ان

هـذا الـكلام خاص بالـكفار نعم انه خاص بالـكفار كما قالوا ولكن من الخطأ أن يفهم من هذا الـكلام مايفصل بين المسلمين والقرآن اذ يصرفون كل وعيـد فيه الى المشركين واليهود والنصارى فينصرفون عن الاعتبار المقصود . لهـذا ترى المسلمين لايتعظون بالقرآن ويحسـبون ان كلمة « لاإله الا الله » يتحرك بها اللسان من غير قيام بحقوقها كافية للنجاة فى الآخرة،على ان كثيرا من الـكافرين يقولها ومنهم من يهز جسده عند ذكر الله كما يهزه جماهيرهم فهل هذا كل ما أراده الله من إنزال القرآن ، وبعثة محمد عليه الصلاة والسلام ، ؟

ليس هـذا الذي يتوهمه الجاهـلون من مراد المفسرين فما بيّن الله تعالى ضروب الشرك وصفات الـكافرين وأحوالهم الا عـبرة لمن يؤمن بكتابه حتى لايقـع فيما وقعوا فيـه فيكون من الهالكين . ولكن رؤساء التقليد حالوا بين المسلمين وبين كتاب ربهم بزعمهم أن المستعدين للاهتداء به قد انقرضوا ولا يمكن أن يخلفهم الزمان لما يشـترط فيهم من الصفات والنعوت التي لاتتيسر لغـيرهم كمعرفة كذا وكذا من الفنون الصـناعية والاحاطة بخلاف العلماء فى الأحكام .والذى يعرفه كل واقف على تاريخ الصدر الأول من المسلمين هو ان أهل القرنين الأول والثاني لم يكونوا يقلدون احدا أي لم يكونوا يأخذون بآراء الناس وأقوال العلماء بل كان العاميّ منهم على بينة من دينـه يعرف من أين جاءت كل مسألة يعـمل بها من مسائله إذ كان علماء الصـدر الأول رضي الله تعالى عنهم يلقنون الناس الدين ببيان كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكان الجاهل بالشيء يسأل عن حكم الله فيه فيجاب بأن الله تعالى قال كذا أو جرت سنة

نديه على كذا فان لم يكن عنده فيه هدي من كتاب أوسنة ذكر ماجرى عليه الصالحون وما يراه أشبه بما جاء فى هذا الهدي أو أحال على غيره . ولما تصدى بعض العلماء فى القرن الثاني والثالث لاستنباط الاحكام واستخراج الفروع من أصولها – ومنهم الأئمة الأربعة – كانوا يذكرون الحكم بدليله على هذا النمط فهم متفقون مع الصحابة والتابعين (عليهم الرضوان) على أنه لايجوز لأحد أن يأخذ بقول أحد في الدين مالم يعرف دليله ويقتنع به . ثم جاء من العلماء المقلدين فى القرون الوسطى من جعل قول المفتي للعامي بمنزلة الدليل مع قولهم بأنه لو بلغه الحديث فعمل به كان كذلك أو أولى ثم خلف خلفٌ أعرق فى التقليد فمنعوا كل الناس أخذ أي حكم من الكتاب أو السنة وعدوا من يحاول فهمهما والعمل بهما زائغا وهذا غاية الخذلان وعداوة الدين وقد تبعهم الناس فى ذلك فكانوا لهم أندادا من دون الله وسيتبرأ بعضهم من بعض كما أخبر الله

قال الاستاذ الامام فى الدرس إنه نقل عن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم النهي عن الأخذ بقولهم من غير معرفة دليلهم والامر بترك أقوالهم لكتاب أو سنة رسوله اذا ظهر مخالفته لهما أو لأحدهما وقد سبق لنا فى المنار ايراد كثير من هذه النصوص عنهم معزوة الى كتبها ورواتها ومن ذلك قول الفقيه الحنفي أبي الليث السمرقندي : حدثنا ابراهيم بن يوسف عن أبي حنيفة أنه قال « لايحل لأحد أن يأخذ بقولنا مالم يعلم من أين قلنا » وروي عن عاصم بن يوسف أنه قيل له : إنك تكثر الخلاف لأبي حنيفة: فقال إن أباحنيفة قد أوتي مالم نؤت فأدرك فهمه مالم ندركه ونحن لم نؤت من الفهم الا ما أوتينا ولا يسعنا أن نفتي بقوله مالم نفهم من أين قال. وروى

عن عصام بن يوسف أنه قال : كنت في مأتم فاجتمع فيه أربعة من أصحاب أبى حنيفة زفر بن الهزيل وأبو يوسف وعافية بن يزيد وآخر فكلهم أجمعوا على أنه « لايحل لأحدأن يأخذ بقولنا مالم يعلم من أين قلناه » . وفى روضة العلماء قيل لأبى حنيفة إذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه قال : اتركوا قولي لقول رسول الله (ص) : فقيل اذا كان قول الصحابة يخالفه قال : اتركوا قولي لقول الصحابة : (راجع ص ٥٢٦ و ٥٢٧ من المجلد الرابع) وبعدهذا كله جاء الكرخي يقول ان الاصل قول أصحابهم فان وافقته نصوص الكتاب والسنة فذاك والاوجب تأويلها وجرى العمل على هذا فهل العامل به مقلد لأبى حنيفة رضي الله عنه أم للكرخي ؟

وروى حافظ المغرب ابن عبدالبر عن عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن قال حدثني أبو عبدالله محمد بن أحمد القاضي المالكي حدثنا موسى بن اسحق قال حدثنا ابراهيم بن المنذر قال أخبرنا ابن عيسى قال سمعت مالك ابن أنس يقول : انما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا فى رأيي فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذوه وكل مالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه: (راجع بقية النصوص عنه فى ص ٥٧٢ وما بعدها من المجلد الرابع) ثم حذا المنتسبون الى هذا الامام الجليل حذو المنتسبين الى أبي حنيفة فهل هم على مذهبه وطريقته القويمة ؟

وأما الامام الشافعي والامام أحمد فالنصوص عنهما فى هذا المعنى أكثر وأتباعهما أكثر عناية بالكتاب والسنة من غيرهم لاسيما الحنابلة وقد أوردنا طائفة من ذلك عن الشافعي وأصحابه فى المحاورة الثانية عشرة بين المصلح والمقلد (تراجع المحاورة الثانية عشرة فى ص ٦٩٢ م ٤) وطائفة أخرى

عن الامام أحمد وأتباعه (تراجع المحاورة الثالثة عشرة من ص ٨٥٢ م ٤) والغرض من هذا الاستشهاد على ماقاله الاستاذ الامام من نهي الأئمة الأربعة عن التقليد

(قال) وهناك قول آخر للمتأخرين مبني على أن الأمة جاهلة لاتعرف من الدين شيئا لا من أصوله ولا من فروعه ولا سبيل الى تكفير هؤلاء المذعنين للإسلام ولا الى إلزامهم بمعرفة العقائد الدينية من دلائلها، والأحكام الشرعية بأدلتها وعللها، فلا مندوحة اذن عن القول بجواز التقليد فى الاصول وهي مايجب اعتقاده فى الله وصفاته وفى الرسالة والرسل وفى الإيمان بالغيب مافصله النص القطعي منه. والتقليد فى الفروع العملية بالأولى. وهذا القول مخالف لإجماع سلف الأمة وما قاله الا الذين يحبون إرضاء الناس باقرارهم على ماهم عليه من الجهل، واهمال ماوهبهم الله من العقل، لينطبق عليهم قوله تعالى «ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها وآذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون» والمراد أن قلوبهم أي عقولهم لاتفقه الدلائل على الحق وأعينهم لاتنظر الآيات نظر استدلال، وأسماعهم لاتفهم النصوص فهم تدبر واعتبار فتحركهم للعمل بها

والقول الوسط بين القولين هو أنه يجب النظر فى إثبات العقائد بقدر الامكان ولا يشترط فيه تأليف الأدلة على قوانين المنطق ولا التزام طريق المتكلمين فى بناء الدليل على فرض انتفاء المطلوب ولا إيراد الشكوك والأجوبة عنها بل أفضل الطرق وأمثلها طريق القرآن الحكيم فى عرض الكائنات على الانظار وتنبيهها الى وجه الدلالة فيها على وحدانية مبدعها

وقدرته وحكمته . وهذا هو حكم الله الصريح فى المسألة فانه أمر بالعلم « فاعلم أنه لا إله الا الله » وقال « وان الظن لا يغني من الحق شيئا » وطالب بالبرهان وجعله آية الصدق « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » وجعل سبيله الذى أمر باتباعه ونهى عن سواه الدعوة الى الدين على بصيرة « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » - وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وأما فرض الأمة جاهلة والتسليم لها بذلك اكتفاء باسم الاسلام. وما يقلد به الجاهلون أمثالهم من الأحكام ، فهو من القول على الله بغير علم وقد قرنه تعالى مع الشرك فى التحريم بقوله « قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون»

وأما الاحكام ، ومسائل الحلال والحرام ، فمنها مالا يسع أحداً التقليد فيه وهي ماعلم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وما أجمع عليه من كيفياتها وفروضها فان أدلتها متواترة وتلقينها مع ماورد فيها من الآيات والهدي النبوي يجعل المسلم على بصيرة فيها وفقه يبعث على العمل ولا أسهل منه. ومنها فروع دقيقة مستنبطة من أحاديث غير متواترة لم يطلع عليها جميع المسلمين وقد مضت سنة السلف الصالح فى مثلها بأن من بلغه حديث منها بطريق يعتقد به ثبوته عمل به ولم يوجبوا على أحد ولو منقطعا لتحصيل العلم أن يبحث عن جميع ماروي من هذه الآحاد ويعمل بها ، كيف والصحابة عليهم الرضوان لم يكتبوا الحديث ولم يتصدوا لجمعه وتلقينه للناس بل منهم من نهى عنه ومن حدث فانما كان يقول

مايعلم بالمناسبة مع المخاطبين . فمثل هذه الفروع يعذر العامي بجهلها بالأولى ويجب عليه التحري في قبول مايبلغه منها فلا يقبل رواية كل أحد ولا يسلم بكل مافى الكتب لكثرة الموضوعات والضعاف فيها . ولا مشقة ولا حرج على المسلمين في التزام هذه الطريقة الا اذا كانوا يريدون ترك دينهم بالمرة اكتفاء ببعض العادات والاعمال التي لا يكاد يسهل عليهم فيها تميز السنة من البدعة تقليدا لآبائهم ومعاشريهم

فتبين مما شرحناه أن لاعذر لأحد فى التقليد المحض وأن حكم الآية يستغرق جميع المقلدين فهم اتخذوا مقلَّديهم أندادا وسيتبرأ التابع من المتبوع اذ يرون العذاب ، وتتقطع بهم الأسباب.

ومن مباحث اللفظ فى الآيتين أن التشبيه فى قوله تعالى « كذلك يريهم الله أعمالهم » هو تشبيه حالة بحالة ذكرت فى الكلام السابق أي كذلك النحو الذي ذكر من إراءتهم العذاب سيريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . والذين تنطعوا فى اعرابها من المفسرين صرفتهم قواعد النحو عن ملاحظة الاسلوب العربي في مثل هذا على ان له نظائر فى كلام العامة في كل زمان هي مما بقي لهم من الاساليب العربية الفصيحة لم تفسدها العجمة إذ لاتنافيها أذواق الأعجمين .

ومنها قوله تعالى « وتقطعت بهم الاسباب » قال الأستاذ الامام جاءت فيه الباء لمعنى خاص لايظهر فيما ذكروه هنا من معانيها وانما يفهمه العربي من الاسلوب فانك اذا قلت هنا كما قال الجلال تقطعت عنهم الأسباب لاترى فى نفسك الأثر الذي تراه عند تلاوة العبارة الأولى التي تمثل لك التابعين والمتبوعين كعقد انفرط بانقطاع سلكه فذهبت كل

حبة فى ناحية . أقول وتوضيحه أن هؤلاء المقلدين قد كانوا مرتبطين فى الدنيا ومتصلا بعضهم ببعض بأنواع من المنافع والمصالح يستمدها كل من التابع والمتبوع من الآخر فشبهت هذه المنافع التى حملت الرؤساء على قود المرءوسين والتابعين على تقليد المتبوعين بالأسباب وهي فى أصل اللغة الحبال كأنه يقول ان كل واحد منهم كان مربوطا مع الآخر بحبال كثيرة فلم يشعروا الا وقد تقطعت هذه الحبال كلها فأصبح كل واحد منبوذا فى ناحية لايصله بالآخر شيء وعلى هذا تكون الباء متعلقة بمحذوف حال من الفاعل . قال الأستاذ الامام ومن هذه الاساليب الخاصة قوله تعالى « وكفى بالله شهيدا » و « سبحان الله » فاذا فسرت ذلك بالتحليل والارجاع الى القواعد العامة فقلت فى الأول كفى الله شهيدا أو كفت شهادته وفى الثانى تسبيحا لله : لم يكن له تأثير الاول وموقعه من النفس . ومثل هذه الاساليب الخاصة توجد في كل لغة

باب السؤال والفتوى

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة . اذ لا يسع الناس عامة . ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

الاسئلة البارسية

ارسل الينا الكتاب الآتي من باريس صديقنا احمد بك زكي الكاتب الثاني لأسرار مجلس النظار بمصر فأثبتناه برمته ليطلع القراء على مايدل عليه من عناية علماء الفرنج بالمباحث الاسلامية الاساسية وأهمها مسألة الاجتهاد والتقليد التي قلما يخلو جزء من المنار من الخوض فيها ، وتنويها بفضل صديقنا الذي يصرف إجازته فى اوربا مشتغلا

بمباحثة العلماء ومثاقفة الفضلاء من حيث يشتغل اكثر المصريين هناك باللهو واللعب والانغماس فى الملاذ ، وهذا نص الكتاب :

باريس فى ٨ يوليو سنة ١٩٠٤

سيدي الاستاذ الفاضل

أحمد اليك الله الذي وفقك لخدمة دينه الكريم ، ورفع مناره بمنارك القويم ، وبعد فقد اجتمعت مع كثير من أفاضل المتشرعين وتباحثنا فى النواميس الالهية والوضعية ، واظهار مزايا كل منهما في الهيئة الاجتماعية ، وانساق الحديث الى ذكر الاجتهاد وإقفال بابه في الشرع الاسلامي . فأجبت القوم بما فى محفوظي وماكان عالقا بذاكرتي على قدر الامكان ثم وعدتهم بتفصيل أوسع وبيان أوفى. ولما كنتم وقفتم نفسكم على أمثال هذه المباحث السامية جئت راجيا من بحر معارفكم أن تكتبوا خلاصة فى مناركم لزاهر على الاسئلة الآتي بيانها . وأرجو ان لاتحيلوني على ماسبق لكم كتابته في هذا الموضوع فى الأعداد القديمة والسنوات الماضية فانما غرضي هو خلاصة وجيزة جامعة لاترجمها لأولئك الافاضل ليعرفوا أن في السويداء رجالا وأن الشرق لايزال عامراً بأرباب العقول الكبار. وهذه خلاصة المسائل

(١) ماهو مدلول الاجتهاد بالتفصيل والتوسع المناسب للمقام

(٢) مامعنى قولهم : أقفل باب الاجتهاد :

(٣) مامعنى هذه العبارة عند العامة وعند أهل التحقيق

(٤) متى أقفل باب الاجتهاد وماذا ترتب على هذا الاقفال من المنافع والمضار

(٥و٦) ماهو القانون بوجه التدقيق ومن الوجهة العلمية ــ ونعني بالقانون ذلك النظام الذي يضعه الحاكم فى مقابلة الشرع ــ وما هي خواصه ومميزاته

(٧) ماهو الفرق بين الشرع والقانون

(٨) الى أي حد تمتد سلطة الحاكم فى وضع القوانين

(٩) ماهي الكتب والمباحث (لعله اراد الرسائل فسبق القلم) التي خاض أصحابها فى غمار هذا الموضوع (أي الاسئلة الثمانية المتقدمة)

(١٠) ماهي المدارس الاسلامية التي يجوز مقارنتها بالأزهر ونعني بها تلك التي في غير ارض مصر (وذكر اشهر البلاد والاقطار)

هذه هي خلاصة الاسئلة التي أرجو المبادرة الى الاجابة عنها مع التحقيق المعهود من علمكم الواسع والاشارة الى مآخذ الأجوبة. وغاية الأمل الاهتمام بها والاسراع في كتابة الرد وماذلك على فضلكم بعزيز، والله يحفظكم لخدمة ملته ودينه والسلام من المخلص (أحمد زكي)

نشكر لصديقنا حسن ظنه بنا ونذكر أسئلته ونجيب عنها واحداً بعد واحد على النسق المتبع عندنا في العدد المسلسل من أول سنتنا هذه فنقول وبالله التوفيق

(س ٤١) ماهو مدلول الاجتهاد الخ

(ج) قال في كشاف اصطلاحات الفنون: «الاجتهاد في اللغة استفراغ الوسع في تحصيل امر من الامور مستلزم للكلفة والمشقة ... وفي اصطلاح الاصوليين استفراغ الفقيه الوسع في تحصيل ظن بحكم شرعي. والمستفرغ وسعه في ذلك التحصيل يسمى مجتهداً بكسر الهاء»: ثم ذكر بعد بحث في التعريف والقول بتجزي الاجتهاد — أي جواز كونه في بعض الاحكام دون بعض — شرط المجتهد. فقال: «للمجتهد شرطان (الأول) معرفة الباري تعالى وصفاته وتصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمعجزاته وسائر مايتوقف عليه علم الايمان كل ذلك بأدلة إجمالية وان لم يقدر على التحقيق والتحصيل على ماهو دأب المتبحرين في علم الكلام. (والثاني) أن يكون عالما بمدارك الاحكام وأقسامها وطرق إثباتها ووجوه دلالتها وتفاصيل شرائطها ومراتبها وجهات ترجيحها عند تعارضها والتفصي عن الاعتراضات الواردة عليها فيحتاج الى معرفة حال الرواة وطرق الجرح والتعديل وأقسام النصوص المتعلقة بالاحكام وأنواع العلوم الادبية من اللغة والصرف والنحو وغير ذلك — هذا في حق المجتهد المطلق الذي يجتهد في الشرع»: اه

وتجد مثل هذا التعريف في عامة كتب الاصول وقد توسع بعضهم في شروط المجتهد وأكثر منها والبعض بالبعض اكتفى حتى جعل الشاطبي في الموافقات العمدة فيها فهم العربية متنا وأسلوبا ومعرفة مقاصد الشريعة وأجاز تقليد المجتهد لغيره في الفنون التي هي مبدأ الاجتهاد كأن يقلد المحدثين في كون هذا الحديث صحيحا وهذا ضعيفا

من غير ان يعرف هو حال الرواة وطرق الجرح والتعديل . وماقاله الشاطبي أقرب الى الصواب فان بعض ماشترطوه في المجتهد لاينطبق على بعض المتفق على إمامتهم فقداشترط بعضهم أن يعرف المجتهد كذا ألفا من الاحاديث ولم يعرف عن أبي حنيفة حفظ ذلك القدر ولامايقاربه اذ لم تكن الرواية قد كثرت في عهده لاسيما في العراق وهو لم يسافر لاجلها .

وقال صاحب الهداية في فقه الحنفية : « وفي حديث الاجتهاد كلام عرف في أصول الفقه وحاصله ان يكون (المجتهد) صاحب حديث له معرفه بالفقه ليعرف معاني الآثار اوصاحب فقه له معرفة بالحديث لئلا يشتغل بالقياس في المنصوص عليه . وقيل ان يكون مع ذلك صاحب قريحة يعرف بها عادات الناس لان من الاحكام مايبنى عليها » اه وقال صاحب فتح القدير في القيد الاخير « فهذا القيل لابدمنه في المجتهد فمن أتقن معنى هذه الجملة فهو أهل للاجتهاد فيجب عليه ان يعمل باجتهاده وهو ان يبذل جهده في طلب الظن بحكم شرعي عن هذه الادلة ولا يقلد أحداً » اه واعتماده معرفة أحوال الناس وعاداتهم لامندوحة عنه وانت تعلم أن المجتهدين الأولين لم يكن عندهم علم يسمى الفقه ينظرون فيه قبل الاجتهاد لتحقق الشرط . على أن النظر في الفقه بعد تدوينه يعين على الاجتهاد بلا شك ، وانما قالوا الظن بالحكم لان الاحكام القطعية المعلومة من الدين بالضرورة لااجتهاد فيها لان طلب معرفتها تحصيل حاصل كتحريم الظلم والخمر وفرضية الصلاة والعدل . وجملة القول ان الاجتهاد عندهم هو النظر في الأدلة الشرعية التي هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس لمعرفة أحكام الفروع التي لم تثبت بالادلة القطعية المتواترة . والعمدة في شروطه فهم الكتاب والسنة ومعرفة مقاصد الشرع والوقوف على أحوال الناس وعاداتهم لان أحكام الشريعة لاسيما المعاملات منها دائرة على مصالح الناس في معاشهم ومعادهم أي على قاعدة درء المفاسد وجلب المنافع

(س ٤٢) مامعنى قولهم : أقفل باب الاجتهاد :

(ج) معناه أنه لم يبق في الناس من تتوفر فيه شروط المجتهد ولايرجى أن يكون ذلك في المستقبل . وانما قال هذا القول بعض المقلدين لضعف ثقتهم بأنفسهم وسوء ظنهم بالناس وزعمهم أن العقول دائما في تدل وانحطاط وغلوهم في تعظيم السابقين ،

وقد رأيت أن تلك الشروط ليست بالامر الذي يعز مناله ، وتعلم أن سنة الله تعالى في الخلق الترقي الاان يعرض مانع كما يعرض لنمو الطفل مرض يوقفه أو يرجعه القهقرى، ولذلك كان آخر الاديان أكملها،

(س٤٣) مامعنى هذه العبارة عند العامة وعند أهل التحقيق

(ج) العامة يقلدون آباءهم ورؤساءهم في قولهم ان أهل السنة ينتمون الى أربعة مذاهب من شذ عنها فقد شذ عن الاسلام ولا يفهمون أكثر من هذا. وأما المشتغلون بالعلم أو السياسة فالضعفاء المقلدون منهم يفهمون من الكلمة ما فسرناها به في جواب السؤال السابق ويحتجون على ذلك بأن الناس قد اجتمعت كلمتهم على هذه المذاهب فلو أجيز للعلماء الاجتهاد لجاءونا بمذاهب كثيرة تزيد الامة تفريقا وتذهب بها في طرق الفوضى. والمحققون يعلمون أن منشأ هذا الحجر هو السياسة فالسلاطين والامراء المستبدون لايخافون الا من العلم ولا علم الا بالاجتهاد فقد نقل الحافظ ابن عبد البر وغيره الاجماع على أن المقلد ليس بعالم ونقله عنه ابن القيم في (أعلام الموقعين) وهو ظاهر اذ العالم بالشيء هو من يعرفه بدليله وانما يعرف المقلد أن فلانا قال كذا فهو ناقل لا عالم وربما كانت آلة الفونغراف خيرا منه

(س٤٤) متى أقفل باب الاجتهاد وماذا ترتب على هذا الاقفال من المنافع والمضار

(ج) زعموا أنه أقفل بعد القرن الخامس ولكن كثيرا من العلماء اجتهدوا بعد ذلك فلم يكونوا يعملون الا بما يقوم عندهم من الادلة ولا يخلو زمن من هؤلاء كما صرح بذلك علماء الشافعية (انظر الخطيب وغيره) ولولا خوفهم من حكومات الجهل لبينوا للناس مفاسد التقليد الذي حرمه الله، ودعوهم الى العمل بالدليل كما أمر الله، وقد علمت الحكومة العثمانية منذ عهد قريب بأن بعض علماء الشام يحملون تلامذتهم على ترك التقليد والعمل بالدليل فشددت عليهم النكير حتى سكتوا عن الجهر بذلك. ولا نعرف في ترك الاجتهاد منفعة ما. واما مضاره فكثيرة وكلها ترجع الى اهمال العقل، وقطع طريق العلم، والحرمان من استقلال الفكر، وقد أهمل المسلمون كل علم بترك الاجتهاد فصاروا الى ما نرى

(س٤٥و٤٦) ماهو القانون بوجه التدقيق ومن الوجهة العامية الخ

قد فسر السائل الفاضل القانون وليس في كتب أصول الدين ولا فروعه شيء سمي بالقانون ولكن الأحكام القضائية والسياسية منها ماتناوله علم الفقه ومنها مافوض النظر فيه الى القضاة والائمة (الأمراء) كالعقوبات التي وراء الحدود التي يطلقون عليها لفظ التعـزير وكطرق النظام للعمال والحكام وقواد الحروب . ولأولي الامر أن يضعوا لأمثال هذه الاشياء قوانين موافقة لمصالح الامة وتعلم مميزات القانون من بيان الفرق بينه وبين الشرع في جواب السؤال الآتي

(س ٤٧) ماهو الفرق بين الشرع والقانون

(ج) الشرع والشريعة في اللغة مورد الشاربة وفي اصطلاح الفقهاء ماشرع الله تعالى لعباده من الاحكام الاعتقادية والعملية على يد نبي من الانبياء عليهم السلام . ويعرّف أيضا بما عرف به الدين وهو قولهم: وضع الهي يسوق ذوي العقول باختيارهم المحمود الى الخير بالذات وهو مايصلحهم في معاشهم ومعادهم . وقد يخص الشرع بالاحكام العملية الفرعية . وقد يطلق على القضاء أي حكم القاضي . ذكر ذلك كله في كشاف اصطلاحات الفنون وغيره . فالقانون يختص عنـدهم بما وراء ذلك فهو يتناول جميع مايضعه أولو الامر من الاحكام النظامية والسياسية وتحديد عقوبات التعزير وغير ذلك مما يحتاج اليه بشرط أن لايخالف ماورد في الشرع . والفرق بينه وبين الشرع ان أحكام الشرع لابد أن تستند الى أحد الادلة الاربعة ـ الكتاب والسنة والاجماع والقياس ـ وأحكام القانون تكون بمحض الرأي، وأن أحكام الشرع يجب العمل بها دائما مالم يعرض مانع يلجيء الى ارتكاب أخف الضررين وأحكام القانون يجوز تركها واستبدال غيرها بها لمجرد الاستحسان . مثال ذلك أنه لايجوز للحكومة أن تزيد في نصيب أحد الوارثين لمصلحة من المصالح أو سبب من الاسباب ولكن يجوز أن تزيد في راتب العامل اذا ظهر لها مصلحة في ذلك لأن الأول حكم الهي لايتغـير والثاني حكم قانوني مفوّض لأولي الامر .

(س ٤٨) الى أي حد تمتد سلطة الحاكم في وضع القوانين

(ج) أن حدود هذه السلطة منها سلبية وهي عدم تعدي حـدود الله تعالى فليس للحاكم أن يحلّ حراما أو يحرم حلالا أو يزيد في الدين عبادة أو ينقص منه عبادة

أو يظلم شخصاً أو قوما أو يميز نفسه أو أسرته أو قومه على سائر الرعية لذاتهم فضلا عن تمييز غيرهم . ومنها إلجابية كالتزام العدل والمساواة في الحقوق ومشاورة أهل الرأي من الامة ومراعاة قاعدة وجوب درء المفاسد وجلب المصالح

(س ٤٩) ماهي الكتب التي خاض أصحابها في غمار هذا الموضوع الخ

(ج) أما مباحث الاجتهاد والتقليد فانك تجدها فى جميع كتب أصول الفقه وتجد شيئاً منها فى كتب الفروع عند الكلام فى المفتي والقاضي وشروطهما وفي كتب الكلام فى مبحث الامامة وأبسط كتاب في ذلك (أعلام الموقعين عن رب العالمين) لابن القيم رحمه الله تعالى فهو كتاب لانظير له في بابه وقد طبع فى الهند وصفحات جزئيه تزيد على ٦٠٠ من القطع الكامل وكتاب إيقاظ همم أولي الأبصار . وهناك رسائل نفيسة لابن تيمية والسيوطي ولولي الله الدهلوي ولغيرهما . وأما الكلام فى القوانين فقد تقدم أن علماءنا لم يخوضوا فيه ويمكن أخذ ماذكرناه في ذلك من مباحثهم فى حقوق الامام وأحكام القضاء وذلك متفرق في كتب الفقه كلها وفيه كتاب الاحكام السلطانية للماوردي صاحب كتاب أدب الدنيا والدين . واذا شاء السائل زيادة الايضاح ببيان أسماء طائفة من الكتب في ذلك فليراجعنا في ذلك

(س ٥٠) ماهي المدارس الاسلامية التي تجوز مقارنتها بالازهر الخ

(ج) ان هذه المدارس لاحد لها ولا يمكن عدها اذا أريد بمقارنتها بالازهر كونها تعنى بالعلوم الشرعية التي يعنى الازهريون بها وبمبادئها من فنون اللغة العربية فان فى أكثر الامصار الاسلامية مدارس تعلم هذه العلوم وأشبهها بالأزهر مدرسة جامع الزيتونة فى تونس ومدرسة جامع القرويين فى فاس ولكن الازهر يفضل هذين الجامعين بوفود الطلاب اليه من جميع الاقطار التي يقيم فيها المسلمون . ويشبه هذه المدارس الثلاث مدرسة النجف في العراق لطائفة الشيعة وهناك يتخرج مجتهدوهم بل هذه أشبه بالازهر من مدرستي تونس وفاس اذ يقصدها الشيعة من ايران والهند وسائر البلاد التى تتبوأها هذه الطائفة. وعلماء الاسلام فى سائر البلاد يقرأون العلوم الدينية ووسائلها فى المساجد الجوامع وغير الجوامع ويقصد هذه المساجد فى المدن الكبيرة بعض أهل القرى القريبة منها. والقسطنطينية مقصد لجميع البلاد التركية — هذا مجمل علمنا فى ذلك

هـذا وإنا قـد أجبنا عن مسائل الاجتهاد والشرع والقانون بمـا فى الكتب المصنفة أوما تشهدله تلك الكتب لأن الأسئلة تشعر بأن هذا هو الذى يريده السائل وفي المقام كلام آخر شرحه المنار مرات كثيرة مع أدلته وحججه من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح وخلاصته أن ماجاء به الاسلام ينقسم الى أقسام

(أحدها) ـ العقائد وأصول الايمـان وهي على قسمين قسم يطالب القرآن بالبراهين العقلية عليه ويشترط فيه العلم اليقين وهو الايمـان بوحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته في نظام الخلق وتدبيره وبعثة الرسل ، وقسم يأمر فيه بالتسليم بشرط أن لايكون محالا فى نظر العقل كالايمان بعالم الغيب من الملائكة والبعث والدار الآخرة

(ثانيها) ـ عبادة الله تعالى بالذكر والفكر والاعمال التي تربي الروح والارادة كالصلاة التي تذكر الانسان بمراقبة الله تعالى وترفع همته بمناجاته والاعتماد عليه حتى يكون شجاعا كريماً وكالزكاة التي تعطفـه على أبناء جنسه وتعلمه الحياة الاشـتراكية المعتدلة الاختيارية ، وكالصيام الذى يربي إرادته ويعوده على امتلاك نفسه بالتمرن على ترك مادة الحياة باختياره زمناً معيناً مع الحاجـة إليها وتيسر تناولها بدون أن يلحقه لوم أو أذى ويشعر الغني بالمساواة بينه وبين الفقراء ، وكالحج الذى يبعث فى نفوس الأمة حب التعارف والتآلف بين الشعوب المختلفة ويقوي فيها رابطة الاجتماع ويحيي فى أرواح الشعوب الشعور بنشأة الدين الأولى بقصد مشاهدها. والطواف في معاهدها، والتآخي في مواقفها ، ويعلمهم المساواة بين الناس بتلك الاعمال المشتركة كالاحرام وغيره

(ثالثها) ـ الآداب ومكارم الاخلاق وتزكيـة النفس بترك المحرمات وهي الشرور الضارة وتحري عمل الخير بقدر الطاقة

(رابعها) ـ المعاملات الدنيوية بين أفـراد الأمة أو بين الأمة وغيرها من الأمم ويدخل فيها الأمور السياسية والمدنية والقضائية والادارية بأنواعها

فأما القسم الاول فقد علمنا أن منه مايؤخذ بالبرهان ومنه مايؤخذ بالتسليم لما ورد فى كتاب الله تعالى والسنة المتواترة القطعية وهو برهانه ولا يؤخذ فيه بأحاديث الآحاد وان كانت صحيحة السـند لأنها لاتفيد الا الظن والاعتقاد يطلب فيه اليقين بلا خلاف فهذا القسم لا اجتهاد فيه بالمعنى الذي فسروا به الاجتهاد ولا تقليد

وأما القسم الثاني فالواجب فيه على كل مسلم أن يأخذ ماورد في الكتاب العزيز وماجرت به السنة في بيانه على طريقة القرآن من قرن كل عبادة ببيان فائدتها . وهذا القسم ليس للمجتهدين أن يزيدوا فيه ولا أن ينقصوا منه لان الله تعالى قد أتمه وأكمله وهو لايختلف باختلاف الزمان والعرف فيفوض اليهم التصرف فيه . ولايسع أحداً التقليد فيه أي الاخذ بآراء الناس بل يجب على العلماء أن يبلغوه للمتعلمين تبليغاً .

وأما القسم الثالث فما ورد فيه من نص على حلال أو حرام فليس لمجتهد أن يغيره . وقد أطلق القرآن الامر بعمل الخير والمعروف والنهي عن الشر والمنكر وترك فهم ذلك لفطرة الناس فيجب أن يلقن كل مسلم قوله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وأن يترك الى اجتهاده تحديد الخير والشر مع بيان ماجاء فيه من التفصيل في الدين وهو قسمان — معلوم من الدين بالضرورة كخيرية الصدق والعفة والامانة وشربية الزنا والسكر والقمار ، وغير معلوم الا للمشتغلين بالعلم كوجوب مساواة المرأة للرجل والكافر للمسلم والعبد للحر في الحقوق أمام العدل وكتحريم عضل الولي — وان كان والدا — موليته أي امتناعه عن تزويجها ممن يخطبها بغير عذر . فالاول لا اجتهاد فيه ولا تقليد ، والثاني يجب أن يعرف تحريمه بدليله العام ككون كل نافع خيرا وكل إيذاء شرا وحراما وبدليله الخاص إن وجد ، وليس لاحد أن يقول في الاسلام هذا حلال وهذا حرام فيقلد ويؤخذ بقوله بدون دليل .

وهذه الأمور كلها دينية محضة يتقرب بها الى الله تعالى من حيث هي نافعة ومربية للناس فيجب أن يكون الناس فيها على بصيرة ،

بقي القسم الرابع — وهو الذى لايمكن أن تحدد جزئياته شريعة عامة دائمة لكثرتها ولاختلافها باختلاف الزمان والمكان والعرف والاحوال من القوة والضعف وغيرها ، ولا يمكن لكل أحد من المكلفين أن يعرف هذه الاحكام كما أنه لايحتاج اليها كل واحد . فهي التي يجب فيها الاجتهاد والاستنباط من أولي الامر ويجب فيها تقليدهم واتباعهم على سائر الناس ، ولذلك لم يحدد الدين الاسلامي كيفية الحكومة الاسلامية ولم يبين للناس جزئيات أحكامها وإنما وضع الأسس التي تبنى عليها من وجوب الشورى وحجية الاجماع الذى هو بمعنى مجلس النواب عند الاوربيين وتحري العدل والمساواة

ومنع الضرر والضرار ، وقد حدثت أقضية للناس في زمن التنزيل منها ما نزل فيه قرآن ومنها ما حكم فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما أراه الله تعالى فكانت تلك القواعد العامة وهذه الاحكام نبراساً لاولي الامر الذين فوض الشارع اليهم وضع الاحكام باجتهادهم فهم في ضوءها يسيرون فلك أن تسمي كل ما يضعونه شرعا اذا وافق ذلك لانهم مأذونون به من الشارع وقد بنوه على القواعد التى وضعها ولك أن تسميه قانونا لانه قواعد كلية وأحكام وضعية يمكن الرجوع عنها اذا اقتضت المصلحة ذلك فقد غير بعض الخلفاء الراشدين ما وضعه البعض بل أمر عمر رضي الله تعالى عنه في عام الرمادة أن لا يحد سارق لاضطرار الناس بسبب المجاعة وكانوا لا يقيمون الحدود على المحاربين في زمن الحرب ومنه ترك سعد إقامة حد السكر على أبي محجن عندما أبلى في الفرس وأنقذ المسلمين بعدما كادوا يغلبون . كل ذلك لاجل المصلحة وان استزدتنا من الدلائل زدناك

الطلاق ـ اشتراط القصد فيه ديانة

(س ٥١) عبد القادر بك الغرياني في (الاسكندرية): ذكرتم في باب الفتوى من الجزء الثامن أن الطلاق لا يقع بمجرد اللفظ بل يشترط فيه النية والقصد فهل اشتراط النية معتبر ديانة فقط أو ديانة وقضاء ومن اشترط النية من الائمة

(ج) ذكرنا هناك أن الامامين الجليلين مالكا وأحمد اشترطا النية فى لفظ الطلاق الصريح وقلنا ان اشتراطه في الكناية أولى لانه اذا اشترطت النية في وقوع الطلاق بقوله : أنت طالق : فاشتراطها فى نحو قوله : اذهبي الى بيت أبيك : أولى لان اللفظ الاول متبادر فى حل عقدة الزواج والثاني متبادر فى معنى الزيارة أو الهجر إن قيل بغضب وعلى القاضي أن يعتد باخباره عن نيته فى الثاني دون الاول عملا بالظاهر في الصيغتين كما هو شأن القاضي واذا لم يرفع الامر الى القاضي فيجب العمل بالحقيقة وهي أنه لا يقع طلاق الا بلفظ يقصد به حل عقدة الزوجية والله أعلم

(س ٥٢) ز . ف . بمصر : هل تطلق زوجة من يسب الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما

(ج) سب الشيخين عليهما الرضوان معصية والمعاصي لا تحل عقد الزوجية والا لما صح لفاسق زوجية ولا نسب وقد علم من جواب السؤال الماضي ما يقع به الطلاق وليس وراء ذلك الا الردة والعياذ بالله تعالى

﴿ باب الفقه فى أحكام الدين ﴾

(الأولياء والكفاءة في الأزواج)

عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال جاءت فتاة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته : قال فجعل الامر اليها فقالت قد أجزت ماصنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الامر شيء : رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وسنده صحيح وهو يدل على اعتبار الكفاءة في صفات الرجل مع الاتفاق فى النسب ويدل على أن المرأة تزوج برضاها وفي هذا أحاديث كثيرة كما ان هناك أحاديث فى اشتراط الولي وكونه هو الذي يزوج بإذنها

عن أبي حاتم المزني قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » قالوا يارسول الله وان كان فيه قال : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » ثلاث مرات . رواه الترمذي وقال حسن غريب ولم يرو أبو حاتم غيره وأرسل الحديث أبوداود وأعله ابن القطان بالارسال وضعف راويه ، وقد أخرجه الترمذي أيضاً من حديث أبي هريرة بلفظ « اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الارض وفساد عريض » ورواه الليث ابن سعد عن أبي عجلان مرفوعا وقد خولف عبدالحميد بن سليمان فى رواية الترمذي وقال البخاري حديث الليث أشبه ولم يعد حديث عبدالحميد محفوظاً . ومعنى الحديث أنه يجب تزويج البنت اذا جاءها الخاطب الذى يرجى أن يحسن عيشها معه لأن دينه وخلقه مرضي لايشكى منه ، واستدلوا به على اعتبار الكفاءة في الدين والخلق وخصها بذلك بعض الصحابة والتابعين وبه قال مالك ولم يعتبر هؤلاء الكفاءة في النسب بل قالوا المسلمون بعضهم لبعض أكفاء

عن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال له : « ثلاث لاتؤخر الصلاة اذا أتت والجنازة اذا حضرت والأيم اذا وجدت لها كفؤا » : رواه الترمذي وهو حجة على تحريم عضل الايامي — غير المتزوجات — بلا عذر

عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « العرب أكفاء بعضهم

لبعض قبيلة لقبيلة وحي لحي ورجل لرجل الا حائك أوحجام » رواه الحاكم وله ألفاظ أخرى لايصح منها شيء وان قال بعضهم إن الحاكم صححه وماذا عسى يغني تصحيح الحاكم وقد سأل ابن أبي حاتم أباه عنه فقال هذا كذب لا أصل له وقال في موضع آخر باطل .وقال ابن عبدالبر هذا منكر موضوع . قال الحافظ بن حجر في فتح الباري : ولم يثبت في اعتبار الكفاءة في النسب حديث وأما ماأخرجه البزار من حديث معاذ رفعه « العرب بعضهم أكفاء بعض والموالي بعضهم أكفاء بعض » فاسناده ضعيف : نعم وورد في الصحيح مايدل على فضل العرب وفضل قريش على العرب وفضل بني هاشم على قريش ولكن لم يرد ذلك في أمر الكفاءة .

عن عائشة وعمر: «لأمنعن ذوات الاحساب الا من الاكفاء » رواه الدارقطني. والحسب المال ولذلك اعتبر بعض العلماء الكفاءة باليسار والغنى واستدلوا عليه بما رواه أحمد والنسائي وصححه وابن حبان والحاكم من حديث بريدة عن النبي (ص) أنه قال « ان أحساب أهل الدنيا الذي يذهبون اليه المال » وما رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححاه من حديث سمرة عن النبي (ص): أنه قال : « الحسب المال والكرم التقوى » والفقهاء يفسرون الحسب بالمجد الموروث

عن عروة عن عائشة أن بريرة أعتقت وكان زوجها عبداً فخيرها رسول الله (ص) ولو كان حراًلم يخيرها رواه مسلم وأبوداود والترمذي . وهناك روايات أخرى وفيها انها اختارت الفسخ وهو حجة على اعتبار الكفاءة بالحرية بل قال الشافعي أصل الكفاءة في النكاح حديث بريرة.

فعلم مما تقدم أن السنة مضت باعتبار الكفاءة بالدين والحرية والاخلاق واليسار وبهذا أخذ الكثير من العلماء في صدر الاسلام وزادأكثر العلماء النسب والصناعة واستدلوا عليهما بما لايصح من الاحاديث وبما يصح من القياس فانهم قالوا إن العلة في اعتبار الكفاءة رفع الضرر والعار وقد كانوا يفاخرون بالانساب ويرون من العار أن تزوج القرشية باهليا ، ولايزالون يتعيرون بدناءة الحرفة والصناعة، والعمدة في ذلك العرف ونذكر على هذا شاهدا من كتب الحنفية اذ القضاء على مذهبهم في هذا البلاد جاء في الهداية أن الكفاءة تعتبر بالصنائع وعزى ذلك الى الصاحبين ثم قال مانصه:

« وعن أبي حنيفة فى ذلك روايتان وعن أبي يوسف أنه لا تعتبر الا أن تفحش كالحجام والحائك والدباغ . ووجه الاعتبار أن الناس يتفاخرون بشرف الحرف ويتعيرون بدناءتها . ووجه القول الآخر أن الحرفة ليست بلازمة ويمكن التحول عن الخسيسة الى النفيسة منها » : اه وقال الكمال فى الفتح : « (قوله وعن أبي حنيفة في ذلك روايتان) أظهرهما لا تعتبر فى الصنائع حتى يكون البيطار كفؤا للعطار وهو رواية عن محمد . وعنه في أخرى الموالي بعضهم أكفاء لبعض الا الحائك والحجام وكذا الدباغ وهو الرواية التي ذكرها فى الكتاب عن أبي يوسف . وأظهر الروايتين عن محمد فصار عن كل واحد منهما روايتان ـ الظاهر عن ابي حنيفه عدم الاعتبار ، والظاهر عن محمد كذلك الا أن تفحش وهو الرواية عن أبي يوسف وفيما قدمناه من حديث بقية حيث قال فيه « الا حائكا أو حجاما » مايفيد اعتبارها في الصنائع لكن على الوجه الذي ذكره فى شرح الطحاوي وهو : أن الصناعات المتقاربة أكفاء كالبزاز والعطار بخلاف المتباعدة : وعد الخياط مع الدباغ والحجام والكناس قال : فهؤلاء بعضهم أكفاء لبعض ولا يكافئون سائر الحرف : ولم يذكر خلافا فكان ظاهرا في أن الظاهر من قول أبي حنيفة اعتبار الكفاءة واليه ذهب بعض الشارحين قال وكذا قال الشيخ ابو نصر بعد أن أثبت اعتبارها وعن أبي حنيفة : لا تعتبر : ونحوه فى النافع وانما قلنا : لكن على الوجه الذي ذكره في شرح الطحاوي : لان حقيقة الكفاءة في الصنائع لا تحقق الا بكونهما من صناعة واحدة وفي المحيط وغيره وههنا خساسة هي أخس من الكل وهو الذي يخدم الظلمة يدعى شاكرباه تابعا وان كان ذا مروءة ومال ، قيل هذا اختلاف عصر وزمان ، في زمن أبي حنيفة لا تعد الدناءة في الحرفة منقصة فلم تعتبر وفي زمنهما تعد فتعتبر والحق اعتبار ذلك سواء كان هو المبنى اولا فان الموجب هو استنقاص أهل العرف فيدور معه وعلى هذا ينبغي أن يكون الحائك كفؤا للعطار بالاسكندرية لما هناك من حسن اعتبارها وعدم عدها نقصا البتة اللهم الا أن يقترن بها خساسة غيرها » اه

(المنار) علم مما أوردناه أن الكفاءة ليست من أمور العبادات وانما هي من مسائل المعاملات التي يحكم فيها العرف ويستدل عليها بالقياس لانها تابعة لمصالح الناس ورفع الضرر عنهم ومدارها على التعيير فكل رجل كفؤ لمن اذا تزوج منهم لا يلحقهم

عار بتزويجه بين قومهم ولذلك قالوا ان العالم كفؤ لبنت الشريف والحسيب وان كان نسبه وضيعا أو مجهولا لأن العلم أشرف الاشياء فلا عار معه مطلقا ٠ وأن هذه الكفاءة تختلف باختلاف الزمان والمكان فرب رجل يعد كفؤا لقوم فى بلد ولا يعد كفؤا لأمثالهم فى بلد آخر لاختلاف العرف . أما حكم هذه الكفاءة فهو وجوب تزويج الخاطب مع تحققها واعتبار الولي عاضلا للمخطوبة اذا امتنع من التزويج ولها حينئذ ان تزوج نفسها من الكفؤ بدون رضاه عند الحنفية ان كانت رشيدة وليس له الاعتراض ولا طلب الفسخ ، وعند غيرهم ترفع الامر الى القاضي فيأذن الولي البعيد بالتزويج اذا كان القريب هو العاضل أو يزوجها هو — فى تفصيل معروف فى الفقه — واذا لم يكن الخاطب كفؤا وزوجها الولي بدون اذنها اوزوجت نفسها هي بدون اذنه جاز لها على الوجه الاول وله على الثاني رفع الامر للقاضي وطلب الفسخ دفعا لايذاء التعيير الا ان يسكت الولي حتى تلد فانه يبطل حينئذ حق الفسخ مراعاة لمصلحة الولد

ومسألة الكفاءة الآن من النوازل في مصر فقد زوجت صفية بنت السيد أحمد عبد الخالق السادات نفسها من الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد ووكلت فى العقد أجنبيا مع وجود أبيها في البلد فطلب أبوها من القاضي فسخ العقد بدعوى عدم الكفاءة وخاضت الجرائد فى ذلك بأهوائها وامتدت أعناق قراء المنار اليه يسألونه بيان حكم الشريعة في ذلك لعلمهم بأن الذين زعموا الدفاع عنها من الكتاب جاهلون بها فهاهو الحكم وعليهم تطبيقه على الواقعة فانهم أهل العرف

﴿ الفتوى لشركة جريشام ﴾

ذكرنا في الجزء الرابع والعشرين من السنة الماضية أن بعض طلاب العلم فى تونس أشكل عليه فهم مستند مفتي الديار المصرية فى الفتوى لشركة جريشام التي أنشئت للتأمين على الحياة وبينا هناك أن الاشكال جاء من تطبيق الفتوى على ما يسمع عن الشركة لا على السؤال الذي رفع الى المفتي . وقد كتب ذلك الطالب وجه اشكاله في جريدة (الزهرة) التي ظهرت في تونس ثم ذوت وسقطت فكتب الينا أحد علماء تونس ما يأتي رداً عليه

إفهام وتقويم

قرأت في العدد السابع من جريدة « الزهرة » كلاما مسهبا رام به صاحبه ان

يساهم في الانتضال لمسألة فتوى القراض (التي سموها فتوى التأمين)، عرضه على أفكار أولي البصيرة وبعد ان طوينا ذيله، وقطعنا نيله، رأينا ان صاحبه وان نادي باسم النقد والاستبصار في مواضع كان بعيدا منهما في الوصول الى كنه ماقصدنا من مراجعة وطنينا الفاضل في رده الأول على كلام محتاج الى غمز قناته، وايقاظ ذهن صاحبه من سباته . : زاد فافهم استحسان تصدير الفتوى بلو حتى وهم انا نوهنا بذلك لما فيها من الشرط وكأني به بعد حائراً في وجه هذا التنويه لولا انه بين الشك واليقين في بركة تأثير الشرط في نحو هـذا المقام! ولم يعلم انا انما ألفتنا الأنظار النقادة الى مافي «لو» من الامتناع المقتضي غرابة الصورة وامتناع وقوعها .

مدار بحثه في هاته الفتوى على محور واحد وهو انتقاد اجمال المفتي والملام عليه اذ لم يفض في شرح المراد من الشركة مبينا في خلال ذلك ماتبطنه في ضميرها ولم تذكره في سؤالها ناسيا قولهم «جواب المفتي على قدر سؤال السائل» وما كرهه العلماء من اذالة العلم والفضول فيه وقد نقل عن كثير من الأئمة أنهم كانوا يكرهون الزيادة على قدر الاستفتاء ويرونه من فضول المفتي . فاذا كان ذلك مطلوبا فهو من باب الاحتياط وربما لايحتاج اليه في الامور الظاهرة الواضحة الجارية على المتعارف والمحمولة على الصحة لان العالم لم يؤمر بالتنقيب على القلوب بل نهى عنه بنص الحديث الصحيح . ومع هذا فان المفتي ما ترك الاحتياط اللازم فيما أعاده من الالفاظ في جوابه شرحا للمراد حيث لم تكن عبارة السؤال من الافصاح عن المقصود بالمكان البين لو وجد آذانا سامعة أو عيونا ناظرة الى السؤال والجواب . لو سألته الشركة عن صحة قواعدها ــ من حيث حكم الشرع الاسلامي ــ لرأينا ماذا يجيب به المفتي بعد أن يستطلعها أحوال رسومها، ولكنه سألته عن صورة عقد بين رجل وجماعة كهاته الشركة وجعلت نفسها مثالا يجمعها بالممثل وصف الجماعة لينظر في صحتها من جانب الحكم الشرعي وليس سؤالها عن فرع فقهي لتنظر ماذا عسى ان يطلبه الناس منها يوما ماقتغير خطتها لاجله ولا كانت هي محل السؤال ابتداء بل كانت في موضع المثال . والسؤال عن هذا الحكم الشرعي ان وقع وهو حكم يرجع الى ضرب من التجارة ربما تقصده هاته الشركة . نعم ربما يكون محقا اذا وجه الملام على الشركة كيف تسأل عن خلاف مرامها وذلك عذل

يحجه على ديانة السائل أو فصاحة عبارته في سؤاله !!! ومن الواجب أن يتذكر كاتبنا شيئاً لطيفا ماغفل عنه الباحث الاول وهو أن المفتي حنفي المذهب وانه يجب تخريج كلامه على نصوص مذهبه مادام كلامه غير محتاج ولا قاض بصرفه الى اختيار بعض المذاهب على بعض في خطة النظر ولا ينبغي التساهل والمسارعة الى فساد صحيح من كلام الناس.

واذ قد أتينا على ما يُفهمه خطة البحث في هذا الموضوع ويبعثه على تحقيق النظر قبل المجازفة فلنلم باطلال شروطه التي ذكرها مما لا يدخل في المؤاخذة بذنب الاجمال قال « أول الشروط ان يكون المال نقدا ..... الى قوله — سيما وان أوراق الماليات معتبرة في المعاملات اعتبار الذهب والفضة » . هذا موضع الزيادة على الاجمال لانه رجع به الى الغالب. وجوابه عن هذا ان كون رأس المال دينا على غير أحد المتعاقدين جائز ماض عند الحنفية وما منعه مالك لا للتهمة في القصد ، لا لفساد اصل العقد . واذا نظرنا الى مذهب محمد بن الحسن من جواز القراض بالفلوس الرائجة وعدم اشتراط خصوص الذهب والفضة فكل ماراج رواج المال والنقدين فهو مثلهما وهذا هو التحقيق لأن مناط اشتراط النقدين قصد قطع جرثومة الغرور وضرر العامل في عمله ان يقدم على شئ يظنه يساوي مقداراً فاذا هو قاصر عما قدر وكل رائج معلوم القدر لاتوجد فيه هاته العلة فهو كالذهب والفضة ألا ترى أنهم ما اكتفوا بالذهب والفضة نضارا حتى اشترطوا ان يكونا مسكوكين . وهذا هو عين الجواب عن الشرط الثاني اذ كان عين الاول لولا اختلاف العبارة .

قال « رابعها ان لايشترط على العامل الضمان الخ » بناء هذا البحث مؤسس على شفا الاشتباه في قضية الاجمال ووهم أن الجواب وقع عن كراسة شروط الشركة لا عن سؤال مسطور وربما كان كلامه يحوم حول الاعتراف بأن ذكر هذا البحث لتكثير سواده، وتعزيز فئته وأجناده،

قال « خامسها عدم تأجيل مدة القراض ونص السؤال مقتض للتأجيل » القراض في مذهب أبي حنيفة رحمه الله من العقود التي لايفسدها التوقيت والغاية انما محور الشرط فيها على مظنة حصول القصد مما سيق له العقد وهو معدود في ضمن ستة وعشرين عقدة لايفسدها اي شرط فاسد .

«سادسها تعيين الجزء الخ» وهذا ملحق باخوته المسوقة للتعزيز، فلا يشتبه على ذوي التمييز . ثم إن المذهب أن دخول المتقارضين فى عقدة القراض على المسامحة في تعيين الربح لا يفسد القراض بل يكون الربح فيه على السواء في قول أبي يوسف رحمه الله وبه الفتوى. أما لو ذكرا ما يدل على التسوية فى الربح فلا خلاف بين أبي يوسف ومحمد في جوازه نحو ان يقولا : على ان ما نتج من الربح بيننا: قال «ثم مقتضى السؤال (اذا قام بما ذكر وانتهى امد الانفاق المعين بانتهاء الاقساط) انه ان لم يوف بدفع تلك الاقساط لاحق له الخ» وههنا الخطأ المعظم في الانتقال، والغفلة عن الحقيقة في الاستدلال، فأما الاول فليس الكلام بقاض انه لاحق له في المقارضة ولا حق له ان لم يوف انما قضى انه ان لم يوف لاحق له فى المقارضة ولاحق له في الربح والشروط فى المضاربة ان كانت مما يخل بجانب رب المال جازت لاسيما ان كان ذلك من شرطه هو لا من شرط المضارب عليه وذلك صريح صورة السؤال لانه جاء قبل الكلام الذي ساقه كاتبنا كلمة حذفها حذفا لم يصادف به كنه الفهم وهي « واشترط معهم» ومن الفروع التي يذكرها الحنفية في هذا الموضع لو شرط المضارب على رب المال أن يدفع له داره يسكنها أو أرضه يزرعها لم تفسد المضاربة أما لو شرط رب المال ذلك على المضارب لفسدت للجهالة في مقدار مايكون لذلك من المال ومقدار مايكون للعمل فيه ولم يعتد بهاته الجهالة في جانب رب المال . ويذكر المالكية فرعا في كتبهم انه يجوز القراض على أن جميع الربح للعامل وضمان المال ان تلف من ربه إذا سماه قراضا وقال سحنون هو سلف وضمانه من العامل. وفي هذا مايعلمنا الفرق بين هذا وبين القمار بأن هذا شيء من جانب رب المال وهو محمول على الموجدة والمقدرة فلا يظن به اهتضام ، ولا أن يؤكل ماله بالباطل أو يضام، خلافا لحال العامل المظنون به العجز والافتقار، ولأن رب المال ينزل في نحو هاته الشروط منزلة المتبرع انه لو شاء لأعطى وما أخذ.

قال « ان مشاركة المسلم هاته الجمعية ممنوعة وذلك لانها لاتحاشى في تجرها ومعاملتها الربا ...... والنصوص متظاهرة على منع شركة من لا يتحفظ من تعاطي ماذكر الخ» قد علمت ان اسم الشركة مما وقع الامثالا ولو فرضنا صحته فذلك شيء ينظر فيه الرجل الى حالة التجارة التى سموها في السؤال وليس المفتي بصدد تبيان كل

مايجب على المرء في صورة الاستفتاء والا لشرع يبين لهم شروط البيوع كلها وذلك لا يخص الشركة بل كل من يظن به الجهالة باستقراء أحكام البيوع ومن ذا الذي يرقبها اليوم من تجار المسلمين. على ان نسيان المفتي ان ينبه على هذا غير بعيد حيث لم يكن مما يرجع الى شرط من شروط. الباب التي يجب استحضارها عند الافتاء ولذلك يذكرها كاتبنا بعد تعداد الشروط ! وتوكيل الذمي في المعاملات غير ممنوع ولو نص له على معاملة يحرم على الوكيل فعلها وقد نص الحنفية رحمهم الله على صحة توكيل المسلم ذميا على بيع خمر أو خنزير ولو باشر ذلك بنفسه لمنع باتفاق الناس وقديما ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوكلون المشركين حتى المحاربين، في صحيح البخارى « (باب) اذا وكل مسلم حربيا في دار الحرب اودار الاسلام جاز » أخرج فيه توكيل عبد الرحمن ابن عوف (رضي الله عنه) أمية ابن خلف ومافيه من القصه.

وهاهي تلك النوبة قد أفضت الى كاتبنا ليعيد علينا من تبيانه ثانيا فان دعته الى ذلك الدواعي فان آذاننا مصغية الى مايقول. (ذلك التونسي)

باب الانتقاد على المنار

(المسائل الزنجبارية)

جاءنا من أحد فضلاء القراء في زنجبار مايأتي ويعقبه الجواب عنه قال:

«ان لمناركم الاسلامي من المنة على المسلمين ماظهر أثرها من تنبه الافكار وتبادل الآراء فيما بينهم. لايصل أحد أجزاء المنار حتى يسير مافيه سير الامثال وتحدث به الاندية وانهم لينظرون الى ما يأتيهم من درره بفراغ الصبر غير انه لما نشرتم في أعداد المنار ــ الجزء الثاني ١٦ المحرم الحرام صحيفة ٥٧ (علم الغيب للانبياء) الجزء الرابع ١٦ صفر صحيفه ١٤٤ (القرآن لقضاء الحوائج) وصحيفة ١٤٥ (المهدي المنتظر) ــ انكر ماحررتموه كثير وتوقف قراء المنار عن اتباعهم حتى أورد عليهم المنكرون ادلة تناقض ماحررتموه فالتمسوا ان أكتب اليكم في ذلك لتشرحوا الادلة بنوع بسط أما أدلة المنكرين فقد اعترضوا جواب: س: القرآن لقضاء الحوائج بما رواه البخاري وغيره في حديث الرقية بالفاتحة وبغير ذلك مما ورد واعترضوا كلامكم في المهدي المنتظر بما أورده مفتي

الشافعية بمكة السيد أحمد زيني دحلان بآخر كتابه الفتوحات الاسلامية حيث حكى ان الاحاديث الواردة في المهدي منها صحيح و حسن وضعيف وهو الاكثر الى ان قطع بعد ذلك بوجود المهدي وانه قطعي . اما ابن خلدون فلا يعتبرونه ووسموه بانه مؤرخ لا محدث والمعتبر في مثل هذا أقوال المحدثين . واما مسئلة علم الغيب للانبياء فقد أوردوا على ماحررتموه ماقرره الصاوي في حاشيته على الجلالين في تفسيره على آية « يسئلونك عن الساعة » الآية وما بعدها « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ... ولو كنت أعلم الغيب » الاية في سورة الاعراف واليكم ماذكره الصاوي بنصه : (قوله تأكيد) أي لما قبله لبيان انها (الساعة) من الامر المكتوم الذى استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا الا من ارتضاه من الرسل والذى يجب الايمان به ان رسول الله لم ينتقل من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع المغيبات الذى تحصل في الدنيا والآخرة فهو يعلمها كما هي عين يقين لما ورد رفعت لي الدنيا فانا أنظر فيها كما نظر الى كفي هذه وورد انه اطلع على الجنة ومافيها والنار ومافيها وغير ذلك مما تواترت به الاخبار ولكن أمر بكتمان البعض (قوله لنفسي) معمول لا أملك (قوله الا ماشاء الله) أي تمليكه لي فأنا أملكه (قوله ولو كنت اعلم الغيب الخ) فان قلت ان هذا يشكل على ماتقدم انه اطلع على مغيبات الدنيا والآخرة والجواب أنه قال ذلك تواضعا او ان علمه بالغيب كلا علم من حيث انه لا قدرة له على تغيير ماقدر الله وقوعه فيكون المعنى حينئذ لو كان لي علم حقيقي بأن أقدر على ما أريد وقوعه لاستكثرت الخ ان قلت ان دعاءه مستجاب لا يرد اجيب بانه لا يشاء الا مايشاء الله فلو اطلع على ان الشيء مثلا لا يكون كذا لا يوفق للدعاء له اذ لا يشفع ولا يدعو الا بما فيه إذن من الله واطلاع منه على أنه يحصل مادعا به وهو سر قوله تعالى « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » وفى ذلك المعنى قال العارف

وخصك بالهدى في كل أمر * فلست تشاء الا مايشاء

وللخواص من أمته حظ من هذا المقام ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي اذا اراد الله امرا أمسك ألسنة اوليائه عن الدعا سترا عليهم لئلا يدعوا فلا يستجاب لهم فيفتضحوا ا ه كلامه فالمرجو ان تبينوا ماهو الحق فى المسائل الثلاث فقد اخذت محلا من الافكار ولكم الاجر والثواب ،

الرقى وقضاء الحوائج والاستشفاء بالقرآن

ثبت في الاحاديث أن الله تعالى خلق لكل داء دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وما زال الناس ينتفعون بما علموا منها ويحثون عما جهلوا فيزدادون علماً. كذلك قد جعل الله تعالى لكل شيء سبباً يتوصل اليه به. وانما يصح كون هذا سبباً لهذا اذا كان بينهما اتصال بالتأثير والتأثر مثلا بحيث ينتفي وجود الثاني لانتفاء الاول ويوجد بوجوده اذا انتفت الموانع. ولم يثبت بالتجارب الصحيحة المطردة أن تلاوة القرآن الكريم او كتابته في الصحف تحمل او الصحاف يؤكل منها او يشرب سبب للشفاء من الامراض وقضاء الحوائج ولو ثبت لاستغنى به الناس عامة أو المسلمون خاصة عن الطب والاطباء وعن اتخاذ الاسباب والوسائل المعروفة لسائر الحاجات والمصالح. فهذا دليل عقلي في الموضوع وقد قرر العلماء أن النصوص الشرعية اذا خالفت الادلة العقلية ترد اليها بالتأويل اذ لا يمكن إبطال حكم العقل لانه أصل الايمان، ولا يصح بدونه برهان ،

ودليل ثان على ذلك وهو أنه لو انزل القرآن لاجل المنافع الحسية الجسدية كما نزل لاجل الهداية لذكر فيه ذلك وعد من المعجزات لانه يكون خارقاً للعادة ولتحدى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بذلك ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ولم يذكر العلماء في وجوه إعجاز القرآن ما ذكر ولم يعلم أن الصحابة أو الائمة احتجوا على منكر بذلك .

اما اجازة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الرقية فانني اشرحه لك بما لا ينافي ما تقدم بالدليل. فأقول ان الرقى والعوذ كانت من اعمال الجاهلية وقد نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنها وحدثت وقائع رقى فيها بعض الصحابة فأفادوا فأجاز النبي (ص) ذلك في العين وفي ذي الحمة اي لدغ ذي الحمة كالعقرب والزنبور وفي الصحيحين «لا رقية الا من عين او حمة» وفي رواية اخرى لابي داود زيادة «او دم لا يرقا» وفي أخرى عنده وعند احمد «لا رقية الا في نفس اوحمة اولدغة» فضيق عليهم دائرة الرقى ولم يأذن لهم بغيرها من العوذ والتناجيس التى كانوا يعلقونها على الاطفال وغيرهم للوقاية من الامراض والجن ولا كتابة القرآن وغيره لذلك وارشدهم مع هذا كله الى ان الرقي والاسترقاء ينافي التوكل الذى هو كمال التوحيد والايمان ولا ينافيه التداوي وغيره من الاسباب الصحيحة لان الانتفاع بالرقى امر موهوم كما قال حجة الاسلام وغيره

روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما سئل عن صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب من حديث طويل: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»: ورواه غيرهما. وروى احمد والترمذي وحسنه والنسائي في السنن الكبرى وابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «من استرقى او اكتوى فقد برئ من التوكل» وفى لفظ «ماتوكل من استرقى او اكتوى»: قال الامام الغزالي فى كتاب التوكل من إحياء علوم الدين مانصه:

« اعلم ان الضرر قد يعرض للخوف فى نفس أومال وليس من شروط التوكل ترك الاسباب الدافعة رأسا أما في النفس فكالنوم فى الارض المسبعة أوفي مجاري السيل من الوادي أوتحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة. ثم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها ومظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية قد يقدم بهما على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بأنهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل مافي معناها من الاسباب.» اه

فالقارئ يرى أن حجة الاسلام جعل علة منافاة الرقية للتوكل كونها من الامور الوهمية التي لم ترتق إلى أن تكون سببا للنفع ظنيا ولكن الدجالين الذين اتخذوا الرقى والتمائم والتعاويذ والتناجيس حرفة يأكلون بها أموال الناس بالباطل يوهمونهم أن أن حرفتهم مبنية على تعظيم القرآن وقوة الايمان ويجعلون الحبة قبة. وإنما كان الاخذ بالامور الوهمية منافيا للتوكل لأن التوكل هو كمال التوحيد والثقة بالله تعالى والمؤمن الكامل يجب ان يكون بعيداً عن الاوهام لاستنارة عقله وقوة يقينه فهو لا يأخذ الا بالاسباب الصحيحة التي قضت حكمة الخالق ربط المسببات بها وينبذ الاوهام وراء ظهره فلا يكون لها عليه سلطان واما سبب إجازة النبي صلى الله عليه وسلم الرقية من العين ولدغ نحو العقرب فلعله الرحمة بالضعفاء الذين جرت العادة بأن يتأثروا أحيانا بالامور

الوهمية وينتفعوا بها وقد شرحنا ذلك في المقالتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة من مقالات (الكرامات والخوارق) فلتراجع هناك . وأذكر هنا شاهداً وهو أنني أعرف عالماً من أجل العلماء المتقين الذين يحاربون الاوهام أصيبت عنده امرأة بمرض عصبي تعاصى علاجه على الاطباء وكان منشأه الوسواس — وهو وهم — فلم ير بداً من الرضى بالتماس راق يرقيها لاعتقادها بذلك . وهذا التعليل يظهر تمام الظهور فى الرقية من العين فان كثيرا من العلل التي ينسبها الناس الى تأثير العين وهميـة وماعساه يصح من تأثير العائن فالمعقول أن يكون تأثير نفس فى نفس ولذلك عبر عن العين في حديث أحمد وابي داود الماضي بالنفس وذلك أن بعض النفوس تؤثر بانفعالها فى نفس أخرى تتوجه اليها وتنظرها لاستعداد فيها لسرعة التأثر وهذا من قبيل تأثير حال الحزن فى نفس من يراه ولكنه أقوى منه . فلاغرو أن يزيله التأثر من الرقيـة وماهي الا تلاوة شيء يعتقده المرقي ويتوهم نفعه والاوهام انفعالات فى النفس يغلب أقواها أضعفها. واللدغ له تأثير حقيقي فى الجسم ولكنه ضعيف في الغالب يبرأ أحيانا بدون سبب وكانت العرب فى الجاهليـة تطب اللدغ بالرقية فاعتقادهم يغلب أحيانا على ألم اللدغـة فيسرع شفاؤها وقد نهى النبي (ص) عن ذلك ثم علـم أن بعض الناس ينتفعون به بحكم الوراثة وتأثير الوهم فأجازه فقد روى احمد وعبد بن حميد ومسلم وغيرهم من حديث جابر أن رجلا قال يارسول الله إنك نهيت عن الرقى أنا أرقي العقرب فقال (ص) « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » فهى رخصة لمن علم من حاله أن للوهم سلطانا عليـه اذا احتيج الى استعمال ذلك لنفعه فضيق دائرة تلك الاوهام وجعل المأذون به على قلته منافيا للتوكل وكمال اليقين واشترط في الرقية أن لايكون فيها شرك كما فى حديث عوف بن مالك عند مسلم وأبي داود ومعنى ذلك أن لايكون فيها استعانة بغير الله اومايوهم أن غير الله ينفع أويضر. ومن الغرائب أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لدغ مرة فغشي عليه فرقاه ناس فلما أفاق قال « ان الله شفاني وليس برقيتكم » رواه البخاري في التاريخ وابن سعد والبغوي والباوردي وابن السكن وابن قانع وسمويه والطبراني والدارقطني في الافراد عن حبلة بن الأزرق . وهو دليل على أن الرقية لاتأثير لها وان نفوس المتقين لاتؤثر فيها الأوهام . وماورد من الرقى المأثورة فأدعية وثناء على الله تعالى.

هذا صفوة ما يقال في تحرير المقام فاين منه ماعليه الدجالون من كتابة الآيات لغير ما أنزلت له واتخاذها تمائم مع قول النبي (ص): «من علق تميمة فقد أشرك» رواه أحمد والحاكم عن عقبة بن عامر. وقوله (ص) «أن الرقى والتمائم والتولة شرك» رواه أحمد وابو داود وابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود. وقوله «ثلاث من السحر الرقى والتولة والتمائم» رواه الحاكم عن ابن مسعود وغير ذلك. ولاشك أن الرقى والتمائم فى هذا الزمان من نزعات الوثنية فانها ليست مبنية على اعتقاد أن القرآن يرفع الضرر ويجلب النفع لذاته معجزة وإنما العمدة عندهم على بركة الراقي وكاتب التمائم وتأثيره ولذلك لايطلبون ذلك من كل عارف بالقرآن . فانظر كيف قلبوا الدين فتركوا الاهتداء بالقرآن وهو قد أنزل «هدى للمتقين» بل زعموا أن الاهتداء به محرم على الناس اليوم لانه وظيفة المجتهدين الذين انقرضوا. ثم زعموا أنهم يعظمونه بترك الاسباب والسنن الالهية التي أرشدهم اليها والاعتماد على الانتفاع برسم حروفه وحملها

المسألة الثانية ـ المهدي المنتظر

اذا قالوا أن ابن خلدون كان مؤرخا غير محدث فاننا نقول ان السيد احمد زيني دحلان غير محدث ولا مؤرخ ولا متكلم، وإنما هو مقلد للمقلدين، ونقال من كتب المتأخرين، يتنصر للعامة وينتصرون له لشهرته بالعلم بتقليده وظيفة إفتاء الشافعية فى مكة وبالشرف الذي يخضع لصاحبه أكثر العامة وان كان أميا. وعجيب من منتم للعلم ينكر على المؤرخ العلم بنقد رجال الحديث وهو فرع من فروع التاريخ ولقد كان ابن خلدون أوسع المؤرخين علما وأدقهم نقدا وأشدهم إنصافا وهو لم ينكر المهدي المنتظر لعدم الاطلاع على ماروي فيه ولا تقليدا لأحد من الناس وإنما بنى إنكاره على قاعدتين إحداهما نقد رواة أحاديثه بنقل ماقاله أئمة الحديث في جرحهم ، والثانية عدم انطباق مزاعم الناس فيه على أصول العمران وسنن الاجتماع البشري من قيام الامور العامة بالعصبية، ومن أنكر شيئا أو أثبته بالدليل فانما يرد عليه بنقض أدلته لا بتقليد من هو دونه في كل علم بلا بينة ولا برهان . فان كان المنتقدون الآن يقلدون دحلان لانه كان مفتيا فى مكة من عهد قريب فابن خلدون قد ولي القضاء في مصر أيام كانت غاصة بأشهر علماء القرون المتوسطة الذين يقلدهم زيني دحلان فهو أحق بأن يقلد ـ اذ الوظائف لم تكن تعطى في ذلك الوقت لغريب مثله الا اذا كان نادرة الزمان ، ولكنها قد تعطى لأجهل الجاهلين فى دولة آل عثمان، فقد كان عندنا في طرابلس الشام قاض شرعي اذا صلى وسبقه

الامام لايعرف كيف يتم الصلاة منفردا حتى انه أخطأ في صلاة العيد. ولا أريد بهذه الكلمة التعريض بأن السيد أحمد دحلان كان كهذا القاضي وانما اريد التنبيه الى ان مايغتر به العامة من المناصب لاسيما في البلاد المشرقة ليس موضعا للغرور

نحن لانحكم على مستقبل الزمان باستحالة ظهور زعيم للمسلمين أوامام عظيم يخرجون على يديه من ظلمات البدع والجهل الى نور الهداية والعلم والعمل النافع بل نرجو هذا من فضل الله بتوفيق المسلمين للاستعداد لقبول ذلك فان الله تعالى اذا أراد أمرا هيأ أسبابه ولكننا نقول انه لادليل على ان الله تعالى كاف المسلمين باعتقاد ظهور مصلح فيهم معروف باسمه (المهدي) ووصفه ونسبه أوجب عليهم طاعته وسجل عليهم ان يبقوا في الضعف والجهل والبدع والشقاء الى أن يظهر فيهم ويخرجهم من ذلك كما يظن الجماهير من المسلمين منذ قرون فان هذا الاعتقاد كان آفة عليهم في دينهم ودنياهم ولو كلفهم الله تعالى ذلك لأنزل فيه قرآنا أوأمر نبيه بأن يبينه للناس بيانا تاما شافيا على أنه عقيدة دينية ولو فعل لنقل ذلك بالتواتر قرنا بعد قرن ودونوه فى كل عقيدة وكل كتاب حديث ولما أهمله مالك فى موطأه والبخاري فى صحيحه ، ولما كان رواة خبره محصورين في فرقة واحدة من المسلمين (وهي الشيعة) فلم يوجد له سند الا من طريقها ، ولما كانت الروايات فيه مضطربة يثبت بعضها ماينفيه الآخر ، ولما سكت علماء أهل السنة عن الطعن فى منكره ، ومن أراد ان يحكم في هذه المسألة حكما صحيحا فعليه ان يجمع كل ماروره فيها من الاخبار مرفوعا وموقوفا ومرسلا ومن الآثار خصوصا ماعزي منها الى آل البيت عليهم الرضوان والسلام، إن يفعل يظهر له فيها من الاضطراب والتناقض والتعارض ومن لحن العبارات وأساليبها مايجزم معه بأنها موضوعة وان كثرتها وتعدد طرقها لايزيدها الاوهنا ووهى

امثل الروايات فيه ماأخرجه أحمد وأصحاب السنن فمن دونهم من الكلم المختصر وفي بعضها أنه من ولد فاطمة وفي بعض آخر أنه من ولد العباس ، وفي بعضها أنه يعيش سنا او سبعا أوثمانيا أوتسعا وفي بعض آخر يعيش خمسا أوسبعا أو تسعا بالاوتار وفي بعض آخر يعيش سبعا بالجزم وفى بعض تسعا بالجزم وفى بعض آخر عشرا بالجزم ، وفى بعضها انه يلي أمر الناس ثلاثين سنة أوأربعين ، «ولاخير فى الحياة بعده» وفى بعض آخر ان بعده

عيسي وزمنه خير من زمنه ؛ وفي بعضها ان عيسى ينزل فى عهده ويصلي وراءه وفى بعض آخر «لن تهلك امة انا في اولها وعيسى ابن مريم فى آخرها والمهدي في اوسطها» وهو يناقض ماقبله وفى بعضها «لامهدي الاعيسى». وفى بعضها ان مولده المدينة ومهاجره بيت المقدس في بعض آخر انه يتوجه الى بيت المقدس فلا يبلغه حتى يموت. وفي بعضها ان المهدي ابن اربعين بالجزم وفى بعض آخر بين ثلاثين الى الاربعين. وفي بعضها انه آدم (اسمر) ضرب من الرجال، وفي بعض آخر وجهه كالكوكب الدري. الى غير ذلك من الاضطراب والاختلاف

كل هذا في الروايات التى رواها اهل السنة عن الشيعة ومما اختص الشيعة بروايته من الآثار عن علي كرم الله وجهه انه قال في المهدي «يرفع المذاهب فلا يبقى الا الدين الخالص يبايعه العارفون من اهل الحقائق عن شهود وكشف وتعريف إلهي » ثم ذكر ان امه اسمها نرجس وهي من اولاد الحواريين . وانت تعرف انه لم يكن فى زمنه كرم الله وجهه مذاهب وان لفظ الشهود والكشف من اصطلاح الصوفية بعده . ومن رواياتهم أن ابا نعيم جاء أبا جعفر الصادق عليه السلام فسأله هل هو قائم آل محمد الذي ينظرونه فقال كلنا قائم بأمر الله فسأله هل هو المهدي فقال كلنا مهدي الى الله حتى سأله انت الذي يقتل اعداء الله الخ فقال كيف أكون انا وقد بلغت خمسا واربعين وان صاحب هذا الامر اقرب عهدا باللبن مني واخف على ظهر الدابة . وروى نحوه عن غيره منهم. ورووا عنه انه قال : قام قائم ولد العباس عند (المص) ويقوم قائمنا عند انقضائها (بالمرا) : اي سنة ٢٧١ هـ وهو دليل على أنهم كانوا ينتظرونه يومئذ والسبب في هذا معروف وهو محاولة تأليف عصبة للقيام بامر الملك وجعل الخلافة في ولد الحسين

وجملة القول ان هذه المسألة اذا اريد ادخالها فى الدين كانت من مسائل العقائد والعقائد يجب الاعتماد فيها على اليقين ولم تصل هذه الأحاديث الواردة فيها الى افادة غلبة الظن للمسلم بمنشأها والمطاعن في اسانيدها والاضطراب والتناقض في مدلولاتها ولذلك لم يذكرها المتكلمون فى كتب العقائد فلا حرج على من انكرها . وقد اضر المسلمين فشو القول بها إذ ظهر فيهم كثيرون بهذه الدعوى فى القديم والحديث فسفكوا الدماء وفسدوا عقائد كثير من المسلمين وآخرهم مهدي السودان والباب وخلفاؤه من اهل إيران . فعلى المسلمين ان لايتوكلوا على امر إن صح بعض الاحاديث فيه اوحسن كان ظنيا ويدعوا اليقيني من أسباب القوة والسيادة وهو التهذيب الصحيح بالرجوع الى سيرة السلف في الدين والعلم النافع في الدنيا والآخرة والاعمال التي توفر المال وتحمي الحوزة فاذا قام فيهم مع هذا قائم هاد

مهدي كانوا مستعدين للاتحاد على يديه والا فان السيادة والسعادة يستحيل وجودهما مع استدبار طريقهما الذى سنه الله لهما والله الموفق والمعين

المسألة الثالثة علم الغيب للانبياء عليهم السلام

جرت سنة الله تعالى بأن يكون غلوّ الناس فى اطراء رجال الدين من الانبياء وورثتهم في العلم والعمل على نسبة الجهل بالدين فانك تجد الفاسق من الشعراء المتأخرين يطري بعض المشهورين بالعلم او الصلاح بما لم يرد عشر معشاره عن شعراء الصحابة فى النبي عليه الصلاة والسلام . وقد طوّح الجهل بالناس الى إسناد خصائص الألوهية الى الانبياء والصلحاء خلافا لنصوصهم الصريحة فى ذلك ولكن منهم من صرح باطلاق لقب الالوهيــة على انبيائهم ومنهم من صرح بمعناه دون لفظه . وإن واحدهم ليقول الـكلمة في ذلك فتجعل اصلا فى الدين ويحرّف لاجلها كلام الله وكلام رسوله عن مواضعه ويحمل على غير محمله

علمنا الله تعالى فى كتابه وبسيرة خاتم رسله ان الانبياء بشر وانهم عبيد لله تعالى لا يمتازون على غيرهم الا بالوحي الذي يلقيه سبحانه وتعالى اليهم ليبلغوه للناس ولا يكتموه ولوازمه. فهل يجوز لنا ان نتقالّ هذه النعمة الكبرى ونستصغرها فنضيف اليها شيئا من عندانفسنا مع قيام الدليل على خلافه ؟ ومع عدم الدليل عليه ؟

يقول الله عزّ وجل « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون » أي فانه هو الذي يعلمه وحده . روى أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت « من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم يخبر الناس بما يكون فى غد — وفى رواية يعلم مايكون في غد — فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله » فهكذا كان الصحابة يفهمون ويعتقدون فهل كانوا ضالين فى فهمهم واعتقادهم حتى جاء الصاوي في المتأخرين الذين ليس لهم من العلم الا التقليد والاماني فوضعوا لنا العقيدة الصحيحة ؟ حاش لله ! بل كان ازواج رسول الله وأصحابه اعلم الناس بدين الله وافهمهم لكتابه وليس مثل الصاوي من مقلدة المتأخرين بحجة في فروع الاحكام الفقهية، فضلا عن العقائد الدينية ، بل ليس لاحد ان يقلد في عقيدته اماما مجتهدا، فكيف يقلد ضعيفا مقلدا،

علم الغيب لانهاية له لان منه علم المستقبل الذي لانهاية له وليس فى وسع مخلوق ولا

استعداده ان يحيط علما بما لا نهاية له فعلم الغيب كله محال عقلا على البشر والملائكة وجميع المخلوقين وهو ممنوع نقـلا بنص الآية وما يؤيدها من الآيات الـكثيرة فلو ورد نص بأن النبي صلى الله عليه وآله وسـلم أعطي علم ما كان وما يكون من الغيب لوجب تأويله ليوافق العقل والنقل بأن يقال اعطي علم ما كان في الماضي من سيرة الانبياء مثلا وما يكون من أمر العصاة والطائعين في الآخرة من العذاب والنعيم لان هذا العلم هو الذى يتعلق ببعثته . فكيف ولم يرد أن الله تعالى أطلعـه على كل غيبه نخالف العقل والنقل ونقول على الله تعالى ورسوله مالا نعلم وقد نهانا الله تعالى عن ذلك وعده مع الشرك فى قرن ؟

لانقول ان النبي (ص) يعلم كل الغيب لان هذا ممنوع عقلا ونقلا كما علمت ولا نقول ان الله تعالى لم يطلعه على شيء من الغيب لان النص ورد بأنه أطلعه وأطلع غيره من الرسل قال تعالى « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول » الى قوله « ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) فعلم انه يظهرهم على الغيب الذى يتعلق به تبليغ الرسالة وذلك مشروح في القرآن ومنه الملائكة والجنة والنار والحساب وغير ذلك فالواجب فى هذا المقام الوقوف عند النص لا نتعداه بزيادة ولا نقصان لأنه ليس للعقل مجال في عالم الغيب فيقيس ويستنبط . فما كان من النصوص قطعيا كالآيات الـكريمة المصرحة بالاخبار عن الانبياء السابقين وأممهم وعن الآخرة وما فيها وعن الملائكة والجن وعن ماوعد الله به هذه الامة من الاستخلاف فى الارض فاننا نؤمن به ونقول بكفر من أنكره . وما كان منها مرويا فى أخبار الآحاد فلا يكلف كل مؤمن بعلمه والايمان به ولـكن من ثبتت عنده الرواية واطمأن لسندها فانه بالطبع يعتقدها ولا نوجب عليه رفضها لانها غير متواترة الا اذا عارضت دليلا قطعيا كما لا نوجب على غيره قبولها . هذا هو الاصل الذي لا نزاع فيه

وأحاديث الآحاد الواردة باخبار النبي (ص) بالغيب كثيرة وقد ظهر تأويل المشهور منها كالاخبار بأن الله يفتح على المسلمين مصر والشام وغيرهما من الاقطار والاخبار بأن عمارا تقتله الفئة الباغية وان الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين وأن فاطمة عليها السـلام أول أهـله لحاقا به بعد موته وغير ذلك . ومن هذه الروايات الآحادية مايصح سنده ومنها الضعيف والموضوع ولا حاجة لنا الى الكذب لاثبات فضله وخصائصه عليه أفضل الصلاة والسلام فان الثابت منها ليس بقليل وحسبنا قوله تعالى « وانك

لعلى خلق عظيم » وقوله « وكان فضل الله عليك عظيما » وقوله « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وغير ذلك . وقد ذكر عليه السلام خصائصه ولم يرد فيها برواية صحيحة ولا ضعيفة أن الله تعالى أطلعه على ماكان من الازل ومايكون فى الابد فهل يحل لنا ان نكذب على الله تعالى بغير علم وندعي ان ذلك من الايمان والله تعالى يقول « انما يفتري الكذب الذين لايؤمنون »

وأما ماورد من أن الجنة والنار مثلتاله فى عرض الحائط أوقبلة الجدار ومن أنه زويت له الارض فرأى مايصل اليه ملك أمته منها فلا يدل على أن الله تعالى أطلعه على ماكان ومايكون مما ليس فى استعداد البشر الا طلاع عليه اذلانهاية له ولاهو مما يتعلق به تبليغ الرسالة وهداية الخلق والنصوص تنافيه. فقول الصاوي « والذي يجب الايمان به» الخ مردود لأنه زيادة عقيدة من عقائد الدين والله قد أتم الله الدين وأكمله على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلا نسلم لأحد أن فيه نقصا يتممه الصاوي أو الجمل أو من هو أكبر شهرة من الصاوي والجمل كالعلماء والائمة المجتهدين (وحاشاهم من ذلك)

ومن العجائب أن يتجرأ مثل هذا الرجل على زيادة عقيدة في الدين ثم يجملها إشكالا على القرآن يستبيح به تحريفه بالتأويل لاثباتها فيزعم أن أمر الله تعالى لنبيه أن يقول « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » ليس بيانا لعقائد الدين وإنما هو أمر بالتواضع!! وهل يكون التواضع بالكلام فى العقيدة بخلاف الواقع ؟؟ إن فرضنا أن هذا يجوز أن يقع فكيف يتحقق التواضع فيه والناس لم يعلموا أنه يعلم الغيب فيحملوا كلامه على التواضع لا على ظاهره؟ أم كيف يحقق وقد ورد نفي العلم بالغيب مورد الاستدلال والحجة ومن يقول تواضعا: إنني لا أعلم كذا: لا يقيم الحجة على عدم علمه به. ثم إنه ينافي دعوى التواضع قوله بعد ذلك «إن أنا الانذير وبشير لقوم يؤمنون» فهو ينفي أن يكون له خصوصية غير التبليغ بالانذار والتبشير كأنه يقول ان الله تعالى أمرني أن أبلغكم بأنني لاأمتاز عليكم بصفات الالوهية كالقدرة على النفع والضر وعلم الغيب و«انما أنا بشر مثلكم يوحى الي» والقرآن فى جملته وتفصيله مؤيد لهذه العقيدة. فتأويل الآية هذا التأويل البعيد، لاجل حملها على هذا الاعتقاد الجديد ، هو من تفسير القرآن بالرأي وفيه مافيه من الوعيد ، ولا يمكن لعاقل ولا لمجنون أن يقول مثله فى سائر الآيات

كقوله تعالى «لا يعلم من فى السموات والارض الغيب» فاتقوا الله أيها المؤمنون، ولا يغرنكم كل ما كتبه الميتون، ولا تقولوا على الله ما لا تعلمون، وانني في خاتمة القول أذكر القاري باجماع الامة على أن العقائد لا اجتهاد فيها ولا يؤخذ فيها باستنباط المستنبطين، وانما يجب فيها البرهان المؤدي الى اليقين، وهذا الرأي الذى أورده الصاوي لم يقم البرهان العقلي والنقلي الاعلى خلافه كما تقدم فنحن نتبرأ منه. ونسأله تعالى ان يغفر له، فانه لم يقله الا بحسن نية كما هو شأن كثير من الذين شرعوا للناس من الدين ما لم يأذن به الله. ونحمده تعالى أن حفظ أشهر المفسرين من هذا التأويل اذ لو اتبني مثل ابن جرير والبيضاوي والرازي بمثل هذا القول لتعسر محوه من نفوس العامة. وسنشبع القول في علم الغيب عند الكلام على كشف الاولياء فى بقية مقالات الكرامات والخوارق ان شاء الله تعالى

﴿ باب الاخبار والاراء ﴾

﴿ تأثير الجرائد وحالها فى مصر ﴾

لا نعرف فى هذا العصر شيئاً يؤثر فى النفوس تأثير الجرائد فهى التي تقيم الاحزاب في بلاد المدنية وتقعدها وتقنعها بما تشاء من الامور العامة والخاصة لذلك يستعين بها الملوك والوزراء ورؤساء الاحزاب على الاعمال العامة كما يستعين بها الافراد على مقاصدهم الخاصة كترويج السلع باعلان منافعها فيها وللجرائد في مصر من التأثير نحو ما لها في غيرها ولكنها قاصرة فى مصر كما أن الامة قاصرة فهي تشغل الجمهور فى الغالب بما يضر ولا ينفع، وتشغل الناس بأهواء الناس وتعلق آمالهم بالاوهام، وترى الناس على كثرة ذمهم لها منقادين بزمامها فما تكبره يستكبرونه وان كان صغيرا، وما تصغره يستصغرونه وان كان كبيرا، وما تهمل البحث فيه يهملونه كأن لم يكن شيئاً مذكورا، تجد ما تتفق عليه الجرائد يتفق عليه الاكثرون، وما تختلف فيه فهم فيه مختلفون، كل يؤيد ناطقا، ويتبع ناعقا، فلو ان لهذه الجرائد مذاهب نافعة، ومقاصد عالية ثابتة، لبلغت بها من ترقية الامة ما شاءت. ولكنها في الاكثر قد أضرت الامة بتجريء الصغير على الكبير، وتضييع زمن الجمهور، بالاشتغال بسفساف الامور، وصرف الوجوه عن تربية الامة على الاستقلال، وتعليلها بكواذب الاماني والآمال، ولا غرض لها من ذلك الا الجاه والمال،

يكتب صاحب الجريدة بحسب هواه ويضحك من الناس غاشا إياهم بأنه يخدمهم

ولا عجب اذا راجت على الغافلين دعواهم أن إطراء الامراء والحاكمين من الخدمة الوطنية ولكن العجب العجاب رواج دعواهم خدمة الدين الذى هم به جاهلون ، وعن صراطه ناكبون ، وقد ملأ الآفاق في هذه الايام صياح بعض الجرائد التي تسمي نفسها اسلامية فى الشكوى من زميلهم ومحسودهم صاحب المؤيد والنيل من عرضه والطعن بنسبه والتحريض على ترك جريدته انتصاراً للدين بزعمهم لانه عقد على بنت عقداً شرعياً قابلا للفسخ بطلب الولي على اثبات عدم كفاءته وزعموا أنهم يريدون بذلك خدمة الدين والدفاع عنه . على انا اذا قدر الامر مرفوع الى المحكمة الشرعية فهلا انتظروا ماتحكم به فان أجازت العقد وحكمت بالكفاءة والا أطلقوا أسنة أقلامهم على صاحب المؤيد لانشائه عقداً يحتمل الفسخ غروراً بكفاءته أو جهلا بعاقبته ، او اكتفوا بذم العمل من الوجهة الاجتماعية ، وجعلوه كعادتهم قادحاً فى الوطنية ، وتركوا الكلام في الدين ، للعاملين به من العالمين ،

اذا كانوا يغارون على الدين كما زعموا فلماذا لايتعلمون عقائده وأحكامه فقد جاء فى جريدة اللواء أنه اذا لم ينفذ حكم المحكمة بالحيلولة بين صاحب المؤيد وزوجته تكون إرادة الله تعالى معطلة ! ! ولو جاز أن تكون الارادة معطلة لجاز أن تكون القدرة كذلك لأن القدرة تتعلق بما تتعلق به الارادة قطعاً ولكن جريدة اللواء تجهل الارادة الالهية بمعنى الارادة السلطانية يجوز أن تنفذ ويجوز أن لاتنفذ . فهلا تعلم أصحابها عقيدتهم وغاروا عليها . واذا كانوا يغارون على أحكام الدين كما يزعمون فلماذا يمدحون ويطرون الاعمال المجمع على تحريمها وكفر مستحلها كالمرقص الذى يكون في قصر الامير بين النساء والرجال مع الدعوة الى شرب الخمر جهاراً . واذا كانوا يغارون على كرامة البنات ان يفعلن مالا يليق بشرفهن من التزوج بدون إذن آبائهن كما يزعمون فلماذا قام زعيمهم صاحب جريدة اللواء يندد بعمل محافظ مصر السابق عند ما أراد التشديد على النساء المتهتكات فى الشوارع والاسواق وتبعه في ذلك كثير من الجرائد حتى اضطروا الحكومة الى منع المحافظة من ذلك وعاد النساء الى تبرجهن المحرم بعدما كدن يقلعن عنه ؟ فآية الصدق فى المدافعة على الدين ان يكون المدافع عالماً عاملا بالدين لايحابي فيه كبيراً ولا صغيراً ، ولا سلطاناً ولا أميراً ، وهؤلاء لايتعلمون ولا يعملون ، ولكنهم يحلون بأهوائهم ويحرمون ، ويرتكبون سبعين منكراً بدعوى إزالة منكر واحد ولا يبالون ، فاعتبروا بهم رشديكم أيها المسلمون ،

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — السبت غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٢ — ١٣ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٤ ﴾

﴿ القسم الديني ﴾

﴿ تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ *

ذكر الجلال أن الآية الأولى نزلت فيمن حرم السوائب ونحوها ولكنه لم يذكر ذلك في أسباب النزول وقد كان هذا في طوائف من العرب كمدلج وبني صعصعة وقال الأستاذ الامام لو صح أن الآية نزلت

فى ذلك لما كان مقتضيا فصل الآية مما قبلها وجعلها كلاما مستأنفا لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على أن الظاهر من السياق أن الكلام متصل بما قبله أتم الاتصال فان الآيات الأولى بينت حال متخذي الأنداد وما سيلاقون من عذاب الله تعالى ، وقد قلنا فى تفسيرها أن الأنداد قسمان قسم يتخذ شارعا يؤخذ برأيه فى التحليل والتحريم من غير أن يكون بلاغا عن الله ورسوله بل يجعل قوله وفعله حجة بذاته لا يسئل من أين أخذه وهل هو فيه على هدى من ربه أم لا ، وقسم يعتمد عليه في دفع المضار وجلب المنافع من طريق السلطة الغيبية لا من طريق الأسباب حتى إنهم ليعتمدون على إغاثة هؤلاء الأنداد بعد موتهم وخروجهم من عالم الأسباب ، ثم بينت أن الناس يتبع بعضهم بعضا في ذلك وان سيتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا عند رؤية العذاب وتقطع الأسباب بينهم ، وقلنا فى تفسيرها إن الأسباب هي المنافع التي يجنيها الرؤساء من المرؤسين والمصالح الدنيوية التي تصل بعضهم ببعض . وفى هذه الآيات يبين تعالى أن تلك الأسباب محرمة لأنها ترجع الى أكل الخبائث واتباع خطوات الشيطان ونهى عنها وبين سبب جمودهم على الباطل والضلال وهو الثقة بما كان عليه الآباء من غير عقل ولا هدى ، فالكلام متمم لما قبله قطعاً

قال تعالى (يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا) الحلال هو غير الحرام الذى نص عليه فى قوله تعالى «قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أودما مسفوحا أولحم خنزير فانه رجس أوفسقا أهلّ لغير الله به » فما عدا هذا كله مباح بشرط أن

يكون طيبا. وفسر الجلال الطيب بالحلال على أنه تأكيد أو بالمستلذ ورجح الأستاذ الامام أنه مالا يتعلق به حق الغير وهو الظاهر لأن المراد بحصر التحريم فيما ذكر المحرم لذاته الذي لايحل الا للمضطر وبقي المحرم لعارض فتعين بيانه وهو مايتعلق به حق الغير ويؤخذ بغير وجه صحيح كما يكون فى أكل الرؤساء من المرؤسين بلا مقابل الا أنهم رؤساؤهم المسيطرون عليهم وكذلك أكل المرءوسين بجاه الرؤساء فان كلامنهما يمد الآخر ليستمد منه في غير الوجوه المشروعة التي يتساوى فيها جميع الناس ، وبهذا التفسير يتحرر ماأباحه الدين وتلتئم الآية مع ماقبلها. وأتبع الأمر النهي فقال (ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوّ مبين) أما خطواته فهي مايبينه فى الآية التالية وأما كونه عدوّا مبينا فهو لا يتوقف على معرفة ذاته وانما يعرف الشيطان بهذا الأثر الذي ينسب إليه وهو وحي الشر وخواطر الباطل والسوء فى النفس فهو منشأ هذا الوحي والخواطر الرديئة قال تعالى « شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » ولا أبين وأظهر من عداوة داعية الشر والضلال فعلى الانسان أن يلتفت الى خواطره ويضع لها ميزانا فاذا مالت نفسه أوعرض له سبب معاونة عامل على خير أو صدقة على بائس فقير فعارضه خاطر التوفير والاقتصاد فليعلم أنه من وحي الشيطان ولا ينخدع لما يسوّله له من إرجاء هذا العطاء لأجل وضعه فى موضع أنفع ، وبذله لفقير أحوج ، واذاهم بدفاع عن حق وأمر بمعروف أونهي عن منكر فخطر له مايثبط عزمه أو يمسك لسانه فليعلم أنه من وسواس الشيطان ، وأظهر وحي الشياطين الاندفاع الى التحريم والتحليل لأجل المنافع التي تلبس على المتجرىء عليها

بالمصلحة وسياسة الناس ، كأنه قال لا تتبعوا وحي الشر وخواطره تلمّ بكم وتطوف فى نفوسكم ثم بين ذلك بما يفيد تعليل النهي فقال

(انما يأمركم بالسوء والفحشاء) فأما السوء فهو كل مايسوءك وقوعه أو عاقبته فمن الشرور مايقدم عليه المرء مندفعا بتزيين الشيطان العمل له حتى حتى اذا فعل الشر فاجأه السوء وعاجله الضرر ، ومن الأعمال مالا يظهر السوء فى بدايته ، ولكنه يتصل بنهايته ، كمن يصده عن طلب العلم أن بعض المتعلمين أضاع وقته وبذل كثيرا من ماله ثم لم يستفد من التعلم شيئا ، فهذا قياس شيطاني يصرف بعض الناس عن طلب العلم بأنفسهم وبعض الآباء عن تعليم أولادهم فتكون عاقبتهم السوءى فلا بد من البصيرة والتأمل في تمييز بعض الخواطر الشيطانيـة فان منها مالا يظهر بادي الرأي ،

وأما الفحشاء فكل مايقبح فى أعين الناس من المعاصي والآثام ولا يختص بنحو الزنا كما قال بعضهم والفحشاء في لغالب أقبح وأشد من السوء . وأسوأ السوء مبدأ وعاقبة ترك الأسباب الطبيعية التى قضت حكمة البارىء بربط المسببات بها اعتمادا على أشخاص تعتقد فيهم السلطة الغيبية والتصرف فى الأكوان بدون اتخاذ الاسباب ، ومثله اتخاذ رؤساء فى الدين يؤخذ بقولهم ويعتمد على فعلهم ، من غير أن يكون بيانا وتبليغا لما جاء عن الله ورسوله فان فى هذين النوعين من السوء إهمالا لنعمة العقل وكفرا بالمنعم بها ، واعراضا عن سنن الله تعالى وجهلا باطرادها ، وصاحبـه كمن يطلب من السراب الماء ، أو ينعق بما لا يسمع غير الدعاء والنداء ، وهذا شأن متخذي الأنداد ، ومن يضلل الله فما له من هاد ، وأما الرؤساء الذين يحملون العامة على هذا التقليد فى الأمرين فقد بين تعالى اتباعهم لوحي الشيطان بقوله (وأن تقولوا

على الله مالا تعلمون) وهذا أقبح ما يأمر به الشيطان فانه الأصل فى إفساد العقائد، وتحريف الشرائع، واستبدال الذي هو أدنى بالذى هو خير، أليس من القول على الله بغير علم زعم هؤلاء الرؤساء ان لله وسطاء بينه وبين خلقه لا يفعل سبحانه شيئا بدون وساطتهم خولوا بذلك قلوب عباده عنه وعن سننه فى خلقه ووجهوها الى قبور لا تعد ولا تحصى والى عبيد ضعفاء لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا، أليس من القول على الله بغير علم ما اختلقوه من الحيل لهدم ركن الزكاة وهو من أعظم أركان الاسلام، أليس من القول على الله بغير علم مازادوه فى أحكام العبادة والحلال والحرام عما ورد فى الكتاب والسنة المبينة له والنبي صلى الله عليه وسلم يقول عن الله تعالى « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » ؟ بلى. قال الأستاذ الإمام هنا: كل من يزيد فى الدين عقيدة أوحكما من غير استناد الى كتاب الله أو كلام المعصوم فهو من الذين يقولون على الله مالا يعلمون، : ومثل لذلك بالزائرات للقبور وما يأتينه هناك من البدع والمنكرات باسم الدين، وبتشييع الجنائز بقراءة البردة ونحوها بالنغمة المعروفة وبحمل المباخر الفضية والأعلام أمامها، وبالاجتماع لقراءة الدلائل ونحوها من الأوراد بالصياح الخاص، وقال ان كل هذا جاء من استحسان ما عند الطوائف الأخرى، وليس فى الاسلام صيحة غير صيحة الأذان، وقد قال تعالى في الصلاة « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها » وأما التلبية فلم يشرع فيها رفع الأصوات والصياح وإنما يكون العجيج من كثرة الناس واختلاف أصواتهم وان لم يرفعوا عقيرتهم جهد المستطاع كما يفعل مقلدة التصوف.

قال وان كثيرا من البدع فى العقائد والاحكام قد دخلت على المسلمين بتساهل رؤساء الدين وتوهمهم أنها تقوي أصل العقيدة وتخضع العامة لسلطان الدين - أولسلطانهم المستند الى الدين - ولقد دخلت كنيسة بيت لحم فسمعت هناك أصواتا خيل الي أنها أصوات طائفة من أهل الطريق يقرأون حزب البر مثلا ثم علمت أنهم قسيسون ، فهذه البدع قد سرت إلينا منهم كما سرت اليهم من الوثنيين ، استحسنا منهم ما استحسنوه من أولئك توهما أنه يفيد الدين أبهة وفخامة ويزيد الناس به استمساكا ، فكان أن ترك الناس مهمات الدين اكتفاء بهذه البدع فإن أكثر الصائحين فى الأضرحة وقباب الأولياء وفى الطرق والأسواق بالأوراد والأحزاب لا يقيمون الصلاة ومن عساه يصلي منهم فانه لايحرص على الجماعة بعض حرصه على الاجتماع للصياح بقراءة الحزب فى ليلة الولي فلان . ولقد أنس الناس بهذه البدع ،واستوحشوا من شعائر الدين والسنن ، حتى ظهر فيهم تأويل قوله عزوجل -

(وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا)

لم يخاطب هؤلاء ببطلان ماهم عليه وتشنيعه خطابا بل حكى عنهم حكاية وبين فساد مذهبهم فيها كأنه أنزلهم منزلة من لا يفهم الخطاب ولا يعقل الحجج والدلائل كما بين ذلك بالتمثيل الآتي . ولو كان للمقلدين قلوب يفقهون بها لكانت هذه الحكاية كافية بأسلوبها لتنفيرهم من التقليد فانهم فى كل ملة وجيل يرغبون عن اتباع ما أنزل الله استئناسا بما ألفوه مما ألفوا آباءهم عليه وحسبك بهذا شناعة اذ العاقل لا يؤثر على ما أنزل الله تقليد احد من الناس مهما كبر عقله وحسن سيره إذ ما من عاقل الا وهو

عرضة للخطأ فى فكره ، وما من مهتد الا ويحتمل أن يضل فى سيره ، فلا ثقة فى الدين الا بما أنزل الله ، ولا معصوم الا من عصم الله ، فكيف يرغب العاقل عما أنزل الله الى اتباع الآباء مع دعواه الايمان بالتنزيل ، على أنه لولم يكن مؤمنا بالوحي لوجب أن ينفره عن التقليد قوله تعالى (أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) فان هذا حجة عقلية لا تنقض أي أيتبعون ما ألفوا عليه آباءهم ولو كان آباؤهم لا يسلكون طريق العقل بالاستدلال على أن ماهم عليه من العقائد هو الحق ، ولا يهتدون طريق الاعتدال المشروع فى أعمالهم وأحوالهم ، قال الجلال : لا يعقلون شيئا من أمر الدين : وقال الأستاذ الإمام عقل الشيء معرفته بدلائله ، وفهمه بأسبابه ونتائجه ، وأقرب الناس الى معرفة الحق الباحثون الذين ينظرون فى الدلائل بقصد صحيح ولو فى غير الحق لأن الباحث المستدل اذا أخطأ يوما فى طريق الاستدلال أوفى موضوع البحث فقد يصيب فى يوم آخر لأن عقله يتعود على الفكر الصحيح واستفادة المطالب من الدلائل ، وأبعد الناس عن معرفة الحق المقلدون ، الذين لا يبحثون ولا يستدلون ، لأنهم قطعوا على أنفسهم طريق العلم ، وسجلوا على عقولهم الحرمان من الفهم ، فهم لا يوصفون بإصابة لأن المصيب هو من يعرف أن هذا هو الحق والمقلد إنما يعرف ان فلانا يقول إن هذا هو الحق فهو عارف بالقول فقط. ولذلك ضرب لهم المثل فى الآية الآتية بعد ماسجل عليهم الضلالة بعدم استعمال عقولهم

فان قيل إن الآية إنما تمنع اتباع غير من يعقل الحق ويهتدي الى حسن العمل والصواب فى الحكم ولكنها لا تمنع من تقليد العاقل المهتدي :

نقول ومن أين يعرف المقلد أن متبوعه يعقل ويهتدي اذا لم يقف على دليله ؟ فان هو اتبعه في طريقة الاستدلال حتى وصل الى ما وصل على بصيرة فان الآية لاتنعي عليه هذا إذ هو استفادة للعلم محمودة . قال الاستاذ الامام : رأيت لبعض السلف أنه قال لو أن شخصا رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى حياته وسمع قوله واقتدى به من غير نظر في نبوته يؤدي الى الوصول الى اعتقاد صحتها بالدليل لعد مقلدا ولم يكن على بصيرة كما أمر الله المؤمن أن يكون

قال تعالى فى المقلدين انهم لايعقلون شيئا وربما يشكل هذا العموم على بعض الأفهام وقد بين له الاستاذ الامام ثلاثة أوجه أحدها أن معناه لايستعملون عقولهم فى شئ مما يجب العلم به بل يكتفون فيه كله بالتسليم من غير نظر ولا بحث وهو مامر ، وثانيها أنه جار على طريقة البلغاء في المبالغة بجعل الغالب أمراً كلياً عاما ، يقولون فى الضال فى عامة شؤنه أنه لايعقل شيئا ولا يهتدي الى صواب ، ويقولون فى التلبد أنه لايفهم شيئا ، وهذا لاينافي أن يفهم الثاني بعض المسائل ويعقل الاول بعض الاشياء وثالثها أنه ليس الغرض من العبارة نفي العقل عن آبائهم بالفعل وانما المراد منها : أيتبعون آباءهم لذواتهم كيفما كان حالهم حتى لو كانوا لايعقلون ولا يهتدون ؟ كأنه يقول ان اتباع الشخص لذاته منكر لاينبغي ، وهذا قول مألوف فمن يقول أنا أتبع فلانا فى كل ما يعمل يقال له أتتبعه ولو كان لايعمل خيرا ؟ أي ان من شأن من يتبع آخر لذاته لالكونه محسنا ومصيبا أن يتبعه فى كل شئ وان كان كل عمله باطلا لأنه لا يفرق بين الحق والباطل والخير والشر الا من ينظر ويميز وهذا لايتبع أحدا لذاته كيفما كان حاله

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

(تابع لما في الجزء السابع)

(الوجه التاسع والستون) قولكم انكم فى تقليدكم بمنزلة المأموم مع الامام والمتبوع مع التابع فالركب خلف الدليل : جوابه انا والله حولها ندندن ولكن الشأن في الامام والدليل والمتبوع الذي فرض الله على الخلائق أن تأتم به وتتبعه وتسير خلفه وأقسم الله سبحانه بعزته أن العباد لوأتوه من كل طريق واستفتحوا من كل باب لم يفتح لهم حتى يدخلوا خلفه فهذا لعمر الله هو امام الخلق ودليلهم وقائدهم حقا ولم يجعل الله منصب الإمامة بعده الا لمن دعا اليه ودل عليه وأمر الناس ان يقتدوا به ويأتموا به ويسيروا خلفه وأن لاينصبوا لنفوسهم متبوعا ولا إماما ولادليلا غيره بل يكون العلماء مع الناس بمنزلة أئمة الصلاة مع المصلين كل واحد يصلي طاعة لله وامتثالا لأمره وهم في الجماعة متعاونون متساعدون وبمنزلة الوفد مع الدليل كل واحد يحج طاعة لله وامتثالا لأمره لا ان المأموم يصلي لاجل كون الامام يصلي بل هو يصلي صلى إمامه اولا . بخلاف المقلد فانه انما ذهب لقول متبوعه لانه قاله لا لأن الرسول قاله ولو كان كذلك لدار مع الرسول أين كان ولم يكن مقلدا فاحتجاجهم بامام الصلاة ودليل الحاج من أظهر الحجج عليهم ، يوضحه —

(الوجه السبعون) ان المأموم قد علم ان هذه الصلاة هي التى فرضها الله على عباده وانه وامامه في وجوبها سواء وان هذا البيت هو الذي فرض الله حجه على كل من استطاع اليه سبيلا وانه هو والدليل في هذا الفرض سواء فهو لم يحج تقليدا للدليل ولم يصل تقليدا للامام . وقد استأجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دليلا يدله على طريق المدينة لما هاجر الهجرة التي فرضها الله عليه وصلى خلف عبدالرحمن بن عوف مأموما . والعالم يصلي خلف مثله ومن هو دونه بل خلف من ليس بعالم وليس ذلك من تقليده فى شيء ، يوضحه —

(الوجه الحادي والسبعون) ان المأموم يأتي بمثل مايأتي به الامام سواء ، والركب يأتون بمثل مايأتي به الدليل ، ولو لم يفعلا ذلك لما كان هذا متبعا فالمتبع للأئمة هو الذي يأتي بمثل ماأتوا به سواء من معرفة الدليل وتقديم الحجة وتحكيمها حيث كانت ومع

من كانت فهذا يكون متبعا لهم ، وأما مع إعراضه عن الاصل الذى قامت عليه إمامتهم ويسلك غير سبيلهم ثم يدعي أنه مؤتم بهم فتلك أمانيهم ويقال لهم « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

(الوجه الثاني والسبعون) : قولكم ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتحوا البلاد وكان الناس حديثي عهد بالاسلام وكانوا يفتونهم ولم يقولوا لأحدهم «عليك ان تطلب الحق في معرفة هذه الفتوى بالدليل» : جوابه إنهم لم يفتوهم بآرائهم وإنما بلغوهم ماقاله نبيهم وفعله وأمر به فكان ماأفتوهم به هو الحكم وهو الحجة وقالوا لهم هذا عهد نبينا الينا وهو عهدنا اليكم فكان مايخبرونهم به هو نفس الدليل وهو الحكم فان كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الحكم وهو دليل الحكم وكذلك القرآن ، وكان الناس اذ ذاك انما يحرصون على معرفة ماقاله نبيهم وفعله وأمر به وانما تبلغهم الصحابة ذلك فاين هذا من زمان انما يحرص الناس فيه على ماقاله الآخر فالآخر وكلما تأخر الرجل أخذوا كلامه وهجروا أو كادوا يهجرون كلام من فوقه حتي تجد أتباع الأئمة أشد الناس هجرا لكلامهم وأهل كل عصر انما يقضون ويفتون بقول الأدنى فالادنى اليهم وكلما بعد العهد ازداد كلام المتقدم هجرا ورغبة عنه حتى ان كتبه لاتكاد تجد عندهم منها شيئا بحسب تقدم زمانه(١). ولكن أين قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للتابعين : لينصب كل منكم لنفسه رجلا يختاره ويقلده دينه ولايلتفت الى غيره ولايتلقى الأحكام من الكتاب والسنة

(١) المنار : أن السبب الطبيعي للتقليد هو ثقة الانسان بمن يراه أعلم منه ولثقة المتأخرين بمشايخهم يأخذون أقوالهم بالقبول وان خالفت أقوال الائمة مع اعتراف شيوخهم بأنهم مقلدون ويحتجون على هذا بما يحتج به المشايخ على وجوب تقليد الائمة وتقديم أقوالهم على نصوص الشارع وهو انهم أعلم بكلام الشارع منا. فالشافعية فى مصر مثلا يقولون قال الشرقاوي أن ميضة السيد البدوي مستثناة من المياه النجسة والمتغيرة فيجوز الوضوء منها فاذا قيل لهم هذا مخالف لكلام الشافعي وأصحابه قالوا هو أعلم بكلامهم منا وقد قال ماقال !! وهكذا اتباع كل طائفة فهم لايقلدون الائمة الا بما يجيزه مشايخهم فهم مقلدون للمقلدين وهذا باطل بالاجماع ولكن ماذا تقول للمقلد الذى يستدل بجهله ولايقبل الدليل

بل من تقليد الرجال فاذا جاءكم عن الله ورسوله شيء وعن من نصبتموه إماماتقلدونه (قول يخالفه) فخذوا بقوله ودعوا مابلغكم عن الله ورسوله :؟ فوالله لو كشف الغطاء وحقت الحقائق لرأيتم نفوسكم وطريقكم مع الصحابة كما قال الاول :

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل

وكما قال الثاني

سارت مشرّقة وسرت مغرّبا شتان بين مشرّق ومغرّب

وكما قال الثالث

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماني

(الوجه الثالث والسبعون) قولكم: إن التقليد من لوازم الشرع والقدر والمنكرون له مضطرن اليه ولابد كما تقدم بيانه من الاحكام: جوابه أن التقليد المنكر المذموم ليس من لوازم الشرع وان كان من لوازم القدر بل بطلانه وفساده من لوازم الشرع كما عرف بهذه الوجوه التي ذكرناها وأضعافها وانما الذي من لوازم الشرع المتابعة. وهذه المسائل التي ذكرتم انها من لوازم الشرع ليست تقليدا وإنما هي متابعة وامتثال فان أبيتم الاتسميتها تقليدا فالتقليد بهذا الاعتبار حق وهو من الشرع ولايلزم من ذلك ان يكون التقليد الذي وقع النزاع فيه من الشرع ولامن لوازمه وإنما بطلانه من لوازمه. يوضحه

(الوجه الرابع والستون) ان ما كان من لوازم الشرع فبطلان ضده من لوازم الشرع فلو كان التقليد من لوازم الشرع لكان بطلان الاستدلال واتباع الحجة فى موضع التقليد من لوازم الشرع فان ثبوت أحد النقيضين يقتضي انتفاء الآخر وصحة أحد الضدين توجب بطلان الآخر. ونحرره دليلا فنقول لوكان التقليد من الدين لم يجز العدول عنه الى الاجتهاد والاستدلال لأنه يتضمن بطلانه. فان قيل: كلاهما من الدين وأحدهما أكمل من الآخر فيجوز العدول من المفضول الى الفاضل: قيل اذا كان قد انسد باب الاجتهاد عندكم وقطعت طريقه وصار الفرض هو التقليد فالعدول عنه الى ماقدسد بابه وقطعت طريقه يكون عندكم معصية وفاعله آثم؛ وفى هذا من قطع طريق العلم وإبطال حجج الله وبيناته وخلوّ الأرض من قائم لله بحججه مايبطل هذا القول

ويدحضه، وقد ضمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لاتزال طائفه من أمته على الحق لايضرهم من خذلهم ولامن خالفهم حتى تقوم الساعة،وهؤلاء هم أولوالعلم والمعرفة بما بعث الله به رسوله فانهم على بصيرة وبينة بخلاف الأعمى الذى قد شهد على نفسه بأنه ليس من أولي العلم والبصائر . والمقصود أن الذى هو من لوازم الشرع فالمتابعة والاقتداء وتقديم النصوص على آراء الرجال وتحكيم الكتاب والسنه فى كل ماتنازع فيه العلماء ٠ وأما الزهد في النصوص والاستغناء عنها بآراء الرجال وتقديمها عليها والانكار على من جعل كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة نصب عينيه وعرض أقوال العلماء عليها ولم يتخذ من دون الله ولارسوله ولاالمؤمنين وليجة فبطلانه من لوازم الشرع ولايتم الدين الاباءنكاره وإبطاله ، فهذا لون والاتباع لون والله الموفق

(الوجه الخامس والسبعون) قولكم : كل حجة أثرية احتججتم بها على بطلان التقليد فانتم مقلدون لحملتها ورواتها ليس بيد العالم الاتقليد الراوي ولايد الحاكم الا تقليد الشاهد ولايد العامي الاتقليد العالم الى آخره: جوابه ماتقدم مرارا من أن هذا الذي سميتموه تقليدا هواتباع أمر الله ورسوله ولوكان هذا تقليدا لكان كل عالم على وجه الأرض بعد الصحابة مقلدا بل كان الصحابة الذين أخذوا عن نظرائهم مقلدين ومثل هذا الاستدلال لايصدر الامن مشاغب أوملبس يقصد لبس الحق بالباطل . والمقلد لجهله أخذ نوعا صحيحا من أنواع التقليد واستدل به على النوع الباطل منه لوجود القدر المشترك وغفل عن القدر الفارق وهذا هو القياس الباطل المتفق على ذمه وهو أخو هذا التقليد الباطل كلاهما فى البطلان سواء٠ واذا جعل الله سبحانه خبر الصادق حجة وشهادة العدل حجة لم يكن متبع الحجة مقلداء واذا قيل انه مقلد للحجة فحيهلا بهذا التقليد وأهله وهل ندندن الاحوله . والله المستعان.

باب السؤال والفتوى

فتحناهذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربماقدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أوثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عند ناسبب صحيح لاغفاله

فناء الاجساد والحشر - إشكال

(س٥١) مصطفى أفندى رشدي المورلي بنيابة (الزقازيق) : قلتم عند الرد في

المنار على السائل هل الحشر بالاجساد أو الارواح فقط انه بالروح لان الجسم يفنى كل عشرات من السنين كذلك الدم فى كل شهور (كذا) فاذا قلنا ان الجسم يتغير فى حال الحياة كما أثبته الطب فلماذا نرى الوشم الاخضر ثابتا على الاجسام طول العمر من الصغر الى الكبر

(ج) اننا لم نقل بان الحشر يكون بالارواح فقط كما يفهم من السؤال بل صرحنا بأن الحشر يكون بالروح والجسد ولكن لا يجب ان يكون الجسد الذي يعود هو الذي كانت الاعمال التكليفية به لان هذا الجسد لاثبات له كما قلنا بل هو يتحلل فى كل بضع سنين ويبدل بغيره تدريجا ويبقى الانسان كما هو فاذا عاد في الآخرة بغير هذا الجسد لا يستلزم ذلك ان تكون الحقيقة قد تغيرت لان الحقيقة هي الروح وما الجسم الاثوب لها كما أوضحناه هناك فليراجع . اما الاشكال الذي أورده السائل على ماتقرر فى العلم من تبدل جسد الانسان مرات كثيرة فجوابه أنه كلما انحلت دقيقة من دقائق الجسم تخلفها دقيقة حية مثلها كما وكيفا والوشم من الكيفيات التي تنتقل من الدقائق الميتة الى الدقائق الحية عند التحليل والتركيب لأنه ليس صبغا على ظاهر الجلد بل هو مما يتأثر به الدم والعصب فيكون كاللون الطبيعي . كذلك آثار الجروح في البدن تكون ثابتة فالخلايا الحية التي تخلف المنحلة فى موضع الاندمال تأخذ شكلها الأول وعلى ذلك فقس

﴿ الحيلة والتوهم في دعوى مشاهدة أشباح الشهداء ﴾

(س ٥٢) م.غ. فى (سوريا): قرأت في العدد الخامس من منار هذه السنة جوابكم على السؤال التاسع عشر فذكرني واقعة جرت معي وأنا في السابعة أو الثامنة من العمر فاحببت ان أقصها على سيادتكم لأرى رأيكم فيها. كنت فى مدرسة وكان الطريق اليها قريبا من مقبرة فكان دأبي أن أمر على المقبرة كل يوم صباح مساء لأقرأ الفاتحة لشهيد فيها يسمونه زين العابدين ، فيوماً أنا واقف فى قبة هذا الشهيد رأيت يداً مجردة عن الجسم تدور فوق الصندوق الموضوع على قبره فحدقت بصري برهة لارى بقية الجسد فلم أرشيئا فدهشت حينئذ واستولى عليّ الجزع وفررت هارباً الى البيت وقصصت مارأيته على والدتي ، ولم أزل أتذكر ذلك كلما مررت بطريق ذلك الشهيد فالمرجو من فضيلتكم

كشف القناع عن هذا الامر، على أنكم تعلمون حق العلم أنني من أشد الناس انكاراً للبدع والخرافات والاوهام والضلالات لا أخاف فى ذلك لومة لائم لاني أعتقد أن المحاباة في دين الله غير جائزة ولو لغرض صحيح كما أوضحتموه فى المنار الزاهر غير مرة

(ج) يزعم الألوف من المصريين أنهم يرون أشباح الشهداء فى البهنسا تطوف فى أعلى قبة هناك وقد أراد بعض علماء الازهر اكتشاف هذا الامر الذي يستدفيه العوام الى المشاهدة فذهب غير واحد الى هناك غير مرة فتبين لهم أن هذه الكرامة مصنوعة للمرتزقين هناك من السدنة وان الذي يرى في القبة إنما هو ظلال رجال يطوفون وقت الاصيل حول القبة في مكان يحاذي الكوى من أعلاها فيوهم السدنة النساء والاطفال ومن فى حكمهم من الرجال أنها شخوص الشهداء . حدثني بهذا الشيخ محمد بخيت العضو الاول في المحكمة الشرعية العليا والشيخ أبو الفضل الجيزاوي من مدرسي الدرجة الاولى فى الازهر كل على حدته . زاد الاول اكتشاف حيلة أخرى وهي انهم يطلعون الناس في قبر هناك على رأس مكسو بشعر طويل يزعمون أنه رأس شهيد لم يتغير بمرور القرون عليه ولكن الشيخ وصل الى الرأس فاذا هو جمجمة قديمة بالية واذا بالشعر قد ألصق عليها حديثا بنحو صمغ أو غراء ، لأجل التغرير والاغراء، وهؤلاء الدجالين حيل كثيرة في خداع الأغرار، وحسبك قصة أحمد المغربي السابقة فى الاعتبار ،

وهناك تعليل آخر لما يتراءى لبعض الناس من نحو الذى ظهر لكم وهو أن اشتغال الخيال بالشئ من هذا القبيل ينتهي احيانا بتمثل بعض الخيالات للمرء كأنها محسوسة كما شرحنا ذلك في مبحث رؤية الأرواح من مقالات الخوارق والكرامات فراجعه في مجلد المنار السادس فالأرجح عندي أن ماظهر لكم من هذا القبيل . ومنه مانسب الى الشيخ أحمد الرفاعي أو الى الشيخ علي ابى شباك الرفاعي من رؤية كف النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة فهي رؤية خيالية لاحقيقية حسية. على أن رؤية الارواح غير مستحيلة عقلا ولكن العاقل لايسلم بخلاف مقتضى الظاهر الا بدليل قطعي لايحتمل التأويل

ودعوى رؤية أرواح الأولياء وأجساد الشهداء كانت شائعة في كثير من بلاد أوربا فى القرون المتوسطة التي يسمونها المظلمة فلما جاء عصر العلم والنور تلاشت تلك الدعاوي فلم يبق لها الأثر ضعيف فى بعض عامة القرى . وكذلك يكون في غير تلك البلاد فان

سنته تعالى في جميع أصناف البشر واحدة. ثم ان المشتغلين بالعلم من الاوربيين يدعون أنهم وصلوا أخيرا الى اكتشاف طريقة صناعية لاستحضار الارواح ورؤيتها وان بعض الناس أشد استعدادا لها من بعض ، فان صح هذا كان طريقا طبيعيا لتعليل بعض المشاهدات ، ولكنها لا تعد من قبيل الكرامات ،

﴿ رائحة الأولياء ورؤيتهم وشفاء المرضى برؤيتهم ﴾

(س ٥٣) أحمد زكي أفندي عبده فى (السويس) : قد اطلعت في الجزء الخامس على جواب سؤال عنوانه (اثبات الولاية بالرؤى والاحلام) حملني على سؤال حضرتكم عما يحصل فى بعض البيوت التي فيها قبور تنسب الى بعض أولياء الله تعالى من الرائحة الذكية التي تحدث في ليال معلومة من كل شهر تقريبا على اني شممت هذه الرائحة وما كان فى البيت بخور .. وأذكر لحضرتكم أن وجيها حدثني بأنه مرض منذ سنين مرضا حار في علاجه الاطباء ، فعز الشفاء ولم ينجح الدواء ، الى أن رأى ذات ليلة وهو بين النائم واليقظان شخص ولي مدفون فى البيت دخل عليه ووضع يده على خده مدة قليلة ثم رجع من حيث أتى . وما جاء الصبح الا وقد شفي من مرضه وعافاه الله. وانه وصف اليد بأنها ليست يد آدمي وانها كوسادة ناعمة لينة محشوة قطنا وضعت على خده ثم رفعت . أرجو الافادة عن هذه الحوادث وما يشاكلها من رؤية الولي المدفون في البيت يصلي أو يسبح او يتوضأ مما هو شائع أمره ولكم من الله الاجر.

(ج) ما من مسألة من المسائل التي تضمنها هذا السؤال الا وقد تقدم في المنار ما يفهم منه تعليلها الا الرائحة ولكن أكثر الناس يحبون ان نكتب لكل جزئية تعليلا فاما الرائحة الذكية فسببها أن بعض الناس يضعون البخور او الاعطار عند قبر الولي في الليالي المعهودة بلا شك وهو أمر قد عرفناه واختبرناه ٠ ولقد حدث لنا ما هو أبعد منه عن التأويل وهو أننا كنا في أيام سلوك الطريقة النقشبندية نشم في وقت الذكر رائحة ذكية جدا تأتي نفحة بعد نفحة ثم تذهب ولقد كنا نعللها أولا اذا حدثت ونحن في حلقة الذكر الاجتماعي التي يسمونها الختم بأن بعض الحاضرين فتح زجاجة عطرية ثم سدها ونحن لا نراه لان أعيننا تكون مغمضة مدة الختم ثم ان ذلك صار يحدث لنا ونحن نذكر الله تعالى ولو فى خلوة بابها مغلق وليس معنا فيها أحد ٠ وانا مع عجزنا عن تعليل طبيعي لذلك نجزم بأن ما يشم عند القبور عادة له سبب طبيعي وهو ما ذكرناه آنفا لأنه لو كان أمرا روحانيا او وهميا لما كان عاما يشمه كل من حضر بل الروحانيون او الواهمون خاصة

وأما المريض الذي شفي عقيب الرؤيا فلك أن تعلل شفاءه بما تقدم شرحه في بحث (إبراء العلل) بالكرامة أو الوهم من المجلد السادس. على ان صاحبك قد طال عليه زمن المرض ومن الامراض ما يشفى بدون علاج اذا انتهى سيره وأعرف رجلا في طرابلس مرض مرضا طويلا لم ينجع فيه علاج حتى اذا كان ذات ليلة شعر بان في غرفته صينية من (الكبيبة) فزحف على استه وكان لايقدر على القيام حتى وصل اليها فأكلها برمتها ولم يكن فى حال الصحة ليقدر على أكل نصفها أو ربعها فأصبح معافى . واذكر أن المقتطف سئل مرة عن رجل مقعد معروف في لبنان رأى ذات ليلة بعض القديسين المعتقدين عندهم أو المسيح أو مريم عليهما السلام (الشك مني) فأصبح يمشي «فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون» ومثل هذه الحكايات كثيرة وتعليلها ماشرحناه من قبل ونبهنا عليه آنفا. فان كان السائل أوغيره يظن أن هذا خاص بالمسلمين فلماذا لم يكن شائعا فيهم أيام كانوا قائمين بحقوق الاسلام في الصدر الأول . ولماذا شاع فيهم بشيوع نزغات الوثنية وضروب البدع والضلالة؟؟ واما رؤية الاولياء فتقدم تعليلها كانبهنا فى جواب السؤال السابق

مسافة القصر فى سكك الحديد

(س ٥٤) رشيد افندي غازي في الشام:

لايخفى أن علماء الفروع قد حددوا سفراً مخصوصاً للمسافر حتى يجوزوا قصر الصلاة به. وهذه المدة تنطبق على المسافر من مدينة بيروت الى دمشق أو من حمص الى طرابلس أو منها الى دمشق أو من مصر الى الاسكندرية فلو تزوج دمشقي مثلا من بيروت ثم سافر الى بلده على القطار الحديدي ومعه أهله واثاث بيته وقطع المدة المعلومة في بضع ساعات فهل يجوزوا له قصر الصلاة أم لا. واذا جازله فهل من دليل على ذلك يثلج له الصدور وتطمئن له النفس أم لا . ولو ادعى مدع أن القصر فى هذه المدة القليلة غير جائز فما الدليل المصادم لدليله على طريقة الاصوليين . فلذلك أحببت نشر هذا السؤال على صفحات جريدتكم الغراء لتتنوع الاجوبة ولتكون معلومة لعموم المكلفين . اذ لو كان سؤالا خاصاً لعالم خاص لم تحصل الثمرة المطلوبة وهو الهادي

(ج) ان الله تعالى أباح لنا قصر الصلاة والتيمم والفطر فى السفر ولم يحدد لنا طول المسافة فكان مقتضى الظاهر ان تباح هذه الرخص في كل مايطلق عليه اسم السفر لغة

ولكن العلماء حاولوا تحديد أقل مسافة لهذه الرخص بما ورد فيها من قول الشارع أو عمله فاختلفوا فى ذلك على أقوال كثيرة وجعلوا التقدير بالاميال والفراسخ والمراحل والعبرة عندهم بسير الاثقال المعتدلة فمن قطع المسافة المقدرة بأقل من الزمن الذي تقطع فيه بسير الاثقال كان له أن يترخص بلا خلاف فلا فرق اذن بين قطعها فى السكة الحديدية بقوة البخار وقطعها على فرس سابق فلك ان تحج من يعارضك من المقلدين بعدم تفرقة الفقهاء. وأما من يطالب بالحجة الحقيقية فلك ان تحجه باطلاق السفر في الكتاب والسنة مع ماورد في مسند أحمد وصحيح مسلم وسنن أبي داود من حديث شعبة عن يحي بن يزيد الهنائي قال سألت أنسا عن قصر الصلاة فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين: (الشك من شعبة) قال الحافظ ابن حجر فى فتح الباري وهو أصح حديث ورد فى ذلك وأصرحه . وروى سعد ابن منصور من حديث أبي سعيد قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فرسخا يقصر الصلاة» وقد أقره الحافظ فى التلخيص وهو يؤيد رواية الثلاثة الاميال وبه أخذ الظاهرية واما حديث ابن عباس عند الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال «ياأهل مكة لاتقصروا فى أقل من أربعة برد من مكة الى عسفان» ففي إسناده عبدالوهاب بن مجاهد بن جبير وهو متروك ونسبه النووي الى الكذب وقال الازدي لاتحل الرواية عنه فاكثر ماورد فى طول المسافة ثلاثة فراسخ اذا لم نعتبر رواية سعيد بن منصور مرجحة للشق الاول من حديث أنس والا فثلاثة أميال وهو فعل لا ينافي جواز القصر في أقل من ذلك. وأقل ماورد فى المسافة ميل واحد رواه ابن أبي شيبة شيخ البخاري عن ابن عمر باسناد صحيح وبه أخذ ابن حزم مع اطلاق السفر فى الكتاب والسنة وعدم تخصيصه أو تحديده ومع كون النبي (ص) لم يقصر عند خروجه الى البقيع لانه أقل من ميل. وقد يقال انه من ضواحي المدينة فالخروج اليه لا يسمى سفرا والله أعلم وأحكم

تحويل النقود المعدنية الى ذهبية

(س٥٥) عبدالحميد افندي السوسي فى (الاسكندرية): يوجد فى ثغرنا رجل غريب نازل عند أسرة مثرية أخبرني عنه من أثق بقوله أنه توجه اليه ذات يوم بقصد الزيارة واستأذنه فى الدخول فأذن له فدخل وحياه وجلس وبعد ان استقر به المكان أخذا

يتحادثان وكان مخبري معه ولد له يناهز الثامنة فما كان من الشيخ الا أن أعطى الولد (قرش نيكل) فأخذه الولد وبعد هنيهة استرده الشيخ منه ووضعه بين راحتي كفيه وأخذ يد عكه بلطف ويتمتم ويتفل عليه ثم ناوله للولد ثانية واذا هو جنيه انكليزي فاندهش مخبري من عمل هذا الرجل الا انه بعدما انصرف من عنده أخذ من ابنه الجنيه وصرفه من صاحب له وانتظر بعد ذلك ان يتغير الجنيه فلم يتغير وبلغني ان الرجل عمل مثل ذلك مع أفراد آخرين فما رأيكم في ذلك الرجل وفيما عمله أفيدونا

(ج) أن المشعوذين يعملون مثل هذا وأغرب منه والأرجح ان الرجل أخفى القرش بلطف واستبدل به الجنيه الذي أعطاه الولد والظاهر أنه يريد ان يشتهر بذلك ليقبل عليه الطامعون بالغنى من غير طرقه الطبيعية فيبتز من أموالهم أضعاف ماينفقه في سبيل الشهرة بالكيمياء القديمة التى لايزال يفتن بها كثير من الناس فيبيدون ما بأيديهم من النقد لاجل ان يستغنوا به نسيئة وما العهد ببعيد من قضية محمد بك أبي الشادي المحامي صاحب جريدة الظاهر فقد بذل مبلغا عظيما على بعض الناس للقيام بهذا العمل الموهوم فكان كأمثاله من الخائبين

(حديث التفاوت فى التكليف)

(س ٥٦) محمد أفندي كامل الكاتب بالمحكمة الاهلية فى (أسيوط) : ضم أحد إخواننا مجلس جمع من الاكابر عدة بينهم عالم كبير ودار البحث بينهم على حالة الاسلام فذكر هذا العالم حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو : «أنتم فى زمن لو تركتم عشر معشار ماوجب عليكم لهلكتم وسيأتي على أمتي زمن لو فعلوا عشر معشار ماوجب عليهم لنجوا» : ولما كان هذا الحديث لايقبله العقل لمناقضته للقرآن الكريم أخذ صاحبنا يبين للعالم استحالة قبول العقل له بالآيات القرآنية ووافقه الحاضرون لقوة حجته ولكن صاحب الحديث أصرّ عليه . ولما لحضرتكم من الايادي البيضاء على المسلمين فى مثل ذلك جئنا كم راجين فصل الخطاب فى صحة هذا الحديث وعدمها

(ج) الحديث لم يروه أحد بهذا اللفظ مطلقا وحقا انه هادم للدين هدما ولكن روى الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعا « انكم فى زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا » وهو على كونه غير

صحيح قد حملوه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ لا يمكن حمله على جميع التكاليف لما يستلزمه من التفاوت بين الازمنة فى التكليف واللازم باطل باجماع المسلمين وبعموم النصوص القطعية . وقالوا ان السبب فى ذلك أن الاسلام كان عزيزا وكان الناس كلهم أعوانا على الحق والخير فلا عذر للمقصر واما الزمان الاخير فيضعف فيه الاسلام ويقل التعاون على الخير فيكون للمقصر بعض العذر لفقد التعاون وكثرة الموانع من الخير والايذاء فى الله . ويمكن حمله على ما يأمر به الحكام والسلاطين لانه كان فى العصر الاول حقا وخيرا في الغالب ولينظر الناظر بماذا يأمر حكامنا الآن . اما كون الحديث غير صحيح فنعني به أنه لا يكاد يرتقي عن المكذوب الى الضعيف وآفته نعيم بن حماد المحدث الكبير المكثر الذى غرّ كثيرا من المحدثين بعلمه وسعة روايته حتى أخرج له البخاري في المتابعات دون الاصول فهو لا يوثق بما انفرد به ومنه هذا الحديث صرح الترمذي راويه بأنه غريب لا يعرف الاعن حماد وقد عد ابن عدي فى الكامل جملة مما انفرد به ومنه ماصرحوا بوضعه . وفي الميزان عن العباس بن مصعب في تاريخه أن حمادا وضع كتبا فى الرد على الحنفية واخرى فى الرد على الجهمية وكان منهم اولا . وقال ابو داود كان عنده نحو عشرين حديثا عن النبي (ص) ليس لها أصل . وقال الحافظ أبو علي النيسابوري سمعت النسائي يذكر فضل نعيم بن حماد وتقدمه في العلم والمعرفة والسنن فقيل له في قبول حديثه فقال قد كثر تفرده عن الأئمة فصار في حد من لا يحتج به . وقال فى موضع آخر انه ضعيف . وقال الازدي كان نعيم يضع الحديث : ولا شك عندي في ذلك ، ومن علامة وضع الحديث عدم انطباقه على الاصول الثابتة

لبس الحرير والتحلي بالذهب

(س ٥٧) ومنه : هل اتخاذ المسلم الحرير دثارا . والتحلي بالذهب شعارا ، محرم عليه حقيقة باجماع الائمة . ومانص كتاب الله وسنة رسوله في ذلك ؟

(ج) ورد في حديث الصحيحين وغيرهما النهي عن لبس الحرير والوعيد على ذلك بأن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وحملوه على الحرير المحض قالوا ومثله الغالب فيه الحرير لما يأتي وخصه بعضهم كالحنفية باللبس فلا مانع عندهم من الدثار ونحو الزنار وحرم بعضهم كل استعمال حتى أغطية الأواني . وقالوا فالنهي خاص بالرجال لحديث

ابي موسى عند أحمد وأبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم: «أحل الذهب والحرير للاناث من أمتي وحرم على ذكورها»: صححه الترمذي ولكن في إسناده سعيد ابن أبي هند عن أبي موسى قال ابو حاتم انه لم يلقه وقال ابن حبان فى صحيحه ان حديثه عنه لا يصح وقالوا فيه غير ذلك وجملة القول فيه انه لا يحتج به وكذلك حديث علي عند أحمد وأبي داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ حريرا فجعله فى يده اليمنى وأخذ ذهبا فجعله في شماله ثم قال «ان هذين حرام على ذكور أمتي» زاد ابن ماجه «حل لاناثهم» ولا حاجة الى تفصيل ماقالوه في إعلاله والطعن بسنده. ولكن جرى العمل في السلف والخلف على لبس النساء الحرير والتحلي بالذهب

وفى حديث ابن عباس عند أحمد وأبي داود: إنما نهى رسول الله (ص) عن الثوب المصمت من قز أما السدى والعلم فلا نرى به بأسا: ورجال الحديث ثقات ومن ضعف خصيف بن عبد الرحمن من رجاله لم يشك في صدقه وقد وثقه ابن معين وأبو زرعة. واخرجه الحاكم بسند صحيح والطبراني باسناد حسن وثبت في الصحيح أن الصحابة لبسوا الخز وكانت ثياب الخز على عهدهم تنسج من حرير وصوف. وروى أبو داود ان عشرين صحابيا لبسوا الحرير الخالص. وفي حديث عمر عند أحمد ومسلم وأصحاب السنن: ان رسول الله (ص) نهى عن لبوس الحرير الخالص الا هكذا ورفع لنا رسول الله (ص) أصبعيه الوسطى والسبابة وضمهما: وفى لفظ «الا موضع أصبعين أو ثلاثة أو أربعة» زاد أحمد وأبو داود وأشار بكفه وفى حديث البخاري النهي عن الجلوس على الحرير والديباج

هذا ملخص ماورد في السنة مختصرا أما ماورد عن العلماء فقد ادعى بعض الزيدية الاجماع على تحريم الحرير الخالص وهو غير صحيح فقد روى ابن علية وغيره الخلاف في أصل التحريم وكأن الذين أباحوه وهم الاقلون يرون ان الامر والنهي فى الامور الدنيوية العادية للارشاد أي لا للتحليل والتحريم الديني ولهذا نظائر لا خلاف فيها يقولون: الأمر للارشاد، النهي للارشاد: والجماهير على تحريم الحرير الخالص للرجال وعلى حل قدر أربع أصابع من المطرز والموشى ومن السجوف على جوانب الثوب وجيوبه وفروجه وتحريم ما كان الحرير فيه هو الغالب فى النسج وحل ما كان غيره هو الغالب وبعضهم يعتبر قلة الحرير وكثرته فى النسج بالوزن كالشافعية وبعضهم يعتبر النسج فيكفي ان

يكون سداه حريرا ولحمته قطنا او غيره. ومحل هذا الخلاف عند عدم الضرورة او الحاجة ففي حديث عند أحمد والشيخين وأصحاب السنن أن النبي (ص) رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في لبس الحرير لحكة كانت بهما. ورواية الترمذي انهما شكوا اليه القمل. كذلك قد ورد النهي عن المعصفر والاحمر وسيأتي تعليله بعد الكلام على الذهب

اما استعمال الذهب في اللباس فقد ورد فيه عن معاوية قال: «نهى رسول الله (ص) عن ركوب النمار وعن لبس الذهب الامقطعا» : رواه أحمد وأبو داود والنسائي وفي اسناده ميمون القناد فيه مقال وبقية رجال سنده ثقات ورواه ابوداود بسند آخر فيه بقية ابن الوليد وفيه مقال أيضا. والنمار جمع نمر كالنمور في رواية أخرى والمراد بالمقطع ماكان قطعا في نحو سيف اوثوب. واما استعمال الذهب وكذا الفضة في غير اللباس فلم يرد فيها شيء صحيح الا النهي عن الأكل والشرب في أوانيهما وصحافهما والتختم ولم ينقل خلاف في الشرب الا عن معاوية بن قرة وأما الاكل فأجازه الامام داود الظاهري واختلفوا في النهي فحمله بعضهم على الكراهة وهو قول قديم للشافعي وعليه العراقيون من أصحابه. وردوا عليهم بحديث الصحيحين عن أم سلمة مرفوعا «ان الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم» وفي رواية لمسلم «يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة» وفي رواية أحمد وابن ماجه عن عائشة: كأنما يجرجر في بطنه نارا: على التشبيه.

واما التختم بالذهب فقد ورد فيه في الصحيح حديث أحمد ومسلم وأصحاب السنن ماعدا ابن ماجه عن علي انه قال: « نهاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التختم بالذهب وعن لباس القسي وعن القراءة في الركوع والسجود وعن لباس المعصفر» وفي لفظ لأبي داود والترمذي (نهى) ولكن يؤكد لفظ مسلم وغيره رواية: ولا أقول نهاكم: ولذلك ذهب بعض العلماء الى ان هذا النهي خاص بعلي عليه السلام حملا له على المبالغة في الزهد. ومن حرم التختم بالذهب ترجيحا لقول الاصوليين ان الحكم على الواحد حكم على الامة مالم يقم دليل على التخصيص يرد عليه قوله: ولا أقول نهاكم: ويلزمه تحريم المعصفر وقد حمل بعضهم النهي فيه على الكراهة تنزيها وذهب جمهور الامة من الصحابة ومن بعدهم الى إباحة لبس المعصفر. والقسي بفتح القاف ثياب من حرير تنسب الى بلد بمصر وقيل هي كقزي نسبة الى القز المعروف وثم روايات أخرى في النهي عن

خاتم الذهب وخاتم الحديد لان الأول حلية أهل الجنة والثاني حلية أهل النار. وفي حديث أبي هريرة عند أحمد وأبي داود النهي عن حلقة الذهب وسوار الذهب وفيه «ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها لعبا»

وجملة القول انه ثبت فى الصحيح النهي عن الأكل والشرب فى أواني الذهب والفضة مع الوعيد والنهي عن التختم بالذهب وفى حديث مسلم انه شبهه بجمرة من نار ولم أره في المنتقى . وأما مذاهب العلماء فقد حمل الاقلون النهي على التنزيه لا التحريم وذهب داود الى تحريم الشرب فى أواني النقدين واباحة ماعداه من أنواع الاستعمال. وقاس كثير من الفقهاء غير الاكل والشرب عليهما حتى حرم الشافعية اتخاذ الاواني ولو لم تستعمل . فان جعلوا هذا النهي عن الحرير الخالص وعن الاكل والشرب في أواني النقدين تعبديا امتنع القياس على ماورد به النص الصحيح وان قالوا أن له علة ترجع لمصلحة الناس في معايشهم وأخلاقهم فهلم نبحث فيها

اختلفت النصوص والآراء في علة النهي عن لبس الحرير والمعصفر بألفاظ تفيد عموم النهي حتى للنساء مع ثبوت لبس النبي (ص) السندس والديباج الذى أهداه اليه اكيدر دومة ولبس الصحابة له، وعن النهي عن الاكل والشرب في آنية النقدين فقط مع حديث ابن حبان «ويل للنساء من الاحمرين الذهب والمعصفر» . وفي الصحيحين ان ابن الزبير خطب فقال في خطبته: لاتلبسوا نساءكم الحرير فاني سمعت عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتلبسوا الحرير فان من لبسه في الدنيا لم يلبسه فى الآخرة» وروى النسائي والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن عقبة ابن عامر أنه كان يمنع أهله الحلية والحرير: ان كنتم تحبون حلية الجنة وحريرها فلا تلبسوها في الدنيا: وانما ذكرنا هذا هنا لان له علاقة بالتعليل

قال بعض العلماء ان العلة في تحريم الذهب والفضة الخيلاء فهو اذن كجر الثوب لايحرم الا مع الخيلاء، وقال بعضهم انه كسر قلوب الفقراء وقال بعضهم ان العلة اجتماع هذين الامرين وان احدهما لايكفي علة وهذا هو المعتمد عند الشافعية وقالوا أنه يخرج به إباحة استعمال أواني الجواهر كالزمرد والياقوت فانها مباحة إجماعا والخيلاء فيها أظهر منها فى آنية النقدين ولكن ليس فيها كسر لقلوب الفقراء لان أكثرهم لايعرفها على أن الخيلاء محرم في نفسه .

ويفهم من كلام الغزالي علة أخرى وهي تقليل النقود المسكوكة التي هي موازين التعامل وقضاء الحاجات وهذه العلة تظهر في تحريم الآنية دون القليل من الحلي وتنطبق على حديث معاوية المبيح لاستعمال الذهب قطعا صغيرة في نحو حلي للنساء أو زينة في نحو سيف ومنطقة . وقد ورد في الصحيح انه كان لقدح النبي سلسلة من فضة وعند أحمد ضبة من فضة . وبهذا علل الغزالي تحريم الربا وقال ان النقدين كالحاكم فمن جعلهما مقصودين بالاستغلال كان كمن حبس القاضي الذي يفصل بين الناس ،

هذا قول الفقهاء واما المحدثون فمنهم من قال ان العلة في النهي عن الذهب والحرير هي التشبه بأهل الجنة لان الاحاديث نطقت بذلك ومنها قوله صلى الله عليه وسلم للابس خاتم الذهب « مالي أرى عليك حلية أهل الجنة » رواه أصحاب السنن الثلاثة . ومنهم من قال ان العلة التشبه بالكفار كما في بعض الروايات ولكن يعارض هذا ما ورد في الصحيح من لبس النبي (ص) الجبة الرومية والطيالسة الكسروية . ومنهم من قال انه التزهيد في الدنيا لقوله (ص) بعد النهي « فانها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة » ولكن الله يقول « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة » والذي يفهم من هذا ومن كل رواية فيها ما يشعر بأن النهي عن الذهب والفضة والحرير لانه لاهل الجنة أن المراد به النهي عن المبالغة في الترف والنعيم الذي يفسد بأس الامة ويصرف همتها الى اللذات والانغماس في النعيم حتى تهمل أمر الدين ، وتكون طعمة للطامعين ، لا لمجرد الزهد في الزينة . فالترف هو الذي أهلك الامم ودمر القرى وهو علة الظلم والفساد ومثار الشحناء والفتن وسبب الاعتداء والخيانة وهو يختلف باختلاف أحوال الامم فرب شيء يعد من الامور العادية عند قوم وهو عند آخرين غاية السرف والترف ولا شك ان لبس الحرير المصمت والاكل والشرب في أواني الذهب والفضة هو غاية ما ينتهي اليه الترف والسرف في كل زمان ومكان لا تختلف الأعصار والاحوال الا في الصنعة فيه وتظهر هذه العلة في النساء كالرجال كما فهم بعض السلف . اذا وصل الى حد السرف ، واذا صح أن هذا هو العلة وأن النهي ليس تعبديا كان ما عساه يعرض للانسان من أكل أو شرب في آنية الذهب والفضة عند كافر وكذا غير كافر فيما يظهر غير محرم وكان قياس الفقهاء غير الاواني عليها وقياس الاتخاذ على الاستعمال صحيحا لا سيما في حالة فقر الامة . والعمدة

في معرفة الترف فى الجزئيات ترتب الضرر فى الامة عليه بفشو استعمالها سواء كان في أمر المعاش أو في الاخلاق فالمسألة تسمى في عرف هذا العصر أدبية اقتصادية

وقد بحث علماء الاقتصاد السياسي في استعمال ماعون الزينة وأثاثه ورياشه هل هو ضارّ بالامـة أم نافع فرجحوا أنه نافع لانه اذا لم يتنافس الاغنياء فى ذلك يجتمع أكثر المال عند فئة من البارعين في الكسب ويقع باقي الامة فى مهواة الفقر والعوز ، واذا كان للاغنياء تنافس فيما وراء الحاجيات مما ذكر (وهو مايسمونه الكماليات وسماه الشاطبي في الموافقات التحسينيات) ينفتح بذلك أبواب كثيرة لارتزاق الفقراء والمتوسطين منهم .

واذا تبين بالاختبار ان استعمال كذا وكذا من الذهب والفضة والحرير لاينافي الاقتصاد بل تقتضيه مصلحة الامـة في مجموعها لم يكن وراءه الارعاية الاخلاق فاذا كان استعماله غير مؤثر في فساد الاخلاق وضعف بأس الامة فلا بأس به والاوجب اجتنابه . ويختلف هذا فى الافراد باختلاف نياتهم ومقاصدهم ومايعرفونه من تأثيره في أنفسهم . ولعله لايوجد ضابط للضار والنافع فى الامة مثل حديث معاوية السابق في القلة والكثرة وحديث ابن عباس ومذهبه في الحرير

والخلاصة ان نص الشارع صريح في النهي عن الحرير الخالص الا لحاجـة لبسا وجلوسا عليه وأباح انس وابن عباس الجلوس عليه وقال الفقهاء أي بلا حائل فان كان هناك حائل كالنسيج الابيض الذي يوضع على الكراسي والارائك فلا بأس عندهم . وعن الاكل والشرب في أواني الذهب والفضة والتختم بالذهب على مافيه وأن بعض الفقهاء حملوا ذلك النهي على الكراهة دون التحريم والجماهير حملوه على التحريم وأن داود خصه بالشرب وأكثر المحدثين بالاكل والشرب وعامة الفقهاء حرموا كل استعمال الا نحو ضبة يصلح بها اناء . وان الاحتياط أن يجتنب المسلم ما ورد به النهي الصريح ويراعي المصلحة فيما وراء ذلك بحسب اجتهاده مع الاخلاص والله أعلم

لبس الزوج الذهب حال العقد هل يبطله

(س٥٧) الحاج وان أحمد فى (سنغافوره) ماقولكم اذا لبس الزوج الذهب والفضة والحرير فى حال العقد هل يصح النكاح أم لا وهل توبته في تلك الحالة كتوبة

الولي فلا يحتاج فيها الى مضي سنة أولابد منه حتى يصير كفؤا للعفيفة وهل يجب على من حضر من الشاهدين وغيرهما إنكاره وهل يفسقوا بتركهم ذلك أم كيف الحكم ؟

(ج) الظاهر من السؤال ان السائل شافعي المذهب لان الشافعية هم الذين يشترطون عدالة الولي والشاهدين لصحة العقد ويكتفون بتوبة الولي في المجلس ولا يجيزون شهادة الفاسق الا بعد توبته بسنة يستقيم فيها حاله يسمونها مدة الاستبراء ولكنهم لم يشترطوا عدالة لزوج والا لامتنع التزوج على الفساق عندهم ولكن الفاسق لا يكون كفؤا للتقية العفيفة ولذلك يشترط في صحة عقده عليها رضاها ولو بكرا أو المزوج الأب فاذ رضيت ورضي الولي صح العقد . وأما فسق الشهود بترك الانكار على لابس الذهب والفضة والحرير سواء كان الزوج أوغيره فلا يتحقق الا اذا كانوا يعتقدون ان هذا محرم كبير وتعين الانكار عليهم وعلموا أن اللابس لا عذر له ومن الاعذار الصحيحة عندهم أن يكون مقلدا لبعض القائلين بالحل ممن يعتد بقولهم وتقدم الخلاف فى ذلك في جواب السؤال السابق

آثار علمية أدبية

جاءنا من سنغافورة ما يأتي فنشرناه لما فيه من النصيحة للمسلمين

هذه أبيات خاطب بها أعضاء ندوة العلماء بالهند سنة ١٣٢١

مولانا السيد أبو بكر بن شهاب الدين أمتع الله به

كلم يقدمها المسيء الجاني ... لذوي المعارف لا لذوي التيجان
نفثات مصدور الى من هم بها ... ادرى وأحرى منه بالتبيان
وجميل شكر للذين تصدروا ... فى ندوة العلما والاركان
لله درهم سوابق حلبة ... فيها العقول فوارس الميدان
شربوا رحيق العزم والجد الذي ... لم يخش مدمنه من الحرمان
هبوا وأمر الكل شورى بينهم ... والرأي قبل شجاعة الشجعان
نهضوا لنفع المسلمين بنشر ما ... عنهم يصد طوارق الحدثان
ودعوا الى نشر العلوم على اختلا ... ف فنونها والعلم ذو أفنان

والى اجتماع قلوب من ايمانهم بمحمد المحمود ذو اطمئنان
ولئم ماعقدت خناصرهم على إبرازه من حيز الكتمان
فالعلم أشرف مقتنى واجله وبه تفاضل نوعنا الانساني
فذووه في عز ومجد باذخ ورفيع منزلة وسعد قران
العلم يطلب كي يزج بحامليه الى التربع في ذرى كيوان
من حيث كان وكيف كان لعيشة الدنيا وللابدان والاديان
هذا رسول الله نبهنا على عدل المجوس وحكمة اليونان
والاجتماع أجل حض رادع عبث الخصوم وسورة العدوان
والمؤمنون كما اتانا فى حديث الصادق المصدوق كالبنيان
ومتى تخاذلنا وأهمل بعضنا بعضا خلعنا خلعة الايمان
واصابنا الفشل الذى يقفوه ذل واضطهاد ليس بالحسبان
إن افتراق المسلمين اذاقهم ضيم الهضيمة بعد عظم الشان
وهنت عزائمنا وأصبح هازئا بخمولنا الوثني والنصراني
فعلام فرقتنا التي ألقت بنا فى هوة الاهمال والخذلان
ولم التنافر والتباغض بيننا والحقد وهي مدارك النقصان
ها كل طائفة من الاسلام مذ عنة بوحدة فاطر الاكوان
وبان سيدنا الحبيب محمدا عبد الاله رسوله العدناني
وامام كل منهم في دينه اخذاً ورداً محكم القرآن
فإلهنا ونبينا وكتابنا لم يتصف بالخلف فيها اثنان
والكعبة البيت الحرام يؤمها قاصي الحجيج لنسكه والداني
وصلاة كل شطرها وزكاته حتم وصوم الفرض من رمضان
أفبعد هذا الاتفاق يصيبنا نزغ ليفتننا من الشيطان
وان اختلفنا فى الفروع فذاك عن خير البرية رحمة المنان
وحديث تفترق النصارى واليهود وأمتي فرقا روى الطبراني
لكن زيادة كلها فى النار الافرقة لم تخل عن طعان

بل كلهم في جنة وعدوا بها — بالنص في آي من القرآن
وكذا أحاديث الرسول تضافرت — ان الموحد في حمى الرحمن
واذا أردت بيان ما أوردته — فانظر فتاوى الحافظ الشوكاني
فلقد أتى فيها بما يشفي العليل من الدليل وساطع البرهان
وأفاد فيها ما يلاشي بيننا — إحن النفوس وشأفة الشنئان
ايهاً رجال الندوة اجهدوا ولا — تهنوا فرب الخيبة المتواني
وامضوا على غلوائكم قدماً ولا — تخشوا معرة فاسدي الاذهان
فالحق قائدكم وأنتم تعامو — ن موارد الارباح والخسران
اوما رويتم حين أقبل جيش اهل الشام قولاً عن أبي اليقظان
والله لو بلغوا بنا طرداً الى — هجر لما عدنا الى الاذعان
ولتسمعن اذى كثيراً فاصبروا — واكسوا المسيء مطارف الاحسان
ماذا على الحكماء من اضدادهم — قدح السفيه ومدحه سيان
والله شاكر سعيكم ورسوله — وألو الفضائل من ذوي الايمان

وقد غيرنا الشطر الاخير من آخر بيت ليكون إشارة الى قوله تعالى «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»

﴿ تقريظ المصنفات ﴾

﴿ إرشاد الامة الاسلامية . الى أقوال الأئمة في الفتوى الترنسفالية ﴾

قد علم القراء ما كان في العام الماضي من لغط بعض الجاهلين بفتوى مفتي الديار المصرية لبعض اهل الترنسفال بحل ذبيحة النصارى في تلك البلاد وبحل لبس القلنسوة الافرنجية لحاجة أو ضرورة وبحل صلاة الشافعي خلف الحنفي وكان السبب في اللغط أن بعض أصحاب الاهواء من الامراء أوعز الى بعض الجرائد المحدثة بالتنديد بالفتوى لغرض له في ذلك فطفقت الجريدة تخبط في ذلك محرفة السؤال والجواب عن موضعه . وقد جرت العادة بأن ما كثرت الجرائد الخوض فيه يخوض فيه الناس لاسيما أهل الجهل والبطالة وكثير ماهم . وقد بينا يومئذ حكم الله تعالى في هذه المسائل ،

وأيدنا الفتوى بالبراهين الشرعية والدلائل ، ولم يكن لصاحب الجريدة المحدثة من دليل ، غير القال والقيل ، وكان منه الايهام بأن بعض علماء الازهر كتبوا لصاحب الجريدة ينكرون صحة الفتوى ، فلما وصلت هذه الدعوى الى علماء الازهر الاعلام انتدب بعض فضلائهم الى وضع رسالة يؤيدون فيها الفتوى بنصوص المذاهب الاربعة وسموها (ارشاد الامة الاسلامية الخ) ثم ان الشيخ عبد الحميد حمروش البحراوي أحد المدرسين في الازهر لهذا العهد طبع الرسالة ونشرها تبرئة لعلماء الازهر مما نسبته جريدة (الظاهر) اليهم . وقال في مقدمة الطبع بعد ذكر ماعزي الى علماء الازهر مانصه :

« عند هذا نهض جماعة من أفاضل الازهر الاعلام ائمة المذاهب الاربعة الذين يعول عليهم ويوثق بعلمهم في العلوم الشرعية وراجعوا المذاهب الاربعة واستخرجوا منها النصوص التي تلائم موضوع المسألة وعرضوا عليها فتوى فضيلة الاستاذ المومأ اليه فوجدوا لها من كل مذهب نصيرا، ومن فقه كل امام ظهيرا. » ثم قال انه رأى ان يخدم الاسلام بطبع هذه الرسالة لفوائد منها : « تبرئة الافاضل علماء الازهر من وصمة السكوت ومما عزي اليهم من القول بخلاف ماأفتى به عالم الدنيا ، وابن بجدة الفتيا ، صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ مفتي الديار المصرية وان الذين يشيعون مخالفة علماء الازهر الكرام لاستاذنا أرادوا أن يذموا واحداً فذموا الكل فوجب تبرئة الجميع »

والرسالة مؤلفة من مقدمة وواحد عشر فصلا وخاتمة وهي مطبوعة طبعا حسنا على ورق جيد وثمن النسخة ثلاثة قروش صحيحة . ومما يدل على سوء قصد الجريدة التي كانت تلغط وتطالب علماء الازهر ببيان الحق في الفتوى أنها لم تكتب عن الرسالة شيئا مع أنها أهديت اليها كما بلغنا

﴿ الأُمومة عند العرب ﴾

رسالة لأحد علماء هولنداج . ويلكن الاستاذ في كلية ليدن وقد عربها أحد علماء العرب السوريين بندلي صليبا الجوزي المدرس في إحدى المدارس الروسية بقازان وطبعها هناك « وخصص دخلها للاعمال الخيرية » والبحث في الامومة فرع من فروع البحث في (تاريخ العائلة) اوهو اصله الاول لان النسبة الى الام هي الثابتة العامة في كل جيل من أجيال البشر في كل طور من أطوارهم في بداوتهم وحضارتهم . وفي الرسالة

مباحث طويلة دقيقة فى الزواج عند العرب قبل الاسلام وعند غيرهم من الامم وهو أنواع أطلق المعرب عليها هذه الاسماء – نكاح الاشتراك أو المشاركة، النكاح الخارجي، النكاح الداخلي، النكاح الفردي، نكاح تعدد الزوجات، نكاح تعدد الازواج، نكاح النفر، وفيها كلام طويل عن المتعة فى الاسلام وبحث في انها كانت قبله ام لا وهو غير محرر والاستدلال على المتعة بقوله تعالى « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن » الذى ذكره هو ماذهب اليه الشيعة وهو منقوض بقوله تعالى في نفس الآية « محصنين غير مسافحين » أي يجب ان يكون قصد الرجل في هذا الاستمتاع إحصان نفسه وإحصان المرأة لا مجرد المسافحة التي هي إراقة ماء الشهوة ، ولا شك ان المتعة يقصد بها المسافحة لا الاحصان وقد كانت العرب عليها فحرمها النبي فشق ذلك عليهم فاذن لهم بها عند الضرورة وشدة الحاجة في السفر ثم نهاهم عنها ليكون إبطالها تدريجيا، والشيعة لا تزال تحلها ويميل بعض الناس الى انها رخصة للضرورة والجماهير على ان الرخصة نسخت ويؤكد نسخها اعتبار الكتاب العزيز قصد الاحصان شرطا لكون الزواج شرعيا وقوله تعالى بعد اباحة الزواج والتسري « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » وروي في الصحيح أنها بقيت الى عهد عمر فكان هو الذى أبطلها بالمرة. والذين يقولون بالنسخ يحملون ذلك على عدم علم الجميع بالنسخ

وفي الرسالة مباحث تحتاج الى الايضاح والنقد وفيها فوائد لا توجد فى غيرها من كتب التاريخ فنشكر للمعرب هذه الهدية الثمينة للغته الشريفة ونحث الناس على قراءتها وننتظر ورود طائفة من نسخها علينا للبيع في مكتبة المنار فمتى جاءت نعلن ذلك في غلاف المنار.

﴿ كتاب القواعد الألمانية ﴾

وضع هذا الكتاب الاستاذ مرتين هرتمن مدرس اللغة العربية فى مدرسة الالسنة الشرقية ببرلين عاصمة بلاد ألمانيا لبيان قواعد لغته بالعربية اسعادا لمن يرغب فى تعلم هذه اللغة من العرب ، وذكر في مقدمة الكتاب اقبال الامم على دراسة هذه اللغة واتانذكر من ذلك ما نرى فيه عبرة لنا قال:

« ولقد انبعثت رغبة قوية عند معظم الامم فى تعلمها ولا يوجد اديب حقيقي في أمة من الامم الاوربية الاوله إلمام بهذه اللغة الشريفة وبأعظم أقسام ادبياتها . أما الامم الشرقية فأول من سارع منها الى اقتناء (كذا) لغتنا هي الامة اليونانية حيث

أرسلت ألوفا من أبنائها الى كليات ألمانيا لرضاع ألبان العلم من ثديها وقلما تدخل بيتا من بيوت الادباء اليونانيين الاوتجد من يتكلم بلغتنا ويعلم بأدبياتنا ؛ ثم كثر عدد دارسيها فى بلاد اليابان من الشرق الاقصى حيث اجتلبوا معلمين من الالمان الى مدارسهم الكبرى وكثيرا مازاروا بأنفسهم بلادنا لاجل تحصيل لغتنا ومشاهدة أحوالنا وتنظيماتنا. ثم يوجد عدد من أفراد الامة التركية يحسنون التأدية باللغة الألمانية وأكثرهم من الموظفين بالخدمة العسكرية بقوا مدرجين فى سلك العسكرية الألماني مدة. » اما الامة العظيمة التي سطت بعد إتيان نبيها بالشريعة الاسلامية على قسم يذكر من المسكونة وتميزت لغتها بالمصنفات الغزيرة العالية — أعني الامة الناطقة بالضاد التي مسقط رأسها جزيرة العرب المنتشرة كتبها من أقصى المشرق الى أقصى المغرب — فلم نر الى الآن منها الاقدام على اقتناء الالمانية والاطلاع على أدبياتها. نعم قد اجتهد في أيام خديوى مصر المرحوم اسماعيل باشا الموسيو دور السويسري الموظف وقتئذ بالتفتيش على المكاتب المصرية فى ادخال اللغة الالمانية فى مواد التعليم (البروجرام) وحمل السادة ابراهيم زين الدين وأحمد نجيب على تأليف كتاب في القواعد الالمانية الا انه قد اندرس مسعاه عند ذهابه من الخدمة المصرية » الخ

ثم انتقل من ذلك الى ذكر انتدابه لتأليف هذا الكتاب تسهيلا لمن يريد تعلم هذه اللغة من أبناء العربية . وهو مرتب أحسن ترتيب ، ومقرب للغة أشد تقريب، يشرح الحروف والكلم ويذكر كيفية النطق بها بالعربية بغاية الضبط وقد جمله دروسا يشرح في كل درس القاعدة بالعربية ويذكر بعدها الأمثلة المفردة والمركبة ثم التمرينات الالمانية والعربية. وصفحات الكتاب ٢٣٢ وثمن النسخة منه (٣ماركات او ٣ شلنات) وأجرة البريد (٣٥ سنتيما) وهو يطلب بواسطة مكتبة المنار بمصر

﴿ تاريخ البابية — أو — مفتاح باب الابواب ﴾

قد صدر هذا التاريخ النفيس الذى نوهنا به من قبل فى المنار ونقلنا نبذة من خاتمته وقد ذكر مؤلفه (ميرزا محمد مهدي خان) فى فاتحته أنه في مدة اقامته في مصر وفى أثناء سياحاته الكثيرة رأى الناس مختلفين فى امر هؤلاء البابية لاختلاف مايلقفونه من أخبارهم عنهم وعن اعدائهم حتى ان امرهم لايزال غامضا مبهما وانه هو مطلع على

احوالهم كما كان والده من قبله مخبرا لرؤسائهم وان عندهم امهات كتبهم وقد اطلع مع ذلك على ما كتب الناس فى تاريخهم واكثر الناس خطأفيه الافرنج لذلك ساقته الرغبة الى وضع تاريخ كبير لهم سماه (باب الابواب) احصى فيه ماعلم من اخبارهم وعقائدهم وشرائعهم كما هي من غير حكم عليها بمدح اوذم بل صور الحقائق تصويرا، ومثلها للقارئ تمثيلا. ثم اختصره بهذا الكتاب الذي جمله رسالة وفهرساله وسماه (مفتاح باب الابواب) على ان صفحات هذا المختصر قد بلغت ٤٤٠ . ويعني بقوله الابواب الذين ادعوا بالمهدية سواء منهم من أطلق عليه لقب الباب ومن لقب بالمهدي فقط

وقد بدأ الكتاب بالكلام على الديانات السبع الكبرى في الارض — البوذية والبرهمية والفتشية والزردشتية والموسوية والنصرانية والاسلامية — ثم أورد مانقل عن اهل السنة والشيعة في المهدي المنتظر ، وانتقل من ذلك الى الكلام فيمن ادعوا المهدوية او العيسوية وذكر تراجم اشهرهم ومنهم ميرزا على محمد الشيرازي الملقب بالباب، الذي هو المقصود من تأليف الكتاب ، وذكر نشأته وتاريخه ودعوته واسبابها وأسباب انتشارها في ايران ومناظرات العلماء للباب وما كان من الفتن الى أن قتل الباب، ثم ذكر مزاعم البابية فيه وذكر صفاته وتآليفه وشريعته وماجرى لاصحابه بعده من الفتن والتفرق والنفي الى أن قام فيهم حسين على الملقب بالبهاء واستمال اكثرهم اليه ونقح لهم دين الباب وادعى انه الاصل بل انه هو الله الذى ارسل الرسل من آدم الى الباب. ثم ذكر شيئا كثيرا من شريعة البهائية وكتب البهاء الى الملوك وغيرهم وختم الكتاب بذكر فرق البابية فى هذا العهد وكيفية ظهورهم فى بلاد امريكا. ولعلنا ننقل فى اجزاء اخرى بعض المباحث من هذا الكتاب النفيس الذى لايستغني قارئ عنه لاسيما فى البلاد التي انبثت البابية فيها يدعون الى دينهم كمصر وايران . وقد ذكر المؤلف فى آخر الكتاب أنه تبرع بما يحصل من ثمنه للمنكوبين من المسلمين . وثمن النسخة منه فى مصر ٢٠ قرشا وفى ايران (تومان واحد) وفي الهند ثلاث روبيات وفي روسيا روبلتان اومنان وفى سائر البلاد ٥ فرنكات وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر ومن مكتبتي هنديه والهلال

﴿سياحة العلماء، وهداية الحكماء﴾

(يوم وليلة في الريف)

حالة العامة — في أصيل يوم الاثنين (١٨ ج ١) سافر كاتب هذه السطور مع أستاذه الشيخ محمد عبده الى جهة (فم البحر) بدعوة الشيخ عبدالمؤمن موسى عمدة بهاده وكان قد سبقنا في صباحه إلى هناك السيد علي البيلاوي شيخ الجامع الازهر والشيخ ابوالفضل الجيزاوي والشيخ سليمان العبد من كبار المدرسين في الازهر . والشيخ عبدالمؤمن هذا لم يقصد بدعوة العلماء الى بلده التفاخر بهم فقط كما هو شأن أهل الدنيا لاسيما العمد بل قصد استفادة أهل بلده من علمهم ، وإزالة الشبهات ومقاومة الخرافات بارشادهم ، وذلك أن أكثر ما عليه عامة المصريين في القرى وغيرها من الخيالات والاعتقادات والتقاليد الدينية مأخوذ عن أهل الطريق الذين يطوفون البلاد والقرى لطلب الرزق بالدين والطريق فهم عميان يقودون عميانا ويجتهدون في جعل الدين كله محصوراً في التعلق بهم وبشيوخهم والاعتقاد بكراماتهم والتوسل بهم الى الله تعالى لقضاء الحاجات ، وتنفيس الكربات ، وجلب الرزق ، ونيل الرغائب ، وقرن التوسل بالنذور للاموات ، والعطايا للاحياء ، هذا ما يقنعون به الدهماء ومن أخذ عليهم أو أخذوا عليه العهد يلقنونه أحزاباً واوراداً يذكرون لها من الخواص والمنافع الدنيوية ما يذكرون ، حتى ضاع أكثر معارف الدين وآدابه واعماله الا هذه الامور وما يتصل بها من الاوهام والخرافات ، التي لاسند لها الا ما اخترعوه من الحكايات ، وما خفي عليهم امره من مثار الشبهات ، فمن سيب عجلا اونذر شيئاً للسيد البدوي اوغيره ولم يقدمه ، ومن اعتاد الذهاب الى مولده ولم يذهب ، فأصابه مرض اومصاب في نفسه او اهله اوماله ، فاولئك يعتقدون ان الذى اوقع بهم هو السيد ، كأن السيد حاكم مستبد ظالم يفرض على الناس مالم يفرضه الله عليهم وينتقم منهم اشد الانتقام اذاهم قصروا في اداء ذلك ولا يغار على حق من حقوق الله تعالى فهو لا يتصرف بمن يترك الصلاة اويمنع الزكاة او يؤذي جاره اويسرق متاع اخيه اويفسد عليه زرعه او يسمم بعض ماشيته

كان الناس على هذا زمنا طويلا لا يكادون يسمعون إنكار منكر ولا تنبيه منبه ولا إرشاد مرشد

الاماقل وندر حتى كان بعد انتشار المنار في هذه السنين الاخيرة أن قام كثيرون من قرائه ينكرون على الناس البدع والخرافات الفاشية فيهم وكان الشيخ عبد المؤمن المذكور لسلامة فطرته من أشدهم غيرة وأكثرهم دعوة وأقواهم حجة ولم يكن له مساعد في النهي عن هذه المنكرات فى تلك الجهات الا الشيخ عليا الجربي وبعض الاذكياء ولكن كان لهما معارض شديد التأثير في العامة هناك بماله من سمت الصلاح والنسبة الى الطريق والعلم وهو الشيخ محمد الدلاصي ، فكان الناس في (بهاده) ونواحيها حزبان يختصمان — حزب يقول ويوقن بأن لانافع ولاضار الا الله تعالى وانه لايتوسل اليه تعالى الابما شرعه لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله من الفرائض والسنن وانه لاسبب لقضاء الحاجات وجلب المنافع والمضار الا ماهدي الله الناس اليه من سننه المطردة في خلقه، وحزب يقول ان الاولياء فى قبورهم يضرون وينفعون ، ويحيون ويميتون ، ويعطون ويمنعون ، وانه يتوسل الى الله تعالى بذواتهم ، ويدعى بواسطتهم لاوحده ، الخ ماهو معلوم مشهور من امثالهم ،

وكان الشيخ عبد المؤمن يتمنى عليّ من زمن طويل ان ادعو الاستاذ الامام لزيارة بلدهم ليتكلم على الناس بالقول الفصل الذى يرجى ان يمحو كل شبهة، ويخرس لسان كل بدعة ، حتى كان ان ذهبنا في ذلك اليوم الذى ذكرناه فى صدر المقال فاجتمع فى تلك القرية اشهر علماء العصر وقد اجتمع علينا اكثر اهل البلد ليلا متوقعين ان يسمعوا من الاستاذ الامام ، ومن سائر الاساتذة الاعلام ، مايقطع عرق النزاع والخصام ، وكان تلامذة الشيخ محمد الدلاصي يتوقعون منه ان يدافع عما هم عليه بل كان منهم من يظن ان حجته في ذلك ستعلو كل حجة وافتتح الشيخ على الجربي الكلام ، بسؤال الاستاذ الامام ، فأجاب حفظه الله تعالى بتقرير عقيدة التوحيد الخالص وهي ان لافاعل الا الله ، وانه لايدعى معه احد سواه ، وان التوسل بالاولياء والصالحين ، انما يصح بمعنى الاهتداء بهديهم المبين، وبأن لله ان يكرم من عباده من شاء ولكن لايصح ان تكون الكرامات والخوارق كصنعة من الصنائع في ايدي الاولياء والحق انه ليس لهم من الأمر شيء وانه لايكلف مؤمن بأن يعتقد بولي مخصوص ولا بكرامة لولي معين مطلقا، وأوضح ذلك بما وافقه وصدقه عليه العلماء الحاضرون

﴿ ديوان الأولياء والتصرف الباطن ﴾

ثم قال منشىء هذه المجلة : يقولون ان للاولياء ديوانا يجتمع فيه الاحياء والميتون فما أقروا عليه فهو الذي يقع في السكون ، وإننا نرى حوادث الكون في جملتها وتفصيلها منافية لمصلحة المسلمين حتى علت عليهم الملل كلها فاستولت على معظم بلادهم الدول المسيحية ، وسبقتهم فى العزة والمكانة الشعوب الوثنية . فاذا كان أولياء المسلمين وأنصار الدين هم المتصرفون في الأكوان لايجري فيها الا مايجرونه ، ولايستقر الا مايقرونه ، فما بالهم ينصرون الكافرين على المسلمين ، وكيف اعتز الاسلام بطائفة من سلفهم ثم هو يخذل الآن باتفاق الأحياء منهم والميتين ، ؟

فقال الأستاذ الامام : قد يقال أن الأولياء يرون أن المسلمين صاروا أبعد عن دينهم من سائر الأمم فهم ينتقمون منهم حتى يرجعوا الى دينهم . والحق أن مسألة الديوان والتصرف الباطني عند الصوفية المتأخرين هي رمز الى ما كان عليه سلفهم عند ما كانت هذه الطائفة حية عاملة . ذلك أن الفقهاء كانوا يكفرون الصوفية وكان الحكام أنصاراً للفقهاء فكان جميع أمر الصوفية مبنياً على الكتمان فوضعوا الرموز لعقائدهم واصطلاحاتهم وأعمالهم وبالغوا في التستر كما هو شأن الجمعيات السرية العاملة وكان لهم اجتماع خفي يتباحثون فيه وينظرن فى أمرهم وحمايتهم من اعدائهم وكل مايتفقون عليه في الباطن ، يسعون بتنفيذه بوسائله في الظاهر ، فاذا اتفقوا على عزل حاكم اوقتل ظالم لايكفون عن السعي حتى ينفذ ذلك . فهذا هو الديوان ومعنى كون مايجري في الظاهر محكوماً به في الباطن . وكذلك كان شأن الباطنية (والصوفية فرقة منهم معتدلة) كما هو معلوم فى التاريخ. ولما بين الاستاذ هذا استحسنه الشيوخ اشد الاستحسان .

تلك إشارة الى سمر الشيوخ وما كان فيه من الفوائد لعامة حاضريه ويظهر ان الشيخ الدلاصي سكت واجماً لاراضياً لذلك عاد في النهار الى المحفل وألقى على الاستاذ الامام الاسئلة الآتية قائلا انه سمع ماقرره ليلا واستحسنه ولكن لديه اشكالا يحب كشفه بعرضه على الاستاذ المفتي وسماع الجواب منه وقال مامثاله :

(س ١) الناس إمام ومأموم فالاول متبوع والثاني تابع لايعدوحده ، فأنا قد

اتخذت الشافعي إماما فاذا وجدت في مذهبه شيئاً ورأيت في كتاب الله شيئا يناقضه أراني مرتاحا للعمل بقول الشافعي دون قول الله تعالى . مثلا إن الشافعي يقول بحل الذبيحة بدون تسمية ولكن الله تعالى يقول «ولا تأكلوا مما لم يُذكر اسم الله عليه» وأنا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه . ألست معذورا بذلك

(س ٢) ان الله فضل بعض الناس على بعض في الرزق وغيره فاذا أعطى الله عبداً جنيها الا يجوز لي ان اقول له أعطني ريالا من الجنيه الذي اعطاك الله ؟ وقد علمنا من مشايخنا ان الله تعالى اعطى سيدي ابا الحسن الشاذلي وابا العباس المرسي وفلانا وفلانا سرّا لم يعطه لغيرهم فأي مانع من ان يطلب الانسان منهم شيئاً من هذا السر الذي اعطاهم الله كما يطلب الريال من صاحب الجنيه

قال الاستاذ الامام اما قولك الاول فهو خطأ كبير وفيه خطر عظيم فان الذين اجازوا لك تقليد الامام الشافعي اوغيره من الائمة رضي الله عنهم يشترطون في ذلك ان لا تعرض لك شبهة فى كتاب الله تعالى فترى انك تعمل بنقيضه فان عرضت لك الشبهة وجب عليك حالا السعي في كشفها وازالتها والا زال الايمان فان الشك فى كتاب الله تعالى كفر صريح باجماع المسلمين وكذلك نبذه وراء الظهر وتقديم غيره عليه . نعم ان الناس امام ومأموم ولكن امام هذه الامة واحد وهو رسول الله (ص) المعصوم وانما العلماء ناقلون ومبينون عنه فمتى تعارض كلامهم مع ماجاء عنه رجعنا اليه كما امرونا الا ان يظهر لنا عدم التعارض والتناقض

قال الشيخ الدلاصي إنني لا اشك فى كتاب الله ولكن أعلم ان امامي قد اطلع على الآية وفهمها احسن مما افهمها ولذلك لا اراني مخالفاً لكتاب الله ولا شاكا فيه

قال الاستاذ الامام ان الله تعالى يحاسبك على ماتفهم وتعتقد لا على مافهم الشافعي وانت قلت الآن انك ترى الآية مناقضة لقول الشافعي فترجيحك قول الشافعي حينئذ يقتضي ان يكون قول الله تعالى مرجوحا فهو عندك دون المشكوك فيه حقيقة لأن الشك استواء الطرفين وترجيح احدهما يقتضي بطلان الثاني ولو ظنا . فان كنت تقلد الشافعي وترى الآية موافقة لقوله فلا اشكال ولا محل للسؤال

قال الشيخ الدلاصي ان أبا حنيفة والشافعي يختلفان في الحكم (أو قال الآية

المفيدة للحكم) ونتبع أحدهما ولا نرى فى ذلك مخالفة للقرآن

قال الاستاذ الامام اذا كان الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي ولم يكن هناك قرآن تقرأه وتفهم منه انه مؤيد لقول أحدهما فلا حرج عليك فى الاخذ بقول من شئت منهما لانك لم تحرف عن كتاب الله تعالى ولم تلقه وراء ظهرك وليس هذا من السؤال الاول في شيء لان الترجيح هناك بين قول الشافعي وقول الله عز وجل الذى تراه يناقضه . على أن المثال هناك غير صحيح فان الآية لاتناقض قول الشافعي اذ النهي فيها عن متروك التسمية مقيد بقوله تعالى « وانه لفسق » وقد فسروه بقوله تعالى في الآية الاخرى « أوفسقا أهلّ لغير الله به » فاقتنع الدلاصي ثم قال الاستاذ

وأما الجواب عن السؤال الثاني فهو اننا نسلم ان الله تعالى فضل بعض الناس على بعض فى الرزق والمواهب الظاهرة والباطنة ولكن فضل الله على عباده قسمان قسم مكسوب يمكن بذله او البذل منه وقسم ليس فى استطاعة البشر بذله او البذل منه كالايمان والمعارف الوجدانية ومنها مايسميه الصوفية بالاسرار فانهم قالوا انها أمور ذوقية لايعرفها الا من ذاقها فلا يصح ان تطلب ولا أن توهب . (يقول الكاتب) انني لاأجزم بأن الاستاذ ساق التقسيم على هذه الصورة من التمثيل ولكنني أعلم أنه ذكر قسمين منها مايدخل في الكسب ويعاون فيه الناس بعضهم بعضا كالمال ومنه ماليس كذلك وقال انه لايصح قياس أحدهما على الآخر فالمعنى واحد وان اختلف التمثيل او جاء بزيادة كلمة أو نقص كلمة . ثم ذكر ان الناس يسألون الاموات الذين يعتقدون فيهم الولاية ماقطعه الله عنهم من رزق الدنيا ومصالحها وما لايبذل من ذلك بحسب الأسباب والسنن الالهية ومايبذل فيطلبون منهم المال وزيادة الغلة ونماء الزرع وشفاء المرضى والانتقام من الاعداء وأمثال ذلك مما لو كان فى ايديهم وصح لهم بذله كما يبذل صاحب الجنيه ريالا منه لكان لهم في أمر الآخرة التي هم فى شاغل عنه

قال الشيخ الدلاصي اننا تلقينا عن مشايخنا كما تلقوا عن مشايخهم أن سيدي أبا الحسن الشاذلى وسيدي أبا العباس المرسي من اولياء الله تعالى ومن أصحاب السر والمدد وان تلامذتهم في حياتهم واتباعهم بعد مماتهم يتوسلون بهم الى الله تعالى ويطلبون منهم المدد والسر كما نرى ذلك فى كتبهم ككتب ابن عطاء الله السكندري وسيدي

مصطفى البكري (ولعله ذكر أسماء أخرى) فهل تقول ان هؤلاء كانوا على ضلال أم كانوا مهتدين ؟

قال الاستاذ الامام . هل جاء مثل هذا الذى تنقله عن هؤلاء الاولياء في كتاب الله تعالى ؟ قال لا . قال هل جاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال لا. قال هل نقل مثله عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة ؟ قال لا. قال هل نقل عن التابعين والأئمة المجتهدين وقدماء الصوفية ؟ قال لا. قال فخذ هؤلاء كلهم – رسول الله (ص) وأصحابه والتابعون والائمة الاربعة وقدماء الصوفية كالخراز والجنيد رئيس الطائفة وسائر أهل القرنين الاول والثاني وضعهم في كفة ميزان وضع فى الكفة الاخرى من ذكرت من المشايخ المتأخرين واتبع الراجح

قال الشيخ الدلاصي ولكن هل تقول ان ابا الحسن الشاذلي وأبا العباس المرسي وياقوت العرشي وابن عطاء الله السكندري ومصطفى البكري كانوا ضالين مخالفين لهدي الله ورسوله وأصحابه أم كانو مهتدين

قال الاستاذ الامام انك بعد بيان الحق تكرر هذا السؤال تتسقطني لأقول ان كل ماخالف هدي السلف فهو ضلال فتخرج فتقول للعامة ان المفتي أوفلانا يضلل كبار أولياء الله تعالى ولكنني لاأقول لك ذلك بل أقول إن الله تعالى ما كلفك باتباع هؤلاء حتى لو مت ولم تعلم بوجودهم في الدنيا لما سألك الله تعالى يوم الحساب عنهم ولكن كلفك باتباع كتابه ونبيه وهدي أصحاب نبيه الذين أخذوا الدين عنه مباشرة وكانوا به خير العاملين ، فهل تقول انهم كانوا ضالين،؟ ثم انني أقول لك إنني أنا احترم ابا الحسن الشاذلي وأنا من أهل طريقته لم أسلك غيرها ولكن ليس كل ماينسب اليه يصح عنه بل قال لي شيخي الذى سلكت عليه الطريقة أن هذه الاحزاب المنسوبة لسيدي أبي الحسن لم تصح عنه. قال الدلاصي لكنها متواترة. قال الاستاذ كيف وفريق من الشاذلية ينكرها. ثم حرر مسألة الخلاف هنا بأمور مرتبة كما ترى

(أولها) ان الكتاب والسنة العملية منقولان بالتواتر القطعي وما عداهما من سيرة النبي وأصحابه وسلف الامة منقول بأسانيد معروفة يمكن بها تمييز الصحيح من غيره وما نقل عن الشاذلي وغيره من الاولياء لاسند له يحتج به شرعا فاذا فرضنا ان كلامهم

في مرتبة كلام الله ورسوله (ولا يقول بهذا مسلم) وجب ترجيح كلام الله ورسوله وكلام السلف على كلامهم لصحة النقل كما يرجح بين الحديثين . وكيف وقد اشتهر الكذب عليهم ودس الزيادات في كتبهم كما صرح بذلك الشعراني الذى كانوا يدسون عليه في حياته ويزيدون في كتبه مايخالف الكتاب والسنة ولا تزال كتبه مملوءة بهذه الدسائس (قال) ولو صح عنه كل ماينسب اليه لما كان مؤمنا بل ملحدا يريد إفساد عقائد المؤمنين وههنا قال احد الشيوخ العلماء ان فى مصر نسخة من العهود بخط الشعراني تنقص عن النسخة المطبوعة بنحو الثلث فلا شك ان كل هذه الامور المنكرة شرعا فى كتب الشعراني من الدسائس عليه . قال الاستاذ وهذا الذي يغلب على ظني وانا أعتقد أن الطبقات والمنن ليستا من تأليفه بالمرة ثم قال

(ثانيها) اذا فرضنا ان النقل عنهم صحيح وانه لادسائس فيما ينقل عنهم فانا نرجح هدي الكتاب والسنة لعصمة كتاب الله وعصمة رسوله دون غيرهما . على ان مبحثنا يتعلق بالعقائد والتوحيد وهي لايؤخذ فيها بأحاديث الآحاد وإن صحت فكيف بما لايصح من قول الناس

(ثالثها) اذا فرضنا ان هؤلاء الاولياء معصومون كالانبياء ولم يقل بهذا مسلم فالاولى لنا أن نأول كلامهم حتى ينطبق على هدي الكتاب والسنة والسلف لانه الاصل باتفاقهم وإقرارهم

(رابعها) اذا فرضنا ان الكل في مرتبة واحدة وانه لا أصل ولا فرع ـ ولا يقول بهذا مسلم أيضا ـ فعلينا أن نعمل بالكتاب لانه واضح مبين كما وصفه الله تعالى في مواضع منه وبالسنة لانها بيضاء واضحة كما وصفها صاحبها وقال ليلها كنهارها وبسيرة السلف لانهم أعلم الناس بهما واما كلام الصوفية فقد صرحوا بأنه رموز واصطلاحات لا يعرفها الا أهلها الذين سلكوا هذه الطريقة الى نهايتها وصرحوا بأن من أخذ بظاهر أقوالهم ضل وهذا ظاهر فان كتب محي الدين بن عربي مملوءة بما يخالف عقائد الدين وأصوله وهذا كتاب الانسان الكامل للشيخ عبدالكريم الجيلي هو في الظاهر أقرب الى النصرانية منه الى الاسلام ولكن هذا الظاهر غير مراد وانما الكلام رموز لمقاصد يعرفها من عرف مفتاحها فان كنت تدعي ذلك (وأشار الى الدلاصي) فان

لي معك كلاما آخر والاحرم عليك ان تنظر في كلام القوم لئلا تفتتن في دينك (قال) وانني لما كنت رئيس المطبوعات أمرت بمنع طبع كتاب الفتوحات المكية وامثالها لان أمثال هذه الكتب لايحل النظر فيها الالاهلها: وههنا سكت الشيخ لدلامي فلم يرجع قولا وظهر لنا انه اقتنع

وقد تذكرت انني كنت رأيت في كتاب للشعراني أحسبه الجواهر والدرر انه سأل شيخه عليا الخواص لماذا يطلب من الناس تأويل كلام الانبياء اذا خالف ظاهر الشرع ولم يطلب منهم تأويل كلام الاولياء فاجابه لان الانبياء معصومون فيجب حمل كلامهم على الصحة دائما والاولياء ليسوا بمعصومين فيجوز ان يكونوا مخطئين فيما خالفوا فيه. هذا واننا في خاتمة هذا القول نعرف القراء بالشيخ محمد الدلاصي فنقول انه ليس كمن يعهدون من شيوخ الطرق الجاهلين بل هو من اهل العلم والفهم ولولا غلوه باعتقاد تصرف الاموات في شؤون الاحياء لكان من احسن المرشدين للعامة وعسى ان يكون رجع عن ذلك فقد نقل لنا من غلوه انه اقسم بالله تعالى ان السيد البدوي يميت ويحيي ويفقر ويغني ويسعد ويشقي ويمنع ويعطي (والعياذ بالله تعالى) ونتمنى ان يكون هذا النقل عنه غير صحيح وقد عز علينا ان ننشر ذلك عنه ثم ذكرنا ان الانسان لايرى غضاضة عليه في عزو اعتقاده اليه وان كذب لنا النقل فاننا ننشر التكذيب فرحين مستبشرين لأننا نعتقد ان نفع هذا الرجل يكون عظيما اذا هو رجع عن ذلك الرأي الذى لاحجة له عليه الا انسه به والثقة بمشايخه الذين كانوا عليه والعقائد لاتقليد فيها على انه ربما كان اعلم منهم بكتاب الله الذى استأصل الوثنية من جذورها والخطأ في العقائد خطر عظيم والله الهادي

شرط طلب شيخ الطريق وصفته

ثم سأل ابوزيد افندي موسى صاحب المنزل الذى نزلنا فيه (والشيخ عبد المؤمن ولده) الاستاذ الامام عن سلوك الطريق قائلا مامعناه: اذا كنت أنا جاهلا بما يجب عليّ لله تعالى وعاصيا مقصرا فيما أعرفه من الواجب ألا ينبغي لي أن أطلب شيخا مرشدا أضع يدي فى يده واعاهده على السمع والطاعة ليدلني على الله؟ فقال الاستاذ الامام ينبغي لك ان تطلب المرشد وأنا أدلك على طريقة الطلب وهي أن تعمل أولا بجد واخلاص بما تعرفه من أمور الدين الظاهرة التي لاخلاف فيها حتى اذا استقمت على ذلك وظهرت لك أمور اخرى دقيقة يشتبه عليك الحق فيها فاطلب من هو اشد منك محافظة على العمل بما تعلم واعلم منك بتلك الدقائق ليرشدك الى مسلك الحق فيها بالشرط

الآتي. ثم سأله الاستاذ عن أمور كثيرة منها أتعرف أن أكل أموال الناس بالباطل حرام وأن ايذاء الناس حرام وان التعاون على الشر حرام وان الكذب والخيانة حرام.... وان الصلاة والزكاة .... من الفرائض وان الصدق والامانة والتعاون على الخير ومواساة المحتاج من الفضائل المحمودة — حتى ذكر له أمهات الفضائل والرذائل وكان يجيب عن كل واحدة بأنه يعرف حكمها ولا يحتاج فيه الى مرشد ولا استاذ. فقال له اذا عملت بهذا كله باخلاص فانا أضمن لك على فضل الله تعالى القبول والرضوان وأن يهديك الى الدقائق وكشف الشبهات فانه قال «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» وفى الحديث «من عمل بما علم ورّثه الله علم مالم يعلم» وتستغني عن المرشد اذا لم تجده لقلته في هذا الزمن واذا وجدت من تراه سابقا لك فى العلم والعمل وحسن الخلق وأردت أن تسترشد به فانظر وراء هذا شرطا واحدا وهو أن لا يكون دين هذا الرجل دكانه أي ان لا يقبل منك جزاء على الارشاد فاذا رأيته لا يمد يده للاخذ فامدد اليه يدك وعاهده على الاسترشاد بعلمه وعرفانه واذا كان يمد يده للاخذ منك فلا تمدد يدك الى يده الى بالسكين فانه لص قد اتخذ الدين حرفة واكتف بالعمل بما تعلم والله يهديك ويسددك اهـ بالمعنى مختصرا

قضية السادات وصاحب المؤيد

حكم الشيخ أحمد أبو خطوه القاضي الشرعي فى قضية السادات وصاحب المؤيد المشار اليها فى الجزء الماضي بأن عقد الشيخ علي يوسف على السيدة صفية بنت السيد عبد الخالق السادات باطل بناء على عدم الكفاءة اذ ثبت لدى المحكمة بشهادة أهل العرف فى البلد وإخبارهم ان أبا الزوجة يلحقه العار بزواج صاحب المؤيد بينته لانه مشهور بالشرف وصاحب المؤيد غير مشهور به ولا هو شريف بالفعل اذ ثبت ان نسبه مزّور ولانه من أصحاب المجد الموروث وصاحب المؤيد حديث عهد بنعمة الدنيا وذكر فى الحكم السابق ولان حرفة الصحافة لا تكون شريفة الا اذا كان صاحبها على معارف وصفات فصلها القاضي فى حيثيات الحكم وذكر ان صاحب المؤيد عار منها بل متصف بضدها — هذا هو روح الحكم وقد أعجب به الاكثرون فى القطر كله وانتقده بعض الناس بأن فى الحيثيات أمورا خطابية غير شرعية وتضعيفا للقوي من دفاع أحد الخصمين مع قبول مثله من الآخر

(تصحيح) جاء في السطر ١٣ ص ٢٦٨ (وآذان) والصواب (ولهم آذان) فلتصحح

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق ﴾

﴿مصر — الأحد ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢٢ — ٢٨ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٤﴾

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ *

بعد ما بين تعالى فساد ما عليه المقلدون من اتباع ما وجدوا عليه آباءهم من غير نظر ولا استدلال ضرب لهم مثلا زيادة في تقبيح شأنهم والازراء عليهم فشبه حالهم بحال الغنم مع الراعي يدعوها فتقبل ويزجرها فتنزجر وهي لا تعقل مما يقول شيئا ولا تفهم له معنى وانما تسمع أصواتا تقبل لبعضها وتدبر للاخر بالتعويد ولا تعقل سببا للإقبال ولا للإدبار

ومعنى المثل هنا كما قال سيبويه أن قصة هؤلاء وشأنهم كشأن الناعق بالغنم ولا يقتضي هذا ان يكون كل جزء من المشبه كمقابله من المشبه به وهو ماسماه علماء البيان بعد سيبويه بالتمثيل وفرقوا بينه وبين تشبيه متعدد بمتعدد. والكفر جحود الحق والاعراض عن النظر فى الدليل عليه عند الدعوة اليه وفرق بينه وبين الضلال فان الضال من أخطا طريق الحق مع طلبه أوجهله فلم يعرفه بنفسه ولا بدلالة غيره. وأما الكافر فهو يرى الحق ويعرض عنه ويصرف نفسه عن دلائله وآياته فلا ينظر فيها فهو كالحيوان يرضى بأن لا يكون له فهم ولا علم بل يقوده غيره ويصرفه كيف شاء فهو مع من قلدهم من الرؤساء كالغنم مع الراعي تقبل بدعائه وتنزجر بندائه، مسخرة لإرادته وقضائه، ولا تفهم لماذا دعا ولماذا زجر فدعوتها للرعي وللذبح سواء. وكذلك شأن كل من يسلم باعتقاد بلادليل ، ويقبل تكليفا بغير فقه ولا تعليل ، والآية صريحة فى أن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين وأن المرء لا يكون مؤمنا الا اذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به فمن ربي على التسليم بغير عقل والعمل ولو صالحا بغير فقه فهو غير مؤمن لانه ليس القصد من الايمان ان يذلل الانسان للخير كما يذلل الحيوان ، بل القصد منه ان يرتقي عقله ونفسه بالعلم والعرفان ، فيعمل الخير لأنه يفقه انه الخير النافع المرضي لله ويترك الشر لانه يفهم سوء عاقبته ، ودرجة مضرته ، ويكون فوق هذا على بصيرة وعقل فى اعتقاده ، فلا يأخذه بالتسليم لأجل آبائه وأجداده ، ولذلك وصف الله الكافرين بعد تقرير المثل بقوله (صم) لا يسمعون الحق سماع تدبر وفهم (بكم) لا ينطقون به عن اعتقاد وعلم (عمي) لا ينظرون فى آيات الله وفى أنفسهم حتى يتبين لهم

أنه الحق (فهم لايعقلون) كما يطلب من الانسان ، وانما ينقادون لغيرهم كما هو شأن الحيوان ، وما ذكرناه هنا فى المقلد وان حسنت حاله لم يصرح به الاستاذ الامام بعد تقرير المثل وتفسيره لاغناء الكلام السابق عنه وقد ذكرناه لان أكثر العلماء المتأخرين صرح بخلافه من عهد الغزالي الى الآن كأن الغزالي رأى من الغنيمة ان يكون الناس غير أشرار ينقادون لرؤسائهم وهداتهم ولو بغير عقل ولا فقه وفاته رحمه الله ان هذا الخير على كونه ليس كل المطلوب من الدين هو عرضة للذهاب والانقلاب بفساد حال المرشدين والمربين كما نراه باعيننا. نعم ان من كان مقلدا فى الخير ولم يُدع الى المعرفة الصحيحة والفقه يرجى له مغفرة الله ورحمته ولكن لا يكون له من ثمرات الاسلام فى الدنيا والآخرة مثل ما للعارف، ومتى دعي وجب ان يجيب ويعرف

يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَٱشْكُرُوا لِلهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللهِ بِهِ، فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *

بين الله تعالى حال الذين يتخذون الانداد من دونه وأشار الى أن سبب ذلك حب الحطام وارتباط مصالح المرءوسين بمصالح الرؤساء فى الرزق والجاه وخاطب الناس كلهم بأن يأكلوا من الارض إذ أباح لهم جميع خيراتها وبركاتها بشرط ان تكون حلالا طيبا وبين سوء حال الكافرين المقلدين الذين يقودهم الرؤساء كما يقود الراعي الغنم لانهم لا استقلال لهم - ثم وجه الخطاب الى المؤمنين خاصة لانهم أحق بالفهم وأجدر بالعلم وأحرى بالاهتداء فقال (ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم)

وهذا تنبيه بعد ماتقدم الى عدم الالتفات الى أولئك الحمقى الذين أبيحت لهم خيرات الأرض بأعمالهم فطفقوا يحلون بعضها ويحرمون بعضا بوساوس رؤسائهم ، وأعطوا ميزانا يميزون به الخواطر الشيطانية الضارة من غيرها ولكنهم نقضوا أيديهم من عز الاستقلال ، وهون عليهم التقليد ذل قيوده والاغلال ، فهو يقول كلوا من هذه الطيبات ولا تضيقوا على أنفسكم مثلهم. (واشكروا لله) الذى خلقها لكم وسهل عليكم أسبابها بأن تتبعوا سننه الحكيمة فى طلب هذه الطيبات واستخراجها وفى استعمالها فيما خلقت لأجله ، وبالثناء عليه جل جلاله وعم نواله واعتقاد أن هذه الطيبات من فضله واحسانه ليس لمن اتخذوا أندادا له تأثير فيها ولذلك قال (ان كنتم اياه تعبدون) أي ان كنتم تخصونه بالعبادة والاعتقاد بالانفراد بالسلطة والتأثير فاشكروا له خلق هذه النعم وإباحتها لكم ولا تجعلوا له أندادا تطلبون منهم الرزق أو ترجعون اليهم بالتحليل والتحريم فان ذلك له وحده والا كنتم به كافرين كالذين من قبلكم جهلوا معنى عبادة الله تعالى فاتخذوا بينهم وبينه وسطاء فى طلب الرزق ورؤساء يحلون ويحرمون . ومن الشكر له تعالى استعمال القوى التى غذيت بتلك الطيبات فى نفع أنفسكم وأمتكم وجنسكم وليس من الطيبات ما يأخذه شيوخ الطريق من مريديهم بل هو من الخبائث والسحت

الاستاذ الامام : لا يفهم هذه الآية حق فهمها الا من كان عارفا بتاريخ الملل عند ظهور الاسلام وقبله فان المشركين وأهل الكتاب كانوا فرقا وأصنافا منهم من حرم على نفسه أشياء معينة بأجناسها أو أوصافها كالبحيرة والسائبة عند العرب وكبعض الحيوانات عند غيرهم وكان المذهب الشائع

فى النصارى أن أقرب مايتقرب به الى الله تعالى تعذيب النفس واحتقارها وحرمانها من جميع الطيبات المستلذة واحتقار الجسد ولوازمه واعتقاد أن لاحياة للروح الا بذلك وان الله تعالى لايرضى منا الا إحياء الروح . وكان الحرمان من الطيبات على أنواع منها ماهو خاص بالقديسين أو بالرهبان والقسيسين ومنها ماهو عام كأنواع الصوم الكثيرة كصوم العذراء وصوم القديسين وفى بعضها يحرّمون اللحم والسمن دون السمك ، وفى بعضها يحرمون السمك واللبن والبيض أيضاً . وكل هذه الأحكام والشرائع قد وضعها الرؤساء وليس لها أثر ينقل عن التوراة أو عن المسيح عليه السلام وبذلك كانوا أندادا ونزل فى شأنهم « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً » وقد تقدم بيان ذلك . وقد سرت اليهم هذه الاحكام بالوراثة عن آبائهم الوثنيين الذين يحرمون كثيرا من الطيبات ويرون أن التقرب الى الله تعالى محصور فى تعذيب النفس وترك حظوظ الجسد إذ رأوا فى دينهم وسيرة المسيح وحواريه من طلب المبالغة فى الزهد مايؤيدها

وقد تفضل الله تعالى على هذه الأمة بجعلها أمة وسطا تعطي الجسد حقه والروح حقها كما تقدم فى تفسير « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » فأحل لنا الطيبات لتتسع دائرة نعمه الجسدية علينا وأمرنا بالشكر عليها ليكون لنا منها فوائد روحانية عقلية فلم نكن جثمانيين محضا كالأنعام ولا روحانيين خلصا كالملائكة ، وإنما جعلنا أناسي كملة ، بهذه الشريعة المعتدلة ، فله الحمد والشكر والثناء الحسن

ظهر بهذا التقرير أن الآية متصلة بما قبلها ومتممة له . وقال بعض المفسرين وله وجه فيما قال ان ماتقدم من أول السورة الى ماقبل هذه

الآية فى القرآن والرسالة وأحوال المنكرين للداعي وما جاء فيها من الاحكام فانما جاء بطريق العرض والاستطراد . وهذه الآية ابتداء قسم جديد من الكلام وهو سرد الأحكام فانه يذكر بعدها أحكام محرمات الطعام وأحكام الصوم والحج والقصاص والوصية والنكاح والطلاق والرضاع وغير ذلك وينتهي هذا القسم بما قبل قوله تعالى « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم » الآية ولا غرو فان بين كل قسم وآخر فى القرآن من التناسب مثل مابين كل آية وأخرى فى القسم الواحد « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »

بعد ذكر إباحة الطيبات ذكر المحرمات فقال تبارك اسمه (إنما حرم عليكم الميتة) لما فى الطباع السليمة من استقذارها ولما يتوقع من ضررها فانها إما أن تكون ماتت بمرض سابق أو بعلة عارضة وكلاهما لا يؤمن ضرره لأن المرض قد يكون معديا والموت الفجائي يقتضي بقاء بعض الأشياء الضارّة فى الجسم كالكربون الذى يكون سبب الاختناق . هذا ماقاله الاستاذ الامام ويزاد عليه عدم القصد الى إماتتها بعمل الانسان وهو سبب الفرق بين المخنوقة والمنخنقة التى فى معنى الميتة حتف أنفها (وتقدم شرح ذلك فى المجلد السادس) ولذلك كان فى معنى الميتة كل ما أتلف بغير قصد الذكاة كالمنخنقة والموقوذة الخ ماذكر فى آية المائدة (والدم) أي المسفوح كما فى آية الأنعام فانه قذر لاطيب وضار كالميتة (ولحم الخنزير) فانه قذر لأن غذاء الخنزير من القاذورات والنجاسات وهو ضار فى جميع الأقاليم كما ثبت بالتجربة وأكل لحمه من أسباب الدودة الوحيدة القتالة والعياذ بالله تعالى منها (وما أهل لغير الله به) وهو ما كان يذبح ويقدم للاصنام أو غيرها مما

يعبد والمنع من هذا ديني محض لحماية التوحيد لأنه من أعمال الوثنية فكل من أهل لغير الله على ذبيحة فانه يتقرب الى من أهل باسمه تقرب عبادة وذلك من الاشراك والاعتماد على غير الله تعالى . وقد ذكر الفقهاء أن كل ماذكر عليه اسم غير الله ولو مع اسم الله فهو محرّم وقد أقره الاستاذ الامام وعد منه مايجري في الأرياف كثيرا من قولهم عند الذبح - لاسيما ذبح المنذور - بسم الله الله أكبر ياسيد : يدعون السيد البدوي أن يلتفت اليهم ويتقبل النذر ويرضى به قال وكيفما أولته فهو محرم . ومثل ذكر السيد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم اذ لايجوز أن يذكر عند الذبح غير اسم المنعم بالبهيمة المبيح لها فهي تذبح وتؤكل باسمه لايشاركه في ذلك سواه ولا يتقرب بها الى من عداه ممن لم يخلق ولم ينعم ولم يبح ذلك لأنه غير واضع للدين (فمن اضطر) الى الاكل مماذكر بأن لم يجد مايسد به رمقه سواه (غير باغ) له أي غير طالب له راغب فيه (ولا عاد) يتجاوز قدر الضرورة (فلا إثم عليه) لأن الالقاء بنفسه الى التهلكة بالموت جوعا أشد ضررا من أكل الميتة أو الدم أو لحم الخنزير بل الضرر في ترك الأكل محقق والضرر في فعله مظنون وربما كانت شدة الحاجة الى الاكل مع الاكتفاء بسد الرمق مانعة من الضرر . وأما ما أهل به لغير الله فمن أكل منه مضطرا فهو لايقصد اجازة عمل الوثنية ولا استحسانه (ان الله غفور رحيم) إذ حرّم على عباده الضار وجعل الضرورات تتقدر بقدرها لينتفي الحرج والعسر عنهم

وفسر الجلال «باغ» بالخارج على المسلمين و «عاد» بالمتعدي عليهم بقطع الطريق قال ويلحق بهم كل عاص بسفره كالآبق والمكاس

وعليه الشافعي . قال الاستاذ الامام ولا خلاف بين المسلمين فى أن العاصي كغيره يحرم عليه إلقاء نفسه فى التهلكة ويجب عليه توقي الضرر ويجب علينا دفعه عنه ان استطعنا فكيف لا تتناوله إباحة الرخص . ثم ان المناسب للسياق ان تحدد الضرورة التى تجيز أكل المحرم وتفسير الباغي والعادي بما ذكرنا هو المحدد لها وهو موافق للغة كقوله تعالى حكاية عن أخوة يوسف « ما نبغى » وفى الحديث الصحيح « يا باغي الخير هلمّ » وفى التنزيل « ولا تعد عيناك عنهم) أي لا تتجاوزهم الى غيرهم فالكلام فى تحديد الضرورة وتمام بيان حكم ما يحل ويحرم من الاكل لا فى السياسة وعقوبة الخارجين على الدولة والمؤذين للأمة . وانما كان هذا التحديد لازما لئلا يتبع الناس أهواءهم فى تفسير الاضطرار اذا هو وكل اليهم بلا حد ولا قيد فيزعم هذا أنه مضطر وليس بمضطر ويذهب ذلك بشهوته الى ماوراء حد الضرورة، فعلم من قوله « غير باغ ولا عاد » كيف تقدر الضرورة بقدرها والاحكام عامة يخاطب بها كل مكلف لا يصح استثناء أحد الا بنص صريح من الشارع . ويذكر بعض المفسرين فى هذا المقام مسائل خلافية فى الميتة كحل الانتفاع بجلدها وغير ذلك مما ليس بأكل وقد قلنا اننا لا نتعرض فى بيان القرآن الى المسائل الخلافية التي لا تدل عليها عبارته إذ يجب أن يبقى دائما فوق كل خلاف

ومن مباحث البلاغة فى الآية أن ذكر (غفور) له فيها نكتة دقيقة لا تظهر الا لصاحب الذوق الصحيح فى اللغة فقد يقال أن ذكر وصف الرحيم ينبيء بأن هذا التشريع والتخفيف بالرخصة من آثار الرحمة الالهية وأما الغفور فانما يناسب أن يذكر في مقام العفو عن الزلات والتوبة عن

السيئات . والجواب عن هذا أن ماذكر فى تحديد الاضطرار دقيق جدا ومرجعه الى اجتهاد المضطر ويصعب على من خارت قواه من الجوع أن يعرف القدر الذي يمسك الرمق ويقي من الهلاك بالتدقيق وأن يقف عنده والصادق الايمان يخشى أن يقع فى وصف الباغي والعادي بغير اختياره فالله تعالى يبشره بأن الخطأ المتوقع فى الاجتهاد فى ذلك مغفور له مالم يتعمد تجاوز الحدود والله تعالى أعلم

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

تابع ويتبع

(الوجه السادس والسبعون) قولكم : إنكم منعتم من التقليد خشية وقوع المقلد فى الخطأ بأن يكون من قلده مخطئا في فتواه ثم أوجبتم عليه النظر والاستدلال فى طلب الحق ولاريب أن صوابه فى تقليده لمن هو أعلم منه أقرب من اجتهاده هو لنفسه كمن أراد شرى سلعة لاخبرة له بها فانه اذا قلد عالما بتلك السلعة خبيرا بها أمينا ناصحا كان صوابه وحصول غرضه أقرب من اجتهاده لنفسه : — جوابه من وجوه

(أحدها) أنا منعنا التقليد طاعة لله ورسوله والله ورسوله منع منه وذم أهله في كتابه وأمر بتحكيمه وتحكيم رسوله ورد ماتنازعت فيه الأمة اليه والى رسوله وأخبر أن الحكم له وحده ونهى أن يتخذ من دونه ودون رسوله وليجة وأمر أن يعتصم بكتابه ونهى أن يتخذ من دونه أولياء وأربابا يحلّ من اتخذهم ما أحلوه ويحرم ماحرموه وجعل من لاعلم له بما أنزله على رسوله بمنزلة الأنعام وأمر بطاعة أولي الأمر اذا كانت طاعتهم طاعة لرسوله بأن يكونوا متبعين لأمره مخبرين به واقسم بنفسه سبحانه أنا لانؤمن حتى نحكم الرسول خاصة فيما شجر بيننا لانحكم غيره ثم لانجد في أنفسنا حرجا مما حكم به كما يجده المقلدون اذا جاء حكمه خلاف قول من قلدوه وأن نسلم لحكمه تسليما كما يسلم المقلدون لأقوال من قلدوه بل تسليما أعظم من تسليمهم وأكمل والله المستعان وذم من حاكم الى غير الرسول . وهذا كما أنه ثابت في حياته فهو ثابت بعد مماته فلو كان حيا بين اظهرنا وتحاكمنا الى غيره لكنا

من أهل الذم والوعيد فسنته وماجاء به من الهدى ودين الحق لم يمت وان فقد من بين الأمة شخصه الكريم فلم يفقد من بيننا سنته ودعوته وهديه . والعلم والايمان بحمد الله مكانهما من ابتغاهما وجدهما . وقد ضمن الله سبحانه حفظ الذكر الذي أنزله على رسول فلا يزال محفوظا بحفظ الله محميا بحمايته لتقوم حجة الله على عباده قرنا بعد قرن اذ كان نبيهم آخر الانبياء ولانبي بعده فكان حفظه لدينه وماأنزله على رسوله مغنيا عن رسول آخر بعد خاتم الرسل والذي أوجبه الله سبحانه وفرضه على الصحابة من تلقي العلم والهدى من القرآن والسنة دون غيرهما هو بعينه واجب على من بعدهم وهو محكم لم ينسخ ولم يتطرق اليه النسخ حتى ينسخ الله العالم اويطوي الدنيا وقد ذم الله تعالى من اذا دعي الى ماأنزله والى رسوله صد وأعرض وحذره ان تصيبه مصيبة باعراضه عن ذلك في قلبه ودينه ودنياه وحذّر من خالف عن أمره واتبع غيره ان تصيبه فتنة أويصيبه عذاب أليم ، فالفتنة فى قلبه، والعذاب الاليم في بدنه وروحه، وهما متلازمان فمن فتن في قلبه باعراضه عما جاء به ، ومخالفته له الى غيره ، أصيب بالعذاب الاليم ولابد . وأخبر سبحانه انه اذا قضي امراً على لسان رسوله لم يكن لأحد من المؤمنين ان يختار من أمره غير ماقضاه فلا خيرة بعد قضائه لمؤمن البتة

ونحن نسأل المقلدين : هل يمكن ان يخفى قضاء الله ورسوله على من قلدتموه دينكم فى كثير من المواضع ام لا ؟ فان قالوا: لايمكن ان يخفى عليه ذلك : انزلوه فوق منزلة ابي بكر وعمر وعثمان وعلى والصحابة كلهم فليس أحد منهم الاوقد خفي عليه بعض ماقضى الله ورسوله به . فهذا الصديق أعلم الامة به خفي عليه ميراث الجدة حتى أعلمه به محمد بن مسلمة والمغيرة بن شعبة وخفي عليه ان الشهيد لادية له حتى أعلمه به عمر فرجع الى قوله. وخفي على عمر (١) تيمم الجنب فقال لو بقي شهرا لم يصل حتى يغتسل. وخفي عليه (٢) دية الاصابع فقضى بالابهام والتي تليها بخمس وعشرين حتى أخبر ان في كتاب عمرو بن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى فيها بعشر عشر فترك قوله ورجع اليه . وخفي عليه (٣) شأن الاستئذان حتى اخبره به أبوموسى وأبو سعيد الخدري . وخفي عليه (٤) توريث المرأة من دية زوجها حتى كتب اليه الضحاك بن سفيان الكلابي وهو اعرابي من أهل البادية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره أن

يورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها. وخفي عليه (٥) حكم املاص المرأة حتى سأل عنه فوجده عند المغيرة بن شعبة. وخفي عليه (٦) أمر المجوس فى الجزية حتى اخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذها من مجوس هجر. وخفي عليه (٧) سقوط طواف الوداع عن الحائض فكان يردهن حتى يطهرن ثم يطفن حتى بلغه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلاف ذلك فرجع عن قوله. وخفي عليه (٨) التسوية بين دية الاصابع وكان يفاضل بينها حتى بلغتـه السنة فى التسوية فرجع اليها. وخفي عليه (٩) شأن متعة الحج وكان ينهى عنها حتى وقف على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بها فترك قوله وأمر بها. وخفي عليه (١٠) جواز التسمي بأسماء الانبياء فنهى عنه حتى أخبره به طلحة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كناه ابا محمد فامسك ولم يتماد على النهي. هذا وابو موسى ومحمد بن مسلمة وابو أيوب من اشهر الصحابة ولكن لم يمر بباله رضي الله عنه أمر هو بين يديه حتى نهي عنه. وكما خفي عليه (١١) قوله تعالى «انك ميت وانهم ميتون» وقوله « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسـل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » حتى قال والله كأني ما سمعتها قط قبل وقتي هذا. وكما خفي عليه (١٢) حكم الزيادة فى المهر على مهور أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبناته حتى ذكرته تلك المرأة بقوله تعالى «وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا» فقال كل أحد أفقه من عمر حتى النساء. وكما خفي عليه (١٣) أمر الجد والكلالة وبعض أبواب الربا فتمنى أن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم كان عهد اليهم فيها عهدا. وكما خفي عليه يوم الحديبية (١٤) أن وعد الله لنبيه وأصحابه بدخول مكة مطلق لا يتعين لذلك العام حتى بينه له النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وكما خفي عليه (١٥) جواز استدامة الطيب للمحرم وتطيبه بعد النحر وقبل طواف الافاضة وقد صحت السـنة بذلك. وكما خفي عليه (١٦) أمر القدوم على محل الطاعون والفرار منه حتى اخبر بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «اذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها واذا وقع وانتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه» هذا وهو اعلم الامة بعد الصديق على الاطلاق وهو كما قال ابن مسـعود لو وضع علم عمر في كفة ميزان وجعل علم اهل الارض في كفة لرجح علم عمر. قال الاعمش : فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال والله اني

لأ حسب عمر ذهب بتسعة اعشار العلم .

وخفي على عثمان بن عفان أقـل مدة الحمل حتى ذكره ابن عباس بقوله تعالى « وحمله وفصاله ثلثون شهرا » مع قوله « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين » فرجع الى ذلك. وخفي على أبي موسى الاشعري ميراث بنت الابن مع البنت السدس حتى ذكر له ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورثها ذلك. وخفي على ابن عباس تحريم لحوم الحمر الاهلية حتى ذكر له ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمها يوم خيبر . وخفي على ابن مسعود حكم المفوضة وترددوا اليه فيها شهرا فأفتاهم برأيه ثم بلغه النص بمثل ماأفتى به .

وهذا باب لو تتبعناه لجاء سفراً كبيراً فنسأل حينئذ فرقة التقليد هل يجوز أن يخفى على من قلدتموه بعض شأن رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم كما يخفى ذلك على سادات الامة اولا ؟ فان قالوا لايخفى عليه وقد خفي على الصحابة مع قرب عهدهم بلغوا في الغلو مبلغ مدعي العصمة في الائمة . وان قالوا : بل يجوز ان يخفى عليهم — وهو الواقع وهم مراتب في الخفاء في القلة والكثرة — قلنا : فنحن نناشدكم الله الذي هو عند لسان كل قائل وقلبه اذا قضى الله ورسوله امرا خفي على من قلدتموه هل تبقى لكم الخيرة بين قبول قـوله ورده ام تنقطع خيرتكم وتوجبون العمل بما قضاه الله ورسوله عينا لايجوز سواه ؟ فأعدوا لهذا السؤال جوابا، وللجواب صوابا، فان السؤال واقع ، والجواب لازم ، والمقصود ان هذا هو الذي منعنا من التقليد فأين معكم حجة واحدة تقطع العذر وتسوغ لكم ماارتضيتموه لأنفسكم من التقليد.

(الوجه الثاني) ان قولكم صواب المقلد في تقليده لمن هو أعلم منه اقرب من صوابه في اجتهاده دعوى باطلة فانه اذا قلد من قد خالفه غيره ممن هو نظيره أو أعلم منه لم يدر على صواب هو من تقليده او على خطأ بل هو كما قال الشافعي: حاطب ليل اما ان يقع بيده عود أو أفعى تلدغه. واما اذا بذل اجتهاده في معرفة الحق فانه بين أمرين اما ان يظفر به فله اجران واما ان يخطئه فله أجر فهو مصيب للاجر ولابد بخلاف المقلد المتعصب فانه ان اصاب لم يؤجر وان أخطأ لم يسلم من الاثم فاين صواب الاعمى من صواب البصير الباذل جهده .

(الوجه الثالث) أنه انما يكون أقرب الى الصواب اذا عرف ان الصواب مع من قلده دون غيره وحينئذ فلا يكون مقلدا له بل متبعا للحجة واما اذا لم يعرف ذلك البتة فمن اين لكم انه اقرب الى الصواب من باذل جهده ، ومستفرغ وسعه فى طلب الحق .

(الوجه الرابع) ان الاقرب الى الصواب عند تنازع العلماء من امتثل امر الله فرد ماتنازعوا فيه الى القرآن والسنة واما من رد ماتنازعوا فيه الى قول متبوعه دون غيره فكيف يكون أقرب الى الصواب .

(الوجه الخامس) أن المثال الذي مثلتم به من أكبر الحجج عليكم فان من أراد شرى سلعة ، أوسلوك طريقة حين اختلف عليه اثنان او أكثر وكل منهم يأمره بخلاف مايأمره به الآخر فانه لايقدم على تقليد واحد منهم بل يبقى مترددا طالبا للصواب من أقوالهم فلو أقدم على قبول قول أحدهم مع مساواة الآخر له في المعرفة والنصيحة والديانه أوكونه فوقه فى ذلك عد مخاطرا مذموما ولم يمدح إن أصاب وقد جعل الله فى فطر العقلاء فى مثل هذا أن يتوقف أحدهم ويطلب ترجيح قول المختلفين عليه من خارج حتى يستبين له الصواب ولم يجعل فى فطرهم الهجم على قبول قول واحد واطراح قول من عداه (لها بقيه)

شبهات النصارى وحجج الإسلام

الفداء والقداسة

قد اعتاد ذلك الشاب القبطي الذي كان يحرر مجلة بشائر السلام على الارتزاق والتعزز عند قومه بدعوة المسلمين الى النصرانية ولما خذلت تلك المجلة ولم يجد مجلة ولاجريدة غيرها تقبل ان تستخدمه لنشر بضاعته المزجاة رأى ان يطبع منشورات في الدعوة الى النصرانية ويطوف فى البلاد موزعا لها ويظهر ان له من قومه أعوانا يرضخون له إسعادا على هذا العمل الذى يرون أنه يغيظ المسلمين وربما يعتقد الغافلون منهم أنه ربما يشككهم فى دينهم . وقد أرسل الينا الكاتب نسخة من منشوره وكتب عليها مانصه :

« بما أني قد لاحظت من جريدتكم الزاهية شديد الغيرة للدفاع عن حوزة الاسلام بعثت اليكم بهذا الخطاب للرد عليه بمرفقتكم ونشر الرد على صحيفتكم وان لم تستطيعوا لقوة البراهين الموردة فيه أرجوكم اذاً ان تعيروه انتباهكم وتعملوا بما فيه ودمتم »

ومن البديهي أنه لم يرسل الينا ذلك ويطالبنا بالرد عليه في المنار الا لأجل إشهاره وإشهار نفسه ولو كان قاصدا إقناعنا بالاوهام التى سماها براهين لما طلب منا الرد عليها . ولعمري ان امثال هذه الاوهام الصبيانية لاتستحق ان يرد عليها لأن العقل الذى يختى ان يغتر بها يستحق بهاان لايبالى به واشرف للمسلمين ان لايكون منهم . ولكننا مع هذا نذكر البرهان الذي قامت عليه هذه الدعوة او هذه الديانة التي نسبت الى المسيح عليه السلام بعد وفاته ورفعه الى دار الكرامة عند ربه بقرون ليحمد المسلمون ربهم على توفيقهم لهذا الدين القويم، ولتقوم حجته على المقلدين الغافلين،

كان دعاة النصرانية يصورون مسألة الفداء بأنها الجامعة بين رحمة الله تعالى وعدله فلا يتصور العقل (النصراني) ان يكون خالق السموات والارض على أبدع نظام رحيما عادلا الا اذا حل في بطن امرأة من كرة صغيرة من مخلوقاته التي لايعلمها غيره ثم ولد منها فصار إنسانا إلها ثم ساط عليه اعداءه فصلبوه . وقد بينا من قبل ان النصارى أخذوا هذه العقيدة عن الوثنيين (راجع المجلد الرابع من المنار أو الجزء الاول من كتاب شبهات النصارى وحجج الاسلام) وقد جاءنا المبشر القبطي في منشوره بتصوير آخر يشبه الاول وهوان الايمان بواحدانية الله تعالى يعوزه الايمان بأنه تعالى قدوس قال « لأنه أهون عليه تعالى أن تشرك به آلهة كثيرة من أن تنفي عنه القداسة»!! ثم قال « انه لايمكن أن يكون الله قدوسا تلقاء معاملته لعالمنا الاثيم بهذه المعاملة الا اذا اعتبرنا صحة الفداء » : فانظر الى هذه القداسة المتوقف عندهم إمكانها على اعتبارنا هذه العقيدة التي لايستطيع العقل التصديق بها وان قال لسان المقلدين من النصارى إن ذلك من عقائد قلوبهم

ما أضعف عقول المقلدين ، يفسر لهم الشيء بضد معناه فيسلمون خاضعين ، إن القداسة هي الطهارة والنزاهة ومعنى كونه تعالى قدوسا أنه جل جلاله منزه عن كل ما لا يليق بالالوهية من صفات المخلوقات وشؤونهم كالتحول والانتقال والحلول فى

الاجسام والعجز وغير ذلك مما عبر عنه أحد أئمتنا بقوله « كل ماخطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك » ولكن القداسة الالهية عند النصارى لاتحقق لله بل لاتمكن الا باعتبار اعتقاد طائفة صغيرة من خلقه وهم البشر ولو بعضهم بشرط أن يكون هذا الاعتقاد ضد القداسة ونقيضها وهو أن ينتقل الخالق ويحل في بطن امرأة الخ فما أعجب هذه القداسة !!! وأعجب منها أن يدعوا أهلها اليها المسلمين الذين يقولون ان الله تعالى قدوس بذاته من الأزل قبل أن يخلق النصارى والمسيح وكل البشر وان هذا الوصف واجب له لايمكن انتفاؤه ولو كفر جميع البشر به لأن ماكان بالذات لايزول الا بزوال الذات وانه لايتوقف على فداء ولا غيره والا كان أمراً اعتباريا لاذاتيا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

يقولون أن الغرض من هذا التفسير تنزيه الباري تعالى عن الرضى بالمعاصي والشرور التي عملها ويعملها الناس من لدن آدم الى أن ينقرضوا. وفي هذا من التناقض نحو ما في سابقه لانهم يزعمون أن من يؤمن بهذا الفداء لايؤاخذه الله بذنب وهذا هو عين الرضى بالمعاصي والشرور لانه إباحة لها . أليس من العجائب ان يتصدى من يقول ان الله لايكون قدوسا كارها للمعاصي الا اذا أباحها الى دعوة المسلمين لعقيدته وهم الذين يعتقدون أن من تقديس الباري وتنزيهه وعدم رضاه بالمعاصي أن جعل لكل معصية جزاء وعقوبة ليعتبروا ويتربوا بالنظر في تأثير أعمالهم في أنفسهم وفي الكون لانه تفضل عليهم بالارادة والعقل والاختيار في أعمالهم ؛ فهل بعد هذا التقديس والتنزيه من تقديس وتنزيه ؟

وقال مجيبا عن قول المسلمين ان الله غفور رحيم ان الرحمة والمغفرة لايمكن أن يكونا بغير الفداء لانهما حينئذ من الرضى بالمعصية وضرب لذلك مثل الجاني يعفو عنه الحاكم الظالم حبا في الظلم وارتياحا له كأنه يقول إن الحاكم اذا سمح لرعيته بأن يرتكبوا جميع الفواحش والمنكرات وقتل ابنه البرئ فداء عنهم يكون عادلا رحيما حكيما نزيها لانه عاقب البرئ وجعله فدية للاثيم !! وأي ظلم وجور وقسوة وحب للآثام والجرائم أشد من هذا ؟ ولكن التقليد يعمي البصر والبصيرة ويطفئ نور الفطرة حتى لايكون بدعا عند صاحبه قلب الحقائق وتفسير النقيض بالنقيض . ومن العجيب — وأي قولهم ليس بالعجيب — أن صاحب هذا السخف يدعو اليه المسلمين الذين يعتقدون ان

رحمته تعالى قضت ان تكون عواقب المعاصي كلها سيئة لتكون أعمال الناس عبرة لهم وسببا لتربيتهم وترقيهم بعلمهم وعملهم وأنه تعالى قرن وعد المغفرة بالتوبة ووعد الرحمة باحسان العمل فقال « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » وقال « ان رحمة الله قريب من المحسنين » ونهى عن اليأس من رحمته مهما أذنب العبد لتدوم رغبته فى فضل الله وقال « إن الحسنات يذهبن السيئات » لان آثار الحسنة فى النفس ضد آثار السيئة والمراد من الدين ترقية النفس ليرجع المؤمن عن ذنبه ويتوب عالما بفائدة التوبة ومعنى المغفرة

ثم ان صاحب المنشور حاول أن يجيب عن الاعتراض الذى طالما وجهناه اليهم قولا فى مجتمعهم وكتابة فى المنار وهو أن كون الفداء هو الذى يحقق اتصاف الباري بالرحمة والعدل (وزد هنا القداسة) يقتضي أن يكون الله تعالى قبل صلب المسيح غير عادل ولا رحيم ولا قدوس فهذه الصفات انما حدثت له على رأيهم وإيمانهم منذ ألف وتسع مئة سنة تقريبا ولكن العقل يدل على أن صفاته تعالى كلها قديمة بقدمه وكذلك كتبهم فان ابراهيم وولده ومن قبلهم من الانبياء كانوا يقدسون الله تعالى ويصفونه بالرحمة والعدل، فهذه العقيدة ينقضها العقل والنقل - فقال في جوابه « ان الفداء وان كان تم بعد خلق العالم بقرون فان صاحبه وعد به من بدء العالم ورمز اليه بالقرابين فابتدأت أثماره تظهر من ذلك الحين » اه ونقول فى جواب الجواب : بخ بخ لهذه البراهين التي لا يقوى أحد على نقضها بل يا أسفى على الفطرة البشرية التى يبلغ التقليد الى هذه الغاية من إفسادها. ان القرابين وجدت فى الملل الوثنية فهل كان الوثنيون ناجين ومقربين الى الله بها ؟ وهل كان هذا القرب والرضوان الالهي لانهم وعدوا من كهنتهم بأن الله سيصلب نفسه بعد فى جسم بشري يولد من فرج امرأة لاجلهم وجعلت هذه القرابين رمزا لذلك ؟ ان الوثنيين قد سبقوا النصارى الى خرافة الفداء إذ قالوا ان الاله أودين رمى نفسه في نار عظيمة فأحرقها فداء عن عباده (راجع ص ٤٤٨ م ٤ أو المقالة الخامسة من الجزء الأول من كتاب شبهات النصارى وحجج الاسلام) ثم انه لم ينقل عن ابراهيم خليل الرحمن ولا عن أدريس (أخنوخ) الذى رفعه الله اليه أنهما كانا يقولان بهذا الفداء أو يشيران الى هذا الرمز الوثني فهل كان التوحيد ذنبا لهما ولغيرهما من الانبياء، وكان الوثنيون المتقدمون هم الناجين ؟ وكذلك موسى

لم يقل به بل لم يقل به أحد الاهؤلاء النصارى

هذه هي خرافة الفداء وهذه قيمة شبهة القرابين ، التي هي عندهم البرهان المبين ، ومن العجائب ان أصحابها يدعون اليها المسلمين الذين بين دينهم حكمة القرابين بما يليق بحكمة الباري ويتفق مع تقديسه وتنزيهه في قوله تعالى « لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين » الله أكبر الله أكبر ، لمع الحق وظهر ، وتلاشت شبهة الذى كفر ، وبطل قول صاحب المنشور لمنكر الصلب والفداء: «واحذر كل الحذر من انكار ذلك والا كنت منكرا لقداسة الله وليس على وجه الارض كفر أعظم من هذا فالمشرك والملحد وعابد الصنم يكون فى يوم الدين ألطف حالا من منكري الصلب الذي هو قداسة الله ورحمته وغفرانه »: وعلم ان الحق نقيض قوله وهي ان العقيدة تنافي ذلك وحسبك أن صاحبها يفضل الملحد على المؤمن الذي ينكرها . فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين

باب السؤال والفتوى

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

اشتراط الولي فى النكاح

(س٥٨) ام ٠ المدرس في (القاهرة) : لقد أنصفتم فيما كتبتموه في مقالة (الاولياء والكفاءة الخ) اذ اقتصرتم فيها على ماورد في الكفاءة من الاحاديث مع بيان مذهب الحنفية فى ذلك وتركتم الحكم للرأي العام وانما نود أن تبينوا لنا رأيكم فى وجوب اشتراط الولي أو عدمه مستدلين على ذلك بالكتاب والسنة كما هي طريقتكم مع بيان حكمة الشريعة فى ذلك بتفصيل كاف وبيان شاف لازال منار كم هاديا ، وعلمكم نافعا كافيا ،

(ج) الذى يفهم من القرآن العزيز وكلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومضت به السنة ونقل عن جماهير الصحابة ولم ينقل عنهم خلافه أن الولي هو الذى يزوج وانه لابد منه ان وجد وأن الأنثى لاتزوج نفسها ولكن ليس للولي أن يزوجها

بدون رضاها واكتفى الشرع بسكوت البكر لحيائها واشترط أمر الثيب للولي وبذلك أعطى النساء حقا لم يكن لهن فى غير هذه الشريعة العادلة وجعل الرجال قوامين عليهن مع العدل والشفقة وعدم الاكراه حفظا لنظام البيوت وجمعا بين مصلحة الرجال والنساء واليك الدلائل

قال تعالى «وأنكحوا الأيامى منكم» وهو خطاب للرجال الذين يتولون العقد

وقال تعالى مخاطبا لعموم المكلفين : «واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف» فالاية صريحة في نهي الاولياء عن عضل الثيب ولا يملك العضل الا من بيده عقدة النكاح ومن زعم ان الخطاب بالنهي للازواج نرد عليه بالسياق وبما اخرجه البخاري واصحاب السنن وغيرهم باسانيد شتى من حديث معقل بن يسار قال : كانت لي اخت فاتاني ابن عم لي فأنكحتها اياه فكانت عنده ماكانت ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة فهويها وهويته ثم خطبها مع الخطاب فقلت له يالكع اكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها ثم جئت تخطبها والله لاترجع اليك ابدا وكان رجلا لا بأس به وكانت المرأة تريد ان ترجع اليه فعلم الله حاجته اليها وحاجتها الى بعلها فأنزل الله هذه الآية. قال ففيّ نزلت فكفرت عن يميني وأنكحتها إياه. وفى لفظ فلما سمعها معقل قال سمعا لربي وطاعة ثم دعاه فقال أزوجك وأكرمك : ولوكان لها أن تزوج نفسها لفعلت مع ماذكر من رغبتها. ثم ان الآية إنما حرمت العضل على الولي ولو أراد الله أن لايجعل للولي حقا على الثيب لنزلت الآية في بيان ان لهن أن يزوجن أنفسهن. ولا يقال انها خاصة بتحريم العضل عن الازواج السابقين لان العبرة بالعموم لاسيما مع اتحاد العلة المشار اليها فى تتمة الآية وهي قوله تعالى (ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لاتعلمون» فانها تشير الى مراعاة المصالح في هذه المعاملات ولا تجعلها أمورا تعبدية ومصلحة المرأة فى العودة الى زوجها الاول مع التراضي كما أن مصلحتها أن تتزوج مطلقا فالعضل محرم على كل حال وهو لا يتحقق الا اذا كان الولي هو الذى له حق التزويج برضاها

وقال تعالى «وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب

للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير » الظاهر ان الذي بيده عقدة النكاح هو الولي وهو مروي عن ابن عباس وعائشة وطاووس ومجاهد وعطاء والحسن وعلقمة والزهري ولكن روى ابن جرير وغيره في المرفوع أنه الزوج وفي اسناده مقال وان حسنوه ولم يذكره السيوطي في أسباب النزول ولم نرجح الاول عليه لهذا ولكن للسياق فانه يقول للازواج اذا طلقتم قبل الدخول فعليكم ان تدفعوا نصف المهر المفروض الا اذا سمحت المعقود عليها بذلك بنفسها او سمح وليها به وليس يظهر او سمح الزوج به لأن الزوج هو المكلف بالدفع وانما قال به قوم واولوه لأن من قواعدهم أن الولي لا يملك التصرف بمال موليته ولذلك خصه بعض من قال انه الولي بالمطلقة الصغيرة وفاتهم ان المذاهب لا يصح أن تقيد القرآن ولا أن تخصصه على أن الجمع بين الآية وبين قاعدتهم سهل وهو أن يحمل على عفو وسماح يعلم به الولي رضاها أو يعوضها عنه مثله أو خيرا منه اذا رأى أن اللائق به ان لا يأخذ من الزوج شيئا لانه لم يدخل بها وقد رأيت ان الآية تحث على هذا العفو لان المأخوذ في هذه الحالة يثقل على النفوس من الجانبين الزوج يراه كالغرامة والولي والزوجة يريانه كالصدقة . ومن نظر في التعامل والآداب الاسلامية يرى ان ماجرى عليه المسلمون من إمضاء الولي أمثال هذه الامور وعدم حضور البنت المطلقة الى مجلس الطلاق وتصريحها بعفو أو مباشرتها لقبض ومن اتفاق الناس على أن هذا لا يليق بها ومن التسامح بين الاولياء والبنات لا سيما اذا كان الولي أبا او جدا — كل ذلك من العمل بآداب القرآن وفضائل الاسلام . وهناك آيات أخرى كآية النساء «ولا تعضلوهن» وآية البقرة « ولا تنكحوا المشركين» خاطب الرجال لانهم هم الذين يزوجون ولم يخاطب النساء بذلك قط

واما الحديث فقد روى أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن » : وهو يفهم ان حق مباشرة العقد للرجال ولكنه أوجب ان يكون برضى النساء فالثيب لابد من أمرها صريحا ويكتفي ان يستأذن البكر فتسكت ولذلك قالوا يارسول الله وكيف أذنها قال «أن تسكت» وهذا أصح حديث في الباب اتفق عليه أهل الصحيح وهو يدل على ان من الآداب الاسلامية ان لا تصرح البكر بطلب

الزواج لانه لايليق بالحياء الاسلامي الذي هو فخرها وهي لا تعرف الرجال فليعقل هذا من يقولون ان الشريعة أعطت للبنت الحق فى ان تزوج نفسها بدون رضاء أبيها أو غيره فلا يصح ان يقال ان ذلك مخالف للآداب الدينية . وفى حديث عائشة المتفق عليه قالت قلت يارسول الله تستأمر النساء فى أبضاعهن ؟ قال نعم قلت ان البكر تستأمر فتستحي فتسكت فقال « سكاتها أذنها » وفى رواية « إذنها صماتها » وهـذا الاستفهام من عائشة يدل على أنه لم يكن يعهد فى ذلك العصر أن يزوج المرأة غير وليها وكأنهم رأوا من الغريب أن تستأمر فى ذلك .

وقالوا ينبغي ان تعلم البكر ان سكاتها اذن . ولا ينافي هذا حديث ابن عباس عند مسلم وأصحاب السنن « الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن فى نفسها واذنها صماتها » لأنه يحمل على انه لا يزوجها الا بأمر صريح منها جمعا بين الاخبار الماضية والآتية وموافقة للكتاب وأنه لا يصح العقد الا بذلك وأما البكر فيجب استئذانها ولو زوجها بدون اذنها يكون العقد موقوفا على اجازتها ويدل على ذلك فى الموضعين ماتقدم في الجزء العاشر من حديث عبدالله بن بريدة وأن النبي (ص) جعل أمر الفتاة لها فأجازت عقد أبيها وتزويجه اياها . وحديث خنساء بنت خدام الانصارية وهو أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله (ص) فرد نكاحها رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن

وعن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا نكاح الا بولي » رواه أحمد وأصحاب السنن الا النسائي وكذلك ابن حبان والحاكم وصححاه وذكر له الحاكم طرقا وقال قد صحت الرواية فيه عن أزواج النبي (ص) عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش ثم سرد تمام ثلاثين صحابيا فلا يضر مع هذا وما سيأتي الاختلاف فى وصله وارساله

وعن عائشـة ان النبي (ص) قال « أيما امرأة نكحت بدون اذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل فان دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له » رواه الذين رووا ماقبله وحسنه الترمذي منهم وأخرجه أيضا أبو عوانة وابن حبان والحاكم وأعلوه بانكار الزهري له وأي مانع من نسيانه اياه وقد رواه عن ابن جريج عشرون رجلا . ورواه أبو داود الطيالسي بلفظ « لا نكاح الا بولي وأيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل فان لم يكن لها ولي فالسلطان ولي من لا ولي له »

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها » رواه ابن ماجه والدارقطني والبيهقي وقال الحافظ بن حجر رجاله ثقات. وروى الشافعي والدارقطني عن عكرمة بن خالد قال جمعت الطريق ركبا فجعلت امرأة ثيب أمرها بيد رجل غير ولي فأنكحها فبلغ ذلك عمر فجلد الناكح والمنكح ورد نكاحها. وقد نقل بطلان العقد بغير ولي عن علي وعمر وابن عمر وابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وهولاء أعلم الصحابة وقال الحافظ ابن المنذر انه لايعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك. فتبين ان الكتاب والسنة وعمل الصحابة وأقوالهم وان شئت قلت كما يقول الفقهاء اجماعهم على ان النكاح لايصح بدون ولي وجرى على هذا سلف الامة وخلفها عملا حتى الحنفية الذين رووا عن أئمتهم في المسألة روايتين ظاهر الرواية أن نكاح الحرة العاقلة البالغة ينعقد برضاها ولو بدون ولي قال فى الهداية « وعن أبي يوسف أنه لاينعقد بدون ولي وعن محمد ينعقد موقوفا » وقولهما هو الموافق للاحاديث فهل يصح ان يترك الحنفية هذا القول عندهم المؤيد بما رأيت من النصوص وعمل الصحابة لاجل تلك الرواية المخالفة لذلك ؟ تأمل وأنصف

هذا هو شرع الله فى المسألة وحكمته ظاهرة وشرحها بالتفصيل يتوقف على اعادة ما كتبناه غير مرة في استقلال النساء وولاية الرجال عليهن ونقول هنا بالايجاز ان النساء كن قبل الاسلام كالعبيد والماعون عند العرب وغيرهم فرفعهن الله الى مساواة الرجال فى الحقوق والتصرف فى الاموال، ولكنه جعلهن تحت ولاية الرجال، ولم يعطهن تمام الاستقلال، فأوجب ان يكون للمرأة قيم يسوسها ولكن ليس له أن يتصرف فى مالها ولا فى نفسها بدون اذنها ورضاها بالمعروف وهذا القيم هو الاب ثم الاقرب فالاقرب من محارمها حتى تتزوج فيكون الزوج هو القيم والرئيس عليها فليس لها ان تنفصل من البيت موقتا بسفر بعيد بدون ذي محرم وليس لها ان تنفصل منه بالمرة بالزواج بدون اذن الاقرب فالاقرب من قوام البيت فلابد من اتفاقها مع وليها في انفاذ هذا الامر الذي يهمه ويهمها لانها خلقت للقيام بأمر بيت فاذا طلقها الزوج فانها تعود الى بيت الولي فلابد أن يكون للولي يد في اختيار الزوج لها لئلا يلحقه من سوء اختيارها أذى أو عار. ولأنه أعرف بأحوال الرجال منها وأبعد عن

الهوى في الاختيار، ولأن من مقاصد المصاهرة التآلف بين البيوت (العائلات) والعشائر وانفراد المرأة باختيار الزوج ينافي ذلك ويكون سببا للعداوة والبغضاء. ولأنه ليس في اتفاق الولي معها على انتقاء الزوج وتوليه العقد عنها أدنى هضم لحريتها بعد ما علم من اشتراط رضاها — ولهذا المعنى ورد في الاحاديث أيضا طلب استئذان الأم والعلم برضاها. وما علم من تحريم العضل اي الامتناع من تزويجها بمن يليق بها ويرجى ان يحسن عيشها معه كما نطقت به النصوص السابقة. واذا اتفق أنها اذا أرادت زوجا لم يرده هو بلا عذر ككونه غير كفؤ يلحقه به العار هو وبيته فقد جعل لها الشرع مخرجا برفع أمرها الى الحاكم فتبين بهذا ان اشتراط الولي مع رضى الزوجة في العقد هو الذي يتم به نظام البيوت ويليق بكرامة النساء والرجال معا وان الخروج عنه خروج عن الشريعة والمصلحة جميعا. وأي فساد في العائلات أكبر من خروج العذارى من بيوتهن وعدم عودتهن اليها لاختيارهن أزواجا يفقدن عليهم ويدعن آباءهن وأهلهن في حيرة واضطراب ويوقعن بينهم وبين الزوج وأهله العداوة والخصام وقد أشرنا الى اشتراط الولي في مقالة الكفاءة وهذا تفصيله ودليله والله عليم حكيم ؟ ؟ ؟

زواج الشيعي بالسنية

(س ٥٩) ز . ف . في (القاهرة) : هل يجوز للسنية أن تتزوج بشيعي أم لا

(ج) قد علم مما ذكرناه في جواب سؤالك السابق وماقبله ان هذا جائز وذلك ان أهل السنة يذكرون من مناقبهم التي يفضلون بها سائر أهل المذاهب الاسلامية أنهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة وإن كفرهم متأولا وقد صرحوا بصحة إيمان الشيعة لأن الخلاف معهم في مسائل لا يتعلق بها كفر ولا ايمان فالشيعي مسلم له أن يتزوج بأية مسلمة . واذا نظرنا الى ما أصاب المسلمين من التأخر والضعف بسبب العداوة المذهبية وأننا في أشد الحاجة الى التآلف والتعاطف والاتحاد يتبين لنا أن مصاهرة المخالف في المذهب ضرورية في هذه الأيام التي أحس المسلمون فيها بخطأهم السابق في التنافر والتباعد لأن المصاهرة من أعظم أسباب الاتحاد

تعدد الجمعة واعادة الظهر

(س ٦٠) السيد محضار بن حسن في (سنغافوره)

ماقولكم دام بقاكم فيما هو الجاري ببلد سنغافوره من تعدد الجمعة فيها في نحو

أربعة عشر مسجدا مع ماتعلمون من قول متأخري الشافعية في تعددها على هـذا النحو . ولكن هـل يجوز الانكار على من اقتصر على صلاة الجمعة ولم يصل بعدها الظهر ويباح ثلبه والاستخفاف به أم لا

(ج) ان الشافعية يشترطون لوجوب إعادة الظهر ان يكون تعدد الجمعة لغير حاجـة بأن يكون بعض هـذه المساجد كافياً للمصلين . وإذ كانت هـذه المسألة من المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نص عن الشارع فلا يجـوز أن ينكر فيها على من لم يصـل الظهر بعد الجمعـة وتجعل سبباً للتنازع بين المسلمين ودليل الشافعية على اعادة الظهر ضـعيف جداً وان كان مافهموه من قصد الشارع اجتماع الناس والحرص على عدم تفرقهم صحيحاً فان هذا لا يقتضي أن يطالبوا بفريضتين في وقت واحد فاذا قلنا بالتقليد فـلا يجوز للشافعي أن ينكر على من اتبع غير مذهبه لان جميع الأئمة على هدى من ربهم واذا اتبعنا الدليـل وقوته كان لنا أن ندعو الشافعية الى ترك اعادة الظهر ولكن بالتي هي أحسن ولا يجوز لمسلم أن يهين مسلماً أو يثلبه لاجل الخلاف في أمثال هذه المسائل الظنية والله أعلم وأحكم

الذكر مع النطق باسم العدد

(س٦١) ومنه: ماقولكم فيما صرح به كثير من المتأخرين من ان من قال في الصلاة هكذا : سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثا: بلفظ ثلاثا لا بتكرير التسبيح حصل له كال السنة وكذا لو قال بعد المكتوبة : سبحان الله ثلاثا وثلاثين الحمدلله كذلك الله أكبر كذلك : بهذا اللفظ حصل له الفضل الموعود وان قال: سبحان الله مئة ألف مرة يحصل له ثواب من كررها مئة ألف مرة وماتوسط به بعضهم فقال له أجر أكثر ممن قالها بدون لفظ العدد لـكنه دون أجر من كرر العدد . وقد خالف هذا بعض من حضر قراءة عبارات المصنفين المذكورة ونحواها فقال ان النبي قال : «صلوا كما رأيتموني أصلي» وما بلغنا أنه ألحق ثلاثا بشيء من أذكار الصلاة بل أمر بتكرير الاذكار ولم يفهم أحد من الصحابة مافهمه هؤلاء المصنفون فمن أدخل في الصلاة ماليس فيها فقـد عصى وتلاعب وابتدع . أما في غير الصلاة فما ورد على النبي صلى الله عليه وسلم نحو سبحان الله وبحمده عدد خلقه الخ فلا شك ان فيه فضلا كبيرا بموجب الوعد وليس لنا أن

أن نقتبس عليه ، وذكر احتجاجا ورداً على مااحتج به المخالف لاحاجة الى تسطيره لكم وقد أحببنا استجلاء الحقيقة منكم فأفيدونا ولكم الفضل

(ج) ماقاله هذا المعترض على المؤلفين هو الحق وكلامه كلام فقيه في الدين وقد صرحنا فى المنار مراراً بأن العبادات لاقياس فيها . والعجب من هؤلاء المصنفين يمنعون الاجتهاد بمعنى الاستدلال على الأحكام وفهم الكتاب والسنة ويبيحون لأنفسهم الاجتهاد بالتلاعب فى الدين وتغيير بعض أحكامه والزيادة والنقص من عباداته مع اكمال الله إياه فقولهم يكتفى فى أذكار الصلاة المكررة التلفظ باسم العدد يقتضي اذا سلم أنه يجوز لنا أن نغير الأذان بأن يقول المؤذن : « الله أكبرأربع مرات أشهد أن لاإله الا الله مرتين » : وهكذا بذكر لفظ العدد وما هو الاقياس شيطاني يراد به إفساد الدين فهوقول باطل لايلتفت اليه . أما قول الذين سميتموهم متوسطين فهو ليس بشيء أيضاً وان كان لايبلغ فساد الاول وقبحه فان ذكر لفظ العدد لغو ليس له أثر في النفس فنقولَ إنه مفيد بأثره ولم يعد عليه الشارع بشيء فنقول انا نسلم به تعبداً ، وليس هو من قبيل : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ؛ فان هذه الصيغة وأمثالها كقولك : الحمد لله عدد نعم الله : لها أثر فى النفس بما فيها من الاعتراف بكثرة النعم وتذكرها مجملة واعترافك باستحقاق المنعم بالحمد عليها وانما كان الذكر عبادة باعتبار ماله من مثل هذا الأثر في النفس ولاثواب عليه من حيث هو حركات فى اللسان وكيفية فى الصوت وانما الثواب عليه بما ذكرنا من تأثيره فى النفس فان ذاكر الله مع هذا الحضور ينمو الايمان في قلبه ويصير كثير المراقبة لله تعالى وذلك أعظم رادع عن الشرور والرذائل، ومرغب فى الخيرات وأعمال الفضائل ، والمراقبة تثمر الخشية كما ان الذكر يثمر الانس بالله تعالى أيضا وناهيك بذلك سعادة لايعرفها الامن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ولهذه المعاني قوبل الذاكر بالغافل فكان ضده وانما موضع الغفلة القلب فهو موضع الذكر أيضا وانما اللسان محرك لقلب المبتدئ وضعيف الايمان كما أن القلب هو المحرك للسان المؤمن الكامل . بل الذكر فى الاصل هو ذكر القلب ومنه التذكر والذكرى والاقوال التى تكون سببا لذكر القلب تسمى ذكرا مجازا . ولوكان ذكر اللسان مفيد بذاته لكان قول : لا اله الا الله : ممن لايفهم معناها اولا يعتقده نافعا والامر ظاهر لايحتاج الى زيادة ايضاح

باب التربية والتعليم

الشذرة الرابعة عشرة من جريدة الدكتور اراسم (*)

(التربية بركوب البحر)

عن ميناء لوندرة في ٣ مارس سنة — ١٨٦

(في البحر) تقرر أن يقلع أصحاب السفينة التي تقلنا في يومين وها نحن أولاء تسام فيها من الآن

ذلك أني كنت قرأت في الصحف الانكليزية منذ ستة أسابيع اعلاناً بأن سفينة تسمى المونيتور تسافر عما قليل الى بلاد البيرو فلم ألبث عند وصولي الى لوندرة ان سألت عنها ولاقيت ربانها في أحواض الميناء وهو رجل في نحو الثانية والأربعين من عمره أسمر قصير بادن تؤذن بدانته بأن ستنتهي بسمن مفرط مع ماهو فيه من معيشة الجد والنشاط . ويطري الناس خبرته ومتانة سفينته واني قلما صادفت وجها أطلق من وجهه وأدل منه على الذكاء والاستقامة وقد تبين لي أنه عرف في مواني استراليا ربانا جسوراً انقطع للملاحة لايعرف غيرها كنت سافرت معه فيما سبق واتخذته صديقاً فلما علم اني صديق صديقه أقبل عليّ بصدر رحب وقلب سليم وكان من نتيجة هذا التعارف ان اتفقنا على ان أكون طبيباً للسفينة كما كنت لذلك الصديق وان يكون «أميل» تلميذاً بحرياً في مدة السفر

لما سمعت والدته بهذا ارتاعت في أول الأمر لما توقعته له من سوء الطالع في ذلك العمل فاجتهدت في تسكين روعها مبيناً لها مقاصدي منه

بلغ «أميل» الآن من السن أكثر من ثلاث عشرة سنة وأصبح طويل القامة قوي الجسم يتمتع بصحة تامة من أسبابها فيما أرى نظام المعيشة الذي جرى عليه وقد بدا لي ان اشتغاله بتعلم الملاحة فرصة مفيدة لتربية قوته البدنية وشد أعضائه وتذليل

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر . وهو تابع لما نشر في الجزء الرابع عشر من المجلد السادس

عضلاته بأعمال تقتضي من المهارة مثل ما تقتضيه من الشجاعة الحقيقية فاني وهيلانة ماقصدنا قطعاً أن نجعله واحداً من أجنة العلم الفاسد الذين لاحياة لهم الا في رؤسهم فليعجب من شاء بأولئك المراهقين السقام المخدجين (١) الذين أعجزهم الدرس عن العمل فليس هذا هو الكمال الذي نطلبه « لاميل »

رأيت الناس فى مكان لايحضرني اسمه الآن يجرحون باطن الصدفة فى بعض الحيوانات الرخوة بطرف خنجر ليحملوا هذه الحيوانات على توليد اللؤلؤ بالصناعة فذلك يشبه أن يكون شأن المربين مع أحسن التلامذة فهم يتلفون بناهم وينهكون أجسامهم ولا أدري أي قصد لهم فى ذلك سوى الحصول على مجموع من المعاني تتحجر فى أذهانهم تواضعوا على أن يسموها علماً واني لفي شك من أن مايحصله المتعلمون من تلك المعاني يعوضهم شيئاً مما خسروه في سبيل تحصيله من قواهم وما أتلفوه من صحتهم . ولست أقصد بقولي هذا تثبيط المتعلمين عن العرفان الانسان خلق ليعلم وانما أريد أن يفهموا أن العمل البدني والعمل العقلي متكافئان في لزومهما لتقوية العقل وإحصافه فعلينا ان نربي كل ماوهبه الله لنا ولا نستخف بشيء منه

استشرت « اميل » قبل اعتزامي على هذا الفكر فألفيته مملوء النفس به لانه كجميع أترابه يحب الجديد ويأنس من نفسه فخرا بتعامه حرفة ويجب فى هذا المقام أن أبين مرادي وهو أني لاأعتقد بحال أن من حقي ان اختار لولدي عملا تقوم به معيشته كما أني لاأدعي لنفسي حق إلزامه الايمان بعقيدة دينية أوسياسية على ان لمايأت وقت التفكير فى الحرفة التي ينبغي أن يشتغل بها ولا أدري هل يعرف بنفسه مايلائمه من الحرف أم لا فان تربيته في غاية البعد عن نهايتها بل هي فى بدايتها ولكني أرى انه مهما حذق المربي فى التبكير بانشاء الطفل على الميل الى النفع والطمع فيه لم يكن ذلك منه عجلة مذمومة ولقد عرف « اميل » مما تلقاه على والدته من الدروس شرف العمل وكرامته فتراه يتخيل الآن انه سيكسب أجرة سفره بتسلقه شُرُعَ السفينة وهو تخيل غير صحيح الا في جزئه غير اني تحاميت كل التحامي ازالة هذا الوهم من نفسه وتركت له ان يفخر بانه يطعم خبزه الجاف بكده ونصبه فان أقل مافي هذا انه مفخرة

(١) المخدج هو الذي يولد ناقصاً بعد تمام مدة الحمل

كنت جديرا باللوم لو أني حرمته منها

ثم ان التعليم فى سفينة تجارية مفيد ومقو للعقل خصوصا اذا كانت مدته لا تتعدى بضعة شهور لحرية الانسان على ظهر البحار هي ان لا يخضع الا الى الواجب فطاعة البحار في الحقيقة فيها شيء من الاختيار وهذه هي الخاصة الفارقة بينه وبين الجندي فالرجل الذى يرى من نفسه الجهل ببعض نواميس الكون فيبدي من قوتها ما يكفي لامتثال أمر الربان وهو يعلمه بقول موجز ما جهله من تلك النواميس يكون قد جمع فى عمله هذا بين الاستقلال والحكمة

لست أبالغ لنفسي مطلقا فيما لهذا التعلم من الآثار الحسنة والنتائج المفيدة فاني أعلم ان « اميل » لن يكون بحارا لمجرد ما يمارسه من ضروب التمرن فى حبال السفينة بيدان بلاءه في ذلك لا يمكن أن يتخلف عنه استفادته منه فانه بواسطته يتعلم شيأ من أحوال البحر وبه يعرف أجزاء السفينة الاساسية وما يطلق عليها من الاسماء فكثير من أترابه لا يعرفون شيأ من امر هذه الدنيا السابحة

أخص ما أعنى به في هذا الامر ان يحصل في ذهنه بالاختبار والمشاهدة معنى من القوى الكونية العظمى وما يلزم للانسان في مقاومتها او قهرها من ثبات الجاش وحضور الفكر وسيكون هذا أعظم درس له في سفره. ومما لا يسعني إلا أن أضحك منه انني أسمع بعض المعلمين يقولون لغلمانهم المتبطلين الذين ورموا من صغرهم كبرا وغرورا انهم ملوك الخلق فهلا وصفوهم أيضا بان أيديهم البيضاء الرقيقة لم تخلق الا لتقود عجلة الشمس فى ارجاء السماء؟ رويدا أيها المعلمون قفوا هؤلاء الملوك امام البحر فانظروا ما يعتريهم من الرعب خشية أن تبصق امواجه الكثيفة في وجوههم

واما (اميل) فانه لابد أن يتعلم من الآن ما يجب أن يبذله الانسان فى سبيل سيادته على الفواعل الكونية وكيف ينبغي أن يكون معها في كفاح مستمر ليحفظ سلطانه على عرش الماء

حادثت الربان وهو رجل شهم فى شأن ولدي وكاشفته بفكري فى تربيته ففهم حق الفهم الدرس الذي أردت تعليمه اياه وهو أن من المفروض على الشبان أن يعتبروا العمل العقلي جزاء للعمل البدني ومكافأة عليه اه

آثار علمية أدبية

﴿ قصيدة في ندوة العلماء بالهند ﴾

تفضل علينا صديقنا الشيخ عبد الله الجيتيكير من بمبي (الهند) بارسال هذه القصيدة التي قدمها الى ندوة العلماء التي اجتمعت في شهر شوال سنة ١٣٢١ وكتب الينا أن بعض المسلمين اشتدوا في السنة الماضية في مقاومة الاجتماع وإبطال الاحتفال وجاءوا بأمور لاتحمد عند عاقل ولكن عزم رجال الندوة غلب حزب التفريق والتمزيق وصديقنا يعرض بذلك وبهذا فهمنا ما في قصيدة أبي بكر بن شهاب في الجزء الماضي من التعريض والشيخ عبد الله هذا هو اخو فقيد العلم والادب صديقنا المرحوم الشيخ محمد الجيتيكير صاحب القصائد السابقة في المنار . وانا ننشر القصيدة برمتها لما فيها من النصيحة والتذكير قال حفظه الله

دع ذكر ربات الكلل ... وذر الصبابة والغزل
القلب مشغول فما ... للعشق فيه من محل
قد عمنا الداء العضا ... ل من البطالة والكسل
داء أخل بعقلنا ... والجسم منه قد اضمحل
داء به فسد المزا ... ج وفي الطباع بدا الخلل
داء لقد سلب القوى ... منا وعوض بالشلل
داء تعطل منه احـ ... ساساتنا والخطب جل
خطب أباد جموعنا ... حتى اتصفنا بالفشل
خطب لهول وقوعه الـ ... ولدان رأسهم اشتعل
خطب تزلزلت الأرا ... ضي منه واندك القلل
خطب أقام قيامة ... قبل القيامة منذ حل
وارحمتاه لحالنا ... اذ في انحطاط لم نزل
ما زاد كثرتنا سوى النـ ... ـقصان فينا والعطل
قد زال شمس نهارنا ... في غفلة وبدا الطفل

فالآن ان لم تنتبه هل بعد فينا من أمل
واخيبتاه لقد أظلتنا من الذل الظلل
تترى أمام عيوننا الـ آفات تمطر كالهمل
يا أيها الملأ انظروا ماذا بساحتكم نزل
جلت لديكم نقمة مذ نجم عزتكم أفل
هل فيكم من نهضة تنجيكم مما حصل
هل عدة مع عدة نرجو بها دفع الجلل
ماعندكم غير اللسا ن وليس يتبعه عمل
فلكم وكم بتم تعدون المصائب بالجمل
هل ما أفاد مقالكم بين الورى غير الخجل
ليس الكلام بمنجد مادام قائله وكل
إن الكلام بغير فعـ ـل كالبكاء على الطلل
كم ذا التراخي منكم كم ذا التكاسل والمهل
كم ذا التعصب بينكم كم ذا التنازع والجدل
كم ذا التجاهل والتغا فل والتساهل والمطل
أودي تأخركم عن الـ أقران في شر الغيل
لن تفلحوا مادمتم أسرى لأفكار أول
والدهر حيث شغلتم عنه بغيركم اشتغل
لله ياقوم انهضوا وخذوا الحذار من الدغل
والى المعالي سارعوا فالجد يعلي من سفل
ها ندوة العلماء بيـ ـنكم أقامت محتفل
من كل غطريف سديد العزم مقدام بطل
من كل نحرير خبيـ ـر عارف سمح أجل
لله ناد قد حوى فضلاء قوم واشتمل
لله درهم فكل منهم المسعى بذل

لله جهدهم فكم قد أصلحوا منا خلل
كم من مسائل فيهم تروي الأنام لدي النحل
يامعشر الاسلام فاتبعـــوهم ، وذروا المذل
فهم الأساة وعندهم لكم الشفاء من العلل
وارعوا حقـوق إخائكم ودعوا النزاع على الأقل
ويكون همكم لإصـ لاح الفسـاد وما أخل
بتفرق منكم لقـد ضاقت بنا حيل الحيل
لن تستقيم شئونكم والحبل منكم منفصل
يا للحمية أسعدي فتشددي فينا الوصل
حتى تثقف حال احـ داث فامرهم أجلل
ان الزمان لمنتـه والعمر يمضي بالعجـل
لا ينفعـن تأسف من بعد مايقضى الاجل
والله ليس نفوسنا تركت سدى مثل الهمل
فغداً سيسئل كلنا عما جناه وما فعل
ماذا يكون جوابنا أفلا نجيب اذا نسل
هذا وما غرضي سوى الذ كرى ولا أبغي بدل
ما الدين الا النصح والا هادي هو الله الاجل
يارب وفقنا لما ترضاه من حسن العمل
واهـد الصراط المستقيـ م جميعنا وقنا الفشـل
وانصر بلطفك ندوة الا علما وبلغها الامـل
وأعن عبادك فى الذى شرعوا به واشف العلل
واجعل لنا من امرنا فرجا وكن لمن اقتبل
وافتح بفضلك بيننا بالحق واقبل من سأل
وأدم صلوتك والسلا م على الذى نسخ الملل
والآل والاصحاب ثـم التابعين ومن كمل
وسقى سحاب الفضل(مد ـ راسا)ومن فيها دخل

تقريظ المصنفات

(كتاب روح الحياة) أهديت الينا من بضعة أشهر رسالة بهذا الاسم مؤلفة من ٣٢ صفحة وقد كتب عليها بعد اسم الكتاب : (الدعوة الاولى) من قلم تحرير جمعية الدعوة الاسلامية : ثم كتب بعد ذلك (تأليف محمد حافظ صاحب مدرسة نور الاسلام الاهلية) ففهمنا منها ان هناك جمعية للدعوة ولكننا لم نسمع لهذه الجمعية قبل الرسالة ولا بعدها خبرا ، ولم نر لها أثرا ، وقد اعتدنا ان نرى كثيرا من هذه المصنفات الحديثة الضخمة الالقاب ، فنحوم عليها نبغي الورود فيتبين لنا انها سراب ، حتى صرنا نرغب عن قراءة اكثر المصنفات الحديثة التي لانعرف لأصحابها شهرة في العلم لئلا نضيع وقتنا فى غير المفيد . وقد كنا ظننا ان هذه الرسالة من هذا القبيل قبيل المتهجمين على التأليف وطبع ما يكتبون وان كان لغوا الا اننا أمسكناها لننظر فيها لأنها نسبت الى جمعية موضوعها الدعوة الاسلامية فلم يتح لنا ذلك الا اليوم — تصفحنا بعض صفحاتها وقرأنا جملا من مسائلها فرأيناها قد كتبت بعقل واشتملت على حكم وعظات نافعة أكثر مما كنا ننتظر ولكننا لم نر فيها دعوة الى شيء معين محدود يدل على ان وراءه ماهو أرقى منه كما يتبادر الى الذهن من كلمة (الدعوة الأولى) اذ تفهم الكلمة أن هناك أموراً مرتبة يتوقف بعضها على بعض قد شرعت الجمعية في بيانها لاقناع الناس بها . ومواضع الرسالة في تقسيم الحياة الى وجودية وشهوانية واجتماعية وفي العوامل الحيوية في الشخص والعائلة والقوم والوطن وفيها فصل في الدين وتأثيره وفضل الاسلام وطريقتها في البحث فلسفية . وجملة القول ان الرسالة نافعة نود أن يطالعها الشبان المصريون الذين لاهم لهم في حياتهم الا اللذة ونشكر للمؤلف والجمعية هذا العمل ونتمنى أن يزيد نجاحاً وثباتاً

﴿ الحبس فى التهمة والامتحان على طلب الاقرار ﴾

رسالة « لشيخ الاسلام سعد الدين الخالدي المعروف بابن الديري » نقلت من احدى مكاتب الاستانة واعتنى بايضاحها وطبعها محمد روحي افندي الخالدي المقدسي باش شهبندر الدولة العلية فى مدينة بردو الفرنسية وفيها مباحث لاتكاد توجد مجموعة فى كتاب بدأها بما ورد في الحبس من نصوص الكتاب والسنة وخرج الاحاديث

التي أوردها وذكر عللها وهو مالم يعهد من فقهاء الحنفية الا قليلا ثم ذكر أقوال الفقهاء في ذلك . ومن مسائلها بيان أصل اعتبار غلبة الظن ومراعاة ظواهر الاحوال والكلام في الحدود ودرئها والمعافاة منها قبل الوصول الى الحاكم وعدم العمل فيها بكل اعتراف . والكلام في حبس أرباب التهم وضربهم لاجل الاقرار ، وفي تحكيم القلب في الامور وهو مايعبرون عنه اليوم بالضمير . وفي آخرها ترجمة المؤلف وماقاله العلماء فيه ونقلوه عنه . وصفحات الرسالة تزيد على ٨٠ فنشكر فضل من سعى بطبعها ونشرها

علم قراءة اليد

كتاب حديث موضوعه مايسميه الناس عندنا علم الكف وذلك أننا نسمع منذ الصغر أن من العرافين من يعرف مستقبل الانسان من النظر في كفه وقراءة مافيها من الخطوط الدالة على معاني لايعرفها الا أهلها . والعقلاء يعدون هذا ضربا من الدجل والاحتيال على الرزق كضرب الرمل والودع والحصى ولاتكاد تجد من يعتقد بأن الكف يدل حقيقة على أحوال الانسان الا النساء والجهلة . وما كنا نظن أن الاوربيين عنوا بهذا الامر ووضعوا فيه المصنفات الموضحة بالرسوم وتصوير تقاطيع الكف وخطوطه حتى ظهر هذا الكتاب .

نقل الكتاب وجمعه من «اللغات الاجنبية نجيب أفندي كاتب رئيس القلم الافرنجي بالسكة الحديدية السودانية . واعتنى بضبط لغته الصاغقولاسي محمد أفندي فاضل أركان حرب السكة الحديدية السودانيـة» وهو جزآن أحدهما في فراسة اليد وثانيهما في اسرار الكف وفيهما أبواب وفصول كثيرة وتسعة وعشرون شكلا . وصفحات الكتاب تقرب من مئتين وثمن النسخة منه ٢٠ قرشاً أو ٥ فرنكات وأجرة البريد قرش أو ٣٠ سنتيما ويطلب من المكاتب الشهيرة

تاريخ اليهود

وضع هذا التاريخ حديثاً شاهين بك مكاريوس الواسع الاطلاع في التاريخ وهو مؤلف من فصول في نسب اليهود وأصلهم وفي انتشارهم وتاريخهم قبل الخروج من مصر وبعده وفي تفرقهم في الارض شرقها وغربها وفي ديانتهم وشريعتهم وفرقهم وعوائدهم وأشهر متقدميهم ومتأخريهم وجمعياتهم ونوابغهم ووجهاء المعاصرين في

العصر . وطريقة المؤلف وعادته في كلامه عن الطوائف والملل النظر الى الحسن والتنويه به وعدم الالتفات الى ضده بالمرة فهو لايذكر امرا منتقداً لاعلى طريقة الاستحسان والرضى ولا على سبيل الرد والنقض . وقد قرظ كتابه بعض فضلاء اليهود واستحسنوا تدريسه في مدارسهم الابتدائية لاختصاره وسهولته

(تاريخ ايران) وقد أهدانا المؤلف مع كتابه الحديث المذكور تاريخه لايران الذي ألفه من عدة سنين وقدمه للشاه مظفر الدين وهو أكبر من تاريخ اليهود وأكثر فائدة منه

الحقائق الأصلية . في تاريخ الماسونية العملية

وأهدانا أيضا هذا الكتاب من تأليفه ويعني بالعملية ماينسب الى الجمعية من المباني والآثار الأدبية لاأعمالها السياسية السرية التي كانت من أعظم أسباب الانقلاب السياسي في أوربا . وفي الكتاب فوائد كثيرة عن هذه الجمعية لايستغني الباحثون عن معرفتها ولعلنا نتكلم عن شيء من مسائل هذا الكتاب بعد مطالعته . فنشكر للمؤلف هديته . وهذه الكتب تطلب كسائر مؤلفاته من ادارة المقطم بمصر

عود على بدء

صدر الجزء الثاني من هذه القضية المتممة لقصة الفرسان الثلاثة وفيها فوائد جمة عن أخلاق الملوك المستبدين وأحوالهم وأهمها أنه لايؤمن جانبهم ولايرجى ودهم وفيها من غرائب دسائس اليسوعيين وبراعتهم في السياسة مايمثل لك عظمة هذه الجمعية السرية وهول مستقبلها . وأعظم العبر فيها ماكان من خبر بعض الحراس الثلاثة مع الملك لويس الرابع عشر في مواجهته ببيان فساد أخلاقه وسوء تصرفه مما يدل على أن أصحاب الاخلاق العالية في كل زمان ومكان هم الملوك الحقيقيون الذين يحتقر كل أحد نفسه أمامهم وان كابر وتكبر . وعتا وتجبر ، وثمن الجزء الواحد ستة قروش كما تقدم ويطلب من مكتبة المعارف بمصر

شارل وعبد الرحمن

هي القصة الثامنة من القصص التي وضعها جرجي أفندي زيدان في تاريخ الاسلام

وهي « تتضمن فتوح العرب فى بلاد فرنسا الى ضفاف نهر لوار بجوار تورس وما كان من تكاثف الافرنج هناك على دفعهم بقيادة شارل مارتل والاسباب التي دعت الى فشل العرب ونجاة أوربا منهم » اما هذه الاسباب التى شرحها فهي ترجع الى أمرين أحدهما قلة العرب في الجيش وكثرة البربر وغيرهم من الشعوب التي دخلت في الاسلام ولم يتمكن من قلوبهم الايمان ولا عرفوا حقيقة ما يأمر به هذا الدين من العدل وعدم الاعتداء فى الحرب وتحريم التعرض لمن لا يقاتل كالرهبان والنساء . فكان هؤلاء الدخلاء لاهم لهم الا السلب والنهب فتنكرت النفوس التى كانت مالت الى المسلمين منهم وساءت بذلك سيرتهم . وثانيهما اجتماع كلمة الاوربيين بعد تفرقهم وهو أضعفهما وثمن النسخة من القصة ١٠ قروش وتطلب من مكتبة الهلال بمصر

نبراس المشارقة والمغاربة

جريدة ظهرت فى مصر مديرها السيد مصطفى بن إسماعيل وهي جريدة لا كالجرائد التي تظهر كل آن فى مهاب الاهواء المتناوحة في مصر فتعلو وتسفل وتيمن وتشئم وتمين وتصدق بل هي جريدة تحالف فيها القول مع الاعتقاد وتآخى الاعتقاد مع الدين وجرى الدين كعادته مع حسن النية فهي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في الأمور العامة بحسب ما يصل اليه علم من يكتبها وفهمه . وقد انتقدنا عليها إطالة الكلام فى المسألة الواحدة كالكلام في العرب ومراكش ولو نوعت المباحث لكانت أحب وهي تصدر فى الشهر ثلاث مرات وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً فى مصر و١٠ روبيات فى الهند وزنجبار و ١٦ فرنكا فى سائر البلاد . فنسأل الله أن يهديها طريق الرشاد ، ويهبها الثبات والسداد ، ان الله بصير بالعباد ،

سيف العدالة

« جريدة سياسية أدبية انتقادية ارشادية فكاهية أسبوعية موقتاً » لصاحبيها حسن أفندي لبيب البري ومحمد توفيق أفندي البحري ولما كان أحد صاحبيها بريا والآخر بحريا وكان موضوعها الانتقاد فيتوقع ان يبينا فيها ماظهر من الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ويلبسا ذلك ثوب الانتقاد ، ليكون ذلك من جزاء أولئك الأفراد . « ومن يضلل الله فماله من هاد » وقيمة الاشتراك في الجريدة ٨٠ قرشا عن سنة في مصر و٣٥ عن ٣ أشهر و ٣٠ فرنكا في الخارج فنتمنى لها التوفيق والنجاح

باب الأخبار والآراء

مراكش والاصلاح ـ وحال المسلمين

كتب الينا من فاس ان أبا حمارة يكوّن سلطنة فى تازه . وأنه ظهر خارج آخر يدعى أبا عمامة (وهو معروف) وأنه ليس لدى الحكومة فى فاس أكثر من ألف جندي وأن الخزينة مفلسة فان الدين الذى أخذه السلطان عبد العزيز من فرنسا قد اشترى به من باريس كثيرا من الأثاث والرياش والماعون وأدوات الزينة والزخرف، وأن فرنسا قد استلمت ادارة المكس (الجمرك) بطنجة في مقابلة المال الذى اخذه السلطان منها وقدره ٦٢ مليون فرنك وابتدأت بالعمل ، وأن بعض الوزراء ميال لسياستها كما كان المهدي المنبهي ميالا الى انكلترا حتى انه دخل فى حمايتها رسميا وهو وزير وان كان لاحق له فى ذلك ، وأن جهل هذا الوزير هو الذى ذهب بما كان عند الدولة من السلاح الكثير وأفسد عليها جيشها وأطمع الخارجين فيها ، وأن السلطان قد صادره بعد عودته من الحج هو وكاتبه وقد قبض على كاتبه وامتنع هو فى طنجه بحماية قنصل انكلترا . ويظن الكاتب أن فى تداخل فرنسا فى شؤون البلاد خطرا عظيما لان جميع القبائل مستعدة للمقاومة بالقوة وأنهم ما أبغضوا السلطان الا لميله الى الأجانب ولولا ذلك لم تمتد دعوة الخارج وتقوى شوكته

هذا ملخص ما كتبه الكاتب من أخبار البلاد وهو يقول مع هذا ما يعلمه المختبرون من أن أكثر علماء تلك البلاد لا يزالون على ما كانوا لم تحدث لهم موعظة ولا تجدد لهم اعتبار ولا اقتنعوا بالحاجة الى شيء من العلم والعمل غير فقه المالكية ومقدماته، وعامتهم لا تزال تعتقد مع أكثر خاصتهم أن أعظم واق للبلاد هو وجود قبور الاولياء فيها لاسيما سيدي ادريس الاكبر (رضي الله عنه) ولو عرفوا مع كتب النحو والفقه شيئا من تاريخ المسلمين لكان لهم فيه عبرة فان معظم بلادهم خرجت من أيديهم واستولى عليها الافرنج على بعد أكثرهم عنها وكان أهلها يقولون بقول أهل مراكش ويعتقدون اعتقادهم . كان أهل بخارى قبل فتح الروسية لبلادهم يرون أن قراءة البخارى وسر سيدي

بهاء الدين شاه نقشبند امام الطريقة المشهورة كافيان لحماية البلاد من كل سوء وقد دخلت الجنود الروسية عاصمتهم وهم مشغولون بقراءة البخاري فلم تغن عنهم قراءة البخاري ولا البخاري نفسه ولا شاه نقشبند شيئا من عذاب الله الذى تركوا سنته فى خلقه وأمره في كتابه «وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة»

يتوقف امتثال أمر الله في هذه الآية على معرفة الفنون العسكرية ومنها الرياضية والطبيعية التي يحرمها الغفل من الفقهاء باسم الدين فيحرموا مافرضه الله تعالى على الأمة اعتداء على الله وافتئاتا على دينه والعامة تغش بهم لانها اعتادت على تقليدهم. ومن ينير الله تعالى بصيرته ويؤتيه فهما فى كتابه فيحاول اقناع الناس بما أوجب الله تعالى عليهم من الاستعداد للاعداء بمثل مايستعدون به لازالة سلطة الاسلام — وهو العالم حقاً — يهيجون عليه العامة بأنه يدعوهم الى علوم الكافرين ليفسد عليهم دينهم وأن مايستدل به على دعاويه من كتاب الله تعالى غير جائز لأمثاله لأنه مخصوص بالذين ماتوا من المجتهدين ، ولكن كيف جاز لهم هم أن يجتهدوا بجهلهم فيحلوا ويحرموا بأهوائهم من غير بينة ولا دليل.

هذا ما وصلت اليه الامة الاسلامية بارشاد علمائها ، واستبداد سلاطينها وأمرائها حتى نزع الله منهم اكثر ممالكهم ولا تزال الامم الافرنجية تستولي على بلادهم مملكة بعد مملكة ولا يرجع المتأخر عما كان عليه المتقدم فمن نعاتب ومن نخاطب

الخواص والزعماء هم الذين ينهضون بالامم ولكن طول عهد المسلمين باستبداد الامراء قد أفسد النفوس ، وطول عهدهم بالجهل والتقليد قد أفسد العقول، فأي زعامة ترجى مع فساد نفس المرء وعقله

تنحي جرائد هذه البلاد على السلطان عبد العزيز وتنعي عليه اسرافه في اللهو واللعب واللذات الحسية وكل أمراء المسلمين كذلك بل يعرفون من طرق الشهوات واللذات مالايخطر له على بال وإنما يلام هذا السلطان على كونه لايعرف شيئا غير اللهو وأنى له أن يعرف شيئا و«العلم بالتعلم» وهو لم يتعلم من علوم السياسة وادارة الممالك شيئا. ثم أنى له ان يعمل بما عساه يعلمه و«الحلم بالتحلم» اي ان الاخلاق والاعمال الحسنة انما تنشأ عن التربية والتعود عليها وهو لم يترب الا على اتباع مايحب ويشتهي، وانا نرى

من تعلم من امرائنا وعرف مالم يعرفه غيره لايتبع الاهواء الا أن يعجز عنه ويضطر الى غير مايهوى اضطرارا

الواجب على الجاهل بما ينبغي له علمه وتتوقف عليه سعادته إن كان عاقلا موفقا أن يستعين بمن يعلم ذلك ويقدر على العمل به بقدر الامكان ولكن طبيعة الاستبداد كالخدر في الجسم لايحس معه المرء بالحاجة الى الدواء فيسعى بطلبه ولو أحس لوجد للمقتضي مانعا وهو لذة الاستبداد التي تعلو كل لذة فى السكون فهو يختار أن تطوح أمته في هوة الهلاك على أن يعارض استبداده وحكمه المطلق معارض إصلاح .

السلطان عبد العزيز لايرى أمامه ولاحوله داعيا الى إصلاح عسكري أوإداري أوعلمي ولايشعر بان الامة تطالبه بشيء من ذلك بل ربما كان يعلم أن أمته تكره كل شيء جديد وان كان السعادة والسيادة أفلا يكون معذورا بالنسبة الى سلطان يعلم أن فى رعيته الألوف وعشرات الالوف بل والملايين من العارفين بدرجة ضعف الدولة الشاعرين بخطر الجهل فى الامة والاستبداد فى السلطة المطالبين بالاصلاح ثم هو يحاربها كلها ويسعى في إطفاء كل شعلة للعلم وجذوة للغيرة فى كل زاوية من زوايا بلادها وقراها حتى انه ليعد من أكبر الجرائم السياسية الاطلاع على كتاب فى فن التربية والتعليم ويعاقب على ذلك بدون محاكمة عقابا لاحد له ولاشرع ولاقانون ؟

ساح شاه ايران فى بلاد أوربا ورأى فيها من آيات القوة والرقي ماعرفه الفرق بين العلم والجهل والعمران والخراب والترقي والتدلي والقوة والضعف فاشتهى ان يصلح حال دولته ولكنه لايجد في بلاده من يقدر على القيام بالاعمال الادارية ولا المالية ولا الحربية ولا التعليمية

فههنا شعب اسلامي يحب الاصلاح ولكن سلطانه لايحبه وهناك شعب اسلامي لايشعر بالحاجة الى الاصلاح ولكن سلطانه يشعر به . فلاشعب يقدر على تقييد سلطان ولاسلطان يقدر على اصلاح شعب واما بلاد مراكش فلا سلطانها يشعر بما يجب ولا شعبها فحالها شر الأحوال

ولكن قد بلغنا أخيرا أن بعض الكبراء فى فاس يشعرون بالخطر الذى ينذرهم ويتمنون لويقتنع السلطان بمثل ماهم مقتنعون به ويتفق معهم على العمل لتلافي الخطر

ثم لايجدون لذلك وسيلة ولايهتدون اليه سبيلا. المسلمون مساكين. المسلمون فقراء، أما إنهم ليسوا فقراء الايدي ولكنهم فقراء العقول والقلوب فانه لايزال في أيديهم أفضل بقاع الارض ولكنهم قوم يجهلون

نعم قد رشد من المسلمين افراد قليلون ، ولكنهم في شعوبهم القاصرة ضائعون ، ومع هذا فهم محل الرجاء ، في جميع الارجاء ، يعدون للاصلاح الأفراد، ويؤلفون مااستطاعوا بين الآحاد، وان الاصلاح والاسعاد، على قدر الاستعداد، فنسأل الله إن يسدد أمرهم، ويشد أزرهم، ويكثر عددهم، ويقوي مددهم

﴿ الحجاج والسلطان والانكليز ﴾

أرسل السلطان الى الحجاز لجنة لتحقيق أمر ما كان من التعدي على الحجاج وسفك دمائهم ونهب أموالهم وهذا اعتراف رسمي بالتعدي إجمالا وتكذيب لما نشر في الجرائد العثمانية نقلا عما كتبه أمير مكة وواليها بعد الحج من أن الحجاج كانوا في أمن وراحة واطمئنان • والذي نقل عن اللجنة أنها نفت طائفة من وجهاء المدينة المنورة الى جهة الطائف • والمعروف أن هنالك حزبان يتنازعان والحكام ينصرون من كان أكثر لهم نفعاً والناس يعرفون أن علة مصاب الحجاج في مكة لافي المدينة وهي الأمير والوالي ولكن (المابين) راض عنهما فليغضب من شاء من الحجاج وغيرهم . وعسى أن تكون اللجنة اتفقت مع الوالي والأمير على حفظ الأرواح والرفق بسلب الاموال إذلا يرجى المنع من السلب مطلقا فيما نظن فان الاعتداء على الارواح فضيحة كبرى واذا تبين استمراره يبطل الحج لانه يصير محرما بعد أن كان واجباً الا اذا قدر المسلمون على حماية حرم الله وحرم رسوله رغماً عن الحكومة

هذا ماكان من أمر حكومة السلطان في ذلك وقد أنبأنا البرق بأن مجلس النواب الانكليزي بحث من عهد قريب في مسألة الحج المصري وسأل حكومته عن الطريق التي تسلكها في المحافظة على الحجاج المصريين وهو نبأ جديد لم يعهد من قبل ولا غرو فان الاحتلال الانكليزي قد دخل في طور جديد بعد الوفاق بين انكلترا وفرنسا ورضاء الدول بالوفاق ومنه عدم البحث في أمر الاحتلال والجلاء وتفويض الامر كله في مصر الى بريطانيا العظمى بشرط أن تكون حقوق الدول ومصالحها

فيها محفوظة . فهل تفطن الحكومة الحميدية الى وجوب منع كل سبب يؤدي الى تداخل الانكليز فى شأن الحجاز والحجاج ؟ هذا ما يتمناه للدولة والسلطان كل مسلم والله الموفق

﴿ الرابطة الدينية والحرب الحاضرة ﴾

لقد ظهر لنا من ميل النصارى الى روسيا فى هذه الحرب فوق ما كنا نعرف ونظن فاننا رأينا العوام والخواص منهم يتألمون أشد التألم لكل انكسار وكل خسار يصيب الجنود الروسية فى الشرق الاقصى ويفرحون أو يتعزون اذا قيل أنه قد قتل من العساكر اليابانية عدد كثير . ظهر ذلك لنا مما نشاهد فى مصر ومما ينقل لنا من أخبار سوريا والمهاجرين السوريين في أمريكا . وقد انتهى الغلو فى حب روسيا عند السوريين الى أن يترك بعضهم الضحك بل والاكل فى المساء الذي يقرؤن في برقياته أن روسيا قد انكسرت في واقعة كذا وأخذ اليابانيون منها موقع كذا أو أغرقوا لها كذا وكذا من السفن الحربية — والى أن يكابر بعض أصحاب الصحف منهم أنفسهم في الانكسار المتوالي من الروس فيصوروا الوقائع بغير الصور التي انتهى اليهم خبرها حتى كان فى هذه الصحف ما لو اكتفى به القارئ فى تعرف أخبار هذه الحرب لاعتقد أن ليس لليابانيين مزية وأن ما أخذوه من المواقع والحصون من الروس قد تركه الروس لهم لحكمة حربية ولا يلبثون أن ينقضوا عليهم انقضاض الاسود على القرود فيمزقوهم تمزيقا — هذا وأوربا بدعواها وكبريائها وخيلائها واحتقارها للشرق واهله قد أعجبت كلها حتى أنصار روسيا منها بأن اليابان قد بلغت من اتقان الحرب علما وعملا غاية لامطمع لأحد في تجاوزها فنظامهم أكمل نظام وسلاحهم أحسن سلاح وشجاعتهم أتم شجاعة وقد بلغوا الكمال الحربي في البر والبحر . والمعتدلون من أصحاب هذه الصحف الذين لامندوحة لهم عن ذكر جميع الوقائع كما ينقل البرق والبريد يضيفون الى أخبار ظفر اليابان مالا مناسبة له من أعمال روسيا الماضية وانتصارها السابق فى بعض الحروب وما لها من الاعذار الحاضرة وما يرجى لها من الاماني المستقبلة ، يمثلون بذلك عظمة روسيا في أعظم تمثال وصل اليه الخيال قبل هذه الحرب التى ذهبت بالخيالات وفتحت للناس باب الحقيقة فى الحكم . ولسنا نريد بهذا القول تحقير روسيا والتكهن بانها لاتنتصر أو الرد على هذه الصحف وانما نريد

بيان الواقع. في البرازيل جريدة سورية معتدلة حقا لا تتعصب لدين ولا لمذهب ولا لطائفة وهي جريدة (المناظر) كانت تذكر خلاصة أخبار الحرب كما تصل اليها فقامت عليها قيامة السوريين هناك وطفقت جرائدهم ترد عليها ردا عنيفا

هذا أثر من آثار الرابطة الدينية ويعلم من ظهر عليهم ان بعض مظاهره منتقد وأنه على كل حال لايفيد روسيا ولا يدفع عنها شيئا وماذا عليهم وهم لم يشعروا باختيارهم ولم يقولوا ماقالوا وكتبوا دهانا لها وانما هو سلطان الدين الاعلى على الارواح ظهر أثره في الاقوال والاحوال، من غير تكلف ولا اعمال، فهل يعتبر بهذا بعض الشعوب الذين استحوذ على أرواحهم سلطان اللذة فغلب فيهم الشعور الديني حتى لا غيرة لهم على دينهم ولا على أهله الذين يعيشون معهم فضلا على الذين يبعدون عنهم ؟؟ أيتعللون بأنهم استبدلوا الشعور الوطني بالشعور الديني خلافا للسوريين؟ لعلهم لايجرءون على هذا التعلل فان السوريين هم الذين علموا الشرق الادنى هذا النداء بالوطنية . فاذا كانت آية الوطنية لم تمح آية الدين عند الاستاذ فأجدر بها أن لاتمحوها عند التلميذ. واذا ادعوا أن الشعور الديني كامل فيهم فليحاسبوا أنفسهم ليعرفوا حقيقة الدعوى. والله يعلم السر والنجوى.

أهواء الجرائد والدفاع عن الأمير

لقد كان في قضية السادات وصاحب المؤيد عبر لأولي الألباب لانذكر منها إثبات المحكمة كون طريقة إثبات الانساب الرسمية غير شرعية ولا غير ذلك وانما نحب تنبيه الافكار الى ضرب من ضروب أهواء الجرائد التي أشرنا اليه في الجزء الاسبق وهو أن وكيل السادات قال في المحكمة ان الخديو المعظم خطب بنت موكله لصاحب المؤيد ثلاث مرات ولم ينجح في خطبته (أو كما قال) ولا يخفى أن هذه الكلمة أعظم مما انتقدته الجرائد على رياض باشا أو أبعد منه عن الأدب مع الأمير — ان لم نقل اكثر من هذا — فما بال تلك الجرائد التي شنت الغارة على رياض دفاعا عن مقام الامير تلقت كلمة المحامي بالقبول ؟ اللهم انها نطقت هناك عن هوى وسكتت هنا عن هوى فلا الاخلاص للامير انطقها ولا ضده أسكتها فهم كمن نزل فيهم « يحلونه عاما ويحرمونه عاما »

قلنا في الجزء الماضي أنه ثبت للمحكمة تزوير نسب صاحب المؤيد والأولى لم تثبت عندها صحته

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الأحد غرة رجب سنة ١٣٢٢ — ١١ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم * أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ، ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد *

قوله (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) متصل بما قبله على كلا الوجهين السابقين فاذا كان الكلام لا يزال في محاجة اليهود

وأمثالهم فالأمر ظاهر واذا قلنا أن الكلام قد دخل في سرد الأحكام تكون مقررة لحكم مخصوص وهو ظاهر فقد تقدم أن قوله تعالى «يا أيها الناس كلوا مما فى الارض ...» تقرير لحكم فى الأكل على خلاف ما عليه أهل الملل وبيان ما كان عليه أهل الكتاب والمشركون فى الأكل ونقض القرآن لما وضعوه بأوهاق من الاحكام واباحة الطيبات للناس بشرط ان يشكروه عليها

وعلى هذا تكون هذه الآيات جارية على الرؤساء الذين يحرمون على الناس مالم يحرم الله ويشرعون لهم مالم يشرعه من حيث يكتمون ماشرعه بالتأويل أو الترك فيدخل فيه اليهود والنصارى ومن حذا حذوهم فى شرع مالم يأذن به الله واظهار خلافه سواء كان ذلك في أمر الأكل والتقشف أو العقائد ككتمان اليهود أوصاف النبي (ص) وغيرها من الاحكام التي كانوا يكتمونها اذا كان لهم منفعة فى ذلك كما قال تعالى « تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » وفى حكمهم كل من يبدي بعض العلم ويكتم بعضه لمنفعته لا لإظهار الحق وتأييده وهذا هو ماعبر عنه بقوله « ويشترون به ثمنا قليلا » اذ اتخذوا الدين تجارة. والثمن القليل منه ما قاله المفسر من استفادة الرؤساء من المرؤسين وعكسه كما تقدم غير مرة وهذا النوع من البيع والشراء فى الدين عام في الرؤساء الضالين من جميع الامم، ومنه ما كان رؤساء اليهود يلاحظونه زمن التنزيل وهو حفظ ما بيدهم الذي يتوهمون أنه يفوتهم بترك ما هم عليه من التقاليد واتباع ما أنزل الله بدلا منها وهذا هو شأن الانسان فى كل دعوة الى اصلاح جديد غير ماهم فيه وان كان يعدهم بخير منه فى الدنيا والآخرة وكان ماهم فيه هو الفقر والذل والخذلان حاضرة أو منتظرة

ماهو شأن اليهود فى زمن البعثة ؟ ذل واضطهاد من جميع الامم ولاسيما النصارى فقد كانوا يسومونهم سوء العذاب ومنعوهم من دخول مدينتهم المقدسة وأكرهوهم فى بعض البلاد على التنصر

ماهوشأن النصارى فى زمن البعثة؟فقر حاضر، وذل غالب، وحجر على العقول،ومنع للحرية في الرأي والعلم ، وتحكم في الإرادة ، وسيطرة على خطرات القلوب وأهواء النفوس . كان هذا عاما فى كل قطر وكل مملكة وكان بين الطوائف بعضها مع بعض حروب تشب ، وغارات تشن ، ودماء تسفك ، وحقوق تنهك ، وكانوا على هذا كله يتوهمون أن الاسلام سيخرجهم من سعادة الى شقاء،ومن نعمة الى بلاء ، هب أن بعضهم كان له شيء من المال ، وبقية من الجاه ، أليس هو من فخفخة الدنيا الزائلة ، ألم يكن منغصا بالخوف عليه والمنازعة فيه، هب انه كان لبعض شعوبهم طائفة من القوة ألم تكن تشبه الزوبعة تعصف ولا تلبث أن تزول؟ نعم ان ما كان يغر هؤلاء وهؤلاء لم يكن موضعا للغرور لأنه متاع حقير وثمن قليل وهو غير قائم على أساس ثابت ولذلك زال بظهور الاسلام وانتشاره وتقوضت تلك السلطة واندكت صروح تلك العظمة وأجلي اليهود من جزيرة العرب وزال ملك غيرهم من كل بلاد رفضوا فيها دعوة الاسلام وهذا شأن الباطل لا يثبت أمام الحق فان أحكام الباطل مؤقتة لا ثبات لها في ذاتها وانما بقاؤها فى نوم الحق عنها وحكم الحق هو الثابت بذاته فلا يغلب أنصاره ماداموا معتصمين به

وقال المفسرون ان هذا الحكم يصدق على المسلمين كما يصدق على أهل الكتاب لأن الغرض تقرير الحكم وهو عام كما يدل لفظه وكما يليق بعدل

الله تعالى رب العالمين وكما هو ظاهر معقول من أطراد سنة الله تعالى فى تأييد أنصار الحق وخذل أهل الباطل فانها واضحة جلية للمتأملين

كل ثمن يؤخذ عوضا عن الحق قليل ان لم يكن قليلا فى ذاته فهو قليل فى جنب مايفوت آخذه من سعادة الحق الثابتة بذاتها والدائمة بدوام المحافظة على الحق . ولو دام للمبطل مايتمتع به من ثمن الباطل الي نهاية الأجل - وما هو الا قصير - فماذا يفعل وقد فاتته بذلك سعادة الروح ونعيم الآخرة باختياره الباطل على الحق « وما متاع الحيوة الدنيا فى الآخرة الاقليل »

قد يعترض الناظر فى التاريخ ماقرره الاستاذ الامام فى هذا المقام من ذهاب عز الذين قاوموا دعوة الاسلام وكتموا الحق من اليهود والنصارى بأن اليهود كانت بعد الاسلام خيرا منها قبله لأنهم كانوا مضطهدين مقهورين بحكم النصارى الشديد وتعصبهم الفاحش فساوى الاسلام بينهم وبين النصارى بل والمسلمين وأعطاهم كمال الحرية فى دينهم ودنياهم فحسنت حالهم فى الشرق والغرب وكثر مابأيديهم ولم يقل . وان المسلمين لم يقووا على جميع نصارى أوربا فبقي لكثير من الممالك سلطانها وماتتمتع به وكذلك بعض الممالك الوثنية وهم أعرق في الباطل من النصارى

والجواب عن ذلك أن يهود بلاد العرب هم الذين كانوا يؤذون النبي عليه الصلاة والسلام ويجاحدونه ويكتمون ماعرفوا من نعته فهم الذين قاوموا الحق بالباطل فلقوا جزاءهم الذي تم بجلائهم من جزيرة العرب وأما يهود سوريا وغيرها فقد كانوا يساعدون الدعوة الاسلامية ودعاتها حتى من لم يؤمن منهم ليخلصوا من ظلم النصارى واستبدادهم فيهم فنالوا من حسن الجزاء بمقدار قربهم من الحق ولو آمنوا وقبلوا الحق كله وأيدوه

لذاته ظاهرا وباطنا لأوتوا أجرهم مرتين، وجزاءهم ضعفين، وكانوا أئمة وارثين، وسادة عالين، وأما الذين سلم لهم ملكهم ومتاعهم فلم يكن لهم ذلك بضعف حق الاسلام عن باطلهم فان الذين حاولوا فتح ماوراء بلاد الأندلس من أوربا لم يكن غرضهم نشر دعوة الحق وانما كان غرضهم عظمة الملك والغنائم وليس من الحق أن يعتدي قوم على قوم لأجل سلب مافى أيديهم فان المعتدي مبطل والمدافع محق فى الدفاع عن نفسه وبلاده، وان كان مبطلا فى عمله واعتقاده، فهو جدير بأن يكون له الظفر اذا أخذله أهبته، وأعد له عدته، وقس على هذا سائر الممالك التي لم يقو المسلمون عليها بعد تحرك الدعوة. والاسلام لا يبيح الحرب لذاته وقد حرم الاعتداء وانما يوجب تعميم الدعوة فمن عارضها وجب جهاده عند القدرة حتى يقبلها أو يكون لأهلها السلطان الذي يتمكنون به من نشرها بدون معارض أي انه يوجب الجهاد مادام الناس يفتنون في الدين أي لا تكون لهم حرية فيه ولا فى الدعوة اليه «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة» «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين»

(أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار) اي لا تملأ بطونهم الا النار فان الأكل لما كان لا يكون الا فى البطن كان لابد من نكتة لذكر البطن اذا قيل أكل فى بطنه ورأيناهم يعبرون بذلك عن الامتلاء يقولون أكل فى بطنه يريدون ملأ بطنه والمراد أنه لا يشبع جشعهم ولا يذهب بطمعهم الا النار التي يصيرون اليها على حد ماورد فى الحديث «ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب» وقال الأستاذ وفاقا للمفسرين إن المراد بالنار سببها أي ان ما يأكلون ثمنا لكتمان الحق سيوردهم النار لأنه سبب لعذاب الله

واستشهد له بقول القائل فى زوجه:

دمشق خذيها لا تفتك فليلة تمر بعودي نعشها ليلة القدر
أكلت دما ان لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

فانه يريد بالدم الدية الذي هو سببها وأكلها عار عندهم فهو يدعو على نفسه بأن يبتلى بأكل الدية ان لم يروع زوجه بضرة هي من الجمال بالمنزلة التي ذكرها، وأكل الدية يتوقف على أن يقتل بعض أهله الذين له الولاية عليهم. قال تعالى (ولا يكلمهم الله يوم القيمة) قالوا ان الكلام كناية عن الاعراض عنهم والغضب عليهم وجمعوا بهذا بين الآية وبين قوله تعالى « فوربك لنسألنهم أجمعين » وقوله «فلنسألن الذين أرسل اليهم » (ولا يزكيهم) أي لا يطهرهم بالمغفرة والعفو (ولهم عذاب أليم)

ثم قال فيهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فأما الهدى فهو كتاب الله وشرعه ، وأما الضلالة فهي العماية التي لا يهتدي بها الانسان لمقصده، وتكون باتباع آراء الناس فى الدين وليس لأحد أن يقول فى الدين برأيه وهذه الآراء لا ضابط لها ولا حد فأهلها فى خلاف وشقاق كما سيأتي فمن أجاز لنفسه اتباع أقوال الناس فى الاعتقاد والعبادة وأحكام الحلال والحرام فقد ترك الهدى الواضح المبين الذي لا خلاف فيه وصار الى تيه من الآراء مشتبه الأعلام يضل به الفهم ، ولا يهتدي فيه الوهم ، وذلك عين اتباع الهوى ،وشراء الضلالة بالهدى ، فان الله وحده هو الذي يبين حدود العبودية ، وحقوق الربوبية ، فلا هداية الا بفهم ماجاء به رسله عنه. (والعذاب بالمغفرة) وهذا أثر ماقبله فان متبع الهدى هو الذي يستحق المغفرة لما يفرط منه وما يلم هو به من السوء ومتبع الضلالة

هو المستحق للعذاب ومن دعي الى الحق يعرف هذا فاذا هو اختار الضلالة بعد صحة الدعوة وقيام الحجة فقد اشترى العذاب بالمغفرة وكان هو الجاني على نفسه اذ استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير غرورا بالعاجل، واستهانة بالآجل، وصيغة التعجب قالوا يراد بها تعجيب الناس من شأنهم إذ لا تتصور حقيقة التعجب من الله تعالى إذ لا شيء غريب عنده عز وجل ولا مجهول سببه وهو العالم بظواهر الاشياء وخوافيها ، وحاضرها عنده كماضيها وآتيها ، لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا فى الأرض

وقال الأستاذ الامام فى هذا المقام مامثاله ، ان الكلام فى أكلهم النار والتعجب من صبرهم على النار هو تصوير لحالهم ، وتمثيل لمآلهم ، أما الثاني فظاهر وأما الأول فيتجلى لك اذا تمثلت حال قوم عندهم كتاب يؤمنون أنه من الله ويؤمنون بلقاء الله وقد كتموا ماأنزل الله فيه بالتحريف والتأويل ، كما فعل اليهود بكتمان وصف الرسول ، وهم يُقارَعون بالدلائل العقلية، ويذكرون بآيات الله وأيامه ، فيشعرون بجاذبين متعاكسين جاذب الحق الذي عرفوه ، وجاذب الباطل الذي ألفوه ، ذاك يحدث لهم هزة وتأثيرا ، وهذا يحدث لهم استكبارا ونفورا ، وقد غلب عقولهم ماعرفوا ، وغلب قلوبهم ما ألفوا ، فثبتوا على ماحرفوا وانحرفوا ، وصاروا الى حرب عوان ، بين العقل والوجدان ، يتصورون الخطر الآجل ، فيتنغص عليهم التلذذ بالعاجل ، ويتذوقون حلاوة ماهم فيه ، فيؤثرونه على ماسيصيرون اليه ، أليس هذا الشعور بخذل الحق ونصر الباطل واختيار مايفنى على مايبقى نارا تشب فى الضلوع ، أليس ما يأكلونه من ثمن الحق ضريعا لايسمن ولا يغني من جوع ، بلى فان عذاب الباطن ،

أشد من عذاب الظاهر ، كما يومئ اليه قول الشاعر

دخول النار للمهجور خير من الهجر الذي هو يتقيه
لأن دخوله فى النار أدنى عذابا من دخول النار فيه

فهذا وجه وجيه لأكلهم النار ، وللتعجيب من صبرهم على النار ، نزل به الوحي الإلهي وظهر على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وان أرباب الأرواح العالية ، والمرايا الصافية ، تتمثل لهم المعاني بأتم وأظهر ماتتمثل به لسائر الأرواح المحجوبة بالظواهر ، المخدوعة بالمظاهر ، التي يصرفها الاشتغال بالحس ، من معرفة مراتب شعور النفس ، فلا غرو اذا تمثلت للنبي عليه السلام حال أولئك الجاحدين المعاندين الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، واتخذوا إلههم الهوى ، واتبوا الحق يقارعهم ويقارعونه ، وناصبوا الدليل ينازعهم وينازعونه ، بحال الذي يتقحم فى النار ، ويكره نفسه على الاصطبار ، كما يتمثل ذلك الثمن القليل الذي باعوا به الحق نارا يزدردونها ، اذ كان آلاما يتحملونها ، فمكابرة البرهان أشد العذاب عند العقلاء ، ومحاربة القلب (الضمير والوجدان) أوجع الآلام عند الفضلاء ، فالعاقل يستطيع أن يمنع نفسه من أكثر اللذات الحسية ولكنه لا يستطيع أن يمنع عقله العلم وذهنه الفهم ، فقد قيل لايوجين لاتسمع فسد أذنيه ، فقيل له لاتبصر فأغمض عينيه ، فقيل له لاتذق فقبل ، فقيل له لاتفهم فقال لا أقدر ، فلا غرو اذا مثلت للنبي حال أولئك المكابرين للحق بما ذكر واظهرته البلاغة بصيغة التعجب تارة وبصورة أكل النار تارة

قال تعالى فى تعليل ماذكر ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) أي ذلك الحكم الذي تقرر فى شأنهم بأن الكتاب جاء بالحق والحق لايغالب ولا يقاوى

فمن غالبه غُلب ، ومن خذله خذل ، ثم قال (وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) وهذا حكم آخر فى الكتاب غير حكم كتمانه فهو يفهمنا أن الخلاف فيه بعد عن الحق ككتمانه لأن الحق واحد وهو مايدعو اليه الكتاب والمختلفون لايدعون الى شيء واحد ولا يسلكون سبيلا واحدة « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فَتَفَرَّقَ بكم عن سبيله » وهذا دليل على أنه لايجوز لأهل الكتاب الالهي أن يقيموا على خلاف فى الدين وان يكونوا شيعا كل يذهب الى مذهب « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » ولما كان اختلاف الفهم ضروريا وجب عليهم ان يتحاكموا فى الخلاف الى الكتاب والسنة حتى يزول ولا يقيموا عليه « فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول » فلا عذر للمسلمين في الاختلاف فى دينهم بعد هذا البيان الذي جعل لكل مشكل مخرجا . الشقاق أثر طبيعي للاختلاف والاختلاف في الأمة أثر طبيعي للتقليد والانتصار للرؤساء الذين اتخذوا أندادا ولو بدون رضاهم ولا إذنهم إذلولا التقليد لسهل على الأمة أن ترجع في كل عصر أقوال المجتهدين والمستنبطين الى قول واحد بعرضه على كتاب الله وسنة رسوله . مثال ذلك أن الكتاب والسنة صريحان في أن النكاح لايصح الا اذا تولى العقد ولي المرأة برضاها أوغيره بإذنه وقد أجمع الصحابة على هذا عملا ونقل عن أعلمهم قولا ولم ينقل أحد فيه خلافا صحيحا فاذا وجد للحنفية فى المسألة قولان أحدهما مخالف للنصوص وهو أن للبالغة الراشدة أن تزوج نفسها وثانيهما انه ليس لها ذلك وهو الموافق للنصوص أفلم يكن من الواجب على المسلمين وقد اختلف علماؤهم في هذه المسألة أن يعرضوها على الكتاب والسنة واجماع الصحابة وسائر المجتهدين

وردوا الرواية المخالفة ويعملوا بالموافقة ؟ بلى ولكن التقليد ، هو الذي أوقعهم في الشقاق البعيد ، والشقاق الخلاف والتعادي وحقيقته أن يكون كل واحد من الخصمين في شق أي في جانب والمختلفون فى الدين ينأى كل بجانبه عن الآخر فيكون الشقاق بينهما بعيدا كما نرى . ويتوهم بعضهم أن ترك أقوال بعض الأئمة إهانة لهم وهذا غير صحيح بل هو عين التعظيم لهم والاتباع لسيرتهم الحسنة ولو فرضنا أنه إهانة وكان يتوقف عليها اتباع هدي كتاب الله وسنة رسوله أفلا تكون واجبة ويكون تعظيم الكتاب والسنة مقدما لأن إهانتهما كفر وترك للدين ؟ على أن ترك أقوال الأئمة واقع ماله من دافع فان أتباع كل إمام تاركون أقوال غيره المخالفة لمذهبهم بل ما من مذهب الا وقد رجح بعض علمائه أقوالا مخالفة لنص الامام لاسيما الحنفية . هذا وان الكتاب لا مثار فيه للخلاف والنزاع اذا صحت النية فكل من يتعلم العربية تعلما صحيحا وينظر فى سنة النبي وسيرته وما جرى عليه السلف من أصحابه والتابعين لهم يسهل عليه أن يفهمه ، وما تختلف فيه الأفهام لا يقتضي الشقاق بل يسهل على جماعة المسلمين من أهل العلم والفهم ان ينظروا فى الفهمين المختلفين وطرق الترجيح بينهما وما ظهر لكلهم أو أكثرهم أنه الراجح يعتمدونه اذا كان يتعلق بمصلحة الأمة والاحكام المشتركة بينها وما عداه ينفرد به بعض الافراد من فهم خاص بمعارفه فهو لا يقتضي شقاقا لأن الشقاق فيه معنى المشاركة والله أعلم وأحكم

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة — تابع

(الوجه السابع والسبعون) ان تقول لطائفة المقلدين هل تسوغون تقليد كل عالم من السلف والخلف أو تقليد بعضهم دون بعض؟ فان سوغتم تقليد الجميع كان تسويغكم لتقليد من انتميتم الى مذهبه كتسويغكم لتقليد غيره سواء فكيف صارت أقوال هذا العالم مذهبا لكم تفتون وتقضون بها وقد سوغتم من تقليد هذا ما سوغتم من تقليد الآخر فكيف صار هذا صاحب مذهبكم دون هذا؟ وكيف استجزتم ان تردوا أقوال هذا وتقلدوا أقوال هذا وكلاهما عالم يسوغ اتباعه فان كانت اقواله من الدين فكيف ساغ لكم دفع الدين وان لم تكن أقواله من الدين فكيف سوغتم تقليده؟ وهذا لا جواب لكم عنه. يوضحه : —

(الوجه الثامن والسبعون) ان من قلدتموه اذا روي عنه قولان وروايتان سوغتم العمل بهما وقلتم : مجتهد له قولان فيسوغ لنا الاخذ بهذا وهذا: وكان القولان جميعا مذهبا لكم فهلا جعلتم قول نظيره من المجتهدين بمنزلة قوله الآخر وجعلتم القولين جميعا مذهبا لكم؟ وربما كان قول نظيره ومن هو اعلم منه أرجح من قوله الآخر وأقرب الى الكتاب والسنة يوضحه : —

(الوجه التاسع والسبعون) انكم معاشر المقلدين اذا قال بعض أصحابكم ممن قلدتموه قولا خلاف قول المتبوع او خرجه على قول جعلتموه وجها وقضيتم وأفتيتم به والزمتم بمقتضاه فاذا قال الامام الذي هو نظير متبوعكم اوفوقه قولا يخالفه لم تلتفتوا اليه ولم تعدوه شيئا، ومعلوم ان واحدا من الأئمة الذين هم نظير متبوعكم أجل من جميع أصحابه من أولهم الى آخرهم فقدروا اسوأ التقادير ان يكون قوله بمنزلة وجه في مذهبكم فيالله العجب صار من أفتى أوحكم بقول واحد من مشائخ المذهب أحق بالقبول ممن أفتى بقول الخلفاء الراشدين وابن مسعود وابن عباس وأُبيّ بن كعب وابي الدرداء ومعاذ بن جبل وهذا من بركة التقليد عليكم. وتمام ذلك : —

(الوجه الثمانون) انكم ان رمتم التخلص من هذه الخلطة وقلتم: بل يسوغ تقليد بعضهم دون بعض وقال كل فرقة منكم يسوغ اويجب تقليد من قلدناه دون غيره من الأئمة الذين هم مثله او أعلم منه: كان اقل مافي ذلك معارضة قولكم بقول

الفرقة الاخرى فى ضرب هذه الاقوال بعضها ببعض ثم يقال ماالذي جعل متبوعكم اولى بالتقليد من متبوع الفرقة الاخرى فبأي كتاب أو بأية سنة وهل تقطعت الامة امرها بينها زبرا وصاروا كل حزب بما لديهم فرحون، الا بهذا السبب فكل طائفة تدعو الى متبوعها وتنأى عن غيره وتنهى عنه وذلك مفض الى التفريق بين الامة وجعل دين الله تابعا للتشهي والاغراض ، وعرضة للاضطراب والاختلاف ،وهذا كله يدل على ان التقليد ليس من عند الله للاختلاف الكثير الذي فيه ويكفي في فساد هذا المذهب تناقض أصحابه ومعارضة أقوالهم بعضها ببعض ولو لم يكن فيه من الشناعة الا ايجابهم تقليد صاحبهم وتحريمهم تقليد الواحد من أكابر الصحابة كما صرحوا به فى كتبهم لكفى

(الوجه الحادي والثمانون) ان المقلدين حكموا على الله قدرا وشرعا بالحكم الباطل جهارا المخالف لما أخبر به رسوله فاخلوا الارض من القائمين لله بحججه وقالوا لم يبق في الارض عالم منذ الاعصار المتقدمة فقالت طائفة: ليس لأحد ان يختار بعد أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر بن الهذيل ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد اللؤلؤي وهذا قول كثير من الحنفية. وقال بكر بن العلاء القشيري المالكي : ليس لاحد أن يختار بعد المئتين من الهجرة. وقال آخرون : ليس لأحد ان يختار بعد الاوزاعي وسفيان الثوري ووكيع بن الجراح وعبد الله بن المبارك. وقالت طائفة: ليس لاحد ان يختار بعد الشافعي. واختلف المقلدون من أتباعه فيمن يؤخذ بقوله من المنتسبين اليه ويكون له وجه يفتي ويحكم به ممن ليس كذلك وجعلوهم ثلاث مراتب (١) طائفة اصحاب وجوه كابن شريح والقفال وابي حامد و (٢) طائفة اصحاب احتمالات لا أصحاب وجوه كأبي المعالي و (٣) طائفة ليسوا اصحاب وجوه ولا احتمالات كأبي حامد (*) وغيره. واختلفوا متى انسد باب الاجتهاد على اقوال كثيرة ما انزل الله بها من سلطان وعند هؤلاء ان الارض قد خلت من قائم لله بحججه ولم يبق فيها من يتكلم بالعلم ولم يحل لأحد بعد ان ينظر في كتاب الله ولا سنة رسوله لأخذ الاحكام منهما ولا يقضي ويفتي بما فيهما حتى يعرضه على قول مقلده ومتبوعه فان وافقه حكم به وافتى به والا رده ولم يقبله وهذه اقوال كما ترى قد بلغت من الفساد والبطلان والتناقض والقول على الله بلا علم وابطال حججه والزهد فى كتابه وسنة رسوله وتلقي الاحكام منهما مبلغها ويأبى الله

(*) كذا في الاصلين ولعله ابن حامد لان ابا حامد في الطائفة الاولى او هو ابو حامد والاول ابن حامد او غيره والله اعلم اه من هامش النسخة المطبوعة بالهند

الا ان يتم نوره ويصدق قول رسوله انه لا تخلو الارض من قائم لله بحجته ولن تزال طائفة من امته على محض الحق الذي بعثه به وانه لا يزال يبعث على رأس كل مئة سنة لهذه الامة من يجدد لها دينها ويكفي في فساد هذه الاقوال ان يقال لأربابها فاذا لم يكن لأحد ان يختار بعد من ذكرتم فمن اين وقع لكم اختيار تقليدهم دون غيرهم وكيف حرمتم على الرجل ان يختار ما يؤديه اليه اجتهاده من القول الموافق لكتاب الله وسنة رسوله وأبحتم لانفسكم اختيار قول من قلدتموه واوجبتم على الامة تقليده وحرمتم تقليد من سواه ورجحتموه على تقليد من سواه فما الذي سوغ لكم هذا الاختيار الذي لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس ولا قول صاحب وحرمتم اختيار ما عليه الدليل من الكتاب والسنة واقوال الصحابة .

ويقال لكم فاذا كان لا يجوز الاختيار بعد المئتين عندك ولا عند غيرك فمن اين يساغ لك وانت لم تولد الا بعد المئتين بنحو ستين سنة ان تختار قول مالك دون من هو افضل منه من الصحابة والتابعين او من هو مثله من فقهاء الامصار او ممن جاء بعده

وموجب هذا القول ان اشهب وابن الماجشون ومطرف بن عبد الله وأصبغ بن الفرج وسحنون بن سعيد واحمد بن المعدل ومن في طبقتهم من الفقهاء كان لهم ان يختاروا الى انسلاخ ذي الحجة من سنة مئتين فلما استهل هلال المحرم من سنة احدى ومئتين وغابت الشمس من تلك الليلة حرم عليهم في الوقت بلا مهلة ما كان مطلقا لهم من الاختيار ويقال للآخرين اليس من المصائب وعجائب الدنيا تجويزكم الاختيار والاجتهاد والقول في دين الله بالرأي والقياس لمن ذكرتم من ائمتكم ثم لا تجيزون الاختيار والاجتهاد لحفاظ الاسلام واعلم الامة بكتاب الله وسنة رسوله واقوال الصحابة وفتاواهم كاحمد بن حنبل والشافعي واسحق بن راهويه ومحمد بن اسماعيل البخاري وداود بن علي ونظرائهم على سعة علمهم بالسنن ووقوفهم على الصحيح منها والسقيم وتحريهم في معرفة اقوال الصحابة والتابعين ودقة نظرهم ولطف استخراجهم للدلائل . ومن قال منهم بالقياس فقياسه من اقرب القياس الى الصواب ، وابعده عن الفساد، واقربه الى النصوص ، مع شدة ورعهم وما منحهم الله من محبة المؤمنين لهم، وتعظيم المسلمين علمائهم وعامتهم لهم ،

فان احتج كل فريق منهم بترجيح متبوعه بوجه من وجوه التراجيح في تقدم زمان اوزهد او ورع او لقاء شيوخ وأئمة لم يلقهم من بعده او كثرة اتباع لم يكونوا لغيره امكن الفريق الاخر ان يبدوا لمتبوعهم من الترجيح بذلك اوغيره ما هو مثل هذا او فوقه وامكن غير هؤلاء كلهم ان يقولوا لهم جميعا نفوذ قولكم هذا — ان لم يأنفوا من التناقض — يوجب عليكم ان تتركوا قول متبوعكم لقول من هو اقدم منه من الصحابة والتابعين واعلم واورع وازهد واكثر أتباعا واجل. فاين أتباع ابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل بل اتباع عمر وعلي من اتباع الائمة المتأخرين في الكثرة والجلالة وهذا ابو هريرة قال البخاري: حمل العلم عنه ثمان مئة رجل مابين صاحب وتابع: وهذا زيد بن ثابت من جملة اصحاب عبد الله بن عباس. وأين في أتباع الائمة مثل عطاء وطاووس ومجاهد وعكرمة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وجابر بن زيد؟ واين في اتباعهم مثل السعيدين والشعبي ومسروق وعلقمة والاسود وشريح؟ واين فى اتباعهم مثل نافع وسالم والقاسم وعروة وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وابي بكر بن عبد الرحمن؟ فما الذي جعل الائمة بأتباعهم اسعد من هؤلاء بأتباعهم؟ ولكن اولئك وأتباعهم على قدر عصرهم فعظمهم وجلالتهم وكبرهم منع المتاخرين من الاقتداء بهم وقالوا بلسان قالهم وحالهم: هؤلاء كبار علينا لسنا من زبونهم: كما صرحوا وشهدوا على انفسهم فان اقدارهم تتقاصر عن تلقي العلم من القرآن والسنة وقالوا لسنا اهلا لذلك لا لقصور الكتاب والسنة ولكن لعجزنا نحن وقصورنا فاكتفينا بمن هو اعلم بهما منا!!! فيقال لهم: فلم تنكرون على من اقتدى بهما وحكمهما وتحاكم اليهما وعرض اقوال العلماء عليهما فما وافقهما قبله، وماخالفهما رده، فهب انكم لم تصلوا الى هذا النقود فلم تنكرون على من وصل اليه وذاق حلاوته، وكيف تحجرتم الواسع من فضل الله الذي ليس على قياس عقول العالمين ولا اقتراحاتهم وهم وان كانوا في عصركم ونشأوا معكم وبينكم وبينهم نسب قريب فالله يمن على من يشاء من عباده

وقد أنكر الله سبحانه على من رد النبوة بان الله صرفها عن عظماء القرى ومن رؤسائها واعطاها لمن ليس كذلك بقوله «أهم يقسمون رحمة ربك؟ نحن قسمنا بينهم

معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ورحمة ربك خير مما يجمعون » وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « مثل أمتي كالمطر لا يدرى اوله خير أم آخره » وقد اخبر الله سبحانه عن السابقين بانهم « ثلة من الاولين وقليل من الآخرين » واخبر سبحانه انه « بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » قال « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم » ثم أخبر أن « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم »

وقد أطلنا الكلام في القياس والتقليد وذكرنا من مآخذهما وحجج أصحابهما وما لهم وعليهم من المنقول والمعقول مالا يجده الناظر في كتاب من كتب القوم من أولها الى آخرها ولا يظفر به في غير هذا الكتاب أبدا وذلك بحول الله وقوته ومعونته وفتحه فله الحمد والمنة وما كان فيه من صواب فمن الله هو المانّ به، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان وليس الله ورسوله ودينه في شيء منه ، وبالله التوفيق

(تمت المناظرة)

باب السؤال والفتوى

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عند ناسبب صحيح لاغفاله

بلوغ الدعوة لكفار العصر

(س ٦٢) محمود أفندي ناصف الصراف بسكة الحديد السودانية في (حلفا) : ذكرتم في الجزء السابع ان « كل من بلغته دعوة النبي (ص) على وجه صحيح فلم يؤمن به عنادا للحق فهو خالد في النار » وهذا يستلزم ان تكون الدعوة في زمن رسول الله (ص) اذ كان يدعو المشركين للاسلام ويفرض عليهم الجزية أو الحرب في حالة إبائهم كما هو وارد في القرآن ومذكور في التاريخ فما حكم من لم تبلغه الدعوة بلاغا شرعيا من القوم المتأخرين وكيف حالهم في الآخرة عند الله وهم لم يدعوا للاسلام ولم تبلغهم الدعوة على الوجه الشرعي الصحيح

(ج) ان دعوة خاتم النبيين عامة فحكمها واحد فى زمنه وفي كل زمن بعده الى يوم القيامة فمن بلغته على وجه صحيح يحرك الى النظر فلم ينظر فيها أو نظر وظهر له الحق فاعرض عنه عناداً واستكبارا فقد قامت عليه حجة الله البالغة ولاعذر له في يوم الجزاء اذا لم يرق روحه ويزك نفسه بها ليستحق رضوان الله تعالى ومن لم تبلغه بشرطها أو بلغته ونظر فيها باخلاص ولم يظهر له الحق ومات غير مقصر فى ذلك فهو معذور عند الله تعالى ويكون حاله فى الآخرة بحسب ارتقاء روحه وزكائها بعمل الخير أو تسفلها ودنسها بعمل الشر. والخير والشر معروفان فى الغالب لكل أحد لايكاد يختلف الناس الا فى بعض دقائقهما ويا سعادة من يتحرى عمل كل مايعتقده خيرا واجتناب كل مايعتقده شرا

وما ذكر فى السؤال من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يفرض على المشركين الجزية أو الحرب غير صحيح ولاهو في القرآن ولافي التاريخ بل سهو من السائل فانه (ص) دعا مشركي العرب الى الاسلام بالحجة فعاندوه وآذوه وأخرجوه من وطنه ثم صاروا يؤذونه فى مهاجره ويكرهون أتباعه على الشرك ويصادرونهم فى أموالهم حتى اذا أقدره الله تعالى على الدفاع أنشأ يجاهدهم حتى أظفره الله تعالى بهم ولم تضرب الجزية على أحد من المشركين بل هي خاصة بأهل الكتاب ومن فى حكمهم كالمجوس لأن لهم أديانا تعرفهم بالله وتأمرهم بالخير وتنهاهم عن الشر وان مازجتها نزغات الوثنية ونال منها التحريف والتأويل، حتى ضل أهلها عن سواء السبيل،

ارادة الله وكسب الانسان

(س٦٣) أمين أفندي محمد الشباسي بسكة حديد (سواكن): كنت أتحدث مع بعض أصدقائي فى أحوال المسلمين من حيث ميلهم الى الشر أكثر من الخير وتفننهم فى المعاصي وعدم ميلهم الى مافيه خيرهم الدنيوي والاخروي فقال ياأخي هذه ارادة الله بنا فقلت له ان هذا شر والله لايريد الشر وكيف يريده لنا دون غيرنا؟ فقال اننا نستحق ذلك في علمه أزلا فهذه ارادته. فقلت ان هذا باطل فقد بين الله لنا طريقي الخير والشر في القرآن وجعل لكل سلوك جزاء ومنحنا العقل لأجل أن نميز بينهما فاذا أسأنا استعمال ماوهبه لنا من القوى والهداية كنا أشقياء فى الدنيا

والآخرة واذا أحسنا استعمالها كنا سعداء فيهما ولكننا أسأنا الاستعمال وصرفنا قوانا الحسية والعقلية الى الشر . فقال من الذي صرف قوانا العقلية نحو أحد الأمرين؟ فقلت له الحواس وما عندنا من الجزء الاختياري . فقال ان العقل أكبر شيء في الانسان وباقي الحواس دونه فلا يصح أن تتغلب عليه بل الله عز وجل هو الذي حول قواك نحو إرادته فلا يقع في ملكه الا ما أراده وأرضاه ثم قرأ هذه الجملة وادعى أنها آية من القرآن وهي : «انه لا يصدر عن أحد من عبيده قول ولا فعل ولا حركة ولا سكون الا بقضائه وقدره» ولم أقف عليها في المصحف فهل هي من القرآن وفي أي سورة هي وهل ماقاله صحيح واذا كان كذلك فكيف يكون العذاب نرجو الفصل بيننا بما أطلعك الله الخ اه بتصرف يسير

(ج) أما العبارة فليست من القرآن حتما وعجبنا كيف خفي ذلك عليكم والمصحف في أيديكم على ان نظمها مخالف لنظم القرآن وأزيدك أن لفظ القضاء لم يرد في القرآن لا معرفا ولا مضافا ولا مجردا وأما المسألة المتنازع فيها فكل منكما اخطأ في بعض قوله فيها وأصاب في بعض وكلامك أقرب الى الحقيقة وكلامه أميل الى التصورات النظرية فقولك ان الله لا يريد الشر مبني على ان الارادة بمعنى الرضى وذلك غير صحيح وانما الارادة هي ما يخصص الله به الممكنات ببعض ما يجوز عليها من الامور المتقابلة. وقوله انه لا يقع في ملكه الا ما أراده ورضيه غير صحيح في الرضى فان الكفر يجري في ملكه وقد قال في كتابه «ولا يرضى لعباده الكفر» ومن هنا تعرف ان فرقا بين الارادة والرضى

وحقيقة القول في المسألة ان الله تعالى خلق الانسان وأعطاه القوى البدنية والنفسية والحواس الظاهرة والباطنة وأقدره على الاعمال النافعة والضارة وهداه الى التمييز بينها بالمشاعر والعقل والدين فهو يربي نفسه وعقله بكسبه. وأعماله الاختيارية تابعة دائما لأفكاره العقلية وأخلاقه ووجداناته النفسية فهي كسبية تتبع كسبيا فمهما فسد التعليم والتربية كانت الاعمال قبيحة ضارة ومهما صلح التعليم والتربية كانت الاعمال صالحة نافعة حتما. هذا ما نشاهده من سير الانسان منفردا ومجتمعا فهو قطعي لا يقبل النزاع . وقام الدليل العقلي على ان هذا النظام الكامل في الانسان هو من مبدع

الكائنات كلها ولاتنافي بين الامرين. والبحث عن كيفية تعلق قدرة الله وارادته فى اقامة الانسان اوغيره من الكائنات على ماهو عليه سفه من العقل وبدعة في الدين أما الاول فلأن العقل لايقدر على اكتناه سر الابداع والتكوين واماالثاني فلأن الشرع نهاناعن الخوض في القدر لانه فتنة تثير الشكوك وتجر الى الكفر وينتهي الامر بصاحبها الى أن يبرئ نفسه من ذنبه وتقصيره ويرمي ربه عز وجل بذلك «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم»

وغدا يعتب القضاء ولاعذر لعاص فيما يسوق القضاء

﴿الشفاعة والأنداد﴾

(س ٦٤) الشيخ أنور محمد يحيى شيخ عزب في (الترعة الجديدة - من الشرقية):

يفهم من عبارة المنار في الجزء التاسع أن الانداد على قسمين قسم يطلب منه العمل بالاستقلال وقسم يطلب منه ان يشفع عند الله تعالى وصرحتم بان الشفيع يكون نداً لأنه يستنزل من يشفع عن رأيه ويحوله عن ارادته فالذى يفهم من هذا التصريح ان الذي يجب اعتقاده عدم الشفاعة عند الله تعالى مع ان الله قال في كتابه العزيز «من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه» وقال «ولا يشفعون الا لمن ارتضى» وقال اللقاني فى جوهرته

واجب شفاعة المشفع محمد مقدما لاتمنع

وغيره من مرتضى الاخيار يشفع كما قد جاء في الاخبار

فهل يوجد نص في وجود الشفعاء أرجو من حضرتكم بيان هذا الموضوع على لسان ناركم جعلكم الله ملجأ لكل قاصد، ونجح لكم المقاصد،

(ج) قد سبق لنا فى المنار بيان حقيقة الشفاعة وأن من الآيات الكريمة ماينفي الشفاعة قطعا كقوله تعالى «ولا خلة ولا شفاعة» وقوله «ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع» ومنها ماهو ظاهر فى جواز الشفاعة باذن الله لمن ارتضاه وهي ليست نصوصا قطعية في وقوعها واما الاحاديث فهي صريحة في ثبوت الشفاعة في الآخرة وهي آحاد لايؤخذ بها وحدها في العقائد. ويمكن حمل الآيات النافية للشفاعة والتي تحكيها عن عقائد المشركين في معرض الانكار كقوله تعالى «ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» الآية على ماينطبق على الآيات والاحاديث

التي تجيزها وتنطق بوقوعها فلا يكون هناك تناقض ولا تعارض وذلك ان الشفاعة المنفية الممنوعة هي ماحكاه القرآن العزيز عن المشركين وهي التي بمعنى الشفاعة عند الحكام لقضاء المصالح عند العجز عنها من طرقها وأسبابها والشفاعة الجائزة خاصة بالآخرة وهي عبارة عن دعاء من الشافع المشفع يأذن له به الله ويستجيبه إظهارا لكرامة عبده الشفيع وقد سبق في علمه القديم وتعلقت ارادته سبحانه بأن مابه الشفاعة كائن فى وقته لايتأخر ولايتقدم فالشافع لم يغير شيئا من علمه تعالى ولم يؤثر في ارادته ولم يحمله على شيء لم يكن ليفعله لولاه

ومن هذا التقرير يفهم ان ما عليه أكثر العامة من الاستشفاع بالاولياء وأصحاب القبور المعلومين والمجهولين لأجل دفع المكاره وجلب المنافع هو من النوع الاول الذي ينمه الدين ويخل بالاعتقاد الصحيح بالله تعالى فانهم كثيرا مايصرحون بتشبيه الشفاعة عند الباري تعالى بشفاعة المقربين من الملوك الظالمين لبعض المجرمين وتأثير شفاعتهم لهم وهذا محال على الله تعالى بل ان الملوك العادلين الحكماء ما كانوا يقبلون شفاعة أحد وانما يعملون مايعتقدون انه الحق فتأمل

المحرم بالرضاع

(س ٦٥) أحمد أفندي المشد المحامي في (ملوي): هل يحرم على مرتضع زواج جميع بنات مرضعته أم التي رضع معها فقط

(ج) من رضع من امرأة صارت أمه وحرم عليه جميع بناتها ولايحرمن على أخوته الذين لم يرضعوا منها، واذا رضعت بنت من امرأة حرم على جميع أولاد المرأة التزوج بها دون سائر اخواتها اللائي لم يرضعن

الكشف ورؤية النبي (ص) يقظة

(س ٦٦) الشيخ حاتم ابراهيم مأذون ناحية تده التابعة (ملوي):

جرت بيني وبين بعض اهل العلم مناظرة في شأن اهل الكشف ورؤية النبي عليه السلام يقظة فانكرتهما مستدلا على نفي الأول بقوله تعالى « قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله » وقوله « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » وقوله « عالم الغيب » الخ وكثير من الآيات وحديث عائشة المشار اليه بقوله تعالى « ان

الله عنده علم الساعة» الآية. وما نسمعه ممن عدوا الولاية — وهي حق كل تقي — حرفة: نوع من الكهانة كما اخبر عليه السلام حينما قيل له انهم يقولون في الشيء كن فيكون وكما وقع له مع ابن صياد . وعلى نفي الثاني بانه عليه السلام مدفون بحيث لو استكشف لرؤي نائما وحياته البرزخية لا نشعر بها فلا كلام فيها وبأن ذلك لو كان جائزا لكانت عائشة التي قبره في بيتها أجدر بذلك ولكان من اللازم ارشاد الصحابة حينما اشتعلت بلادهم فتنا وتقاتلت أئمتهم وتفرقت جماعتهم وبالجملة فلم يؤثر عن الصحابة والتابعين وتابعيهم انهم رأوه يقظة وما يزعمه اهل الطرق من ان الرفاعي قبل اليد الشريفة فليس بأول أكذوبة لهم. وادعي هو اثباتهما مستدلا بان الكشف وقع من الصالحين الذين لا يظن فيهم الكهانة كعبد العزيز الدباغ والسيد البدوي والدسوقي وكثير من الاولياء وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه نادى وهو على المنبر ياسارية الجبل وانى يكون ذلك بدون كشف وبأن الرؤية حصلت لكثير من الاولياء كما صرح بذلك الابريز ولا مانع من ذلك فانها من الكرامات وزعم ان الشيخ محمدا عبده ادعى ذلك فنرجو من سيادتكم تثبيتنا على أمر موافق للعقل والنقل كما هو شأنكم في تربية المسلمين

(ج) انك لست مكلفا بأن تصدق بما ينقل من الكشف ومن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والكشف ضرب من علم الغيب في الظاهر وقد رأيت ما كتبناه فيه في جواب الاسئلة الزنجبارية وقبلها وقد وعدنا بان سنزيده تفصيلا فانتظر ذلك. وأما الرؤية فقد كتبنا في كتابنا (الحكمة الشرعية) مانقل فيها عن الصوفية والعلماء وما يحكم به العقل والدين مفصلا في عدة كراريس ولعلنا نلخص ذلك في الكلام على بقية انواع الكرامات وإنك لتجد الآن غناء في بحث رؤية الارواح اذا راجعته في المجلد السادس. واعلم ان البحث في هذه المسألة علمي لاديني اذ الدين لم يكلفنا باعتقاد ان الناس يرون الارواح المجردة ولكن نقل ذلك عن كثير من الناس ثلة من الاولين وقليل من الآخرين واختلف فيه هل هو حقيقي او خيالي وبعض الصوفية يقول انه لا يكون في اليقظة ولكن في حال بين اليقظة والنوم وقد سلك الافرنج له طريقا صناعية ولكن الاستعداد له متفاوت وفاقا بينهم وبين المتقدمين ولا يزال امرهم فيه مبهما كما اشرنا الى ذلك من قبل . واذا ثبت ان لمعرفة بعض المغيبات سببا طبيعيا وجب استثناؤه من

الغيب الذي استأثره الله تعالى بعلمه ويمكن ان يقال انه ليس بغيب حقيقي لأننا اذا قلنا ان الغيب كل ما غاب عنك كان اكثر الموجودات المجهولة غيبا وكان لا سبيل الى معرفة مجهول قط فوجب إذا ان يراد بالغيب مالا طريق لمعرفته بكسب البشر لامن طريق المشاعر ولامن طريق العقل والروح ويخرج بهذا مايعرف الآن قبل ظهوره من الأحداث كالأنواء والزلازل بواسطة آلات طبيعية وما يعرف بالحساب كالخسوف والكسوف ويقاس على ذلك كل ماله طريق طبيعي يوصل اليه بالسير عليه ولو روحانيا. وبهذا التقرير نكتفي مؤنة البدعة في الدين ، ونقطع الطريق على الدجالين ، ولا نقطع طريق العلم ولا اجتهاد الانسان في اظهار مواهبه الروحانية

﴿ شرب اللبن في يوم الاربعاء وأكل السمك في يوم السبت ﴾

(س ٦٧) احمد افندي صبحي في (اشمون) نرى كثيرا من اخواننا المسلمين (وهم العامة وقليل من غيرهم) يقولون ان شرب اللبن يوم الاربعاء واكل السمك يوم السبت مكروه شرعا وورد فيهما أحاديث شريفة وهذا الاعتقاد متمكن فيهم لا يحولون عنه فنرجو الافادة هل ورد فيه شيء في السنة فان لم يكن فمن اين سرى الى المسلمين ونسأله تعالى ان لا يحرمنا من وجودكم ...

(ج) ليس في هذه المسألة حديث مروي وانما سرت الى المسلمين من اهل الكتاب اليهود والنصارى مسألة السبت من الاولين ومسألة شرب اللبن من الآخرين فاننا نرى طوائف منهم لا يشربون اللبن ولا يأكلونه مطبوخا في يوم الاربعاء. وسمعت بعض العامة ينسب الى علي كرم الله وجهه انه قال : ماستسمكت في سبتها قط ولا استلبنت في أربعائها قط : الخ ومرادهم ظاهر والعبارة ليست بعربية فضلا عن كونها مأثورة عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه

﴿ الاستشفاء بجلوس النساء والاطفال تحت المنبر ﴾

(وحال الخطباء والائمة في بلاد مصر)

(س ٦٧) حامد افندي البكري في (دمياط): دخلت مسجد شطا يوم جمعة للصلاة فلما صعد الامام المنبر وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم بكى صغير تحت المنبر وصاح فشوش على الناس فقرع الامام المنبر بالسيف مرات متواليات

ورفع صوته بما يقول فلم يسكت الصغير ولم يقم أحد لأخذه فقال الامام أما فيكم أحد يأخذ هذا الصغير ؟ أخرجوه ومن معه فقام رجل وأخذه وأخرج معه ثلاث نسوة بعد جلوس طويل انتهى بنزوله وقوله لهن والله إن لم تخرجن لأضربنكن بالسيف فوقفت إحداهن بالصغير أمام المنبر بين الناس فقال أخرجوها هي ومن معها فان هذه بدع ولا يجوز دخولهن في مساجد الله بهذا الشكل، فصاح عليه أحد سكان هذه القرية قائلا : أنت مالك وما لها: فقال له اسكت فجاوبه الرجل بقوله : دانت موش عالم هو انت امام والله نطلعك من هنا هي صلاتنا وراك راح تدخلنا الجنه : فنزل الامام وقال له صل بالناس فقمت أنا وواحد صحابي وصالحناه فصعد المنبر وأردنا ملاطفة الثاني فلم يزده ذلك الا نفورا حتى قال: انا موش عاوز اصلي وراك ولا انا عاوز الجنة اللي جايه لنا من صلاتنا وراك ، والله ماعت مصلي وراك ياراجل انت : فمانعته الخروج خوفا عليه من ارتكاب هذا الاثم فأبى الا تنفيذ يمينه . حصل ذلك والناس قد هاجوا وعلا ضجيجهم والامام يقول لاتفوتنا الصلاه فانها تمتد الى قبيل العصر فلما سكت الناس خطب وصلى بهم فسألت عن جلوس النسوة تحت المنبر فقيل لي أن الصغير مريض والنساء يعتقدن أنه يبرأ بجلوسهن به تحت المنبر أثناء الخطبة . فهل أصاب الامام في عمله أم أخطأ وما جزاء هذا الآثم وما رأيكم في هذا الاعتقاد وهل ورد أن يكون للمنبر بابان متقابلان كما تعهدون في المنابر ؟ أفيدونا أفادكم الله

(ج) أصاب الامام في منع النساء والاطفال من القعود تحت المنبر للاستشفاء واخطأ ذلك الجاهل المعارض له وما قاله يشبه ان يكون هزءا بالدين واستخفافا واحتقارا للجنة. ولبعض الفقهاء كلام في تكفير من يستهزئ بالعبادة او بالجنة او النار واذا لم يكن مثل هذه الاقوال مما يرتد به المسلم فهو مما لا يصدر عادة عن عارف بالدين يذعن له ويحترمه واكثر هؤلاء المقلدين لاسلطان للدين على عقولهم وقلوبهم وانما يصلي احدهم لانه تعود على هذه الحركات التي يسمونها صلاة فاذا عارض الصلاة هواه او غضبه تركها بلا مبالاة . وينبغي للناس احترام امامهم وخطيبهم ما داموا راضين بامامته ولكن الحكام هم السبب في احتقار الناس لأئمة الصلاة والخطباء لأنهم يعهدون بهذا المنصب الذي هو من مناصب ورثة الانبياء الى الفقراء الجهلة ولو

جعلوهم من العلماء المدرسين وجعلوا رواتبهم كافية مانعة من احتياجهم الى الطمع في الصدقات لاحترمهم الناس وكان في احترامهم إعلاء لشأن الدين. ألا ترى ان ذلك الاحمق قد انكر على الخطيب واظهر احتقاره وعدم العمل بما امر به محتجا عليه بأنه غير عالم. ومن تدبر أمثال هذه الوقائع يتجلى له مافي مشروع الاستاذ الامام في اصلاح المساجد من الفائدة ولكن اهواء السياسة قد هبت من قصر الامارة على لائحة ترتيب المساجد فنسفتها وألقتها في قصر الدوبارة وصار الامر فيها الى اللورد كرومر ولا يدري الا الله ماهو صانع فيها. اما جعل المنبر بالكيفية المعروفة فليس له أصل في الدين فلا مانع منها ولا مقتضي لها

استيئاس الرسل عليهم السلام

(س ٦٧) ومنه : عرضت لي شبهة في قوله تعالى « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » فأرجو توضيح المراد منها

(ج) الاظهر المنطبق على قواعد العقائد أن المراد باستيئاس الرسل يأسهم من إيمان قومهم وفي قوله تعالى « كذبوا » بضم الكاف قراءتان سبعيتان إحداهما بتشديد ذال « كذبوا » ولا إشكال فيها والثانية بالتخفيف وفي تطبيق القواعد عليها وجهان أحدهما أن الضمير في « ظنوا » لأقوام الرسل أي ظن الأقوام أنهم كذبوا فيما أوعدوا به من وقوع العذاب عليهم وثانيهما أن الضمير للرسل وكذبوا ههنا بمعنى تمنوا أو بمعنى وجب عليهم الأمر ومعناه كذبتهم أنفسهم فيما تمنوا وأملوا أي خابت آمالهم في قومهم أو في كيفية انتقام الله لهم قال في القاموس : وكذب قد يكون بمعنى وجب ومنه كذب عليكم الحج كذب عليكم العمرة كذب عليكم الجهاد ثلاث أسفار كذبن عليكم أو من كذبته نفسه اذا منته الاماني وخيلت اليه من الآمال مالا يكاد يكون : وقال في الاساس : وكذب نفسه وكذبته نفسه اذا حدثته بالاماني البعيدة والامور التي لا يبلغها وسعه ومقدرته : والمعنى حتى اذا يئس الرسل من إيمان قومهم وظنوا أي أيقنوا أن أمانيهم في ايمانهم وآمالهم في قبولهم الدعوة ضائعة جاءهم نصرنا .

وقد انكرت عائشة رضي الله عنها قراءة التخفيف فقد روى البخاري وغيره من طريق عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن هذه الآية قال قلت : ا كذبوا (بالتخفيف) ام كذبوا

(بالتشديد) فقالت بل كذبوا تعني بالتشديد قلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم فما هو بالظن قالت اجل لعمري لقد استيقنوا بذلك قلت لعلها كذبوا مخففة قالت معاذ الله لم تكن الرسل لتظن ذلك بربها . قلت فما هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك:

وقرأ بعض الصحابة « كَذَبُوا » بالتخفيف مبنيا للمعلوم وهي قراءة مجاهد اي أيقن قومهم انهم كذبوا . والظن يستعمل فى الفصيح بمعنى اليقين وبمعنى الوهم وحديث النفس والقرائن هى التي تعين ولذلك حمل بعضهم الظن هنا على حديث النفس وله شواهد من اللغة

جنة آدم

(س ٦٨) ومنه : هل الجنة التي هبط منها آدم هي الجنة التي وعد المتقون في الدار الآخرة أم هي جنة من جنات الدنيا واذا كانت الثانية فما معنى قوله تعالى « ولكم في الارض مستقر »

(ج) ان جنه آدم ليست هي دار الجزاء فى الآخرة ولك ان تراجع تفصيل ذلك فى تفسير قصة آدم (في ص ٢٠٣ من مجلد المنار الخامس) وفيه أن المختار عدم البحث عن مكانها وان معنى « ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين » أن إقامتكم في الارض محدودة خلافا لزعم الشيطان أن الشجرة التي أ كلتم منها هي شجرة الخلد وملك لايبلى . ولاينافي هذا أن تكون الجنة فى الارض وهناك كلام في كون القصة تمثيلا فراجعوه

التوسل بالانبياء والاولياء

كثر كلامنا فى هذه المسألة ولايزال الناس يسألون عنها وقد وقفنا قبل اتمام طبع هذه الجزء من المنار على فتوى فيها للاستاذ الامام فألحقناه بباب فتاوى المنار وهي فصل الخطاب وهذا نصها :

فضيلتلوا افندم مفتي الديار المصرية متعنا الله بوجوده آمين

ابدي انه قد بلغني ان بعض الناس كتب الى فضيلتكم سؤ الايدعي فيه اني انكرت جاه النبي

صلى الله عليه وسلم والتوسل به الى الله تعالى و باوليائه رضوان الله عليهم اجمعين والحقيقة اني لم انكر شيئا من ذلك ولم اتكلم به بل الحقيقة انه سألني جمع من الناس عن حقيقة ما يعتقدونه ويقولونه بألسنتهم من التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل بأوليائه معتقدين ان النبي او الولي يستميل اراده الله تعالى عما هي عليه كما هو المعروف للناس من معنى الشفاعة والجاه عند الحكام وان التوسل بهم الى الله تعالى كالتوسل بأكابر الناس الى الحكام فلما رأيت منهم ذلك وان هذا امر مخل بالعقيدة كما تعلمون وان قياس التوسل الى الله تعالى على التوسل بالحكام محال فاجبتهم بما أعتقده وأدين الله به من تقرير عقيدة التوحيد وهي انه لا فاعل ولا نافع ولا ضار الا الله تعالى وانه لا يدعى معه احد سواه كما قال تعالى «فلا تدعوا مع الله أحدا» وان النبي صلى الله عليه وسلم وان كان اعظم منزلة عند الله تعالى من جميع البشر واعظم الناس جاها ومحبة واقربهم اليه ليس له من الأمر شيء ولا يملك للناس ضرا ولا نفعا ولا رشدا ولا غيره كما في نص القرآن وانما هو مبلغ عن الله تعالى ولا يتوسل اليه تعالى الا بالعمل بما جاء على لسانه صلى الله عليه وسلم واتباع ما كان عليه الصحابة والتابعون والائمة المجتهدون من هديه وسنته وانه لا سبب لجلب المنافع ودفع المضار الا ما هدى الله الناس اليه ولا معنى للتوسل بنبي او ولي الا باتباعه والاقتداء به يرشدنا الى هذا كثير من الآيات الواردة في القرآن العظيم كقوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) الى غير ذلك من الآيات هذا هو اعتقادي وهو الذي قلته للناس فان كنتم ترون فيه خطأ فارجو بيانه وان كان هو الصواب فارجو اقراري عليه كتابة لأدافع بذلك من أساء بي الظن لازلتم هادين مهديين

(محمد موسى من محلة فرنوي بحيره)

جواب المفتي

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

اعتقادك هذا هو الاعتقاد الصحيح ولا يشوبه شوب من الخطأ وهو ما يجب على كل مسلم يؤمن بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ان يعتقده فان الاساس الذي بنيت عليه رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو هذا المعنى من التوحيد كما قال الله له: «قل هو الله أحد * الله الصمد» والصمد هو الذي يقصد في الحاجات ويتوجه اليه

المربوبون في معونتهم على ما يطلبون وإمدادهم بالقوة فيما تضعف عنه قواهم والاتيان بالخبر على هذه الصورة يفيد الحصر كما هو معروف عند أهل اللغة فلا صمد الا هو وقد أرشدنا الى وجوب القصد اليه وحده بأصرح عبارة في قوله «واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان» وقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي شيخ الصوفية في صفحة ٢٢٦ من الجزء الرابع من فتوحاته عند الكلام على هذه الآية ان الله تعالى لم يترك لعبده حجة عليه بل لله الحجة البالغة فلا يتوسل اليه بغيره فان التوسل انما هو طلب القرب منه وقد أخبرنا الله انه قريب وخبره صدق اه ملخصا

على أن الذين يزعمون جواز شيء مما عليه العامة اليوم في هذا الشأن انما يتكلمون فيه بالمبهمات ويسلكون طرقا من التأويل لا تنطبق على ما في نفوس الناس ويفسرون الجاه والواسطة بما لا أثر له في مخيلات المعتقدين في اي حالة تدعوهم الى ذلك وبين أيديهم القرون الثلاثة الاولى ولم يكن فيها شيء من هذا التوسل ولا ما يشبهه بوجه من الوجوه وكتب السنة والسير بين أيدينا شاهدة بذلك فكل ما حدث بعد ذلك فأقل أوصافه انه بدعة في الدين وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وأسوأ البدع ما كان فيه شبهة الاشراك بالله وسوء الظن به كهذه البدع التي نحن بصدد الكلام فيها . وكأن هؤلاء الزاعمين يظنون ان في ذلك تعظيما لقدر النبي صلى الله عليه وسلم او الانبياء والاولياء مع ان أفضل التعظيم للانبياء هو الوقوف عند ما جاءوا به واتقاء الزيادة عليهم فيما شرعوه باذن ربهم وتعظيم الاولياء يكون باختيار ما اختاروه لأنفسهم. وظن هؤلاء الزاعمين ان الانبياء والاولياء يفرحون باطرائهم وتنظيم المدائح وعزوها اليهم وتفخيم الالفاظ عند ذكرهم واختراع شؤون لهم مع الله لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا رضيها السلف الصالح ـ هذا الظن بالانبياء والاولياء هو أسوأ الظن لانهم شبهوهم في ذلك بالجبارين من أهل الدنيا الذين غشيت أبصارهم ظلمات الجهل قبل لقاء الموت وليس يخطر بالبال ان جباراً لقي الموت وانكشف له الغطاء عن أمر ربه فيه يرضى ان يفخمه الناس بما لم يشرعه الله فكيف بالانبياء والصديقين

إن لفظ الجاه الذي يضيفونه الى الانبياء والاولياء عند التوسل مفهومه العرفي هو السلطة وان شئت قلت نفاذ الكلمة عند من يستعمل عليه اولديه فيقال فلان

اغتصب مال فلان بجاهه ويقال فلان خلص فلانا من عقوبة الذنب بجاهه لدى الامير أو الوزير مثلا. فزعم زاعم أن لفلان جاها عند الله بهذا المعنى إشراك جلي "لا خفي" وقلما يخطر ببال أحـد من المتوسلين معنى اللفظ اللغوي وهو المنزلة والقدر على أنه لا معنى للتوسل بالقدر والمنزلة فى نفسها لانها ليست شيئا ينفع وانما يكون لذلك معنى لو أولت بصفة من صفات الله كالاجتباء والاصطفاء ولا علاقة لهـا بالدعاء ولا يمكن لمتوسل ان يقصدها في دعائه وان كان الألوسي المسكين بنى تجويز التوسل بجاه النبي خاصة على ذلك التأويل وما حمله على هـذا الاخوفه من ألسنة العامة وسباب الجهال وهو مما لاقيمة له عنـد العارفين فالتوسـل بلفظ الجاه مبتدع بعد القرون الثلاث وفيه شبهة الشرك والعياذ بالله وشبهة العدول عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم الاصرار على تحسين هذه البدعة

يقول بعض الناس ان لنا على ذلك حجة لا أبلغ منهـا وهى ما رواه الترمذي بسنده الى عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال ان رجلا ضرير البصر اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني فقال: ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك: قال فادعه قال فأمره ان يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء. اللهـم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة اني توجهت بك الى ربي ليقضي لى في حاجتي هذه اللهم فشفعه في: قال الترمذي وهو حديث حسن صحيح غريب

ونقول اولا قد وصف الحديث بالغريب وهو ما رواه واحد ثم يكفي فى لزوم التحرز عن الأخذ به ان اهل القرون الثلاثة لم يقع منهم مثله وهم اعلم منا بمـا يجب الاخـذ به من ذلك ولا وجه لابتعادهم عن العمل به الا علمهم بان ذلك من باب طلب الاشتراك في الدعاء من الحي كما قال عمر رضى الله عنه في حديث الاستسقاء انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك العباس فاسقنا قال ذلك رضى الله عنه والعباس بجانبه يدعو الله تعالى ولو كان التوسل مايزعم هؤلاء الزاعمون لكان عمر يستسقي ويتوسل بالنبي (ص) ولا يقول كنا نستسقي بنبينا والان نستسقي بعم نبيك، وطلب الاشتراك في الدعاء مشروع حتى من الاخ لاخيه بل ويكون من الاعلى للادني كما ورد في الحديث وليس فيه ما يخشى منه فان الداعي ومن

يشركه في الدعاء وهو حي كلاهما عبد يسأل الله تعالى والشريك في الدعاء شريك في العبودية لاوزير يتصرف في إرادة الامير كما يظنون «سبحان ربك رب العزة عما يصفون»

ثم المسألة داخلة في باب العقائد لافي باب الاعمال ذلك ان الامر فيها يرجع الى هذا السؤال (هل يجوز ان نعتقد بأن واحدا سوى الله يكون واسطة بيننا وبين الله في قضاء حاجاتنا اولا يجوز) أما الكتاب فصريح في ان تلك العقيدة من عقائد المشركين وقد نعاها عليهم في قوله «ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» (سورة يونس) وقد جاء في السورة التي نقرأها كل يوم في الصلاة «وإياك نستعين» فلااستعانة الا به وقد صرح الكتاب بان احدا لا يملك للناس من الله نفعا ولا ضرا وهذا هو التوحيد الذي كان أساس الرسالة المصطفوية كما بينا ثم البرهان العقلي يرشد الى ان الله في اعماله لايقاس بالحكام وامثالهم في التحول عن اراداتهم بما يتخذه اهل الجاه عندهم لتنزهه جل شأنه عن ذلك ولو اراد مبتدع ان يدعو الى هذه العقيدة فعليه ان يقيم عليها الدليل الموصل الى اليقين اما بالمقدمات العقلية البرهانية او بالأدلة السمعية المتواترة ولا يمكنه ان يتخذ حديثا من حديث الآحاد دليلا على العقيدة مهما قوي سنده فان المعروف عند الائمة قاطبة ان أحاديث الآحاد لا تفيد الا الظن «وان الظن لايغني من الحق شيئا» والله اعلم

في ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٢٢ (محمد عبده)

باب التربية والتعليم

الشذرة الخامسة عشرة من جريدة الدكتور إراسم

(مايتعلم في السفينه)

في اليوم الخامس من شهر مارس بلغنا ميناجرافسند (١) حيث سلم معرف التاميز (٢) زمام سفينتنا الى معرف البوغاز الذي أخذ الآن على نفسه ابلاغنا ما وراء مصب النهر

(١) جرافسند هي أحد موانى انكلترا وموقعها في الجنوب الشرقي للوندره

في نحو الساعة السادسة من المساء برز الربان على ظهر السفينة وتمهد بنفسه ماشحن فيها من المؤنات كالماء والبقسماط وبراميل اللحم المملح واستوثق من سلامتها ثم قضينا ليلتنا على المرساة

وقرب خد الظهيرة من الغد سارت بنا السفينة تجرها باخرة صغيرة الحجم شديدة القوة تسمي « نلسن » وفي وقت مرورنا حيال منارة « نور » هبت علينا ريح طيبة فامكنتنا من مد بعض الشرُع ثم تغير لون الماء فصار ذا خضرة كدراء

كانت تلك الساعة هي المعينة لنزولي الى حجرات المسافرين لعيادتهم فيها وليس القيام بشؤون الصحة فى سفينة انكليزية كبرى من الاعمال (الوظائف) التي يؤجر صاحبها بلا كسب فان «المونيتور» تحمل خمسة وثلاثين راكبا من الدرجة الاولى وقل منهم من يقوى على أول صدمة للبحر عدو الانسان ويكون آمنا من العثار فلم ينج من مرضه الاهيلانة وامرأتان اخريان اوثلاث

وفى اليوم الثامن من الشهر بلغنا حوالي الكبتان فألقى معرف البوغاز مقاليد السفينة الى ربانها ونزل بالساحل ثم رجعت الباخرة الجارة بعد ابلاغنا هذا المكان من حيث أتت ووكلتنا الى قوانا أي الى شُرُع سفينتنا ولما رأى المسافرون والملاحون ان هذه البقعة هي آخر موقف يؤذن لهم فيه بالاقتراب من البر حمل كثير منهم المعرف رسائل لاصدقائهم تتضمن بالبداهة آخر وداع لهم

جاء دور البحارة الآن في العمل فمدوا أيديهم اليه بهمة واقدام واشتغل الضابط الاول والثاني للسفينة بترتيب الحرس فعينا لكل حارس عمله ثم تدلت من جميع السواري وهي في نصف ارتفاعها انسجة طويلة نفختها الريح وصفقتها فأنشأت السفينة تميد وأحست باستقلالها من وقت أن ثابت اليها أجنحتها وكانت قبيل هذا تبدو عليها علائم الكآبة والخجل أن ترى مقودة بغيرها

أديرت على الملاحين كاس من خمر عسل السكر استحقوها كل الاستحقاق بكدهم ونصبهم

مما عرفته من الاماكن في مسيرنا (بيشى هد) وهو رأس في أميرية (قونتية)

---

(٢) التاميز نهر من أنهار انكلترا يمر با كسفورد ولوندره ويصب فى بحر الشمال

صاسقس وجزيرة وايت وستارت بوينت وقد صار الماء الآن ذا خضرة بهيجة تطفو على سطحه اعشاب بحرية تشبه التبن الطويل. صادفتنا سفينة راجعة الى انكلترا فخاطبناها بأعلامنا الملونة وسألناها بهذه اللغة السرية ان تبلغ سفر سفينتنا مكتب الملاحة لشركة ليود

انتهينا من اجتياز البوغاز فخرجنا منه وكان الجو صحوا فصعد المسافرون على ظهر السفينة لاستنشاق النسيم البارد

اني قلما رأيت اللج مرة لم يكن مرآه فيها مثارا للعجب في نفسي ولكن أخص ماشغل ذهني منه الآن هو جملة العلوم التي استفادها الانسان من ممارسة البحر. انظر الى النظام الكوني تجد علم الهيأة الذى يبحث فيه عنه انما تولد من الملاحة فانه لولا أن حاجة الانسان الى الاهتداء فى سيره على ظهر البحار دفعته الى درس الفلك لكان من المحتمل ان لايخطر بباله اصلا ان يتقصى سراً من أسراره فاحتياجه الى السعي في طلب الغنى هو الذي اضطره الى قياس الزمان والابعاد قياسا مضبوطا فترى الملاح الساذج مع انه لايعرف القراءة دائما حائزا بالتحقيق لكثير من العلوم العملية . سله ان شئت وليكن ذلك عن بعض الامور الطبيعية تجد كلامه فيها يرجع الى ماقرره العالم الذي قضى سنين كاملة فى دار من دور الكتب واذا كنا الآن قد انشانا نظن ان للرياح والزوابع قانونا فانما كان ذلك بسبب ماجمع من ملاحظات البحارة المختلفين في السفن الموزعة على جميع البحار فاصبح اشد الفواعل الكونية تعاصيا عن الضبط منقادا الى قانون ودخل ابعد الحوادث عن النظام فى نظام العلم العام وكشفت المسابير اغوار قعر المحيط وقفاره المفروشة باسلاب فرائسه واضحى الآن من الميسور رسم خريطة لتيارات البحر السفلية ثم ان الفضل فيما عرفناه من العلوم الصحيحة عن شكل العالم راجع الى الملاحين

خلق البحر مثالا للازل لانه مثال للحركة فنشهد تولد اليابسات المتعاقبة وانعدامها وارتفاع الجبال وما وقع على مر الدهور من ضروب فعل الارض وانفعالها مما لا يزال يرتجف منه فؤاده وهو اليوم كما كان فى مبدإ العالم لا يعتوره نصب في جهاده وجلاده فتراه يعض بعض سواحله ويقرض ما يقاومه من الصخور الصوانية ويقتلع

بعض اجزاء الارض من اماكن مختلفة فينقلها من احد نصفيها الى النصف الآخر ليبنى بها سواحل جديدة وجزرا ورؤوسا لابد ان يهدمها بعد وبدأ به على العمل يحول من مكان الى مكان على تعاقب العصور بالقوة الساكنة التي توجد فيها لا يموت من الاشياء وكما انه رحم للخلائق العضوية الاولى هو ايضا اكبر مستودع للحياة. من المحقق الذي لا مرية فيه ان ممارسة البحر قد وسعت دائرة علومنا ولكنا قد استفدنا منه ما هو اجل من العلم نفسه الا وهو ما يتحلى به الرجال من الفضائل التي ينميها في النفس الجهاد مع المحيط المخوف فلولا هذا الجهاد لما عرف الانسان شيئا يستحق المعرفة فما امثل الملاحة طريقة للتربية ! فذلك المربي القاسي العبوس واعني به البحر يبث كل يوم في اذهان غلمانه الذين يتغذون بلبان معارفه ان النفوس متساوية وان الفلاح في الاعتماد عليها ويعلمهم من البسالة ما لا تزعزعه الخطوب ومن الصبر ما يقوون به على احتمال كل ضروب الحرمان واقتحام جميع المخاطر ومن ذا الذي في وسعه ان يصف ما آتى الجنان من الثبات وما ألبس النفس من درع القوة وهو وان غلبه الملاحون بمثابرتهم على قهره وثباتهم في طلب الظفر به يحق له في نفس هذا الغلب ان يفخر بغالبيه فانه هو الذي أنشأهم وهم تلامذته اه

﴿ الرجل والمرأة في دمشق ﴾

(رسالة من الفتاة الدمشقية المهذبة صاحبة التوقيع الرمزي)

حضرة الاستاذ العالم الفاضل الشيخ محمد رشيد افندي رضا صاحب جريدة المنار الاغر لازال ملجأ لكل خير

الغرض من المناظرة التوصيل للحقيقة ولجريدتكم الغراء السبق في هذا الميدان الذي اعرف نفسي بأني لست من فرسانه وان دخولي فيه يعد تطفلا مني على ذويه لكن شدة غيرتي على بنات نوعي ذوات الخدر اضطرتني للدفاع عنهن على قدر بضاعتي واستطاعتي فاقول : طالعت مقالة للفاضل س.ع مدرجة في عدد ١٤٨٥ من جريدة ثمرات الفنون الغراء فرأيت حضرة الكاتب من جهة يعترف بان الرجل في دمشق لم يكن احسن اخلاقا من اخته وانه هو الذي جعلها بالدرك الاسفل من الجهل

ومن جهة اخرى ينعطف ويوجه الملام عليها بتبذير ابنها بقوله انامه هي السبب فانه لما شرع بالمشي واخذ يخرج الى السوق بدأت هي تعطيه نفقة (خرجية) وتعوده على الاسراف والتبذير الخ

فاجيبه انه لم ينصف أخته المسكينة التي كان الرجل هو الذي ضغط عليها اولا حتى هوت بأولاده في هاوية الجهل كما نرى فبأي عدل يحق لاخيها توجيه الملام اليها مهما اساءت التصرف سواء كان بسوء التربية او بغيرها وهو السبب فيما يشكو منه اذ هو صاحب السيطرة عليها وبيده إدارة التعليم وما بيد شريكته غير خدم المنزل فما دامت الحالة على ما ذكر فمن المسؤول والمطالب يا ترى هل الرجل ام المرأة

هل المرأة هي التى قالت لابنها اذا كبرت يابني فاخرب مابناه اسلافك من مدارس العلم والتعليم واجعل البعض منها بيوتا لسكناك والبعض بيتا لمركبتك والبعض اسطبلا للدواب والبعض قاعا صفصفا يأوي اليه الغراب وابتلع ما وقفه اسلافك على هذه المدارس ولاتبق لها غير الاسم بكتاب المدارس ؟(*) هل المرأة هي التي علمت ابنها الخزعبلات وقالت له اترك طلب العلم وتزي بشعار العلماء حتى تغش باقوالك وافعالك الظاهرة البسطاء من اخوانك واخواتك واترك التجارة والصناعة والزراعة واتخذ لك مهنة خرافية فادع انك مشارك للعفاريت والجان وانك قادر على اخراج الشياطين المردة ممن اصابتهم امراض عصبية من بني جنسك وانك قادر على الاعلام بالمغيبات وانك تخرج الثعابين والحيات من احجارها وان النار اذا دخلتها تكون عليك بردا وسلاما وان أمضى السلاح لايؤثر بجسمك وانك قادر بطلاسمك على التفريق بين المرء وزوجه وانك قادر على صلاة المغرب في دمشق والعشاء في بغداد وما شابه ذلك من الخرافات والدعاوي الكاذبة والخزعبلات اللاتي يندر صدور امثالها عن النساء الجاهلات اللاتي يخصر خديثهن في الأزياء (الموضة) والخياطة والرجال يقولون فيهن: طويلات الشعور قصيرات العقول .

واما نداء حضرته ابناء وطنه ودعوتهم الى تهذيب بناتهم وان يبذلوا الدراهم على تعليمهن كما يصرفونها على تعليم ابنائهم فانا مع موافقته على وجوب التعليم نطلب منه

(*) المنار: تعني الكاتبة الكتاب الذي أحصيت فيه أسماء مدارس الشام

طلب استفادة ان يدلنا رعاه الله على مدرسة وطنية في دمشق او في نواحيها يمكن ان تجاب فيها الدعوة التى هى بالحقيقة ضالتنا المنشودة حتى أكون اول منادية مع حضرته واكون لحضرته من الشاكرين . فان كان مراده التعليم بالمكاتب (الكتاتيب) الموجودة فنعيد هنا ماقلناه في مقالة سابقة من ان هذه المكاتب ملأى من كلا النوعين الذكور والاناث على انها غير وافية بالمطلوب لأن التعليم فيها محدود . وان كان مراد حضرته ارسال البنات الى مدارس الاجانب كما يرسل البنون فنحن واياه على طرفي نقيض واظن انه لا يوافقه على هذا الا قليل من الآباء

قد تحقق عند كثير من الآباء والامهات بدمشق ضرورة تعليم البنات اللائى سيصرن أمهات مايحسن أهم أعمالهن وهي تربية الاولاد الذين تتألف منهم العيال والطوائف والامم والذين سيكونون رجال ونساء المستقبل لأن الاطفال عند مايكونون في أحضان أمهاتهم يرضعون من لبانهن ينتقل اليهم كثير من عاداتهن وصفاتهن ونطقهن ويقتدي الولد بوالدته في كل مايسمع منها ويرى ، لذلك نرى ان من يريد تعليم بناته يجب عليه ان يصرف عليهن مثلما يصرف على تعليم بنيه لكن المانع من ترقية التعليم عدم وجود مدرسة كما تقدم ولا أنكر وجود أناس أيضا لايزالون يرون تعليم البنات من الامور المنكرة لأن المرأة بحد ذاتها عندهم كمتاع البيت وأن الواحد اذا صرف وقته بتعليم البقرة الحرث أفضل له من صرفه في تعليم بنته لاعتقاده أوخوفه من أن تصير ساحرة .

واماقوله انه عجز الآن عن تأسيس مدرسة بدمشق لاجل تهذيب اخوانه وأخواته الخ فأقول في جوابه انه لايخفى على حضرته مانقله الينا التاريخ عما كان يعانيه ويقاسيه أعاظم الرجال الذين كانوا يتصدون لأي مشروع جديد سيما اذا كان مخالفا لما ألفه الاكثرون ولو كان مؤكدا فيه النجاح من الاهانة والهزء بهم و بأعمالهم حتى كان السواد الاعظم يرى عمل أحدهم ضربا من الجنون ومع ذلك كانوا يثبتون ولا يرجعون عن عزمهم حتى خلد ذكرهم ووضعوا لذاتهم ذكرا حميدا على صفحات التاريخ فيجب علينا ان نقتدي بهؤلاء الرجال ولانهمل اي مشروع يكون من ورائه النجاح عاجلا أو آجلا وان نترك مانحن عليه من التكاسل ومحبة التعظيم الكاذب والتبجيل الفارغ وان ننتبه من غفلتنا ونصحو من رقدتنا

وننظر لحالتنا ونقابلها على حالة جيراننا الذين سبقونا بكل شيء ونشمر عن ساعد الجد والاجتهاد ونتعاون كما أمرنا على البر والتقوى وان نؤلف جمعية من نخبة الشبان العلماء البعيدين عن الخرافات ونباشر بمعرفتها جمع المال اللازم لتأسيس مدرسة وطنية لاجل تعليم البنين والبنات تكون على أحسن طرز ان شاء الله وبه المستعان وعليه الاتكال (ف ٠ع)

التلميذة في دمشق

آثار علمية ادبية

تاريخ التمدن الاسلامي

صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب لمؤلفه جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو يبحث في العلم والادب وما كان منهما عند العرب قبل الاسلام وما أحدثه الاسلام من التغيير في القرائح والعقول وما نقل عن اللغات الاجنبية من العلوم وما كان من تأثير التمدن الاسلامي في كل ذلك ، فما كان قبل الاسلام هو النجوم والانواء والميثولوجيا والكهانة ويعني بالميثولوجيا الخرافات المتعلقة بتأليه النجوم وغيرها وكل ما تقدم من الخرافات واما العلم الحقيقي الذي كان عندهم فهو التاريخ والأنساب فرع منه والادب ومنه الشعر والخطابة وماهو ممزوج من الحقيقة والوهم وهو الطب وقد ذكر المؤلف هذه كلها سردا لا على وجه التقسيم. وكانوا يعرفون علوما أخرى لم يتكلم عنها كعلم الريافة (استنباط المياه من الارض) والقيافة والعيافة والزجر وغير ذلك ولم يكن شيء من هذه العلوم مدونا في الصحف والكتب بل كان مما يعملون به ويتناقلونه باللسان لانهم أميون . واما العلوم الاسلامية فهي لسانية ودينية وعقلية وكونية وفيها أكثر مباحث الكتاب

وذكر المؤلف في مقدمته أن من الافرنج من هضم في كتبه المسلمين او العرب وغمص حقهم العلمي فلم يعترف بفضلهم بل زعم أنهم افسدوا ما نقلوه ومنهم من أنصف واعترف بفضلهم وهم المستشرقون الذين بحثوا وعرفوا ولكن بعض هؤلاء أطنب في مدح العرب وذكر لهم من المزايا ما لا يوجد له ذكر في كتبهم مع ان الكتب العربية هي منبع التاريخ والمعارف الاسلامية وأنه هو توسط بين الطرفين. ولكن لا يخفى عليه انه لا يصح

ان نجعل مابين أيدينا من الكتب هو الميزان لمعارف العرب فان معظم كتب سلفنا قد ضاع من أيدينا ولم يبق لنا الجهل بقيمة تلك الآثار ، ومايلزمه من سوء الاختيار ، الا أدنى الكتب وأقلها فائدة ومكاتب الافرنج مملوءة بتلك الذخائر المفقودة ، والآثار الضائعة ، ثم أن الاجنبي عن الأمة قلما ينصفها فى فضلها تمام الانصاف ، وأقل من ذلك وأبعد عن المعقول ان يهبها ماليس لها من المزايا والاوصاف ، الا أن يكون الكاتب من أصحاب الاهواء المعروفة ، لامن أهل العلم والمعرفة ، ومن الهوى حب الاغراب ، والكذب في المبالغة والاطناب ،

وقد قرأنا نبذا من الكتاب متفرقة فرأيناها شاهدة لما نعتقده في المؤلف من الانصاف ولكننا رأينا بعض المسلمين يرميه بالتعصب ووصلت شكواهم منه الى أكبر معاهد العلم الاسلامي في مصر وهذه الشكوى لاتزيد على ماكتبه الينا بعض أهل العلم فى دمياط وقد طلب منا كغيره الرد عليه فرأينا من الظلم أن نجازي من يتعب فى خدمتنا بذكر هفواته قبل التنويه بفائدة كتابه ولذلك بادرنا الى تقريظه قبل مطالعته. وهذا نص الكتاب الوارد من دمياط

« قرأت مانشر صاحب الهلال في هذه الايام الاخيرة من تاريخ التمدن الاسلامي فوجدته وان نوه بما للاسلام والمسلمين من الفضل الا ان في طوايا الكتاب وزوايا الكثير من صحائفه مارمي المسلمين فى العصر الاول بالجمود والتعصب الديني فان لم يتيسر لك تصفح الكتاب فانظر الصحيفة التاسعة والثلاثين .

ليس هذا كل ماأقصد من الكتابة لحضرة الفاضل صاحب المنار وانما أهم مادعاني الى الكتابة استلفات نظره الى مسئلة دينية اشار لها حضرة الكاتب تحت عنوان (المأمون والاعتزال) صحيفة ١٤١ وهي مسئلة الخلاف فى القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق فانه حرفها بظنه وفسرها برأيه حيث قال بعد ان نوه بفطنة المأمون وميله الى البحث العقلي مانصه (فتمكن من مذهب الاعتزال وأخذ بناصر أشياعه وصرح بأقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء ومن جملتها القول بخلق القرآن أي انه غير منزل) فنستلفت نظرك أيها الفاضل لقوله اي انه غير منزل بل الى الكتاب كله والسلام »

(المنار) : أما ماجاء في (ص٣٩) فهو منتقد ولكنه معتقد المؤلف فيما أرى ولم يقصد به إهانة الاسلام والنيل منه قال : كان الاسلام في اول امره نهضة عربية والمسلمون هم العرب وكان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب أرادوا المسلمين وبالعكس. ولأجل هذه الغاية أمر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب :

ونقول ان هذا غلط سرى للمؤلف من استعمال الاجانب من عهد بعيد فأطلقه والصواب ان المسلمين في صدر الاسلام كانوا يطلقون كلمة العرب احيانا في مقابلة المسلمين فيعنون بهم المشركين ولم يكن اللفظان مترادفين عند المسلمين في وقت ما على الاطلاق بل كانو يطلقون لفظ المسلم والمسلمين على كل من دخل في الاسلام واذا أطلق على العرب خاصة كان تجوزا يعرف بالقرينة . ولم يخرج عمر غير المسلمين من الجزيرة اجتهادا منه لهذا بل عملا بامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد اوصى بذلك في مرض موته .ثم قال المؤلف :

«واساس الاسلام وقوامه القرآن في تأييده تأييد الاسلام والعرب.وتمكن هذا الاعتقاد في الصحابة لما فازوا في فتوحهم وتغلبوا على دولتي الروم والفرس فنشأ في اعتقادهم أنه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن وشاع هذا الاعتقاد خصوصا في ايام بني امية وقد بالغوا فيه حتى آل ذلك فيهم الى نقمة سائر الامم عليهم »

ونقول ان القرآن بلا شك اساس الاسلام ولكن ليس فيه ما يدل على ان العرب يجب ان يكونوا ممتازين على غيرهم بل يقول «ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » نعم ان تاييد العرب له تأييد لهم اذ لولاه لم يخرجوا من ظلمة جاهليتهم ولكن فتح بلاد الروم والفرس لم يزد الصحابة اعتقادا بماذكره وإنما كانوا يعتقدون كما يعتقد كل مسلم الى الآن والى ماشاء الله من انه لايصح ان يعتقد بان شيئا من الدين الا ماجاء في القرآن والسنة اوارشد اليه الكتاب اوالسنة وهذا الاعتقاد لايمنع جواز قراءة كل كتاب نافع والانتفاع بكل علم في امر الدنيا لاسيما وقد قال لنا نبينا «انتم اعلم بامور دنياكم » وامرنا ان نطلب العلم ولو بالصين وأن ناخذ الحكمة اينما وجدت.وما كان من امر بني امية فهو من الاثرة

والطمع ولم يميزوا انفسهم على الاعاجم وحدهم بل ميزوها قبل كل شيء على آل بيت النبي عليه وعليهم السلام . ثم قال

« أما فى الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام أن الاسلام يهدم ما قبله فرسخ فى الأذهان أنه لاينبغي أن ينظر فى كتاب غير القرآن لأنه جاء ناسخا لكل كتاب قبله» اه ونقول إن معنى هدم الاسلام لما هو قبله أن من دخل فيه لايؤاخذ على الكفر والمعاصي التي كان عليها قبله كما يعلم من النصوص الصريحة وليس معناه أنه أبطل العلوم والفنون الدينية والدنيوية معاً كيف وأكثر المسلمين يقولون الى اليوم بأن شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد عندنا ماينسخه بخصوصه . وأما نهي النبي (ص) عن النظر فى كتب اليهود وعن تصديقهم وتكذيبهم فسببه عدم الثقة بما ينقلونه عن كتبهم على أنها محرفة وقد «نسوا حظا مما ذكروا به» ومثلهم فى هذا النصاري وقد خالف هذا النهي بعض الرواة فأدخلوا في كتب المسلمين من الاسرائيليات ماشوه كتب السير والتفسير والحديث بالأكاذيب والخرافات ولولا نقد الحفاظ لاختلط علينا الامر بسوء قصدهم اوفهمهم كما اختلط على من قبلنا . وقد جعل المؤلف هذه النبذة مقدمة للنبذة التي يرجح فيها ان العرب هم الذين أحرقوا مكتبة الاسكندرية وماكان أغناه عن ذلك

هذا ما أشار اليه الدمياطي عن (ص٣٩) وأما تفسير المؤلف لخلق القرآن بما فسره به فى (ص١٤١) فهو من اجتهاده الغريب الذى انفرد به ولم يخطر على بال أحد قبله من المعتزلة ولامن أهل السنة فان هؤلاء لايكفرون المعتزلة بالقول بخلق القرآن والفريقان مع سائر الفرق الاسلامية على إجماع واتفاق على كفر من يقول أن القرآن غير منزل لأن هذا القول تكذيب صريح للقرآن وللنبي لايحتمل التأويل ولا التعليل والذى يقول به يستحيل أن يلتزم شيئا من عقائد المسلمين وعباداتهم .وانما يعنون بخلق القرآن ما كانوا يسمونه مسألة اللفظ وهو أن ألفاظ القرآن التى يكيفها التالي بصوته مخلوقة ومن فوائد انكار أهل السنة والجماعة لهذا القول أنه ربما يفضي الى أن يقول بعض الناس أنه يلزم من حدوث ألفاظ القرآن أن لايكون منزلا من الله تعالى ـ كما قال المؤلف ـ فيخرجوا من الاسلام

وإنا لنعلم أن كثيرا من المسلمين يظنون أن المؤلف يتعمد أمثال هذا القول

طعنا في الدين وتشكيكا فى الاسلام وقد صرحنا من قبل باعتقادنا فيه وأنه يقول ما وصل اليه علمه بحسن نية وأنه ليس من متعصبي النصارى الذي يرضون تعصبهم بافساد العلم كاليسوعيين الذين حرفوا كتب المسلمين لهذا الغرض حتى لاثقة بكتاب يطبع عندهم وبينا سبب وقوع هذه الأغلاط في كتب جرجي افندي زيدان وهي انه لم يدرس المسائل الاسلامية ويأخذها عن أهلها من كتبها وإنما يتناول نتفاً منها من كتب التاريخ والادب وغيرها فيجيء بيانه للمسألة أو حكمه عليها خطأ في بعض الاحيان مهما كانت ظاهرة جلية في مواضعها كما صرحنا بذلك في تقريظ الجزء الثاني من هذا الكتاب . وعذر الذين يسيئون الظن فيه أنه يقول في الاسلام بما لم يقل به أحد ويعزو الى أهله مالم يخطر لاحد منهم ببال من غير دليل كتفسيره مسألة خلق القرآن بانه غير منزل من الله والحقيقة ماقلناه وليس لنا ان نعد ماهو بديهي عندنا بديهيا عند المخالفين لنا في الدين الذين لم يدرسوه دراستنا لعدم حاجتهم الى ذلك . نعم كان ينبغي لهذا المؤلف الذي نعهد فيه الانصاف وحب الحقيقة ان يعرض المسائل الدينية الاسلامية المحضة على عالم مسلم قبل تدوينها وهي قليلة لاتزيد في عنائه على مراجعة الكتب فى المكتبة المصرية . وفي الكتاب مباحث أخرى تستحق النقد ربما نعود اليها في وقت آخر وفيه فوائد كثيرة لاتجدها مجموعة فى كتاب عربي

وإننا مع هذا نشكر للمؤلف عنايته واجتهاده وسبقه الى إدخال أساليب التأليف الحديثة في اللغة العربية ونرجو أن يزيد في التحري مع الاعتراف بأنه لاعصمة لأحد في اجتهاده ونحث أهل العلم والبحث على النظر فى كتبه هذه ومن كان ينتقدها على الاطلاق فليأتنا بخير منها نكن له من السامعين الشاكرين وصفحات هذا الجزء ٣١٤ وثمن النسخة منه عشرون قرشا

﴿ ثلاثون عاما فى الاسلام ﴾

كتاب وضعه موسيو ليون روش السياسي الفرنسي الذي أقام في بلاد المسلمين ٣٠ سنة تعلم في أثناءها اللغة العربية وفنونها وقرأ العلوم الاسلامية وعاشر المسلمين فى الجزائر وتونس والاستانة ومصر والحجاز وقد عربت جريدة اللواء المصرية عنه

الجملة الآتية (في عدد ١٥٠٦ الصادر في ٢٢ ج ٢) فنشرناها نقلا عنها لتكون حجة على متعصبي النصارى وعلى أمثال صاحب جريدة اللواء الذي ينتصر للمشايخ الجامدين الذين وصفهم صاحب الكتاب كما يحامل على المصلحين الذين يبينون انطباق الاسلام على المدنية الفاضلة ويدعون الى أصوله الكاملة التي طمس التقليد معالمها ، وعبرة لنابتة المسلمين أبناء التربية الحديثة الذين كفروا بهذا الدين تقليدا للافرنج الجاهلين به أو المتعصبين على أهله قال المؤلف

« اعتنقت دين الاسلام زمناً طويلا لأدخل عند الامير عبد القادر دسيسة من قبل فرنسا وقد نجحت فى الحيلة فوثق بي الامير وثوقا تاماً واتخذني له سكرتيراً. فوجدت هذا الدين الذى يعيبه الكثيرون أفضل دين عرفته فهو دين انساني طبيعي اقتصادي أدبي ولم أذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية الا وجدته فيه مشروعا . بل اني عدت الى الشريعة التي يسميها جول سيمون الشريعة الطبيعية فوجدتها كأنها أخذت أخذاً عن الشريعة الاسلامية . ثم بحثت عن تأثير هـذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قـد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما . بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف في عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب . فالمسلم بسيط لا يظن بأحد سوءاً ثم هو لا يستحل المحرم فى طلب الرزق ولذلك كان أقل مالا من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين

ولقد وجدت فيه حل المسئلتين الاجتماعيتين اللتين يشغلان العالم طراً . الاولى فى قول القرآن (انما المؤمنون اخوة) فهـذا أجمل مبادئ الاشتراكية . والثانية فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق أخـذها غصبا ان امتنع الاغنياء عن دفعها طوعا وهذا دواء الفوضوية

همت بحب فتاة جزائرية اسمها خديجة وشغفت هي بي حبا . اني كلما تذكرت هذا الحديث أذوب أسفا . تبادلنا الغرام وتشاكينا الهيام وهى لا تعرف من أمري الا اني مسلم . وكان حبي لها حباً جرى مجرى دمي فى مفاصلي فأردت ان اتخـذها زوجة وان أرحـل بها الى فرنسا حين قضاء مهمتي فاطلعتها على شيء من سري . واأسفاه . انها حين علمت بذلك نهضت من جنبي مصفرة الوجـه مطرقة الرأس وقالت الوداع الوداع اني أحبك فلا أستحل افشاء سرك ثم اني احب قومي فلا استحل

أن أبقى بينهم عارفة بأمر يسوءهم ولذلك لاينبغي لي أن أعيش فالوداع . ثم طعنت فؤادها بخنجر فسقطت ميتة . وإني لاأنساها مادمت حياً

ذلك من تأثير هذا الدين الكريم انه دين المحامد والفضائل . ولو انه وجد رجالا يعلمونه الناس حق العلم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون أرقى العالمين وأسبقهم فى كل الميادين . ولكن وجد بينهم وياللأسف شيوخ يحرفون كلمه ويمسخون جماله ويدخلون اليه ماليس منه . واني تمكنت من استغواء بعض هولاء الشيوخ فى القيروان والاسكندرية ومكة فكتبوا الى المسلمين في الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسويين وبأن لاينزعوا الى ثورة وبأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس. ومنهم من أفتى بأن فرنسا دولة اسلامية اكثر من الدولة العثمانية . وكل ذلك لم يكلفني غير بعض الآنية من الذهب

مثل هؤلاء الشيوخ الذين يحسبون هذا الدين ملكا لهم لاينبغي لغيرهم شرحه وتفسيره — مثل هؤلاء الشيوخ الذين يقاومون المصلحين ويعدون كل تأويل غير تأويلهم كفراً وإلحاداً — مثل هؤلاء الشيوخ هم علة تأخر الاسلام والمسلمين . سمعت في الجزائر وتونس أن الشيخ محمدا عبده المصري يفسر القرآن تفسيراً منطبقا على العلم والمدنية والانسانية فوجدت كثيراً من الشيوخ الجامدين يرون فى ذلك بدعة ويقولون ما أتى بمثل هذا أحد من الأولين . فكأنهم يرون هذا الدين متاعاً لايخص غير الرازي والجمل والسيوطي وغيرهم من المفسرين السابقين ولايخص سواهم من العلماء المجتهدين.انه اذا من الله على الاسلام بشيوخ عقلاء مثل الشيخ محمد عبده وغيره من المصلحين كان خير دين أخرج للناس وكان المسلمون أرقى العالمين اهـ

(المنار) قد سررنا من نشر جريدة اللواء لهذه النبذة كما سررنا من كتابة ذلك الفرنسي لها فعسى أن نراها بعد الآن معترفة على الدوام بمثل ما اعترف به هذا السياسي الكبير والعالم المنصف وان لاتنتصر بعد لأولئك الشيوخ الجامدين على العقلاء المصلحين وان كان الحق يعلو كل انتصار حيث يجد حرية،وأن تستفيد بما ينشر المنار من ذلك التفسير الذي هو حجة الله على العالمين فى هذا العصر ومن سائر محاسن الاسلام وحكمه ومزاياه. فلا يليق بمن ينتحل لنفسه خدمة الاسلام في مصر أن يجهل اوينكر مافيها من الاصلاح الذي يعرفه ويعترف به الفرنسي في باريس

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الالباب

المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر — الاثنين ١٦ رجب سنة ١٣٢٢ — ٢٦ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بسم الله الرحمن الرحيم

لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ، وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلْكِتَابِ وَٱلنَّبِيِّينَ، وَآتَى ٱلْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي ٱلْقُرْبَى وَٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ، وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَٱلصَّابِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ، أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ *

ادعى الجلال أن هذه الآية نزلت للرد على النصارى الذين يولون

وجوههم في صلاتهم قبل المشرق واليهود الذين يولونها قبل بيت المقدس وهذا ادعاء لم يثبت والصحيح قريب منه وهو أن أهل الكتاب أكبروا أمر تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة كما تقدم فى آيات التحويل وحكمه وطال خوضهم فيها حتى شغلوا المسلمين بها وغلا كل فريق فى التمسك بما هو عليه وتنقيص مقابله كما هو شأن البشر في كل خلاف يثير الجدل والنزاع فكان أهل الكتاب يرون أن الصلاة الى غير قبلتهم لا تقبل عند الله تعالى ولا يكون صاحبها على دين الانبياء والمسلمون يرون أن الصلاة الى المسجد الحرام هو كل شيء لأنه قبلة ابراهيم وأول بيت وضع لعبادة الله تعالى وحده - فأراد الله تعالى أن يبين للناس كافة أن مجرد تولية الوجه قبلة مخصوصة ليس هو البر المقصود من الدين، ذلك أن استقبال الجهة المعينة انما شرع لأجل تذكير المصلي بالاعراض عن كل ماسوى الله تعالى فى صلاته والاقبال على مناجاته ودعائه فتولية الوجه وسيلة للتذكير بتولية القلب وليس ركنا من العبادة بنفسه، وأن يبين لهم أصول البر ومقاصد الدين فقال

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) قرىء بنصب البر ورفعه وكلاهما ظاهر قال (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) وفيه الاخبار عن المعنى بالذات وهو معهود في العربي الفصيح والقرآن على الاساليب العربية الفصحى لا على فلسفة النحاة وقوانينهم الصناعية، وبلاغة هذه الاساليب فى إيصال المعاني المقصودة الى الذهن على أجلى وأتم وجه يريده المتكلم وأحسن تأثير يقصده فلسنا فى حاجة هنا الى تأويل «من آمن» ليجري الكلام على فلسفة القوانين فان مثل

هذا التعبير لا يزال مألوفا عند أهل العربية على فساد ألسنتهم فى اللغة يقولون : ليس الكرم أن تدعو الأغنياء والأصدقاء الى طعامك ولكن الكرم من يعطي الفقراء العاجزين عن الكسب: فالكلام مفهوم بدون أن نقول إن معناه ولكن ذا الكرم من يعطي أو لكن الكرم عطاء من يعطي وانما نحن فى حاجة الى بيان النكتة فى اختيار ذلك على قول : ولكن البر هو الايمان بالله : الخ وهذه النكتة مفهومة من العبارة فانها تمثل لك المعنى فى نفس الموصوف به فتنبهك الى أن البر هو الايمان ومايتبعه من الأعمال باعتبار الاتصاف بالايمان والقيام بعمله أي انها تمثل لك المعنى فى الشخص أو الشخص عاملا بالبر وهذا أبلغ فى النفس هنا من إسناد المعنى الى المعنى ومن إسناد الذات الى الذات كما هو مذوق ومفهوم .

ابتدأ بذكر الايمان بالله واليوم الآخر لأنه أساس كل بر ومبدأ كل خير ولا يكون الايمان أصلا للبر الا اذا كان متمكنا من النفس بالبرهان ، مصحوبا بالخضوع والإذعان ، فمن نشأ بين قوم وسمع منهم اسم الله فى حلفهم واسم الآخرة فى حوارهم وقبل منهم بالتسليم أن له إلهاً وأن هناك يوماً آخر يسمى يوم القيامة وأن أهل دينه هم خير من أهل سائر الأديان فان ذلك لايكون باعثا له على البر وان زادت معارفه بهذه الألفاظ المسلمة فحفظ الصفات العشرين وأضدادها بل وان حفظ العقيدة السنوسية ببراهينها ولقد كان أهل الكتاب الذين تبين لهم الآية خطأهم فى فهم مقاصد الدين يؤمنون بالله واليوم الآخر ولكنهم كانوا بمعزل عن الاذعان والقيام بحقوق هذا الإيمان من الأعمال والأوصاف المذكورة في الآية

الإيمان المطلوب معرفة حقيقيـة تملك العـقل بالبرهان ، والنفس بالاذعان ، حتى يكون الله ورسوله أحب الى المؤمن من كل شيء ويؤثر أمرهما على كل شيء «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » وإيمان التقليد يفضل صاحبه كل واحد من هذه الأمور على أمر الله ورسوله

الايمان المطلوب معرفة تطمئن بها القلوب ، وتحيا بها النفوس ، وتخنس معها الوساوس ، وتبعد بها عن النفس الهواجس ، فلا تبطر صاحبها النعمة ، ولا تُؤيسه النقمة ، « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهـم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ـ «لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم» وإيمان التقليد لا يفتأ صاحبه مضطرب القلب ، ميت النفس ، اذا مسه الخير فرح فخور ، واذا مسه الشر يؤوس كفور ،

الايمان المطلوب معرفة تمثـل للمؤمن اذا عرضت له دواعي الشر وأسـباب المعاصي فتحول دونها فاذا نسي فأصاب الذنب بادر الى التوبة والإنابة فالمؤمنون هم « الذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعـلوا وهم يعلمون» وهم « الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهـم » وإيمان التقليد يصر صاحبه على العصيان ويقترف الفواحش عامدا عالما لا يستحي من الله ولا يوجل قلبه اذا عصاه

الايمان المطلوب هو الذي اذا علم صاحبه بأن الايمان أصيب بمصيبة

كان مصيبته في دينه أشد عليه من المصيبة في نفسه وماله وولده وكان انبعاثه الى تلافيها أعظم من انبعاثه الى دفع الأذى عن حقيقته ، وجلب الرزق الى نفسه وعشيرته ، وإيمان المقلد لاغيرة معه على الدين ولا على الايمان « واذا دُعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين * » الآيات .

يذكر القرآن الايمان بالله واليوم الآخر كثيرا وانما المراد به ماله مثل هذه الآثار التي شرحها في آيات كثيرة من أجمعها الآية التي نفسرها ولكن أهل التقليد الذين لا أثر للايمان في قلوبهم ولا في أعمالهم الا ماجرت به عادة قومهم من الاتيان ببعض الرسوم يأولون كل هذه الايات بجعلهم الايمان قسمين قسماً كاملاً وهو الذي يصف القرآن أهله بما يصفهم به وقسما ناقصا وهو ايمانهم الذي يجامع ماوصف الله تعالى به الكافرين والمنافقين ويرون أن الايمان الناقص كاف لنيل سعادة الآخرة لاسيما اذا صحبه بعض الرسوم الدينية ، ولكن الله تعالى في مثل هذه الآية يرشدنا الى أن الرسوم ليست من البر في شيء وانما البر هو الايمان ومايظهر من آثاره في النفس والعمل كما ترى في الآية وأساس ذلك الايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين . فالايمان بالله يرفع النفوس عن الخضوع والاستعباد للرؤساء الذين استذلوا البشر بالسلطة الدينية أو السلطة الدنيوية وهي سلطة الملك فان العبودية لغير الله تعالى تهبط بالبشر الى دركة الحيوان المسخر أو الزرع المستنبت . والايمان باليوم الآخر وبالملائكة يعلم الانسان أن له حياة في عالم غيبي أعلى من هذا العالم فلا يرضى لنفسه أن يكون سعيه وعمله لأجل خدمة هذا الجسد خاصة لأن ذلك يجعله لايبالي الا

بالأمور البهيمية . ثم ان الايمان بالملائكة أصل للايمان بالوحي لأن ملك الوحي روح عاقل عالم يفيض العلم باذن الله على روح النبي بما هو موضوع الدين ولذلك قدم ذكر الملائكة على ذكر الكتاب والنبيين فهم الذين يؤتون النبيين الكتاب « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » - « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين» فيلزم من انكار الملائكة إنكار الوحي والنبوة وإنكار الأرواح وذلك يستلزم إنكار اليوم الآخر ومن أنكر اليوم الآخر يكون أكبر همه لذات الدنيا وشهواتها وحظوظها وذلك أصل لشقاء الدنيا قبل شقاء الاخرة والملائكة خلق روحاني عاقل قائم بنفسه وهم من عالم الغيب فلا نبحث عن حقيقتهم كما تقدم غير مرة

واختير لفظ الكتاب على الكتب للايماء الى أن كلا من اليهود والنصارى لو صح إيمانهم بكتابهم وأذعنوا له لكان في ذلك هداية لهم وان جهلوا وحدة الدين فلم يعرفوا حقية جميع الكتب الالهية على أن المقصود لازمه وهو أنهم لم يؤمنوا حق الايمان بكتابهم اذ لا يعملون بما يرشد اليه ولو كان ايمانهم صحيحا لقارنه الاذعان ،الباعث على العمل بقدر الامكان ، فان كثيرا من المؤمنين بالتسليم والتقليد كانوا كمن نزل فيهم « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم * إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون »فهذا الايمان الذي حصر الله الصدق فى أصحابه كان قد فقد من أكثر أهل الكتاب كما هو حال مجموع

المسلمين في هذا العصر فان الذي تصدق عليه هذه الأوصاف صار نادرا جدا ولذلك حرم المسلمون ما وعد الله به المؤمنين من العزة والنصر والاستخلاف فى الأرض ولن يعود لهم شيء من ذلك حتى يعودوا الى التحقق بما ميز الله به المؤمنين من النعوت والاوصاف . فالايمان بالكتاب يستلزم العمل به فان المؤمن الموقن بأن هذا الشيء قبيح ضار لا تتوجه إرادته الى إتيانه والمؤمن الموقن بأن هذا الشيء حسن نافع لابد أن تتوجه اليه نفسه عند عدم المانع . فما بال مدعي الايمان بالكتاب قد أعرضوا عن امتثال أمره ونهيه حتى صاروا يعدون حفظه وقراءته من موانع الجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس فكان من قوانينهم أن حافظ القرآن لا يطلب لتعلم فنون الحرب والجهاد لأنه حافظ وصار حملة الكتاب لا يطالبون ببذل شيء من مالهم فى سبيل الله حتى اذا ما طولب أحدهم ببذل شيء لاعانة المنكوبين أو لبناء مسجد ونحو ذلك اعتذر بأنه من العلماء أو الحفاظ لكتاب الله تعالى - بخل القراء والمتفقهة بفضل الله تعالى فجازاهم الله تعالى على بخلهم ، ووفاهم ما يستحقون على سوء ظنهم بربهم ، حتى صاروا فى الغالب أذل الناس لأنهم عالة على جميع الناس

والايمان بالنبيين يقتضي الاهتداء بهديهم والتخلق بأخلاقهم والتأدب بآدابهم ، ويتوقف هذا على معرفة سيرتهم ، والعلم بسنتهم ، وأبعد الناس عن الايمان بهم من رغبوا عن معرفة ما ذكر والاهتداء به ولا عذر لهم بما يزعمون من الاستغناء عن السنة بالاقتداء بالائمة الفقهاء فانه لا معنى للاقتداء بشخص الا الاستقامة على طريقته وانما طريقة الائمة المهتدين البحث عن السنة وتقديمها بعد كتاب الله تعالى على كل هداية وارشاد ولا يغني عن

كتاب الله وسنة رسوله شيء أبدا فان الله يقول « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر » فمن استغنى عن التأسي بالرسول فقد استغنى عن الايمان بالله واليوم الآخر إذ لا ينفعه هذا الايمان الا بهذا التأسي . على ان الاقتداء بالأئمة يقضي على صاحبه بأن يعلم سيرهم وطريقة أخذهم عن ربهم ونبيهم وهؤلاء المقلدون لا يعرفون عن ايمانهم الا اسمه وقول قائل لا يعرفونه كذلك ان هذا الكلام كلامه ولا يدرون كيف يعتقدون انه كلامه . وهناك قوم غشيهم الجهل فغشهم بأنهم من أشد الناس ايمانا بالرسول وحبا له بما يصيحون به فى قراءة كتب الصلاة عليه كالدلائل وأمثالها أو المدائح الشعرية وهم أجهل الناس باخلاقه العظيمة وسنته السنية وسيرته الشريفة وأشدهم نفورا عن التأسي به اذا دعوا اليه أو نهوا عن البدع فى دينه والزيادة فى شريعته وأمثال هؤلاء هم الذين ورد الحديث بأنهم يردون عليه الحوض يوم القيامة فيذادون (يطردون) دونه فيقول أمتي فيقال انك لا تعلم ما أحدثوا بعدك فيقول : بعدا لهم وسحقا :

ثم ذكر تعالى بعد بيان أصول الايمان أصول الاعمال الصالحة التي هي ثمرته وبدأ بأقواها دلالة عليه فقال (وآتى المال على حبه) أي وبذل المال لاجل حبه تعالى أو على حبه اياه أي المال . قال الاستاذ الامام وهذا الايتاء غير إيتاء الزكاة الآتي وهو ركن من أركان البر وواجب كالزكاة وذلك حيث تعرض الحاجة الى البذل فى غير وقت أداء الزكاة بأن يرى الواجد مضطرا بعد أداء الزكاة أو قبل تمام الحول . وهو لا يشترط فيه نصاب معين بل هو على حسب الاستطاعة فاذا كان لا يملك الا رغيفا ورأى مضطرا اليه فى حال استغنائه عنه بأن لم يكن محتاجا اليه لنفسه أو لمن تجب عليه نفقته وجب

عليه بذله. وليس المضطر وحده هو الذى له الحق فى ذلك بل أمر الله تعالى المؤمن أن يعطي من غير الزكاة (ذوي القربى) وهم أحق الناس بالبر والصلة فان الانسان اذا احتاج وفى أقاربه غني فان نفسه تتوجه اليه بعاطفة الرحم، ومن المغروز فى الفطرة ان الانسان يألم لفاقة ذوي رحمه وعُدمهم أشد مما يألم لفاقة غيرهم، فانه يهون بهوانهم، ويعتز بعزتهم، فمن قطع الرحم ورضي بأن ينعم وذوو قرباه بائسون، فهو بريء من الفطرة والدين، وبعيد من الخير والبر، ومن كان أقرب رحما كان حقه آكد، وصلته أفضل، (واليتامى) فانهم لموت كافلهم تتعلق كفالتهم وكفايتهم بأهل الوجد واليسار من المسلمين كيلا تسوء حالهم وتفسد تربيتهم فيكونوا مصابا على أنفسهم وعلى الناس - (والمساكين) فانهم لما قعد بهم العجز عن كسب مايكفيهم وسكنت نفوسهم للرضى بالقليل، عن مد كف الذليل، وجبت مساعدتهم ومواساتهم على المستطيع (وابن السبيل) المنقطع فى السفر لا يتصل بأهل ولا قرابة حتى كأن السبيل أبوه وأمه ورحمه وأهله وهذا التعبير بمكان من اللطف لا يرتقي اليه سواه. وفى الامر بمواساته واعانته فى سفره ترغيب من الشرع فى السياحة والضرب فى الارض - (والسائلين) الذين تدفعهم الحاجة العارضة إلى تكفف الناس وأخرهم لانهم يسألون فيعطيهم هذا وهذا. والسؤال محرم شرعا الا لضرورة يجب على السائل أن لا يتعداها - (وفى الرقاب) أي فى تحريرها وعتقها وهو يشمل ابتياع الارقاء وعتقهم وإعانة المكاتبين على أداء نجومهم (١) ومساعدة

(١) المكاتب هو الرقيق يشتري نفسه من مولاه بثمن يجعل أقساطا و الاقساط تسمى فى اللغة نجوما

الاسرى على الافتداء . وفى جعل هذا النوع من البذل حقاواجبافي أموال المسلمين دليل على رغبة الشريعة في فك الرقاب واعتبارها أن الانسان خلق ليكون حرا الا فى أحوال عارضة تقضي المصلحة العامة فيها ان يكون الاسير رقيقا . وأخر هذا عن كل ماسبقه لأن الحاجة فى تلك الاصناف قد تكون لحفظ الحياة وحاجة الرقيق الى الحرية حاجة الى الكمال

ومشروعية البذل لهذه الاصناف من غير مال الزكاة لاتتقيد بزمن ولا بامتلاك نصاب محدود ولا يكون المبذول مقدارا معينا بالنسبة الى ما يملك ككونه عشرا أو ربع العشر او عشر العشر مثلا وإنما هو أمر مطلق بالاحسان موكول إلى أريحية المعطي وحالة المعطى. ووقاية الانسان المحترم من الهلاك والتلف واجبة على من قدر عليها ومازاد على ذلك فلا تقدير له وقد أغفل أكثر الناس هذه الحقوق العامة التي حث عليها الكتاب العزيز لما فيها من الحياة الاشتراكية المعتدلة الشريفة فلايكادون يبذلون شيئا لهؤلاء المحتاجين الاالقليل النادر لبعض السائلين وهم فى هذا الزمان أقل الناس استحقاقا لأنهم اتخذوا السؤال حرفة وأكثرهم واجدون

ثم قال (وإقام الصلوة) وهذا هو الركن الروحاني الركين للبر . وإقامة الصلاة التي يكرر القرآن المطالبة بها لاتتحقق بأداء أفعال الصلاة وأقوالها فقط وان جاء بها المصلي تامة على الوجه الذي يذكره الفقهاء لأن مايذكرونه هو صورة الصلاة وهيأتها وإنما البر والتقوى فى سر الصلاة وروحها الذي تصدر عنه آثارها من النهي عن الفحشاء والمنكر وقلب الطباع السقيمة ، والاستعاضة عنها بالغرائز المستقيمة ، فقد قال تعالى «ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين»

فمن حافظ على الصلاة الحقيقية تطهرت نفسه من الهلع والجزع اذا مسه الشر، ومن البخل والمنع اذا مسه الخير، وكان شجاعا كريما قوي العزيمة، شديد الشكيمة، لايرضى بالضيم، ولا يخشى فى الحق العذل واللوم، لأنه بمراقبته لله تعالى فى صلاته واستشعاره عظمته وسلطانه الأعلى فى ركوعه وسجوده، يكون الله تعالى غالبا على أمره، فلا يبالي مالقي من الشدائد في سبيله، وما أنفق من فضله ابتغاء مرضاته، وصورة الصلاة لاتعطي صاحبها شيئا من هذه المعاني فليست بمجردها من البر فى شيء وإنما شرعت للتذكير بذلك السناء الإلهي والاستعانة بها على توجه القلب اليه واستغراقه فى ذكره ومناجاته ودعائه - فهذا هو البر وقد تقدم القول في معنى الصلاة وإقامتها وانما نعيد التذكير كلما أعاده الكتاب العزيز

(وآتى الزكوة) قلما تذكر إقامة الصلاة فى القرآن الا ويقرن بها إيتاء الزكاة فالصلاة مهذبة للروح والمال كما يقولون قرين الروح فبذله فى سبيل الحق ركن عظيم من أركان البر وآية من أظهر آيات الايمان ولذلك أجمع الصحابة عليهم الرضوان على محاربة مانعي الزكاة ولكن الذين لايعرفون من الدين والايمان الا تقليد بعض الكتب التي ألفها الميتون، ونشرها الرؤساء والحاكمون، يمنعون الزكاة عمدا باسم الدين بما تعلمهم هذه الكتب من الحيل التي تمنع بها الحقوق الثابتة وآكدها الزكاة التي ذكر الكتاب مصارفها الثمانية وقضى بان تبقى بيقائها كلها أو بعضها ويسمونها حيلا شرعية وما نسبتها الى الشرع، الا كنسبة منجل الحاصد الى الزرع، أو العاصفة في القلع، فمانع الزكاة يهدم فى الظاهر ركنا من أعظم أركان الاسلام، وينقض فى الباطن من تحته أساس الإيمان، لانه يحتال على الله تعالى فى

إبطال فريضته، وإزالة حكمته ، فهو لم يرض بحكمه ولم يذعن لأمره ، بل فسق عن أمر مولاه ، واتخذ إلهه هواه ، وتجرأ على تبديل كلمات الله ، فنسخ الآيات الكثيرة من كتابه الآمرة بايتاء الزكاة على أنها آية الايمان ، وصلاح العمران ، ثم هو يسمي هذا الحنث العظيم ، والجرم الكبير ، حكما مشروعا ، ودينا متبوعا ، ووالله ان نسبة هذا السفه الى الشرع ، لأدل على الكفر من ذلك المنع ، اذ لا يعقل ان يشرع الله لنا شيئا ويؤكده علينا سبعين مرة ثم يرضى بأن نحتال عليه ونخادعه في تركه ونزعم أنه تقدس وتعالى أذن لنا بهذه المخادعة والمخاتلة !! إذن لماذا فرض وأوجب ، ورغب ورهب ، ووعد وأوعد ، وحكم وأحكم ، هل كان ذلك لغوا من الكلام ، وجهلا بحكمة وضع الاحكام ، ؟ على ان تلك الحيل الشيطانية لم يجد لها واضعوها شبهة من تحريف كتاب الله وتأويل آياته كما هي طريقتهم فى اتباع أهوائهم ، وتأييد آرائهم ، فان الله تعالى لم يذكر في كتابه الحول والنصاب وانما ذكر ماهو روح الدين ومقصده وهو إيتاء الزكاة وكونه آية الايمان ، وتركه آية النفاق والكفران ،

وقد بينت السنة بالهدي والعمل كيفية الأخذ وقدر المأخوذ وسائر الاحكام وليس فيها شيء يصح ان يكون شبهة لإبطال الكتاب والهروب من الاهتداء به ولكن المخذولين لما تركوا الاهتداء بالكتاب والسنة وجعلوا عبارات الكتب التي صنفوها هي مآخذ الدين وينابيعه صاروا يحتالون فى تطبيق أعمالهم على تلك العبارات المخلوقة فيكتب أحدهم مثلا : تجب الزكاة على مالك النصاب اذا تم الحول وهو مالك له : ثم يعمد هو وغيره الى تطبيق دينه على هذه العبارة فيهب ماله قبل انقضاء الحول بيوم أو يومين

الى امرأته ولو مع الاشتراط عليها أن تعيده له بعد يوم أو يومين ويقول انه لم تجب عليه الزكاة بحسب نص الكتاب الذي سماه فقها ويدك بكلمة كتابه المخلوق كتاب الله القديم، وسنة رسوله الحكيم، وحكمة دينه القويم، ويزعم مع هذا كله أنه مسلم مؤمن بالله وكتابه ورسوله بل يزعم أنه عالم فقيه فى الدين، يجب تقليده واتباعه على المؤمنين، وربما يتبجح اذا سمع أو قرأ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده: لأنه يزعم أنه ممن أراد الله به خيرا ففقهه فى الدين. فيا أهل الفطرة السليمة التى لم يفسدها فقه هؤلاء المحتالين على الله لهدم دينه أفتونا أهل العلم بمثل هذه الحيلة ينطبق على أصول البر التى ذكرها الله فى هذه الآية وعلى الفقه والرشد الذي ذكره النبي فى حديثه هذا أم هذه فتنة من فتن التقليد، وأخذ الدين من الكتب المحدثة دون كتاب الله المجيد ،؟

ثم قال تعالى (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) وهذا انتقال من البر فى الاعمال الى البر فى الاخلاق فذكر منها ماهو اهم أصول البر وهو الوفاء والصبر بضروبه المبينة. وقد ذكر الاعمال بصيغة الفعل والاخلاق بصيغة الوصف لأن الاعمال أفعال والاخلاق صفات وفيه تنبيه على أن من أوفى وصبر تكلفا لايكون بارا حتى يصير الوفاء والصبر من أخلاقه ولو بتكرار التكلف والتعمل فقد ورد: الحلم بالتحلم: وقدم ماذكر من الاعمال على هذه الاخلاق لان الاعمال هي التى تطبع الاخلاق في النفوس لاسيما الصلاة وبذل المال فلاأعون منهما على الوفاء والصبر وذلك ظاهر لقوم يفقهون

قال الاستاذ الامام العهد عبارة عما يلتزم به المرء لآخر وهو بعمومه يشمل ماعاهد المؤمنون عليه الله بايمانهم من السمع والطاعة والاذعان لكل ما جاء به دينه. ويذكر العهد فى القرآن والسنة كثيرا ويراد به في الغالب

مايعاهد به الناس بعضهم بعضا عليه ويشترط فى وجوب الوفاء بهذا العهدان لايكون في معصية. وفى معنى العهود العقود وقد أمرنا بالوفاء بها فيجب على المسلم أن يلتزم الوفاء بما يتعاقد عليه مع الناس مالم يكن مخالفا لامر الله ورسوله الثابت عنده ولقواعد الدين العامة. وهذا أمر لامندوحة عنه وهو معقول الفائدة ولذلك قال أهـل القوانين الوضعية إن كل التزام يخالف أصول القوانين فهو باطل . ولكن لايجوز ان يعاهد الانسان أحدا أو يعاقده على أمر يعلم أنه مخالف للدين لا بنية الوفاء ولا بنية الغدر والنقض الأول معصية والثاني معصيتان او أكثر لما يتضمنه من الغدر والغش. ولا يتحقق البر فى الايفاء الا اذا كان المرء يوفي من نفسه بدون إلزام حاكم يقع أو يتوقع اذا هو لم يوف أو خوف أي جزاء ولو من غير الحكام فمن أوفى خوفا من إهانة تصيبه اوذم يلحق به فهو غير بار ولا هو من الموفين بالعهود

وقال الاستاذ الامام ما مثاله : ان الايفاء بالعهود والعقود من أهم الفرائض التي فرضـها الله تعـالى لنظام المعيشة والعمران وانما الصـلاة والزكاة من وسائله - والزكاة فرع منه فى وجه آخر - فان الله تعالى فرض علينا الصلاة وهو غني عن العالمين لنؤدب بها نفوسنا فنعيش فى الدنيا عيشة راضية ونستحق بذلك عيشـة الآخرة المرضية اذ المصلى أجـدر الناس بالقيام بحقوق عباد الله الذين هـم عيال الله بما يستولي على قلبه فيها من الشـعور بسلطان الله تعالى وقدرته وفضله وإحسانه وعموم هذا السلطان والاحسان له وللناس كافة . والغدر والاخلاف من الذنوب الهادمة للنظام المفسدة للعمران المفنية للأمم . وما فقدت أمة الوفاء الذي هو ركن الأمانة وقوام الصـدق الا وحـل بهـا العقاب الالهـي . ولا يعجل الله الانتقام من الامم

لذنب من الذنوب يفشو فيها كذب الإخلال بالعهد، والاخلاف بالوعد، وانظر حال أمة استهانت بالايفاء بالعهود، ولم تبال بالتزام العقود، تركيف حل بها عذاب الله تعالى بالاذلال، وفقد الاستدلال، وضياع الثقة بينها حتى فى الأهل والعيال، فهم يعيشون عيشة الافراد لا عيشة الأمم، صور متحركة، ووحوش مفترسة، ينتظر كل واحد وثبة الآخر عليه، اذا أمكن ليده أن تصل اليه، ولذلك يضطر كل واحد اذا عاقد أي انسان من أمته أن يستوثق منه بكل مايقدر، ويحترس من غدره بكل مايمكن، فلا تعاون ولا تناصر، ولا تعاضد ولا تآزر، بل استبدلوا بهذه المزايا التحاسد والتباغض، والتعادي والتعارض، « بأسهم بينهم شديد » ، ولكنهم أذلاء للبعيد، (قال) وقد أحصيت فى سنة قضايا التخاصم فى محكمة بنها فألفيت أن خمسة وسبعين قضية فى المئة منها بين الأقارب والباقي بين سائر الناس . ولو كان فى الناس وفاء، لسلموا من كل هذا البلاء،

(والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس) قالوا ان البأساء اسم من البؤس وهو الشدة والفقر، والضراء مايضر الانسان من نحو مرض أو قرح، أوفقد محبوب من مال وأهل، وفسروا البأس باشتداد الحرب. والصبر يحمد فى هذه المواطن وفى غيرها وخص هذه الثلاث بالذكر لأن من صبر فيها كان فى غيرها أصبر لما فى احتمالها من المشقة على النفس، والاضطراب فى القلب، فان الفقر اذا اشتدت وطأته يضيق له الذرع، ويكاد يفضي الى الكفر، والضر اذا برّح فى البدن يضعف الاخلاق حتى يكاد المرء لايحتمل ماكان يسرّ به فى حال الصحة فما بالك بالمرض وآلامه وما يطرأ في أثنائه من الامور التى تسيء النفس، واما حالة اشتداد الحرب

فهي على مافيها من الشدة والتعرض للهلكة بخوض غمرات المنية يطلب فيها من الصبر مالا يطلب فى غيرها لان الظفر مقرون بالصبر وبالظفر حفظ الحق الذي يناضل من يجاهد فى سبيل الله دونه ويدافع عنه ويحاول إظهاره، ويبغي انتشاره، وهذا هو المأمور من الله تعالى بالصبر حين البأس لا المحارب لطمع الدنيا وأهواء الملوك . وقد ورد في الاحاديث الصحيحة ان الفرار من الزحف من أكبر الكبائر وعبر عنه في بعضها بالكفر، فلا غرو أن يجعل الصبر فى البأس أصلا من أصول البر، وقد كان المسلمون بارشاد هذه النصوص أعظم أمة حربية فى العالم فما زال استبداد الحكام يفسد من بأسهم، وترك الاهتداء بالكتاب والسنة يفل من غربهم، حتى سبقتهم الامم كلها فى ميادين الكفاح وحتى صرنا نسمع من أمثالهم: فرّ لعنه الله، خير من مات رحمه الله: وأبعد الناس عندنا عن الصبر وأدناهم من الجزع والهلع والفزع المشتغلون بالعلوم الدينية فان الشجاعة والفروسية والرماية عندهم من المعايب التى تزري بالعالم وتحط من قدره وهم مع هذا يقرءون فى كتبهم ان الشرع أباح المراهنة - وهي من القمار الذي هو من كبائر الاثم - فى السباقة والرماية خاصة عناية بهما وترغيبا للامة فيهما . فهذا البعد عن الدين ممن يسمون أنفسهم ورثة الانبياء هو الذي قال الجاحظ انه لا يصل اليه أحد الا بخذلان من الله

وانظر بعد هذا حكم الله تعالى على البررة الذي يقيمون ماتقدم ذكره من أركان البر قال (أولئك الذين صدقوا) فى دعوى الايمان دون الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم، (وأولئك هم المتقون) الذين تشهد لهم بالتقوى أعمالهم وأحوالهم، والتقوى أن تجعل بينك وبين سخط الله وقاية بأن تتحامى أسباب خذلانه في الدنيا وعذابه فى الآخرة

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وا ننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

البيع بالنسيئة

(س ٦٩) ح ح ٠ في الجبل الأسود: ماقولكم دام فضلكم في البيع بالنساء مضاعفة كأن يكون ثمن السلعة فى السوق قرشا واحداً بالنقد فيبيعها المالك بقرشين نسيئة وهل يوجد فرق في هذا البيع بين أن يكون لمسلم أو لغير مسلم

(ج) ان ذلك جائز للمسلم وغيره ما لم يكن غش أو تغرير ولا فرق في المعاملات بين المسلم وغيره لأن الشريعة الاسلامية ساوت بين الناس في الحقوق وان اختلفوا في الجنس والدين وانما الشرائع الاخرى لاسيما الأوربية منها هي التي تفاضل بين الاجناس والملل فتميز كل شريعة أبناء جنسها فى الحقوق على غيرهم. أما الشريعة الاسلامية فانما تقدم المسلم على غيره فى الأمور التي تتعلق بالدين ولا يخفى أمر التراحم والتسامح مع المحتاج أو المضطر

شرب الغازوزة

(س ٧٠) ومنه: الماء الذي يقال له في اللغة التركية (غازوزه) هل يجوز شربه أم لا

(ج) ما كنا نظن أن هذا مما يحتاج للسؤال عنه فانه لا يسكر قليله ولا كثيره وليس فيه شيء من مادة السكر وما زال العلماء يشربون الكازوزة فى الاستانة ومصر وفي كل بلد توجد فيه

شرب الدخان في مجلس القران

(س ٧١) محمد افندي حلمي من المشتغلين بالعلم في دمياط :

قد سئلت عن حكم من يحضر لسماع أو تلاوة القرآن العزيز مستعملا لشرب الدخان — المسمى بالتبغ — ولكوني أرى الحكم على غير رأي من ذهب فقال بالحرمة أو من قال بالكراهة بدون استناد منهما لشيء مما يقطع بصحة الحكم أمسكت عن الجواب وانثنيت

لا خذ رأي من آتاه الله بسطة في العلم ناظراً بماذا يرجع اليه رأيه في ذلك واليك رأينا.
نحن لانرى في حق من شرب الدخان وقت تلاوة أوسماع القرآن الشريف أنه ارتكب محظوراً يجعله الشارع في حقه مكروهاً أومحرما وكيف يتسنى لنا ذلك ونحن على ما نعلم أنه لم يقم دليل من كتاب الله أوسنة على حرمة أوكراهة ذلك على من ذكرنا فهو عندنا لم يخرج عن كونه نباتاً تحول بالحرق لمادة كربونية ثم انتشر في الهواء مثل تحول الفحم النباتي وبقية المواد القابلة للاحتراق كذلك ومتى كنا نعلم أنه لم يقل أحد بتحريم أوكراهة استعمال مايتسبب عنه انتشار مايتولد بالحرق من نحو الفحم النباتي في مجلس من ذكرنا فلا يخول لنا القياس أن نخصص أحدهما بالحكم دون الآخر متى كان الكل متحولا لما هو من نوع واحد فما يحكم به على الواحد يحكم به على غيره والا كان هناك ترجيح بلا مرجح ولا يمكن مع هذا التخيل ان يرى فيما ذكرنا انحطاطاً بكرامة الألفاظ المتلوة متى كانت الآداب مرعية من الجانبين ولايقال إنه من الصوارف عما هو المقصود من المتلو مادامت الأسماع والقلوب ليست في أكنة ولايقال أيضا من شروط تلاوة المتلو طهارة محله وحمض الكربون بانتشاره في محل المتلو يجعله قذراً لأنه ليس مما عد في الشرع مستقذراً بل صار في زماننا هذا مستطابا لنفوس الكثيرين وانتشر في سائر أنحاء الكرة الارضية وجنح الى تعاطيه أكثر الناس ـ حتى الاطفال والنساء لاسيما المخدرات ـ والشيء كما قيل يعطى حكم وقته . هذا مايظهر للناظر من تلك الجهة ـ جهة الاستعمال ـ أما إن نظر لهذا الجوهر من جهة أنه يضر بصحة المتعاطي حيث يجلب لجسمه الخطر الجسيم أوانه يضر الحاضرين بالنظر لاتحاد حمض كربونه بالهواء المجاور فيجعله غير صالح للتنفس تماما فذاك نظر من جهة أخرى له حكم آخر ولو لم يكن بمحضر القرآن هذا وليعلم المطلع على ماكتبنا ان تصدينا له ليس من قبيل الميل لما نهوى فاننا وربك ما تعاطينا شرب هذا الدخان عمرنا فلا يحمله ذلك على أن يقول هذا امرؤ يختار حكما لما يشتهي وانما مقصدنا بيان الحق في ذلك لنجيء بجوابك الفصل أيها العالم الحكيم وأنت الحكم الذي ترضى حكومته والسلام

(ج) ان الذين يتأثمون من التدخين المعروف في مجلس القرآن لايبنون ذلك

على نجاسة مادة النبات ولا على كونه أخس من غيره أو نجسا ولا على كون التدخين يقتضي لذاته الاعراض عن الفهم والتدبر وانما يرون ذلك ينافي الأدب لان مجالس القرآن أفضل من مجالس العلم بغير القرآن ولا شك أن من يدخن في مجلس درس العلم سواء كان في مدرسة نظامية او مسجد يعد مخلا بالآداب فاذا كان عرف البلد يعد التدخين حال التلاوة أو سماعها مخلا بالأدب فالقول باجتنابه ظاهر واذا لم يكن ذلك عرفا عاما فعلى كل امرئ ان يعمل بما يعتقده وتطمئن اليه نفسه ومن كان أقرب الى الادب كان أبعد عن توجه الانكار عليه. هذا ما ظهر لنا في المسألة بعرضها على قواعد الشريعة وآدابها والله أعلم واحكم

حكمة عدة الوفاة وعدة الطلاق

(س ٧٢) مصطفى أفندي صبري مأمور مركز (البداري): أرجو التكرم بإفادتنا على لسان ناركم الاسلامي عن الحكمة في تربص المتوفى زوجها أربعة أشهر وعشراً وتربص المطلقة ثلاثة قروء. أفادنا الله بكم وأثابكم على إرشادنا

(ج) الاصل في العدة بعد انفصال الزوجين بالطلاق او بموت الرجل ان يعلم أن المرأة غير عالقة من الرجل لئلا يشتبه حال الولد فلا يعلم أهو للزوج الاول أم للثاني فاذا تكرر على المرأة الحيض أو الطهر ثلاث مرات يعلم أنها غير حامل ولهذا المعنى كانت عدة الحامل ان تضع حملها فلو ولدت في اليوم الثاني جاز لها ان تتزوج والمتوفى زوجها تعتد لتعرف براءة رحمها من الحمل ولمعنى آخر وهو الحداد على زوجها ولذلك كانت عدتها أطول من عدة ذوات القروء اذ لا يليق بها ان تظهر الرغبة في الزواج بعد شهرين أو ثلاثة من موت زوجها بل ذلك ينتقد منها ويؤلم قرابة زوجها ولذلك زادت عدتها على عدة غيرها ووجب عليها الاحداد أربعة أشهر وعشر ليال لا تتزين فيها ولا تمس طيبا مع ان الحداد على سائر الاهل والاقربين لا يزيد على ثلاثة أيام فان زاد حرم الا ما قيل في الأب لحديث معلول ورد بسبعة أيام

وذهب أكثر المفسرين الى ان الحكمة في تحديد عدة الوفاة بهذا القدر انه هو الزمن الذي يتم فيه تكوين الجنين ونفخ الروح فيه ولابد من مراجعة الاطباء في هذا القول قبل التسليم به والظاهر لنا ان الزيادة لاجل الاحداد ولم يظهر لنا شيء قوي في تحديده ولكن هناك احتمالات منها انه ربما كان من عرف العرب ان لا ينتقد

على المرأة اذا تعرضت للزواج بعد أربعة أشهر وعشر من موت زوجها فأقرهم الاسلام على ذلك لأنه من مسائل العرف والآداب التي لاضرر فيها . وقد كان من المعروف عندهم أن المرأة تصبر عن الزوج بلا تكلف أربعة أشهر وتتوق اليه بعد ذلك ويروى ان عمر أمر أن لايغيب المجاهدون عن أزواجهم أكثر من أربعة أشهر. واذا صح ان هذا أصل فى المسألة تكون الزيادة الاحتياطية عشرة أيام والله أعلم بالصواب

القسم العمومي

أسباب ضعف المسلمين وعلاجه

كتب رفيق بك العظم مقالة (هذا أوان العبر) فى حال المسلمين فكان لها من التأثير فى نفوس نبهاء المسلمين أن انتدبت جريدة (تربيت) الفارسية الغراء التي تصدر فى طهران الى ترجمتها ثم جاءنا فى بريد الهند الماضي رسالة مطولة من احد فضلاء حيدرأباد الدكن يثني فيها على الرفيق بما هو أهله من الغيرة والاخلاص والفضل وينتقد رأيه في جعل مزج السياسة بالدين هو السبب فى ضعف المسلمين ويذكر ماعنده من الرأي في ذلك بغاية الادب ويعرضه على فضلاء المسلمين فى مصر وفي سائر الاقطار ليؤيدوه أو ينتقدوه . ولما كان هذا البحث أهم المباحث التي أنشئ المنار لاجلها وكان صاحب هذه الرسالة من أحسن الكاتبين فيه أدبا وبيانا نشرنا مقالته كما نشرنا مقالة الرفيق . وقد قسمنا مقالة الفاضل الهندي الى قسمين أحدهما في بيان الداء وأسبابه والثاني فى علاجه قال حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونستعينه

جناب سيدي محمد رشيد رضا مالك مجلة المنار الفاضل ، والعلامة العامل ، الذي ايد الله به الدين ، وجعل وجوده نعمة ومنة على المؤمنين . فنشكر الله على هذه المنحة ، ونحمده على هذه النعمة ،

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فاني محبكم في الله حقا وصدقا واسأل الله ان يزيدكم من فضله ويثيبكم على سعيكم في إحياء السنة ، وخدمة الامة ، واني ارسلت اليكم هذه الرسالة فارجو من فضلكم ان تدرجوها في المنار وان رأيتم تحسينا فلكم الفضل على انه يمكن ان تكون عليكم مشقة ولكن في نصح المسلمين ومحبة السنة والامة

لاراكم تتوقفون ولا تعوقكم اي مشقة وان أحببتم أن تجيبوا بجواب خطي فذلك يكون فضلا وكرما من حضرتكم

والذي ساقني الى كتابة هذه الرسالة اني رأيت في اثناء مطالعاتي الجزء الثامن من المجلد السابع من مجلة المنار، التي هي منى الابرار، وقرة أعين الاخيار، رسالة عنوانها (هذا اوان العبر) انشأها الاخ الصالح الغيور رفيق بك العظم افصح فيها عن حالة المسلمين بما يفتت الاكباد، ويصدع الجماد، وهو لعمر الله كلام من فؤاد ملئ حمية وغيرة وطنية، ودل على حسن طوية، واخلاص نية،

واني لا اقصر ثنائي عليه فقط ولا انسى الشكر لكثير من اخواننا المصريين الذين لا يزالون يحررون الرسائل، وينبهون الغافل، والاخ رفيق بك المعظم جعل موضوع رسالته البحث عن سبب ضعف المسلمين وانحلال روابطهم وتدليهم الى حضيض الجهل - ثم ماهو مانع للمسلمين عن الترقي ومجاراة الامم المتمدنة ورأيته أبدى من رأيه على مايعتقد ان سبب ماذكر هو مزج العرب للدين بكل شيء من امور الحياة الدنيوية واخصها حياة الامم السياسية والامة الاسلامية استسلمت وصارت خاضعة لأولئك الولاة بحكم الدين حتى تأصل فيهم روح الخضوع المطلق والطاعة العمياء لأولئك الامراء المستبدين الذين يسومون الامة الخسف ولو ان العرب في بداية الامر وضعوا الدين جانبا، والسياسة الاجتماعية جانبا، وقلدوا الامم المتمدنة في ذلك العصر كالرومان لما سقطت الامة الاسلامية هذا السقوط. وبالجملة فلا نجاة الا ان يجتمع المسلمون ويضعوا الدين جانبا وسياسة الملك جانبا،

فهذه خلاصة رسالته ولا ريب في سقوط المسلمين عن عرش مجدهم وانتثارهم الى حالة الهمجية عن معاقل الاتفاق، وشرهم فيما بينهم على الشقاق، حتى صدق فيهم قوله تعالى «بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى» بل المسلمون قلوبهم شتى ولا تحسبهم جميعا لتجاهر بعض لبعضهم بالعداوة. أحرجهم الزمان، واراهم العبر بالعيان، وهم لاهون، فيالله العجب الى متى هذه الغفلة، والتردي في هذه الغواية. والتكاسل عن الجد. والرفيق أبدى رايه بقصد اصلاح قومه ووضعه للنقد والاختيار فشكر الله سعيه وانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى: والانسان يبذل جهده ويصلح نيته

وليس عليه أن لا يخطئ . وحيث اني ظهر لي غير ما ظهر له ودلني عقلي على عكس ما ابداه احببت ان ابدي رأيي وأضعه ايضا للتمحيص والنقد والاختبار فان رآه المسلمون حسنا صحيحا فذلك فضل الله فليشيعوه وليبسطوه بالرسائل وأرجو من اهل الجرائد ان ينشروه ليطلع عليه العام والخاص « وذكر فان الذكري تنفع المؤمنين » وان كان غير ذلك فذلك شأني وعسى ان يظهر الله الصواب على يد من اراد فاقول

إن من قرأ تواريخ المسلمين عرف ما انتاب هذه الأمة من النوائب والمصائب التي لا تكاد تثبت لها شوامخ الجبال وهي كثيرة واعظمها تأثيرا على جامعة الاسلام أمران ناشئان عن تركهم الدين واهمالهم اياه احدهما في امورهم الشخصية والآخر يتعلق بحياتهم الاجتماعية السياسية بيانه. ان اعظم سبب لسقوطهم وتزعزع ملكهم بادئ بدء ان من لم يستحق الخلافة ولم يكن من اهلها ولم تجتمع له شروطها ولم يرد اهل الحل والعقد انتخابه لها هاجم أهل الحق ونازع الحق اهله واغار عليهم بإثارة الحروب وأعانه من رغب في جمع الحطام ، باستمالة الطغام من العوام ، وكان ما كان حتى انتهت تلك الحروب الهائلة التعيسة بانتصار هؤلاء الظلمة لأسباب لا حاجة بنا الى بسطها. ولو كانت الغلبة لأهل الحق والعلم والدين والنهى لما كانت حالة المسلمين ما نرى ، ولكن لا ينفع : لو وعسى : في امر مضى وانقضى ،

ولما رأى هؤلاء المغتصبون انهم لم يظفروا بما ظفروا به الا بالقهر والسيف وخافوا ان يكر عليهم اهل الحق مرة أخرى مالوا عليهم ميلة ظافر غشوم فقتلوا احلامهم ، وانتهكوا حرمتهم ، ووكلت بمن بقي منهم الرقباء والجواسيس فتفرقوا في البلاد مختفين لا يبدون ولا يعيدون يعاقب الواحد منهم اشد العقاب على كلمة يقولها. يوضح ذلك قول ابي هريرة صاحب رسول الله (ص) حفظت عن رسول الله (ص) وعاءين من العلم اما احدهما فقد بثثته فيكم واما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم: او كما قال وهو في الصحيح وهؤلاء المتغلبون الغاصبون جعلوا! الخلافة ملكا عضوضا كما اخبر بذلك رسول الله (ص) في معرض الذم وعدلوا بها عن منهج دين الله وشرعه واستأثروا بيت مال المسلمين واستبدوا بآرائهم معاندة لسنة رسول الله (ص) وخلفائه رضي الله

عنهم وعصيانا لأمر الله في كتابه وآثروا الجهلة والفساق بالوزارة والامارة بجامع التشابه ولله در القائل (ان الطيور على اشباهها تقع)

فهذه اول مخالفة للدين وقعت فى تاريخ الاسلام وهي سبب سقوط المسلمين واعظم مانع صرف المسلمين عن جميع القواعد والاصول وتفصيلها وترتيبها التي شرعها الله لهم وندبهم اليها لتكميل حياتهم الاجتماعية السياسية فبقيت مفرقة كما انزلت لايحيط بها علما الا العاملون الذين من ذكرهم وبيان حالهم ومهملة لايحتفل بها الاشرار، ولا يسمحون بنشرها للابرار، لما انها مخالفة لتلك الانفس الشهوانية، والرغائب الحيوانية،

خاف اولئك المستبدون ان تشتهر تلك الاصول وتعتقدها عامة الامة فيطالبوهم بما تقتضيه جبرا فبقيت محجوبة فى زوايا الاهمال وبتركها شقي المسلمون وسعد بها في دنياهم اهل الغرب وكانت أكبر الغنائم التي آبوا بها واستفادوها من حروبهم ومخالطتهم المسلمين كما سعدوا ايضا بفوائد العلوم الفلسفية الطبيعية من هناك فكان نصيبهم من علومنا ما نسمع ونرى، ونصيبنا القيل والقال، وكثرة الجدال، كالذي يحمل الاثقال، وكانوا كالمبلغ أوعى من السامع

والسبب الثاني جناية على الدين ومخالفة له ايضا وهو الذى اقعدهم على بساط الذل والهوان، وبه يرسفون حتى الآن في مهاوي الخذلان، لايلوي احد منهم على الآخر وبه كانوا شيعا متفرقين وكان السبب الاول كالعدو القوي الهاجم، وتلاه السبب الثاني يجهز على الجرحى ويعاجل، وهو اعظم رزية، واشد بلية، ألا وهو نبذهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم ومع ذلك فهم يحسبون انهم يحسنون صنعا. جهل مركب، وغواية عمياء، وفتنة دهماء، والى الله شكاة رسوله «وقال الرسول يا ربي ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا» إذ لم يمتثلوا وصيته - بابي هو وامي - فيما صح عنه «اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي» وورد بروايات متقاربة المعنى. بل عدلوا عن سبيله وأكبوا على تقليد الرجال الى مذاهب مختلفة، وآراء غير مؤتلفة، والله يقول وهو اصدق القائلين «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء» فنستغفر الله وحسبنا الله والعياذ بالله من هذه العاقبة الوخيمة والتفرق المشئوم الذي يفسد الدارين، ويشقي النشأتين،

في الآخرة براءة نبينا (ص) منا وهو الذي نعد شفاعته اعظم ذخيرة ، وفي العاجلة ذهاب الريح والنصر في حياة منغصبة بالتهاجر ، وبالجملة فالتقليد جلب علينا كل طامة لو لم يكن الافصمه عرى الوفاق ، وتهييج الشقاق ، لكفى . ألاترى كل فرقة من فرق التقليد تود ان لو سمح الزمان لها باستئصال الفرق الاخرى واعدامها من الوجود ولقد بلغ بهم هذا الشغف الى أحقاد واثر هذا الاختلاف أشد تأثير على احساس المسلمين كما هو مشاهد

وان شئت تحقيق ذلك فدونك ومذهبا من تلك المذاهب استخرج منه مسئلة مخالفة للكتاب والسنة فنبه عليها بخصوص كونها من المذهب الفلاني ثم ادعهم الي الحق والعدول عن تلك المسئلة. لاريب انك ان فعلت ذلك ترى من جماعة ذلك المذهب العجائب والغرائب والصياح والنباح والتأولات وسائر التمحلات ويقاومونك أشد مقاومة ويرمونك بكل حجر ومدر وتعلم حينئذ صدق ما قلنا من ان هذه التمذهبات أذهبت من المسلمين الإحساس بكل طارق مؤثر وصرفتهم عن الالتفات والتوجه الى ما سواها ولأجل ذلك لا تكاد ترى من علمائهم فضلا عن عوامهم تألما أو احساسا بما يعانونه ويقاسونه من وطأة الاعداء ، واعتصابهم على بلادنا وركوبهم كواهلنا الضعيفة وهؤلاء الاعداء لايزالون في جد واجتهاد يسوموننا كل دنية والمسلمون مع ذلك كله لاهون وغارقون في العماية المظلمة بتلك الافكار. اقرب مثال لهم واشبه حالة المجنون الذي يلعب به الاطفال ، ويسومونه النكال ، وهولاء بما هو فيه وجسمه في عناء ، يستوجب الرحمة من الاعداء ، بل صرنا الى حالة احرج من حالة هذا المجنون ، وتربص بنا كل ذي طمع ريب المنون ، وطوقوا أعناقنا بآصار النكال ، وحملوا كواهلنا أنواع الشقاء الثقال ، ونحن لاننبث باستغاثة ، ولا نستطيع شكاية ، فهل سمع السامعون ، او رأى الراءون ان أحد يخاف او يعجز أن يقول لمن ظلمه ياهذا ارحم ضعفي ، اوخف الله ولا تظلمني ، أواعدل في حقي ، لا لا لا لم يبلغ أحد الى هذا الحد الا المسلمون في هذا الزمان وذلك بسعي سلاطينهم وأمرائهم الذين يجب أن يخلد لهم التاريخ الثناء الجميل بذكر غيرتهم وشجاعتهم وحسن سياستهم وتمسكهم بأوثق عرى دينهم !! فسحقا لهم وبعدا من أمراء ياليت لنا باكثرهم رجلا واحدا من سواس الغرب الذين لو اعطي أحدهم الدنيا

بحذافيرها ليحط من قدر قومه ولو بكلمة يفوه بها لم يطاوعه طبعه فضلا عن أن يخون أمتـه أو يرضى بالدنية لها اللهـم الا أن يكون في معرض الخداع لنا ليسوقنا الى نخه وبعكس ذلك أكثر أمرائنا ومتولي شئوننا البطرون المتكبرون على قومهم وبني أوطانهم ثم تراهـم متملقين صاغرين بين ايدي الاجانب يتسابقون الى إرضائهـم حتى ان أحدهم اذا لاطفه الاجنبي بكلمة ولعلها مخادعة يكاد فؤاده يطـير فرحاً وسرورا ويرى كأنه اوتي مفاتيح جنة الخلد ويضحي أمته ووطنه أفلا يتفكر فى عاقبة نفسه وولده ، اذا لم يبال بعشيرته وبلده ؛

هذه الكلمات هي وان كانت نفثات مصدور لم تجاوز الواقع ولاتنس شكر كثير ممن يدعي العلم والتفقه الذين لهـم اليد البيضاء فى التهييج بين طوائف المسلمين الذين يزينون لهم الاختلاف، والتعصب لمذاهب الاسلاف، اللهم انه عم البلاء واليك المشتكى فيا أمة الاسلام قد تجاوز الامر حده وبلغ السيل الزبى فهل من إفاقة؟ اليس التقليد اكثف حجاب دون ادراك كل حقيقة وهل هو الاعجز والعجز علة كل آفة والعائق عن العـلم والعمل والمانع لكل سعادة شخصية أو قومية وفيه نزل قوله تعالى «اتخذو أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله» انك اذا أمعنت النظر وطرحت تشكيكات المتهوكين جانبا وقصدت الانصاف ومحضت النصح لله ورسوله ولقومك واخوانك المسلمـين فلا شك انك توافقني على ماذكرت لك من آفات التقليد. أيها الواقف المنصف المشفق دونك والنظر الى أحوال تلك الفرق وما صنفوه من الاسفار والاطمار التي استحكم بها هجران النصوص حتى رمت بالامة الى العناد والضغائن والاحقاد، وطوحت بهيكل امجادهم الى الزوال والفساد، صنفت حروفها بسواد الخطأ مع مافيها من التعقيد والتناقض والاضطراب والخفاء ولو رأيت مالهـم من المختصرات المبهمة العبارات لاتـكاد ترى فيها: قال الله قال رسوله (ص): بل ولا قول الامام الذي يزعمون انهم قلدوه أمر دينهم. اما تعجب من أصولهم المتضادة وآرائهم المتناقضة وطرقهـم الوعرة الضنكة التي تحرج من أمها. غدوا وراحوا يقترحون على الامة، يحرمون ويوجبون بالخرص والظنون، لم يألوا جهدا فى التشديد والتضييق قياسا واستنباطا وكناية وقرينة ومفهوما ونحوى واشارة وتأويلا الى غير ذلك مع سلوكهم فيما ذكر طريقا معوجا عن طريق السلف

الصالح . اشترطوا على القضاة فى القضاء والسلاطين والامراء فى السياسة شروطا يصعب التزامها ويستحيل العمل بها ولولا خوف الاطالة لذكرت من مخالفتهم الكتاب والسنة والعقول والفطر، والسياسة والنظر، مايضحك الثكلى ويمنع من ذكره الحياء

وبسبب هذا الغلو الذي نهى الله عنه وذم أقواما عليه فى قوله «قل ياايها الكتاب لاتغلوا فى دينكم» الذي يسميه المقلدة احتياطا هجرت السلاطين الشريعة فى أمر القضاء والسياسة بزعم ودعوى أن الشريعة شاقة وغير مطابقة لمصلحة الزمان وتركتها عامة الامة أيضا فى أكثر أحوالها وجميع معاملاتها بل أكثر المتفقهة متحيرون، تراهم في عدو الى الحيل يخبطون، ولاتظن أن هذا الترك قريب العهد فإنه لم ينقل الينا التاريخ أن طائفة من طوائف التقليد استطاعت إجراء شؤونها على جميع قواعد ومسائل المذهب الذي اعتنقته فتمذهبهم ليس هو تمذهب عمل واكتساب ثواب بل اعتقاد واقوال، ونزاع وجدال ، وتخاذل وافتراق ، وضياع ونفاق ، وبلاء وشقاق ، وكان نتيجة هذا التقليد ان شوهوا وجه الشريعة الغراء حتى ظن من ضعف ادراكه وعدم إحساسه ان الشريعة ليست سوى مابأيدي هؤلاء المقلدة، ولم يسمع قول الشاعر

وكل يدعي وصلا لليلى * وليلى لا تدين لهم بذاكا

ما درى هؤلاء السلاطين والعامة المساكين ان الشريعة وراء ما خدعوا به من آراء الرجال وانما هى الكتاب والسنة وما عليه الرعيل الاول والخلفاء الراشدون وهى السهلة السمحة والرحمة التي لايزيغ عنها الاظالم وهى في اعلا رتب المصالح وما ذكره المقلدة من الاحراج والتضييق لاتاتي به لأن الشريعة مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد ، في المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فما خرج الى ضد ذلك فليس منها

وبالجملة فليس اضر على الامة من هؤلاء المتفقهة المقلدة الذين هم قذى العيون وشجى الحلوق وكرب النفوس وحمى الارواح وغم الصدور ومرض القلوب ان استعنت بهم فى لم شعث الامة لم يعينوك ، اودعوتهم الى الصلاح والاصلاح لم يجيبوك ، قد انتكست قلوبهم ، وعمي عليهم مطلوبهم ، رضوا بالاماني وابتلوا بالحظوظ ، وأتعبوا نفوسهم في غير ماشيء ، وحيروا العامة واضاعوا الامة ؛

وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها

اللهم انا من هـذين الطائفتين في عناء وشقاء وبلاء اللهم اصلحهم ووفقهم الى ما فيه صلاحهم وصلاح الامة ودلهم على التوبة والاوبة الى الاخذ بالكتاب والسنة اللهم جنبنا واياهم البدع والضلالة وألف بين قلوب المسلمين

وما ذكرناه هو التقليد المتأصل وما سواه فهو فرع عنه. ومن ذلك طوائف زادت الطين بلة بلية على بلية تلقبوا بالقاب واتسموا بسمات فمنهم القبوريون المحتالون على سلب الاموال افسدوا العامة بفتن القبور والاستغاثة بهم في كل ماقل وجل يوهمونهم انهم ينفعون ويضرون حتى في جلب الرزق ودفع الاعداء وقد كان تقليد المذاهب المار ذكره فرّقهم طوائف وذرافات، وجلب عليهم الآفات ، وسلب منهم صفة التعاون والتناصر وامات شعورهـم عن المطالبات بحقوقهم. وفتنة القبوريين والمحتالين وتقليدهم اقعدهم عن اكتساب العلم والجد في رضى المولى وعبادته والاخلاص له واتكلوا على الاموات وشفاعاتهم ولهم حكايات يطول شرحها وسمعت بعضهم يقول إن الولي الفلاني يرمي المدافع من قبره على الاعـداء والعامة اذا سمعت مثل هذه الخرافات آمنوا بها ووطنوا أنفسهم على ذلك حتى في الدفاع عن حرمهم ووطنهم فما بالك يا أخي تظن انه مع هذه الفواقر يبقى للامة الشعور والحياة القومية فان بقي لك أمل بعـد ما عرفت ماهم فيه من جناية التقليد عليهم فكيف يتحقق ويثبت هذا الرجاء وقد أتت الطائفة الثالثة أعني المتصوفة تدعو الى تقليدها واتباع سبيلها ، تدعو الى الخمول والفقر والانطراح والاتكال على القدر مع رفض الأسـباب واعتقاد وحـدة الوجود بالاذواق والكشوفات التي لم يشموا رائحتها ولم يتصوروها لايجدها ولا يرسمها ولكن يحكى ويروى أنها حصلت لاسلافهم ونحن لانذكر أموات المسلمين الابخير فإنهم قدموا على ماقدموا عليه وانما كلامنا في الاحياء بقصد اصلاح الامة وعسى ان الله يلقي في قلوبهم نورا ويصلح شأنهم

وبينما نحن نصيح بالويل والثبور، ونتململ تململ الممرور ، من مصائب تراكمت علينا ونئن وراء حجب التقليد التي هي كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض، نترجى ونتعلل بلعل وعسى منتظرين بارقـة لطف ونجاة تكون على أيدي شباننا المتخرجين في المدارس الغربية والتعاليم الاوربية اذ عاد الينا اكثرهم بصفقة المغبون فآبوا الينا ونحن على ما ترى وتشاهد من

الضعف وانحلال الروابط الاجتماعية والفقر المدقع احوج مانكون الى العلوم الحديثة الغربية النافعة ولم يبق فينا من الخلال القومية الا التمسك بلغتنا واللباس الصوري الظاهري وبعض رسوم عادية فرجع اولادنا وشباننا من هناك وقد بدلوها تقليداً للغربيين ولم يستفيدوا غير هذا التبديل ولم يفيدوا قومهم الا انهم شرعوا ايطالبونهم بمحو هذا الشعار الظاهري وبعده تحتجب الأمة وراء حجاب العدم بالكلية! يا ربنا ياغياث المستغيثين ، إنّا مسنا الضر وانت ارحم الراحمين

ايها الشبان ان من ذهبتم اليهم ودخلتم مدارسهم يعدون شعار اممهم الظاهري انفس الاشياء واهمها يسترخصون في المحافظة عليه الانفس والاموال، فهم الرجال والله هم الرجال ، فهلا قلدتموهم في هذا الشعور والغيرة وهلا شعرتم وعرفتم ماعرفوه وشعروا به من منافع هذا الشعار واسراره!! اني وكلت التفصيل في هذا المقام الى عقولكم آه آه واحر كبداه من هذا العدو القاسي الغشوم لقد افترسنا هذا التقليد في كل مكان وزمان اعدمه الله ومحا رسومه. فيا أمة الاسلام هل من نهضة تنتصفون بها من هذا العدو وتبيدونه فالنجاء النجاء مادام فينا رجاء

الى هنا تم ما اردته من بيان اسباب سقوط الامة الاسلامية وعلة تقهقرهم عن مجاراة الامم المتمدنة في هذا الزمان والاخ رفيق غفل عن ذلك. وقوله ان العرب خلطوا الدين بكل شيء من شئون الحياة الخ خلاف الواقع وانما اصابهم ما اصابهم بحيدتهم عن الدين واهمالهم لتعاليمه خصوصا مايتعلق منه بالملك وحياة الامم واغرب من ذلك تمنيه لو ان العرب سلكوا بالخلافة والملك مسلك من جاورهم في تلك الازمنة من الامم المتمدنة بزعمه كالرومان وغيرهم وهذه ايضا غفلة منه حفظه الله. بيانه ان تلك الامم لا توجد لديها قوانين سياسية كافية مهذبة متكفلة بكبح كل متعد وردع كل طاغ بحكم المساواة بين الكبير والصغير ،والمامور والامير ،وطريقة ملك العرب الاسلاميين مع اختلالها،ومخالفتها الدين في كثير من احكامها واعمالها،هي اقوم واعدل مما كان بايدي تلك الامم .يؤيد ذلك مانقل الينا التاريخ من مهاجرة كثير من تلك الطوائف ورغبة الآخرين ورضاهم عن ملوك العرب اكثر من رضاهم عن ملوك بلادهم .غاية ماينقل عن اولئك الاقوام والامم الغابرة انه كان بعد كل فترة من الزمان يقوم

بين اظهرهم بعض حكماء يوالون الخطب والمواعظ ويهيجونهم الى الحماسة الدفاعية والهجومية ومن وراء ذلك تفرقهم الى ايالات وامارات صغيرة اكثرها غير معترف بسيادة او تابعية لملك تلك الامة وبعض يعترف له ببعض السيادة والتابعية مع عدم الانتظام وكمال العدل بل كان استبداد السلاطين والامراء هو السائد وليس لامهم ورعاياهم الا التسليم وعليهم الطاعة العمياء حتى ان الواحد من تلك السلاطين كان يلقي بامته الى التلف والحروب لينال بعض شهواته الحيوانية من امرأة كحرب كسرى وحشده جنده على بني شيبان. وأسوأ حالا منهم ملوك النصارى وتلاعب البابوات والاحبار والرهبان بهم أشهر من ان يذكر فما بالك بالهند وملكهم الاوثار او النائب عنه وتقسمهم الى تلك الطبقات المشهورة لديهم. اماملوك الصين فهم في معتقدهم ابناء السماء هذه هى الامم المعروفة بالملك في الزمان القديم وانما يسميهم بعض الناس مهذبين لمالهم من الاجتماع على ملك بالنسبة الى ايام الجاهلية اما بالنسبة الى ملوك الاسلام فلا. برهانه ان تلك الامم لم تثبت امام المسلمين في كل شئون الحياة وذلك ببركة بعض القواعد الدينية التي عملوا بها حينا وتركوها حينا. اما سياسة اوربا الحديثة الاجتماعية الملكية فاكثرها مأخوذة من دين الاسلام وموافقة له ولذلك كانت نسبة نظام من تقدم ذكره بالنسبة الى النظام الحديث اشبه بنسبة التوحش الى التمدن

وكأني بمكابر وحسود لدود اومن عذره الجهل يستبعد اقتباس النصارى هذه المعارف عن دين الاسلام واقول ياهذا ان سابقة النصارى في الملك وعراقتهم فيه قبل الاسلام حتى الآن امر مسلم والتاريخ شاهد بأنه ملك عضوض مشوه بالاستبداد ومكدر بالفتن والاختلاف ومختل بالجهل والظلم ولم يكن لديهم شيء مما بايديهم الآن وانظر كيف حصل لهم ماهم فيه وماسببه ومتى كان بدءه فلقد ثبت وتقرر لدى كل ذي لب بالبديهة ومن اقوال كبار النصارى انهم لم تحصل لهم هذه المعارف والتقدم في السياسة الا بعد الحروب الصليبية ومخالطتهم المسلمين واخذ افراد منهم العلوم عن علماء الاسلام وحكمائه وحينئذ ترجموا القرآن وكثيرا من الكتب العربية وغيرها وهذبوها وقاموا يعلمون اقوامهم وصبروا على المحن والنكال، والشدائد والاهوال، محبة لاوطانهم وبني جلدتهم واهل ملتهم وبذلك نالوا مرادهم وبلغوا ما بلغوا وحتى الآن

تري كثيرا من فلاسفتهم وحكمائهم الممتازين بالعقل ومعرفه التاريخ لايزالون يحبون العرب ويعترفون لهم بمنة عليهم مع اختلاف الدين وبعكس ذلك بعض طوائف الاسلام ليس للعربي لديهم قيمة. وقد يقال اذا كان دين الاسلام قد اتى باكمل التعاليم السياسية والاجتماعية وان السلاطين المسلمين تركوها لعدم مناسبتها لطبائعهم الشهوانية فما بال الخلفاء الراشدين لم يجمعوها ويرتبوها ويفرعوا عليها وهل عملوا بها ام لا ؟ ويقال في الجواب ان مثل هذا الاعتراض يمكن ان يقال في اشياء كثيرة والجواب عن بعضها هو الجواب بعينه عن باقيها كان يقال ايضا ولم يجمعوا أحاديث النبي صلعم ولم لم يشرحوها ولم لم يفسروا القرآن ولم لم يرتبوا أصول الفقه الى غير ذلك مما اعتنى بجمعه وتدوينه المتأخرون وذكر الجواب عن ذلك العلماء في شروح الحديث عند ذكر البدع وجوابهم هناك هو جوابنا عن هذا الاعتراض ولنا أجوبة اخرى ليس هذا محل ذكرها اما الشق الثاني وهو ان الخلفاء هل عملوا أم لا فيقال لعمر الله انهم عملوا وأرشدوا فجازاهم عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء وسيأتي لنا نقل بعض سيرتهم

(لها بقية)

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

فى التربية بسفر البحر

يوم ١٤ مارس سنة ـ١٨٦

اضطرتنا الريح الى ان نجتاز خليج بسكاي (١) وقد اكد لي الربان انه وامثاله يحامون ما استطاعوا التورط في هذا المجاز الذي يهاب اسمه الملاحون انفسهم وهو على شدة تلاطم الامواج فيه لم يعق السفينة عن المسير وربما حدا بي ذلك الى اعتقاد

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر.

(١) خليج بسكاي ويسمى ايضا خليج قسقوني هو خليج في المحيط الاطلانطيقي واقع غربي فرنسا وشمالي أسبانيا

ان من البحار ماهو كبعض الناس في كونها امثل مما اشتهرت به

منذ بضعة ايام أتيح لي فراغ من عملي فشغلته بدرس سفينتنا فاذا هي دنيا صغرى تطفو على الماء جعلتها جميع العلوم والصنائع ميقاتا لاجتماعها . ترى الملاح فيها يلجئه عوزه الى استئناف التمدن كل يوم فكأنه روبنسن (٢) في جزيرته يخترع معظم الفنون النافعة ليستفيد منها. ذلك انه لخلوه من الصاحبة يتولى بنفسه غسل ثيابه وفرشه واصلاحها وتدلك نظافة حجرته دلالة كافية على ما سيكون عليه بيته الخلوي في مستقبله فقد أوتي هذا الليث البحري من غرائز العناية بالبيت ما أوتيته النملة

من مزايا السفينة ايضا انها تؤدي الى كل من ترتاح نفسه للعمل من ركابها عملا يشغله فقد عاود قو بيدون الاشتغال بالطهاية التي سبق له ان شرف باجادتها في أسفار سالفة وجعلت زوجته قهرمانة (٣) واختصت هيلانه بمساعدتي في التمريض وبالعزف على البيانو تسرية لسآمة عن المسافرين وتقوية لقلوبهم وقلوب الملاحين أنفسهم الذين يجتمعون كل ليلة على السطح لاستماعه

جاز «أميل» التمرينات الاولى وصارت قدمه قدم بحار وأنشأ يتسلق سلالم الحبال التي على جانبي السفينة وهو يؤدي الاعمال التي يعلمه الملاحون تأديتها بما يكفي من الحذق المنتظر من غرّ مثله. ومعيشة المتعلمين البحريين أمثاله في سفينة تجارية على مافيها من النصب والعناء معيشة صحية فان تعرضه لنسيم البحر يشهي اليه الطعام حتى انه ليكاد يلتهم حوتا من الحيتان المسماة بالكلاب البحرية لو قدم اليه ولله خفته ونضارته في قميصه الازرق ذي الطوق المتكسر الذي يبين نحره . جاءني غدوة اليوم أثر عمل شاق بالنسبة لطفل مثله وألقى برأسه بين ركبتي وهي يتصبب عرقا فاحببت ان أشجعه لأن أطريه لأن الاطراء هو سم النفوس يفرط فيه الآباء لابنائهم بما يبعثهم عليه من الرحمة العمياء فهم بذلك يعودونهم على ارضاء غيرهم وكان حقا عليهم في رأيي ان يعلموهم إرضاء وجدانهم. من أجل هذا اقتصرت على ضم ولدي الى صدري وتقبيله غير اني أحسست حينئذ بالعبرة في عيني وهو على كل حال قد اعتبر هذه الملاطفة

(٢) يومي الى روبنسن كروزو صاحب القصة المشهورة الذي كان في سفينة مقفرة يخترع كل مايحتاج اليه من أمر المعيشة (٣) القهرمانة الوكيلة

في مدحها له لانه انصرف من عندي للمضي على عمله مملوء القلب بالفرح ولا اخال أحدا ينكر استحقاقه لهذا المدح أي لتلك الملاطفة

ليس في السفينة أحد الا وهو يهتم بان يكون نافعا من جهته حتى «لولا» فقد فاجأتها بالامس وبيدها كتاب كانت تطلع عليه طفلة في الخامسة من عمرها اتخذتها صديقة وتعلمها فيه الهجاء اه

يوم ١٩ مارس سنة ــ ١٨٦

نحن الان تجاه جزيرة ماديرا تجري بنا السفينة بريح طيبة كانت من بداية سفرنا تهب من الشمال الشرقي وقد أحدقت بنا في هذا المكان قطعان عديدة من الخنازير البحرية وأنشأت تمرح في الماء وتلهو بالزبد المتخلف على غوارب الامواج من انشقاقها بحيزوم السفينة في مسيرها فبادر جميع الركاب الى السطح لمشاهدتها وكان من «لولا» عند ما رأتها ان قالت: ويكأن هذه الحيوانات مغتبطة بمعيشتها وكأنها لم تصب بمرض البحر في حياتها

استعد ضباط السفينة لصيدها فوقف أحدهم عند الساري المقدم ورمى خطافا كان معه على واحد منها ظن ان أصابته أيسر وحينئذ جر الملاحون الحبل المعلق به الخطاف وهم في هذه الحالة يجب ان يكونوا خفاف الايدي أشداء السواعد والاوجد الخنزير المصاب وسيلة للرجوع الى الماء والانفلات من أيديهم وقد نجحوا في الرمية الثانية فاصطادوا أحدها ومما شاهدته فيه ان كبده يشبه كبد الخنزير البري ولحمه أقل جودة من لحم الثور على انه يحضره في الذهن ان لم يكن بطعمه فبلونه لانه أحمر ضارب الى السواد ويستخرج من لحمه زيت جيد للاستصباح يستعمل في السفينة اه

يوم ٢٢ مارس سنة ــ ١٨٦

نحن الان مارون امام الجزائر الخالدات وان كنا لم نرها وهي مرتسمة على سطح الماء المتسع الاكرؤيا الحالم وقد اضطرتنا الرياح المتعارضة الى التوغل في المحيط

اننا منذ سفرنا نشعر بارتفاع الحرارة ارتفاعا عظيما غير ان هذا اليوم هو أخص يوم أحسسنا فيه بدخولنا اقليما غير اقليمنا حتى ان «لولا» نفسها على ما بها من شدة التأثر بالبرد خلعت ثياب الشتاء وارتدت ثوبا ورديا

كان غروب الشمس بالامس من أجل المناظر وأبهاها وكان الليل نخيما والقبة السماوية المظلمة تزهو بلألاء النجوم التي هي كالرمل عددا ومالي وذكر أسمائها فلا فائدة في ذلك ويكفيني ان أسميها بالنور ومما ميزناه منها الزهرة التي مع كفها عن دعوى الالوهية واقتناعها بان تكون في مصف الكواكب لم يضل عنها ميلها الى التغنج النُّسوي فلا تزال تحب ان ترى نفسها في مرآة البحر

في نحو الساعة الرابعة أو الخامسة من الغداة انشق النطاق الاسود الذي كان مشدودا حول الافق يلاءم السماء بالماء رويدا رويدا ثم بدا من بين حافتيه ضوء مخضر يحاكي ماء البحر في لونه فانتشر على الامواج وهو ضوء الفجر، وساعة طلوع الفجر في العروض التي نحن فيها الآن من الساعات المشهورة على قصرها وقصر مدة الشفق أيضا فإنه يخيل للرائي فيها ان العالم باسره مضاء بالكهرباء وربما كان قصر مدة الشفقين سببا في ذلك

مما حملناه معنا في السفينة ديك صغير وضعناه مع دواجن اخرى في أحد أقفاصها اسمعنا صياح التنبيه والايقاظ ثلاث مرات فكان لصوته الشبيه بصوت البوق في نفوسنا تأثير محزن قابض بسبب احوال الغربة التي نحن فيها وكان يسري الى القلوب بلا عائق لانه كان يذكر المسافرين باوربا هم القديمة وأراضيها ومعيشة المزارع وما يعالجه المزارعون من الاعمال الشاقة

ثم تتابع انمحاء الكواكب من السماء فأخذت تنطوي في أعاليها وتصطبغ باللون الازدرختي

ثم اشرقت الشمس فاذا الامواج أنفسها وقد ملكها الاجلال وتولاها الاعظام يخيل أنها خشعت لهذا الينبوع الذي هو مصدر الضياء والحياة وصارت السماء كلها جذوة نار وترقرقت سبحات من النور الذهبي على صدر المحيط الذي برزت منه الارض بالتدريج تتلألأ بهاء ونضرة

لم يقع بصري على «أميل» و«لولا» معا الا في هذه الساعة وحدها من النهار رأيتهما جاثيين جثية عبادة واستغراق في المشاهدة فليت شعري هل اقترب كلاهما في تلك الساعة من ادراك معنى الالوهية بمراقبة جمال الكون وبهائه ؟ اه

آثار علمية ادبية

التقريظ

أرسل الينا التقريظ الآتي للمنار، أحد علماء الشيعة في بعض الاقطار، فنشرناه اعترافا بفضله، وشكرا له على حسن ظنه، قال حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

عريضتي بحمد الله، والصلوة على مصطفاه، وعلى آله وصحبه الذين اهتدوا بهداه، هي اني صوبت الانظار في مباني المنار، وان يكن يعشي الابصار، نخدمته بما قدمته والمأمول القبول، اذ لم يكلف الانسان، بما فوق الامكان،

قل للاولى عميت جهلا بصائرهم ... ولم يروا في سما العرفان اقمارا
بحرمة الله هبوا من سباتكم ... هذا المنار على الدنيا لقد نارا
لم يبق ما فيه من عذر لمشتبه ... ولم يدع في ديار الجهل ديارا
ان ينتصر لقويم الدين منشئه ... فالله قيض للاديان انصارا
كم أطلعت مصر في اوج العلى قمرا ... وكم تحدت وايم الله اقطارا
من قبل موسى عصاه طالما التقفت ... إفكا وكم ابرزت للناس اسرارا
يراعه كعصى موسى ومقوله ... قد صاغه مبدع الاكوان بتارا
هذا الرشيد بمصر طالما التقفت ... اقلامه من يد الايام سحارا

فلله ابوه من رجل اداخ البلغاء، وأخاف العرفاء، وأجال مشاقص اقواله في المشارق والمغارب، وفتل ولله دره في الذروة والغارب، فقاد الشرود والشاسة، واشتمل السياسة، وكان كالجميلة، يطلع كل جميلة، وكالمندل الرطب، والمنهل العذب، ياتيه الناهل، ويروده القاحل، ألقت اليه المعارف افلاذ كبدها، وابرزت له مخباها، وشقت له معاها، وامطرته بما أسال الشعاب، وسقى الوطاب، وتدفع في الاودية، وملأ حياض الاندية، نخاض الغمر، ومشى على الضحضاح، وعب حتى امتلأ، لاتستطاع احواله، ولا ينتحل مقاله،

﴿ اذا ما قال قافية شرودا * تحلها ابن حمراء العجان ﴾

فقل لمن جاراه، أو ساجل علاه، ابتعد عنها، لقد حن قدح ليس منها، ولا تكون امته براعية ثلة

اليس هو الساعي فى تكوين الامة من طريق التربية، والتعليم النافع حيث لا تعمية، ألم يضرب بعصاه صفاة العرفان، فى هذا الزمان، كما ضرب ابن عمران الحجر يوم كان، فانبجست منه تلك العيون، ولها شئون، ومن حجر الكليم مشارب، ولها مسارب، ولكل اعجاز، جهة امتياز،

الم يزد على باني الهرم فى القدم اقام للتذكار صخورا واحجارا وهى اشباح بلا ارواح، وباني المنار اطلع الصباح وصاح حي على الفلاح ، وأثبت البناء، على ما شاء، واعمل المعيار ، ومد المطمار، واحكم القوالب والصور، وافاض عليهما من الارواح مابه حيوة البشر، فهو اذن قلب العرفان يغذوه الحيوة، ولولاه لمات، وينبوع غريزته بلا اشتباه، وكبده القائم بغذاه، ولذلك سرت ارواح مناره في عالم الانسان ، وستسري مدى الزمان ، واستقام ما بناه، واعتدل ماسواه، ولكم اتاح الله من علماء، للقلوب اطباء، والفخر لمصر على الامصار، بما اختصها الله على الاقطار، من الابدال وعرفاء الرجال كباني المنار، اطال الله ايام مجده، وشد عرى الدين بهديه ورشده. وبلغه المآرب، يوم العرض على الواجب، جلت قدرته، وعلت كلمته

الداعي خادم العلم والعلماء
مهدي بن علي المشتهر بشمس الدين

٢٠ ربيع الآخر سنة ١٣٢٢

(رفع اللبس والشبهات، عن ثبوت الشرف من قبل الامهات)

اسم هذا الكتاب يدل على موضوعه وهو لمؤلفه السيد عابد بن أحمد بن سوده أحد الفقهاء والمحدثين فى فاس وخطيب الحرم الادريسي هناك وقد طبع الكتاب على نفقته في مصر وتفضل حفظه الله باهدائنا نسخة منه منذ أشهر ولم نوفق لمطالعته لكثرة الشواغل مع رغبتنا فى الاطلاع على أثر رجل فاضل يحبنا ونحبه في الغيب ولذلك رأينا ان نعلن شكره ونكتفي بتنبيه الباحثين في الانساب الى مؤلفه وصفحات الكتاب ١٤٤ صفحة

﴿ كتاب الاملاء ﴾

كتاب جديد في فن الرسم اي رسم الحروف والكلم المفرد الذي يسمونه فن الاملاء وهو فرع من فن الصرف كما ان الصرف فرع من النحو ولكنه فرع لم يستقل في موضوعه ومسائله دون أبيه كما استقل ابوه دون جده. وقد كان علماء اللغة يعنون بالرسم حتى لا يثقون بعلم من يخطئ فيه ومن المأثور عنهم في ذلك أن احدهم رحل للتلقي عن عالم اشتهر فضله فلما بلغ بلده رأى قبل ان يلقاه صحيفة بخطه فقرأها فاذا فيها لفظ (بايع) مرسومة هكذا بالياء فقال ان هذا لا يوثق بعلمه وعاد أدراجه اسفا ان ضيع زمنه في الرحلة اليه. وقد انتهينا الى زمان نرى فيه كتابة المنقطعين لدراسة العلوم العربية في مثل الازهر ملأى بالغلط في الرسم كغيره ولا تستثن من كبار مدرسيهم الانفرا لا يعدون جمع القلة. وللمدارس النظامية عناية بفن الرسم لم يكن لها نظير في الازهر وما على شاكلته وهم يعلمونه بطريق الاملاء يملي الاستاذ على التلامذة جملا من الكلام ثم يصحح لهم ما يكتبون مع البيان. وقد نظر الاستاذ الامام بعين الاهتمام الى هذا النقص في الازهر فاقترح فى مجلس ادارته ان يعهد الى الشيخ حسين والي احد العلماء المدرسين فيه بان يدرس الاملاء على طريقة المدارس النظامية وكان ذلك ولما شرع هذا في التدريس توجهت عزيمته الى وضع كتاب مطول في فن الرسم يكون غاية الغاي في موضوعه ففعل وهذا هو (كتاب الاملاء)

الشيخ حسين والي تعلم فى مدارس الحكومة قبل المجاورة في الازهر فهو عالم بأساليب التعليم والتأليف الجديدة وقد اشتغل في الازهر بفنون الادب بعناية لا تعرف من مجاوري هذا المعهد فهو واسع الاطلاع فى اللغة وأدبياتها لذلك جاء كتابه هذا احسن كتاب وضع فى هذا الفن اسلوبا واوسعه مادة

بدأه بمقدمة في تاريخ الخط والكتابة عند الامم تكلم فيها على ابي جادو الحروف المفردة وصفاتها والحركات والرقم والخط واقسامه الثلاثة وفيها فوائد كثيرة ويلي المقدمة (الباب الاول في الحروف التي تبدل) وقد افاض فيه القول في مباحث الهمزة والالف وفيه قصيدة ابن مالك في الافعال التي وردت بالواو والياء وابيات اخرى فيما زيد عليه من ذلك، وارجوزة في الافعال الواردة بالواو اطرادا وغالبا وأخرى في

الافعال الواردة بالياء اطرادا وغالبا. ويليه (الباب الثاني في الحروف التي تزاد) يقفوه (الباب الثالث في الحروف التي تنقص) وفيه الكلام على رموز الكتب العلمية ورموز القراء والمحدثين وكتبة الدواوين والكلام في التاريخ. وبعده (الباب الرابع في الكلمات الواجب فصلها والكلمات الواجب وصلها) وهو واسع وفيه الكلام على الشكل العام والخاص والقطعة والمدة والعلامات التي هي في معنى الشكل كعلامة الاشمام والروم

فانت ترى ان احوج الناس الى هذا الكتاب الاساتذة والكتّاب وهو مما ينبغي ان يقتنيه كل اديب بل كل متعلم. وقد طبع في مطبعة المنار على ورق جيد جدا بكيفية من الاتقان وتسهيل المطالعة لم نر مثلها في كتاب آخر وبلغت صفحاته ٢٥٦ صفحة وثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة وهو يطلب من مطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر

﴿ الهدية السعيدية. في الحكمة الطبيعية ﴾

ولع المسلمون بالفلسفة في أيام مدنيتهم ولوعا عظيما ومزجوها بعلم العقائد الدينية حتى صار فهم كتب الكلام متوقفا على الوقوف على تلك الفلسفة خصوصا الكتب الكبيرة الشهيرة التي يعدونها حصون العقائد الإسلامية كالمواقف والمقاصد بل الفلسفة اكثر ما في هذه الكتب ومباحث العقائد أقل ما فيها ولكن هذا الاول هو المقصود بالذات ولقد ضعف علم الكلام وضعفت معه الفلسفة والمنطق في جميع البلاد الاسلامية تبعا لتدلي العمران والحضارة حتى كادت تدرس هذه العلوم في مصر لولا أن وفد السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى على هذه البلاد فنفخ فيها روحا علميا جديدا ومازال علماء الاعاجم لاسيما الهنديون منهم يدارسونها ويطبعون كتبها القديمة ويؤلفون فيها كتبا جديدة فهي حية عندهم وهم فيها أمثل من المصريين الا من شذ من هؤلاء فلم يكتف بالفلسفة القديمة بل أضاف اليها الجديدة الاوربية فاخذها بلسان أهلها كالاستاذ الامام. وانا نرى في هذا العهد الاخير أذكياء المجاورين في الازهر يكسرون مقاطر التقليد لشيوخهم المتأخرين ويوجهون أفكارهم الى تناول كثير من العلوم والفنون القديمة والحديثة التي أهملها أكثر شيوخ الازهر حتى كادت تمحى منه. وقد انتدب بعض محبي الفلسفة منهم وهو الشيخ عبد الرحمن البرقوقي الى طبع كتاب في الفلسفة القديمة

والسعي في حمل أحد الشيوخ على تدريسه فى الازهر فاختار كتاب (الهدية السعيدية) الذي ألفه في هذا العصر (ملا محمد فضل الحق) من علماء خير آباد فى الهند (المتوفى سنة ١٢٧٨) وأهداه الى أمير بلاده محمد سعيد خان بهادر ونسبه اليه . ويقول الشيخ عبد الرحمن انه رأى هذا الكتاب خير كتاب في الفاسفة القديمة وضعا وسهولة . وقد طبع الكتاب في مطبعة المنار على ورق جيد كدلائل الاعجاز مع تتمة لولد المؤلف فكانت صفحاته زهاء مئتين وثمانين صفحة وقد جعل ثمنه مع ذلك ثمانية قروش صحيحة وهو يطلب من مكتبة المنار ومن المكاتب الشهيرة في مصر فنحث محبي الفلسفة والراغبين في دراسة الكتب الكبيرة فى الكلام على مطالعته

المنتخبات العربية

أقرب الطرق الى تحصيل ملكة الكتابة في المنثور والمنظوم كثرة مطالعة كلام البلغاء وأشعارهم ولو أن طالب البلاغة حفظ بعد قراءة النحو والصرف مختصر السعد ومطوله وحواشيهما ولم يزاول كلام البلغاء لما ازداد الا بعدا عن البلاغة كما بين ذلك الحكيم العربي ابن خلدون رحمه الله تعالى . ومما يدلنا على ان النهضة العربية الحديثة ستكون منتجة أحسن نتاج تصدي المشتغلين لإحياء آثار البلغاء وإقبال الناس على هذه الآثار وتفضيلها على سواها والاعتماد عليها فى تحصيل ملكة البلاغة سواء كانت كتبا فنية كأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز أو كتب تمرين ككتب الادب الشهيرة ولكن أكثر المشتغلين بطلب الادب تقصر هممهم عن مطالعة الكتب الكبيرة المفيدة للبلاغة كالاغاني والبيان والتبيين والكامل والعقد الفريد . وقد فطن الناس لذلك فأنشأوا يختارون من هذه الكتب ومايشابهها الفصول والنبذ المختصرة من المنثور والمقاطيع من الشعر ويراعون فيها السهولة والاختصار وقد سبق اليسوعيون الى هذا العمل فراجت مختاراتهم العربية على مافيها من الدسائس الدينية والتحريف المعنوي واللفظي

وقد عني محمد أفندي حسن محمود وأمين أفندى عمر الباجوري الكاتبان في نظارة المعارف باختيار نبذ من كلام المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين ومقاطيع من أشعارهم فكان لهما من ذلك كتاب سمياه (المنتخبات العربية) وطبعاه طبعا جميلا يناسب مافيه من حسن الاختيار فنحث محبي الادب عامة وطلاب العلم خاصة على مطالعته وثمن النسخة منه سبعة قروش صحيحة وصفحاته ٢٥٦

الامتيازات الاجنبية

يعرف الخاصة والعامة أن للاجانب امتيازات فى البلاد العثمانية ليس لهم مثلهافى غيرها من الممالك وأن هذه الامتيازات من أركان الجور والظلم واختلال النظام واضطراب القضاء وأن اسمعيل باشا خديوي مصر قدزادللاجانب في هذه الامتيازات فأعطاهم منها ماليس لهم فى البلاد العثمانية تزلفا اليهم وطمعا فى مساعدتهم له على ما كان يكبده فى سياسته مع الدولة حتى صار أحقر يوناني فى مصر اعز من أمرائها وعلمائها وكبرائها. وقدبحث الاوربيون فى أصل هذه الامتيازات وجاءوا فيها بالدث والرجم ولم نر أحداً من الملسوعين بحمتها فى مصر من كتب فيها شيئاً حتى أتحفنا اليوم عمر بك لطفى وكيل مدرسة الحقوق في مصر بكتاب خاص فيها فند فيه مزاعم الزاعمين فى بيان سببها وقال « والحقيقة ان الامتيازات مصدرها الشريعة الاسلامية التي تسمح لغير المسلمين ان يرفعوا منازعاتهم لجهة ملتهم ولاتلزمهم بقبول حكومة القاضي الشرعي الابرضائهم عملا بقوله تعالى : « فان جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » ثم استدل بتفويض الدولة العثمانية أمر الذميين الى أنفسهم قبل ارتباطها بالمعاهدات الاوربية ثم بسماح السلطان سليمان بهذه المنحة للاجانب وانشأ بعد ذلك يسرد المعاهدات بين الدولة العثمانية والدول الاجنبية

وقد أحسن المؤلف فى رد أوهام الافرنج في سبب الامتيازات وأشدها ضعفا وأظهرها سخفا زعم بعضهم ان الدولة الاسلامية تأبى معاملة غير المسلمين بأحكام شريعتها لانها مقدسة لاتسري على غير المؤمنين ، وقول بعضهم ان القرآن هوقانون ديني وسياسي ولما كان منزلا تعين ان تكون المدنية الاسلامية غير قابلة للترقي والشريعة غير قابلة لتقرير الحقوق والتسليم بمعتقدات الذين لايؤمنون بالدين الاسلامي فكان من الواجب ايجاد طريقة تمكن المسلمين من الاختلاط بالاجانب!! وهذاقول جهول بالدين الاسلامي والقرآن والتاريخ وكم فيهم من مثله أوأشدمنه يسمون فلاسفة حكماء

وقد نقل المؤلف الاستدلال بالآية على ما ذكره من سبب الامتيازات عن رسالة للشيخ محمد بخيت ونقول أولا ان الآية قد نزلت فى واقعة معينة ونزل بعدها في تلك السورة (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) فذهب أ كثر علماء السلف الى أن هذه

ناسخة للتخيير فى تلك وعليه الشافعية فى أصح الاقوال والحنابلة وبعضهم انها قصرت الآية الاولى على ذلك الحكم الخاص الذي خير الله نبيه فيه أي فهي مخصصة لاناسخة أو ان الاولى مختصة فيمن لم يعقد له ذمة والثانية فى أهل الذمة. وأما مذهب الحنفية الذي عليه الدولة العثمانية فهو أن أهل الذمة محمولون على أحكام الاسلام فى جميع العقود وفى المواريث ويستثنى من البيوع بيع الخمر والخنزير فانهم يقرون عليه فيما بينهم فى تفصيل معروف فى الفقه. والاجانب ليسوا ذميين وانما هم حربيون أو معاهدون ولاتجوز معاهدتهم على شيء يخالف أحكام الشريعة ومصلحة المسلمين ثم انهم اذا عقدوا معنا عهدا فيجب أن نستقيم لهم ماستقاموا لنا فان نكثوا شيئا من العهد فقد بطل عهدهم والامتيازات الحاضرة جلها اوكلها باطلة شرعا فيما يظهر لنا وهي قائمة على أصلين ضعفنا وجهل حكامنا وقوتهم وأثرتهم

هذا وان فى الكتاب فوائد كثيرة كنصوص المعاهدات وإنشاء المحاكم المختلطة في مصر ومكانتها وكون كثير من الامتيازات ليس لها أصل في المعاهدات وبيان المفاسد والمشكلات فى التحاكم الى المحاكم القنصلية، وناهيك بدقة المؤلف وطول باعه فى علم الحقوق والقوانين. والكتاب مطبوع طبعا متقنا على ورق جيد وصفحاته ٦٨ ومجلد بنسيج أحمر جميل ويطلب من مكتبة الشعب بمصر

﴿ الفلاكة والمفلوكين ﴾

الفلاكة البؤس أو التعس والمفلوكون البائسون العاثرو الجد. والكتاب لاحمد بن علي الدلجي من أهل العلم والادب ولانعرف له تاريخا الا إن كتابه هذا يدل على علم وأدب وحسن اختيار يعرف ذلك من مثل الفصل الذي عقده لمسألة خلق الافعال وبيان انه لاحجة للمفلوك في التعلق بالقضاء والقدر والفصل الذى عقده لبيان أن التوكل لاينافي التعلق بالاسباب والزهد لاينافي كون المال في اليدين وماأحسن الفصل الذى بين فيه الآفات التي تنشأ من الفلاكة أو تستلزمها الفلاكة وتقتضيها ومنها الكيمياء الباطلة والنجوم والمطالب، ثم ان أكثر الكتاب فى تراجم العلماء والادباء المفلوكين وفيه عبر وأدب وفكاهة. وجملة القول ان الكتاب من الكتب المفيدة الفكهة التي تلذ قراءتها وقد طبع فى مطبعة الشعب وصفحاته ١٤٥ وهو يطلب من مكتبة الشعب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الاثنين غرة شعبان سنة ١٣٢٢ — ١٠ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ـ الحرُّ بالحرِّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى . فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان ، ذلك تخفيفٌ من ربكم ورحمةٌ ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم * ولكم في القصاص حيوةٌ يا أولي الألباب لعلكم تتقون *

ذكر المفسر وغيره ان القصاص على القتل كان محتما عند اليهود وأن الدية كانت محتمة عند النصارى وان القرآن جاء وسطا يفرض القصاص اذا أصر

عليه أولياء المقتول ويجيز الدية اذا عفوا وقد أقرهم الاستاذ الامام على قولهم ان القتل قصاصا كان حتما عند اليهود كما فى الفصل التاسع عشر من سفر الخروج والعشرين من التثنية. وأنكر عليهم قولهم ان الدية كانت حتما عند النصارى فانه ليس في كتبهم شيء يحتم عليهم ذلك إلا ان يقال ان ذلك مأخوذ من وصايا التساهل فى الانجيل ولكن يعارض ذلك قول عيسى عليه السلام فى هذه الاناجيل « ما جئت لأنقض الناموس وانما جئت لأتمم » وهذا من الرواية الصحيحة عنه لانه مؤيد بقوله تعالى حكاية عنه « ومصدقا لما بين يديّ من التوراة »

واذا نظرنا فى معاملة الأولين والآخرين وشرائعهم فى القتل نجد القرآن وسطا حقيقيا لا بين مانقل عن اليهود والنصارى فقط بل بين مجموع آراء البشر من أهل الشرائع السماوية والقوانين الوضعية فقد كانت العرب تتحكم فى ذلك على قدر قوة القبائل وضعفها فرب حر كان يقتل من قبيلة فلا ترضى قبيلته بأخذ القاتل به بل تطالب به رئيسها وأحيانا كانوا يطلبون بالواحد عشرة وبالانثى ذكرا وبالعبد حراً فان أجيبوا والا قاتلوا قبيلة القاتل وسفكوا دماء كثيرة وهذا افراط وظلم عظيم تقتضيه طبيعة البداوة الخشنة وفرض التوراة قتل القاتل إصلاح فى هذا الظلم ولكن يوجد فى الناس لا سيما أهل القوانين في زماننا هذا من ينكر المعاقبة بالقتل ويقولون انه من القسوة وحب الانتقام فى البشر ويرون ان المجرم الذي يسفك الدم يجب ان تكون عقوبته تربية لا انتقاما وذلك يكون بما دون القتل ويشددون النكير على من يحكم بالقتل اذا لم تثبت الجريمة على القاتل بالاقرار بأن ثبتت بالقرائن أو بشهادة شهود يجوز عليهم الكذب

ويرون ان الحكومة اذا علمت الناس التراحم فى العقوبات فذلك أحسن تربية لهم . واذا دققنا النظر فى أقوال هؤلاء نرى أنهم يريدون ان يشرعوا أحكاما موقتة لقوم تعلموا وتربوا على الطرق الحديثة وأخذوا بالنظام والحكم حتى لا سبيل لاولياء المقتول ان يثأروا له من القاتل ويسفكوا لاجله دماء بريئة وحتى يؤمن من استمرار العداوة والبغضاء بين بيوت القاتلين وبيوت المقتولين . ومع هذا نرى كثيرا من الناس حتى المنتسبين الى الاسلام يغترون بآرائهم ويرونها شبهة على الاسلام (١) واما النافذ البصيرة العارف بمصالح الامم الذي يزن الامور العامة بميزان المصلحة العامة لا بميزان الوجدان الشخصي الخاص بنفسه أو ببلده فانه يرى ان القصاص بالعدل والمساواة هو الاصل الذي يربي الامم والشعوب وان تركه بالمرة يغري الاشقياء بالجراءة على سفك الدماء وأن الخوف من الحبس والاشغال الشاقة اذا أمكن ان يكون مانعا من الاقدام على الانتقام بالقتل فى البلاد التي غلب على أهلها التراحم أو الترف والانغماس فى النعيم كبعض بلاد أوربا فانه لا يكون كذلك فى كل البلاد وكل الشعوب بل ان من الناس فى هذه البلاد وفى غيرها من يحبب اليه الجرائم أو يسهلها عليه كون عقوبتها السجن الذي يراه

(١) نشر في عدد ١٤٩٩ من جريدة اللواء الصادر في ١٥ ج ٢ سنة ١٣٢٢ مقالة من مقالات فى الانتصار لجندي قتل ضابطه عمدا جاء في أولها آن الانسان اذا أطلق لنظره وفكره العنان فى مسألة القتل وشخصها تشخيصا حقيقيا فانه ينادي بوجوب ابطاله من بين الامم والشعوب رحمة بالانسان وخدمة للانسانية (قال): وقتل القاتل أفظع وابشع من قتل المقتول : ثم قال: الانسان يستهجن الحكم بالاعدام وينفر منه ويعده بقية من بقايا الهمجية ويقول فيه ماقال مالك في الخمر: اه فتأمل كيف يصدر هذا من مسلم وينشر بين المسلمين

خيرا من بيته وان فى مصر من الأشقياء من يسمي السجن نزلا أو فندقا وسمعت أنا غير واحد في سوريا يقول اذا فعل فلان كذا فانني أقتله وأقيم فى القلعة عشر سنين وذلك ان القاتل هناك يحكم عليه غالبا بالسجن خمس عشرة سنة في قلعة طرابلس الشام ويعفو السلطان في عيد جلوسه عمن تم له ثلثا المدة المحكوم بها عليه فى السجن . فقتل القاتل هو الذي يربي الناس فى كل زمان ومكان ويمنعهم عن القتل وقد بالغ فى الاعتراف بذلك معدل القانون المصري حيث أجاز الحكم بالاعدام اذا وجدت القرائن القاطعة على ثبوت التهمة بعد ان كان لا يجيزه الا بالاعتراف أو شهادة شهود الرؤية . وقد تقع في كل بلاد صور من جرائم القتل يكون فيها الحكم بقتل القاتل ضاراً وتركه لا مفسدة فيه كأن يقتل الانسان أخاه أو أحداً قاربه لعارض دفعه الى ذلك ويكون هذا القاتل هو العائل لذلك البيت واذا قتل يفقدون بقتله المعين والظهير بل قد تكون فى قتل القاتل أحيانا مفاسد ومضار وان كان أجنبيا من المقتول ويكون الخير لأولياء المقتول عدم قتله لدفع المفسدة أو لأن الدية أنفع لهم فأمثال هذه الصور توجب أن لا يكون الحكم بقتل القاتل حتما لازما فى كل حال بل يكون هو الاصل ويكون تركه جائزا برضاء أولياء المقتول وعفوهم فاذا ارتقت عاطفة الرحمة في شعب أو قبيل أو بلد الى ان صار يستنكر القتل منهم أولياء القاتل ويرون العفو أفضل وأنفع فذلك اليهم والشريعة لا تمنعهم منه بل ترغبهم فيه وهذا الاصلاح الكامل في القصاص هو ما جاء به القرآن ، وما كان ليرتقي اليه بنفسه علم الانسان ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) القصاص فى اصل اللغة يفيد المساواة فمعنى القصاص هنا ان يقتل القاتل لانه فى

نظر الشريعة مساو للمقتول فيؤخذ به فالغرض من الآية مشروعية القصاص بالعدل والمساواة وابطال ذلك الامتياز الذي كان للاقوياء على الضعفاء ولذلك قال (الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) أي ان هذا القصاص لاهوادة فيه ولا جور فاذا قتل حر حرا يقتل هو به لا غيره من سادات القبيلة ولا اكثر من واحد واذا قتل عبد عبدا يقتل هو به لا سيده ولا أحد الاحرار من قبيلته وكذلك المرأة اذا قتلت تقتل هى ولا يقتل أحد فداء عنها خلافا لما كانت عليه الجاهليه فى ذلك فالقصاص على القاتل نفسه أيًّا كان لا على أحد من قبيلته . فما كانت عليه العرب في الثأر يبين هذا المعنى من الآية ولكن مفهوم اللفظ بحد ذاته وسياق مقابلة الاصناف بالاصناف يفهم انه لا يقتل فريق بفريق آخر وهو غير مراد على اطلاقه فقد جرى العمل من زمن الرسول عليه الصلاة والسلام الى الآن على قتل الرجل بالمرأة واختلفوا فى قتل الحر بالعبد فذهب ابو حنيفة وابن ابي ليلى وداود الى انه يقتل به اذا لم يكن سيده وذهب الجمهور الى أنه لا يقتل به مطلقا والاختلاف في قتل الرجل بالمرأة أضعف ولهذه الخلافات زعم بعضهم ان فى الآية نسخا . وانما منشأ الخلاف أدلة أخرى من السنة وغيرها والاعتبار بمفهوم المخالفة فى الآية والقرآن فوق كل خلاف فمنطوق الآية لا مجال للخلاف فيه وهو ان الحر يقتل بالحر الخ وأما كون الحر يقتل بالعبد والرجل بالمرأة فهذا يؤخذ من لفظ القصاص ولا يعارضه مفهوم التفصيل فان بعض أهل الأصول لا يعتبر المفهوم المخالف للمنطوق وبعضهم يعتبره بشرط لا يتحقق هنا لما ذكروه في سبب النزول منطبقا على ماذكرناه عن العرب قال البيضاوي فى تفسير الآية

«كان فى الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت وأمرهم ان يتباوؤا. ولا تدل على ان لايقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لاتدل على عكسه فان المفهوم يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم» والبيضاوي من الشافعيه القائلين بمفهوم المخالفة . وما ذكره فى سبب النزول أخرجه ابن ابي حاتم

ويدخل فى عموم الآية الكافر وبه قال الكوفيون والثوري وقال الجمهور لايقتل به المسلم لما ورد فى ذلك من الحديث المبين لاجمال الآية . واستثني من عمومها السيد يقتل عبده قالوا لا يقتل به ولكن يعزر ولا يعرف في ذلك خلاف الاعن النخعي . قال الاستاذ الامام وللحاكم ان يقرر هذا التعزير بشدة تمنع الاعتداء والاستهانة بالدم ولا يخفى ان التعزير قد يكون بالقتل فاذا عهد فى قوم من القسوة مايقتلون به عبيدهم فللامام ان يقتل السيد بعبده تعزيرا لا حدا اذا رأى المصلحة العامة في ذلك . واستثنوا ايضاً الوالدين فقالوا لايقتل الوالد بولده وعلله الاستاذ الامام بأن الحدود توضع حيث تتحرك النفوس للجناية لتكون رادعة عن الاستمرار فيها. وقد مضت السنة الالهية فى الفطرة بأن قلوب الأصول مجبولة من طينة الشفقة والحنو على الفروع حتى ليبذلون أموالهم وأرواحهم فى سبيلهم وكثيرا مايقسو الولد على والده وقلما يقسو والد على ولده الا لسبب قوي كعقوق شديد أو فساد في أخلاق الوالد جنى على أصل الفطرة كالافراط فى حب الذات ولكن هذه القسوة لاتفضي الى القتل الا لأمر يكاد يكون فوق

الطبيعة كعارض جنون من الوالد او ايذاء لا يطاق من الولد ولما كان هذا شاذا بالمرة جعل كالعدم فلم يلاحظ فى وضع الحد لان الاحكام تناط بالمظنة لا بالشواذ التي يندر ان تقع ومع هذا يعزّر من يقتل ولده بما يراه الحاكم لائقا بحاله ومربيا لامثاله

وقد اضطربوا فى تعيين المخاطب بهذا القصاص اذ لا يصح ان يكون القاتل ولا المقتول ولا وليّ الدم ولا عصبة القاتل ولا سائر الناس الاجانب ولا يظهر أيضا ان المخاطب بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص » الحكام خاصة. قال الاستاذ الامام بعد ماأورد هذا المعنى عن بعضهم وهذه مشاغبة وتشكيك كمشاغبات الرازي وشكوكه والخطاب مفهوم بالبداهة والآية جارية على أسلوب القرآن فى مخاطبة جماعة المؤمنين فى الشؤون العامة والمصالح لاعتبار الامة متكافلة ومطالبة بتنفيذ الشريعة وحفظها وبالخضوع لاحكامها كما تقدم بيانه فى مخاطبة اليهود باسناد ماكان من آبائهم اليهم اذ قلنا ان الأمة فى نظر القرآن كالشخص الواحد يخاطب البعض منها بالكل والكل بالبعض كما يقال للشخص جنيت وجنت يدك وأخطأت وأخطأ سمعك أورأيك. ففي هذا الخطاب بالقصاص يدخل القاتل لانه مأمور بالخضوع لحكم الله ويدخل الحاكم لانه مأمور بالتنفيذ ويدخل سائر المسلمين لأنهم مأمورون بمساعدة الشرع وتأييده، ومراقبة من يختارونه للحكم به وتنفيذه،

بعدان بين تعالى وجوب القصاص وهو أصل العدل، ذكر أمر العفو وهو مقتضى التراحم والفضل، فقال (فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف) وانما يعفو من له حق طلب القصاص وقد جعل الله هذا

الحق لأولياء المقتول وهم عصبته الذين يعتزون بوجوده ويهانون بفقده ، ويحرمون من عونه ورفده ، فمن أزهق روحه كان لهم ان يطلبوا إزهاق روحه لما تستفزهم اليه نعرة القرابة وطبيعة المصلحة . فاذا لم يجب طلبهم ، ولم يقتص الحاكم لهم ، فانهم ربما يحتالون للانتقام ، ويفشو بينهم وبين القاتل وقومه التشاحن والخصام ، واذا جاء العفو من جانبهم أمن المحذور والفتنة ، لاسيما اذا كان من أسباب العفو استعطاف القاتل وقومه لهم ، واستعتابهم إياهم ، باثارة عاطفة الاخوة الدينية ، وأريحية المروءة والانسانية ، ففي مثل هذه الحالة يوجب الله تعالى حجب الدم وليس للحكومة ان تمتنع من العفو اذا رضوا به ولا أن تستقل بالعفو اذا طلبوا القصاص فتحفظ قلوبهم وتخرج أضغانهم وتحملهم على محاولة الانتقام بأيديهم اذا قدروا فيزيد البلاء ، ويكثر الاعتداء ، أو يعيش الناس فى تباغض وعداء ، وعبارة الآية تشعر بأن الله تعالى يحب من عباده العفو ولذلك فرض اتباع العفو وان لم يكن تاما متفقا عليه من جميع أولياء الدم كالآباء والابناء والاخوة فان عفا بعضهم يرجح جانبه علي الآخرين كما يدل عليه تنكير شيء في قوله (فمن عفي له من أخيه شيء) فقد ذهب جمهور المفسرين على ان «شيء» هنا نائب عن المصدر أي عفي له شيء من العفو بأن ناله بعضه ممن لهم المطالبة به . ويؤيد هذا ويؤكده التعبير عن العافي بلفظ الاخ الذي يحرك عاطفة الرحمة والحنان ، وهو كما قال المفسرون يؤذن بأن القتل لا يقطع أخوة الايمان ،

ومن مباحث اللفظ هنا ان بعض المفسرين أشكل عليهم استعمال «عفي» متعدية باللام وزعموا انها بمعنى تُرِك قال البيضاوي تبعا للكشاف

: إذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل أعفاه وعفا يعدَّى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى «عفا الله عنك» وقال « عفا الله عنها »فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه مافى الآية كأنه قيل : فمن عفي له عن جنايته من جهة أخيه يعني ولي الدم :

ولما كان العفو عن القصاص يتضمن الرضى بأخذ الدية قال تعالى (فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان) أي فاتباع العفو واجب على العافي وغيره فعليه ان لايرهق القاتل من أمره عسرا بل يطلب منه الدية بالرفق والمعروف كما أن قوله (وأداء اليه باحسان) خطاب للقاتل اي ان الاداء بالاحسان واجب عليه بأن لايمطل ولاينقص ولا يسيء فى كيفية الاداء : ويجوز العفو عن الدية أيضا كما فى قوله تعالى في سورة النساء «ودية مسلَّمة الى أهله الا أن يصدَّقوا » هذا هو الظاهر فى الآية فلاحاجة الى ذكرماقالوه من احتمال غيره

ويؤكد رغبة الشارع فى العفو امتنانه علينا باجازته ووعيده على من اعتدى بعده اذ قال (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) واي تخفيف ورخصة أفضل من حجب الدم بتجويز العفو والاكتفاء عنه بقدر معلوم من المال فهذه رحمة منه سبحانه بهذه الامة اذ رغبها فى التراحم والتعاطف والعفو والاحسان (فمن اعتدى بعد ذلك) اي بعد العفو عن الدم والرضى بالدية بأن انتقم من القاتل (فله عذاب أليم) قيل معناه انه يتحتم قتل الولي العافي أوغيره اذا قتل القاتل بعد العفو ولايجوز العفو عنه بل يقتله الحاكم وان عفا عنه ولي المقتول وبه قال جماعة من المفسرين كعكرمة والسدي والجمهور على ان حكمه كحكم القاتل ابتداء وعليه مالك والشافعي والمراد بالعذاب

الأليم عذاب الآخرة قال الاستاذ الامام وهو الصحيح . وفى الحديث المرفوع عند أحمد وابن أبي شيبة مايؤيده

ثم قال تعالى (ولكم فى القصاص حيوة) وهو تعليل لمشروعية القصاص وبيان لحكمته وقد قدم عليه تعليل العفو والترغيب فيه والوعيد على الغدر بعده مع تأخره فى الذكر عناية به . وبيان الأسباب والحكم لوضع الاحكام العملية ، كاقامة البراهين والدلائل للمطالب العقلية ، بهذه يعرف الحق من الباطل ، وبتلك يعرف العدل وما يتفق مع المصالح ، وبذلك يكون الحكم اوقع فى النفس وأبعث على المحافظة عليه ، وأدعى للرغبة في العمل به ، وقد بينت هذه الآية حكمة القصاص بأسلوب لايسامى ، وعبارة لاتحاكى ، واشتهر أنها من أبلغ آي القرآن ، التى تعجز فى التحدي فرسان البيان ، ومن دقائق البلاغة فيها ان جعل فيها الضد متضمنا لضده وهو الحياة فى الاماتة التي هى القصاص وعرف القصاص ونكر الحياة للاشعار بأن فى هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما لايقدر قدره ، ولايجهل سره»

ثم انها فى إيجازها قد ارتقت أعلا سماء للاعجاز وكانوا ينقلون كلمة فى معناها عن بعض بلغاء العرب يعجبون من إيجازها فى بلاغتها، ويحسبون أن الطاقة لاتصل الى أبعد من غايتها ، وهي قولهم : القتل أنفى للقتل : وانما فتنوا بهذه الكلمة وظنوا أنها نهاية مايمكن ان يبلغه البيان ، ويفصح به اللسان، لانها قيلت مباراة لكلمات أخرى فى معناها لبلغائهم كقولهم: قتل البعض إحياء للجميع : وقولهم : اكثروا القتل ليقل القتل : وأجمعوا على أن كلمة: القتل انفى للقتل: أبلغها واين هى من كلمة الله العلياء وحكمته المثلى، قال الامام الرازي : وبيان التفاوت من وجوه (أحدها) ان قوله «ولكم

في القصاص حيوة » أخصر من الكل لأن قوله « ولكم » لايدخل في هذا الباب اذ لابد فى الجميع من تقدير ذلك واذا تأملت علمت ان قوله : فى القصاص حيوة : أشد اختصارا من قولهم : القتل أنفى للقتل ـ اي لان حروفه أقل ـ و (ثانيها) ان قولهم القتل أنفى للقتل ظاهره يقتضي كون الشيء سببا لانتفاء نفسه وهو محال وقوله : فى القصاص حيوة : ليس كذلك لأن المذكور هو نوع من القتل وهو القصاص ثم ما جعله سببا لمطلق الحياة لأنه ذكر الحياة منكرة بل جعله سببا لنوع من أنواع الحياة و (ثالثها) ان قولهم فيه تكرير للفظ القتل وليس فى الآية تكرير . و (رابعها) ان قولهم لايفيد الا الردع عن القتل والآية تفيد الردع عن القتل وعن الجرح وغيرهما فهي أجمع للفوائد و (خامسها) ان نفي القتل فى قولهم مطلوب تبعا من حيث أنه يتضمن حصول الحياة وأما الآية فانها دالة على حصول الحياة وهو مقصود أصلي فكان هذا أولى . و (سادسها) ان القتل ظلما قتل مع أنه لايكون نافيا للقتل بل هو سبب لزيادة القتل وانما النافي لوقوع القتل هو القتل المخصوص وهو القصاص فظاهر قولهم باطل اما الآية فهى صحيحة ظاهرا وتقديرا فظهر التفاوت بين الآية وبين كلام العرب: اه باختصار وتصرف يسيرين

وذكر السيد الألوسي هذه الوجوه باختصار أدق وزاد عليها نحوها فقال (الاول) قلة الحروف فان الملفوظ هنا (اي فى الاية) عشرة أحرف اذا لم يعتبر التنوين حرفا على حدة وهناك أربعة عشر حرفا (الثاني) الاطراد اذ في كل قصاص حياة وليس كل قتل أنفى للقتل فان القتل ظلما أدعى للقتل (الثالث) مافى تنوين حياة من النوعية او التعظيم (الرابع) صنعة

الطباق بين القصاص والحياة فان القصاص تفوت الحياة فهو مقابلها (الخامس) النص على ماهو المطلوب بالذات أعني الحياة فان نفي القتل انما يطلب لها لالذاته (السادس) الغرابة من حيث جعل الشيء فيه حاصلا في ضده ومن جهة ان المظروف اذا حواه الظرف صانه عن التفرق فكأن القصاص فيما نحن فيه يحمي الحياة من الآفات (السابع) الخلو عن التكرار مع التقارب فانه لايخلو عن استبشاع ولايعد ردالعجز على الصدر حتى يكون محسنا (الثامن) عذوبة اللفظ وسلاسته حيث لم يكن فيه مافي قولهم من توالي الأسباب الخفيفة اذ ليس في قولهم حرفان متحركان على التوالي إلا في موضع واحد ولا شك انه ينقص من سلاسة اللفظ وجريانه على اللسان، وأيضا الخروج من الفاء الى اللام أعدل من الخروج من اللام الى الهمزة لبعد الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد الى الحاء أعدل من الخروج من الألف الى اللام (التاسع) عدم الاحتياج الى الحيثية وقولهم يحتاج اليها (العاشر) تعريف القصاص بلام الجنس الدالة على حقيقة هذا الحكم المشتملة على الضرب والجرح والقتل وغير ذلك وقولهم لايشمله (الحادي عشر) خلوه من أفعل الموهم أن في الترك نفيا للقتل أيضا (الثاني عشر) اشتماله على مايصلح للقتال وهو الحياة بخلاف قولهم فانه يشتمل على نفي اكتنفه قتلان وإنه لمما يليق بهم (الثالث عشر) خلوه مما يوهمه ظاهر قولهم من كون الشيء سببا لانتفاء نفسه وهو محال — الى غير ذلك فسبحان من علت كلمته، وبهرت آيته، : اه

وجملة القول ان الآية على كونها أبلغ وكلمتها أوجز قد أفادت حكما لم تكن عليه العرب قبلها ولم يطلبه أحد من عقلائهم وبلغائهم وهو المساواة

في العقوبة وبيان ان فيه الحياة الطيبة وصيانة الناس من اعتداء بعضهم على بعض. وأمرهم بالقتل ليقل القتل او ينتفي يصدق باعتداء قبيلة على قبيلة والاسراف فى قتل رجالها لتضعف فلا تقدر على أخذ الثأر فيكون المعنى ان قتلنا لعدونا إحياء لنا وتقليل او نفي لقتله إيانا وأين هذا الظلم من ذلك العدل. فالآية الحكيمة قررت أن الحياة هى المطلوبة بالذات وان القصاص وسيلة من وسائلها لأن من علم أنه اذا قتل نفسا يقتل بها يرتدع عن القتل فيحفظ الحياة على من أراد قتله وعلى نفسه . والاكتفاء بالدية لا يردع كل أحد عن سفك دم خصمه ان استطاع فان من الناس من يبذل المال الكثير لأجل الايقاع بعدوه. وفى الآية من براعة العبارة وبلاغة القول ما يذهب باستبشاع إزهاق الروح فى العقوبة ويوطن النفوس على قبول حكم المساواة إذ لم يسمّ العقوبة قتلا او إعداما بل سماها مساواة بين الناس تنطوي على حياة سعيدة لهم .

ثم قال بعد هذا البيان ، المتضمن للحكمة والبرهان، (ياأولي الألباب) فخص بالنداء أصحاب العقول الكاملة مع ان الخطاب عام للتنبيه على ان ذا اللب هو الذى يعرف قيمة الحياة والمحافظة عليها ، ويعرف ما تقوم به المصلحة العامة وما يتوسل به اليها ، كأنه يقول ان ذا اللب هو الذي يفقه سر هذا الحكم وما اشتمل عليه من الحكمة والمصلحة ، فعلى كل مكلف أن يستعمل عقله فى فهم دقائق الاحكام ، وما فيها من المنفعة للأنام ، وهو يفيد ان من ينكر منفعة القصاص بعد هذا البيان ، فهو بلا لب ولا جنان ، ثم قال (لعلكم تتقون) جعله المفسر تعليلا لشرع القصاص وقدرله (شرع) اي لما كان فى القصاص حياة لكم كتبناه عليكم وشرعناه لكم لعلكم تتقون الاعتداء ،

وتكفو ن عن سفك الدماء، وقال الاستاذ الامام ان هذا لا بأس به والمشروعية مفهومة من الآية وإيجاز القرآن يقتضي عدم التصريح بها لأجل التعليل كما صرح به في الآية التي قبلها « كتب عليكم » ويمكن ان يستغنى عن تقدير « شرع » ويتعلق الرجاء بالظرف في قوله « ولكم في القصاص حيوة » اي ثبتت لكم الحياة في القصاص لتعدّكم وتهيئكم للتقوى والاحتراس من سفك الدماء، وسائر ضروب الاعتداء، اذ العاقل حريص على الحياة ولوع بالأخذ بوسائلها، والاحتراس من غوائلها،

فتاوى المنار

فتحنا هـذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

أسئلة هندية

وردت هذه الاسئلة الستة من الهند على الاستاذ الامام مفتي الاسلام في مصر فأرسلها الينا لنجيب عنها لكثرة الشواغل عنده ولثقته بتحري تلميذه الصواب

تلقيح للجدري والطاعون وغيرهما

(س ٧٣) الطيب المولوي نور الدين المفتي في بنجاب (الهند) : ايجوز التلقيح للجدري والطاعون والهواء الأصفر (أي الهيضة الوبائية) والافرنجي مثلا

(ج) لا وجه لتحريم التلقيح لهـذه الامراض ولغيرها فان التلقيح ضرب من ضروب الوقاية الثابتة بالتجربة الصحيحة المتواترة وتوقي المضار واجب شرعا بالاجماع فما تعين سببا للوقاية وجب الاخذ به عند ظن التعرض للضرر وما جاز أن يكون سببا تجوز تجربتـه اذا لم يكن في التجربة محظور آخر كضرر محقق أو مظنون اذ لايجوز ارتكاب الضرر لتوهم المنفعة . وهـذه المسائل ترجع الى قاعدة وجوب

دفع المضار وجلب المنافع وقاعدة تعارض المعلوم والموهوم وقاعدة ارتكاب أخف الضررين وعلماء هذه الديار متفقون على جواز التلقيح لاجل الوقاية من الجدري حتى انه لايقبل في الجامع الازهر تلميذ الا اذا لقح بلقاح الجدري

التداوي بالادوية الافرنجية

(س ٧٤) ومنه أيجوز التداوي بالأدوية الافرنجية وفيها الكحول وأنواع من الرطوبات المحرمة

(ج) يجوز التداوي بكل ماثبت للطبيب فائدته في إزالة المرض أو تخفيفه عملا بعموم ما أجمعوا عليه من جواز التداوي ولايستثنى الا ماحرم بالنص كالخمر ولحم الخنزير اذا كان غيره يقوم مقامه ويستغنى به في التداوي عنه وأما اذا تعين دواء فانه يصير مضطرا اليه «فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه» وأما الكحول فليس محرما بالنص ولاوجه لتحريم كل ما كان جزءاً طبيعيا أو كيماويا من الخمر وانما يحرم كل مسكر وكل ضار والدواء نافع غير مسكر فلا وجه للقول بحريمه الا من يستحل التشريع بفلسفته فيحرم برأيه ماجعله الله سببا لمنفعة الناس . وقد سئلنا من قبل عن طهارة هذا الكحول أو الغول ونجاسته فبينا بالدلائل الواضحة أنه طاهر فليراجع ذلك في المجلد الرابع من المنار

الشهادة بالتلغراف

(س ٧٥) ومنه : أتجوز الشهادة بالتلغراف وعليه المجوس والنصارى

(ج) خبر التلغراف لايسمى شهادة عند الفقهاء فلا يعملون به فيما يتوقف إثباته على شهادة الشهود وإنما هو خبر كالكتابة فينبغي أن يعمل به حيث يعمل بالكتابة بشرطها وهو الامن من التزوير فاذا لم يكن هناك ثقة بأن هذا التلغراف من فلان فكيف يوثق بمضمونه وأما إذا كان هناك ثقه بأن هذا التلغراف من فلان فحكمه حكم خبره ولايخفى أن خبر المجوسي والنصراني يعمل به في إقراره وفى شهادته على مثله اتفاقا . هذا مايظهر من نصوص الفقه وأقيسته . وإذا رجعنا الى أصل الكتاب والسنة وحكم التشريع يتجلى لنا أن البينة فى الشرع هي كل مايتبين به الحق بحيث يثق الحاكم أو غير الحاكم بان هذا الشيء صحيح أوغير صحيح فمن التلغرافات

ماترسله الحكومة الى عمالها فلا يشكون في صحة مضمونه وكونه من الحكومة، ومنها مايرسله تاجر الى آخر فلا يشك فى كونه منه، ومنها مايشك في مرسله أو في مضمونه أو فيهما معا ولكل خبر حكمه . وما ذكرناه فى معنى البينة قد أوضحه ابن القيم في كتابه (أعلام الموقعين) واستدل عليه بالكتاب والسنة والعقل فليراجع ذلك فيه أو في ص ١٧٠ من مجلد المنار الخامس

الزكاة والضرائب على الارض فى دار الحرب

(س ٧٥) ومنه : النصارى يأخذون من الاراضي في الهند قريبا من النصف أو الربع (أي من ريعها) فهل يعد ذلك من أصل مايجب إخراجه من العشر أو نصف العشر (وفي أصل السؤال ربع العشر وهو زكاة النقدين)

(ج) أن مايجب من العشر أو نصف العشر من غلات الارض هو من مال الزكاة التي يجب صرفها في مصارفها الثمانية المنصوصة أو مايوجد منها فاذا أخذها عامل الامام فى دار الاسلام برئت منها ذمة صاحب الارض ووجب على الامام أو عامله صرفها لمستحقيها وإذا لم يأخذها العامل وجب على المالك وضعها حيث أمر الله ٠ وما يأخذه النصارى وغيرهم على الأرض التي تغلبوا عليها يعد من الضرائب ولا تسقط به الزكاة فيجب على المسلم أن يخرجها مما بقي له من الغلة حتما بشرطها

انتفاع المرتهن بالمرهون

(س ٧٦) ومنه : هل يجوز انتفاع المرتهن بالمرهون

(ج) جمهور العلماء ومنهم أبو حنيفة ومالك والشافعي على انه لايجوز للمرتهن أن ينتفع بالرهن لأنهم يعدون ذلك من الربا هذا هو دليلهم وماروووه فى الاحتجاج له من حديث أبي هريرة عند الشافعي والدارقطني والحاكم والبيهقي وابن حبان « لايغلق الرهن من صاحبه الذي رهنه له غنمه وعليه غرمه » لايصح له سند موصول يحتج به وهو معارض بما احتج به مجيزو الانتفاع ومنهم أحمد واسحق والليث والحسن وهو حديث أبي هريرة عند البخاري وأبي داوود والترمذي وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: « الظهر يركب بنفقته اذا كان مرهونا ولبن الدر يشرب بنفقته اذا كان مرهونا وعلى الذي يركب ويشرب النفقة» فهذا

الحديث يدل على أن الانتفاع بالرهن مشروع فى الجملة وانه ليس من الربا فمن أراد الحق بدليله فهو جواز الانتفاع مالم يكن هناك احتيال على الربا أو شرط عدم الانتفاع برضى المرتهن ثم غدر وخالف الشرط والله أعلم

الحكم بالقوانين الانكليزية فى الهند

(س ٧٧) ومنه: أيجوز للمسلم المستخدم عند الانكليز الحكم بالقوانين الانكليزية وفيها الحكم بغير ما أنزل الله

(ج) أن هذا السؤال يتضمن مسائل من كبر مشكلات هذا العصر كحكم المؤلفين للقوانين وواضعيها لحكوماتهم وحكم الحاكمين بها والفرق بين دار الحرب ودار الاسلام فيها . واننا نرى كثيرين من المسلمين المتدينين يعتقدون أن قضاة المحاكم الاهلية الذين يحكمون بالقانون كفار أخذاً بظاهر قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ويستلزم الحكم بتكفير القاضي الحاكم بالقانون تكفير الأمراء والسلاطين الواضعين للقوانين فانهم وان لم يكونوا ألفوها بمعارفهم فانها وضعت بإذنهم وهم الذين يولون الحكام ليحكموا بها ويقول الحاكم من هؤلاء أحكم باسم الامير فلان لانني نائب عنه باذنه ويطلقون على الأمير لفظ (الشارع)

أما ظاهر الآية فلم يقل به أحد من أئمة الفقه المشهورين بل لم يقل به أحد قط فان ظاهرها يتناول من لم يحكم بما انزل الله مطلقا سواء حكم بغير ما أنزل الله تعالى أم لا وهذا لا يكفره أحد من المسلمين حتى الخوارج الذين يكفرون الفساق بالمعاصي ومنها الحكم بغير ما أنزل الله . واختلف أهل السنة فى الآية فذهب بعضهم الى أنها خاصة باليهود وهو مارواه سعيد بن منصور وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال : انما أنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون فى اليهود خاصة : وأخرج ابن جرير عن أبي صالح قال الثلاث الآيات التي في المائدة « ومن لم يحكم بما أنزل الله » الخ ليس في أهل الاسلام منها شيء هي في الكفار وذهب بعضهم الى أن الآية الأولى التي فيها الحكم بالكفر للمسلمين والثانية التي فيها الحكم بالظلم لليهود والثالثة التي فيها الحكم بالفسق للنصارى وهو ظاهر السياق . وذهب آخرون الى العموم فيها كلها ويؤيده

قول حذيفة لمن قال إنها كلها في بني إسرائيل : نعم الاخوة لكم بنو إسرائيل ان كان لكم كل حلوة ولهم كل مرة كلا والله لتسلكن سبيلهم قدّ الشراك : رواه عبد الرزاق وابن جرير والحاكم وصححه وأول هذا الفريق الآية بتأويلين

فذهب بعضهم الى أن الكفر هنا ورد بمعناه اللغوي للتغليظ لا معناه الشرعي الذي هو الخروج من الملة واستدلوا بما رواه ابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في السنن عن ابن عباس (رض) أنه قال في الكفر الواقع في احدي الآيات الثلاث : إنه ليس بالكفر الذى تذهبون اليه إنه ليس كفرا ينقل عن الملة كفر دون كفر:

وذهب بعضهم الى ان الكفر مشروط بشرط معروف من القواعد العامة وهو ان من لم يحكم بما أنزل الله منكرا له أو راغبا عنه لاعتقاده بأنه ظلم مع علمه بأنه حكم الله أو نحو ذلك مما لايجامع الايمان والاذعان. ولعمري أن الشبهة في الامراء الواضعين للقوانين أشد والجواب عنهم أعسر ، وهذا التأويل في حقهم لا يظهر ، وان العقل ليعسر عليه ان يتصور ان مؤمنا مذعنا لدين الله يعتقد ان كتابه يفرض عليه حكما ثم هو يغيره باختياره ويستبدل به حكما آخر بارادته اعراضا عنه وتفضيلا لغيره عليه ويعتقد مع ذلك بإيمانه واسلامه. والظاهر ان الواجب على المسلمين في مثل هذه الحال مع مثل هذا الحاكم ان يلزموه بابطال ماوضعه مخالفا لحكم الله ولايكتفوا بعدم مساعدته عليه ومشايعته فيه فان لم يقدروا فالدار لا تعتبر دار اسلام فيما يظهر، وللاحكام فيها حكم آخر، وهنا يجيء سؤال السائل وقبل الجواب عنه لابد من ذكر مسألة يشتبه الصواب فيها على كثير من المسلمين وهي

اذا غلب العدوّ على بعض بلاد المسلمين وامتنعت عليهم الهجرة فهل الصواب ان يتركوا له جميع الأحكام ولايتولوا له عملا أم لا ؟ يظن بعض الناس ان العمل للكافر لايحل بحال والظاهر لنا ان المسلم الذى يعتقد انه لاينبغي ان يحكم المسلم إلا المسلم وان جميع الاحكام يجب ان تكون موافقة لشريعته وقائمة على أصولها العادلة ينبغي له أن يسعى فى كل مكان باقامة مايستطيع اقامته من هذه الاحكام وان يحول دون تحكم غير المسلمين بالمسلمين بقدر الامكان. وبهذا القصد يجوز له أو يجب عليه ان يقبل العمل في دار الحرب الا اذا علم أن عمله يضر المسلمين ولاينفعهم بل يكون

نفعه محصورا في غيرهم ومعينا للمتغلب على الاجهاز عليهم واذا هو تولى لهم العمل وكلف بالحكم بقوانينهم فماذا يفعل وهو مأمور بأن يحكم بما أنزل الله

أقول ان الاحكام المنزلة من الله تعالى منها مايتعلق بالدين نفسه كأحكام العبادات ومافي معناها كالنكاح والطلاق وهي لاتحل مخالفتها بحال ومنها مايتعلق بأمر الدنيا كالعقوبات والحدود والمعاملات المدنية والمنزل من الله تعالى في هذه قليل وأكثرها موكول الى الاجتهاد وأهم المنزل وآكده الحدود في العقوبات وسائر العقوبات تعزيز مفوض الى الى اجتهاد الحاكم والربا في الاحكام المدنيـة ٠ وقد ورد في السنة النهي عن اقامة الحدود في أرض العدو وأجاز بعض الائمة الربا فيها بل مذهب أبي حنيفـة أن جميع العقود الفاسدة جائزة في دار الحرب واستدل له بمناحبة (مراهنة) أبي بكر (رض) لابيّ بن خلف على ان الروم يغلبون الفرس في بضع سنين وإجازة النبي (ص) ذلك وصرحوا بعدم اقامة الحدود فيها روي ذلك عن عمر وأبي الدرداء وحذيفة وغيرهـم . وبه قال أبو حنيفة قال في أعلام الموقعين : «وقد نص أحمد واسحق بن راهويه والاوزاعي وغيرهم من علماء الاسلام على ان الحدود لاتقام في أرض العدوّ وذكرها أبو القاسم الخرقي في مختصره فقال لايقام الحد على مسلم في أرض العدوّ وقد أتي بسر بن أرطاة برجل من الغزاة قد سرق مجنة فقال لولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لاتقطع الايدي في الغزو لقطعتك» : رواه أبو داود وقال أبو محمد المقدسي وهو اجماع الصحابة. روى سعيد بن منصور في سننه باسناده عن الاحوص بن حكيم عن أبيه ان عمر كتب الى الناس ان لايجلدوا أمير جيش ولا سرية ولا رجلا من المسلمين حدا وهو غاز حتى يقطع الدرب قافلا لئلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالكفار وعن أبي الدرداء مثل ذلك :ثم ذكر ترك سعد إقامة حد السكر على أبي محجن في وقعة القادسية وذكر أنه قد يحتج به من يقول لاحد على مسلم في دار الحرب كما يقول أبو حنيفة ولكنه علله تعليلا آخر ليس هذا محل ذكره وانظر تعليل عمر تجده يصح في بلاد الحرب

فعلم مما تقدم أن الاحكام القضائية التي أنزلها الله تعالى قليلة جدا وقد علمت ماقيل في اقامتها في دار الحرب لاسيما عند الحنفية فاذا كانت الحدود لاتقام هناك فقد عادت أحكام العقوبات كلها الى التعزير الذي يفوض الى اجتهاد الحاكم والاحكام

المدنية أولى بذلك لأنها اجتهادية أيضا والنصوص القطعية فيها عن الشارع قليلة جداً واذا رجعت الاحكام هناك الى الرأي والاجتهاد في تحري العدل والمصلحة وأجزنا للمسلم ان يكون حاكما عند الحربي فى بلاده لأجل مصلحة المسلمين فالذى يظهر أنه لابأس من الحكم بقانونه لاجل منفعة المسلمين ومصلحتهم فان كان ذلك القانون ضاراً بالمسلمين ظالما لهم فليس له ان يحكم به ولاأن يتولى العمل لواضعه إعانة له

وجملة القول أن دار الحرب ليست محلا لاقامة أحكام الاسلام ولذلك تجب الهجرة منها الا لعذر أو مصلحة للمسلمين يؤمن معها من الفتنة في الدين وعلى من أقام ان يخدم المسلمين بقدر طاقته ويقوي أحكام الاسلام بقدر استطاعته ولا وسيلة لتقوية نفوذ الاسلام وحفظ مصلحة المسلمين مثل تقلد أعمال الحكومة لاسيما اذا كانت الحكومة متساهلة قريبة من العدل بين جميع الامم والملل كالحكومة الانكليزية. والمعروف أن قوانين هذه الدولة أقرب الى الشريعة الاسلامية من غيرها لانها تفوض أكثر الامور الى اجتهاد القضاة فمن كان أهلا للقضاء فى الاسلام وتولى القضاء فى الهند بصحة قصد وحسن نية يتيسر له ان يخدم المسلمين خدمة جليلة . وظاهر ان ترك أمثاله من أهل العلم والغيرة للقضاء وغيره من أعمال الحكومة تأثما من العمل بقوانينها يضيع على المسلمين معظم مصالحهم فى دينهم ودنياهم وما نكب المسلمون فى الهند ونحوها وتأخروا عن الوثنيين الا بسبب الحرمان من أعمال الحكومة. ولنا العبرة فى ذلك بما يجري عليه الاوربيون في بلاد المسلمين اذ يتوسلون بكل وسيلة الى تقلد الاحكام ومتى تقلدوها حافظوا على مصالح أبناء ملتهم وجنسهم حتى كان من امرهم في بعض البلاد ان صاروا أصحاب السيادة الحقيقية فيها وصار حكامها الاولون آلات فى أيديهم

والظاهر مع هذا كله ان قبول المسلم للعمل في الحكومة الانكليزية في الهند (ومثلها ماهو فى معناها) وحكمه بقانونها هو رخصة تدخل فى قاعدة ارتكاب أخف الضررين ان لم يكن عزيمة يقصد بها تأييد الاسلام وحفظ مصلحة المسلمين . ذلك ان تعده من باب الضرورة التي نفذ بها حكم الامام الذى فقد أكثر شروط الامامة والقاضي الذي فقد أهم شروط القضاء ونحو ذلك فجميع حكام المسلمين في أرض الاسلام اليوم حكام ضرورة. وعلم مما تقدم ان من تقلد العمل للحربي لأجل ان يعيش براتبه فهو ليس عن أهل هذه الرخصة فضلا عن ان يكون من أصحاب العزيمة والله أعلم

القسم العمومي

أسباب ضعف المسلمين وعلاجه _ تتمة

وحيث أنه وضح مما تقدم سبب سقوط المسلمين ثم خمولهم وتأخرهم في حلبة الترقي والسياسة فمما لايخفى على كل عاقل انه اذا عرف المرض سهل الدواء اذا بقي من الاستعداد الطبيعي بقيـة يمكن معه الحياة وغير خاف أيضا انه لايمكن حياة الامة الاسلامية الا بعود المسلمين الى دينهم الذى به سعادتهم في الدنيا والآخرة أماما ذكره الاخ رفيـق من دعوة المسلمين الى ترك الدين جانبا والسياسة جانبا فهو أبعـد كل بعيد ودونه خرط القتاد ومن المحقق أن من دعا المسلمين الى ذلك لايجاب ، ولو أقام على دعوته الى يوم الحساب ، كما أن دعوته فى نفسها غير صواب ، والحقيقة بخـلاف ذلك فان دعوتهم الى دينهـم الخالص أنفع لمرضهم ومن البين الذي حققته التجارب أن تأثر المسلمين ونشاطهم الى اجابة دعوة دينهـم أسهل كل سهل وذلك كما جابهم لدعوة فلان وفلان وفلان في كل مكان وزمان فلا حاجة الى الاطالة بالتفصيل والبيان

ودين الاسلام كما انه أكمـل الاديان وأعدلها فسياسته أعـدل كل سياسة يمكن البشر ان ينضموا اليها الا وهي وضع كل شيء في الموضع الذي يناسبه والأخذ بالاصلح والسعي فى أسهل الطرق وأقربهـا الى نيل المراد وأن ينتخب من كل شي أزكاه ، لتكميل وجوده وبقاه ، ويصطفى لـكل شيء كفوه وهذه هي سنة الله في أمره الشرعي والكوني ومقتضى حكمته الكاملة ودلت على حسنه ووجوبه الفطر والعقول ايضاً وهو علامة الكمال والاستواء في الامور الكونية الطبيعية والانتظام البشري

اما كونه سنة الله وحكمته في الخلق والتكوين فذلك بين لمن تفكر في نفسه وفي الآفاق ودونك مثالا واحدا لتقيس عليه وهو انتخاب موضع البصر في الرأس ثم وضعه في الوجه لا فى القفا لأن الإنسان ذو إرادة للفعل والترك والاخير عدم وفعله الطبيعي اتجاه وجهه، وتعيين مراده المحسوس موقوف على رؤيته، فكانت الحـكمة انتخاب الباصرة فى هذا الموضع وهناك حكم وأسرار كثيرة للمتبصرين . وكذلك الانسان والشجر عند كماله واستوائه ينتخب منه لبقاء نوعه خلاصته فيلد ويثمر والله ينتخب ويصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وهو يعلم حيث يجعل رسالته ومن يصلح لها وكلام الحكماء

والعقلاء في الانتخاب للرأي والمشورة لا يمكن استقصاؤه وقد فطر بنو آدم على التعاون في افعالهم واقوالهم فالله جل شأنه كما اختار نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا الى الناس كافة وختم به الرسالة واختار امته وجعلها خير امة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يقرون ظالما على ظلمه اي ينبغي ان يكون هذا شأنهم أمرهم ان تخلقوا باخلاقه تعالى التي يليق ان يتخلقوا بها كما يروى تخلقوا باخلاق الله ومعنى هذا الحديث صحيح فى الدين ودلت الشريعة على ان ماراه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن

فمن تلك السياسة الاجتماعية ان الله فوض الى الامة الاسلامية انتخاب الخليفة وتعيينه من عائلة الخلافة واعظم دليل على ذلك مفارقته (ص) هذه الدار ولم يعهد فى امر الخلافة بشئ ولما كان بديهيا ومعلوما لديهم ذلك من دينهم لم يوصهم (ص) بغير الكتاب والسنة كما تقدم وايضا من الادلة القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ان الخلافة الشرعية لاتثبت لأحد الا بعد البيعة الاختيارية من اهل الحل والعقد ثم عامة المسلمين فى سائر البلاد بواسطة امراء الاسلام يدل على ذلك قول امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في بيعة ابي بكر الصديق رضي الله عنه : إنها فلتة وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه : وتأمل قوله فاقتلوه الى من يعود الضمير ويدل على ذلك قوله تعالى الذى هو اصل كل دليل فى ذلك وهو « وامرهم شورى بينهم » اي شأنهم ذلك أو كما تقول المال بين فلان وفلان اي مشترك بينهما والخبر يكون للامر بل هو آكد من مجرد الأمر كما ذكر ذلك فى موضعه وقد جاء الامر فى الآية الاخرى صريحا اذ قال لنبيه « وشاورهم فى الامر » ودخول الامة من باب أولى اذ انه (ص) غني عن رأيهم بالوحي وذلك ليس لهم ومن أدلة ماذكرناه ما قد تواترت به الاحاديث والآثار من تسمية أموال الملك بيت مال المسلمين ولم يرد انها مال السلطان او خزينته

ومنها انتخاب سائر الامراء والعمال فقد ورد عنه (ص) انه قال من ولّى على قوم او جماعة اميرا وهو يرى فيهم أفضل منه فعليه لعنة الله

ومنها وجوب العمل بالمشورة على الإمام غير النبى (ص) وتعيين الصالحين والعقلاء

لما للآيات المتقدمة التي عمل بمقتضاها الخلفاء الراشدون. ذكر في كنز العمال ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان اذا نزل به امر دعا رجالا من المهاجرين والانصار ودعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبيّ ابن كعب وزيد ابن ثابت. ثم ولي عمر رضى الله عنه فكان يدعو هؤلاء وصح ان اهل مجلس شورى عمر رضي الله عنه اهل الصفة وليس وجوب العمل بالمشورة مقصورة على الخليفة فقط بل هي واجبة على سائر الامراء والعمال فقد صح أنهم كانوا يوصونهم بأخذ رأي من يحضرهم من عقلاء المسلمين بل كانوا يعينون لهم افرادا للرأي والمشاورة ذكر في كنز العمال ان الصديق رضي الله عنه اوصى شرحبيل بن حسنة وكان أحد الامراء اذا نزل بك الامر يحتاج فيه الى رأي التقي الناصح فليكن اول من تبدأ به ابو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل واليك ثالثا خالد بن سعيد واياك واستبداد الرأي عنهم او تطوي عنهم بعض الخبر وكانو يسألون الأمة عن سيرة أمرائهم ويتفاقدون رضاء الامة عن اولئك الامراء وهذا هو الانتخاب اليوم عند اهل الغرب او مثله ولا اختلاف الا في العبارات واللفظ

ومن تلك السياسة الاجتماعية الشرعية ان المسلمين يسعى بذمتهم ادناهم ومن خفره فى ذمته فعليه لعنة الله كما صح عنه ذلك صلى الله عليه وسلم

ومنها ايجاب الزكاة على أغنيائهم لترد على فقرائهم ومنافعهم الاجتماعية

ومنها إيجاب الاستعداد الجندي على كل فرد فرد وحرّم القمار عليهم الا في ذلك وهل يجوز القمار مع غير اهل ملتنا فيه خلاف يذكرونه في تفسير «الم غلبت الروم»

ومنها تحريم الرباء فيما بينهم مطلقا واما مع غير اهل ملتهم فمحل اجتهاد وفى ذلك خلاف.

ومنها وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى غير ذلك مما لا يتسع المقام لبسطه

فبتركنا ذلك وأضعاف أضعافه مما يدل عليه الشرع ويسلم به كل عقل سليم صرنا الى ماصرنا اليه وقد اوصى عليه الصلاة والسلام امته باهل الذمة وأكد وكان الخلفاء الراشدون اذا أقاموا اميراً من المسلمين في ناحية يكون بها أحد من اهل الذمة اقاموا من تحته أميراً من اهل الذمة على قومه وشدد رسول الله (ص) في الوصية بالقبط وقال «استوصوا بهم خيراً فان لهم رحما وقرابة» ولو أن المحل يحتمل الاطالة لأتينا بما لم

يكن في حساب من تأكيده (ص) الوصية بجيراننا واخواننا الوطنيين الذين تأكدت بيننا وبينهم عهود الله وذمته

وقد يعترض بأنه اذا لم تعزل السياسة جانبا عن الدين فاي فائدة فى الشورى وان تقدم اهل الغرب انما ثبت واستقر لهم بمنعهم كل تداخل ديني فى أمور السياسة والملك؟ وقد يقال ايضا ان كثيرا من احكام الدين وعقوباته غير مناسبة للزمان ومصلحته والجواب عن الاعتراض الاول ان فائدة مجلس الشورى هي النظر في جميع المسائل الاجتهادية أعني غير المنصوصة فى الكتاب والسنة كالنظر فى اصلاح البلاد والعباد بالعلوم والتجارة والصنائع المختلفه وحفظ الامة عن الاختلافات ووضع القوانين لذلك واصلاح اهل الذمة الى غير ذلك من الفوائد التي يعسر حصرها ومن تلك الفوائد ما يأخذه السلاطين عشورا من تجار المسلمين وهو محرم في دين الاسلام فيمكن اذا كان اركان مجلس الشورى منتخبين من سائر بلاد المسلمين برضاهم ووكلاء عنهم كل عن جهته وبلاده فهو يتطوع عن اهل جهته بذلك المقدار او اكثر منه وحيث انه وكيل عنهم فى ذلك الشيء وغيره فلا يبعد ان يحل ذلك لدى كل منصف من اهل العلم لا التقايد محل القبول الى غير ذلك من فوائد يالها من فوائد. وكثير من المسائل الشرعية قد تتبدل تبدلا وقتيا تبعا لمصلحة الازمنة والامكنة ولكنها تعود الى اصلها بانتفاء المقتضي وهذه ايضا تفوض الى رأي المسلمين ومشورتهم وقد ذكر ذلك علماء الإسلام

أما الاعتراض الثاني فيقال فى جوابه انه لم يعرف في دين النصرانية ذكر للسياسة فضلا عن أن يقال انهم تركوها جانبا أو يقال لعل سياسة دينهم غير موافقة لمصلحة الزمان وعرفوا ذلك بعقولهم كما هي منسوخة لدينا لتلك العلة

واذا عرفت بهذا اصلاح السياسة الدينية الاسلامية وان أهل الغرب لم يستطيعوا أن يأتوا باحسن منها ولا أنسب للزمان منها بل سياستهم انما هي مستفادة من الاسلام والمسلمين أفلا نكون أولى منهم بها لدلالة العقل على حسنها ولكونها حكما دينيا شرعه الله لنا نثاب عليه ونسعد به في دنيانا وبعد موتنا

بقي الجواب عن الاعتراض الثالث وقد ذكر هذا الاعتراض صاحب المنار لبعض أمراء مصر وهو انه كان يقول : لايمكن أن تعمل الامة في هذا القرن بما وضع للعرب

من نحو ثلاثة عشر قرنا تقريبا؛ وقول بعضهم خلاف مصلحة الزمان ونعوذ بالرحمن من الكفر والخذلان، وما مرادهم بمصلحة الزمان وليس الزمان الا تعاقب الليل والنهار ولاتنسب اليه مصلحة ولامفسدة، فيتعين أن يكون المراد أهل الزمان الذين منهم الكافر والمسلم فان كان مراد هذا المعترض المخذول أن شريعة الاسلام خلاف مصلحة المسلمين فقد كذب وافترى فان مخالفة المصلحة لابد من بيانه فاما أن يقول ان شريعة الاسلام مانعة عن الترقي للمسلمين وقد عرفت فيما مضى أن كل ترق ظهر على وجه الارض بعدها انه من بركة الاسلام وشعاع من مشكاته وإما أن يقول إن المسلمين يستثقلون الاحكام الشرعية وينزعون الى مخالفة سلطانهم اذا أجراها عليهم وهذا أبعد كل بعيد فان جميع المسلمين في جميع أقطار الارض لايسرهم الا إقامة شريعتهم وكل سلطان يخالفها فهو ممقوت لديهم لايمنحونه وداً ولايرون له طاعة واذا كانت شريعة الاسلام بهذه المنزلة في اعتقاد أمة الاسلام فما بال المتحذلقين يضعون قوانين على المسلمين لايرضون بها وترى الامة أنها مخالفة لمصلحتها؟ مالنا ولتلك القوانين ان كان أهل أوربا رضوا بها فلأنفسهم على أنهم ما اختاروها الالأن قومهم رضوا بها

هذا مايقال فى سد النزاع من أصله اما لو تشعبت المسائل الشرعية والقانونية مع بيان عللها واسرارها وغاياتها ومصالحها ودفع المفاسد ثم المعادلة بين الجرم وعقابه بعد تنزيل الجرم منزلته مع بيان ماينتج عنه من المفاسد فمن أمعن النظر لم يبق له شك ولا التباس في ان شريعة دين الأسلام هى الأوفق بمصلحة كل زمان وانها الموافقة للمقول وهى فطرة الله التي فطر الناس عليها ومن غير الفطرة فإثمه عليه اللهم أحينا مؤمنين وأمتنا مؤمنين

وفي الحقيقة مثل هؤلاء المعترضين لايقولون عن معرفة وعقل ولا يرمون لغاية واصلاح فقولهم هذر لايعبأ به اذ ليس اعتراضاتهم الاعن دهشة وعجز وجبن يرومون به إرضاء اعدائهم الذين لاغرض لهم الا اغتصاب بلادنا ودحرنا عنها فالمعترضون لن يرضى عنهم هؤلاء المغتصبون ابداً وقد أغضبوا ربهم ونبيهم وامتهم فباؤا بغضب على غضب وسيصيرون الى عذاب اليم ان لم يقلعوا ويفيئوا

فيا أمراء المسلمين ان الغربيين لايتقربون اليكم بتودد المخادعة محبة لذواتكم الشخصية

فلا تنخدعوا لهم ما ذلك بل تلطفا لينالوا مرامهم ولئلا تنفروا وتنبوا عنهم. ألا انما هي مزاحمة عدو حاذق ليسلبوا منكم كل سعادة يسعون لذلك سعيا حثيثا وانتم لا تشعرون، كمثل الظل يرى واقفا وهو يسير أسرع سير الى ان يغشى كل شيء، ثم يشتد ظلامهم فيعطل كل تميز وادراك، او كمن رآك بمجلس فارغا فجعل يمازحك بغاية الحذق ويزاحمك فان رآك انكرته لاطفك قائلا: إن من ورائي من يدفعني ويدفعك ومضايقتي لك انما هي سبب مدافعتي عنك: ولا يزال كذلك حتى يخرجك وقد تمكن في موضعك فيدعي انه حقه وانه مستحقه فان شئت فقف حيث توضع النعال، فليس لك من هذا الصاحب المهذب الا الاذلال،

يا أمراء المسلمين راقبوا الله في قومكم وأبناء وطنكم ان ثروتكم ورغد عيشكم ونيلكم هذه المناصب انما هو بهم والنصح والاخلاص لكم محال من سواهم فلا تبطروا ولا يغرنكم ركوب العربات مع اهل الغرب ونسائهم تلكم مصانعة موقتة للحصول على مطالبهم ومداهنات محفوفة بغايات والا فما هي العلة؟ ألرحم قرابة أم لاتحاد وطن أم لرابطة دين؟ (١) فراقبوا الله فينا وفي بلادكم واولادكم والغيرة الغيرة على شرفكم وحريمكم، اتعجزون عن خداع من خادعكم، اليس يقال: رب حيلة خير من قبيلة: والعاقل قد يحتال بالزمان والمصلحة، ويتعلل بخوف الفساد والامة، ومن يوم ليوم الى ان تتوفر لديه العدة ويستكمل القوة وينشأ في قومه الاكفاء، ماهذا الخوف والجبن فان احداً لا يستطيع ان يسأل السيف وانما هي مخادعة في السياسة وترهيبات ان قاومها ثبات اصبحت اضغاث أحلام والسعيد من اعتبر بغيره

ثم لينظر العاقل الى اهل الهند وبأي الحيل خدعت سلاطينهم ثم الى اي حالة انقلبت حالة اولاد اولئك السلاطين والامراء المترفين تراهم في انحاء البلاد يتكففون الناس مع الفقراء والمساكين. تلك جناية آبائهم على بلادهم وقومهم احلت النقمة باولادهم اكثر منها بالرعية لان الرعايا لا يزالون كما كانوا سابقا يتكسبون لمعاشهم بل هم الآن يتكسبون اكثر ولا يحيق المكر السيء الا بأهله

ويامعشر المسلمين ياإخواني ياأولياء الغيرة يامعشر المصريين بشرفكم الا ماقلتم لبيك

(١) حذفنا من هنا نبذة في عزيز مصر ونظار حكومته اذ لم نر لنصحه فيها فائدة

لبيك إجابة لمستغيث تقطعت احشاؤه غما وكآبة عليكم فأنتم قومه وأمته ورأس ماله وربحه بل اعز عليه من روحه. ان لي فيكم ايها المصريون املا وطيداً امنيتي اليكم ان تألفوا لجنة تسمونها مجلس الاسلام او ما شئتم ان تسموها يشترك فيها كل من اخاص لقومه وملكه حبه وغرق في عشقهم اولئك الذين لا يهابون الخطوب ولا تعوقهم المصائب عن السعي في فلاح قومهم ونجاتهم وأشركوا فيها كل من يصلح للاشتراك من سائر طوائف المسلمين. وعلى اهل هذه اللجنة ان يبثوا الوعاظ الأمناء العقلاء في سائر انحاء بلاد المسلمين يدعونهم الى الوفاق وترك التقليد الذى فرقهم واضاع عليهم دينهم وبلادهم، واوقعهم فيما هم فيه من الجهد وعدم مجاراة الامم المتمدنة. واهل هذه اللجنة يؤلفون وفداً من كبارهم وعقلائهم يوجهونه الى حضرة السلطان الخليفة الاعظم رأسا واذا لاقوه يبينون له حالة المسلمين وأسباب وهنهم وكذلك يبينون له كل اختلال واقع فى بلاده ويلتمسون ان يوافقهم على اقامة مجلس شورى للمسلمين يرأسه السلطان نفسه شبيه بامبراطورية الجرمان او برلمان انكلترا. مجلس شورى المسلمين تتألف اركانه من جميع طوائف المسلمين وكل امير من امراء المسلمين يكون له نائب في ذلك المجلس من عرب نجد وحضرموت واليمن والحجاز والعراق ومصر الى غير ذلك ومن أكراد وترك وغيرهم واهل هذه اللجنة اثناء عملهم يتناوبون فى اقامة جماعة منهم في الاستانة. ويكون مقر لجنة الاسلام في مصر ومن مصر يبعثون الوفود الى سائر بلاد الاسلام وكذلك الدعاة والوعاظ ليسود الأمن والامان ، لا للحرب والطعان ، بل لاشاعة العلوم وانقاذ المظلوم ، ثم ان كل امير يبقى اميراً على امارته ويعقد بها مجلس شورى ايضا وكل هذه الاشياء بانتخاب الامة كشأن اهل الغرب لكن على طريق الشرع

ومجلس الشورى يقنن القوانين في المسائل غير المنصوصة شرعا ويعقد المعاهدة بين جميع الامراء وبين الخليفة الاعظم ويتعاهد بلادهم ويرسل اليها العلماء والحكماء والمهندسين والنفقات في ذلك عليهم بالمعروف ويحملهم على إنشاء المدارس وتأمين الطرق ومنع الظلم وفتح ابواب التجارة وليصلحوا من شأنهم وجنودهم بكل قوة وعدة يستطيعون بها دفع هجوم قطاع الطريق وكل فساد . وهم تبع لخليفتهم امام العدل والامان وجندهم مع جنده جند سلطنة واحدة

هذا ما ادعوكم إليه وهو لا ينقص فائدة عن المدارس التي تصرفون فيها الألوف من الدنانير بل لا نسبة بين ذا وذا واين الثريا من الثرى. انكم ان فعلتم ذلك فقد بؤتم بالشرف وسدتم جميع المسلمين وكنتم السبب في نجاتهم والله كفيل لكم بالنصر والفلاح والتأييد واعلموا انكم ان رمتم ذلك الاصلاح لتجدن في طريقه مقاومات ودسائس وعراقيل ولكن من صبر ظفر ومن سار على الدرب وصل ولا جبن يطول عمرا ولا شجاعة تقصره وان تم لكم هذا المرام فمن ذا الذي يمكنه ان يطمع في بلادكم او يتجرأ عليكم بالتهديد واثارة الفتن وهل يمكن اي طماع ان يتصور في ذهنه تقسيم بلادكم واحتلالها والحق لا يعدم نصيرا فان في اهل اوربا الحكماء والعقلاء المولعين بحب النوع الانساني بغير تمييز بلاد وقوم فهم بلا شك يساعدون في فعل هذا الخير العميم

وقد اثبت في هذه الرسالة سبب سقوط المسلمين ثم سبب خمودهم في هذه الفترة واعقبت ذلك بالدواء النافع لهذا المرض وهو ليس بالشديد ولا بالصعب المتعذر في جانب المضار المترقبة المقبلة على سائر الامة والبلاد انما ذلك يستدعي تدبيراً وسياسة وصبرا وتجديد أمل بعد أمل من غير يأس وقنوط وفي مدة قريبة تتبين الفائدة بيانا واضحا ولتسمعن من بدو الجبال فضلا عن اهل المدن والقرى ما يسر قلوبكم وخواطركم من الطاعة والحمية والتقدم في المعارف وبذل الأنفس والاموال في محبة القوم والوطن ولتذهبن الاحقاد والضغائن التي ملأت اسماعنا من اقوال كثيرين من المسلمين من ان الاتراك يعاملون رعاياهم معاملة الفاتح لأمة اجنبية وان الترك تفتخر وتعتقد ان السلطان انما هو سلطانهم وانهم اولى من سائر المسلمين بكل سلطة وامارة الى غير ذلك من الخيالات فبما ذكرناه يذهب ذلك كله ويعود المسلمون اخوانا كما واخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول الاسلام ولنا الرجاء الاوفر بمبادرة اخواننا المصريين الى هذه الامنية العالية ولا نرجو ذلك من غيرهم الا ان يكون ذلك غير قياس عقولنا وكل ميسر لما خلق له وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

١٤ ج ٢ سنة ١٣٢٢ (صالح بن علي اليافعي)

(المنار) صفوة كلام الكاتب ان مرض المسلمين في أمرين هما الأصل في جميع الأعراض المؤلمة التي يتوجع منها أهل الشعور منهم وهما استبداد الحكام والتقليد في

الدين الذي استلزم التقليد في كل شيء وكل من الامرين مخالف للاسلام • ويعلم قراء المنار ان هذا موافق لرأينا واننا لا نقاوم شيئا مقاومتنا لهذين المرضين الخبيثين وانما طريقنا في ذلك محاولة اقناع عقلاء الأمة وفضلائها بذلك تدريجا حتى اذا ما كثر المقتنعون بشيء نهض بتعميم الإصلاح فيه من يقيضه الله تعالى من الزعماء الذين يظهرون في الامم عند استعدادها للانقلابات الكبرى كما يظهر قبلهم المعدون لها لقبول الانقلاب •

أما أمنية الكاتب فهي من جملة ما يصح ان يعرض على المسلمين ليتفكر فيها اهل الفكر منهم وقد سبق لنا نشر مثلها في المنار وأعجبنا منه ان سماها أمنية ولكنه حث عليها بعد ذلك بما يفهم منه ان له رجاء قويا في إنفاذ المصريين لها ، ولكن المصريين يعرفون من أنفسهم أنهم قد استعدوا للقول ولم يستعدوا للعمل لانفسهم فضلا عن العمل لجميع المسلمين • وان الاقوال التي تنشر في الجرائد المصرية قد غشت مسلمي الاقطار الاسلامية البعيدة عن مصر بالمصريين ولكنها لم تغش المصريين بأنفسهم وغاية ما كان من تأثيرها فيهم أن بغضت إليهم الاحتلال الانكليزي زمنا وعلقت آمالهم بفرنسا لا بأنفسهم وقد انقطع حبل هذا الامل بالوفاق الفرنسي الانكليزي بل بحادثة فشوده قبله وثبت للمصريين بالاختبار ان جرائدهم كانت تغشهم لاجل سلب المال منهم وإحراز الجاه عندهم وان الانكليز خير لهم من أمرائهم السابقين ويمكنهم ان يرتقوا في أيامهم اذا عملوا وكان ذلك محالا عليهم من قبلهم وان الاحتلال المنافي للاستقلال لا يمكن ان يقاوم بالقيل والقال، والاتكال على من لا يصح عليه الاتكال، فزالت من نفوسهم فكرة مقاومة الانكليز بالمرة ولكن العقلاء يعرفون ما لا ينكره الدهماء أن الاستقلال هو سعادة الامم ويتمنونه لبلادهم ولكن لا يوجد فيهم عاملون لاجل الاستقلال

ماذا رأى مسلمو الهند وغيرهم من النائين الذين ينظرون الى المصريين بالمناظير المكبرة فتتمثل لهم صورة كل مصري في شكل ابي الهول؟ هل رأوا في هذا الهيكل العظيم آيات الحياة الاجتماعية الحقيقية وما هي هذه الآيات ؟

يذكر كاتب هذه المقالة المدارس وبذل الالوف من الدنانير في سبيل إنشائها ويافضيحة مصر اذا ذكر إنشاء المدارس وبذل المال لها . ان في سوريا ولبنان عدة مدارس كلية وليس في القطر المصري مدرسة كلية فالقطر المصري لم يصل في

الارتقاء بالتعليم وهو أغنى قطر اسلامي الى مساواة قرية زحلة من قرى لبنان بل تقول جريدة المؤيد إن المصريين لم يستعدوا ويرتقوا الى الدرجة التي تمكنهم من إنشاء مدرسة كلية . فلا تغرنك أيها الكاتب الغيور جعجعة الجرائد المصرية عند ما تذكر إنشاء مدرسة ابتدائية ، لاسيما اذا كانت منتسبة الى جمعية ، فليس ههنا مدارس حقيقة ولا تعليم حقيقي ، ولا تغرنك شقشقة بعض الكاتبين فانما هم قوم يبيعون الكلام للعوام وللامراء العظام والدليل على ذلك انك لاتجد واحداً منهم يحارب الاستبداد والتقليد اللذين هما أقتل أمراض الامة بل هما أصل جميع مصائبها ورزاياها ، ذلك أن محاربة التقليد تنفر منهم العوام تبعا لرؤساء الدين ، ومحاربة استبداد الملوك والامراء يحرمهم من الرتب والنياشين ،

انظر كيف ظهر بعد رجائك بالمصريين ولرجاؤك بالملوك والأمراء ابعد ، ولم يبق للاصلاح الاشيء واحد وهو السعي في تربية رجال مستقلين فى أفكارهم وإرادتهم مقتنعين بوجوب السعي فى إبطال التقليد والاستبداد والقيام بالاعمال العامة التي ترتقي بها الأمة والله الموفق والمعين

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

يوم ٢٨ و٣١ مارس سنة ـ١٨٦

نحن الآن سائرون تحت خط السرطان ويرى على « لولا » انها لغرارتها تقلب وجهها فى السماء تفتيشا عن ذلك الحيوان البشع الشبيه بالسرطان البحري في شكل أرجله كما هو مرسوم فى التقاويم التي جعل فيها من علامات منطقة فلك البروج وهي بذلك تستهدف لسخرية « أميل » وزرايته

تجري بنا السفينة باقصى سرعة لها تزجيها رياح شديدة وقد مدت جميع شرعها فجعلت حبالها تصر صريراً . ذلك انا أردنا اغتنام هذه الرياح الانقلابية (١) التي يسميها

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر .

(١) الرياح الانقلابية هي التي تهب بين دائرتي الانقلابيين من قطعة فلك البروج

الانكليز رياح الشمال الشرقي التجارية

يتدرج النهار في النقص ويكاد الآن يساوي الليل

تتقذف من باطن المياه أسراب كالغيوم من السمك الطيار وتسف سفيف الخطاف

فبينما كان أحد الملاحين البسلاء يوقد مدخنته (عود دخان التبغ) البارحة اذ لطمه جناح بارد مندى على خدّه فتولاه من ذلك دهش عظيم ثم التفت حوله فاذا هو بسمكة من ذلك الصنف تحت قدميه على ظهر السفينة ويندر ان تصل أمثالها في انقذافها الى هذا الارتفاع وانما جذبها اليه ضوء المدخنة

أخوف سكان البحر الاخرى التي لم يرها (أميل) حتى الآن وأهيبها بلا نزاع كلاب البحر وللملاحين فى صيدها نوع من الحماسة والنخوة وقد اصطادوا غدوة اليوم واحدا من هذه العفاريت (كما يقولون لانهم أطلقوا عليها أبشع الاسماء كلها) وذلك بواسطة هبرة من لحم الخنزير زنتها نحو خمسة أرطال ألقوها اليه وكان منظر صيده مؤثراً فاسترعى أبصار جميع المسافرين وبعثهم على الصعود الى ظهر السفينة لمشاهدته وكان أول عمل لهم بعد صيده ان بتروا ذنبه بفأس وهو احتياط أراه ضروريا على مافيه من القسوة لانه شوهد غير مرة ان إغفاله كان سببا في ان يكسر بذلك الطرف المرن ساق بعض القريبين منه أثناء معالجته التفلت من أيدي صائديه ويأكل الملاحون أحيانا صغار كلاب البحر غير انهم يقرون بألسنتهم ان لحمها غير جيد وهم اذا قتلوا هذه الحيوانات فأنما يبعثهم على قتلها مجرد بغضهم لها ولشد مايؤذونها بسبب هذا البغض وحجتهم فيه ان مايصطادونه ويقتلونه منها التقم فلانا أو فلانا من أصحابهم فان لم يكن هو الذي التقمه كان أخوه أو أحد أقاربه ولقد حاولت صدهم عن ممارسة هذه الألاعيب الوحشية مبينا لهم ان الانسان لاينبغي له ان يعذب عدوه بعد غلبه فذهب نصحي أدراج الرياح ولكني آمل ان لاتفوت « أميل » هذه العبرة

تبقى لكلاب البحر بعد موتها في السفينة رائحة خبيثة لاتزول الا بعد بضعة أيام وهكذا الاشرار يؤذون حتى بعد موتهم من يسعون لخلاص الناس من شرهم

قلما يفهم الاطفال من القوانين شيأ الا قانون القصاص ذلك ان الملاحين اصطادوا دلفينا (١) عشية اليوم الذي اصطادوا فيه كلب البحر فما كان من « لولا » إلا أن قالت

(١) الدلفين صنف من خنازير البحر

وهي تنظر اليه نظراً يشف عن الرحمة « لقد استحق هذا فاني رأيته التهم كثيراً من من الاسماك الطيارة الجميلة » ولقد صدقت فان ماالتهمه منها لم يكن الالقمة واحدة من لقمه وان سنة الله في خلقه ان من أكل أُكل وقد أتبتها الملاحون لهابجملة عشاءهم ولحم هذا الحيوان اذا غلي فى الماء كان فيه شيء من الجودة الا انه يكون ناشفا

فى نحو الدرجة السادسة عشرة والدقيقة الثلاثين من العرض الشمالى أنشأنا نرى فى السماء برجا جديدا يسميه الملاحون صليب الجنوب وهو مؤلف من خمسة نجوم

وعجيبة أخرى أبصرناها فى ذلك المكان وهي ان المياه تضيء ليلاوقدراع منظرها « أميل » و« لولا» فلم يستطيعا ان يفيقا من التلذذ بجماله وان كان قد بعث فيهما شيئا من الخوف فان كليهما سألاني من ذا الذي أوقد النار في البحر ففسرت لهما بمافي وسعي ماأعلمه من أسباب هذه الحادثة التي لم تعلم تمام العلم وقد علل العلماء وجود هذ الضوء فى الماء بوجود حيوانات مضيئة تشبه النباتات فيه

كان ذلك النور من شدة سطوعه بحيث ان «أميل» تناول كتابا من جيبه وقرأ فيه على انعكاس ضوئه عن الامواج الملتهبة هذاالبيت من قصيدة لشكسبير وهو:

خير جزء فيَّ روحي وهي بالتحقيق روحك

نعم ان الله سبحانه لم يفض علينا جميع روحه وماأقل ماأفيض علينا منه غير ان هذا القليل الذي يهبه لنا يتصل بروحنا اتصالا حقيقيا(١)

الذي يدهشني من حادثة ظهور الضوء فى البحار انها تقع عادة في أحلك الليالي. اهـ

يوم ٣ ابريل سنة ١٨٦

قد صرنا تجاه الرأس الاخضر ولما رأى الملاحون سكون الريح فى هذا المكان أدلوا قواربهم وسبحوا لصيد السلاحف البحرية وهذه السلاحف من عادتها أن تظهر قريبا من سطح الماء فتكون كأنها نائمة فوقه فتصطاد بنوع من السهام له أربعة أسنان يسميها ملاحو الانكليز بالحبوب وكل مايصاب منها بتلك السهام يجذب بعد صيده الى القوارب بواسطة حبال تكون فى أيدى الرماة وقد رأيتهم اصطادوا

(١) يعني بالروح الالهي مابه حياة الخير والفضيلة والحق وهذا شيء من الله ليس لغيره صنع فيه فأضيف اليه

منها في ساعتين ثمانية زنة كل منها من خمسة عشر الى خمسة وأربعين رطلا انكليزيا. اه

يوم ٤ ابريل سنة ـ ١٨٦

أعوزتنا الرياح الانقلابية التي كانت مواتية لنا أحسن المواتاة على جرينا في فضاء المحيط وعوضنا عنها الآن رياحا خفيفة متناوحة تهب على التعاقب من جهات مختلفة للافق وانتقبت السماء في مواضع متفرقات منها بسحب بيضاء وسفرت في مواضع أخرى بزرقة شاحبة جميلة وللشمس فى هذا المكان شروق يخطف الابصار ضياؤه فلا تقوى على احتماله واما غروبها ففخيم جليل . اه

يوم ٩ ابريل سنة ـ ١٨٦

تمطرنا السماء شآبيب ووابلا حارا . وكل مانراه يؤذن باقترابنا من خط الاستواء فنرى الملاحين على ظهر مقدم السفينة مشتغلين بوضع لحى كاذبة لهم وتغطية رؤسهم بعوار من الشعر وارتداء ثياب بشعة حتى انه ليخيل للرائي انهم في أمس عيد المرافع ويشهد « أميل » هذه الضروب من الاستعداد شهادة الخائف لعلمه حق العلم بماسيلاقيه فان كل تلميذ بحري لم يجتز خط الاستواء لابد أن يقتحم صنوف بلائه ومحنه كما هي العادة فلاتزال شعائر الملاحين القديمة متبعة وان كانت قد فقدت كثيراً من مظاهرها الصبيانية الوحشية التي كانت تجعلها مخوفة جدا في قلب المبتدئ في الملاحة وعلى كل حال فالملاح طفل ولولا ذلك لما لعب بالمخاطر ملاعبة الباسل المقدام . اه

يوم ١٣ ابريل سنة ـ ١٨٦

اصطبغ « أميل » بالمعمودية البحرية فصار الآن من أولاد اله البحر . حالة الجو فى اختلاف وتغير فمن رياح شديدة الى سكون عام ومن مطرهتان الى شمس محرقة ترمي رؤسنا بسهام أشعتها العمودية

لفتنا الربان الى إعصار من الاعاصير المائية التي يخشاها الملاحون بحق فرأيناه من مسافة بعيدة وأكثر ماتثور هذه الاعاصير في جهة خط الاستواء . اه

يوم ١٥ ابريل سنة ـ ١٨٦

صادفتنا سفينة قافلة من الهند أو من الصين الى بريطانيا العظمى وآذنتنا باشاراتها أنها مستعدة لحمل ماتحملها من الكتب ولما كان تبادل صنائع المعروف مما تحفظ

به المودة في البحر أرسلنا لها بعض صحف انكليزية مضى على نشرها ستة أسابيع ولكن أخبارها يكون لها من الجدة عند ركابها ما للصحف الصباح عند سكان لوندره وقد كتبت وكتب «أميل» كلمتين لصديقنا الدكتور وارنجتون . اه

آثار علمية ادبية

الى مصر

حطمت اليراع فلا تعجبي وعفت البيان فلا تعتبي
فما أنت يا مصر دار الاديب ولا أنت بالبلد الطيب
وكم فيك يا مصر من كاتب أقال اليراع ولم يكتب
فلا تعذليني لهذا السكوت فقد ضاق بي منك ما ضاق بي
ايعجبني منك يوم الوفاق سكوت الجماد ولعب الصبي
وكم غضب الناس من قبلنا لسلب الحقوق ولم نغضب
انابتة العصر إن الغريب مجدٌّ بمصر فلا تلعبي
يقولون في النشء خير لنا وللنشء شر من الاجنبي
افي الازبكية مثوى البنين وبين المساجد مثوى الاب
وكم ذا بمصر من المضحكات كما قال فيها أبو الطيب
أمور تمر وعيش يمر ونحن من اللهو في ملعب
وشعب يفر من الصالحات فرار السليم من الاجرب
وصحف تطن طنين الذباب وأخرى تشن على الاقرب
وهذا يلوذ بقصر الامير ويدعو الى ظله الارحب
وهذا يلوذ بقصر السفير ويطنب في ورده الاعذب
وهذا يصيح مع الصائحين على غير قصد ولا مأرب
وقالوا دخيل عليه العفاء ونعم الدخيل على مذهبي
رآنا نياماً ولما نفق فشمر للسعي والمكسب

وماذا عليه اذا فاتنا ونحن على العيش لم ندأب
الفنا الخمول ويا ليتنا الفنا الخمول ولم نكذب
وقالوا المؤيد فى غمرة رماه بها الطمع الاشعبي
دعاه الغرام بسن الكهول فجن جنوناً ببنت النبي
فضجّ لها العرش والحاملوه وضج لها القبر في يثرب
ونادى رجال باسقاطه وقالوا تلوّن في المشرب
وعدّوا عليه من السيئات الوفاً تدور مع الاحقب
وقالوا لصيق ببيت الرسول أغار على النسب الانجب
وزكّى أبو خطوة قولهم بحكم أحدّ من المضرب
فما للتهاني على داره تساقط كالمطر الصيب
وما للوفود على بابه تزف البشائر في موكب
وما للخليفة أسدى اليه وساماً يليق بصدر الابي
فيا امة ضاق عن وصفها جنان المفوه والاخطب
تضيع الحقيقة ما بيننا ويصلى البريء مع المذنب
ويهضم فينا الامام الحكيم ويكرم فينا الجهول الغبي
على الشرق مني سلام الودود وان طأطأ الشرق للمغرب
لقد كان خصباً بجدب الزمان فأجدب فى الزمن المخصب

القصيدة لشاعر مصر حافظ أفندي ابراهيم ويعني بقوله (يوم الوفاق) الوفاق الفرنسي الانكليزي على مسألتي مصر ومراكش وبقوله السفير اللورد كرومر عميد الدولة المحتلة في مصر . ويعني بقوله « دخيل » ما يلغط به بعض الاحداث هنا اذ يسمون السوريين المقيمين فى مصر « دخلاء » حتى من اعتبره القانون مصريا ويعني بقوله : فما للتهاني على داره : الخ ما ذكر في المؤيد من ان السلطان أنعم على الشيخ على يوسف صاحبه بمداليا الامتياز الذهبية والفضية وما نشر فيه من اسماء المهنئين بهذا الانعام. وقوله « وما للوفود على داره » البيت غير صحيح فلا وفود ولا وفد ولكنه من باب المبالغة الشعرية . ثم ان خبر هذا الانعام لما يتحقق وقد كذبته جريدة الاهرام وسكت

لها المؤيد فلم يؤكد الخبر . والذي يقصده من الأبيات فى حادثة زوجية صاحب المؤيد أن المصريين لاثبات لهم ولا اتفاق على شيء ، فقد قامت قيامتهم على الشيخ علي يوسف عند ما شاع خبر عقده على بنت السادات في بيت البكري بدون حضور أبيها ولا إذنه وسلقته بألسنة حداد ، فى كل سامر وناد ، ثم لم يلبثوا ان سمعوا إشاعة إنعام السلطان عليه حتى انبرى كثيرون لتهنئته ، وقد كتبنا هذه الكلمات لتزيل اشتباه من اختلفوا فى القصيدة أتتضمن الانتصار للمؤيد ام لخصومه وليعتبر بما قال شاعر مصر في قصيدته وما وصف به قومه وجرائدهم كاتب المقالة في ضعف المسلمين وأمثاله من البعداء عن هذه الديار .

(التقريظ)

﴿ مقدمة ابن خلدون مع رحلته ﴾

مقدمة ابن خلدون غنية عن التعريف والتقريظ لا ينكر عارف مكانتها فى فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ولا فائدتها فى ترقية العقل والانسان . وقد طبعت على حدتها مرات كثيرة وطبعها اخيرا السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير وطبع على هامشها رحلة المؤلف وجعل ثمنها مع ذلك خمسة قروش . ولو طبع الرحلة وحدها وباع النسخة منها بخمسة قروش لما شككنا فى رواجها لما فيها من الفوائد العلمية والأدبية والتاريخية والقصائد والتراجم والحوادث المحررة بذلك القلم البليغ . وهذه الطبعة بحروف استانبوليه جميلة لا كطبعة العقد الفريد وهي تطلب من مكتبة الطابع الشهيرة ولاشك ان ستلاقي رواجا عظيما

﴿ كتاب تطبيق الاجرا آت القانونية . على مواد قوانين المحاكم الاهلية ﴾

لا يستغني من يقيم في بلاد عن معرفة قوانينها التي يعامل بها فى الادارة والقضاء فان الحاجـة اليها لتعرض للانسان في أوقات يعوزه فيها المحامي وغيره من العارفين فيحار ولايدري ماهو صانع . وقـد أحس بهذه الحاجة أحمد أفندي حسن رئيس المحضرين في محكمة الاستئناف الاهلية فألف كتابا في ذلك أرشد فيـه محتاج معرفة القانون الى ماينبغي له عمله عند عروض الحاجة فبين له حق إقامة الدعوى وكيفيتها ورسومها ومواعيدها وطرق استئنافها وتنفيذ الاحكام وغير ذلك . وأودع كتابه هذا مجموعة المواعيـد القانونية وقانون القرعة العسكرية والقانون النظامي ولائحة التنظيم ولائحة المحاكم الشرعية وغير ذلك من القوانين واللوائح والاوامر العاليـة الناسخة والمخصصة . وقد طبع الكتاب فى مطبعة الشعب فزادت صفحاته على الخمس مئة وجعل ثمن النسخة منه عشرين قرشا وهو يطلب من مكتبة الشعب بمصر

صحة المرأة فى أدوار حياتها

« وهو مختصر في القواعد الصحية التي ينبغي أن تتبعها الفتاة حال البلوغ والزواج والمرأة فى الحمل والولادة والنفاس والرضاع ووظيفتها نحو أطفالها » تأليف الدكتور أحمد أفندي عيسى الذي كان طبيبا في مستشفى المجاذيب . وقد قال المؤلف انه اعتمد في تأليفه هذا على أشهر المؤلفات الفرنسية والانكليزية الحديثة والكتاب مؤلف من ١٩ بابا فى المرأة جسمها وعقلها وبلوغها وفي الزواج سنه وموانعه وفي العقم والحمل والوضع والاجهاض والرضاعة والاطفال وما يعرض للنساء في جميع الاطوار من الامراض وما يعرض كذلك للأطفال وكيفية المعالجة ومداراة الصحة وكيفية التربية الجسدية بالتفصيل . وفي هذه الابواب فصول كثيرة ، وفوائد غزيرة ، لا يستغني أحد عن مطالعتها ولا مطالع الا ويستفيد منها على ما فيها من الاصطلاحات الطبية . وانا نذكر للقارئ نموذجا من الفصل الثالث من الباب الاول ليرى الفرق بين الاشارة الى هذه الابواب وبين ما يدخل فيها من الفوائد . وهذا الفصل قد عقده المؤلف لبيان الوقاية الصحية فى الزواج قال :

« للمدنية الحاضرة سيئات بقدر مالها من الحسنات فمن سيئاتها انها سهلت انتشار كثير من الادواء العفنة المعدية التى تنتقل بالوراثة من السلف للخلف فلكل شيء آفة من جنسه . وهذه الادواء تفعل بالامم خفية ما كانت تفعله الاوبئة ظاهرا في سالف الازمان فتنخر في جسم الأمة نخر السوس في عيدان الخشب من تصرم حبالها وتقطع اوصالها فتوردها موارد الهلكة والفناء ، كل ذلك والامة لاهية كأنها في حالة خدر عام فلا تكاد تستفيق الا والبلاء محيط بها إحاطة السوار بالمعصم » : ثم بين ان اتقاء هذه الادواء يكون باتقاء الامراض التي تنتقل بالزواج والوارثة وقال :

« وبما ان الوراثة هي انتقال الطباع والصفات والخواص من الاسلاف للأعقاب لزم قبل الزواج ان يلاحظ خلو الزوجين من الامراض الوراثية او المعدية او المسببة لهلاك احدهما اذا تزوج وأهم ما يجب الالتفات اليه والتبصر فيه عند الزواج الاحوال الآتية وهي (١) القرابة (٢) السيلان الصديدى (٣) الزهري (٤) السل الرئوي (٥) الادمان على السكر (٦) الامراض العصبية (٧) تشوه اعضاء التناسل (٨) ضيق الحوض (٩) التشوهات الخلقية (١٠) امراض القلب والكبد والكلى (١١) الامراض الدياتيزية (اي المتعلقة بالبنية) (١٢) الاورام السرطانية » :

وقد ذكر في الكلام على السيلان والزهري ما يجب ان ينعم النظر فيه الشبان المصريون الذين اعتادوا الفواحش غير مبالين بأرواحهم ولا بأجسادهم ولا ببلادهم وامتهم وقال في الادمان على السكر الذي فشا فيهم ما نصه:

«الادمان على السكر او التسمم الغولي هو نتيجة الاستمرار على شرب الخمور سواء كان متتابعا او متقطعا وليس هو التأثير الوقتي الناتج عن شرب كمية عظيمة منها في آن واحد المعبر عنه بالسكر الذي تزول أعراضه بمجرد توزيع المشروب في البنية وللادمان على السكر تأثير واضح في الشخص وفي سلالته فأما تأثيره على الشخص فمعلوم للمدمنين عليه وغيرهم واما تأثيره على النسل فان الشخص المتسمم به ينتقل سمه وعلله الى ذريته من بعده فهو خطر عليه وعلى عائلته وذريته معا وعلى الامة والنوع الانساني بالتالي

ولقد عرف بالبحث ان الغول (الكؤول) يسكن في اعماق العناصر التشريحية للجسم وعلى الخصوص في الخلايا العصبية التي تضطرب اذ ذاك تغذيتها ووظائفها ويأخذ هذا الاضطراب والاستحالة في وظائف الخلايا في الانتشار بطريق التلقيح واذا كان الغول يندي اخلاط الجسم وانسجته وبينها الخصية والمبيضين فلا غرابة بعد ذلك ان تكون الحيوانات المنوية والبويضات نفسها قد غشيها من الفساد ما غشيها او تكون ذرية المدمنين قد اصيبت بالسقوط العصبي الذى يدل عليه سرعة التهيج والتشنجات العصبية التي تحدث في سن الصغر والصرع والبله وضعف القوى العصبية العضلية التي تحدث في سن الشيخوخة

ومما يزيد الادمان على السكر خطرا أنه بعد أن يقرع الشخص يتبعه في نسله وذريته ومن يولد من أبوين مدمنين وليس هو بمدمن فانه يحمل آثار الضعف البني ويكون عرضة للاصابات باضطرابات قد تنتهي بالعته أو الشلل أو العقم وقد أثبت بالتجارب هذه الوراثة كل من توميف ومارسيه وكرونر ولازيج وديجيرين وجرنيه وفورنيه ولانسروه وفيريه وكثيرون غيرهم

وبما أن تأثير الخمور يكون بالاخص على المجموع العصبي فأولاد المدمنين عليها يكونون في الغالب عصبيين فيصابون إما بآفات كبيرة في المراكز العصبية، وإما باضطرابات في الوظائف العصبية فقط وكذلك يصابون بملل وراثية شاذة شبيهة

بالعلل الوراثية الزهرية أو الدرنية العديمة القياس كالعلل الناشئة عن فساد التغذية (الديستروفيات) ووقوف النمو وغرابة الخلقة

وللوراثة هنا كذلك تأثير قاتل على الجنين وعلى الطفل بعد ولادته حتى انه قد تلاشت بذلك عائلات بأجمعها فى عقبين أوثلاثة أعقاب وزيادة على ماتقدم من العلل قد تصاب ذرية المدمنين بتشوهات متضاعفة كعدم تساوي وتماثل الجمجمة أو صغرها أو استسقاء الدماغ أو قصر القامة أو بتأخير أو انحراف فى نمو القوى العقليه كضعف الذاكرة والعبط والبله أو تحفظ الحالة الصبيانية أو أن تكون سريعة التهيج والغضب وكثيرا ماتصاب كذلك بالهيستريا وما يتبعها من العلل الحاسية والنفسانية كخلل التوازن في القوى العقلية وعدم الاكتراث وضعف الارادة وشدة الانفعال وتارة بحسن الاخلاق أو فسادها (١)

فيعلم من ذلك ومن كثرة التجارب التي عملت أن وراثة الادمان على السكر هي حقيقية لاريب فيها وعلى ذلك يجب منع زواج المدمنين على السكر في حالة الخوف من رجوع الداء اذا لم يمتنع صاحبه عن الاستمرار فيه وكذلك متى كانت النتائج الناجمة عنه ذات خطر » اه وثمن الكتاب عشرون قرشا فنحث كل قارئ على مطالعته

﴿ قصة الاخ الغادر وما يتبعها ﴾

لقد أحسن صاحب (مسامرات الشعب) فى اختيار قصصها هذه الكرة مالم يحسنه من قبل إذ اهتدى الى قصص متعددة في الصورة متحدة في الحقيقة فيها روح من الأدب والفضيلة — اولها قصة الاخ الغادر والثانية قصة (لو تعارفوا ماتآلفوا) والثالثة قصة (الأمريكية الحسناء) والرابعة قصة (برح الخفاء) وقد صدرت الثلاث الاول وموضوعها نبيل فاضل من الفرنسيس عشق فتاة مهذبة خياطة زكية الطينة فتحبب اليها بالمجاملة وحسن المعاملة فأحبته على تنكره وجهلها به فخطبها الى جدتها الكافلة لها فرضيتا به فاودعها حملا قبل تسجيل عقد الزوجة فانقطع عنها فظنت هي وجدتها انه خانها وهجرها فاشتد

(١) ومن التجارب التي عملت بمناسبة ذلك ان جيء بكلبة تسممت بالغول ثم أطلق عليها كلب سليم فولدت منه ١٢ كلبا مات جميعها في ظرف ٦٧ يوما وكان سبب وفاتها آفات في الخلايا سببها الاستحالة الغولية اه من هامش الاصل

حزنها وما كان هجره لهما بل للحياة الدنيا فانه كان يلاعب صديقا له بالسيف فسبقت اليه ضربة ففقأت عينه وفاضت بها روحه وكان حدث صديقه القاتل بفاتحة حديثه مع الفتاة وبما عهد الى المسجل من تسجيل عقد الزوجية وإرجائه الافصاح باسم الفتاة له وللمسجل فترك المسجل في ورقة العقد بياضا ليكتب فيه الاسم

هذه فاتحة القصة او القصص وهي ليست بشيء والحديث المفيد يبتدئ بعدها عند ما أراد الصديق القاتل والمسجل البحث عن الزوجة المستودعة وارث بيت ذلك النبيل ولقبه (مركيز) وكان له اخ خليع فاسد الاخلاق وهو الاخ الغادر حال دون ذلك ليكون هو وارث أخيه فاستولى على أوراقه وأحرق منها كل ماله تعلق بتلك المرأة وعرف مكانها فخادعها حتى أخرجها من باريس الى الريف ليخفيها عن الصديق والمسجل وذلك مفصل في القصة الاولى • وترى في الثانية شابين التقيا وتحابا في حرب فرنسا لتونكين وهما ابن المركيز المقتول الذي لا يعرف له أبا وابن المركيز الوارث بالباطل تحت قيادة الضابط القاتل وعودتهما الى باريس معه وكانت والدة اليتيم قد أثرت ووالد الآخر قد أعدم حتى أشرف على بيع دارهم القديمة للدائنين — تلك أثرت بالعمل مع الفضيلة والاستقامة، وذاك أملق بالمقامرة وسوء السيرة ثم علم الاخ الغادر بأن صديق ابنه هو ابن عمه فحاول الايقاع بينهما بعد ما أحب ابن أخيه ابنته وأحبته ورجوا ان يكونا زوجين فكلف أبوها الخاطب بأن يتعرف بنسبه تعجيزا له • وكان الضابط بعد عودته عاود السعي في معرفة زوج صديقه المقتول وكان وعد والدته بذلك فظهرت له بوادر النجاح وكل هذا من مباحث القصة الثانية

واما الثالثة فموضوعها ان غانية أمريكية غنية جاءت مع والدتها الى باريس وبنت لها فيها قصرا مشيدا وأظهرت من دلائل البذخ والترف ما ألفت اليها اعناق شبان باريس وكانت من اصل وضيع وقد جاءت تحتال بذلك على اصطياد زوج من النبلاء فأتقنت الحيلة وكاد ابن المركيز ان يقع في فخها

وفي القصص الثلاث من تقبيح الخلال الفاسدة والاخلاق القبيحة والتنفير من القمار والترغيب في الفضائل لاسيما الوفاء وحسن الاخاء والشجاعة وكرم الاصل ما فيه عبرة للقارئ ولذلك اطلنا من الكلام عليها وستكون القصة الرابعة كاشفة للغطاء او مبينة للانتهاء، ولذلك سميت (برح الخفاء)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الثلاثاء ١٦ شعبان سنة ١٣٢٢ — ٢٥ أكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بسم الله الرحمن الرحيم

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ * فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ ٱللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *

بعد ماذكر فى الآيات السابقة حكم القصاص في القتل وهو ضرب من ضروب الموت ذكر مايطالب ممن يحضره الموت وهو الوصية. والخطاب فيه موجه الى الناس كلهم بأن يوصوا بشيء من الخير لا سيما في حال حضور

الموت لتكون خاتمة أعمالهـم خيرا وهو على نسق ماتقـدم في الخطاب بالقصاص من اعتبار الأمـة متكافلة يخاطب المجموع منها بما يطلب من الأفراد وقيام الأفراد بحقوق الشريعة لايتم الابالتعاون والتكافل والائتمار والتناهي فلولم يأتمر البعض وجب على الباقين حمله على الائتمار. وفسروا الخير بالمال وقيده الاكثرون بالكثير أخذا من التنكير ولم يقيده الجلال بذلك. قال الاستاذ الامام: لم يقتصر أحد من المفسرين على ذكر المال فقط الا مفسرنا وقوله صادق فيمن ذكروه وجها وذكر وامعه قول من قيده بالكثير كالبيضاوي وجزم المفسر بان الآية منسوخة بآية المواريث وحديث الترمذي: لاوصية لوارث : ورده بعضهم فكلام الجلالين في المسألتين غير مسلم

اما الاول فقد قالوا ان المال لايسمى في العرف خيرا الا اذا كان كثيرا كما لا يقال فلان ذو مال الا اذا كان ماله كثيرا وان تناول اللفظ صاحب المال القليل وأيدوا هذا بما رواه ابن أبي شيبة عن عائشة (رض) قال لها رجل أريد أن أوصي قالت كم مالك قال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت قال الله تعالى «إن ترك خيرا» وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك فهو أفضل. وروى البيهقي وغيره ان عليًّا دخل على مولى له في الموت وله سبع مئة درهم أو ست مئة درهم فقال ألا أوصي قال لا إنما قال الله تعالى «ان ترك خيرا» وليس لك كثير مال فدع مالك لورثتك فعبارتهما تدل على أنهم ماكانوا يفهمون من الخير الا المال الكثير. واختلفوا في تقدير الكثير فروى عبد بن حميد عن ان ابن عباس أنه قال: من لم يترك ستين دينارا لم يترك خيرا. واختار الاستاذ الامام عدم تقديره لاختلافه باختلاف العرف فهو موكول عنده الى اعتقاد الشخص وحاله ولايخفى ان العرف

يختلف باختلاف الزمان والاشخاص والبيوت فمن يترك سبعين دينارا في منزل فقر، وبلد فقر، وهو من الدهماء فقد ترك خيرا. ولكن العامل أو الوزير، اذا تركا مثل ذلك في المصر الكبير، فهما لم يتركا الا العدم والفقر، ومالا يفي بتجهيزهما الى القبر،

وأما الثانية فهي خلافية والجمهور على أن الآية منسوخة بآية المواريث أو بحديث : لا وصية لوارث: أو بهما جميعا على أن الحديث مبين للآية . قال البيضاوي . وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام « ان الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث » وفيه نظر لأن آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الأمة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر : اه أي والظني من الحديث لا ينسخ القطعي منه فكيف ينسخ القرآن وكله قطعي وقد زاد الاستاذ الامام عليه أنه لا دليل على أن آية المواريث نزلت بعد آية الوصية هنا وبأن السياق ينافي النسخ فان الله تعالى اذا شرع للناس حكما وعلم أنه مؤقت وانه سينسخه بعد زمن قريب فانه لا يؤكده ويوثقه بمثل ما أكد به أمر الوصية هنا من كونه حقا على المتقين ومن وعيد من بدله، وبامكان الجمع بين الآيتين اذا قلنا إن الوصية في آية المواريث مخصوصة بغير الوارث بأن يخص القريب هنا بالممنوع من الارث ولو بسبب اختلاف الدين فاذا أسلم الكافر وحضرته الوفاة ووالداه كافران فله أن يوصي لهما بما يؤلف به قلبهما وقد أوصى الله تعالى بحسن معاملة الوالدين وان كانا كافرين « ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما » الآية (العنكبوت) وفي آية لقمان

بعد الأمر بالشكر لله ولهما « وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إليّ » الآية . أفلا يحسن أن يختم هذه المصاحبة بالمعروف بالوصية لهما بشيء من ماله الكثير . (قال) وجوز بعض السلف الوصية للوارث نفسه بأن يخص بها من يراه أحوج من الورثة كأن يكون بعضهم غنيا والبعض الآخر فقيرا . مثال ذلك أن يطلق أبوه أمه وهو غني وهي لاعائل لها الا ولدها ويرى أن مايصيبها من التركة لايكفيها . ومثله أن يكون بعض ولده أو إخوته - ان لم يكن له ولد - عاجزا عن الكسب فنحن نرى ان الحكيم الخبير اللطيف بعباده الذي وضع الشريعة والأحكام لمصلحة خلقه لايحتم ان يساوي الغني الفقير والقادر على الكسب من يعجز عنه فاذا كان قد وضع أحكام المواريث العادلة على أساس التساوي بين الطبقات باعتبار أنهم سواسية فى الحاجة كما انهم سواء فى القرابة فلا غرو أن يجعل أمر الوصية مقدما على أمر الارث أو يجعل نفاذ هذا مشروطا بنفاذ ذلك قبله ويجعل الوالدين والأقربين فى آية أخرى أولى بالوصية لهما من غيرهم لعلمه سبحانه وتعالى بما يكون من التفاوت بينهم فى الحاجة أحيانا فقد قال فى آيات الارث من سورة النساء « من بعد وصية يوصى بها أو دين » فأطلق أمر الوصية وقال فى آية الوصية هنا ماهو تفصيل لتلك .

ورأيت الألوسي نقل عن بعض فقهاء الحنفية أن آية الإرث نزلت بعد آية الوصية بالاتفاق وأن الله تعالى رتب الميراث على وصية منكرة والوصية الأولى كانت معهودة فلو كانت تلك الوصية باقية لوجب ترتيبه على المعهود فلما لم يترتب عليه ورتب على المطلق دل على نسخ الوصية المقيدة

لان الاطلاق بعد التقييد نسخ كما ان التقييد بعد الاطلاق نسخ : فأما دعواه الاتفاق في التقدم والتأخر فلا دليل عليها وأما تأويله فظاهر البطلان وقاعدة الاطلاق والتقييد إن سلمت لا تؤخذ على إطلاقها لان شرع الوصية على الاطلاق لا ينافي شرع الوصية لصنف مخصوص ونظيره هذا الأمر بمواساة الفقراء مطلقا والامر بمواساة الضعفاء والمرضى منهم لا يتعارضان ولا يصح ان يكون الثاني منهما مبطلا للأول الا اذا وجد فى العبارة ماينفي ذلك .
وما فى الآيتين ليس من قبيل تعارض المطلق والمقيد وانما آية الوصية خاصة وذكر الوصية منكرة فى آية الإرث يفيد الاطلاق الذى يشمل ذلك الخاص وغيره . فاذا سلمنا لذلك الحنفي بأن آية الميراث متأخرة فلا نسلم له أنه كان يجب أن تذكر فيها الوصية بالتعريف لتدل على الوصية المعهودة اذ لو رتب الارث على الوصية المعهودة لما جازت الوصية لغير الوالدين والأقربين . ولو كان الاسلوب العربي يقتضي ماقاله لما قال علي وابن عباس وغيرهما من السلف بالوصية للوالدين والاقربين على ما تقدم وقد نقل ذلك الالوسي نفسه بعد ما تقدم عنه ولكنه سمى التخصيص نسخا فنقل عن ابن عباس أنها خاصة بمن لا يرث من الوالدين والاقربين كأن يكون الوالدان كافرين قال وروي عن علي كرم الله تعالى وجهه : من لم يوص عند موته لذوي قرابته – ممن لم يرث – فقد ختم عمله بمعصية : ثم ذكر ان الاكثرين قالوا بأن هذه الوصية مستحبة لا واجبة وسمى هذا كغيره نسخا للوجوب . ولنا أن نقول إن اكثر علماء الأمة وأئمة السلف يقولون ان هذه الوصية المذكورة فى الآية مشروعة ولكن منهم من يقول بعمومها ومنهم من يقول إنها خاصة بغير الوارث فحكمها اذاً

لم يبطل فما هذا الحرص على اثبات نسخها مع تأكيد الله تعالى إياها والوعيد على تبديلها ؟ ان هذا الا تأثير التقليد

فقد علم مما تقدم ان آية المواريث لا تعارض آية الوصية فيقال بأنها ناسخة لها اذا علم أنها بعدها واما الحديث فقد أرادوا ان يجعلوا له حكم المتواتر أو يلصقوه به بتلقي الامة له بالقبول ليصلح ناسخا على أنه لم يصل الى درجة ثقة الشيخين به فلم يروه أحد منهما مسندا ورواية أصحاب السنن محصورة فى عمرو بن خارجة وأبي أمامة وابن عباس وفى إسناد الثاني اسماعيل بن عياش تكلموا فيه وانما حسنه الترمذي لأن اسماعيل يرويه عن الشاميين وقد قوى بعض الأئمة روايته عنهم خاصة . وحديث ابن عباس معلول اذ هو من رواية عطاء عنه وقد قيل إنه عطاء الخراساني وهو لم يسمع من ابن عباس وقيل عطاء بن أبي رباح فان أبا داود أخرجه فى مراسيله عنه وما أخرجه البخاري من طريق عطاء بن أبي رباح موقوف على ابن عباس . وما روي غير ذلك فلا نزاع فى ضعفه فعلم أنه ليس لنا رواية للحديث صححت الا رواية عمرو بن خارجة والذي صححها الترمذي وقد علمت ان البخاري ومسلم لم يرضياها فهل يقال أن حديثا كهذا تلقته الامة بالقبول ؟

وقد توسع الاستاذ الامام هنا فى الكلام على النسخ وملخص ما قاله ان النسخ فى الشرائع جائز موافق للحكمة وواقع فان شرع موسى نسخ بعض الاحكام التي كان عليها إبراهيم وشرع عيسى نسخ بعض أحكام التوراة وشريعة الاسلام نسخت جميع الشرائع السابقة لأن الاحكام العملية التى تقبل النسخ انما تشرع لمصلحة البشر والمصلحة تختلف باختلاف الزمان فالحكيم العليم يشرع لكل زمن ما يناسبه وكما تنسخ شريعة بأخرى يجوز

ان تنسخ بعض أحكام شريعة بأحكام أخرى فى تلك الشريعة فالمسلمون كانوا يتوجهون الى بيت المقدس فى صلاتهم فنسخ ذلك بالتوجه الى الكعبة وهذا لاخلاف فيه بين المسلمين ولكن هناك خلافا فى نسخ أحكام القرآن ولو بالقرآن فقد قال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني المفسر الشهير ليس فى القرآن آية منسوخة وهو يخرّج كل ماقالوا انه منسوخ على وجه صحيح بضرب من التخصيص أو التأويل وظاهر ان مسئلة القبلة ليس فيها نسخ للقرآن وإنما هي نسخ لحكم لاندري هل فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم باجتهاده أم بأمر من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور فى القران ولكن الجمهور على ان القرآن ينسخ بالقرآن بناء على انه لامانع من نسخ حكم آية مع بقائها فى الكتاب يعبد الله تعالى بتلاوتها وبتذكر نعمته بالانتقال من حكم كان موافقا للمصلحة ولحال المسلمين فى أول الاسلام الى حكم يوافق المصلحة فى كل زمان ومكان فانه لاينسخ حكم الا بأمثل منه كالتخفيف في تكليف المؤمنين بقتال عشرة أمثالهم والاكتفاء بمقاتلة الضعف بأن تقاتل المئة مئتين. واتفقوا على انه لايقال بالنسخ الا إذا تعذر الجمع بين الآيتين من آيات الأحكام العملية وعلم تاريخهما فعند ذلك يقال ان الثانية ناسخة للأولى . اما آيات العقائد والفضائل والاخبار فلا نسخ فيها. ونسخ السنة بالسنة كنسخ الكتاب بالكتاب بل هو أولى وأظهر وكذلك نسخ السنة بالكتاب كما فى مسئلة القبلة ولا خلاف فيهما. ومن قبيل هذا نسخ الحديث المتواتر لحديث الآحاد

اما الخلاف القوي فهو فى نسخ القرآن بالحديث ولو متواترا والحديث المتواتر باخبار الاحاد والذي عليه المحققون الأولون ان الظني (وهو خبر

الآحاد) لا ينسخ القطعي كالقرآن ولا الحديث المتواتر والحنفية وكثير من محققي الشافعية صرحوا بجواز نسخ الكتاب بالسنة المتواترة لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم معصوم في تبليغ الاحكام فمتى أيقنا بالرواية عنه واستوفت شروط النسخ تعتبر ناسخة للكتاب كما اذا نسخت آية آية وذهب آخرون ومنهم الامام الشافعي كما في رسالته المشهورة في الاصول بأنه لا يجوز نسخ حكم من كتاب الله بحديث مهما كانت درجته لأن للقرآن مزايا لا يشاركه فيها غيره

وقد أورد الشافعي كثيرا من الاحاديث التي زعموا أنها ناسخة لاحكام القرآن وبين انها غير ناسخة بل بين أنها مفسرة ومبينة (قال الاستاذ) ولا أعرف لابي حنيفة قولا في هذه المسائل . والاصوليون المتقدمون من الحنفية والشافعية لا يقولون بنسخ القرآن بغير المتواتر من الاحاديث وان اشتهر بنحو رواية الشيخين وأصحاب السنن له والدليل ظاهر فان القرآن منقول بالتواتر فهو قطعي واحاديث الآحاد ظنية يحتمل أن تكون مكذوبة من بعض رجال السند المتظاهرين بالصلاح لخداع الناس. أقول وهناك تمييز اخر وهو ان كل ما في القرآن وحي من الله تعالى قطعا وأما الأحاديث فان فيها ما هو من اجتهاد النبي عليه الصلاة والسلام وهو دون الوحي وان كان قد تقرر ان النبي اذا أخطأ في اجتهاده لا يقر على الخطأ بل يبين له كما في قوله تعالى « ما كان لنبي ان يكون له اسرى » الآية وقوله « عفا الله عنك لم أذنت لهم » الآية . وقال بعضهم ينسخ الكتاب بالسنة ولو خبرآحاد لأن دلالة الآية على الحكم ظنية فكأن الحديث لم ينسخ الا حكما ظنيا وفاتهم أن دلالة الحديث أيضا ظنية فكأننا ننسخ حكما ظنيا إسناده الى الشارع قطعي بحكم ظني إسناده اليه غير قطعي بل يحتمل

أنه لم يقل به. ولما كان الخلاف هنا ضعيفا جدا احتاج القائلون بنسخ حديث :لاوصية لوارث: لآية الوصية الى زعم تواتره بتلقي الامة له بالقبول وقد علمت ان هذا غير صحيح. وقد صرح بعض الشافعية بأن الخلاف فى نسخ الكتاب بالسنة انما هو فى الجواز وأنه غير واقع قطعا

وقالوا أيضا أن السنة لا تنسخ الكتاب الا ومعها كتاب يؤيدها والظاهر فى مثل هـذه الحال ان يقال ان الكتاب نسخ الكتاب لأنه الأصـل وكأنهم أرادوا تصحيح قول من قال بالنسخ تعظيما له أن يرد قوله، وتعظيم الله تعالى أولى ثم تعظيم رسوله يتلو تعظيمه ولا يبلغه وانما يطاع الرسول ويتبع باذن الله تعالى

ومن أغرب مباحث النسخ ان الشافعية الذين يبالغ امامهم فى الاتباع فيمنع نسخ الكتاب بالسنة ثم هو يبالغ فى تعظيم السنة واتباعها ولا يبالي برأي أحـد يخالفها يقول بعضهم ان القياس الجلي ينسخ السنة مع ان البحث فى العـلة أمر عقلي يجوز ان يخطئ فيه كل أحد ويجوز أن يكون مافهمناه من عموم العلة غير مراد للشارع فاذا جاء حديث ينافي هذ العموم وصح عندنا فالواجب أن نجعله مخصصا لعلة عموم الحكم ولا نقول رجما بالغيب انه منسوخ لمخالفته للعلة التي ظنناها. فاذا كانت المجازفة فى القياس قد وصلت الى هذا الحد وقد تجرأ الناس على القول بنسخ مئات من الآيات وإلى إبطال اليقـين بالظن وترجيح الاجتهاد على النص فعلينا ان لا نحفل بكل ماقيل وان نعتصم بكتاب الله قبل كل شيء ثم بسنة رسوله التى جرى عليها أصحابه والسلف الصالحون وليس فى ذلك شيء يخالف الكتاب العزيز.

وصفوة القول أن الآية غير منسوخة بآية المواريث لأنها لا تناقضها ولا

دليل على أنها بعدها بل تؤيدها ولا بالحديث لانه لايصلح لنسخ الكتاب وان حكمها باق ولك أن تحمله خاصا بمن لايرث من الوالدين والاقربين كما روي عن بعض الصحابة وان تحمله على اطلاقه . ولاتكن من المجازفين الذين يخاطرون بدعوى النسخ فتنبذ ما كتبه الله عليك بغير عذر لاسيما بعد ماأكده بقوله (حقا على المتقين) وبقوله : (فمن بدله) أي ما أوصى به الموصي (بعد ماسمعه) وعلم به (فانما إثمه على الذين يبدلونه) من ولي ووصي وشاهد وقد برئت منه ذمة الموصي (ان الله سميع) لما يقوله المبدلون فى ذلك (عليم) بأعمالهم فيه فيجازيهم عليه . والضمير فى المواضع الثلاثة راجع الى الحق أو الايصاء أي أثره . وقوله سميع عليم يتضمن تأكيد الوعيد

ثم قال (فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه) الجنف بالتحريك الخطأ والاثم يراد به تعمد الاجحاف والظلم كأنه قال ان خرج الموصي فى وصيته عن المعروف والعدل خطأ أو عمدا فتنازع الموصى لهم فينبغي ان يتوسط بينهم من يعلم بذلك ويصلح بينهم ففسروا الخوف ههنا بالعلم . قال الاستاذ الامام الآية استثناء ممن قبلها أي ان المبدل للوصية آثم الا من رأى إجحافا أو جنفا في الوصية فبدل فيها لاجل الاصلاح وإزالة التخاصم والتنازع والتعادي بين الموصى لهم فعبر بخاف بدلا عن رأى أو علم تبرئة للموصي من القطع بجنفه وإثمه وتحاميا من تقييد التصدي للاصلاح بالعلم بذلك يقينا يعني ان من يتوقع النزاع للجنف أو الإثم فله أن يتصدى للاصلاح وان لم يكن موقنا بذلك وللتعبير عن مثل هذا العلم بالخوف شواهد فى كلام العرب . والمصلح مثاب مأجور وني

الإثم عن تبديل الوصية المحرم تبديلها يشعر بذلك اذ لو لم يكن التبديل للاصلاح مطلوبا لم ينف الاثم عنه . وختم الكلام بقوله (إن الله غفور رحيم) للاشعار بما في هذه الاحكام من المصلحة والمنفعة وبأن من خالف لاجل المصلحة مع الاخلاص فهو مغفور له

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عند نا سبب صحيح لاغفاله

الناسخ والمنسوخ في القرآن

(س ٧٨) السيد احمد منصور الباز في (طوخ القراموص) : ثبت أن في القرآن ناسخا ومنسوخا وان من المنسوخ مانسخ حكمه وبقي رسمه ومنه العكس كقوله «الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله » فقد ثبت في الصحيح أن هذا كان قرآنا يتلى . ومما نسخ حكمه وبقي رسمه ولا يعلم له ناسخ كما في الصحيح « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى لهما ثالثا » الخ فهل من حكمة ترشدنا اليها بناركم وضاح السبل في إبقاء رسم المنسوخ ورفع رسم الناسخ مع بقاء حكمه وفي نسخ لفظ مع بقاء حكمه وعدم وجود ناسخ له

(ج) قد تقدم في التفسير المنشور في هذا الجزء أهم أحكام النسخ وحكمته ومنها الاشارة الى أن حكمة بقاء الآية التي نسخ حكمها التذكر بنعمة النسخ والتعبد بتلاوتها اما نسخ لفظ الآية مع بقاء حكمها أو نسخ لفظها وحكمها معا فمما لا يجب علينا اعتقاده وإن قال به القائلون ورواه الراوون وقد علله القائلون به والتمسوا له من الحكمة ماهو أضعف من القول به وأبعد عن المعقول

واعلم أن القرآن كلام الله المنزل على نبيه محمد (ص) وهو أصل الدين وأساسه

أحكمت آياته فلا تفاوت فيها ولا اختلاف ولا تناقض ولا تعارض وما ذكروه من الجمل التي قالوا إنها كانت من القرآن ونسخ لفظها لاتضاهي أسلوب القرآن ولا تحاكيه في بلاغته والتصديق بذلك مدعاة لتشكيك الملحدين في القرآن . وقد ثبت أن بعض الزنادقة كانوا فى زمن الرواية وتلقي الحديث من الرجال يلبسون لباس الصالحين ويضعون الحديث وكان يروج على الناس لاستيفائهم شروط الرواة الظاهرة من العدالة وحسن الحفظ وغير ذلك حتى إن بعضهم تاب ورجع عما كان وضعه ولولا اعترافه به لم يعرف فما يدرينا أن بعضهم مات ولم يتب ولم تعرف حقيقة حاله وبقي ماوضعه رائجا مقبولا لم يطعن في سنده أهل النقد . لأجل هذا لايعتمد على الحديث الا اذا كان مع صحة سنده موافقا لأصول الدين الثابتة بالقطع ولغير ذلك من الحقائق القطعية ككون الشمس لاتغيب عن الارض كلها عند ماتغيب عنا كل يوم وانما تغيب عنا وتشرق على غيرنا الا اذا أمكن الجمع ، ولا يؤخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة السند فى العقائد لانها ظنية باتفاق العلماء والعقلاء والله تعالى يقول «وان الظن لايغني من الحق شيئا » ومثلها آيات في التشنيع على الكافرين باتباع الظن .

واذا كان القرآن لايثبت الا بالتواتر المفيد للقطع وكان كون الآية منسوخة فرع كونها آية كان لنا بل علينا أن لانصدق بأن كون هذا القول آية منسوخة الا إذا روي ذلك بالتواتر من أول الاسلام كما روي القرآن . وليس فيما زعموا أنه قرآن نسخت تلاوته شيء متواتر . وهذا الذي رووه من حديث « الشيخ والشيخة اذا زنيا » مروي عن أبيّ بن كعب وروي أيضا من حديث أبي أمامة عن خالته العجماء وعن عمر (رض) وليس هذا من التواتر فى شيء وكذلك الأثر الذى فيه «لو كان لابن آدم واد لابتغى اليه ثانيا» الخ وفى رواية « لوكان لابن آدم واديان » الخ فهو موقوف على أبيّ فان سلمنا أن السند اليه صحيح فاين التواتر الذى لايكون إلا برواية جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب . وجملة القول انه لم يرو في هذا المقام حديث صحيح السند الا قول عمر في الشيخ والشيخة اذا زنيا وهو من رواية الآحاد ولذلك خالف الخوارج وبعض المعتزلة في الرجم ولم يكفرهم أحد بذلك. وأنا لااعتقد صحته وان روي في الصحيحين فمن أنكر علي من المقلدين ذلك فليكتب الي لاسرد له عشرات

من أحاديث الصحيحين لم يأخذ بها أئمته وفقهاء مذهبه وسائر المذاهب الذين لاينكر على أحد منهم شيئا وحجتي واضحة وهو أن المقام مقام اثبات القرآن وطريق اثباته التواتر بالاجماع فلو تواترت الرواية عن عمر او غيره وأجمع عليها لقلت بأن عمر قال ذلك والاحاديث الصحيحة الصريحة المسندة المرفوعة الى النبي (ص) التي خالفها الفقهاء كثيرة وهي فى الاعمال التي يجب أخذها من أحاديث الآحاد بالاجماع وعدم اعتقاد صحة هذا الحديث لايترتب عليه ترك مشروع ولا إثبات خلافه فلاضرر فيه وانما الضرر في ترك ماتركه ولعلك تقول ماهو جواب مثبتي هذا الضرب من النسخ فأقول قال السيوطي فى الاتقان مانصه :

« الضرب الثالث نسخ تلاوته دون حكمه وقد أورد بعضهم فيه سؤالا وهو : ما الحكمة فى رفع التلاوة مع بقاء الحكم وهلا أبقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها ؟ وأجاب صاحب الفنون بأن ذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة الى بذل النفوس بطريق الظن من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به فيسرعون بأيسر شيء كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام والمنام أدنى طريق الوحي اه وهو كما ترى لاقيمة له فان الوحي للأنبياء كله قطعي وبذل النفوس هنا لامعنى له. والاحكام التي رويت لنا عن الآحاد فأفادت الظن كانت يقينية عند الذين سمعوها من النبي (ص) فاذا كانوا سمعوا الآية من النبي ثم فرضنا أنه أمرهم بتركها وعدم قراءتها مع بقاء العمل بها أفلا يقال ماهي حكمة ذلك بالنسبة اليهم والى من بعدهم

﴿ مذهب العامي واتباعه الرخص ﴾

(س٧٩) ومنه : يقال العامي لامذهب له فهل يجوز له ان يقلد كل مذهب فى رخصه ولو بسبب عذر ضعيف

(ج) قولهم العامي لامذهب له صحيح لانزاع فيه فان ذا المذهب هو من له طريق فى معرفة الاحكام بدلائلها والواجب على العامي ان يسأل أهل الذكر أي العارفين بالكتاب والسنة عن كل مسألة تعرض له قائلا ماهو حكم الله تعالى في هذه المسألة فما أخبروه به عن الله وعن رسوله وجب عليه الاخذ به اذا اعتقد أن المسؤل ثقة عارف ولا يجوز له أن يتبع رأي أحد يخالف ذلك فاذا بلغه عن الشارع فى أمر عزيمة ورخصة فله أن يعمل بالرخصة عند الحاجة ويجعل العزيمة هي الاصل . ومن يسأل عن رخص المذاهب وآراء العلماء ويتبع اسهلها عليه وأقربها من هواه فهو متلاعب بدينه.

الوصية المنامية المنسوبة الى النبي (ص)

(س ٨٠) أرسل الينا السيد صالح السرجاني بمصر صورة هذه الوصية وسألنا بيان رأينا فيها لقراء المنار وهي:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قال الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام في ليلة الجمعة وهو يقرأ القرآن العظيم فقال لي ياشيخ أحمد المؤمنين حالهم تعبان من شدة معصيتهم فاني سمعت الملائكة وهم يقولون تركوا ذكر الله سبحانه وتعالى فأراد ربك أن يغضب عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب ارحم أمتي فانك أنت الغفور الرحيم وأنا أعلمهم بذلك يتوبوا وان لم يتوبوا الامر اليك وهم قد ارتكبوا المعاصي والكبائر وتركوا الدعاء واتبعوا الزنا ونقصوا الكيل وشربوا الخمور واشتغلوا بالغيبة والنميمة واحتقروا الفقير والمسكين ولا يعطوا الفقير حقه وتركوا الصلاة ومنعوا الزكاة فأخبرهم ياشيخ أحمد بذلك وقول لهم لاتتركون الصلاة وأتوا الزكاة واذا مر عليكم تارك الصلاة لاتسلموا عليه واذا مات لاتمشوا في جنازته وانتبهوا واستيقظوا واجتنبوا الفواحش ماظهر منها وما بطن وقل لهم الساعة قد قربت ولايبقى من الدنيا الا القليل وتظهر الشمس من مغربها فأرسلت اليهم وصية بعد وصية فلم يزدادوا الا طغياناً وكفراً ونفاقا وهذه آخر وصية فقال الشيخ أحمد قد استيقظت من منامي فوجدت الوصية مكتوبة بجانب الحجرة النبوية بخط أخضر فقال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأها ولم ينقلها كنت خصمه يوم القيامة ومن قرأها ونقلها من بلد الى بلد كنت شفيعه يوم القيامة فقال الشيخ أحمد والله العظيم قسما بالله ثلاثا ان كنت كاذبا فاخرج من الدنيا على غير الاسلام فمن بدله بعد ماسمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم ومن شك في ذلك فقد كفر وعليكم بتقوى الله تنجوا من المهالك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تمت بالتمام والكمال والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » اه بنصها المطبوع المنشور

(المنار) اننا نتذكر أننا رأينا مثل هذه الوصية منذ كنا نتعلم الخط والتهجي

الى الآن مرارا كثيرة وكلها معزوة كهذه الى رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية. والوصية مكذوبة قطعا لايختلف في ذلك أحد شم رائحة العلم والدين وانما يصدقها البلداء من العوام الأميين ولاشك أن الواضع لها من العوام الذين لم يتعلموا اللغة العربية ولذلك وضعها بعبارة عامية سخيفة لاحاجة الى بيان أغلاطها بالتفصيل. فهذا الاحمق المفتري ينسب هذا الكلام السخيف الى أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء صلى الله عليه وآله وسلم ويزعم أنه وجده بجانب الحجرة النبوية مكتوبا بخط أخضر يريد أن النبي الأمي هو الذي كتبه ثم يتجرأ بعد هذا على تكفير من أنكره . فهذه المعصية هي أعظم من جميع المعاصي التي يقول انها فشت في الامة وهي الكذب على الرسول عليه الصلاة والسلام وتكفير علماء أمته والعارفين بدينه فان كل واحد منهم يكذب واضع هذه الوصية بها وقد قال المحدثون ان قوله (ص): من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار: قد نقل بالتواتر ولا شك ان واضع هـذه الوصية متعمد لكذبها ولاندري أهناك رجل يسمى الشيخ أحمد أم لا

اما تهاون المسلمين في دينهم وتركهم الفرائض والسنن وانهماكهم فى المعاصي فهو مشاهد و آثار ذلك فيهم مشاهدة فقد صاروا وراء جميع الامم بعد ان كانوا بدينهم فوق جميع الأمم « ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون » الا ان يتوبوا ولا حاجة لمن يريد نصيحتهم بالكذب على الرسول ووضع الرؤى التى لايجب على من رآها ان يعتمد عليها شرعا بل لايجوز له ذلك الا اذا كان مارآه موافقا للشرع فالكتاب والسنة الثابتة بين أيدينا وهما مملوآن بالعظات والعبر ، والآيات والنذر ،

كيفية فرض الصلاة والمراجعة فيه

(س ٨١) عوض افندي محمد الكفراوي فى (زفتى): أحقيقة مايقال او يروى من ان الصلاة كانت اول ما فرضت خمسين صلاة وان النبي (ص) راجع فيها ربه بارشاد موسى عليه السلام حتى جعلها الله خمسا فى الفعل وخمسين فى الاجر؟ أفيدونا ولكم الاجر من الله ولا زال مناركم هاديا للمسلمين

(ج) إن ماذكر مروي فى حديث المعراج وقد اختلف فيه المسلمون على صحة سنده والمثبتون له وهم الجمهور قد اختلفوا في كونه وقع يقظة أم مناما واستدل القائلون

بانه منام برواية شريك عند البخاري إذ يقول النبي (ص) فى آخرها « ثم استيقظت » وفي رواية له أنه رأى ما رأى وهو بين النائم واليقظان . ومسألة المراجعة على كل حال من المتشابهات او من الشؤون الغيبية الروحية وقالوا ان من حكمتها تكرار المناجاة وما يتبعها من منة التخفيف والله أعلم

صحة الرؤى والأحلام

(س ٨٢) ومنه : هل من سند صحيح للاعتقاد بصحة الرؤى والاحلام فقد فشت بين عامة المسلمين

(ج) إنما يحتاج الى صحة السند فى اثبات الاخبار المنقولة عن الآحاد ولا حاجة الى ذلك هنا فان صدق الرؤيا واقع بالتجربة وثابت بالكتاب ولكن ما يصدق منها قليل جدا ولا يقع الا للاقل من الناس وهو لا يعلم الا بعد ظهور تأويله بالفعل كما وقع لمن رأى في شهر يوليو سنة ١٩٠٣ تلك الرؤيا للشيخ علي يوسف وكتب بها اليه وكان في باريس وهي أنه تزوج فكان لزواجه نبأ ولغط وحكم القاضي ببطلان العقد وطفق الشيخ علي يسعى ويتخذ الوسائل لدى الحكومة وبعض النظار . وقد أجاب الشيخ علي يوسف صاحب الرؤيا بكتاب من باريس يذكر فيه تأويلا لها يصرفها عن ظاهرها ولكنها وقعت بعد سنة كما رآها الرائي وكتابه محفوظ عند الشيخ علي وكتاب الشيخ علي في تأويلها محفوظ عنده. وقد قال الصوفية ان الرؤيا الصالحة تسر ولا تغر فلا يجوز لاحد الاعتماد عليها والثقة بها وقال أهل الشرع ان الرؤيا لا تعتبر شرعا في اثبات الاحكام أو نفيها فلا يجوز لمن سمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام شيئا أن يعتد به على أنه من الدين وذلك لعدم الثقة بضبط الرائي وحفظه لما رأى ولان الشريعة قد كملت في حياته (ص) فلا تحتاج الى زيادة كما قال تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم »

كتاب إصابة السهام والعادات المتبعة فى الجمعة

(س ٨٣) السيد محمد البسيوني بكفر الباجور :

إني كنت بمجلس يحتوي أناسا من أهل العلم وكنا نقرأ في كتب دينية منها (كتاب اصابة السهام ، فؤاد من حاد عن سنة خير الانام) تأليف حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمود محمد أحمد خطاب السبكي أحد علماء الازهر الشريف حالا وهذا الكتاب

يحتوي على أحكام دينية ومبطل لبعض العادات الموجودة بالمساجد مثل قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة بصوت عال والترقي فيه بين يدي الخطيب واللغط في الجنائز فرأينا بعض سادتنا العلماء يعترضون على المؤلف وقد ألفت كتب ضد الكتاب المذكور حتى صار الآن بعض البلاد بمركزنا وهو مركز منوف (المنوفية) ينقسم الى قسمين أحدهما تبع خطة الشيخ محمود خطاب المذكور والآخر غير موافق له حتى يؤل الامر أحيانا الى نزاع رسمي بين الفريقين وحيث اننا لم نعرف المصيب من المخطيء فقد حررنا هذا راجين من حضرتكم أن تفيدونا بمجلتكم العلمية حتى نهتدي الى الصواب ولحضرتكم الفضل

(ج) ان الشيخ محمود خطاب قد أهدى الينا كتابه المذكور في السؤال وقرظناه في الجزء الاول من مجلد المنار السادس ونقلنا عنه ماذكره في بدع الجمعة وكان الشيخ محمد بخيت ألف رسالة في ذلك قرظناها في الجزء الرابع والعشرين من المجلد الخامس وفي الاول والرابع من المجلد الساس وبينا في هذا التقريظ خطأ من يزعم أن الترقية وقراءة الكهف من الامور المشروعة في يوم الجمعة كمؤلف الرسالة فالسبكي هو المصيب وقراءة مؤلفاته نافعة ان شاء الله تعالى واذا أردت زيادة الايضاح فارجع الى الاجزاء التي ذكرناها .

وجوب الختان أو سنيته

(س ٨٤) من الشيخ مصطفى الحنبلي في (حلوان) : حصل بيننا وبين بعض النبهاء خلاف في مسئلة فقهية دينية موجودة في كتب الفقه وهي (الختان واجب على الذكر والانثى) وردت هذه القاعدة الفقهية في شرح الدليل وشرح الزاد للامام احمد بن حنبل وعليكم بعد ذلك بكتاب المنتهى للامام احمد أيضا فأفتونا ودام فضلكم

(ج) اننا نطبع في هذه الايام كتاب (المقنع) في الفقه الحنبلي وهو من المتون المعتمدة وعليه حاشية جليلة وفيها عند قول المتن « ويجب الختان مالم يخفه على نفسه » مانصه «وهو شامل للذكر والأنثى وعنه لايجب على النساء وصححها بعضهم وعنه يستحب » اه المقصود ومنه يعلم أن في المسألة روايات أشهرها الوجوب وهو مذهب

الشافعي والرجال والنساء فيه سواء. والمشهور أنه سنة قال النووي وعليه أكثر العلماء ومنهم الحنفية والمالكية وقد جرى عليه العمل ولكن لايوجد حديث يحتج به في الامر به لحديث «ألق عنك شعر الكفر واختتن» عند أحمد وأبي داود والطبراني وابن عدي والبيهقي قال الحافظ بن حجر فيه انقطاع وعثيم وأبوه (كليب راوياه) مجهولان. وقال ابن المنذر: ليس في الختان خبر يرجع اليه ولا سنة تتبع: واحتج القائلون بأنه سنة بحديث اسامة عند أحمد والبيهقي «الختان سنة في الرجال مكرمة في النساء» وراويه الحجاج بن ارطاة مدلس. والذي لانزاع فيه هو ماقلناه من أنه سنة عملية كان في العرب وأقره النبي (ص) وعده من خصال الفطرة وهو من ذرائع النظافة والسلامة من بعض الامراض الخطرة.

نقض الوضوء بمس الذكر

(س ٨٥) السيد محمد بن عبد الله بن محمد البار الحسيني في (عدن): نروم من حضرتكم الاعراب عما ترونه في الحديثين الواردين في انتقاض الوضوء وعدمه حديث «من مس ذكره فليتوضأ» وحديث «هل هو الا بضعة منك» هل الحديثان صحيحان وهل بينهما تعارض وما الذي بان لكم الحق فيه وما الذى يجب ان نعمل به؟

(ج) الحديث الاول فيه روايات أصحها وأشهرها حديث بسرة مرفوعا «من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضأ» رواه مالك والشافعي وأحمد وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم وصححه غير واحد منهم وقد احتج البخاري ومسلم بجميع رجال سنده ولم يخرجاه في صحيحيهما لاختلاف وقع في سماع عروة من بسرة قال البخاري ان مروان حدث به عروة فاستراب فارسل مروان رجلا من حرسه الى بسرة فعاد اليه باثبات الخبر عنها ومروان مطعون في عدالته وحرسيه مجهول ولكن ثبت عن غير واحد من الائمة ان عروة سمع من بسرة بعد ذلك كما في صحيح ابن خزيمة وابن حبان قال عروة فذهبت الى بسرة فسألتها فصدقته. قال في المنتقى: وقال البخاري هو أصح شيء في هذا الباب: ووردت أحاديث أخرى بمعناه

واما حديث «هل هو إلا بضعة الا منك» فقد رواه أحمد وأصحاب السنن والدارقطني من حديث طلق بن علي بلفظ: الرجل يمس ذكره أعليه وضوء: فقال (ص)

« هل هو الا بضعة منك » صححه عمرو بن القلاس ورجحه على حديث بسرة هو وعلي بن المديني والطحاوي وصححه أيضا ابن حبان والطبراني وابن حزم ولكن ضعفه الشافعي وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني والبيهقي وابن الجوزي وقال قوم انه منسوخ منهم ابن حبان والطبراني وابن العربي والحازمي لتأخر إسلام بسرة عن اسلام طلق ولما كان عليه الناس من العمل بحديث بسرة لانها حدثت به في دار المهاجرين والانصار ولان من شواهد حديث بسرة مارواه طلق نفسه وصححه الطبراني عنه بلفظ « من مس فرجه فليتوضأ »

وجملة القول ان حديث بسرة أصح سندا لان رجاله رجال الصحيحين وحديث طلق لم يحتج الشيخان برجال سنده وهو من رواية ابنه قيس عنه وقال الشافعي سألنا عن قيس بن طلق فلم نجد من يعرفه وقال أبو حاتم وأبو زرعة انه ممن لاتقوم به حجة فالأول أصح سندا ومن رأى عند المصححين لحديث طلق ماينفي ماطعنوا به على سنده ولم يثبت عنده النسخ فله ان يحمله على الرخصة كما قال الشعراني في ميزانه ويحمل حديث بسرة على العزيمة . أما ترجيح حديث طلق على حديث بسرة فلا وجه له ألبتة والله أعلم

(س ٨٦) ومنه: ثم نروم الافادة عما كان صلى الله عليه وسلم يلبسه من الثياب في غالب أوقاته وعما حث على لبسه (ص) ومانهى عنه ، وهل تتبع الثياب الفاخرة محمود أومذموم ؟ لازلتم ممن أحيا السنة وأمات البدعة

(ج) كان صلى الله عليه وآله وسلم يلبس في غالب أوقاته لباس قومه من الازار والرداء ولبس أيضا من لباس الروم والفرس وحث على لبس الثياب البيض وكان أحب الثياب اليه ان يلبسها الحبرة كما في حديث أنس عند الشيخين وغيرهم وهي (كعنبة) برد يماني من القطن أو الكتان سمي بذلك لانه محبر أي مزين بالخطوط والالوان وكان من أحبها اليه كذلك القميص كما في حديث أم سلمة عند أحمد وأصحاب السنن ماعدا ابن ماجه وكان يعتم ويسدل عمامته ولم يتسرول ولكنه قال : ائتزروا وتسرولوا : ونهى عن لبس الحرير المصمت الا لحاجة كمرض وعن المنسوج بالذهب وتقدم تفصيل ذلك في المنار وعن لباس الشهرة وعن جر الثوب خيلاء وقالوا ان المراد بثوب الشهرة مايخالف

به اللابس الناس ليرفعوا اليه أبصارهم فيتيه عليهم ويفتخر بلبوسه وهذا من السخف والصغار فان عالي الهمة لايفتخر بثيابه . ولم ينه عن اللبوس الفاخر مع حسن القصد بل لبس ثيابا غالية الثمن . وفي حديث ابن مسعود عند أحمد ومسلم قال قال رسول الله (ص) : « لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال (ص): «ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمص الناس» أي احتقارهم . وجملة القول ان اللبس من الأمور العادية والدين لايذم لباسا الا اذا كان في لبسه ضرر في الاخلاق أوغيرها كالاسراف

باب التربية والتعليم

نابتة العصر ، ومستقبل مصر

(أو التربية الحديثة)

أن للألفاظ دولا كدول الاشخاص يعز بعضها فى زمن ويذل فى زمن آخر اذتدول العزة الى غيره وان لفظ التربية الحديثة لهو في هذا العصر أقوى الالفاظ دولة وأعز نفراً حتى يوشك أن يكون له الظهور والاستعلاء على لفظ (بيك) ولفظ (باشا) الذي طفق يتدحرج من قنة عزه بابتذال الرتب التي يقرن بها اذ صارت تباع بالدراهم والعروض وصار سماسرة البيع يتباخسون ويتناجشون فيها ويبيع بعضهم على بيع بعض بالوكس، والثمن البخس، حتى ترفع الوضيع، وتبرم الرفيع، وأما لفظ التربية وما اشتق منه كالمربي والمتربي فلم يسحل مريره، ولم يهن نصيره، ولم يخرج عن نصابه، ولم يعد من شبابه، ذا كان لفظ (بيك) او (باشا) قد احترم ولا يزال يحترم لانه عنوان الجاه والثروة، والقرب من رجال الدولة. فان لفظ (المتربي) يحترم اشد الاحترام لانه عنوان العلم والادب، والسياسة والكياسة، وصاحبه، وضع الامل والرجاء بخدمة الامة، والارتقاء بالوطن الى القمة، والمستحق لاعمال الحكومة، والقادر على القيام بالمشروعات العظيمة، ويقولون ان اكثر الذين تحلوا بالرتب ، التى تقرن بذلك اللقب، قد تدلوا بغرور، ولبسوا ثوبي زور، لان رتبهم من المواضعات الرسمية، التي تخط بسوء حال الحكومة والمعية، (المعية فى العرف حاشية الامير الحاكم) ولقب المتربي من اصطلاح اهل العلم، ومواضعة اهل الذكاء والفهم، فهم يطلقونه

على صاحبه بحق ، ويجرون فيه على عرق، واني لا انكر قولهم الاول، ولا اعترف باطلاق القول الثاني، فانه ان صح انهم لا يطلقون كلمة متربي على غير من اخذ بسهم من الفنون الحديثة على الطريقة الاوروبية، واصطبغ بشيء من ألوان المعيشة الافرنجية، فلن يصح ان من كان له هذا السهم، فهو مثال الفضيلة والعلم ، والقادر على النهوض بالامة والبلاد ، الى ذرى السيادة والاسعاد ، واليك البيان

ترى جرائد الدهان تملأ ماضغيها فخرا بأن محمد علي باشا وخلفهم الذين أسعدوا البلاد المصرية بادخال هذه التربية الحديثة فيها فأحيوها بها بعد موتها ولكن ما بال هذه الحياة التي نفخ روحها في الامة منذ قرن كامل لم تصدر عنها آثار الاحياء في الاخلاق الفاضلة والاعمال النافعة ونظام البيوت ووحدة الامة واستقلال الحكومة ومنعتها الواقية من التحيز الى الاجنبي والاستنصار به والاستذلال له وتمكينه من ناصيتها ألم ترتق أمة اليابان بعد الاخذ بعلوم اوربا بخمس وعشرين ؛ ؟ فما بال الامة المصرية لم ترتق بعد مئة من السنين ؛

اذا كان ترقي الامة هو استقلالها ، ونهوضها بأحكامها وأعمالها ، وكان أمراء مصر قد نهضوا بأهلها وجذبوهم الى الرقي والكمال، فما بال الامير عند أول نبأة من الامة في طلب الاستقلال ، ومشاركة الشراكسة في الاعمال، قد استغاث بدولة انكلترا لتنقذه من الامة وتؤيد سلطته عليها وتمكن له في أرضها وقد كان من أمرها في تمكين هذه السلطة ان اخذت من الشراكسة والترك أكثر مما كان المصريون يطلبونه لانفسهم بل استولت على كل شيء ، حتى لا يبرم بغير يديها شيء ؛

احتلت انكلترا أرض النيل فقيدت الحكومة وأطلقت الاهالي وكان من هذا الاطلاق حرية للمطبوعات كثرت بها الجرائد وكثر اللغط في السياسة، والسياسة هي الفتنة الكبرى للناس فتن بها المصريون حتى شغلتهم عن الانتفاع بالحرية التي منحوها واغتر بفتنتهم كثير من الناس فظنوا ان وراء ثرثرة الجرائد المصرية وتبجحها بذم الانكليز ومعارضتهم حياة طيبة واستقلالا كاملا هاجته القوة فأنشأ يواثبها ويناصبها ولا يلبث ان يغلبها، ولم تلبث الحرب أن فتئت وانجلى الغبار عن أفراد استنفرتهم المنفعة الشخصية فنفروا ، واستنزهم طلب الجاه ففزوا وطفروا، وقد سكنت الآن الزعازع ،

وسكت المنازع ، وأقصى ما كان من تأثير هذه السياسة أن غرت الامة بغيرها ، ولم تحاول ان تغرها بنفسها ، ودعتها الى حياة سياسية ، ولم تدعها الى حياة اجتماعية ، وفاقد الشيء لايعطيه ، ولاينضح الاناء الا بما فيه ،

نعم أن المصريين لم يغتروا بأنفسهم فاننا منذ جئنا هذه البلاد نسمع من شكوى خاصتهم وعامتهم مايدل على عدم ثقتهم بأنفسهم وعدم رضاهم عن حالهم في التعلم والتربية والعمل والاقتصاد وكل مقومات الحياة . ووجدنا الشعوب التي مازجتهم تشكو من أخلاقهم وحالهم أشد مما يشكون ، وكنا نظن ان الجميع مبالغون فيما يقولون،لان رجاءنا في مصر والمصريين كان عظيما وقد ضعف الآن ولكنه لم يذهب بالمرة وانا لنعلم أن كل المسلمين البعداء عن مصر يرجون من المصريين مالا يرجوه المصريون لانفسهم من أنفسهم. ولايغرنك ما يتشدق به ويتفيهق بعض الأحداث الذين اتخذوا المدح حرفة يكتسبون بها المال وقليل ماهم وانظر ماقالته جريدة المؤيد في هذا الشهر وفاقا لجريدة الاجبشيان غازيت الانكليزية المصرية في مستقبل المصري بعد الاشتغال بعلوم أوربا مئة سنة وبعد عشرين سنة في الحرية الحقيقية التي وهبها الاحتلال الانكليزي لمصر

تقول الجريدة الانكليزية فى مقالة عنوانها (مستقبل المصري) ان مستقبل مصر أي حسنه مضمون ولكن مستقبل المصري بين اليأس والرجاء فان ترقي هذه البلاد المستمر في التجارة والزراعة والصناعة وجميع مرافق الحياة انما هو من الاجانب وبالاجانب وان المصري لم يشترك فيه على انه استفاد منه قليلا. وان التاريخ يثبت بالبراهين الكثيرة ان المصري فطر على الدعة والسكون والقناعة بالوجود فى العالم متى حظي بما يكفل له الحياة وحاجاتها الضرورية فلا مطمع له ولا أمل في تحسين أموره . وتقول ان المصري لاعذر له الان في هذا فان هذا الزمان ليس كالزمان الذي كان فيه طلب التقدم والارتقاء خطرا عظيما أي من الامراء المستبدين . ثم جزمت بأن المصري ما استفاد ولا هو يستفيد من تقدم بلاده ولايسير مع الارتقاء ولايأخذ نصيبه من نمو الثروة في بلاده بل كل ذلك عائد على الاجانب والغرباء الذين ترتقي البلاد بعملهم

وقد ترجم المؤيد المقالة فى (ع ٣ ٤٣٨٩) الصادر في ٦ شعبان ووصفها بقوله «وكلها

آيات بينات وحقائق ساطعات واضحات تدل على استقلال الغازيت وحريتها فيما تنشره من المقالات النافعة المفيدة ، ثم نشر في تلك الجريدة مقالة أخرى لكاتب انكليزي في معناها ينحي فيها على المصريين إنحاء شديدا فعربتها جريدة المؤيد مقرة لها وبعد ذلك نشر في المؤيد مقالة لاحد المحررين فيها في موضوع مقالتي الجريدة الانكليزية قال في فاتحتها

« اطلع القراء على ماعربه المؤيد عن جريدة (الاجبشيان غازيت) تحت عنوان (مستقبل المصري) وما أظن أن أحدا ممن وقع نظره على تينك الرسالتين لم يعترف في نفسه ولمن معه بصدق ماجاء فيهما من الحقائق المرة إذ كون المصري مخذولا في بلده مهملا لشؤونه الحيوية مفصوم العروة القومية — الى آخر مايمكن أن يوصف به من الاهمال والخمول والتراخي وعدم النظر الى المستقبل — قضية لاتحتاج الى إقامة برهان أو بيان ولكن الذى يجب أن يتساءل عنه هو اسباب هـذا الخذلان وهل ثمة واسطة لاصلاح الحال »

ثم ذكر من المقالة الثانية الانكليزية التي نشر تعريبها في (٩ ش) مانصه : « ان الاخـلاق الفطرية للأمة المصرية بل وكل ماضي تاريخها تدل على أن الوصول الى الرقي الأدبي والحياة الاجتماعية القومية يعد من قبيل المستحيلات فانه منـذ فجر التاريخ والفلاح المصري على ماهو عليه تاركا أموره وحياته ووجوده فى أيدي غيره واكلا الى الأجانب عنه تأدية الواجب الذي كان من المحتم عليه القيام به » اه ثم سأل محرر المؤيد نفسه وقراء الجريدة عن سبب ذلك على أنه أطال الفكر فيه فلم يهتد قال :

« ان قلنا إن التعليم والتربية ناقصان وإن الجهل سبب كل هـذا أجابونا فما بال هؤلاء المصريين المتعلمين الذين حازوا من علوم أوربا أسماها وأغلاها وعاشروا المتمدنين منهـا والعاملين المجدين فيها لايعملون ولايفكرون ؟ وما بالك تراهم مثل أمثالهم من إخوانهم المصريين مشتغلين جل أوقاتهـم بالسفاسف والصغائر؟ وأين هي الاخلاق القوية التي يوجدها التعليم والتربية فى النفوس وهم كما تراهم وتعرفهـم » . ثم قال انه لايصح أن يكون السبب جوّ البلاد ، ولا كون الامة عريقة بحكم الاستبداد ؛ ولا دين الاسلام لان الاجانب يعملون في هـذا الجو ويرتقون ولان غـير المصريين حكموا بالاستبداد ثم نجحوا وارتقوا ولأن الاسلام قد نهض بالأمة العربية أونهضت به وهؤلاء

القبط في مصر كالمسلمين ولأن اليابان وأوربا ما ارتقيا بالدين . وغرضنا من قول هذا المحرر شهادته في المصريين الذين تعلموا وتربوا (كما يقال) فانها شهادة المؤيد أشهر جرائدهم وقد كان قال من عهد قريب ان الامة المصرية لم ترتق الى درجة تؤهلها لإنشاء مدرسة كلية

أما سبب هذه الحيرة في علة انحطاط المصريين فهو الجهل بمعنى التربية الصحيحة النافعة التي ترتقي بها الامم والتي لا يفيد التعليم بدونها الفائدة المطلوبة وقد بينا الفرق بين التعليم والتربية غير مرة وقلنا إن في مصر شيئا من التعليم الناقص ولكن ليس فيها تربية قط بل التربية فيها متعسرة أو متعذرة أو يحال بين الناشئين الذين يربون وبين الناس لئلا تفسد عمل المربي هذه البيئة الوبيئة بفساد الأخلاق والأعمال ولكن أين المربي وأين يربي ؟ واذا هو وجد فمن يسمع له ومن يعينه على تربية ولده؟ وبينا أيضا ان هذا التعليم الناقص قد زاد في إفساد أخلاق الأمة وفتح لها خروقا من السرف والترف والايغال في اللذة والاستمتاع ما فتحت في أمة قوية الا وأضعفتها وجعلتها من الهالكين

وليعلم القارىء ان حياة الامم الميتة تتوقف على الاستعداد في الأمة كما أوضحناه في مقالة (الاصلاح والاسعاد على قدر الاستعداد) فاذا لم تستعد الأمة فبيان أمراضها وطرق علاجها لا ينفعها لانها كالمريض الاحمق يأبى كل دواء لأنه دواء. بل لا يسهل على غير المستعد أن يفهم أسباب الضعف وكيفية معالجته. فاذا أقمت البراهين والحجج القيمة على أن رغبة الامة المصرية في الرتب والنياشين من أسباب الفساد لا يفهم قولك الا الاقلون ومن فهمه يكابر فيه وينكره بلسانه وان اعتقده في قلبه ومنهم اكثر أصحاب الجرائد فما بالك اذا ذكرت لهم الادواء الفاتكة التي يعد حب الرتب والنياشين من أعراضها

وسنذكر في الجزء الآتي طريقة تعلم النابتة المصرية والروح الذي به تحيا الامم ولا ينفع مع فقده علم ولا تعليم، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

يوم ٣٠ ابريل سنة ــ ١٨٦

تتناقص الحرارة ويتدرج الهواء في البرودة لاتنا صرنا في خط الجدي

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر .

منذ يومين آلم نفوسنا فقد واحد من رجالنا

ذلك أن قطعة من قطع الاخشاب المنحرفة الوضع المستعملة في السفينة لشد حبالها لم يكن ربطها وثيقا فأتت عليها نفحة من الريح فهوت بها على السطح فصادمت في هويها رأس ذلك الملاح وهو قائم على الحراسة فلم آل جهدا في تجريب جميع الوسائل الفنية لايقاظه وتنبيهه ولكنني لم أفلح لانه لم يبق فيه أدنى علامة على الادراك فسرى الوجوم في السفينة لان هذا الملاح الباسل كان محبوبا عند رفقائه وصاح الربان بصوت أجش وقد بدت على وجهه آثار الحزن مع اتقابه بالتجلد بأن تنقل الجثة الى غرفته

استولى سكون الحداد على السفينة فما كنت ترى على ظهرها الا انظارا شقت عن الاسى ووجوها نكرتها الاشجان وأسدل الليل على البحر بالتدريج حجب ظلماته كلها وأرخى عليه سدول احزانه فما رأيته قبل تلك الليلة بهذا المقدار من العظم والكآبة وكانت الامواج باصطخابها تشكو شكوى الاحياء من مضض المصيبة حتى خيل لي انها نفوس تناجي نفوسنا

واربا ما كان أشأم هذا الصخب المتقطع الناشئ من ملاطمة الامواج لالواح سفينة تقل ميتا

أقبل النهار وأدبر الليل بيد أن أضواء الشمس في إشراقها لم تقو على قشع ماغشي النفوس من سحب الاكدار الليلية فبقيت جميع القلوب مثلوجة متبلدة بضرب من الهول ذلك أن وجود الميت في بيت يبث فيه على الدوام الحزن مشوبا بالاجلال والرعب والسفينة بيت مضطرب فما يسهل انفصامه من عري المودة بين من تطاوحت بهم النوى من العائشين في البر بتأكدها بين العائشين في السفينة بسبب اشتراكهم في الحاجات والمخاطر

تخلف يعقوب في ذلك الصباح عن إجابة داعي الشمس المشرقة وعهدنا به أنه كان على الدوام أول من يسمع دوى صوته الشديد على ظهر السفينة فأصبح وقد قضي عليه أن لا يكون هو الصائح بكلمة «تمام»

كان من أسباب اشتغال قلوب المسافرين والملاحين بالحزن أيضا ارتقابهم لما كان قريب الوقوع من دفن الميت ومع كون أعمال التجهيز كلها كانت تؤدي في سكون

كأنها من وراء حجاب كنا نخلس الملاحين في بعض الاماكن روحات وجيآت خفية وقد أحدث السفينة بتنكيس الاعلام التي تزهو دروتها عادة بارتفاعها فوقها فخرا بالامة المنتسبة اليها وفى نحو الساعة العاشرة برز الربان على ظهرها ثم أقبل على ملاحيه وقال بصوت منخفض قد حلت ساعة النحس فعلي بالربان الثاني وأخبروه بأننا مستعدون ويعلم الله مقدار مايشق علي من تأدية هذا الفرض ولكن من الواجب القيام بالواجب

رتب الملاحون اكوام الحبال التي كانت تعيق السير بتبعثرها على سطح السفينة ورفعوا أحد الاجزاء التي تتألف منها جدران السفينة فكان من ذلك نافذة شبيهة بالكوة كنا نرى منها البحر يتراوح بين الصعود والهبوط

كان ناقوس السفينة يطن فيحدث عن طنينه المؤلم اذا انتشر على وجه الامواج أثر محزن يغادر جميع القلوب واجفة

لما كانت السفينة خلوا من القسيسين كان من العادات المضطردة في مثل هذه الحالة بأنكلترا أن يعهد بصلاة الجنازة الى ربانها من أجل ذلك أخذ الربان مجلسه وهو مكشوف الرأس وبين يديه كتاب مفتوح والتفت عليه حلقة من المسافرين والملاحين يحفهم الوقار والخشية على تشوش هيآتهم وأوضاعهم ينتظرون البدأ في الشعائر الدينية

أشار الربان الى رجلين من الملاحين بان يهبطا من أحد سلالم السفينة الضيقة فلم يلبثا أن صعدا يحملان الميت على نعش كبير مثقب وقد لف فى قطعة من نسيج الشراع خيطت عليه وكان من الميسور تقدير ثقله بما كانا يعانيانه من الجهد فى حمله ذلك أن العادة تقضي فى مثل هذا المقام أن يوضع فى الكفن مع الجثة قذيفا مدفع (القذيفة الكرة التي تقذف من المدفع) احداها عند رجليها والاخرى عند رأسها

ما برزت هذه الصورة المشؤمة من سدفة السلالم (السدفة الظلمة المختلطة بالضوء) حيث كانت تبدو منها ببطئ حتى اقشعرت لمرآها أبدان الحاضرين وقد بسط على صدر المتوفي علم من أعلام السفينة عليه الوان البحرية الانكليزية

انشأ الربان يتلو صلاة الجنازة بصوت شديد معتاد على الأمر والنهي غير أنه

كان يعتوره اللين حينا بعد حين فتتخاله نغمات ضعيفة مهتزة كأنها تنبعث من القلب وكان مايحصل في نفسه من التنازع بين التماسك والسكينة التي يراها لازمة لكرامته من حيث هو رجل وبين عاطفة الرحمة التي كان يكاد يبدي بها يكسو وجهه هيأة غريبة جمعت بين القسوة والرحمة وكان كاتب السفينة يتلو في ذلك الكتاب عينه الحكم الانجيلية وما كان يسع احدا من السامعين أن لايعترف بشيء من الجلال لهذا الضرب من التحاور في معنى الموت بين رجلين مستهدفين في كل يوم لآلاف من المعاطب قد شهد كلاهما كثيرا من اخوانهما يخترمون من حولهما ويثوون في ظلمات البحر السرمدية

هذا الذي كانا يتناوبان تلاوته لم يك يشبه الصلوات بحال (فالكنيسة الانكليزية لايصلى فيها قط على المتوفين) بل كان عبارة عن فكر ماخوذة من التوراة في معنى قصر الاجل ومصوغة في قوالب تشبيهات شعرية كتشبيه الحياة بعشب البوادي يخضر في الصباح ويذبل في المساء أو بالظل يسري على الماء وتشبيه جمال الرجل والمرأة شوهته السنون بثوب أكلته الارضة وكان جميع الحاضرين يفهمون نص هذه العبارات العبرية لانه كان مترجما الى الانكليزية

على أن الساعة الاخيرة قد اقتربت فكف الربان عن التلاوة وأخذ يرقب عظم اتساع السماء والماء ثم صوب بصره آخر مرة الى ذلك الشيء وهو مدرج في نسيج يعرف الناظر اليه من خلاله شكل آدمي معرفة مبهمة وقد وضع على شفا الفوهة التي صنعت في جدار السفينة ليلقى منها في البحر ولم تكن الا اشارة من الربان أن سمع صوت غليظ رخو لسقوط رجل ميت في البحر فشوهد للامواج فوران شديد فترجرج خفيف فدوائر من الماء متداخل بعضها في بعض فلا شيء

التأم الآذي على الجثة كما يلتئم بلاط اللحد . وقال الربان بصوت خنقته العبرة والانفعال « أنت في وديعة البحر »

كنت في كل المدة التي استغرقها أداء هذه الشعائر أرقب «أميل» حينا فحينا فأجده شديد التأثر وأما «لولا» فكنت اراها باكية

يرجع تأثر هذين الغلامين الى سببين اولهما ان تجهيز الميت كان مقرونا من الوقار والهيبة بما يهز القلوب ثانيهما انهما لم يكونا شهدا الدفن قبل هذه المرة لجهلهما الموت

حتى هذه الساعة نعم انهما كانا يعرفان بالتحقيق ان كل شيء صائر الى الفناء فقد شهدا حيوانات تزول واخوانا يختطفون من حولهم غيراني في شك قوي من كثرة اشتغالهما بهذه الطوارئ الطبيعية ووقوفهما بالفكر عندها والانسان لا يعرف الامور معرفة صحيحة الا اذا فكر فيها بنفسه ولا أعدم واهما يلقي علي تبعة هذا الجهل لاني أعلم انه كان ينبغي من اجل إنشاء «أميل» على الاصول القويمة التي يحبها ذلك الواهم ان اربيه على الخوف وان أحيط له الحياة فى مواعظي بوعيد القبر ومخاوف الخلود ولكن ما حيلتي اذا كنت لم أجد من نفسي إقداما على ذلك فأني رأيته كثير الاغتباط بالحياة فصرفت جل عنايتي فى تحبيب الواجبات الى نفسه لانى دناءة التخويف من عقوبات الآخرة أو التأميل فى مثوباتها الغيبية

المواعظ المحزنة لا تربي الوجدان بل تكدر صفاءه وتزعجه فواشوقاه الى الساعة التي يتأثر فيها اليافع بمشهد الموت فيأنس من نفسه الحاجة الى سبر غور ماقدر له فى أخراه . (١) اه

(يوم ٦ مايو سنة ــ ١٨٦)

الرياح باردة والسماء كدراء وتزعم «لولا» أن سفرنا استغرق الربيع والصيف والخريف واننا داخلون في الشتاء وحقيقة الامر هي ان اقاليم البلاد فصول ثابتة كما ان فصول السنة أقاليم مرتحلة

صارت الامواج من الثقل والضخامة بحيث اصبح سير السفينة شاقا وقد هبت علينا ريح خبيثة فهي ترفعنا الى الشرق نحو جزائر فوقلند . (٢) اه

يوم ٨ مايو سنة ــ ١٨٦

اقتحمنا مدخل بوغاز ماجلان (٣) وهو مجاز وعر خطر ورأينا هناك طيورا

(١) ما كرهه المربي لولده من إنشائه على الخوف من العقاب والرجاء فى الثواب غير مكروه ووصفه هذين الامرين بالدناءة غير صحيح وامله فى أن ولده يسبر غور ما قدر له فى اخراه وهم ظاهر وخدعة زينها له شكه فى اليوم الآخر (٢) جزائر فوقلند هي ارخبيل فى المحيط الاطلانطيقى شرقي بوغاز ماجلان مملوك للانكليز

(٣) بوغاز ماجلان واقع بين بتاغونيا ويكردو فو (أرض النار) اكتشفه رحالة بورتغالي اسمه ماجلان وهو أول من بدأ بالطواف حول الارض

يسميها الملاحون حمام الراس الواحدة منها في حجم البطة البرية أحد نصفها أبيض والثاني اسود وكانت تحوم حولنا اسرابا وتصطاد بشباك تمد على كوثل السفينة (مؤخرها) فتنشب فيها اجنحتها فى غدوها ورواحها عليها وتتورط فلا تستطيع انفكاكا

وشاهدنا طيرا آخر أثار العجب في نفس «أميل» بعلو قامته وارتفاع طيرانه وهو المسمى بالبطروس (١) اه

يوم ١٠ مايو سنة ـ ١٨٦

راس القرن حقيق بان يسمى رأس الزوابع فقد هاجت علينا فيه هيجة خلنا فيها أن المحيط بأجمعه ينبخ بكلكله على سفينتنا الضئيلة على انها تقاوم وتجري مع مايلاطمها من الامواج ويتقاذفها من المهاوي لايقعدها عن ذلك زمجرة البحر فهو بهيمة كبري وجدت من يروضها .

باب الأخبار والآراء

﴿ خلاصة تاريخ حرب اليابان وروسيا ﴾

فى هذه الحرب عبر كثيرة منها أن ماظهر من ارتقاء اليابان العلمي والصناعي والادبي قد أبطل ما كانوا يزعمون من تفاوت استعداد أجناس البشر ككون الجنس الاصفر أضعف استعدادا من الابيض فقد اعترف الاوربيون بأن ارتقاء اليابانيين لايعلوه ارتقاء فى أوربا وهذه الامة الشرقية الصفراء قد ارتقت في مدة ربع قرن وأوربا لم ترتق الا بعدة قرون وماكلها فى الارتقاء سواء

ومنها أنه لايوثق بأحد فى نقل جزئيات التاريخ ولا يوثق منه الا بالأمور الكلية التى تستنبط من مجموع الحوادث بعد تمحيصها والاطلاع على اختلاف الرواة فيها فان نقل التاريخ لم يكن في عصر من الاعصار أيسر وأقرب الى الضبط منه فى هذا العصر لان كل واقعة من الوقائع العظيمة يشهدها عدد من أصحاب الشركات البرقية وأصحاب الصحف ومندوبو الدول وكلهم مؤرخون وانا مع هذا نرى ماينقلون من أخبار هذه الحرب تختلف جزئياته وتتناقض ويكذب بعضها بعضا . ونرى مؤرخي العصر

(١) البطروس طير من فصيلة الطيور الراحية الأجل يعيش في بحار استراليا

وهم أرباب الصحف يرجحون بأهوائهم لذلك كان الموثوق به حقيقة هو النتائج التى اتفق عليها جميع الناقلين وهي أن اليابانيين هم الظافرون فى جميع المواقع البرية والبحرية وأنهم اخف حركة وأعلم بالحرب وأحسن نظاما مع الشجاعة الكاملة وهاك ذكر أهم الحوادث والوقائع بتاريخها ملخصا مما عربه بعض الرصفاء عن جريدة التيمس:

في ٥ فبراير انذر المعتمد الياباني فى بطرسبرج حكومة القيصر بقطع العلاقات السياسية بين الدولتين بامر حكومته. وفي ٧ منه نشر التلغراف الذي أرسله الكونت لمسدروف الى سفراء روسيا ووكلائها السياسيين في انحاء السلطنة الروسية. وفي ٨ منه وصل أسطول ياباني يخفر نقالات يابانية بقيادة الاميرال اوريو الى ميناء شملبو واطلقت البارجة كوريتز الروسية القنبلة الاولى في هذه الحرب. وفي ٨ منه أيضا هاجم الاميرال توجو الاسطول الياباني الذي في بورت آرثر في منتصف الليل ونسف ثلاثة بوارج منه وهي الدارعتان زاروبتش ورتفيزان والطراد بويدا. وفي ٩ منه أعاد توجو الكرة على الاسطول الروسي فى الصباح فتعطلت الدراعة الروسية بولتافا وثلاثة طردات وهي نوفيك واسكولد وديانا. وفيه أيضا وقعت معركة بحرية في شملبو فدمر اليابانيون الطراد فارياج والمدفعية كوريتز. وفي ١٠ منه أعلنت اليابان الحرب رسميا وأصدر القيصر منشوراً الى الشعب الروسي أعلنه به بنشوب الحرب وقال انه سينتقم من اليابان مئة ضعف ويقتل هذا الطفل قبل ان يشب. وفى ١١ منه مست البارجة الروسية ينيسي لغماً فنسفها فى تاليان وان واغرق أسطول فلاديفوستوك باخرة يابانية وأنقذ ركابها. وفي ١٢ منه اعلنت الصين الحياد وخرج المسيو بافلوف معتمد روسيا فى كوريا من سيول. وفي ١٤ منه اغتنمت النسافات اليابانية حدوث عاصفة فهاجمت اسطول بورت آرثر ونسفت الطراد بويارين. وفى ١٧ منه تعين الاميرال مكاروف قائداً لاسطول بورت آرثر محل الاميرال ستارك. وفي ٢١ منه صدرت ارادة قيصرية بتعيين الجنرال كوروبتكين ناظر الحربية قائداً عاماً للجنود الروسية فى منشوريا فسافر الى منشويا فى ١٢ مارس. وفى ٢٣ منه عقد اتفاق بين كوريا واليابان ووقع في سيول. وفى ٢٤ منه ايضا حاول اليابانيون ان يسدوا مدخل بورت آرثر عند بزوغ الفجر وفي ٢٥ منه تجدد القتال فى بورت آرثر

بحراً ٠ وفي ٢٩ منه احتل اليابانيون جزيرة هى بون تو من جزو اليوت شرقي بورت آرثر
وفى ٢ مارس انكرت اليابان التهم التي وجهتها روسيا اليها فى البلاغات التي نشرت فى ١٨ و ٢٠ الماضي ٠ وفى ٦ منه أطلق الاميرال كميمورا المدافع على فلادفستوك ٠ وفى ٩ منه نشرت اليابان ردها على المنشور الذي اصدره الكونت لمسدروف فى ٢٢ الماضي ٠
وفي ١٠ منه هاجمت النسافات اليابانية اسطول بورت آرثر بعد منتصف الليل بقليل فغرقت نسافة روسية وضرب الاسطول الياباني بورت آرثر فى الصباح فدمر مباني سان شان تاو ٠ وفي ١٧ منه وصل المركيز ايتو الى سيول موفداً من عاهل اليابان الى عاهل كوريا.
وفي ٢١ و ٢٢ منه أطلق الاسطول الياباني المدافع على بورت ارثر وجعل الاسطول الروسي موقفه عند مدخل الميناء ٠ وفى ٦ منه احتل اليابانيون ويجوو بدأ الروس يعبرون نهر يالو متقهقرين ٠ وفي ٨ و ٩ منه حدثت مناوشات على نهر يالو ٠ وفي ١٢ منه استعانت البارجة كوريو مارو اليابانية بالنسافات ونصبت الألغام عند مدخل بورت آرثر ٠
وفي ١٣ منه قطعت المدامرات اليابانية الطريق على مدمرة روسية في جوار بورت آرثر فاغرقتها وفيه جرت الطردات اليابانية أسطول الاميرال مكاروف خارج الميناء فاصابت البارجة بتربابولسك لغما عند رجوعها فغرقت وغرق الاميرال مكاروف .
وفي ٢٣ منه عبرت طلائع اليابانيين نهر يالو. وفي ٢٥ منه نهض أسطول فلادفستوك الى جنسان فجأة وأغرق فيها الباخرة اليابانية جويو مارو ٠ وفى ٢٦ منه أغرقت نسافتان روسيتان النقالة اليابانية كنشين مارو ٠ وفي ٢٧ منه حاول اليابانيون سد مدخل بورت آرثر فلم يفلحوا وفيه بدأ القتال على نهر يالو. وفي ٢٩ و ٣٠ منه وأول مايو عبر الجنرال كووركي نهر يالو بجوار ويجوو كسر الروس وكانوا بقيادة الجنرال ساسولتش وغنم منهم ٣٨ مدفعا واستولى على كيوليان شنج وهي المعركة المعروفة باسم معركة يالو
في أول مايو حاول الاميرال توجو ان يسد مدخل بورت آرثر بتغريق البواخر والاخشاب فيه ٠ وفي ٣ منه سد اليابانيون المدخل على المدرعات والطرادات فقط ٠
وفي ٤ منه أبحر الجيش الياباني الثاني من شنمبو صباحا ٠ ووصل الاميرال «هوسايا» ومعه أسطول من النقالات الى « بتزي هو » شرقي بورت آرثر فى شبه جزيرة لياوتونج مساء ٠ وفي ٥ منه أنزل الاميرال هوسايا لواء بحريا وفرقة من الجيش البري الى

بتزي هو . وفي ٦ منه احتل الجنرال كوروكي فنج هوانج شنج . وفى ٨ منه قطع الجنرال اوكو خط السكة الحديدية عند بولان تيان شمالى بورت آرثر . وفى ١٠ منه هاجم القوزاق انجو في كوريا على غير جدوى . وفي ١٢ منه أطلق الاميرال كاتاوكا القنابل على تاليان وان ومست نسافة يابانية لغما فغرقت فى خليج كر . وفي ١٤ منه غرقت نقالة يابانيـــة فى خليج كر ايضا واحتل اليابانيون بولان تيان . وفي ١٥ منه اصطدم الطراد ان اليابانيان يوشينو وكاسوجا فغرق الاول . وفيه مست الدراعة اليابانية هاتسوسي لغما فغرقت بجوار بورت آرثر . وفى ١٦ منه زحف الجيش الياباني الثاني على كنشاو شمالي بورت آرثر . وفي ١٧ منه تعين الجنرال كيلر قائدا للفرقة السيبيرية الثانية بدلا من الجنرال ساسوليتش . وفي ١٩ منه نزل الجيش الياباني الثالث الى تاكوشان وفي ٢٠ منه قذفت العاصفة بالطراد الروسي بوغاتير على الصخور فتحطم بجوار فلاديفوستوك . وفي ٢٧ منه ألقى الاميرال توجو نطاق الحصار على شبه جزيرة لياوتونج جنوبا وفيه جرت معركة كنشاو فاخذ اليابانيون تل تان شان عنوة وغنموا ٧٨ مدفعا من الروس . وفي ٣٠ منه احتل اليابانيون دالني وبدأ الاحتكاك بين اليابانيين وطلائع الجنرال ستكلبرج المنفذ لانقاذ بورت آرثر في وافنجكاو .

وفي ٤ يونيو مست مدفعية روسية لغما فغرقت بجوار بورت آرثر . وفي ٧ منه أخذ اليابانيون يطلقون المدافع على بورت آرثر واستمروا على ذلك في الايام التالية وفيه بدأ كوروكي بالزحف على جيش منشوريا . وفي ٨ منه احتل اليابانيون سيوين وساي متسي . وفي ١١ منه وضع اليابانيون الحصار على نيوشوانج . وفى ١٤ منه خرجت المدمرات الروسية من بورت آرثر فردها الاميرال توجو على الاعقاب . وفي ١٤ و١٥ منـه وقعت معركة وافنجكاو نخسر الروس فيها ٧٠٠٠ رجل و١٦ مدفعا وارتدوا الى كاي بنج وكان الجنرال ستكلبرج يقودهم وتعرف هذه المعركة عند الانكليز بمعركة تليسو . وفي ١٥ منه أغرق أسطول فلاديفستوك نقالتين يابانيتين وهما هيتاشي مارو وسادو مارو . وفي ٢١ منه احتل الجنرال أوكو هسيونج ياوشنج على بعد ٣٠ ميلا من تليسو شمالا . وفي ٢٣ منه خرج الاسطول الروسي من بورت آرثر فرده الاميرال توجو الى الميناء وفيه استلم الجـنرال كوروبتكين قيادة الجنود المقاتلة بنفسه . وفي ٢٦ منه تقابل

لفريقان في جوار كاي بنج وكان الروس نازلين في كاي بنج وتاشي كياو ولياوينج واليابانيون في جنوب كاي بنج وساي متسى وليان شان كوان . وفيه ضرب اليابانيون بورت آرثر برا واستولوا على استحكامات في الجهة الشرقية . وفي ٢٧ منه استولى اليابانيون على مضيق فن شوى انج ومضيق تالنج ومضيق موتيان لنج وهذه المضايق تعد مفتاح وادي لياو . وفيه أغرق اليابانيون باخرتين في مدخل بورت آرثر لسدها . وفي ٢٨ منه نزلت الفرقة السادسة اليابانية في خليج كر . وفي ٣٠ منه أطلق أسطول فلادفستوك المدافع على ثغر جنسان .

وفي أول يوليو وصل أسطول فلادفستوك الى بوغاز كوريا فنمي خبره الى الاميرال كيمورا فهب لمقاتلته ولكنه لم يدركه . وفي ٣ و٤ و٥ منه دار قتال شديد في بورت آرثر برا وبحرا ومس الطراد كيمون الياباني لغما في تاليان وان فغرق . وفي ٤ و٦ منه اجتازت النقالتان بطرس برج وسمولنسك من الاسطول الروسي المتطوع بوغاز الدردنيل رافعتين العلم التجاري . وفي ٦ منه غادر المارشال اوياما توكيو قاصدا ميدان القتال لاستلام القيادة العامة . وفيه استولى اليابانيون على الحصن نمرة ١٦ في بورت آرثر . وفي ٩ منه احتل الجنرال اوكو (كاي بنج) . وفي ١٩ منه نسف الروس الباخرة هبسانج في خليج بتشيلي . وفي ٢٠ منه اجتاز أسطول فلادفستوك بوغاز تسوغارو فدخل الاوقيانوس الباسفيكي وفي اثره نسافات يابانية . وفي ٢٤ منه نسف اليابانيون ثلاث مدمرات روسية خارج بورت آرثر . وفي ٢٥ منه كسر الجنرال اوكو الروس في (تاشي كياو) بعد قتال شديد وفيه احتل اليابانيون (نيوشوانج) . وفي ٢٦ منه بدأ قتال شديد حول بورت آرثر ودام حتى ٣٠ منه فاستولى اليابانيون في أثنائه على مواقع على اي تل الذئب . وفي ٣١ منه زحف اليابانيون زحفا عموميا على الروس فاجلوهم عن مواقعهم على طول الخط الى هاي شنج وبنشيلو وينج زولنج

في ١ اغسطس استولى اليابانيون على شان تاي كاو وهو حصن مهم بجوار بورت آرثر وفي ٣ منه احتل الجنرال اوكو هاي شنج ونيوشوانج وفيه رد الروس إلى خط الدفاع الداخلي في بورت آرثر وفيه خرج الاسطول الروسي من بورت آرثر ولكنه رد اليها . وفي ١٠ منه خرج الاسطول الروسي من بورت آرثر بقيادة الاميرال ويتهوفت

بناء على الاوامر التي وردت اليه فقابله الاميرال توجو ودار القتال بين الاسطولين فقتل الاميرال ويتهوفت وخلفه الاميرال اوختمسكي وانهزم الاسطول الروسي فرجع قسم منه الى بورت آرثر ولجأت بوارج أخرى الى المواني المحايدة في كياوشو وتسنج تاو وشنغاي • وفي ١١ منه جنحت مدمرة روسية على بعد ٢٠ ميلا من واي هاي واي • وفي ١٢ منه ولد الغراندوق الكسيس ولي العهد في روسيا وفيه قبض اليابانيون على المدمرة الروسية ريسهيتلني في ميناء شيفو وأخذوها الى اليابان • وفي ١٣ منه قلد الاميرال روجستفنسكي قيادة أسطول البلطيق • وفي ١٤ منه قاتل الاميرال كميمورا أسطول فلاديفستوك على بعد اربعين ميلا من تسوشيما شمالا بشرق فاغرق الطراد روريك وفيه أطلق اليابانيون المدافع على بورت آرثر • وفي ١٦ حاول الاسطول الروسي الخروج من بورت آرثر ثانية وفيه أرسل اليابانيون مندوبا الى الروس رافعاً الراية البيضاء يدعوهم الى تسليم المدينة واخراج غير المقاتلين حقنا للدماء فأبوا. وفي ١٨ منه حمل اليابانيون حملة جديدة على بورت آرثر وفيه مست المدفعية الروسية أوتفاجني لغماً فغرقت بجوار رأس لياوتي شان. وفي ١٩ منه احتج اليابانيون على اقامة الطرادين الروسيين اسكولد وجرزذوفوى في ميناء شنغاي بعد انتهاء الاجل القانوني • وفي ٢٠ منه جنح الطراد الروسي نوفيك الى شاطىء كورسا كوفسك فراراً من الطرادين اليابانيين كيتوزي وتسوشيما • وفي ٢٣ منه مست الدارعة الروسية سفستبول لغماً في بورت آرثر فاصابها تلف وفيه أيضا بدأ كوروكي بالحركات التي انتهت بمعركة لياوينج • وفي ٢٤ منه أمر القيصر الطرادين أسكولد وجروزوفوى بنزع السلاح في ميناء شنغاي وفي ٢٥ و٢٦ منه استولى كوروكي على كونج شنج انج عنوة وحمل جيش اوكو ونذو على آن شان شان • وفي ٢٧ منه طرد اليابانيون الروس عن ضفة نهر تونج هو اليمنى • وفي ٢٨ منه ارتد الروس الى لياونج بعد ماخسروا كل مواقعهم الامامية

في أول سبتمبر انجلى الروس عن هسن لي تون وشوشان وارتدوا الى النهر وفيه استولى الجنرال كوروكي على سيكوانتون عنوة وفي ٢ و٣ منه استرد الروس سيكوانتون ولكن اليابانيين نزعوها منهم عند المساء وفيه واصل أوكو وندزو الهجوم على لياوينج • وفي ٣ منه رأى كوربتكين ان الجنرال اورلوف أتى هفوة أفسدت خطته وكشفت ميسرته للعدو وخشي الهلاك اذا تمكن اوكو وندزو من كسر ميمنته فامر جيشه بالتقهقر الى يان تاي ومكدن • وفي ٤ منه انجلت ساقة الروس عن لياوينج

بعد أن قاومت اليابانيين مقاومة شديدة لتسهيل التقهقر على كوروبتكين • وفيه دخل اليابانيون لياويتج فى الساعة الثالثة بعد الظهر • (وكان الجيشان متقاربين فى العدد ويقال إن عدد الروس كان أكثر). وفي ٤ و ٥ منه تواصل القتال بين الروس المتقهقرين وجيش الجنرال كوروكي وكان قد احتل مناجم يان تاي • وفي ٥ منه عين المسيو ستفنس مستشار الوكالة السياسية اليابانية في واشنطن مستشارا سياسياً في كوريا وعين المسيو ميجاتا مستشاراً ماليا بناء على المعاهدة التي أبرمت مع كوريا فى ٢٢ الجاري . وفيه كانت ساقة الروس هدفاً لمدافع العدو فخسرت ١٠٠ رجل على طريق مكدن • وفي ٦ منه تعين الكبتن فيرن قائداً لاسطول بورت آرثر خلفا للاميرال أوختمسكي وكان قبلا قومندانا للدارعة بايان • وفي ١١ منه استدعى القيصر الجيش الاحتياطي في ٢٢ مقاطعة وطبقة واحدة من ضباط الاحتياطي فى كل السلطنة وفي ١٤ منه نشر تقدير الجنرال كوروبتكين لخسارة الروس بين ٢٨ أغسطس و ٥ سبتمبر فبلغ ٤ آلاف قتيل و ١٢ ألف جريح وفيه ضربت الولايات المتحدة ميعاداً لتنزع النقالة لينا الروسية التي لجأت الى سان فرنسسكو سلاحها فيه أو تغادر الميناء فأجاب الربان انه عازم على نزع السلاح. وفي ١٦ منه شرع اليابانيون بتضيق سكة حديد منشوريا وفقاً لمقاس مركباتهم • وفي ١٨ منه هنأ القيصر الجنرال كوروبتكين بحسن تقهقره كما هنأ الميكادو جيشه في ٧ منه بانتصاره • وفي ٢٠ منه حاول اليابانيون اكتناف ميسرة كوروبتكين القصوى في مضيق دالنج فلم يفلحوا وفيه وصلت نجدات جديدة و ١٧٠ مدفعاً الى كوروبتكين • وفي ٢٤ منه استدعي الجنرال أورلوف بناء على قرار الجنرال كوروبتكين ومحي اسمه من الجيش بلا محاكمة • وفي ٢٥ منه قسمت الجنود فى منشوريا قسمين قسماً بقي بقيادة كوروبتكين وقسماً سلمت قيادته الى الجنرال جريبن برج • وفي ٢٦ منه احتفل بافتتاح السكة الحديدية حول بحيرة بيكال • وفيه أقرت اليابان على عقد قرض داخلي قدره ٨ ملايين جنيه وعزمت على تعديل لائحة القرعة العسكرية وجعل مدة الخدمة ١٧ سنة

باب الانتقاد على المنار

وعدنا بان نذكر ماينتقد به علينا ونبين رأينا فيه اما تسليما واما تفنيدا وقد أرسلت الينا قصيدة من الكويت يزعم ناظمها أنه رد على المنار وما هى الا سب وشتم لا يليق بالمؤمن أن يرد على صاحبها الا بكلمة «سلام...» وكذلك تصدت بعض الجرائد الجديدة فى تونس التي هي أدنى من جرائدنا الاسبوعية للخوض فى موضوعات المنار فلم نر فيها شبهة تستحق الرد وقد نصحت لها أم الجرائد التونسية «الحاضرة الغراء» فقبل النصيحة حسن القصد وكابر كاتب فردت عليه بالنبذة الآتية :

﴿ واذا مروا باللغو مروا كراما ﴾

نصحت الحاضرة لرصيفيها الفاضلين صاحبي جريدة الصواب وجريدة اظهار الحق إثر تحريرات شديدة اللهجة نشراها ضد بعضهما في صحيفتيهما ودعتهما بلسان الصدق في خدمة المصلحة العامة ان يقلعا عن مثل تلك المطاعن سيما وان بعضها المدرج في ثانيتهما به تعريض مذموم بأكبر وأشهر مجلة علمية أدبية إسلامية بالشرق وأعني بها جريدة المنار الاغر التي يكتب بها فضيلة مفتي الاسلام مولانا الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقلنا لهما برفق ولين ان موضوع مجادلتهما من فصيلة المجلات العلمية لامن علقة الجرائد الاخبارية وعليه فلا ينتج عنها في نظرنا القاصر بما لدينا من التجربة الصحافية ثمرة مثاقفة نحو عشرين سنة الا تضليل بسطاء العقول والتلبيس على أهل النهى بسرد النصوص المتناقضة تارة وبتعقيد عبارة المحررين أخرى فتوقفت جريدة الصواب بسلامة ذوقها لسماع النصيحة وتطاولت خصيمتها عن الاقتداء بصنيعها الممدوح فاستأنفت القول بعبارة أكثر قحة وأبلغ شدة مما كانت نشرته وذلك بقلم محرر غير محرر ما سبق بها نشره أمضى مقالته باسمه (بو بكر العروسي) عرف بنفسه في آخر مقاله بعد تعريض ممقوت بجريدتنا فقال « اما الذين تعلموا نبذة من الكتابة بكثرة مزاولة الجرائد او موضوع مخصوص يصعب عليهم فهم مدارك الكتاب (يقصد المحرر بذلك نفسه لامحالة) الذين أخذوا فهم من قواعد وآداب عظيمة كالمتخرجين من الجامع الاعظم الخ ... »

هذه خلاصة ما كنا كتبناه في عدد ٨١٢ من جريدتنا وزبدة ما كتبه الشاب المتخرج من الجامع الأعظم في عدد ٢٢ من جريدة اظهار الحق

ونحن لايجدر بنا ان نجاري هذا الشاب في تيار أهوائه بل ننصح من جديد لرصيفنا الفاضل مدير اظهار الحق ان ينزه جريدته عن الخوض في تلك المواضيع البعيدة عن خدمة المصلحة العامة وينتبه الى ان مثل هاته التحريرات التي لاتستفيد منها جريدته ولا قراؤها سيما اذا كان محررها صاحب طيش ويرى نفسه من كتاب « الصف الاول في التحرير » الذين لايخشون ردود محرري الشرق لانه من أولئك الذين قيل فيهم « ان بني عمك فيهم رماح » كما صرح بذلك

واذا قدر الله على جريدة إظهار الحق بعدم ادراك هاته الحقيقة فان صاحبها لامحالة يسلك بجريدته طريقا عوجاء لايسلم من عاقبتها ويعلم بعد حين ان حجة مثل هذا

المحرر ساقطة وان قلمه لاقبل له على رد سيل العرم الذي ربما يجرفه يوما ما فلا يجد لنفسه وليا ولا نصيرا اذ لا يخفى على صاحب اظهار الحق ان خدمة الامة الاسلامية عموما وخدمة الوطن خصوصا لاتكون الا بالتعاضد والتكاتف لا بالتشاتم والتنافر بين أفرادها وخصوصا حملة اقلامها ثم مالنا وللجرائد الشرقية التي يحررها كتبة أقلامهم من البلاغة بمكان ولها قراء تقدموا بمراحل في ميادين الترقيات الفكرية والعرفان فسمحت لهم معارفهم بولوج باب المجادلات الدينية والفلسفية بصورة يقصر دونها فهم الطالب المشار اليه ومن جاء على شاكلته فان لاولئك العلماء والكتاب الشرقيين من المبادىء الراسخة والآراء الثاقبة مالا تزحزحه عوارض طيش التخيل والغرور ومثل التي شاهدناها من أحد متخرجي الجامع الاعظم نراه تارة يطعن بشيوخه وبنظام الجامع مما نقمه عليه وآونة يزعم انهم مصدر الفضائل وركن البراعة مما سبقناه للاعلان به ولكن لله في خلقه أسرارا ، اه كلام الحاضرة الذي يتدفق إخلاصاً وصوابا وعسى أن يفيد المخاصين

آثار علمية

﴿ كمال العناية ، بتوجيه ما في «ليس كمثله شيء» من الكناية ﴾

وبحث علم النبي بالغيب

مؤلف هذه الرسالة السيد احمد رافع الطهطاوي أحد علماء الازهر وقد قرظها وبالغ في الثناء عليها الشيخ حسونه النواوي الحنفي شيخ الازهر الاسبق والسيد علي البيلاوي شيخ الازهر لهذا العهد والشيخ عبد الرحمن الشربيني أعلم علماء الشافعية بلا خلاف وغيرهم من أكابر علماء الازهر كالمرحوم الشيخ حسن الطويل والشيخ حمزة فتح الله مفتش العربية في نظارة المعارف والشيخ محمد بخيت وغيرهم

ولما نشرنا مسألة علم النبي بالغيب في المسائل الزنجبارية كتب الينا مؤلف هذه الرسالة كتابا يؤيد فيه رأينا ويقول إنه سبق له تفنيد زعم من يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع على علم الغيب كله في رسالته هذه وأهدانا نسخة منها فاذا هو يقول في أول هذا المبحث ما نصه :

(تنبيه مهم) قد علمت أنه لا صفة لغيره تعالى تماثل صفة من صفاته جل وعلا فليس لغيره علم محيط بجميع المعلومات كما قال تعالى «ولا يحيطون بشيء من علمه الا

بما شاء» اي لايعلم أحد كنه شيء من معلوماته تعالى الا ماشاء أن يعلم وقال تعالى لأعلم الخلق «وقل رب زدني علما» وقد ذكر بعضهم أنه ماأمر عليه الصلاة والسلام بطلب الزيادة في شيء الا فى العلم وأخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال كان رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ماينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال» قال العلامة الملوي فى شرحه الكبير على السلم (قلت) وهذا صريح فى الرد على من ادعى أن علم النبي صلى الله عليه وسلم مساو لعلم الله تعالى محيط بكل شيء من كل وجه إحاطة كاحاطة علم الله تعالى وانه ماتوفي حتى أعلمه الله تعالى كل شيء علم إحاطة وقد ألف شيخ شيخنا العلامة اليوسي تأليفا في الرد على من زعم ذلك وتكفيره واستدل على ذلك بادلة عقلية ونقلية كيف وهو مصادم لقوله تعالى «وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو» وقوله تعالى «وقل رب زدني علما» وقوله تعالى «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء» الآية وقوله تعالى «ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي أرض تموت» وعلى القول بانه تعالى أعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم مفاتيح الغيب فليس علم احاطة كعلمه تعالى وهو مصادم أيضا للاجماع

«على ان سر القدر لم يعلمه ولايعلمه نبي مرسل ولا ملك ولاغيرهما بل هو من مواقف العقول ويلزم ان يكون علمه صلى الله عليه وسلم مساويا لعلم الله ومماثلاله في الاحاطة والحقيقة فيلزم حدوث علمه تعالى للماثلة لانه يجب لاحد المثلين ماوجب للآخر بل ويلزم سائر لوازم العلم الحادث من العرضية والافتقار وغيرهما ولايجاب بالاختلاف بالقدم والحدوث لان القدم والحدوث خارجان عن حقيقة العلم والحقيقة لاتختلف بالعوارض واما مع عدم ادعاء المساواة لعلم الله تعالى كأن يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم علم علم الاولين والآخرين فلا يمتنع لأن ذلك ليس مستلزما لمساواته لعلم الله تعالي والاحاطة من كل وجه ومن أقوى مايرد على هذا ماورد في الحديث من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يلهم في الآخرة محامد يحمد بها الله عز وجل لم يكن الهمها قبل لكن شيخ شيخنا بالغ في القول بتكفيره والذي يظهر عدم التكفير لأن هذه اللوازم بعيدة لايقول بها هذا القائل ولازم المذهب ليس بمذهب خصوصا اذا كان اللازم بعيداً اه ببعض اختصار وانما كانت هذه اللوازم بعيدة لانها مأخوذة من مقدمة

أجنبية وهي أنه يجب لاحد المثلين ماوجب للآخر فلا يلزم من تصور مساواة علم النبي صلى الله عليه وسلم لعلم الله تعالى في الاحاطة تصورها كما ذكرته في كتابي (الطراز المعلم) وقد عرفوا اللازم البعيد بأنه مالايلزم من تصور ملزومه تصوره والقريب بانه مايلزم من تصور ملزومه تصوره والتحقيق الذي نعتقده أنه صلى الله عليه وسلم لم يفارق الحياة الدنيا حتى أعلمه الله تعالى بالمغيبات التي يمكن البشر علمها وعلمه بها لا كعلم الله كما سترى فلا يجوز القول بأنه مساوله فاعرف ذلك وفي كلام العلامة أبي محمد الامير موافقة لكلام اليوسي حيث قال عند بيان ان علمه تعالى محيط بما هو غير متناه كالاعداد ونعيم الجنان أي فإنه لايتناهى بمعنى أنه لاينقطع أبداً مانصه: وكون العلم بالكمية يقتضي التناهي انما هو في حق الحوادث لضيق دائرة العلم الحادث وقصر تعلقه واما العلم القديم فتعلقه عام لا يتناهى فيتعلق تفصيلا بما لا يتناهى » اه

ووراء هذا مباحث طويلة في حقيقة علم الغيب ومفاتح الغيب والخلاف فيما يجوز ان يعلمه غير الله تعالى وأكثرها مبنية على ما اعتاده المتأخرون من التعليل والتأويل والتقييد والتخصيص والاحتمالات مما لاحاجة لأكثره ولا يترتب على الخلاف فيه فائدة أما وعندنا الاصل اليقيني المتفق عليه المنصوص في كتاب الله تعالى وهو انه لا يعلم الغيب إلا الله وأن الله تعالى يظهر من ارتضى من رسول على ماشاء من غيبه ليبلغوا رسالات ربهم ويجوز أن يطلع من شاء على ماشاء ولكن لايجوز لنا ان نتحكم برأينا فنقول إنه أطلع فلانا على مفاتح الغيب أو على علم الساعة ونحو ذلك الا بنص قطعي يخصص نص القرآن القطعي والله أعلم

﴿ تأسيس النظر وأصول الكرخي ﴾

سبق لنا تقريظ هذا الكتاب ورسالة أصول الكرخي المطبوعة معه في المجلد الخامس وانما ننقل منه الآن ما ذكره الدبوسي مؤلف الكتاب في الفرق بين دار الاسلام ودار الحرب لتوضيح ماتقدم في بحث الحكم بالقوانين الذي سنزيده بيانا بعد قال :

﴿ دار الاسلام ودار الحرب ﴾

« الأصل عندنا أن الدنيا كلها داران دار الاسلام ودار الحرب وعند الامام الشافعي الدنيا كلها دار واحدة وعلى هذا مسائل — منها — اذا خرج أحد الزوجين الى دار الاسلام مسلماً مهاجراً أو ذمياً وتخلف الآخر في دار الحرب وقعت الفرقة عندنا فيما بينهما وعند الامام أبي عبد الله الشافعي لاتقع الفرقة بنفس الخروج — ومنها —

اذا أخـذوا أموالنا وأحرزوها بدار الحرب ملكوها عندنا وعنـد الامام الشافعي لايملكونها ـ ومنهاـ اذا اغتنم أهل الحرب أموالنا وأحرزوها بدار الحرب ثم اسلموا عليها وهي فى أيديهم كانت لهم ملكا وعند الامام أبي عبد الله الشافعي لايملكونها وكان عليهم ردها الى أربابها ـ ومنهـا ـ ماقال أصحابنا أن المسلمين اذا استنقذوا من أيدي المشركين ماأخذوا من أموالنا لايأخذها أصحابها الا بالقيمة اذا وجدوها بعدالقسمة عندنا وعند الامام الشافعي يأخذونها بغير شيء ـ ومنهاـ أن اهل الحرب لواخـذوا من اموالنا عبدا ثم دخل اليهم مسلم بامان فاشتراه منهم واخرجه الى دار الاسـلام فإنه لايأخذه صاحبه الا بالثمن وان وهب له منهم يأخذه بالقيمة وعندالامام الشافعي ياخذه بغير شيء ـ ومنها ـ أن الحربي اذا أسلم في دار الحرب ثم خرج الينا وترك ماله ثم ظهر المسلمون على دارهم كان جميع ماله غنيمة عنـدنا لانه وقع بينه وبين ماله مباينة الدارين وعند الامام أبي عبدالله الشافعي لايكون غنيمة ولوأسلم ولم يخرج الينا حتى ظهر المسلمون عليهم كان عقاره غنيمة لنا وعند الامام الشافعي لايكون غنيمة وعلى هذا قال أبو حنيفة رضي الله عنه فى الآبق اليهم انهم لايملكونه بالاخذ لانه لما أبق صار فى يد نفسه في دار الحرب لانهم لايملكون قهره وعارض يد قهر مولاه قهر نفسه وعصيانه وعند صاحبيه ملكوه ـ ومنها ـ ماقال أصحابنا ان دار الحرب تمنع وجوب مايندرىء بالشبهة لان أحكامنا لاتجري فى دارهم وحكم دارهم مخالف لحكم دارنا وعند الامام أبي عبـد الله الشافعي بقعة الحرب لاتمنع وجوب مايندرىء بالشبهة وبيان هذا: حربي أسلم في دار الحرب ثم دخل رجل مسلم دارهم بامان فقتله لاقصاص عليه ولا دية عنـدنا وعند الامام أبي عبد الله الشافعي عليه القصاص وعلى هذا قال أصحابنا لودخل مسلمان مستأمنان في دار الحرب فقتل أحدهما صاحبه لاقصاص عليه وعند الامام أبي عبدالله الشافعي عليه القصاص وكذلك قال أصحابنا فى أسيرين مسلمين في دار الحرب قتل أحدهما صاحبه لاقصاص على القاتل عندنا وعند الامام الشافعي على القاتل القصاص وعلى هذا قال أصحابنا لوشرب المسلم الخمر اوزنا أوقذف فى دار الحرب لاحد عليه عندنا ويجب عند الامام الشافعي عليه الحد اهـ وفيه التصريح بأن أحكامنا لاتجري في دارهم فابقي على المسلم الذي يرى من المصلحة للاسلام العمل في حكومة الحربي إلا أن يراعي مصلحة المسلمين اذا هو حكم بالقوانين

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الاربعاء غرة رمضان سنة ١٣٢٢ — ٩ نوفمبر (ت٢) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياما معدودات، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرا فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون * شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون *

الكلام فى سرد الاحكام فلا حاجة الى التناسب بين كل حكم وما يليه والصيام فى اللغة الامساك والكف عن الشيء وفى الشرع الامساك عن الأكل والشرب وغشيان النساء من الفجر الى المغرب احتسابا لله واعدادا للنفس وتهيئة لها لتقوى الله بالمراقبة وتربية الارادة . وقد كتب على أهل الملل السابقة فكان ركنا من كل دين لأنه من أقوى العبادات وأعظم ذرائع التهذيب وفى إعلام الله تعالى لنا بأنه فرضه علينا كما فرضه على الذين من قبلنا إشعار بوحدة الدين فى أصوله ومقصده وتأكيد لأمر هذه الفرضية وترغيب فيها . قال الاستاذ الامام أبهم الله هؤلاء الذين من قبلنا والمعروف ان الصوم مشروع فى جميع الملل حتى الوثنية فهو معروف عن المصريين فى أيام وثنيتهم وانتقل منهم الى اليونان فكانوا يفرضونه لاسيما على النساء وكذلك الرومانيون كانوا يعنون بالصيام ولا يزال وثنيو الهند وغيرهم يصومون الى الآن . وليس فى أسفار التوراة التى بين أيدينا مايدل على فرضية الصوم وانما فيها مدحه ومدح الصائمين وثبت ان موسى صام أربعين يوما وهو يدل على ان الصوم كان معروفا مشروعا ومعدودا من العبادات واليهود فى هذه الازمنة يصومون أسبوعا تذكارا لخراب أورشليم وأخذها ويصومون يوما من شهر آب أقول وينقل أن التوراة فرضت عليهم صوم اليوم العاشر من الشهر السابع وأنهم يصومونه بليلته ولعلهم كانوا يسمونه عاشوراء ولهم أيام أخر يصومونها نهارا . واما النصارى فليس فى أناجيلهم المعروفة نص فى فرضية الصوم وانما فيه ذكره ومدحه واعتباره عبادة كالنهي عن الرياء واظهار الكآبة فيه بل يأمر الصائم بدهن الرأس وغسل الوجه حتى لا تظهر عليه أمارة الصيام فيكون مرائيا كالفريسيين وأشهر

صومهم وأقدمه الصوم الكبير الذي قبل عيد الفصح وهو الذي صامه موسى وكان يصومه عيسى عليهما السلام والحواريون رضي الله عنهم ثم وضع رؤساء الكنيسة ضروباً أخرى من الصيام وفيها خلاف بين المذاهب والطوائف ومنها صوم عن اللحم وصوم عن السمك وصوم عن البيض واللبن. وكان الصوم المشروع عند الأولين منهم كصوم اليهود يأكلون فى اليوم والليلة مرة واحدة فغيروه وصاروا يصومون من نصف الليل الى نصف النهار ولا نطيل فى تفصيل صيامهم بل نكتفي بهذا فى فهم قوله تعالى (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) فهو تشبيه الفرضية بالفرضية ولا تدخل فيه الكيفية والكمية ،

ثم ذكر تعالى حكمة ايجاب الصيام علينا فقال (لعلكم تتقون) وبيانه ان الوثنيين كانوا يصومون لتسكين غضب آلهتهم اذا عملوا ما يغضبهم أو لارضائهم واستمالتهم الى مساعدتهم فى بعض الشؤون والاغراض وكانوا يعتقدون ان ارضاء الآلهة والتزلف اليها يكون بتعذيب النفس وإماتة الجسد وانتشر هذا الاعتقاد فى أهل الكتاب حتى جاء الاسلام يعلمنا ان الصوم ونحوه انما فرض لانه يعدنا للسعادة بالتقوى وان الله غني عنا وعن عملنا وما كتب علينا الصيام الا لمنفعتنا ،

قلنا ان معنى « لعل » الاعداد والتهيئة، وإعداد الصيام نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى يظهر من وجوه كثيرة أعظمها شانا ، وأنصعها برهانا ، وأظهرها أثرا ، وأعلاها خطرا ، (شرفا) أنه أمر موكول الى نفس الصائم لارقيب عليه فيه الا الله تعالى ، وسرٌّ بين العبد وربه لايشرف عليه أحد غيره سبحانه ، فاذا ترك الانسان شهواته ولذاته التي تعرض له فى عامة

الأوقات لمجرد الامتثال لأمر ربه والخضوع لارشاد دينه مدة شهر كامل في السنة ملاحظا عند عروض كل رغيبة له من أكل نفيس وشراب عذب بارد وفاكهة يانعة وغير ذلك انه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها وهو في أشد التوق لها لاجرم انه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه وتعالى ان يراه حيث نهاه. وفي هذه المراقبة من كمال الايمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لسعادة الروح في الآخرة

كما تؤهل هذه المراقبة النفوس المتحلية بها لسعادة الآخرة تؤهلها لسعادة الدنيا أيضا. انظر هل يقدم من تلابس هذه المراقبة قلبه على غش الناس ومخادعتهم؟ هل يسهل عليه ان يراه الله آكلا لأموالهم بالباطل؟ هل يحتال على الله تعالى في منع الزكاة وهدم هذا الركن الركين من أركان دينه؟ هل يحتال على أكل الربا؟ هل يقترف المنكرات جهارا؟ هل يجترح السيئات ويسدل بينه وبين الله ستارا؟ كلا ان صاحب هذه المراقبة لايسترسل في المعاصي اذ لايطول أمد غفلته عن الله تعالى، واذا نسي وألم بشيء منها يكون سريع التذكر قريب الفيء والرجوع بالتوبة الصحيحة «ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون» فالصيام أعظم مرب للارادة وكابح لجماح الاهواء فأجدر بالصائم ان يكون حرا يعمل مايعتقد أنه خير لاعبد الشهوات

انما روح الصوم وسره في هذا القصد والملاحظة التي تحدث هذه المراقبة وهذا هو معنى كون العمل لوجه الله تعالى وقد لاحظه من أوجب

من الأئمة تبييت النية في كل ليلة ويؤيد هذا ما ورد من الاحاديث المتفق عليها كقوله صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه : رواه احمد والشيخان وأصحاب السنن : قالوا أي من الصغائر وقد يكون الغفران للكبائر لأن الصائم احتسابا وإيمانا على ماينا يكون من التائبين عما اقترفه فيما قبل الصوم وقوله فى الحديث القدسي «يدع طعامه وشرابه وطعامه وشهوته من أجلي» رواه البخاري وغيره

وقد شرح الأستاذ الامام فى هذا المقام حال أولئك الغافلين عن الله وعن أنفسهم الذين يفطرون فى رمضان عمدا وذكر بعض حيل الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله كالأدنياء الذين يأكلون ولو فى بيوت الأخلية حيث تأكل الجرذ والذين يغطسون فى الجداول والانهار ويشربون في أثناء ذلك. وما قذف بهؤلاء وأمثالهم ومن هم شر منهم كالمجاهرين بالفطر الا تلقيهم العبادة جافة خالية من الروح الذي ذكرناه، والسر الذي أفشيناه ، فحسبوها عقوبة كما كان يحسبها الوثنيون من قبل وما كل إنسان يتحمل العقوبة راضيا مختارا ثم قال مامثاله :

وههنا شيء ذكره بعضهم ويشمئز الانسان من شرحه وبيانه وهو ان الصوم يكسر الشهوة بطبعه فتضعف النفوس ويعجز الانسان عن الشهوات والمعاصي . وفيه من معنى العقوبة والاعنات ماكان يفهمه الكثيرون من جميع مطالب الدين وراثة عن آبائهم الاولين من أهل الديانات الاخرى . واذا طبقنا هذا القول على ما نعهده وجودا ووقوعا لانجده واقعا لأن المعروف أن الانسان اذا جاع يضرى بالشهوات وتقوى نهمته ويشتد قرمه وآثار هذا ظاهرة في صوم أكثر المسلمين فانهم فى

رمضان أكثر تمتعا بالشهوات منهم في عامة السنة فما سبب هذا وما مثاره ؟ أليس هو الضراوة بالشهوات ؟ بلى ولا ينافي ماذكره الاستاذ الامام تشبيه الشارع الصوم بالوجاء فى كسر سورة الشهوة لأن المراد أن تأثيره فى تربية النفس وتقوية الايمان يجعل صاحبه مالكا لنفسه يصرفها حسب الشرع لا حسب الشهوة

ومن وجوه إعداد الصوم للتقوى ان الصائم عند مايجوع يتذكر من لا يجد قوتاً فيحمله التذكر على الرأفة والرحمة الداعيتين الى البذل والصدقة وقد وصف الله تعالى نبيه بانه رؤف رحيم ويرتضي لعباده المؤمنين ما ارتضاه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولذلك أمرهم بالتأسي به بل وصف المؤمنين بقوله «رحماء بينهم»

مهما تعددت وجوه فائدة الصوم فلا يبلغ شيء منها مبلغ الوجه الاول وهو انما يكون لمن يصوم لوجه الله تعالى كما هو الملاحظ فى النية على ما قدمنا ويؤيده مع الاحاديث التى أشرنا اليها مايذكرونه في صيغة النية وهو : نويت صوم غد عن آداء فرض رمضان هذه السنة ايمانا واحتسابا لوجه الله الكريم: وآية الصيام بهذه النية والملاحظة التحلي بتقوى الله تعالى وما يتبعها من أحاسن الصفات والخلال ، وفضائل الاعمال ، قال الاستاذ لا أشك فى ان من يصوم على هذا الوجه يكون راضيا مرضيا مطمئنا بحيث لا تجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا. نعم ربما يوجد عنده شيء من الفتور الجسماني وأما الروحاني فلا أعرف رجلا لا يغضب فى رمضان مما يغضب له فى غيره ولا يمل من حديث الناس ما كان يمله فى أيام الفطر وذلك لانه صائم لوجه الله تعالى. والظاهر انه يعني نفسه ويؤيد قوله ماورد فى علامات

الصائم من ترك المعاصي والمآثم ومنها حديث احمد والبخاري مرفوعا « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه »

أين هذا كله من الصوم الذى عليه أكثر الناس وهو ماتراهم متفقين على ان من آثاره السخط والحمق وشدة الغضب لادنى سبب واشتهر هذا بينهم وأخذوه بالتسليم حتى صاروا يعتقدون انه أثر طبيعي للصوم حتى اذا أخش أحدهم قال للآخر لاعتب عليه فانه صائم وهو وهم استحوذ على النفوس فحل منها محل الحقيقة وكان له أثرها. ومتى رسخ الوهم فى النفس يصعب انتزاعه على العقلاء الذين يتعاهدون أنفسهم بالتربية الحقيقية دائما فكيف حال الغافلين عن أنفسهم المنحدرين في تيار العادات والتقاليد الشائعة لايتفكرون فى مصيرهم ولا يشعرون فى أية لجة يقذفون

(قال الاستاذ) إن وهما من أوهام الصوم يغالبني في أوائل رمضان وانى لعلمي به اجتهد فى مصارعته ولا اقدر على صرعه وازالته الا بعد مضي أيام من أول رمضان. منشأ ذلك الوهم ان من عادتي ان لا أعمل شيئا فى صبيحة كل يوم الا بعد تناول طعام الفطور فاذا كان رمضان آخذ القلم فى الصباح لا كتب مثلا فلا أدري ماذا أكتب ويتعاصى القلم أن يجري بسهولة حتى انني لولا معرفة السبب لتركته ولكنني لاأزال اعالجه حتى يجري ويغلب سلطان الحقيقة على سلطان الوهم

ان أكثر الناس يلاحظون فى صومهم حفظ رسم الدين الظاهر وموافقة الناس فيما هم فيه حتى ان الحائض تصوم وترى الفطر فى نهار رمضان عارا ومأثما. ولا بأس بهذا الصوم من غير الحائض لحفظ ظاهر الاسلام واقامة هيكل شعائره ولكنه لايفيد المسلمين شيئا فى دينهم ولا

في دنياهم لخلوه من الروح الذى يعدهم للتقوى ويؤهلهم لسعادة الآخرة والدنيا. وقد شرح الاستاذ الامام فى الدرس ماعليه الناس من الاستعداد لأكل رمضان وشربه بحيث ينفقون فيه على ذلك مايكاد يساوي نفقة سائر السنة، حتى كأنه موسم أكل وكأن الامساك عن الطعام فى النهار انما هو لاجل الاستكثار منه في الليل. وهذا هو الصوم المراد بقوله صلى الله عليه وسلم «كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش» رواه النسائي وابن ماجه ولا نطيل بشرح ماعليه الناس فهم يعلمونه علما تاما وفيما كتب كفاية لمن يريد معرفة حقه من باطله

ثم بين تعالى ان الصيام الذى كتبه علينا معين محدود فقال (اياما معدودات) أي معينات بالعدد أوقليلات وهى أيام رمضان كما روي عن ابن عباس وغيره قال المفسرون وعليه أكثر المحققين وزعم بعض الناس ان هذه الأيام غير رمضان وهى يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر وعينها بعضهم بأنها الأيام البيض أي الثالث عشر وما بعده ثم نسخت بآية «شهر رمضان» الآتية ولم يثبت فى السنة أن الصوم كان واجبا على المسلمين قبل فرض رمضان ولو وقع لنقل بالتواتر لأنه من العبادات العملية العامة. نعم ورد في الصحيح الآحادي طلب صوم يوم عاشوراء استحبابا ولكن لادليل على انه كان قبل فرض رمضان ولا على أنه كان عاما فى المسلمين ولا على أنه نسخ فهم لايزالون يصومونه استحبابا من شاء منهم بل يدل حديث «لئن بقيت الى قابل لأصومن التاسع» مع ماورد من انه مات من سنته تلك على أن الامر بصوم عاشوراء كان في آخر زمن البعثة. ولكن كان لبعض العلماء ولع بتكثير استخراج الناسخ والمنسوخ من القرآن لما

فيه من الدلالة على سعة العلم بالقرآن وان كان علما بابطال القرآن بادي الرأي من غير حجة تضاهي حجة القرآن في القطع والقوة . ولا ينبغي للمؤمن أن يحسب هذا هينا وهو عند الله عظيم

ولما كان فرض الصيام بما ذكر يفيد العموم استثنى منه من يشق عليهم أداؤه ومن هم عرضة للمشقة فقال (فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر) أي فالواجب عليه القضاء بعدد الايام التي لم يصمها وكل من المريض والمسافر عرضة لاحتمال المشقة بالصيام . وإطلاق كلمة مريضا يدل على أن الرخصة لا تتقيد بالمرض الشديد الذي يعسر معه الصوم وروي هذا عن عطاء وابن سيرين وعليه البخاري لأن أمثال هذه الأحكام تقرن بمظنة المشقة تحقيقا للرخصة فرب مرض لا يشق معه الصوم ولكنه يكون ضارا بالمريض وسببا في زيادة مرضه وطول مدته وتحقيق المشقة عسر وعرفان الضرر أعسر . واستدل الجمهور على تقييده بالمرض الذي يعسر الصوم معه بقوله في الآية الأخرى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ولا دليل فيه فانه تعليل لأصل الرخصة وكما لها ان لا يكون فيها تضييق . وكذلك السفر مطلق يشمل الطويل والقصير وسفر المعصية . وقد جاء في السنة ما يؤيد هذا الاطلاق في السفر القصير فقد روى أحمد ومسلم وأبو داود عن أنس انه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين : ويرجح كون الرواية ثلاثة أميال حديث أبي سعيد عند سعيد بن منصور قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فرسخا يقصر الصلاة : والفرسخ ثلاثة أميال . بل روى ابن أبي شيبة باسناد صحيح عن ابن عمر انه كان يقصر في الميل الواحد .

وماروي في قصره (ص) في مسافة أطول لا ينافي هذا فان القصر فيها أولى. ولا خلاف بين المسلمين في أن السفر الذى يباح فيه القصر يباح فيه الفطر. وأما العاصي بالسفر فهو على دخوله في الاطلاق من جملة المكلفين المخاطبين بالشريعة كلها كغيرهم كما تقدم بيانه في تفسير « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه». وزعم بعض المفسرين المقلدين أن قوله تعالى «أو على سفر» يومىء الى أن من سافر في أثناء اليوم لا يجوز له أن يفطر فيه بل يفطر في اليوم الثاني لأن الكلمة تدل على التمكن من السفر بجعله كالمركوب ولكن السنة جرت بخلاف ذلك فقد روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين (١) والناس مختلفون فصائم ومفطر فلما استوى على راحلته دعا بإناء من لبن أو ماء فوضعه على راحته أو راحلته ثم نظر الى الناس فقال المفطرون للصوام أفطروا: وفي حديث أنس وأبي بصرة الامر بذلك وتسميته سنة. وقوله تعالى « فعدة من أيام أخر » من إيجاز القرآن البديع لانه يتضمن شرطا ومضافين حذفا لفهمهما من العبارة والتقدير فعليه صوم عدة أيام المرض والسفر من أيام أخر اذا هو افطر ولا حاجة الى التعليل فان العبارة فصيحة بنفسها مفهمة لما قدروه ابتداء. وذهب الظاهرية إلى وجوب الافطار في المرض والسفر والآية لا تقتضيه وقد مضت السنة العملية بخلافه. وذهب قوم الى وجوب هذه العدة عليهما وان صاما ومقتضاها ان الله تعالى ضيق علي المريض والمسافر وشدد عليهما مالم يشدد

(١) استشكلوا هذه الرواية لما علم من ان خروجه الى حنين كان في شوال فقال بعضهم ان الصواب خرج الي مكة اوالى خيبر وقال بعضهم المراد انه قصد السفر الى حنين في رمضان وشرع فيه ثم ارجأه

على غيرهما وهو كما ترى . والصواب أن من صام فقد أدى فرضه ومن أفطر وجب عليه القضاء وبذلك مضت السنة العملية فقد ورد فى الصحيح أنهم كانوا يسافرون مع النبي (ص) منهم المفطر ومنهم الصائم لا يعيب أحد على الآخر وأنه كان يأمرهم بالافطار عند توقع المشقة فيفطرون جميعا كما جاء في حديث أبي سعيد عند أحمد ومسلم وأبي داود قال: سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ونحن صيام فنزلنا منزلا فقال رسول الله (ص) « إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم » فكانت رخصة فمنا من صام ومنا من أفطر ، ثم نزلنا منزلا آخر فقال « انكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا » فكانت عزمة فأفطرنا : الحديث

ثم قال تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) وهذا هو القسم الثاني من المستثنى وهو من لا يستطيع الصوم الا بمشقة شديدة قال الاستاذ الامام الإطاقة أدنى درجات المكنة والقدرة على الشيء فلا تقول العرب أطاق الشيء الا اذا كانت قدرته عليه فى نهاية الضعف بحيث يتحمل به مشقة شديدة . فالمراد بالذين يطيقونه هنا الشيوخ الضعفاء والحوامل والمراضع يخفن على الأجنة والأطفال ونحوهم كالفعلة الذين جعل الله معاشهم الدائم بالاشغال الشاقة كاستخراج الفحم الحجري من مناجمه: وروى البخاري ان ابن عباس حمل الآية على الشيخ والشيخة وفى حديث أنس بن مالك الكعبي عند أحمد وأصحاب السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الله عز وجل وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحبلى والمرضع الصوم. وقد روى الدارقطني والحاكم وصححاه عن ابن عباس أنه قال رخص للشيخ الكبير ان يفطر ويطعم ولا قضاء عليه:

وهذا ظاهر فى معنى الاية وهو مذهب الشافعية فى الشيوخ والعجائز ومن فى حكمهم. وذهب كثيرون الى أن الآية منسوخة اذ فهموا أن الاطاقة بمعنى الاستطاعة وقدر بعض المفسرين كالجلال حرف نفي فقال وعلى الذين لايطيقونه فدية ليوافق مذهبه والآية موافقة له من غير حاجة الى جعل الاثبات نفيا كما قلنا آنفا وقال بعضهم ان الهمزة فى الاطاقة للسلب فمعناها الذين لايطيقونه من غير تقدير حرف النفي . وجملة القول ان فى الآية أقوالا كثيرة أقواها مااختاره الاستاذ الامام في الدرس من ان أطاق الفعل بمعنى بلغ غاية طوقه أو فرغ طوقه فيه وهو قول منقول معقول والقاعدة انه لايحكم بالنسخ اذا أمكن حمل القول على الإحكام

وجملة القول ان المؤمنين على أقسام فى الصوم - الأول المقيم الصحيح القادر على الصوم بلا ضرر يلحقه ولا مشقة ترهقه والصوم واجب عليه حتماً . الثاني المريض والمسافر ويباح لهما الافطار مع وجوب القضاء لأن من شأن المرض والسفر التعرض للمشقة العارضة فاذا تعرضا للضرر بالفعل بأن علما أو ظنا ظنا قويا بأن الصوم يضرهما وجب الافطار. الثالث من يشق عليه الصوم لسبب لايرجى زواله كالهرم والمرض المزمن الذي لايرجى برءه وكذلك الحامل والمرضع وهؤلاء لهم ان يفطروا ويطعموا بدلا عن كل يوم مسكينا مدًّا من الطعام على الأقل

ثم قال تعالى بعد بيان الواجب الحتم والرخص فيه (فمن تطوّع خيرا) بأن زاد على تلك الأيام المعدودات (فهو خير له) لأن فائدته وثوابه له وايفاء فى قوله فمن تطوع تدل على هذا لانها تفريع على حصر الفرضية فى الايام المعدودات فمازاد تطوع ولا تصلح تفريعا على قوله «وعلى الذين» الخ كما لايخفى

على عارف باللغة (وان تصوموا خير لكم) أي والصيام خير لكم لما فيه من رياضة الجسد وتربية الارادة وتغذية الايمان وتقويته بمراقبة الله تعالى (ان كنتم تعلمون) وجه الخيرية فيه لا ان كنتم تصومون تقليدا من غير فقه ولا علم بسر الحكم وحكمة التشريع وكونه لمصلحة المكلفين ، لأن الله غني عن العالمين ، أو اتباعا لعادات الخلطاء والمعاشرين ، هذا ما يظهر من الآية وقد ذكر المفسرون أن الخطاب فيها لأهل الرخص وأن الصيام فى رمضان خير لهم من الترخص بالافطار وهذا غير متفق عليه وتنافيه أحاديث وردت ويبعده التفريع بالفاء كما قدمنا وجعل (الجلال) التطوع متعلقا بالكفارة بأن يزيد على اطعام المسكين وهو أبعد

ثم قال تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) الخ فبين أن تلك الايام المعدودات هي أيام شهر رمضان وأن الحكمة فى تخصيص هذا الشهر بهذه العبادة هي أنه الشهر الذى نزل فيه القرآن ، وأفيضت على البشر فيه هداية الرحمن ، فحق أن يعبد الله تعالى فيه مالا يعبد فى غيره تذكرا لانعامه بهذه الهداية وشكرا عليها . والحكمة فى ذكر الايام مبهمة أولا وتعيينها بعد ذلك أن ذلك الابهام الذي يشعر بالقلة يخفف وقع التكليف بالصيام الشاق على النفوس وهو الاصل اذ ليس رمضان عاما فى الأرض كما سيأتي بيانه قريبا . ثم ان هذا التعيين والبيان جاء بعد ذكر حكمة الصيام وفائدته وذكر الرخص لمن يشق عليه وذكر خيرية الصيام واستحباب التطوع فيه وكل ذلك مما يعد النفس لان تتلقى بالقبول والرضى جعل تلك الايام شهرا كاملا . وانظر كيف ابتدأ هنا بذكر شهر رمضان وإنزال القرآن فيه ووصف القرآن بما وصفه به حتى

كأنه يحكي عنه لذاته بعد الانتهاء من حكم الصوم ثم ثنى بالامر بصومه فلم يفاجىء النفوس به مع ذلك التمهيد له حتى قدم العلة على المعلول. ولعل هذا من حكمة حذف خبر المبتدأ اذا قلنا ان كلمة « شهر رمضان » مبتدأ أو حذف المبتدأ اذا قلنا أنها خبر لمحذوف. وقال الاستاذ الامام: إن حذف الخبر جار على ما نعهده من إيجاز القرآن بحذف ما لا يقع الاشتباه بحذفه وان البيان بعد الابهام جاء على أسلوبه من ذكر الاشياء ثم ذكر علتها وحكمتها وهي هنا إنزال القرآن الذي هدانا الله تعالى به وجعله آيات بينات من الهدى أي من الكتب المنزلة والفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل فوصفه بأنه هدى فى نفسه لجميع الناس وأنه من جنس الكتب الآلهية ولكنه الجنس العالي على جميع الاجناس فانه آيات بينات من ذلك الهدى السماوي وكتب الله كلها هدى ولكنها ليست فى بيانها كالقرآن، واضرب مثلا كتاب دانيال النبي فان الله ما أنزله عليه الا ليهتدي به من يقرأه عليهم ولكنه لم يكن آيات بينات بل هو كالالغاز والرموز لا يفهم الا بعناء، وكذلك التوراة التى سماها الله تعالى نورا وهدى فيها غوامض ومشكلات وقع الاشتباه فيها فلم يكن ضياء الحق والهداية متبلجا وساطعا من سطورها سطوعه من القرآن. والذي نراه فى هذه الاناجيل أن تلامذة المسيح أنفسهم ما كانوا يفهمون كل ما يخاطبهم به من المواعظ والاحكام وهي الانجيل الحقيقي فى اعتقادنا ولم ينقل الينا أن الصحابة عمي عليهم شيء من آيات القران فلم يفهموها فالقرآن يمتاز على سائر الكتب السماوية بأنه آيات بينات من الهدى الذي توصف به كلها وبينات من الأمر الالهي الفارق بين الحق والباطل، ولكن المسلمين لم يرضوا كافة

بأن يمتاز القرآن بالبيان الذي ليس بعده بيان والهدى لجميع الناس كما وصف نفسه فحاولوا تغميضه والتسليم بأنه غامض لا يفهمه الا أفراد من الناس أوتوا علما جما وفاقوا سائر البشر بعقولهم وأفهامهم كما فاقوهم بعلومهم ومعارفهم . ثم زعموا أن هؤلاء الأفراد كانوا فى بعض القرون الأولى وهم المجتهدون وانهم قد انقرضوا ولم يأت بعدهم ولن يأتي من يسهل عليه أن يفهم القرآن ولو أحكامه فقط . وتجد هذا القول المناقض للقرآن والناقض له مسلما بين جماهير المسلمين ، حتى الذين يدعون بأنهم علماء الدين ، ومن نبذه اهتداء بالقرآن ، ربما نبزوه بالكفر والطغيان ، فأي الفريقين أحق بصدق الايمان ، ؟ أما وسر الحق لولا أن المسلمين ألبسوا القرآن ثوبا غير الثوب الذي ينبغي أن يلبس لكان نور بيانه مشرقا عليهم وعلى سائر الناس كالشمس ليس دونها سحاب ولكنهم أبوا الا أن يتبعوا سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ويضعوا كتبا فى الدين يزعمون أن بيانها أجلى ، والاهتداء بها أولى ، لأنها بزعمهم أبين حكما ، وأقرب الى الاذهان فهما ،

قلنا ان الله تعالى فرض علينا صيام هذا الشهر بخصوصه تذكرا لنعمته علينا بانزال القرآن فيه وشكرا له عليها ومن الشكر ان تكون هدايتنا بالقرآن فى مثل وقت نزوله أكمل ومنها ان يكون الصيام موصلا الى حقيقة التقوى فاذا لم نتنفع بالصيام فى أخلاقنا وأعمالنا ، ولم نهتد بالقرآن فى عامة أحوالنا ، فأين الانتفاع بالنعمة وأين الشكر عليها ، ؟ كان جبريل يدارس النبي القرآن فى رمضان ولذلك كان السلف يتدارسونه فيه ويقومون ليله به لزيادة الاهتداء والاعتبار فماذا كان من اقتداء الخلف بهم ؟ كان أن بعض

الوجهاء والاغنياء يستحضرون في رمضان من القراء من كان حسن الصوت يتغنى لهم بالقرآن في حجرات الخدم وهم في الغرفات مع أمثالهم وأقتالهم لاهون لاعبون ومن عساه يصغى منهم أحيانا للقاريء فانما يريد التلذذ بسماع صوته الحسن وتوقيعه الغنائي فقد جعلوا القرآن إما مهجورا وإما لذة جسدية فصدق عليهم قوله « اتخذوا دينهم هزؤا ولعبا »

أما معنى إنزال القرآن فى رمضان مع أن المعروف باليقين أن القرآن نزل منجما متفرقا فى مدة البعثة كلها فهو أن ابتداء نزوله كان في رمضان وذلك فى ليلة منه سميت ليلة القدر أي الشرف والليلة المباركة كما في آيات أخرى وهذا المعنى ظاهر لا اشكال فيه على أن لفظ القرآن يطلق على هذا الكتاب كله ويطلق علي بعضه . وقد ظن الذين تصدوا للتفسير منذ عصر الرواية أن الآية مشكلة ورووا فى حلها أن القرآن نزل فى ليلة القدر من رمضان الى سماء الدنيا وكان فى اللوح المحفوظ فوق سبع سموات ثم نزل علي النبي منجما بالتدريج وظاهر قولهم هذا أنه لم ينزل على النبي في رمضان خلافا لظاهر الآيات ولا تظهر المنة علينا ولا الحكمة فى جعل رمضان شهر الصوم على قولهم هذا لأن وجود القرآن فى سماء الدنيا كوجوده فى غيرها من السموات أو اللوح المحفوظ من حيث أنه لم يكن هداية لنا ولا تظهر لنا فائدة فى هذا الانزال ولا في اخبار به الازادوا على هذا روايات في كون جميع الكتب السماوية أنزلت فى رمضان كما قالوا إن الأمم السابقة كلفت بصيام رمضان قال الاستاذ الامام ولم يصح من هذه الاقوال والروايات شيء وانما هي حواشي أضافوها لتعظيم رمضان ولا حاجة لنا بها اذ يكفينا أن الله تعالى أنزل فيه هدايتنا وجعله من شعائر ديننا ومواسم

عبادتنا، ولم يقل تعالى إنه أنزل القرآن جملة واحدة في رمضان ولا أنه أنزله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا بل قال بعد انزاله «هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ» فهو محفوظ فى لوح بعد نزوله قطعا . وأما اللوح المحفوظ الذي ذكروا أنه فوق السموات السبع وان مساحته كذا وانه كتب فيه كل ماعلم الله تعالى فلا ذكر له فى القرآن . على أن اللوح المحفوظ الذي يذكرونه من عالم الغيب فالايمان به إيمان بالغيب يجب أن يوقف فيه عند النصوص الثابتة بلا زيادة ولا نقص ولا تفصيل وليس عندنا فى هذا المقام نص يجب الايمان به، ومن خصه الله بشيء من علم الغيب التفصيلي فذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ثم قال تعالى بعد بيان فضيلة شهر رمضان بإنزال القرآن فيه (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) قال بعض المفسرين ان المراد بالشهر هنا الهلال وكانت العرب تعبر عن الهلال بالشهر ويرده أنهم لا يقولون شهد الهلال وانما يقولون رآه ومعنى شهد حضر ، وقال بعضهم ان المعنى فمن كان حاضرا منكم حلول الشهر فليصمه . قال الاستاذ الامام وإنما عبر بهذه العبارة ولم يقل «فصوموه» لمثل الحكمة التي لم يحدد فيها القرآن مواقيت الصلاة وذلك ان القرآن خطاب الله العام لجميع البشر وهو يعلم أن من المواقع مالا شهور فيها ولا أيام معتدلة بل السنة كلها قد تكون فيها يوما وليلة تقريبا كالبلاد القطبية فالمدة التي يكون فيها القطب الشمالي في ليل وهي نصف السنة يكون القطب الجنوبي في نهار وبالعكس ويقصر الليل والنهار ويطولان على نسبة القرب والبعد عن القطبين أرأيت هل يكلف الله تعالى من يقيم فى جهة القطبين ومايقرب منهما بأن يصلي فى يومه (وهو

سنة) خمس صلوات احداهما حين يطلع الفجر والثانية بعد زوال الشمس الخ
ويكلفه بأن يصوم شهر رمضان بالتميين ولا رمضان له ؟ كلا إن من الآيات
الكبر على كون هذا القرآن من عند الله المحيط علمه بكل شيء لا من تأليف
البشر ما نراه فيه من الاكتفاء بالخطاب العام الذي لا يتقيد بزمان من جاء به
ولا مكانه ولو كان من عند النبي صلى الله عليه وسلم لكان كل ما فيه مناسبا لحال
زمانه وبلاده وما يليها من البلاد التي يعرفها اذ لم تكن العرب تعرف ان فى
الارض بلاداً أنهارها كعدة أنهرة أو أشهر من أنهر تناوليالها او أشهرنا كذلك .
فنزل القرآن وهو علام الغيوب وخالق جميع البلاد والافلاك خاطب الناس
كافة بما يمكن ان يمتثلوه فأطلق الأمر بالصلاة والرسول بين أوقاتها بما
يناسب حال البلاد المعتدلة التي هي القسم الأعظم من الارض واذا وصل
الاسلام الى أهل البلاد التي أشرنا اليها يمكنهم ان يقدروا للصلوات باجتهادهم
والقياس على ما بينه النبي (ص) من أمر الله المطلق . وكذلك الصيام ما أوجب
رمضان الاعلى من شهد الشهر وحضره والذين ليس لهم شهر مثله يسهل
عليهم أن يقدروا له قدره . وقد ذكر الفقهاء مسألة التقدير بعد ما عرفوا بعض
البلاد التي يطول ليلها ويقصر نهارها والبلاد التي يطول نهارها ويقصر ليلها
واختلفوا فى التقدير على أي بلاد يكون فقيل على البلاد المعتدلة التي وقع
فيها التشريع كمكة والمدينة وقيل على أقرب بلاد معتدلة إليهم

ثم أعاد ذكر الرخصة فقال (فمن كان منكم مريضا أو على سفر
فعدة من أيام أخر) لئلا يتوهم - بعد تعظيم أمر الصوم في نفسه وأنه
خير ويندب التطوع به وبعد تحديده بشهر رمضان الذى له من الفضل والشرف
ماله - أن صوم هذا الشهر حتم لا تتناوله الرخصة أو تتناوله ولكن لا تحمد

فيه ولعمري ان تأكيد الصوم بمثل ما أكده الله تعالى به يقتضي تأكيد أمر الرخصة ولولا ذلك ما أتاها متق بل اننا نرى الصحابة عليهم الرضوان كانوا على تأكيد أمر الرخصة في القرآن يتحامون الفطر في السفر اولا حتى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمرهم به في بعض الاسفار فلا يمتثلون حتى يفطر هو بالفعل

ثم قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فيما شرعه ويشرعه لكم من الاحكام قال الاستاذ وكأن في هذا ضربا من التحريض والترغيب في إتيان الرخصة ولا غرو فالله يحب ان تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه وقد اختلف العلماء في الافضل للمريض والمسافر على أقوال ثالثها التخيير . أقول والآية تشعر بأن الافضل ان يصوم اذا لم تلحقه مشقة أو عسر والا كان الأفضل أن يفطر لأن الله لا يريد إعنات الناس بأحكامه وانما يريد اليسر بهم وخيرهم ومنفعتهم .

ثم قال (ولتكملوا العدة) اختلف في إعرابه فقيل إن اللام للتعليل وهي معطوفة على التعليل المستفاد من قوله « يريد الله بكم اليسر » كأنه قال رخص لكم لأنه يريد بكم اليسر وان تكملوا العدة فمن لم يكملها أداء لعذر أكملها قضاء وقيل إنها لتقوية الفعل كما في قوله « يريدون ليطفئوا نور الله » أي يريد الله بكم اليسر وأن تكملوا العدة وهو يجري في كلام البلغاء كثيرا ورجحه الاستاذ الامام (ولتكبروا الله على ماهداكم) اليه من الاحكام النافعة لكم بأن تذكروا عظمته وجلاله وأنه القاهر فوق عباده يربيهم بما يشاء من الاحكام ويؤدبهم بما يختار من التكاليف والمنعم المتفضل عليهم عند ضعفهم بالرخص اللائقة بحالهم (ولعلكم تشكرون) له هذه النعم بالقيام بها على وجهها فتكونون من الكاملين

وذهب جمهور المفسرين الى أن فى الكلام ثلاثة تعليلات مرتبة على سبيل اللف لفعل محذوف عامل فى جملة الاحكام الماضية أي شرع لكم ماذكر من صيام أيام معدودات هي شهر رمضان لمن شهده سالما صحيحا لتكملوا العدة (والتعبير بالعدة دون عدة الشهر يشعر بما قاله الاستاذ الامام من أن الاصل فى التكليف العام بالصوم هو الايام المعدودات وكونها رمضان بعينه خاص بمن شهده ممن لم تتناوله الرخصة وهذا من دقة القرآن الغريبة وبلاغته التى لايخطر مثلها على قلب بشر) - وشرع لكم القضاء على من أفطر فى مرض يرجى برؤه أو سفر لتكبروه وتعظموا شأنه على ماهدا كم اليه من الجمع بين الرخصة بالفطر والتكليف بالقضاء - وشرع لكم الفدية فى حال المشقة المستمرة بالصوم وأراد بكم اليسر دون العسر لعلكم تشكرون هذه النعمة . وقد صورنا ترتيب التعليل الذي ذكروه بما نراه أوضح مما صوروه،

القسم العمومي

﴿ضعف المسلمين ، بمزج السياسة بالدين﴾

(مراجعة رفيق بك العظم للشيخ صالح بن علي اليافعي)

كتبت في المنار الاغر فصلا تحت عنوان (هـذا أوان العبر) بحثت فيه عن تقهقر المسلمين وسببه ورأيت بعد مقدمات سردتها ان استبداد الحكومة هو علة هذا الضعف الشامل الذي ألم بالمسلمين وجعلهم في أخريات الأمم وقلت انما أنامهم لاستبداد الامراء، وأضعف بحياتهم السياسية الرجاء، مزج السياسة بالدين مزجا أدى الى استئثار الخلفاء بالسلطة واستبدادهم بكل شؤون الملك حتى أخذت الحكومة الاسلامية شكل الحكومات المطلقة التي هي نار تأكل الممالك وتذهب بحياة الشعوب · ولو تنبه العرب في بدء نشوء الدولة الى أن الحياة السياسية غير الحياة الدينية وأسسوا هذا

الملك الكبير على أساس الحكومات الديموقراطية التي كانت عند مجاوريهم من الرومان لما استفحل داء الاستبداد المطلق فى الدولة الاسلامية الى آخر ماورد فى ذلك الفصل .
وبما أن أكثر المقدمات كانت اجمالية أردت بها الاشارة الى نتائج الحكم المطلق قد التبست على حضرة الفاضل الهندي صاحب مقالة (ضعف المسلمين وعلاجه) فحمل قولي على غير ما أردت وكتب فى المنار المنير مقالته المسهبة فى الرد علي فذهب فيها مذاهب من بيان الداء والدواء تدل على وقوف على أحوال المسلمين وعلم لاينكر على مثله الا أنه آخذني على بعض المقدمات مؤاخذة من التبس عليه فهم المراد منها فطفق يسرد الادلة على فضائل الدين الاسلامي وانه صالح لترقي المسلمين كأنه ظن أني بقولي إن السياسة غير الدين أدعو المسلمين الى ترك الدين او أن الاسلام غير صالح لترقي الامة ومعاذ الله أن يقول بهذا مسلم عنده ذرة من العلم بحقيقة الاسلام ووقوف على تاريخ المسلمين ولكي أدفع ماورد على ذهنه من الشبه وماتبادر الى فهمه من ظاهر كلامي أريد مع احترامي لغيرته العظيمة ونيته السليمة مناقشته فى بعض المقدمات التي أوردها في مقالته (ضعف المسلمين وعلاجه) تمحيصا للحق وبيانا للحقيقة فاقول

جاء في مقدمته الاولى عن أسباب تقهقر المسلمين ان أعظم تلك الاسباب وأولاها تغلب من لايستحق الخلافة على من يستحقها وجعلها ملكاً عضوضا قائما بقوة السيف . وثانيهما نبذ المسلمين للكتاب والسنة وافتراقهم شيعا في الدين

فاما السبب الثاني فلا مشاحة فيه وقد بسطه حضرته بسطاً وافيا أعرب فيه عما يخالج ضمائر العقلاء من الامة وهو سبب مهم من أسباب تدلي المسلمين لاينكره الا مكابر أو جاهل فلا نناقشه فيه بل نوافقه عليه ولي فيه كلام طويل وفصول كثيرة في كتبي (أشهر مشاهير الاسلام) (وتنبيه الافهام) فليراجعهما إن أحب

وأما السبب الثاني فقد جعله أخونا الفاضل أساسا وهو في الحقيقة نتيجة مقدمات وأسباب لو تدبرها لما خالفني فى رأيي وبيانه أني بنيت قولي بتقهقر المسلمين على ثلاثة أمور (الأول) الاستبداد و(الثاني) طرز الحكومة و (الثالث) مزج المسلمين الحياة الدينية بالحياة السياسية وهذا الاخير ينقسم الى قسمين وهما : طرز الحكومة والاستبداد : فالاستبداد منشؤه الحكومة المطلقة وهذه منشؤها استئثار الخلفاء

بالسلطة العامة باسم الدين لجعلهم حياة الامة السياسية حياة دينية وأخونا الفاضل الهندي وافقني في بيانه للسبب الاول على الثاني وهو الاستبداد وانما انكر علي كونه ناشئا عن مزج السياسة بالدين ورأى أن منشأ استبداد الامراء تغلب النازعين الى الملك ممن كانوا غير أهل للخلافة على من كانوا اهلا لها وتشريدهم لهم في كل صقع وواد وأخذ الخلافة بالغلبة دون اختيار أهل الحل والعقد وجعلها بعد أخذهم لها بقوة السيف ملكا عضوضاً ذهبوا فيه مذاهب أهل الاثرة والكبرياء وحادوا به عن طريق الشرع وآثروا الجهلة والفساق الخ ما قال . والذي يستنتج من رأيه هذا أن الخلافة لو بقيت باختيار أهل الحل والعقد ووسدت الى أهلها ممن عناهم حضرته لما حل بالامة من مصائب الاستبداد ماحل ولما طرأ على الدول الاسلامية من الضعف ماطرأ وما دام مسلما معنا بهذه المقدمة فقد كان يلزمه أن يحث عن السبب الذى افضى بالخلافه الى غير أهلها ويبين الوجه الذي يضمن بقاءها على ماتركها عليه الخلفاء الاولون سائرة على نهج الحق والعدل لاسبيل لاولئك النازعين الى الملك المتوثبين على الخلافة الى خرق حرمتها والتغلب على من كانوا اهلا لها وأحق بها ويرى ما الذى ادخل على مركز الخلافة الاضطراب من عهد الخليفة الثالث رضي الله عنه حتى زعزعته عواصف الفتن وغلب عليه المتغلبون فكانت من ثم أول حلقة من سلسلة الانقسام والتغالب الذى جر على الامة من البلاء وأذاقها من استبداد الامراء ماانتهى بها الى الغاية الشنعاء التي نشاهدها الآن بالعيان

لو نظر حضرته الى السبب ودقق النظر في هذا البحث لعلم اني لم اخرج في بحثي عن هذه الوجهة ولم اتعرض فى كلامي لاصل الشريعة التي قال فيها لو عمل بها الخلفاء لما اصاب الامة ما اصابها من الجور اذ هذا حق لاريب فيه ولم يكن كلامي دائراً عليه بل على الاساس الذي ينبغي ان تقام عليه دعائم الدولة ويتكفل بسير الامراء على نهج العدل وعملهم بأوامر الشريعة ويقف بهم مرغمين عند حد القانون . وهذا الاساس هو الذى يعرف لهذا العهد بالنظام الاساسي الذى عليه تقدم الدول الشورية والحكومات النيابية ولا بقاء للحكم النيابي بدونه قط

هذا النظام هو الذى يتكفل بتنفيذ القوانين الشرعية والوضعية ويعطي الشعوب

حق السيطرة على الحكومة والمشاركة لها فى الرأي ويحدد سلطة الامراء والملوك تحديداً يمنعهم من الذهاب فى سياسة الأمم مذاهب الشهوات وان يكونوا اربابا والرعية مربوبين . وهذا النظام هو الذى نهض بدول الغرب الى اوج القوة والمجد والسيادة على الارض وخرج باليابان من وهدة الهوان الى مقام الدول العظيمة ذات القوة والسلطان والى هذا المعنى اشرت بحياة الامم السياسية وانها غير الحياة الدينية وقلت ان العرب بجعلهم الحياة السياسية حياة دينية مهدوا للامراء سبيل الاستئثار بالسلطة باسم الدين والحكم بالهوى وبما تشتهيه نفوسهم لا بما ينطبق على مصلحة الامة والشرع فاذا توهم اخونا الفاضل ان هذه الحياة لاتكون حياة طيبة سعيدة الا اذا انصبغت بصبغة الدين فما رأيه في اليابانين وهم من الوثنيين

استغرب الفاضل الهندي قولي ان العرب فاتهم ان يجاروا في وضع قواعد الدولة وتأسيس اصول الحكومات ذات الصبغة الدستوزية كالجمهورية والقنصلية والحكومة المقيدة اقرب الامم جوارا لهم وهم الرومان واستعظم قولي بترك الدين جانبا والسياسة جانبا وبالغ في الاستعظام حتى خيل للقارئ اني ادعو الى نحلة جديدة بعيدة عن الدين والصواب، لا اجاب اليها ولو ناديت قومي الى يوم الحساب، يؤيد هذا قوله بعد كلام طويل . فان دعوتهم (يعني المسلمين) الي دينهم الخالص انفع لمرضهم. الخ الجملة التي تدل على مبلغ ظنه بي واني ارجو الله ان يغفر له ولي مادامت وجهة كلينا الى الحق وغرضنا محض النصيحة وانما التبس على مناظري فهم المدار من كلامي فحمله على غير ماأردت وعسى ان ايضاحي له الآن وتصريحي بأنه انما كان دائراً على النظام الاساسي للدولة يقنع حضرته بأني لم ارد بفصل السياسة عن الدين ترك احكام الدين وتعاليمه بل اريد ان النظامات الاساسية للدول تابعة للمصلحة منوطة بالاجتهاد وليست هي جزءاً من الدين لاينفصل عنه وبيانا للحقيقة التي يشهد بها الشرع والعقل ألخص هنا ما كتبته في صدر الجزء الاول من اشهر مشاهير الاسلام عند الكلام على خلافة ابي بكر رضي الله عنه وازيد عليه بعض الشيء ايضاحاً لما ابهم في هذه المسئلة الكبرى فاقول

ان وظيفة الرسل هي تبليغ الشرائع ووضع أصول الدعوة وتقريرها على وجه

يتكفل بسعادة الناس ولما كان لابد بعد الرسول من بقاء هـذه الشرائع في قومه للحكم بها بين الناس انيط ذلك بالضرورة بمن يخلفه في قومه فكانت وظيفته دنيوية يتعلق بهـا تنفيذ احكام الشريعة التي تتكفل بحفظ الامن والراحة والحقوق ووظيفة الرسول دينية يتعلق بها تبليغ الدين وتقرير اصول الشريعة لهذا لم يعهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل مفارقته الدنيا الى الملأ الاعلى بالخـلافة الى احد سوى انه استخلف ابا بكر رضي الله عنه بالصلاة التي هي ركن من اركان الدين فرضيه بعد ذلك الصحابة الـكرام رئيسا للدنيا بدليل قول علي رضي الله عنه (قدارتضاه رسول الله لديننا افلا نرتضيه لدنيانا) وهذا صريح في ان الدولة غير الدين . ومعلوم بالبداهة ان الشرائع سواء كانت دينية أو وضعية تحتاج الى منفذ وهـذا المنفذ هو الدولة فأول رئيس لهذه الدولة في الاسلام هو ابو بكر (رض) وانما كان أبو بكر رئيسا للدولة بالضرورة لان الاسلام له شرائع يقتضي تنفيذها والرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤسس دولة بل شرع شرعاً وجمع الناس على دين فلهم ان يختاروا فى حماية ذلك الشرع وتنفيذه الوجه الذي يتكفل بقيامه ويعزز جانب أهله وليس هناك نص بعينه يبين كيفية تأسيس الدولة فهم اذا أحسـنو في الاختيار التأسيس فلانفسهم واذا أخطأوا فعليها والشرع لايطالبهم بحكومة جمهورية ولا مطلقة ولا مقيدة بل يطالبهم بالعمل باحكامه وقصد العمل بتلك الاحكام وصونها عن العبث والضياع وهو الذي يطالبهم باختيار طرز الحـكومة التي تضمن بقاء العمـل بالشرع وأي حكومة أفضل للمسلمين بل لكل البشر من الحكومة النيابية التي يتكافل بها الشعب برمته على سلامة القانون أو الشرع

هذه مقدمة ومقدمة أخرى وهي ان الشرع ينقسم الى قسمين قسم يتعلق بالدين وهو قسم العبادات وقسم يتعلق بالدنيا وهـو قسم المعاملات فالقسم المتعلق بالدين نصوصـه قطعية لا اجتهاد فيها ويتلقاه الناس من الكتاب والسنـة فمخالفـه يعاقب والعامل به يثاب

والقسم المتعلق بالدنيا هو قسم المعاملات ويشتمل على أحكام الحقوق والعقوبات وفيها القصاص والحدود فأحكام هذا القسم منها قطعي ومنها ماهو موكول للاجتهاد وهو الاكثر والاجتهاد كما هو معلوم بالبداهة معناه وضع الاحكام بازاء الحوادث التي تجد

بتجدد الزمان وتتعدد بتعدد المصالح فاذا أجاز الشارع الاجتهاد في هذا القسم لاعتبار انه دنيوي تتعلق به مصالح الامة الاجتماعيـة فما معنى اعتبار حياة المسلمين السياسية التي تتعلق بها حاجات الدولة والملك الدنيوية في بدء نشوء الدولة وسذاجتها حياة دينية لايجوز فيها الاجتهاد بتأسيس الدولة على أصول الدول العريقة في الملك

ومقدمة ثالثة وهي انه قد ثبت عند الأصوليين أن الانبياء عليهم السلام قد يخطئون فى اجتهادهم والعرب فى صدر الاسـلام لما لم يكن لديهم تاريخ فى ترتيب الحـكومات يرجعون اليه لم يحسنوا تأسيس الدولة على أصول الشوري الثابتة فلو فرضنا أنهم اجتهدوا وأخطأوا فهل فى هذا مايدعو الى استكبار ذكر هذا الخطأ والحال ان لهم اسوة بالرسل عليهم السلام ولماذا استكبر حضرة المناظر الفاضل قولي ان العرب لم يحسنوا تأسيس الدولة والملك

ومقدمة رابعة اذا كانت حياة المسلمين السياسية حياة دينية والسياسة لاتنفصل عن الدين ومعلوم بالضرورة ان الدين لاينسب اليه نقص فى بيان وجوه المصالح المتعلقة بسعادة المسلمين فما هو سبب الاضطراب الذي دخل على الخلافة من الصدر الاول وجرّ على الامة من الفتن والارزاء مايعلمه كل واقف على التاريخ ؟ أهو نقص الدين أم جهـل الصحابة بأحكامه التي ترتبط بها مصلحة دولة المسلمين وتتوحد المشارب السياسية بين المؤمنين؟واذا لم يكن هذا ولاذاك فهل يبقى الا التقصير بماذكرنا

هذه المقدمات تنتج على ما أعتقد انه الحق ان السياسة غير الدين وان تأسيس الدولة منوط بالمصلحة التي تقتضيها حاجة المسلمين وان الصحابة رضوان الله عليهـم لم يتوصلوا الى جمع كلمة الامة السياسية كما جمع النبي صلى الله عليه وسلم كلمتها الدينية لانه فاتهم تأسيس الدولة على أصول الحكم النيابي الثابت الذي تتحد به مصالح الشعوب مهما افترقوا في المشارب والاحزاب وكان مبلغ اجتهادهم رضوان الله عليهم ان حاولوا جمع كلمة الامة على امارة المؤمنين باسم الدين على ان الامة لم تكن وقتئذ مفترقة في فى الدين بل في السياسة وانما حصل هذا الافتراق لما رسخ فى أذهان العامة من ان السياسة هي الدين وان فلانا أوفلانا أحق دينا بإمارة المؤمنين والصحابة إنما أرادوا جمع كلمة الامة باسم الدين اعتقاداً منهم بأن الدين أنفذ الى القلوب وأملك للضمائر فهم على كل حال مثابون مأجورون لانهم لم يريدوا للامة الا الخير ولكن تعذر عليهم الوصول

الى جمع كلمة المسلمين السياسية التي لاتجتمع الا اذا كان النظام الاساسي لكل دولة فى كفالة الامة باسرها لا كفالة الامير وحده والى هذا أشرت في مقالاتي الماضية بقولي انّ العرب فاتهم ان يجاروا أقرب الامم جواراً لهم وهم الرومان فى تأسيس الحكومات ذات الصبغة الدستورية ولم أشر الى غير الرومان من الدول القديمة ولا الحديثة كما اتهمني مناظري الفاضل ذلك لان الحكم النيابي الذى يعطي الامة حق المشاركة للحكومة في الرأي وتقوم به الدول بالتكافل بين الاحزاب انما هو من وضع الرومان ولم يعرف عن الفرس ولا الهنود وغيرهم والدولة الرومانية وان كانت في أيام الفتح وظهور دولة الاسلام قد صارت الى ماصارت اليه من الضعف والهرم وفقدان أصول الشورى الا ّ ان لحكوماتها تاريخا معروفاً يرجع اليه لذا تأصلت في المغرب دون الشرق روح الشورى والحكم النيابي فكانت تظهر تارة وتختفي أخرى حتى كانت الثورة الفرنساوية الشهيرة ونسفت قواعد الحكم المطلق من المملكة الفرنساوية وتبعتها بعد ذلك بقية الممالك الاوربية وكان من آثار الحكومات النيابية في اوربا مالا يحتاج الى بيان بعد ان شهد به العيان

والخلفاء الراشدون أخذوا كثيرا من أمور الدولة عن الاعاجم كالديوان ونحوه فماذا يضر قولنا انهم لو اخذوا عن الرومان اصول الحكومة النيابية لكان أنفع للمسلمين أجل إن الله تعالى مدح فى كتابه الكريم قوما كان امرهم شورى بينهم وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة فجنح الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم الى الاستشارة فى بعض أمور الدولة عملا بأمر الله وذلك لمكانتهم من التقوى والصلاح والعدل لكن هذا المبدأ الشوري السامي صدر عنهم بمحض الارادة وادبا مع الشارع ولم يضعوه موضع المبدأ الاساسي العام ويشيدوا عليه بنيان الدولة بطريقة تشعر ان لكل فرد من أفراد الامة حقا بمكاتفة الحكومة ومشاركتها كما هو شأن الحكومات النيابية الصحيحة بل اعتبروا الخليفة مصدر كل شؤون الدولة وكل مايتعلق بأمور الامة السياسية والدينية منوط به وموكول اليه لذا لما مضى عصرهم الذي هو خير العصور الاسلامية قلب الخلفاء للمسلمين ظهر المجن واستأثروا بكل مصالح الدولة واتخذوا اسم الامامة والخلافة سلاحا يضربون به وجوه المسلمين واستعبدوا به الامة أي استعباد لما أوجدوه فى نفوس

الناس من الاعتقاد بأن الامامة ركن من اركان الدين والامام خليفة الله ورسوله على المؤمنين وبلغ غلوهم فى الاستبداد والترفع عن عامة الامة ان خطب عبد الملك بن مروان (من الامويين) يوما خطبة قال في آخرها (والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا الاضربت عنقه) . واحتجب الخلفاء العباسيون عن انظار الناس داخل القصور فكانوا في أواخر دولتهم وسائل للتبرك وآلات للتعظيم مع أنه ليس لهم من الامر شيء . وادعى الخلفاء الفاطميون في مصر الالوهية واوجبوا تعظيمهم على الناس تعظيم عبادة لاسيادة ولما زالت سطوة الخلافة وتقلص ظلها عن الناس وآل الملك الى أهل العصبيات الجديدة من الملوك والسلاطين وكانت الامة رضخت للاستعباد واستنامت لعوامل الاستبداد استمرأوا مرعى السلطان المطلق على الامة وبسطوا عليها يد القوة والقهر حتى أنست لهذا العهد بالضعف واستسلمت لحكم السلطة الاستبدادية حتي ماتطيق الحرية وتأبى التخلص من هذا الاسر وهي ترى بعينها نتائج الحرية والعدل فى الامم الاخرى وتشاهد تفاني الشعوب واستهلاكهم فى سبيل التخلص من حبائل الاستبداد ولا ينبض لفرد من أفرادها عرق او يتحرك منها ساكن واذا نادى مناد من المسلمين بالاصلاح ودعا داع الى فك قيود الاسر والانطلاق من سجن العبودية والقهر عدوه من المارقين وأقاموا فى وجهه الفاسد باسم الدين حتي جعلوا الدين مضغة في أفواه الغربيين ووسيلة من وسائل الحجر على العقول والله يشهد والملائكة والرسول ان الاسلام ادعى الى الخير واهدى الى سعادة الامم مما يعتقدون وانما إلصاقهم كل شيء بالدين وتكييفهم للدين كما يريدون جعلنا نخبط فى ظلام هذه الحيرة التي اودت بنا الى العدم دون كل الامم وقد اشار الى هذا اخونا الهندي في مقالته بما يغنينا عن اطالة البحث والاسترسال في الآلام لافى الكلام وحسبنا شاهدا على ذلك ماوصل اليه المسلمون والاسلام والله يتولى هدانا جميعا وهو خير المرشدين (رفيق)

(المنار) قراء المنار يعرفون رأيه في هذه المسائل التى تناظر فيها هذان الكاتبان الغيوران على ملتهما وأمتهما الا مسئلة نصب الخليفة فأن المناظرة تشعر بأنه أصل من أصول الدين وليس كذلك وانما هو من الاحكام الشرعية العملية الاجتهادية والقرآن قد وضع أساس الشورى وعمل بها النبي ليبنى عليه المسلمون هيكل حكومتهم وترك التفصيل لاجتهادهم فالسياسة دينية من جهة اجتهادية من جهة أخرى وسنوضح ذلك فى مقال مخصوص يكون فصل الخطاب ان شاء الله تعالى

باب التربية والتعليم

(التربية بسفر البحر)

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

يوم ١٤ مايو سنة ـ ١٨٦

انتهينا من الطواف بالرأس ولكن ما أعظم ما بذلنا في سبيل ذلك من الجهد وما أشد ما عانينا من المشاق فقد كانت الريح تزفزف ثلاثة أيام وثلاث ليال زفزفة بلغت من الشدة الى حد ان سارى سفينتنا الاكبر كان فيها يتنود تنود القصدة من يبس الحشيش

لم يكن يؤلمنا على ظهر السفينة سوى أيدي البحارين في ممارسة أعمالهم وما كان أشدني إعجابا في نفسي بسيرتهم في تلك الساعات التي قضيناها في مكافحة البحر ومغالبة الخطر فليست بسالة الملاح من قبيل بسالة الجندي ولكنها تفضلها فى رأيي لأن الملاح بما له من الجرأة على الموجودات والفواعل الكونية يكافح الموت مواجهة فلا يحول بينهما الاسمك لوح من الخشب وليس غرضه من الكفاح إبادة نظرائه بل هو في مدافعة عن حياته يعمل لتنجيتهم من الهلاك وناهيك بالبحر عدوا أوتي من العدد ماهو أشدها رهبة في العالم بأسره فانك ترى السفينة على وهنها وكونها ليست الا دولابا من الخشب تطاردها الريح والبرد والبرق وجبال من الموج فهي فى الحقيقة تقاوم قوى كون من الاكوان برمتها

ولا مشابهة أيضا بين قدر الملاح وبين ما يفاخر به السفسطي من اجترائه على معاندة القدر باستدلالاته الدقيقة اجتراء باردا خاليا من العمل هيهات فان قدر الملاح هو ما يتجلى فى عمله من قوة نفسه وهمتها فتراه مع استعانته بربه لا ستمساكه بدينه لا يعتمد بعد ذلك الا على نفسه أعني على صحة بصره وضبط حركاته وقوة أعصابه فان قهره عدوه سلم اليه ولكن هذا لايكون الابعد ان يرى آخر سلاح له قد تحطم تلك البسالة تكتسب بالتعلم، وهذه الثقة بالنفس تسري بالمعاشرة، يدلك على ذلك

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر .

ان «أميل» كان فى أول عهده بالملاحة شديد الروع فما لبث ان ذهب عنه روعه بالتأسي برفقائه لانه كان يرى من العاران يرتجف فؤاده وتتزلزل قدماه امام هؤلاء الابطال وهم ثابتون فى مواطنهم. كانوا يشغلون حينا بعد حين بادارة الممصات (الطلمبات) ومعالجة الحبال فلا شيء كالعمل البدني في تقوية القلب فبطالة المسافرين هي التي عند أدنى هيعة تملأ قلوبهم بالمخاوف وأدمغتهم بالخيالات واما الملاح فليس للخوف متسع في وقته .

من مزايا الملاحة أيضا ان مافيها من مكافحة الخطر ينمي في قلوب الملاحين حب الحياة فمن ذا الذي كان يحسب ان الانتحار لايكاد يكون معروفا بينهم .

الضجر من الحياة من مميزات العصور الحديثة وهو أخوفها عندي على الشبان وأشدها إيلاما لنفسي فاني أرى الاطفال يولدون غير مبالين بشيء سائمين من كل شيء خامدي الاحساس ميتي القلوب فكم من فتاة اذا انكشف لها وهمها لاول مرة فيما كانت تعتقده واقعا تمنت لو أنها ماتت قبل انكشافه وكم من فتى كسول لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره ولم يعامله الجد الا معاملة الغلام العارم يصيح قائلا «مافائدة الحياة» وليس من غرضي هنا ان أبحث عن أسباب هذه المصيبة الملمة بالنفوس والاخلاق وانما غرضي أن أقول لكل هؤلاء المتبرمين : «انظروا الى الملاح تجدوا انه هو الذي عرف قيمة الحياة لانه في كل يوم يذود عنها اخطارا حقيقية لغاية نافعة وبذلك صار أهلا لان يقدرها حق قدرها»

من أجل هذه الاسباب كلها ارى ان «أميل» الآن في ولاية معلمين حاذقين واما «لولا» فانها والحق يقال لم تبد من البسالة شيئا يذكر لانها لبثت مختبأة فى احدى زوايا حجرتها فكانت كالنعامة التي يؤكد العارفون باخلاقها انها تتوهم ان غمر رأسها فى الظلام منجاة لها من الخطر الملم بها وذلك مااضطر هيلانة الى ان تكون قدوة لها في الاقدام تسكينا لروعها وكان هذا موجبا للاعجاب بها بحق

شجاعة النساء المحمودة

من الخطأ ان يتوهم متوهم ان لافائدة فى الشجاعة للنساء فانه ان كان يريد بها الشجاعة الحربية فاني قليل الاعتداد بها في الرجال فاكون أقل اعتدادا بها فى

المرأة المترجلة ولكن لايعزب عن ذهنه انه يوجد من ضروب الاقدار غير واحد فان النساء مستهدفات للمخاطر التى نحن عرضة لها ومضطرات لمغالبة مانغالبه من حوادث الكون الخارجي وقد يوجد من الاحوال ماتتوقف حياتهن فيها بل وحياة أطفالهن على سكينتهن ورباطة جأشهن فقوة العزيمة وثبات الجنان هما من الاخلاق اللازمة للمرأة لزومهما للرجل .

من المصائب ان تسوء تربية الفتيات الى حد ان يتوهمن ان تكلف ضروب الفزع القاتل عند كل مناسبة خصوصا بحضرة الشبان ممايلفت الانظار اليهن فيقول من يراهن فى هذه الحالة انهن يقصدن ان يظهرن فى شكل الحمائم المروّعة ويجمل أن يوعظن بأن الخوف لاحسن فيه مطلقا وانه يجب عليهن لانفسهن اذااحدق بهن الخطر ان يجتهدن فى استشعار الاطمئنان والسكينة ان كن يردن ان يصرن مثاراً للاعجاب والاستحسان . ولا صحة لما يعتقدنه على ما يظهر من ان ثبات جنان المرأة يسيء خلقها بل اني اجد جمالا وشرفا فائقين فى تلك الذات اذا كانت مع تجردها من القدرة على المهاجمة بل ومن قوة المدافعة تقتحم الخطر بقوة جاش تكافيء قوة الرجل .

انا اعلم أن من الاوهام السخيفة اعتقاد ان جفاء الطبع من لوازم الشجاعة ولكني اود لو ادري متى شوهد ان الشجاعة الحقيقية غيرت من رقة المرأة ورحمتها وغير ذلك من فضائلها حاشاها من هذا وان الجبن والاثرة لهما اللذان يوجبان قسوة القلب وغلظه

سل أما جبانا ان تشهد عملا جراحيا يعمل فى جسم ولدها لتسليه وتسري من ألمه تجبك بانها شديدة الاحساس كثيرة التأثر وبئس العذر عذرها فما مرادها الا الاحتماء من كلفة التسخير . ثم لايتخيلن احد ان قوة العزيمة والسلطان على النفس أو الشجاعة الحقيقية هي من الاخلاق التي لاينتفع بها الافى طائفتين من الاعمال هما الحرب والملاحة فاني أرى ان منفعتها تتعدى الى كثير من الامور الاخرى لان الرجل والمرأة مهددان كل يوم فى القوم الذين يعيشان بينهم بآلاف من الاعداء والمعاطب ولان البحر لايقصد الا إزهاق أرواحنا وماأكثر مايعرض لنا من الاحوال الخطرة التي يقصد فيها نقص اعراضنا والذهاب بحرماتنا . اه

يوم ٢٠ مايو سنة ـ ١٨٦

تشق سفينتنا «الوتيتور» بجلالة خطرها عباب امواج المحيط الهادي وتحذها في سيلا وقدعادت «لولا» بعد زوال الخطر الى ما كانت عليه من الابتهاج والسرور فهي تمرح وتعدو على ظهر السفينة مع مالها من الحركات حافظة لتوازنها وتبدو قدماها الصغيرتان في خبها من تحت حلتها كأنهما فأرتان ٠ اه

يوم ٢٥ مايو سنة ـ ١٨٦

وسونا غداة اليوم في جوان فرناندز لضبط مقياس الزمن (الكرونومتر) وهذه البقعة مركبة في الحقيقة من ثلاث جزر يتألف منها مجموع متلاصق الاجزاء وتسمى الاولى منها ماساتيرا والثانية ماسافويرا والثالثة اسلادولوبوس وهي صخرة تكاد تكون جرداء اكثر الثلاثة تطوحا نحو الجنوب ويلقبها الملاحون بجزيرة القيطس (عجل البحر) لان القياطس تأوي اليها طلبا للراحة والدفء

الجزيرتان الاوليان ماساتيرا وماسافويرا معشوشبتان شجراوان ومع اجتهاد الحكومة التابعتان لها في تعميرهما لا تزال قفرا لا يعمرها الا المعز الوحشية وهي كثيرة فيهما ويقال انها كانت تزيد عن ذلك لو لم تسلط عليها كلاب وحشية مثلها تقاتلها وتفترسها وليت شعري الى أي حالة تصير هذه الكلاب اذا ابادت جميع ما هنالك من المعز؟ لابد ان يأكل بعضها بعضا ٠

وجزيرة جوان فرناندز تذكر بواقعة عظيمة جرت فيها وهي :

انه في سنة ١٧٠٤ رسا الملاح الانكليزي دامبير على ماساتيرا فألقى فيها وكيله على القوارب المدعو إسكندر شالكرك أثر مشاجرة احتدمت بينهما ترك هذا التعيس في هذه الجزيرة القفر غير مزود اياه الا بشيء يسير من الغذاء والعدد فعاش هناك اربع سنين وأربعة أشهر من صيده وصناعته وفي سنة ١٧٠٩ اتفق لاثنين من صيادي الثيران الوحشية ان نزلا بالجزيرة فعثرا على ذلك الرجل فرقا لحاله وحملاه معهما الى أوربا

وكان شالكيرك قد قيد بعض مذكرات في طريقة عيشته على تلك الجزيرة البلقع فاستعان بها دانيال روفويه فيما بعد على تأليف كتابه العجيب الذي عرفه الناس جميعا ولشد ما يبديه الآن «أميل» و«لولا» من الاهتمام بمطالعة وقائع روبنس كروزويه ٠ اه

يوم ٥ يونيه سنة ـ ١٨٦

يابشرى هذه أرض هذه أرض

بعد ان سافرنا تسعين يوما دخلنا خليج قلاّو وهو من ابهى مناظر الدنيا وأبصرنا جزيرة لورنز وترتفع حيالنا اقول ترتفع واقل مافي هذا اللفظ انه حقيقة في استعماله هنا فقد نتج من حساب أحد العلماء أن سواحل سان لورنزو كسواحل الشاطئ المجاور لها ارتفعت عن سطح البحر خمسا وثمانين قدما انكليزية من عهد العصور التي يعرفها التاريخ

صخور هذه الجزيرة يغمرها آلاف مؤلفة من الطيور اخص بالذكر منها طيرا رأسه اسمر الى السنجابية وبطنه أبيض ناصع وذنبه اسود يقال انه هو الذي يحصل منه أهل الجزيرة على السماد المعروف بالغوانو وهو ثروتهم الكبرى لان الذهب والفضة كادا ينضبان من معادن بلاد البيرو فهي تتسلى عن الحرمان منهما ببيع القذر ولا غرو فالذهب مذهب ومفسد والقذر موجد ومخصب . اه

يوم ٦ يونيه سنة ـ ١٨٦

رسونا فى مينا سيودال دولوس ريس

اخص مادهش «أميل» و«لولا» عند هبوطهما على البر كثرة العقبان التي تسكن سواحل هذه الجهة فانها ترى عند كل خطوة في الشوارع وعلى سطوح المساكن وقد رأينا منها طائفة تبلغ الستين أو الثمانين نائمة وهى جاثمة على جدار ورؤسها مختبئة تحت اجنحتها ذلك انها ليس من خلقها الجفلان ولا تخشى من السكان شيئا لانهم يجلونها . هذه الطيور فى غاية الشره وشرهها نفسه نعمة من نعم الله على اهل تلك البلاد لانه يساعد على حفظ الصحة في المدن وكان «لاميل» فيما أرى اخطاء غريبة فى شأنها فانه لما سمع الزراية عليها من درس الاخلاق فيها في الكتب كان يتخيلها سلابة تسكن الهواء آكلة دنيئة للرمم فلم يمض الاساعات قلائل حتى زال الوهم وتبين له خلاف ما كان يتوهمه انه محتسبة عينها الخالق سبحانه فى البلاد الحارة للقيام على تنظيف الطرق العامة فهى تنقيها مما يلقى على الابواب من القمام واللحوم الفاسدة ومما يطرح فيها من الجيف ويدل ماتبديه هذه الطيور من الاطمئنان الى الانسان والثقة به حق الدلالة على شعورها بنفعها له .

المسافة بين قلاو وليما فرسخان اسبانوليان وسنبلغها غدا . اه

مدرسة الجمعية الخيرية في المحلة الكبرى

(الاحتفال بافتتاحها والغرض من تعليمها)

ذكرنا في الجزء الخامس من هذه السنة خبر الاحتفال بتأسيس هذه المدرسة وقد تم ولله الحمد بناؤها وأهلت بالتلامذة وانتظمت عقود الدروس فيها واحتفل بافتتاحها رسميا اول أمس بحضور رئيس الجمعية الاستاذ الامام وابراهيم بك الهلباوي من أعضاء مجلس ادارتها ومنشئ هذه المجلة من أعضاء الجمعية وحضور وجهاء المحلة وعمال الحكومة فيها وبدئ الاحتفال بتلاوة أحد التلامذة لآيات من الكتاب العزيز ثم وقف الرئيس فبسمل وحمد الله تعالى وصلى وسلم على رسوله وشكر للحاضرين عنايتهم بحضور الاحتفال الدالة على رغبتهم في نشر العلم ومساعدة الجمعية الخيرية على عملها وذكر الغرض من هذا التعليم الابتدائي فقال ماخلاصته:

المدرسة تعلم المبتدئين القراءة والخط والحساب ومبادئ العربية وتربيهم على الاعمال الدينية والادبية تعدهم بذلك للمعيشة الصالحة في أنفسهم ومع الناس الذين يعيشون معهم وهذه المبادئ لايستغني عنها انسان فقيرا كان أو غنيا فالفلاح يحتاج الى مكاتبة بعض الناس فاذا كتب بيده أوقرأ مايكتب اليه وحسب مايبيعه ويشتريه بنفسه فهو خير له من الاستعانة بغيره على ذلك ولهذا التعليم فائدة أعلى من الاستعانة على المعيشة وهي ارتقاء العقل واستعداده لفهم المصلحة وتمييزها عن المفسدة فاننا نرى كثيراً من الناس يقع التنازع بينهم فيعتدي بعضهم على بعض حتى تفنى ثروة الفريقين في التنازع واذا حاولت اقناعهم بأن هذا ضار وأن الخير والصواب فى خلافه لايسهل عليك ذلك لأنهم لايفهمون . وأهم ما تقصده الجمعية من التربية في مدارسها تنشئة المتعلمين على الفضائل كالصدق والأمانة اللذين عليهما مدار السعادة، مانجحت أمة الابهما ولا هلكت الابفقدهما وقد حث الاسلام وجميع الأديان على هذين الخلقين ونهى عن الكذب والخيانة أشد النهي واننا مع ذلك نرى الكذب والخيانة فاشيين في الناس الى حد سلبت معه ثقة الناس بعضهم ببعض وفقد الثقة مؤذن بالخراب والدمار . هذا التعليم سلم يرتقي عنه الغني الى التعليم العالي ويحمل الفقير على مقربة من الغني في الفكر والخلق فإما أن يجد فيلحقه واما أن يحسن الاستفادة منه بخدمته ومساعدته فى أعماله بالصدق والامانة فهذا التعليم لايستغني عنه أحد حتى الحمّار والحمّال

وتعلم المدرسة أيضا مبادئ العلوم ولغة أجنبية لاعداد من يريد خدمة الحكومة

لها وهذا مالا ترغب فيه الجمعية نفسها لكنه من حاجة الناس وانما رغبتها في الاستعانة به على تعلم الصناعة لمن يريدها ولهـ الرجاء بهمة وجهاء المحلة وأهل الغيرة من أغنيائها في تأسيس قسم صناعي في هذه المدرسة فان المحلة بلدة كانت معروفة بالصناعة وقد وعد صاحب السعادة أحمد باشا المنشاوي بأنه مستعد لمساعدة الجمعيـة على إنشاء القسم الصـناعي فلم يبق الا اهتمام الوجهاء الحاضرين بالاكتتاب في جميع المركز وجمع المال الذي يمكن من إتمام العمل •

وقال قد علمت بأن أهل المحلة الكبرى ثلاثون ألفا أو يزيدون وهي قاعـدة مركز عدده كثير وليس فيها الا مدرسة للقبط وأخرى للامريكان وانني قد رأيت في بعض سياحاتي في البلاد الاجنبية مدينة عدد سكانها ستة عشر ألف نسمة وقد أنشأ الاهالي فيها مدرسة كلية تعلم فيها جميع العلوم العالية بمساعدة أهل المركز الذي هي قاعدته أنفقوا عليها كذا من ملايين الفرنكات (نسيت العدد) على ان فيها عدة مدارس ابتدائية وفي كل قرية من قرى ذلك المركز مدرسة ابتدائية فنرجو ان نبلغ من مجاراة أمثال هؤلاء الاحياء أن ترتقي مدرستنا هـذه ويكون فيها قسم صناعي وان يكون لنا في القاهرة مدرسة كلية فان القطر المصري كله لم يبلغ من التقدم في العلم ان كانت فيه مدرسة كلية تعلم فيها العلوم العالية

ثم دعي كاتب هذه السطور الى ان يخطب فيهم فلبي وقام فقال بعد الافتتاح بذكر الله – رغبتم اليّ في الكلام، بعد ماسمعتم من حكم الاستاذ الامام، وان مثل الذي يعرض ماعنده من ذلك في حضرة الاستاذ اذا هو أحسن كمثل ذلك الوزير العجمي في الاستانة اذ كانت له منطقة مرصعة بالجواهر يتمنطق بها فوق ثيابه يتراءى أمام الناس ويفتخر فعلم السلطان بذلك فأمر بعض وزرائه ويقال انه مصطفى فاضل باشا المصري بأن يدعوه الى داره ويريه مايصغر منطقته في عينه فدعاه الى العشاء والسمر فرأى من الآنية والماعون والاثاث المرصعة بالجواهر ماخطف بصره حتى قيل انه رأى الشباشب (كلمة مصرية مفردها شبشب وهو الكوث او القفش في العربية) وسيور القبقاب في المرحاض مرصعة بالجواهر فصار بعـد ذلك يخفي منطقته تحت كسائه – ولكننا نقول شيئا تلبية للطلب

جرت العادة بأن يكون الكلام في مقام الاحتفال بافتتاح مدرسة محصورا في مدح العلم والتعليم على ان العلم غني عن المدح باتفاق الناس على فضله فلا يوجـد جاهل ينكر شرف العلم وشـدة الحاجة اليه ولكن الناس في امتنا كانوا يعتقدون ان العلم

محصور في أمور مخصوصة يكفي ان يقوم بها بعض الناس فيسقط الطلب عن الآخرين وكان يصعب إقناع الجمهور بوجوب تعميم العلم وبأنه يحتاج اليه في كل شيء ولكن قد تغيرت الآن الاحوال فى هذه البلاد وصرنا نرى جميع طبقات الناس حتى الطهاة (الطباخين) يقذفون أولادهم ذكرانا واناثا فى المدارس لاحساسهم بأن التعلم لابد منه ولكن هذا الاحساس عند الاكثرين منهم لايعرفون حقيقته ولا سببه ولا فائدة التعلم الحقيقية. والسبب الحقيقي فيه التأثر بحال الاجانب الذين انتشروا فى هذه البلاد فهو سبب من الخارج لا من النفس فهذه البلاد الآن في طور الانقلاب من حال الى حال إذ حدثت فيها مجار جديدة للحياة او تيارات تجرف فى طريقها الناس من حيث يشعرون ومن حيث لايشعرون ومنها تيار تعميم التعليم فالناس يرغبون فى تعلم أولادهم وهم لايدرون ماذا يتعلمون ولا ماهي فائدة التعليم ولذلك لايميزون بين مدرسة وأخرى . وقد سألت بعض المتعلمين التعلم الثاني في المدرسة الخديوية عن رأي التلامذة فى فائدة التعليم مع العلم بأن أعمال الحكومة لاتفي بجميع المتعلمين فقال انهم يرون ان المتعلم يقدر على أعمال شريفة يستغني بها لايقدر عليها غيره فقلت له ان الذي يتعلم ليعيش بعلمه لاغرض له الا نفسه فهو محترف كالصانع والزارع وقد رأينا كثيرا من العوام حصلوا من الثروة بالزراعة والتجارة مالم يقاربهم فيه متعلم كزعزوع بك وفلان وفلان . والذين ارتقوا بالتعلم في مصر قليلون كفلان وفلان من القضاة وغيرهم ولم نجد فيهم من حصل بعلمه ثروة كبيرة كأولئك العامة فالتعليم في مصر لم يرتق الى درجة يسهل معها تحصيل الثروة الواسعة على ان نفقات المتعلمين تكون أكثر فاذا طلبوا الثروة ولم يجدوها كانوا أشقى من غيرهم في المعيشة . فقال هذا صحيح . ثم قلت له ألا يوجد في اخوانك المتعلمين من يفكر فى التوسل بالعلم الى خدمة أمته وبلاده خدمة عامة فيكون أفضل من النجار والحداد والفلاح الذين لايعملون الا لاجل بطونهم وان كان عملهم الجزئي نافعا للناس ؟ فقال يوجد قليل منهم يفكر في انشاء جريدة لخدمة الوطن . قلت وماذا رأوا من خدمة الجرائد للناس ؟ أي شيء ضار كانت عليه الامة فتحولت عنه بارشاد الجرائد وأي شيء نافع كانت منصرفة عنه فتوجهت اليه بحثها وترغيبها ؟ وهل تعرف أنت للجريدة الفلانية والجريدة الفلانية مذهبا ورأيا نافعا تمتاز بالدعوة اليه لترقية البلاد ؟ فقال لا وكان قصارى الحديث معه أنه ليس لاحد غاية مقصودة من التعلم وراء خدمة الحكومة (أقول ويلحق بها الطب والمحاماة عند نفر قليل)

لهـذا التعليم الناقص في مصر سيئات ومضار فان الفتن والمعاصي الضارة التي ألمت بالبلاد بواسطة الاجانب لم تنتشر فيها الا بسعي هؤلاء المتعلمين وقد قال الاستاذ الامام ان من مقاصد المدارس إفادة المتعلمين الصدق والامانة فسلوه وسلوا غيره من العقلاء المختبرين ألهم ثقة بصدق أكثر المتعلمين وأمانتهم يجيبوك لالا . والسبب في في عدم إفادة التعليم أمثال هذه الصفات هو أن القائمين بأمر التعليم لا يقصدون ذلك فان الحكومة إنما تقصد بمدارسها إيجاد خدم لها يقدرون على أعمال مخصوصة وليس لها عناية بتربية الارواح وترقية الأمة هذا وان مدارس الحكومة خير المدارس وأرقاها تعليما ونظاما . واما المدارس الاهلية فالمقصود منها التجارة والكسب وأكثر أصحابها لا يعرفون طريق الجمع بين الافادة المطلوبة والاستفادة وقد دخلت مرة إحدى هـذه المدارس وسألت احد المدرسين عن الكتب التي يقرأها في الدين — والدين كما لا يخفى أساس التهذيب — فقال انني كنت بدأت بقراءة شيء من السيرة النبوية وبمناسبة ذكر المعراج ذكرت لهم فرضية الصلاة وأردت ان أذكر شيئا من أحكامها فرأيت على وجوه التلامذة ما يدل على عدم الارتياح فتركت درس الدين : يعني ان هؤلاء لا يعلمون الا ما ترتاح اليه نفوس التلامذة وتتلذذ به أي يريدون ان يكون التلامذة هم نظار المدارس

ولا نعرف في البلاد مدارس غرضها تهذيب النفوس غير مدارس الجمعية الخيرية وذلك ان رئيس هذه الجمعية ومساعديه في ادارتها هم خيرة رجال هـذه البلاد معرفة وغيرة وأقدرهم على إيجاد التعليم النافع والتربية الصحيحة ولا تنتج الامم الضعيفة أمثالهم الا بعد مخض الزمان لها في قرون طويلة فيجب أن تغتنم فرصة وجودهم بمساعدة الجمعية على نشر التعليم والتربية على الوجه الصحيح النافع فانه ما قصر بها الا قلة المال . وقد أحسن وجهاء المحلة صنعا بتفويض أمر مدرستهم الى الجمعية وانني أدعو كل واحد من السامعين الى مساعدة هذه الجمعية بنفسه وبدعوة غيره الى ذلك فان الامور العامة لا تحيا وتبلغ كمالها الا بالدعوة فينبغي لكل واحد أن يدعو نفسه وكل من يظن فيه الخير الى مساعدتها على قدر الاستطاعة من غير تفرقة بين غني وفقير فان الله تعالى يقول «لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا» أي من كان رزقه ضيقا فلينفق بقدر حاله . والقليل من الكثير كثير فلو أن كل واحد من أهالي القطر بذل للجمعية قرشاً واحداً في السنة لكان لها من ذلك

ملايين تمكنها من تعميم التعليم في القطر

وليعلم كل من يبذل شيئا للجمعية ولو قليلا أنه شريك في الاجر وفي الشرف لمن بذل الكثير من حيث أن كل واحد بذل مافي وسعه ومن حيث أن العمل العام لم يقم ولا يقوم به واحد وانما يتم بالتعاون والمساعدة وباذل القليل ركن من اركان التعاون

ثم دعي الى الخطابة ابراهيم بك الهلباوي فقام وذكر ملخص تاريخ هذه الجمعية وبين انها جمعية عمل لا جمعية قول وأنه احس من نفسه بالعجز عن الخطابة في احتفال مدرسة للجمعية على تمرنه على الخطابة . قال انني دخلت في هذه الجمعية في أول تأسيسها منذ اثنتي عشرة سنة ولم اخطب فيها قط وقد عرضت مناسبات للخطابة فكنت استأذن مولانا الرئيس بالتلويح ووكيل الجمعية وبعض اعضاء الادارة بالتصريح فكانوا يضعون أصابعهم على أفواههم اشارة الى وجوب السكوت وقد قامت في هذه المدة جمعيات قولية كثيرة فذهب بها ودرس رسومها القول والخطابة على أنها لم تصادف من المقاومة مالقيت الجمعية الخيرية الاسلامية : وذكر أسماء هذه الجمعيات التي كانت محترمة في اوقات كان فيها ذكر الجمعية الخيرية مخيفا ومزدرى به حتى كان الداعي الى مساعدتها لا يتوقع الا الخيبة وحتى ان بعض الباشوات هدد محصلها مرة بالضرب بعد أن اهانه بالقول . وقد ثبت رجالها مع هذه الصعوبات على عملهم ليثبتوا للناس ان الساعي بالخير مع الصدق والاخلاص لابد ان يظفر بالنجاح اذا هو ثبت وصبر وكذلك كان ونالت هذه الجمعية الثقة في نفوس الناس بعد ماتولى رئاستها مولانا الرئيس الحاضر حتى أحس كثير من العقلاء بوجوب كفالتها للمدارس الاهلية التي ينشئها الاهالي لتربية أولادهم وكان السابق لذلك وجهاء المنيا فقد أنشأوا مدرسة في بني مزار وعهدوا بادارتها الى الجمعية رجاء بقائها وثباتها والانتفاع بتعليمها وكذلك فعلتم ياوجهاء أهل المحلة فانكم طلبتم من الجمعية أن تدير لكم هذه المدرسة التي انشأتموها بأموالكم لمثل ذلك الغرض بمحض الاحساس بالثقة بالجمعية .

وبعد ماأتم خطابه المفيد ختم الاحتفال كما بدئ بتلاوة القرآن الكريم ولا صحة لما ذكر في المؤيد أمس من ان بعض المدعوين تصدوا للخطابة فنعهم مأمور المركز الخ . فنثني على وجهاء المحلة أطيب الثناء . ونرجو لهم كمال الارتقاء ،

﴿ إرجاء وعد ﴾

وعدنا في الجزء الماضي بأن نكتب في هذا الجزء مقالا في طريق تعلم الناشئة المصرية والروح الذي تحيا به الامم وقد حال دون ذلك ماعرض من الكلام في احتفال مدرسة المحلة وفي خطبتنا فيه شيء من الموضوع الموعود به وسنعود اليه في جزء آخر ان شاء الله تعالى

التقريظ

(كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد . لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي)

أبو حامد من اكبر أئمة الاشاعرة فى الكلام وكتبه أسهل عبارة وأحسن بسطا وتقسيما وتحقيقا من سائر الكتب فكتابه الاقتصاد من أنفع كتب الكلام وأفيدها وفيه مباحث كثيرة لاتوجد فى كل كتب هذا العلم المعتبرة وينتقد عليه ماينتقد على جميع كتب الاشاعرة من الفلسفة التي لامعنى لها في عقائد الدين وان كان هو أبعد من غيره عن الجمود على المذهب لانه خالف اصحابه الاشاعرة في بعض المسائل . وذلك كالبحث فى صفات الله تعالى من حيث انها زائدة على الذات فان الذي ساقه وأمثاله الى ذلك الجدل مع المعتزلة وماأغنى المسلمين عن المذهبين والاكتفاء بالوقوف عند ماورد به الشرع وقطع به العقل من غير فلسفة فيه . مثال هذا ان العقل والشرع علمانا ان الله تعالى خالق العالمين عالم بما خلق لايعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء فأي حاجة بنا مع هذا الى ان نبحث عن هذا العلم الالهي هل هو عين الذات الالهية ام غيرها ام لا عينها ولا غيرها ، هل عرفنا حقيقة ذات الله وحقيقة علم الله فننسب هذا الى تلك ونحكم بأن النسبة بينهما كذا . كلا انها فتنة ابتلي بها علماء المسلمين الا من لزم طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين الى عهد الائمة الاربعة وقد نجا منها الامام الغزالي بعد ما تصوف . وجملة القول ان هذا الكتاب لايستغني عنه المشتغل بتحصيل علم الكلام لانه من أوضح الكتب وأحسنها وهو يطلب من الشيخ مصطفى القباني الدمشقي طابعه فى مصر

(كتاب حكمة المخلوقات للغزالي)

التفكر من أفضل العبادات بل هو عبادة النبيين والصديقين والعلماء الراسخين والتفكر فى حكم المخلوقات يرقي العقل بزيادة العلم والروح بقوة الايمان وهذا الكتاب يفتح لقارئه أبواب التفكر فى الخلق بما ينبهه الى حكمها فمنها حكم الله في السموات والنيرات ومنها حكمه في الارض والبحار والماء والهواء والنار ومنها حكمه في خلق الانسان وأنواع الحيوان وحكمه فى خلق النبات فرحم الله أبا حامد ماأعرفه بطرق

النفع وما أحسن بيانه • والكتاب يطلب من الشيخ مصطفى القباني الذي تولى طبعه وتصحيحه جزاه الله خيرا

﴿ كتاب أنباء نجباء الابناء ﴾

مؤلف هذا الكتاب أبو هاشم محمد بن محمد بن ظفر الصقلي المتوفى سنة ٥٦٥ وهو مبتدأ بنبذة من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونبذ أخرى في أخبار بعض كبار الصحابة ثم في أخبار بعض الملوك الكبراء وبعض الصالحين واخبار الكتاب كلها تربية مفيدة وفكاهات مستطابة واني قد فتحته الآن لانقل منه نبذة من غير اختيار فاذا انا قد فتحته على هذه الحكاية قال

(درتازين، لقرتي عين)

قال الشيخ رحمه الله ورضي عنه بلغني ان محمد ابن عبد الرحمن الهاشمي قال كانت عنابة ام جعفر بن يحيي تزور أمي وكانت لبيبة من النساء حازمة فصيحة برزة يعجبني ان اجدها عند أمي فأستكثر من حديثها فقلت لها يوما ياأم جعفر ان بعض الناس يفضل جعفرا على الفضل وبعضهم يفضل الفضل على جعفر فأخبريني • فقالت مازلنا نعرف الفضل للفضل: فقلت إن أكثر الناس على خلاف هذا فقالت ها أنا أحدثك واقض أنت وذلك الذي أردت منها • فقالت كانا يوما يلعبان في داري فدخل أبوهما فدعا بالغذاء وأحضرها فطعما معه ثم آنسهما بحديثه ثم قال لهما أتلعبان بالشطرنج ؟ فقال جعفر وكان أجرأهما نعم قال فهل لاعبت أخاك بها ؟ قال جعفر لا قال فالعبا بها بين يدي لارى لمن الغلب فقال جعفر نعم وكان الفضل أبصر منه بها فجيء بالشطرنج فصفت بينهما وأقبل عليها جعفر وأعرض عنها الفضل فقال له أبوه مالك لاتلاعب أخاك ؟ فقال لاأحب ذلك فقال جعفر انه يرى انه أعلم بها فيأنف من ملاعبتي وأنا ألاعبه مخاطرة فقال الفضل لاأفعل فقال ابوه لاعبه وانا معك • فقال جعفر رضيت وأبى الفضل واستعفى اباه فاعفاه • ثم قالت لي قد حدثتك فاقض • فقلت قد قضيت للفضل بالفضل على اخيه فقالت لو علمت أنك لاتحسن القضاء لما حكمتك أفلا ترى ان جعفراً قد سقط اربع سقطات تنزه الفضل عنهن • فسقط حين اعترف على نفسه بانه يلعب بالشطرنج وكان ابوه صاحب جد • وسقط على التزام ملاعبة أخيه واظهار الشهوة

لغلبه والتعرض لغضبه • وسقط في طلب المقامرة واظهار الحرص على مال اخيه • والرابعة قاصمة الظهر حين قال ابوه لاخيه لاعبه وانا معك فقال اخوه لاوقال هو نعم فناصب صفا فيه ابوه واخوه • فقلت احسنت والله وانك لاقضى من الشعبي ثم قلت لها عزمت عليك اخبريني هل خفي مثل هذا على جعفر وقد فطن له اخوه ؟ فقالت لولا العزمة لما اخبرتك ان أباهما لما خرج قلت للفضل خالية به: مامنعك من ادخال السرور على ابيك بملاعبة اخيك؟ فقال امران: احدهما لو اني لاعبته لغلبته فاخجلته والثاني قول ابي لاعبه وانا معك فما يسرني أن يكون ابي معي على اخي • ثم خلوت بجعفر فقلت له يسأل ابوك عن اللعب بالشطرنج فيصمت اخوك وتعترف وابوك صاحب جد • فقال سمعت ابي يقول نعم هو البال المكدود وقد علم مانلقاه من كد التعلم والتأدب ولم آمن ان يكون بلغه انا نلعب بها ولان يبادر فينكر فبادرت بالاقرار إشفاقا على نفسي وعليه • وقلت إن كان توبيخ فديته من المواجهة به فقلت له يابني فلما تقول الاعبه مخاطرة كأنك تقامر اخاك وتستكثر ماله فقال كلا ولكنه يستحسن الدواة التي وهبها لي امير المؤمنين فعرضتها عليه فابى قبولها وطمعت ان يلاعبني فاخاطره عليها وهو يغلبني فتطيب نفسه بأخذها • فقلت لها ياأماه ما كانت هذه الدواة ؟ فقالت ان جعفر أدخل على امير المؤمنين فرأى بين يديه دواة من العقيق الأحمر محلاة بالياقوت الازرق والاصفر فرآه ينظر اليها فوهبها له. فقلت ايه فقالت ثم قلت لجعفر هبك اعتذرت بما سمعت فما عذرك من الرضا بمناصبة ابيك حين قال لاعبه وانا معك فقلت انت نعم وقال هو لا فقال عرفت انه غالبي ولو فتر لعبه لتغالبت له مع ماله من الشرف والسرور بتحيزابيه اليه • قال محمد بن عبد الرحمن فقلت بخ بخ هذه والله السيادة. ثم قلت لها ياأماه اكان منهما من بلغ الحلم! فقالت يابني اين يذهب بك اخبرك عن صبيين يلعبان فتقول كان منهما من بلغ الحلم لقد كنا نشهي الصبي اذا بلغ العشر وحضر من يستحي منه ان يتبسم

(المنار) فليتأمل هذه التربية العالية الذين يتبجحون بلفظ التربية اليوم ويقولون ان المسلمين في أيام مدنيتهم لم يكن لهم عناية بالتربية اذ لم نجد في كتبهم هجاءها (اي بلفظها) فأين يوجد مثل هذه التربية عند معاصرينا اللاهجين بالكلمة الشريفة وما اشتق منها •

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الخميس ١٦ رمضان سنة ١٣٢٢ — ٢٤ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ * أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ، وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ *

روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما في سبب نزول قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فإني قريب) الآية أن أعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت عنه فأنزل الله الآية. وأخرج عبد الرزاق عن الحسن قال سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي (ص) أين ربنا فنزلت وروا في سببه غير ذلك مما هو أضعف سندا، وأقل ناصرا وعددا، وقال الاستاذ الامام عند ذكر السبب الأول هذا السؤال ليس ببعيد من العرب او الأعراب الذين اعتادوا أن يتخذوا وسائل بينهم وبين إلههم يقربونهم الى الله خالق السموات والارض وهؤلاء الوسائل والوسائط إما أشخاص وإما أمثلة اشخاص كالتماثيل والاصنام ولم يهتدوا بأنفسهم الى التجرد لمعرفة ذلك الآله العظيم بأنه لا يتقيد بشيء حتى هداهم اليه القرآن بآياته البينات فكانوا أهل التوحيد الخالص. ولكن الآية جاءت بين آيات الصيام فهي ليست بأجنبية منها وانما هي متصلة بما قبلها من الاحكام فقد طالبنا في الآية السابقة بإكمال عدة الصيام وبتكبير الله تعالى وذكران ذلك يعدنا لشكره تعالى والتكبير والشكر يكونان بالقول والعمل نحو الحمد لله والله أكبر: وما كان بالقول يأتي فيه السؤال هل يكون برفع الصوت والمناداة، أم بالمخافتة والمناجاة، فجاءت هذه الآية جوابا عن هذا السؤال الذي يتوقع إن لم يقع فهي في محلها سواء صح ما رووه في سببها أم لا (قال) ويروى في نزولها سبب آخر وهو أن النبي (ص) سمع المسلمين يدعون الله تعالى بصوت رفيع في غزوة خيبر فقال لهم: أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا: وعلى كل حال تفيدنا الآية حكما شرعيا وهو أنه لا ينبغي رفع الصوت في عبادة من العبادات الا بالمقدار الذي حدده

الشرع في الصلاة الجهرية وهو أن يسمع من بالقرب منه ومن بالغ في رفع صوته ربما بطلت صلاته ومن تعمد المبالغة في الصياح في دعائه أو الصلاة على نبيه كان الى عبادة الشيطان أقرب منه الى عبادة الرحمن . أما الحديث فقد رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن من طرق الى أبي عثمان النهدي عن أبي موسى قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي (ص) : أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم : وفي رواية أنهم كانوا يرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير اذا علوا عقبة أو ثنية . وليس في هذه الروايات ذكر الآية ولكن الحديث في المقام فانهم كانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير المأمور به في الآية السابقة فدلت الآية على ما صرح به الحديث من النهي فكأن الحديث تفسير لها بل هو عمل بها وذكره ابن العادل في تفسيره من أسباب نزولها . وقال البيضاوي في وجه الاتصال : واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الجهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خبير بأحوالهم ، سميع لأقوالهم ، مجيب لدعائهم ، مجاز على أعمالهم ، تأكيدا له ، وحثا عليه ، : اه

ونحن نعلم أن الاحكام العملية إنما تشرع لتقوية الايمان وإصلاح النفس ولذلك كان من سنة القرآن الحكيم أن يبين مع كل حكم حكمة تشريعه وفائدته في تقوية الايمان ويمزج الكلام فيه بما يذكر بعظمة الله تعالى ويعين على مراقبته والتوجه اليه ويثبت الايمان به كهذه الآية ويا ليت فقهاءنا اقتدوا بهدي القرآن فلم يجعلوا كتب الاحكام جافة قاصرة على ذكر الاعمال البدنية كأن الدين دين مادي جسماني لا غرض للقلوب

والارواح فيه

أما معنى قرب الله تعالى فقد قالوا انه القرب بالعلم بمعنى أن علمه محيط بكل شيء فهو يسمع أقوال العباد ويرى أعمالهم وعبارة البيضاوي: وهو تمثيل لكمال علمه تعالى بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم: وإنما جعلوا الكلام تمثيلا لان القرب والبعد الحقيقي انما يكونان باعتبار المكان وهو منزه عن الانحصار فى المكان. وقال الاستاذ الامام يصح ان يكون من قرب الوجود فان الذي لا يتحيز ولا يتحدد تكون نسب الامكنة وما فيها اليه واحدة فهو تعالى قريب بذاته من كل شيء إذ منه كل شيء إيجادا وإمدادا واليه المصير. وهذا الذي قاله من الحقائق العالية وعليه السادة الصوفية فقد قال أحد العلماء في قوله تعالى «ونحن أقرب اليه منكم» أي اذا بلغت روحه الحلقوم انه القرب بالعلم وكان أحد كبار الصوفية حاضرا فقال لو كان هذا هو المراد لقال تعالى في تتمة الآية ولكن لا تعلمون ولكنه لم ينف العلم عنهم وإنما قال «ولكن لا تبصرون» وليس من شأن العلم ان يبصر فينفى هنا إبصاره وانما ذلك شأن الذات اه بالمعنى وهو مذكور بنصه فى كتاب اليواقيت والجواهر للشعراني. وعلى كل حال لازم القرب مقصود وهو عدم الحاجة الى رفع الصوت ولا الى الواسطة بينه وبين عباده فى الدعاء وطلب الحاجات كما كان عليه المشركون فى التوسل بالشفعاء والوسطاء الى الله تعالى كأنه قال فأخبرهم بأنني قريب منهم وانني أقرب اليهم من حبل الوريد (أجيب دعوة الداعِ) منهم بنفسي من غير واسطة (اذا) هو (دعان) وتوجه الي وحدي فى طلب حاجته. أي يجب ان يدعى وحده بدون واسطة لأنه هو الذي خلق الانسان ويعلم ما

توسوس به نفسه وهو الذي يجيب دعوته وحده بدون واسطة تعينه أو تساعده أو تكون نائبا عنه في الاجابة وقضاء الحاجة

وقد فسروا الدعوة بطلب الحاجات وقالوا ان ظاهر الآية ان الاجابة وصف لازم لله تعالى وأنه يجيب كل داع وليس الامر كذلك كما هو ثابت بالمشاهدة وأجابوا بأن المراد ان من شأنه الاجابة فهو يجيب ان شاء كما قال في آية أخرى « فيكشف ماتدعون اليه ان شاء » فهو على حد قولك فلان يعطي الكثير فاطلب منه أي ان من شأنه ذلك ولا يلزم منه ان يعطي كل طالب . وأجاب بعضهم بأن الاجابة أعم من إعطاء السؤل وقد ورد في الحديث الصحيح ان الاجابة تكون باحدى ثلاث إما ان يعجل له دعوته واما ان يدخر له واما ان يكف عنه من السوء مثلها . ولا حاجة الى التأويل اذ لا محل للاشكال فان الآية سيقت لبيان أن الله تعالى قريب من عباده المتوجهين اليه فلا حاجة بهم الى صياحهم بتكبيره ودعائه ولا الى ان يتخذوا وسطاء بينهم وبينه في التوجه اليه وسؤال رحمته وفضله بل يجب ان يصمدوا اليه وحده فانه هو الذي يجيب دعاءهم وحده . واما كيفية إجابته إياهم فليس من موضوع الآية ولا شك ان العارف بالله تعالى وبسننه في خلقه لا يقصد بدعائه ربه الا هدايته الى الطرق والاسباب التي قضت سننه تعالى بأن تحصل الرغائب بها وتوفيقه ومعونته فيها فهو اذا سأل الله تعالى ان يزيد في علمه أو في رزقه فلا يقصد أن يكون العلم وحيا يوحى ولا ان تمطر له السماء ذهبا وفضة ، وكذلك اذا سأل الله شفاء مرضه أو مريضه الذي أعياه علاجه فانه لا يريد بذلك أن يخرق الله العادات أو يجمله مؤيدا بالمعجزات والآيات ، وانما يريد المؤمن العارف بالدعاء ماذكرنا من توفيق

الله إياه الى العلاج أو العمل الذي يكون سبب الشفاء سواء كان ذلك بارشاد مرشد أو بالهام إلهي فكم لله من عناية بالمتوجهين اليه الداعين له بعد ما اجتهدوا في الاخذ بالاسباب فلم يفلحوا . ومن عنايته الهداية الى سبب جديد ، وإلهام النفس العمل المفيد ،ولا دليل فى الآية على ان كل دعاء يجاب بل هى نفسها دليل على انه لا يجيب الدعاء الا الله ، فيجب ان لا يدعى سواه « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » فعسى أن يهتدي بهذا الموسومون بسمة الايمان ، الذين يدعون عند الضيق يافلان يافلان،

وانظر كيف لم يقل انه يجيب دعوة الداعي حتى قيدها بقوله « اذا دعاني » قال الاستاذ الامام ان الداعي شخص يطلب شيئا وهو يصدق على أكثر الناس الذين يطلبون كل يوم أشياء كثيرة وليس كل واحد منهم متحققا بدعاء الله تعالى وحده كما يجب أن يدعى فهو يقول أجيب دعوة الداعي اذا خصني بالدعاء والتجأ الي التجاء حقيقيا بحيث ذهب عن نفسه الى،وشعر قلبه بأنه لا ملجأ له الا الي ، ومثل هذا لا يطمع في غير مطمع ، ولا يطلب مالا يصح أن يطلب ،وانما يمتثل أمر الله تعالي باتخاذ جميع الوسائل من طرقها الصحيحة المعروفة وهي لا تتحقق الا بالعلم والعزيمة والعمل فان تم للعبد ما يريد بذلك فقد أعطاه الله تعالى من خزائنه التي يفيض منها على جميع متبعي سننه في الخلق وان بذل جهده ولم يظفر بسؤله فما عليه الا ان يلجأ الى مسبب الاسباب وهادي القلوب الى ما غاب عنها وخفي عليها ويطلب المعونة والتوفيق ممن بيده ملكوت كل شيء . وقد قال بعض السلف ان مثل هذا يجاب لا محالة وقالت الصوفية الدعاء المجاب هو الدعاء بلسان الاستعداد وقد استعاذ النبي عليه الصلاة والسلام من الطمع في غير

مطمع فمن يترك السعي والكسب ويقول : يارب ألف جنيه : فهو غير داع وانما هو جاهل يشبه ان يكون ساخرا ومستهزئا . ومثل ذلك المريض لا يراعي الحمية ولا يتخذ الدواء ويقول رب اشفني وعافني كأنه يقول اللهم أبطل سننك التي قلت انها لا تبدل ولا تحول لأجلي (*) . سأل سائل في الدرس : اذا كان الرزق مقدرا فعلام السؤال ؟ فقال الاستاذ اذا كانت إجابتي أو عدمها مقدرا فلم السؤال ؟ هذا لا يقال وانما ينبغي أن يقال ما الحكمة فى طلب الدعاء منافي هذه الآية وغيرها من الآيات والأحاديث كحديث « الدعاء مخ العبادة » والله تعالى يعلم ما في أنفسنا وما تنطوي عليه سرائرنا ؟

قالت الصوفية إن المراد بالدعاء فزع القلب الى الله وشعوره بالحاجة الى معونته والتجاؤه اليه ويحتجون بما روي فى قصة ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم من أن جبريل سأله قبل ان يلقى فى النار ألك حاجة قال أما اليك فلا قال فادع الله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي . ولكن ظاهر الآيات والأحاديث يدل على أن الدعاء مطلوب بالقول أيضاً ومنه الأدعية المأثورة فى الكتاب والسنة وذلك أن الدعاء باللسان هو أثر الشعور بالحاجة الى الله تعالى وفزع القلب اليه فان لم يكن أثره فهو مذكر به وهو أعظم مظاهر الايمان ولذلك سماه النبي (ص) مخ العبادة فهو يطلب لذلك وإجابة الله الدعاء تقبله ممن أخلص له وفزع اليه بروحه ورضاؤه عنه سواء أوصل اليه ما طلبه فى ظاهر الامر أم لم يصل

قال تعالى (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي) استجاب له واستجابه وأجابه الى الشيء واحد أي فليجيبوا دعوتي الى الإيمان والاعمال النافعة لهم كالصيام وغيره مما أدعوهم اليه كما أجيب دعوتهم بقبول عبادتهم، وتولي إعانتهم، فالآية

(*) راجع مقالة الدعاء فى المجلد السادس من المنار (ص٤٠٦)

تفيد أن المنفرد باجابة الدعاء هو الذي يطاع طاعة العبادة فاذا دعانا غيره الى عبادة اخترعها باجتهاده لا دليل عليها فيما أوحاه الله الى نبيه لا نجيبه اليها كما أننا لا ندعو غيره تعالى . وقال المفسرون في الامر بالايمان هنا إنه أمر بالمداومة عليه لأن الخطاب للمؤمنين وذهب الاستاذ الامام الى أن الخطاب عام وأن حظ من استجاب لله وللرسول منه أن يحاسب نفسه ويطالبها بأن تكون أعماله الظاهرة التي عد بها مسلما صادرة عن الايمان اليقيني والاحتساب لله تعالى ففي ذكر الايمان بعد الاستجابة إشارة الى أن من الناس من يستجيب الى الاعمال ويقوم بها وهو خلو من روح الايمان « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » . ثم قال (لعلهم يرشدون) فعلمنا أن الأعمال اذا لم تكن صادرة بروح الايمان لا يرجى أن يكون صاحبها راشدا مهديا فمن يصوم اتباعا للعادة وموافقة للمعاشرين فان الصيام لا يعده للتقوى ولا للرشاد وربما زاده فسادا فى الاخلاق وضراوة بالشهوات. لذلك يذكرنا تعالى في أثناء سرد الاحكام بأن الايمان هو المقصود الاول فى إصلاح النفوس وانما تقع الاعمال في صدورها عنه وتمكينها إياه

بعد هذا عاد الى سرد بقية أحكام الصيام فقال (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) روي فى سبب نزول هذه الآية أن الصحابة كانوا اذا أفطروا يأكلون ويشربون ويغشون النساء الى وقت النوم فاذا نام أحدهم ثم استيقظ من الليل صام ولو كان فى أول الليل وروي أن أهل الكتاب كانوا يصومون كذلك وأن الصحابة فهموا من قوله تعالى « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » أن التشبيه يتناول كيفية الصوم فوقع لبعضهم ان واقع على أمرأته فى الليل بعد النوم فشكا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم

ولبعضهم أن نام قبل ان يفطر ثم استيقظ فواصل الصوم الى اليوم الثاني وكان عاملا فأضواه الجوع حتى غشي عليه فذكر خبره للنبي (ص) فنزلت قال بعض المفسرين هذه الآية ناسخة لقوله «كما كتب على الذين من قبلكم» وقال بعضهم لانسخ هنا فان التشبيه هنا ليس من كل وجه وانما هو في الفرضية لا في الكيفية وهذه الآية متصلة بما قبلها متممة لاحكام الصوم مبينة لما امتاز به صومنا من الرخصة التي لم تكن لمن قبلنا. وهذا مااختاره الاستاذ الامام وقال اذا صح ماورد في سبب النزول فهو يدل على شيء واحد وهو انه عند مافرض الصيام كان كل انسان يذهب في فهمه مذهبا كما يؤديه اليه اجتهاده ويراه أحوط وأقرب الى التقوى. ولذلك قالوا فيما رووه من اتيان عمر أهله بعد النوم ان النبي (ص) قال له : لم تكن حقيقا بذلك ياعمر: أقول اما الرواية فعند أحمد وأبي داود والحاكم من طريق عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء مالم يناموا فاذا ناموا امتنعوا ثم ان رجلا من الانصار يقال له قيس بن صرمة (بكسر الصاد) صلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فاصبح مجهودا وكان عمر قد أصاب من النساء بعد مانام فأتى النبي (ص) فذكر له ذلك فأنزل الله «أحل لكم» الى قوله «ثم اتموا الصيام الى الليل» قال في لباب النقول هذا الحديث مشهور عن ابن أبي ليلى لكنه لم يسمع من معاذ وله شواهد وذكر حديث قيس بن صرمة عن البراء عند البخاري - وأخرجه أبو داود أيضا في الصوم والترمذي في التفسير - وقول البراء عند البخاري لما نزل صوم شهر رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله «علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم» الآية

وحديث عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عند أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم قال: كان الناس فى رمضان اذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد فرجع عمر من عند النبي (ص) وقد سمر عنده فأراد امرأته فقالت إني قد نمت قال مانمت ووقع عليها وصنع كعب مثل ذلك فغدا عمر الى النبي (ص) فأخبره فنزلت: اه فأنت ترى فى رواية البخاري - وهي أصح هذه الروايات - اضطرابا ففي بعضها انهم كانوا يرون مقاربة النساء محرمة في ليالي رمضان كأنهر ته على الاطلاق وفي الأخرى أنهم كانوا يعدونها كالأكل والشرب لا تحرم الا بعد النوم فى الليل وأقرب مايمكن أن يخرج عليه الجمع بين الروايتين اختلاف اجتهاد الصحابة فى ذلك بحمل كل رواية على طائفة والا تعارضا وسقط الاحتجاج بهما . وهذا الجمع يوافق ماقاله الاستاذ الامام فتعين ان اجتهادهم لم يكن حكما قرآنيا فيقال إنه نسخ بالآية وإنما هو اجتهاد أوقعهم فيه الاجمال فجاءت هذه الآية بالبيان قال وقوله « أحل لكم » لا يقتضي أنه كان محرما بل يكفي فيه ان يتوهم ان من كمال الصيام أو من شروطه عدم الاكل بعد النوم وعدم مقاربة النساء بعده أو مطلقا . وهو كقوله تعالى « احل لكم صيد البحر » ولم يكن قد سبق نص فى تحريمه .

اما ليلة الصيام فهي الليلة التي يصبح منها المرء صائما واما الرفث الى النساء فهو الافضاء اليهن واصله الافصاح بما ينبغي ان يكنى عنه يقال رفث فى كلامه اذا فحش وأفصح بذكر الوقاع وشئونه أو حادث النساء فى ذلك وقال الازهري الرفث كلمة جامعة لكل مايريده الرجل من المرأة وقد علمنا القرآن النزاهة فى التعبير عن هذا الامر عند الحاجة الى الكلام

فيه بما ذكره من الكنايات اللطيفة كقوله: لامستم النساء: أفضى بعضكم الى بعض: دخلتم بهن: فلما تغشاها حملت: وقال المفسرون قد ذكر هنا اللفظ الصريح والسبب فى ذلك استهجان ما وقع منهم. والذي أفهمه من الكلمة أنها بمعنى ما لا يصح التصريح به من شأن الرجل مع المرأة وليست هي من الالفاظ الصريحة فى ذلك فالمعنى أحل لكم ذلك الامر الذي لا ينبغي التصريح به. قال الاستاذ الامام والصواب انه جيء باللفظ على خلاف ماجرت عليه سنة الكتاب للاشارة الى استهجانه فى شهر الصوم وان حل فهو من الحلال المكروه على الجملة وقوله (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) قول مستأنف سيق لبيان سبب الحكم أي اذا كان بينكم وبينهن هذه الملابسة والمخالطة فان اجتنابهن عسر عليكم فلهذا رخص لكم في مباشرتهن ليلة الصيام قاله صاحب الكشاف فهو يرى ان لفظ لباس هنا مصدر لابسه بمعنى خالطه وعرف دخائله لا بمعنى ماورد من اطلاق اللباس والازار على المرأة اذ لا معنى لهذا هنا. وقال ابن عباس معناه هن سكن لكم وأنتم سكن لهن. وذهب كثير من المفسرين الى أنه كناية عن المعانقة وقال بعضهم انه كناية عن الستر وقول الكشاف هو الظاهر الذي اختاره الاستاذ الامام

ثم قال (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) أي تنتقصونها بعض ما أحل الله لها من اللذات توهما أن من قبلكم كان كذلك فيكون بمعنى التخون أي النقص من الشيء أو معناه تخونون أنفسكم اذ تعتقدون شيئا ثم لا تلتزمون العمل به فهو مبالغة من الخيانة، التي هي مخالفة مقتضى الامانة، ولم يقل تختانون الله كما قال «لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم» للإشعار بأن الله تعالى لم يحرم عليهم بعد النوم فى الليل ماحرمه على الصائم

فى النهار وإنما ذهب بهم اجتهادهم الى ذلك فهم قد خانوا أنفسهم فى اعتقادها فكانوا كمن يتغشى امرأته ظانا أنها أجنبية فمصيانه بحسب اعتقاده لا بحسب الواقع فهم على أي حال كانوا عاصين بما فعلوا محتاجين الى التوبة والعفو ولذلك قال (فتاب عليكم وعفا عنكم) فان كان ذنبهم تحريم ما أباح الله لهم في ليالي الصوم أو التورع عنه ليوافق صيامهم صيام أهل الكتاب من كل وجه فتفسر التوبة بالرجوع عليهم ببيان الرخصة بعد ذكر فرض الصيام مجملا والتشبيه فيه مبهما ويكون العفو عن الخطأ فى الاجتهاد الذي أدى الى التضييق على النفس وإيقاعها فى الحرج . وان كان الذنب هو مخالفة الاعتقاد بأن كان فيهم من يعتقد أن قوله تعالى « كما كتب على الذين من قبلكم » يفيد تحريم ملامسة النساء ليلا مطلقا أو تحريمه كالأكل والشرب بعد النوم فى الليل فالتوبة على ظاهر معناها أي أن الله قبل توبتكم، وعفا عن خيانتكم أنفسكم ، وأذن لكم الآن إذنا صريحا بأن تباشروا النساء بالنية الصالحة وأن تأكلوا وتشربوا فى أي وقت شئتم من الليل وذلك قوله (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم) أي ماحدده لكم فى نظام الفطرة من جعل المباشرة سببا للنسل فلتكن مباشرتكم بقصد إحياء سنة الله تعالى فى الخليقة لا لمحض شهوة النفس واللذة التي يشاركم فيها البهائم . وقيل ان العبارة تتضمن النهي عن المباشرة المحرمة فانها لا يقصد بها الولد سواء كانت بالزنا أو غيره وليس ببعيد (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) أي يباح لكم الأكل والشرب كالمباشرة عامة الليل حتى يتبين لكم الفجر فمتى تبين وجب الصيام وما أحسن التعبير عن أول طلوع النهار بالخيطين والخيط الابيض هو اول ما يبدو

من الفجر الصادق فمتى اسفر لا يظهر وجه لتسميته خيطا فما ذهب اليه بعض السلف كالأعمش من ان ابتداء الصوم من وقت الاسفار تنافيه عبارة القرآن (ثم أتموا الصيام الى الليل) فهم من غاية وقت إباحة الاكل والشرب مبدأ الصيام ولم يبق الا ذكر غايته وهى ابتداء الليل بغروب الشمس. وأنت ترى ان هذا التحديد جاء بأسلوب الاطناب لانه بيان للاجمال بعد وقوع الخطأ فيه وإنما أخر البيان الى وقت الحاجة اليه ليكون أوقع فى النفس وأظهر فى رحمة الشارع الحكيم وقوله (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد) بمنزلة الاستثناء من عموم إباحة المباشرة والمقام مقام بيان وإيضاح لا يبقى معه للابهام ولا للايهام مجال

ثم قال (تلك حدود الله) الاشارة الى الاحكام التي تقدمت وسميت حدودا لأنها حددت الاعمال وبينت أطرافها وغاياتها حتى اذا تجاوزها العامل خرج عن حد الصحة وكان عمله باطلا والحد طرف الشيء وما يفصل بين شيئين وقوله (فلا تقربوها) هو أبلغ في التحذير من قوله فى آية أخرى « فلا تعتدوها » لأنه يرشد الى الاحتياط فمن قرب من الحد أوشك أن يعتديه كالشاب يداعب أمرأته فى النهار لا يثق بالوقوف عند حد المباح له وقال بعضهم معناه لا تقربوها بالتأويل والتحريف ولا بالهوى والرأي بل اقبلوها كما هي . وهذا يشير الى تخطئة الصحابة بما كان من اجتهادهم واتباع آراء أنفسهم فى أمر ديني يجب فيه الاتباع المحض كأنه قال لا ينبغي لكم أن تتجاوزوا المنصوص فى العبادات لأنها مما لا مجال للرأي فيه بل عليكم فيها بالاتباع المحض فما أمرتم فخذوا وما سكت عنه فذروا ، وفى هذا المعنى حديث : ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد

حدودا فلا تعتدوها وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها » رواه ابوداود والترمذي والنسائي والدارقطني من حديث أبي ثعلبة الخشني. وفي رواية زيادة «رحمة بكم من غير نسيان» قال (كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) أي على هذا النحو من البيان يبين لهم آياته ليعدهم للتقوى، والتباعد عن الوهم والهوى،

﴿ باب الفقه في أحكام الدين ﴾

(مواقيت العبادة من الصلاة والصيام والحج)

بعث الله خاتم النبيين للناس كافة ومنهم البدو والحضر والأميون والمتعلمون والمنفردون والمجتمعون وقد ساوى سبحانه في هذا الدين الأخير بين الناس في التكليف فلم يجعل فيه رؤساء ومرءوسين يكلف بعضهم بما لا يكلف به الآخر ولم يجعل عبادة أحد متعلقة بعبادة الآخر حتى إن إمام الصلاة اذا عرض له ما أبطل صلاته كان للمأمومين أن يتموا صلاتهم فرادى واذا تقدم واحد منهم فأتم لهم الصلاة جماعة جاز وكل من صحت صلاته صحت إمامته فليس في الاسلام طوائف ولا بيوت ممتازة بالرياسة الدينية كما في الديانات الأخرى حتى اليهودية والنصرانية ولهذا جعل الله تعالى مواقيت العبادة في الاسلام متعلقة بالمشاهدة التي يستوي فيها العالم والجاهل والبدوي والحضري لا بحساب الحاسبين والفلكيين ولا بارادة الرؤساء والحاكمين فوقت صلاة الفجر يدخل بطلوع الفجر الصادق ووقت الظهر بزوال الشمس الذي يعرف بالظل ووقت العصر حين يكون ظل كل شيء مثله ووقت المغرب بالغروب ووقت العشاء بذهاب الشفق الأحمر ويعرف شهر الصيام برؤية الهلال فان لم ير فباتمام شعبان ثلاثين يوما وكذلك شهر الفطر وأشهر الحج ولذلك قال تعالى « يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج »

وقد مضت السنة بأن يرقب المؤذن في البلد المواقيت للصلاة ويؤذن بها في الناس أي يعلمهم بها فيعملون باعلامه ويصلون لكيلا يتكلف كل واحد من المجتمعين في البلد مراقبة الاوقات وكذلك وقت الصيام اذا رأى بعض المسلمين الهلال يذاع خبر رؤيته إياه في البلد ويصوم الناس تصديقا له كما يصدق الواحد في مواقيت الصلاة التي تكون

مواقيت للصيام فى أيامه ولياليه إذ نعتمد على أذان الواحد فى الامساك صباحا والفطر مساء لافرق بين ثبوت شهر الصيام وثبوت وقت الصوم ووقت الفطر فى كل يوم من أيام الشهر. ولا عبرة باحتمال كذب المخبر عقلا اذا لم يكن ثم شبهة أو دليل على كذبه كأن يؤذن للمغرب وأنت ترى شعاع الشمس على الجدران . ويدل على عدم الفرق بين ثبوت شهر الصيام وثبوت أوائل أيامه ولياليه لأجل الامساك والفطر ما ذكرناه فى جزء المنار الذي صدر في غرة رمضان من العام الماضي ومنها حديث ابن عباس عند الشيخين وأصحاب السنن وهو: جاء أعرابي الى النبي (ص) فقال إني رأيت الهلال يعني رمضان فقال «أتشهد ان لا إله الا الله» قال نعم قال «أتشهد أن محمدا رسول الله» قال نعم قال «يابلال اذن في الناس فليصوموا غداً» وغير ذلك من أحاديث الرؤية أو إكمال العدة

طريقة إثبات رمضان فى أمصار المسلمين

لو جرى المسلمون على السنة لاستهل بعض المعروفين بالعدالة منهم ليلة الثلاثين من شعبان كما يستهلون فى البوادي فاذا رأى المستهل الهلال أمر الامام أو نائبه المؤذنين باعلام الناس بذلك وأن يصوموا ولكنهم أبوا الا أن يجعلوا إثبات رمضان بالرؤية منوطا بالحكام وأن يبتدعوا طريقة لم تعرف في السنة وهي أن يزوروا دعوى ويحكم القاضي فيها بإثبات الشهر ويبلغ الناس حكمه ولا يرون العلم بأن الدعوى مزورة والرضى بها والحكم فيها طعنا في عدالة القاضي والشهود حتى لايقبل قولهم فى إثبات رمضان ولا فى غيره . بل قضت قواعدهم الفقهية بأنه لاطريقة لإلزام الناس بالصيام الا هذا لأن حكم القاضي يرفع الخلاف فى المسائل الاجتهادية فلا يجوز بعده لأحد ان يعمل باجتهاده في المسألة التي حكم فيها . ويرون أن شهادة الشهود امام القاضي برؤية الهلال لاتكفي لإعلام الناس وأمرهم بالصوم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون وأصحابه الهداة المهديون وشبهتهم أن الاخبار برؤية الهلال لا إلزام فيها وإنما يجب فيها الصوم على من صدق الخبر وأما الحكم فيجب على كل أحد الخضوع له . وكشف هذه الشبهة أن السنة دلت على أن من سمع خبر رؤية الهلال وجب عليه الصيام كما لو رآه فالإخبار بالرؤية كالإخبار بالحكم المبني عليها يجب العمل به على من صدق المخبر ولا يجب على من لم يصدق فاذا كان

المؤذن أو المؤذنون أو الحكام هم المخبرون بان بعض الناس رأوا الهلال فان كل الناس يصدقون الخبر بشهادتهم وكل من لادليل عنده على كون الشهادة كاذبة فهو يصدق الشهود أيضا ومن قام عنده الدليل على كذب الشهادة فانه لا يصدقها ولا يعتبر الحكم الذي بني عليها لأن المبني على الفاسد فاسد . والحكم بوجوب الصوم لا إلزام فيه لان الصوم معاملة بين العبد وربه والعمدة فيها الاعتقاد فاذا حكم كل قضاة الارض بأن الشمس غربت وانا أراها أو أرى شعاعها فلا يجوز لي أن أفطر ولا أن أصلي المغرب . وأنا أصلي كل يوم اعتماد على إخبار المؤذن وأفطر في كل يوم من رمضان عند سماع مدفع المغرب او أذان المؤذن وكذلك يفعل جميع المسلمين في المدن والأمصار . فأي دليل فى الشرع على التفرقة بين الاخبار بأول يوم من رمضان والاخبار بمواقيت الامساك والافطار في سائر أيامه ومواقيت الصلاة والحج ، وماهو المسوغ لتزوير دعوى لإثبات العبادة

اذا قالوا يجب العمل بما مضت به سنة الشارع نقول ان كتب السنة الصحيحة بين أيدينا ناطقة بأن رؤية الهلال كانت عندهم كرؤية الفجر من رأى يخبر والمؤذن يبلغ الناس دخول رمضان كما يبلغهم دخول وقت الصلاة بمعرفته أو بإخبار بعض المؤمنين له وفي الحديث الصحيح « إن بلا لا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم » وكان رجلا أعمى لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت . وفي لفظ ينادي بدل يؤذن وهو متفق عليه من حديث ابن عمر مرفوعا وروى مسلم والترمذي واللفظ له وغيرهما من حديث سمرة بن جندب قال قال رسول الله (ص) « لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير فى الافق »

واذا قالوا إن إخبار المؤذن ليس بشرط وفي معناه كل إعلام كالمدافع في هذا الزمان وإنما الاذان سنة متبعة في الاعلام بمواقيت الصلاة فقط وان شارك الصوم الصلاة في بعضها فبالتبع : نقول ان هذا كلام معقول مقبول ولقد كان إخبار المؤذن بدخول رمضان على عهد النبي (ص) عن شهادة بعض المؤمنين برؤية فلتكن المدافع وما فى معناها من طرق الاعلام عن شهادة الشهود أمام القاضي ودعوا هذه البدعة التي جريتم عليها . وليعلم أن الشهادة عند القاضي لأجل الضبط والثقة بالاخبار ولو شهد الشهود عند الوالي (كخديوي مصر) أو نائبه الاداري كناظر الداخلية أو المحافظ وأمر باعلام الناس حصل المقصود

العمل بخبر التلغراف والتلفون

واذا جاز العمل بصوت المدفع أو بايقاد القناديل فى المآذن ونحوها وإطفائها اذا جرت العادة بجعل ذلك علامة على الصوم والفطر فلا شك أنه يجوز العمل بخبر التلغراف والتلفون لاسيما اذا كانا من عمال الحكومة حيث يؤمن التزوير ويغلب على الظن الصدق لان الحكومة تعاقب عامل التلغراف اذا كذب أوزوّر عقوبة شديدة فخبره يوجب العلم الراجح الذي يعمل به في الاحكام كخبر المؤذن وصوت المدفع ونحو ذلك وقد تتعدد طرقه فيوجب العلم اليقين كالتواتر الحقيقي بل ان التلغرافات الرسمية لايرتاب أحد فى صدقها كما هي حتى في الأمور السياسية وان جاز الخطأ فيها عقلا كالكتابة وغيرها من ضروب الخبر والتبليغ

إثبات رمضاننا هذا فى مصر

اجتمع في ليلة الثلاثين من شعبان وهي ليلة الثلاثاء قاضي مصر وأعضاء المحكمة الشرعية وبعض العلماء لسماع شهادة المستهلين حسب العادة فلم يشهد أحد بأنه رأى الهلال على كثرة المستهلين، وانتظار الجائزة للشاهدين، وذلك أن رؤيته كانت مستحيلة كما علم من الحساب الفلكي القطعي ولقد كان جميع العارفين بتعذر رؤية الهلال يعتقدون اعتقاداً جازما بأن من يشهد برؤيته يكون كاذبا في شهادته ومنهم بعض أعضاء المحكمة الشرعية. وفى نهار تلك الليلة ورد على قاضي مصر تلغراف من قاضي الفيوم الشرعي يقول فيه انه شهد عنده شاهدان برؤية الهلال ليلة الثلاثاء وحكم بذلك ويعهد اليه بأن يبلغ الحكومة ذلك لتبلغ الناس فقال قاضي مصر ان خبر التلغراف لا يعمل به شرعا وهو لا يشك في ان التلغراف الذي جاءه هو من قاضي الفيوم الشرعي ولذلك خاطبه بالتلغراف وهو لايشك فى وصوله اليه وتصديقه إياه بأن يرسل اليه الشهود الذين شهدوا هناك ليشهدوا أمامه هنا فحضروا وشهدوا ولفقت الدعوى المعتادة وحكم قاضي مصر وبلغ الحكومة بأنه ثبت عنده أن هذا اليوم (الثلاثاء) أول رمضان وعهد اليها ان تخبر الناس بذلك فأمرت بإطلاق المدافع فى القاهرة فأطلقت وبلغت سائر البلاد بالتلغراف فمن بلغه الخبر في النهار وصدق الشهادة والحكم أمسك نهاره وقليل ماهم وأصبح المسلمون يوم الاربعاء صائمين معتقدا أكثرهم انهم أفطروا يوما يجب عليهم قضاؤه وطفق اهل العلم والفهم من الخواص

يتحدثون متعجبين مما حصل لاعتقادهم بأن رؤية الهلال كانت من المحال وان خبر قاضي الفيوم بثبوت الشهر هو كخبر قاضي مصر لافرق بينهما شرعا فلماذا أعلن إثبات الشهر بالتلغراف والمدفع عند ماشهد الشهود أمام قاضي مصر ولم يعلن عند ما شهدوا أمام قاضي الفيوم ـ كلاهما قاض شرعي وطريقة الإثبات واحدة وطريقة إعلانه واحدة فهل صارت العبادة الاسلامية متوقفة على رئيس مخصوص يصح على يده مالا يصح على يد غيره ونحن نعلم أنه لم ينطق الكتاب الآلهي ولم تمض السنة النبوية ولا عمل السلف الصالح ولا قال الائمة المجتهدون بأن عبادة الصيام أوغيرها تتوقف على حكم شرعي أو على أمر رئيس ولا حاكم ولهذا لايجوز القضاة لانفسهم الحكم باثبات شهر رمضان ابتداء بل يجعلون إثباته تبعا للحكم بقضية من المعاملات لعلمهم بأن العبادة لاتتوقف على حكم الحاكم إجماعا وإنما جرت العادة بأن يشهد المستهلون برؤية الهلال عند الحكام لانهم هم الذين يتيسر لهم إعلام الناس بذلك حتى لايكلف كل واحد بتأتي الرؤية كما يستغنون بأذان المؤذن عن تعرف الاوقات بأنفسهم ولا فرق بين الاعلام بمواقيت الصلاة ووقت الصيام الا من جهة واحدة وهي أن الشرع تعبدنا بأن يكون الاعلام بمواقيت الصلاة بألفاظ مخصوصة هي كلمات الاذان أي انه جعل هذه الكلمات عبادة وشعارا دينيا لانه جعلها شرطا للصلاة أوللعلم بوقتها

العمل بحساب الحاسبين فى العبادة

اختلف الفقهاء فى العمل بحساب الحاسب فى إثبات رمضان فقال بعضهم لاعبرة به مطلقا وقال آخرون ان الحاسب يعمل هو بما ثبت عنده ولا يعمل غيره بخبره وقال بعضهم يعمل به من صدقه. حجة المانعين أن الشرع ورد بحصر إثبات دخول شهر الصيام برؤية الهلال والا فبإكمال عدة شعبان ومن ذلك حديث ابن عمر (رض) عند البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي مرفوعا: « إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا » يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين . والحكمة في ذلك ظاهرة وهي أن تكون طريقة اثبات العبادة واحدة تسهل على كل مكلف وأن لايكون لبعض الناس من الرؤساء أو العلماء أو الحكام سلطة دينية تتوقف عليها العبادة على أن حسابهم يخطئ أحيانا بدليل اختلافهم فيه. وحجة المجوزين ان المقصود

العلم بدخول الشهر كالعلم بدخول وقت الصلاة والاحاديث الواردة بالرؤية واكمال العدة لاتنفي طرق العلم الاخرى كما أن الاحاديث الواردة بمعرفة وقت الظهر ووقت العصر بالظل لاتنفي معرفة ذلك بالحساب . ويمكن منع جعل اثبات العبادة خاصا ببعض الحاسبين الذي هو سلطة ورياسة دينية ممنوعة في الاسلام بأن لايعمل بقولهم الا في بلد كثر فيه الحاسبون الموثوق بعلمهم بحيث ثبت عند الناس صدقهم اذا اتفقت تقاويمهم . وأما الخطأ الذي نراه في التقاويم المصرية اذ يقول بعضها ان أول الشهر يوم كذا ويقول الآخر بل يوم كذا فهو عن جهل بعضهم بهذا الحساب أو بأن الشهر الشرعي هو غير الشهر الفلكي فان أول الشهر الشرعي هو الليلة التي يمكن ان يرى فيها الهلال كل معتدل البصر اذا لم يحجبه سحاب أو غيره ولهذا يكون ثاني الشهر الفلكي في الأغلب واننا لنراهم يكتفون بامكان رؤية أي راء أو بامكان الرؤية في نفسها ولو من حديد البصر كأن النبي (ص) قال فان غم على مثل زرقاء اليمامة فأكملوا عدة شعبان ولكنه قال « فان غم عليكم » أي يامعشر المسلمين

رأي مشايخ العصر في ذلك

نحن نعلم ان المؤذنين في جميع الامصار الاسلامية يعتمدون في معرفة الأوقات على تقاويم الحاسبين وآلة الساعة لاعلى ماورد في الشرع من مراقبة الفجر وظل الشمس وغروبها وذهاب الشفق الأحمر وينكرون على من يخالف هذه التقاويم حتى ان العلماء ليكادون يوافقون العامة على الانكار في ذلك وقد كنا مرة مع بعض أكابر علماء الازهر في الريف فأبصر مفتي الديار المصرية ان الشفق قد زال فقام الى صلاة العشاء فقال له بعض العلماء قد بقي الى وقت العشاء خمس دقائق قال المفتي قد زال الشفق ولم يبق شيء فوافق الآخرون بعد كلام وصلينا جميعا ولكنني رأيتهم بعد السلام قد فتحوا ساعاتهم وقال بعضهم: الآن قد دخل الوقت : انهم صلوا على علم بأن صلاتهم صحيحة ولكن مع تأثر نفوسهم بمخالفة العادة التي جروا عليها ولايخفى عليهم ان الشفق يختلف في بعض البلاد وفي بعض الاحوال عن بعض فاذا كان في الافق رطوبة شديدة يختلف بقاؤه عن وقت الجفاف والتقاويم تبنى على الاحتياط

كنا عند مختار باشا الغازي مع طائفة من المشايخ في دعوة رمضان فجرى حديث

اثبات رمضان والعمل بالحساب وبخبر التلغراف فقالوا ان العمل بهما غير جائز شرعا لانهما ليسا من البينات الشرعية فقال الباشا ان الله عظيم الشأن علم ما كان يتلاعب به رؤساء الاديان السابقة في عبادات الناس فجعل عبادة هذه الأمة متعلقة بالمشاهدة وهي رؤية الهلال في اثبات الصيام وبذلك يتساوى جميع الناس اذ لا يوجد في كل مكان حاسبون متقنون يوثق بهم ولكن اذا وجد في بعض البلاد الحاسبون الذين يؤمن تزويرهم وخطأهم كان وضعت الحكومة لهم مرصدا يصدر التقاويم ويعين المواقيت تسهيلا على الناس فأي مانع من العمل به وهو يقين ؟ فقال بعض المشايخ لا يجوز العمل بقول الحاسب لأنه غير شرعي وقال بعضهم لا يجوز لأنه لا يوثق به فاننا نرى الحاسبين دائما يغلطون فالحساب لا يوثق به وقال بعضهم ان للحاسب ان يعمل بحسابه ولمن صدقه ان يعمل بقوله عندنا معشر الشافعية فقال الباشا ان الحساب قطعي لا يمكن ان يخطئ وذكر لهم أمثلة حسابية فلكية وقال ان من ذلك استحالة رؤية الهلال في الليلة التي شهد شهود الفيوم بأنهم رأوه فيها لانه كان تحت الافق قطعا . وذكر كاتب هذه السطور سبب خطأ بعض الحاسبين على نحو ما تقدم وذكر من قال من أئمة العلماء بكون حساب الشمس والقمر قطعيا لا ظنيا كالامام الغزالي وقلت اذا كان يجب على من يصدق الحاسب ان يعمل بحسابه فاننا نرى جميع الناس يصدقونهم في مواقيت الصلاة التي هي مواقيت الصيام في كل يوم من أيامه فأي فرق بين اثبات أول يوم من أيام الصيام وبين سائر الأيام من حيث بدايتها التي يجب فيها الامساك والشروع في الصوم ونهايتها التي يحل فيها الافطار قال بعضهم : ان الشرع جعل اثبات أول الشهر برؤية الهلال والا فبا كمال العدة : قلت وان الشرع جعل اثبات أول النهار برؤية الفجر والمؤذن الآن يؤذن في الوقت الذي يعينه الحاسب ففي الحديث الصحيح عند البخاري وغيره : « ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » وكان رجلا أعمى لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت : فقال بعض المشايخ وهو من أعضاء المحكمة الشرعية ان هذا خلاف الشرع : ووافقه من في جانبه قالا لإنه يفيد ان الانسان يأكل الى وقت الفجر فقلت اي شرع يخالف قول الرسول ؟ أقول ان صاحب الشرع قال هذا في أصح الروايات عنه ويقال ان قوله مخالف للشرع ؟ وأزيد هنا ان الحديث رواه أحمد والبخاري ومسلم

وأصحاب السنن ماعدا الترمذي من حديث ابن مسعود مرفوعا وأحمد ومسلم والترمذي من حديث سمرة ابن جندب وتقدم لفظه وأحمد والشيخان من حديث عائشة وابن عمر ولفظه ماتقدم آنفا وفي رواية للبخاري وأحمد زيادة: فانه لايؤذن حتى يطلع الفجر: وجملة القول هنا انني أطالب الفقهاء بالتفرقة بين اثبات أول رمضان واثبات سائر مواقيته ومواقيت الصلاة وأقول يجب العمل بما ورد في السنة فى الجميع ومنع العمل بالحساب او اجازته في الجميع الا أن يبينوا فرقا صحيحاً

ثم انتقلنا عند الباشا الى الكلام فى العمل بخبر التلغراف قال بعض الشيوخ لايجوز العمل به لأنه ليس بينة شرعية ولانه يجوز فيه الكذب فقلت ان الشهود يجوز عليهم الكذب أيضا وشهادة الزور شائعة في هذا العصر ولم يعهد الكذب في خبر التلغراف الرسمي الذي يرد الى الحكومة ولافي غيره الا نادراً. واما كونه غير بينة فممنوع لأن الشرع لم يحصر البينة بشهادة الشهود فهذا العلامة ابن القيم قد حقق ان البينة في الشرع كل ماتبين به الحق على أن الكلام في الخبر بأن كذا قد ثبت عند القاضي مثلا وأخبار التلغراف أصدق من أخبار الآحاد لأن عماله المخبرين مسؤلون يعاقبون على الكذب . وقال الباشا ان التلغراف يعمل به في الحرب التي تسفك فيها دماء الألوف من الناس وتخرب البلاد فكيف لايعمل به في الاخبار باثبات العبادة التي لايترتب عليها ضرر : وقال بعض المشايخ المالكية ان الشيخ عليشا أفتى بجواز العمل بالتلغراف وقال الشيخ عبد الخالق المهدي العباسي ان والدي قد أفتى بجواز العمل به لمن صدقه لكن لايبنى على خبره الزام ولا يصح للقاضي ان يحكم استناداً على خبره فشهادة الشهود لأجل الحكم الملزم: قلت ان الصيام لايتأتى فيه الالزام ، وان العبادة لاتحتاج فى ثبوتها الى حكم الحكام ؛ فهذه القضية التي يلفقونها ويحكمون فيها بدخول الشهر ليثبت وقت العبادة تبعا لها لايعرف لها أصل في الكتاب والسنة ولاحاجة اليها للالزام وانما يكفي اعلام الناس بأن الشهود شهدوا برؤية الهلال وان يكون هذا الاعلام بحيث يثق به الناس وأكثر اهل القطر المصري يعلمون باثبات الشهر بخبر التلغراف ولايشكون فيه وأهل القاهرة يعرفون ذلك بسماع المدافع وايقاد القناديل في المنائر وهي بمعنى التلغراف . اهـ الحديث بايضاح فى بعض المسائل واختصار فى بعض آخر فمن انكر مما كتبناه شيئا أوكان عنده بيان آخر للحق فليرسله الينا ننشره شاكرين

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ حقيقة الجن والشياطين ﴾

(س ٨٧) من أحد فضلاء القراء في (تونس):

من رجال العلم والتقوى فى بلادنا العلامة المقدس الشيخ محمد بن علي قويسم المتوفى سنة ١١١٤ وله فضائل مأثوره وتآليف مشهورة أحسنها وأكملها الكتاب المسمى (سمط اللآل فى معرفة الرجال) فى أحد عشر جزءا في القالب النصفي الكبير ترجم فيه لنخبة أهل الاسلام وخصوصا لرجال الشفا للقاضي عياض وقد جاء فيه بالجزء الرابع عند تعرضه للكلام على الجن والشياطين مايستفاد منه اختلاف علماء الاسلام فى ماهية هاته العناصر التي نسمع بها ولا نراها فمن قائل انها اجسام هوائية قابلة للتشكل ومن قائل إنها إجسام غير متحيزة ولا حالة في متحيز ومن قائل إن الشيطان هو عبارة عن القوة الغضبية التي فى الانسان وإلى هذا الرأي ذهب جماعة من الفضلاء منهم حجة الاسلام الغزالي وقد نقل الشيخ قويسم المذكور آنفاً في جملة أخذه ورده في هذا الموضوع حديثاً عزاه للنصير الطوسي نقله في شرح كتاب الاشارات هذه عبارته «مامن مولود ولد في بني آدم الا ولد معه قرينه من الشيطان» فهل لكم معرفة بصحة هذا الحديث وعلى تقدير صحته نطلب الافادة بتأويله لانه اذا أخذ على ظاهر عبارته يبقى الفكر معه متحيراً إذ تعلمون أن علماء الإحصاء يقدرون سكان المعمورة بألف وخمسمائة مليون من الأنفس فاذا كان لكل واحد منهم قرين من الشياطين فلا مشاحة فى أن إحصاء الجغرافيين كاذب لأنهم اغفلوا منه النصف ثم إنه على فرض صحة وجود شيطان لكل إنسان فهل اذا مات الانسان تبعه شيطانه للقبر أو بقي عالة على اخوانه الشياطين وفى هذه الحال يمكن الجزم بأن أكثر

بلاد الله شياطينا فى هذا اليوم هى بلاد الشرق الاقصى حيث نيران الحرب محتدمة بين الروسيا والجابون لانه فى كل يوم تزهق أرواح الالوف من البشر ولم أسمع بموت شيطان واحد من الشياطين المولودة مع العساكر التي اقتطفتها يد الفناء من شجرة الشباب ــ أفيدونا بما عندكم من العلم عن ماهية الشياطين و خصوصاً عن القول الذى توفق لفهمه الامام الغزالي ولكم الشكر سابقاً ولا حقاً اه

(ج) الجن والجان والجنة بالكسر مأخوذة من مادة ج ن ن وهذه المادة تدل على الستر والخفاء قال فى القاموس: وكل ماستر عنك فقد جن" عنك» بضم الجيم ويقال أيضاً أجن عنه واستجن ومنه الجنين الولد مادام في البطن ٠ وأطلق لفظ الجان على ضرب من الحيات قالوا هي الحية البيضاء الى صفرة التي توجد فى الدور ٠ والشيطان فى اللغة كل عات متمرد حتى من الدواب والشاطن الخبيث ٠ والشيطان الحية الخبيثة قال جرير

أيام يدعونني الشيطان من غزل وهن يهوينني إذ كنت شيطانا

وقال الراغب : كل قوة ذميمة للانسان شيطان : أقول ومنه قولهم ركب شيطانه اذا غضب ونزع شيطانه أي كبره ٠ ومادة شطن تدل على البعد والايغال في الشيء ومنها شطن البئر وهو الحبل الذي يستقي به وبئر شطون بعيدة القعر وشطن فى الارض شطونا دخل إما راسخاً وإما واغلا وتدل على المخالفه والمواربة يقال شطن صاحبه اذا خالفه عن نيته ووجهه وكذلك يفعل العتاة الخبث ٠ وقيل إن الشيطان مشتق من شاط يشيط أي احترق غضبا فهذه اللغة تدل على أن اللفظين (جن وشيطان) وضعا لأشياء معروفة ٠ وكانت العرب تعتقد كسائر الامم أن فى الكون عالما خفيا عاقلا سموه الجن وقالوا إن منه الخيار الصالحين والشرار الشياطين وجاء الوحي يخاطبهم بما يعتقدون في الجملة لا فى التفصيل قال تعالى فى سورة الانعام : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » وقد ورد لفظ الشيطان والشياطين كثيراً في القرآن ومنه مافسروه بالأشرار الخبثاء كقوله تعالى : « وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم» ٠ وكانوا يعتقدون أن من هذا العالم مايلابس النفوس فيلقي فيها الخواطر ومنه الهاجس الذي يلقن الشعراء الشعر

إن هذا الاعتقاد قديم في البشر لا يعرف تاريخه وفي أناجيل النصارى ان الشياطين

كانت تدخل فى الناس فتؤذيهم وان المسيح عليه السلام كان يخرجها منهم وكانت اليونان تعد الجن والشياطين من عالم الأرواح وكذلك الروم (الرومانيون) وجعلوهم على ثلاث طبقات طبقة الآلهة ورئيسهم الخالق الاكبر وطبقة توابع الامم والشعوب والممالك والبلاد وكان لجني رومية تمثال من الذهب والطبقة الثالثة توابع الاشخاص . وكان الهنود القدماء يقسمونهم الى جن أخيار وجن أشرار . ولبقية الامم والشعوب عقائد متقاربة فيهم . وكان الناس يأخذون كل مايسمعونه من ذلك بالتسليم الا بعض الفلاسفة الذين حكموا الدليل والتعليل في ذلك فانكر بعضهم الجن وبعضهم سلم بأن الجن من العالم الروحاني أو الهوائي حتى اذا ماانتشرت العلوم المادية فى أوربا صار يضعف هذا الاعتقاد فى الناس المشتغلين بهذه العلوم والمقلدين لهم والمتأثرين بحالهم . على ان أخبار رؤية الجن أو سماع أصواتهم والاحساس بهم كثيرة في كل أمة ولكن أكثرها باطل وزور وبعضها صحيح رواية ولكن لا يعسر على المنكر أن يحمله على ضروب من التأويل ترجع فى الغالب الى أن الوهم يري صاحبه التخيل حقيقة محسوسة. ولا يزال الكثيرون من علماء أوربا وعقلائها يعتقدون بالجن وعلاقتهم بالانس وقد حدثني واحد من كبار عمال الحكومة منهم هنا بأن رجلا كان يستحضر الشياطين في لوندره وقد حضر مجلسه هناك بعض الكبراء والعلماء فأحضر لهم شيطانا سمعوا كلامه ولكن لم يفهموه فقالوا له ماهذه اللغة التي ينطق بها قال انها الافغانية

أما إنكار شيء ونفيه لعدم الاحساس به فمما يمنعه العقل ولو أنكرنا كل مالم نطلع عليه وندركه بالحواس لما توجهت نفوسنا الى اكتشاف هذه المجهولات الكثيرة كالكهربائية وغيرها مما نرى أثاره اعجب مما يعزى الى الجن . والقاعدة العقلية ان عدم وجدان الشيء لايقتضي عدم وجوده فتكذيب جميع أصناف البشر في الاعتقاد بوجود عالم خفي لاتظهر آثاره الانادرا لبعض الناس بناء على أن المكذب لم يدرك ذلك بحواسه غير سديد ويعجبني قول الدكتور فانديك فى كلامه على الحواس الخمس : لو كانت لنا حواس أخر فوق الخمس التي لنا لربما توصلنا بها الى معرفة أشياء كثيرة لانقدر على إدراكها بالحواس الخمس التي نملكها ولو كانت حواسنا الموجودة أحد مما هي لربما افادتنا أكثر مما تفيدنا وهي على حالتها الحاضرة: ومما ذكره من الامثلة لهذا قوله : ولو كان سمعنا

أحد لربما سمعنا أصواتا تأتينا من عالم غير العالم الذي نحن فيه: الخ ولم يقل هذا وحده بل قاله غيره ويقوله كل عاقل وقد أعجبنا منه أنه جعله في المسألة الأولى من الجزء الأول من كتابه (النقش في الحجر) الذي ألفه للمبتدئين . فان قيل نسلم أن العاقل لاينكر وجود شيء لعدم علمه أو إحساسه به ولكنه أيضا لايثبته بغير دليل وما يذكر من أخبار الجن عند جميع الامم لم يقم عليه دليل بل يجزم العقل في بعضه أنه كذب وزور : نقول هذا قول حق والدليل منه عقلي ومنه حسي ومنه الخبر الصادق الذي عرفنا به تاريخ الأولين والآخرين وما في العالم من الامور التي شاهدها غيرنا وأخبر فصدقنا وان علم أكثر الناس بالخبر أكثر من علمهم بالاختبار فاذا كان أكثر ماينقل عن الناس من أخبار الجن ظاهر البطلان فان بعضه ليس كذلك وعندنا الخبر اليقين فيه وهو خبر الوحي الذي دلت الآيات البينات على صدق من جاء به وهو لم يخبر بشيء محال في نظر العقل أو مجربات العلم وأعني بالوحي هنا القرآن وأما أخبار الاناجيل في إخراج الشياطين من الناس فانه ليس لها سند متصل وانما وجدت بعد المسيح بزمن طويل وهي منقطعة الاسناد اليه وان اشتهرت بعد ذلك . وكذلك الاحاديث النبوية عند من صحت عنده فصدق الرواية ، وجملة ما في القرآن ان في الكون عالما عاقلا خفيا يقال له الجن وان منه المؤمن والكافر والصالح والقاسط وانه يرى الناس ولا يرونه وان شياطين الجن مثارات للوساوس الضارة التي تسول للانسان الشر وتزين له الشهوات القبيحة ، ولم يرد فيه شيء ينبي بعدد الجن ولا بحقيقتهم وقوله تعالى « وخلق الجان من مارج من نار » لايدل على الحقيقة كما ان خلق الانسان من تراب ومن حمأ مسنون لايدل على حقيقته . ويحتمل ان يكون ذلك على حد قوله تعالى « خلق الانسان من عجل » واذا كان هذا العالم لايرى فلا يرد علينا إهمال الاحصائيين له ولا سكوتهم عمن يموت ويولد من أفراده

أما حديث القرين فقد أخرجه أحمد ومسلم عن ابن مسعود بلفظ « مامنكم أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة » قالوا وإياك يارسول الله قال « وإياي الا أن الله أعانني فأسلم » ومسلم من حديث عائشة بلفظ « مامنكم أحد الا ومعه شيطان » قالوا وأنت يارسول الله قال « وانا الا ان الله اعانني عليه فأسلم »

ضبط الجمهور فأسلم بالفتح على انه فعل ماض من الاسلام وقيل هو مضارع للمتكلم من السلامة أي فأسلم من وسوسته . ورواه الطبراني من حديث المغيرة وابن حبان والبغوي وابن قانع والطبراني عن شريك بن طارق وليس له غيره بنحو حديث عائشة ولم اجد أحدا من المحدثين رواه باللفظ الذي نقله صاحب سمط اللآل عن شرح الاشارات وفي حديث ابن مسعود عند الترمذي والنسائي وابن حبان «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان »

واللمة بالفتح الإلمام بالشيء . وللغزالي في كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء كلام فيها يعبر فيه عن الملك بسبب إلهام الخير وعن الشيطان بسبب خاطر الشر . ولو سمي الشيطان هنا قوة الشر وداعيته لكان له من اللغة شاهد ودليل كما علمت مما ذكرناه في أول الجواب عن الراغب ولكن لا يمكن أن ينطبق هذا القول على كل ما ورد في الجن . على أن القوى العامة أمور مجهولة لم يصل البشر الى اكتناه أمرها وكشف سرها . ولا فرق بين أن يكون معنى الحديث إن لكل امرىء في نفسه داعية الى الشر تسمى الشيطان وهي قوة من القوى المدبرة للنفس وبين أن يكون معناه ان بعض العوالم الخفية التي لا تحس تتصل بالنفوس المتوجهة الى الشر فتزين لها خواطره ودواعيه فان داعية الشر نجدها في أنفسنا لا ننكرها ولكننا لا نعرف حقيقة سببها هل هو قوة أم هو شيء خارجي يتصل بالنفس المستعدة له فيؤثر فيها كما تؤثر العوالم الخفية المسماة بلسان الطب (ميكروبات) بالمستعدين للمرض فتحدثه فيهم ولا تحدثه في غير المستعدين وان ألمت بهم . ولو قيل لنا قبل اكتشاف هذه الأحياء (الميكروبات) إن السل والطاعون وغيرهما من الامراض والاوبئة يحدث بسبب عوالم مادية صغيرة سريعة النمو في بدن المستعد للمرض لعددناه من الخرافات أو الخيالات . وقد تقدم لنا في المنار ان هذه الميكروبات من الجن

أما كون التأثير في النفوس كالتأثير في الاجسام بحسب الاستعداد فيدل عليه قوله تعالى: «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » أي من يعرض عن القرآن وهدايته الى مخالفته تكون له داعية الشر المعبر عنها بالشيطان قرينا ملازما . هذا هو الظاهر ولكن ورد في سبب نزول هذه الآية ان المراد بالشيطان شيطان الانس . أخرج

ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان المخزومي ان قريشا قالت قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد (ص) رجلا يأخذه فقيضوا لأبي بكر طلحة بن عبيد الله الخ وكذلك نرى لكل شرير شيطانا أو أكثر من قرناء السوء

وجملة القول ان الوحي نطق بأن في الكون جنا لا نراهم وكل ما قيل في حقيقتهم فهو رجم بالغيب وما ورد في ذلك ممكن فيجب الايمان به من غير تأويل ولا يصدنا عن ذلك خرافات الناس في الجن فانها أشياء يتوارثونها ما أنزل الله بها من سلطان

﴿ مشاركة الشيطان للناس في الاموال والأولاد ﴾

(س ٨٨) الشيخ مصطفى محمد السيد في (طما)

المرجو من حضرة السيد إفادتنا عن معنى قوله تعالى في سورة الاسراء (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد) لأني اطلعت في تفسير الخازن فوجدته يفسر المشاركة في الاولاد - وهو غرضنا من السؤال - بجملة أقوال منها انها الموءودة وأولاد الزنا والتسمية بعبد العزى ونحوه ومنها أيضا - وهو موضع الريب - ان الشيطان يشارك الرجل في مباشرة زوجته اذا لم يقل بسم الله عند المباشرة ويقع منه كل مايقع من الرجل فيأتي الولد من ماء الرجل وماء الشيطان ثم عزى الى ابن عباس ان رجلا سأله عن امرأته قائلا إنها استيقظت وفي . . . شعلة نار فقال هذا من وطء الجن فيعلم من هذا أن الشيطان قد ينفرد بالمباشرة وحيث ان هذا كان من أكبر مواضع الجدال هنا وأن أناساً غير قليلين يؤكدون زعمهم أن أحد التوأمين يتشكل في صورة القط حتى يبلغ وما ذلك إلا لكونه من نسل الشيطان في الاصل لم أر حلا لهذا المشكل الا رفع هذا الموضوع الى حضرتكم راجيا الافادة عن المعتمد الصحيح وما عليّ الارفع أكف الضراعة الى الله تعالى أن يديمكم ملجأ للسائلين

(ج) الاستفزاز الاستخفاف والاجلاب بالخيل والرجل تمثيل لتسلط الشيطان على من يغويه كما رجحه الامام الرازي وذكره من قبله من المفسرين وجها وأما المشاركة في الأموال والأولاد فجماهير المفسرين على أن المراد بها الإغواء بالحمل على كسب الحرام والتصرف والإنفاق في الحرام وهذه الكلية التي ذكرها البيضاوي وغيره تشمل كل

الجزئيات التي ذكرها بعضهم وزيادة – والإغواء بالحمل على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه كتسميته بعبد العزي والحمل على العقائد الباطلة والافعال القبيحة والحرف الذميمة . هذا ما قالوه واعتمدوه ويمكن اختصاره بأن يقال ان المشاركة فى الأولاد عبارة عن الاغواء فى أمر اختيار المرأة والاتصال بها وفي كيفية تربية الولد فمن يختار فاسدة الاخلاق والاعراق افتتانا بجمالها أو يتصل اليها بالحرام ويهمل هو وإياها تربية ولده العقلية والنفسية حتى ينشأ ضالا فاسقا فانما يفعل ذلك بوسوسة الشيطان واغوائه ومشاركته اياه في هذا الامر العظيم وهو أمر الولد من أحدهما الوسوسة بالاغواء ومن الآخر اتباع الشهوة وسوء الاختيار . فالآية مبينة لجامع وساوس الشيطان واغوائه والأمر فيها للتكوين كقوله تعالى للشيء كن أي تعلق ارادته بكونه ووجوده . وحاصل المعنى ان الله خلق الشيطان وكوّنه على هذه الصفة وهي الوسوسة وتزيين القبيح الضار في هذه الامور وهي لاتبين حقيقة الشيطان وهل هو داعية للشر في النفس تقوى وتضعف بحسب الاستعداد أو هي داعية خارجية كما هو الظاهر . وما نقله الخازن وغيره عن ابن عباس غير صحيح ولا يعقل الا بكون الشيطان من عالم الحس له اعضاء كأعضاء الانسان . وهو مخالف لنص القرآن ، ولو صح لكان كل من يترك التسمية يشاركه الشيطان ، فتجد امرأته النار الذي وجدته تلك المرأة وهو ظاهر البطلان ،

عقوبة ترك الصيام والصلاة

(س ٨٩) جاءنا كتاب في أثناء كتابة جواب السؤال الماضي من حمزة أفندي الزهيري من وجهاء شبر مساح فاذا هو في الظاهر باسمنا وفى الباطن باسم مفتي الديار المصرية (ولعله أرسل غيره باسمنا وكتب عليه عنوان المفتي) واذا هو سؤال عن عقاب تارك الصوم والصلاة سببه مناظرة بين السائل وبين رجل ادعى انه لاعقاب على تارك هاتين الفريضتين لان القرآن لم يذكر لهما عقابا كما ذكر للزاني والسارق وغيرهما فرد عليه حمزة افندي بأن الالزام بالصيام يدل على انه لابد من عقاب تاركه وكذا الصلاة وذكر له قوله تعالى « ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله نارا خالداً فيها وله عذاب مهين » فزعم الرجل ان ترك الصلاة والصيام لايدخل فى العصيان وتعدي الحدود لانهما من حقوق الله التي يتسامح فيها . وطلب السائل كشف هذا الغامض . وانما نعجل بالجواب لأن السؤال يتعلق بالصوم فنقول :

(ج) لاغموض في المسألة ولا شبهة لذلك المجادل فترد وانما هو مكابر يجادل في دين الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير فان العصيان مخالفة الامر والصلاة والصيام مما أمر الله به بل هما من أركان الاسلام التي ينهدم بهدمها وهي من حدود الله تعالى أيضا فانه تعالى قال بعد بيان أحكام الصيام « تلك حدود فلا تقربوها » وتقدم تفسيرها في هذا الجزء . ولا خلاف بين المسلمين في أن الفرض هو ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه فمن أنكر فرضية الصلاة والصيام فليس بمؤمن ومن اعترف بالفرضية فقد اعترف بالعقوبة على الترك

ثم ماذا يقول المجادل في قوله تعالى « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » أليس الويل هو الهلاك أو واد في جهنم ؟ وقوله مخبراً من أصحاب النار « ماسلككم في سقر؟ قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين » أليست صريحة في أن العذاب مرتب على أمور أولها ترك الصلاة وثانيها منع حقوق المساكين بترك الزكاة . روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ولكن أخروها عن أوقاتها وروى مثله عن سعيد بن المسيب وفي حديث أحمد ومسلم « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » وقد ورد من الأحاديث في الوعيد على ترك الصلاة والصيام مالا محل لنشره هنا وهو لايفيد المجادل اذا لم يفده التذكير بما تقدم من معنى الفرض وبمكانة أركان الاسلام الخمس من سائر الفرائض وبكون وعيد الآية التي احتج بها عليه حمزة افندي يشمل ذلك كله قطعاً فحسبنا هذا من الحجة النقلية ان كان مجتهدا ، واذا كان مقلدا لاحد الأئمة الأربعة فليعلم انه مامن مذهب منها الا وهو يجزم بعقاب تارك الصلاة والصيام في الدنيا ويدين بعقابه في الآخرة وتفصيل مذاهبهم في ذلك معروف مشهور

وأما التفرقة بين حقوق الله تعالى وحقوق العباد فليس معناها ان الله تعالى يطلب من عباده حقوقا لنفسه لاحظ لهم فيها الا مجرد الطاعة له وبناها على المسامحة فسواء عليهم فعلوها أم لم يفعلوها وحقوقا أخرى لبعضهم على بعض رتب على الاخلال بها العقوبات لانها مبنية على المشاحة . كلا ان هذا نقض لدين الله تعالى من أساسه وانما شرعت التكاليف كلها لمصالح المكلفين وسعادتهم في الدنيا والآخرة والله غني عن العالمين وبيان ذلك بالتفصيل يطول جداً وما زال المنار يشرحه في أبوابه لاسيما باب تفسير القرآن الحكيم

وملخصه أن الله تعالى شرع الدين لعباده لاجل صلاح أرواحهم وقلوبهم بالعبادة لاجل صلاح حالهم في الدنيا وسعادتهم في الاخرة فالفرائض كالعلاج الباطني الذي يقوي الدم والعصب والعضل ومنع المحرمات كالحمية فان الذى يربي روحه بالصلاة لكي يكون كريماً شجاعاً صبوراً بمعرفة الله وثقته به منتهياً عن الفحشاء والمنكر لزكاء نفسه وطهارة قلبه ـ وبالزكاة ليكون عونا لاخوانه على مصالحهم رحيما بالمحتاجين شاعرا بفضيلة الحياة الاجتماعية ـ وبالصيام ليتقي ربه ولتقوى إرادته ويتعود على ضبط نفسه بمراقبة ربه كما تقدم شرح ذلك في الجزء الماضي ـ. وبالحج لما ذكرناه قبل من فوائده ـ ألا يجب أن يمنع في أثناء هذه المعالجة النفسية من اتيان ماينافيها كالتعدي على حقوق الناس الذين يطلب منهم ان يكون عونا لهم ونصيرا وعن الشهوات الضارة التي تفسد القلب وتستعبد الارادة ؟ بلى واذا كان من فوائد العبادة أن يمتنع من يقيمها على وجهها عن جميع المحرمات بارادته واختياره وارتياح نفسه الا يجب ان يمنع عن هذه المحرمات (كالقتل والسرقة والزنا) بوضع العقوبة البدنية على ارتكابها حتي يتم له ذلك بالاختيار ؟ بلى فمن قبل الاسلام فقد قبل ان يعالج روحه ويربيها بعباداته وأركانها خمسة منها الصيام فاذا رفض مع ذلك الحمية عن المعاصي التي لاتتم المعالجة الا بتركها ألزم بذلك إلزاما وأما اذ ادعي الاسلام ورفض القيام بأركانه فانه يعاقب عقاب المرتد كما حارب الصحابة مانعي الزكاة لأنهم مرتدون وسميت تلك الحرب حرب الردة. وكذلك يجب على إمام المسلمين أن يحارب كل قوم يتركون شعيرة من شعائر الاسلام حتي يعودوا اليها * واما اذا ترك بعض الافراد ذلك فعقوبة الفرد تختلف باختلاف حاله ولذلك جعلت من التعزير الذي يفوض تعيينه الى رأي الحاكم

وأما المسامحة والمشاحة التي قالوها وتمسك بها المجادل مع انها لم تذكر في القرآن فيتضح معناها في الامر الذي فيه حق للناس وحق لله تعالى كالقتل فمن قتل يقتل ولكن اذا عفا عنه ولي الدم فانه لايقتل لمجرد المخالفة لامر الله بحفظ الدم لان الله تعالى لاينتفع بقتله ولايضر باستحيائه وانما حرم عليه القتل لانه يضره اذ يجعله شريراً فى نفسه وفي نظر الناس ولانه يفسد الأمن ويغري الناس بالاعتداء والتسافك فاذا امتنعت الفتنة المتعلقة بحقوق الناس امتنع القتل لأن مايريده الله بحريه من صلاح

النفس قد يتم بالبقاء بأن يتوب القاتل ويصلح العمل . وقد بينا غير مرة أن عذاب الآخرة على ترك الفرائض أو ارتكاب المحرمات ليس من قبيل عقوبة الحكام في الدنيا وانما هو على حسب ارتقاء الروح وتزكيها ،أو تدسيتها وتدليها، وانما ترتقي الروح بالعقائد الصحيحة التي لاخرافات ولا أوهام فيها وتتزكي بالعبادة والتهذيب وتفسد وتتدلى باعتقاد الخرافات وارتكاب السيئات . أفيقول المجادل إن الذي يدعي الايمان بالله وكتابه لايضر روحه ولايدسيها ترك الفرائض التي حث عليها كتاب الله وجعلها أركان دينه وبين أنها تزكي النفوس وتعدها لرضوانه وقربه؟ماأظن أنه يقول بذلك فارجو أن يتوب عن الاستهانة بأركان الاسلام والسلام

﴿ الجرائد الاسلامية والبورصة ﴾

(س ٨٩) م . ج . في سورية : كثيراً ما أرى الجرائد الاسلامية في سوريا ومصر تنشر أخباراً عن أحوال (البورصة) وتقلباتها فى صعود وهبوط فهل ذلك محرم شرعاً أم لا ؟ أرجوا افادتنا في المنار الاغر جزاكم الله عن الاسلام خيراً

(ج) القاعدة فى معرفة المحرم الذي لم ينطق الشارع بتحريمه ان كل ضارّ محرّم فاذا كان خبر البورصة ينشر بايعاز من المتلاعبين فيها لأجل غش الناس وحملهم على بيع ماعندهم من العروض والحاصلات كالقطن وغيره توهما أن المبادرة الى البيع خير لهم والحقيقة غير ذلك فلا شك أن نشره محرم وكثيراً مايحصل هذا كما يحصل ضده وهو ايقاف الناس على مايجري هناك من المساومات والعقود ليكونوا على بصيرة من أمرهم والامور بمقاصدها. ولا يقال إن أعمال البورصة وعقودها مخالفة للشرع فالاخبار بها محرم على كل حال: اذ العلم ببعض المخالفات والمحرمات ينفع أحيانا كما اذا تواطأ قوم على السرقة في بعض الامكنة فإعلام الناس بخبرهم ينبههم الى توقي شرهم. هذا وان بعض الجرائد التي تسمى اسلامية لان أصحابها من صنف المسلمين لاتلتزم فيماتنشر احكام الاسلام، ولاحدود الحلال والحرام، فتنشر (اعلانات) الخمور والقمار المحض الذى يضر ولا ينفع وهو محرم بالاجماع «ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون» فان غشهم للناس في السياسة أعظم من غشهم في المعاملة

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

التربية بالمعاينة

يوم ١٢ يونيه سنة ـ ١٨٦

مدينة ليما فى نظري كثيرة الشبه جدا باحدى مدن أوربا وان الاوربي الذي يسافر من بلده الى الجانب الآخر من الدنيا فيقطع في ذلك خمسة آلاف وخمس مئة وتسعة وثمانين ميلا انكليزيا ليستحق ان يلاقي بعد هذا السفر من تركهم هناك من اليسوعيين والمحتالين والبغايا والراهبات ومعاهد الفجور

في تلك المدينة شوارع لها من الرونق ما يناسبها وفيها ميدان انيق يدعي «بالبلازا اماير» فى وسطه بركة فخيمة من البرنز ينبثق منها الماء في ثلاثة أحواض على أن هناك جدولا يخترق المدينة أفضله كثيرا على ذلك العمل الفني وهذا الجدول المسمى بالريماق ياخذ مياهه من مثالج جبال القورديير وبعد ان يجري ثلاثين فرسخا يصل الى ليما فيقسمها الى قسمين متساويين تقريبا ولست أدري اضلال أم حق ان احس ببرودة مياهه اذا غمست أصبعي فيها كأن ماء الثلوج لم يمهله اندفاعه ان يسخن بحرارة الشمس .

ليست الحرارة فى تلك الجهة من الشدة بالمقدار الذي قد يتوهم مع كونها لا تبعد عن خط الاستواء الا عشر درجات وتعلل هذه الحالة بعلل مختلفة غير ان أخصها وضع المدينة فان المحيط الهادي يكتنفها من أحد جانبيها ويكتنفها من الجانب الآخر جبال القورديير القائمة شرقيها مكللة بالثلوج الدائمة وفي ذلك ما يساعد بلاريب على ترطيب الجو وبينها وبين البحر فرسخان اسبانيوليان ولا تبعد الجبال عنها الا بثمانية وعشرين فرسخا فكأن البحر والجبال منطقة مزدوجة تمنطق بها الساحل لتقيه شدة الحرارة .

الذي يدهش « أميل » «ولولا » كثيرا هو اننا بحسب منزلة الشمس الآن في فصل الشتاء مع اننا فى شهر يونيه على ان الحق ان لا شتاء فى بلاد البيرو فان السنة فيها تنقسم الى فصلين فصل الرطوبة وفصل الجفاف ففصل الرطوبة يبتدىء من شهر ابريل ويستمر

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر .

الى اكتوبر وفيه يغشى المدينة ضباب ثقيل فاتر يسميه أهل البلاد بالغروى وقد يبلغ احيانا من الكثافة والاسفاف (الدنو من الارض) خصوصا في الغداة حدا لانكاد نرى فيه ماهو شديد القرب منا من الاشياء ويقال إن هذا الحجاب يتمزق في شهر اكتوبر أو نوفمبر فترتفع فيه السماء سنجابية اللون ولا يلبث الطل ان يتلاشى بحرارة اشعة الشمس النفاذة وحينئذ يبتدئ فصل الجفاف أي الصيف

لاينبغي أن يفهم من قولنا فصل الرطوبة الفصل الممطر فانه قد يمضي قرن ولا تسقط على طول هـذا الساحل كله قطرة من مطر عرفت ذلك لاني منذ بضعة أيام كنت أسأل شيخا من هـذه البلاد هل تذكر انك شهدت مطراً فى حياتك فكان جوابه لي « قط » فسألته عن عمره فقال انه ثمانون سنة .

الضباب ندى يحيل التراب الى وحل ويكفي لاخصاب الارض هنا اخصابا متوسطا على انه يوجد فى أماكن أخرى من بلاد البيروويان وبى قريبة من الجبال ينزل فيها من السماء سيول حقيقية اذا أصابت الرمال القحلة أصبحت عما قليل حافلة بالنبات فالارض لاتسأل السماء الا أن تتصدق عليها بالماء

فصل الجفاف بالضرورة اشد الفصلين حرارة على أن الناس هنا يؤكدون لي أنهم يجدون مبردا بما يهب من نسيمي البر والبحر فكأن هذين النسيمين يقتسمان اليوم بينهما فيهب نسيم البحر في الجملة حوالي الساعة العاشرة من الغداة ويستمر على هبوبه متراوحا بين الشدة واللين الى غروب الشمس ثم يركد ويستتب السكون فاذا كانت الساعة الثامنة أو التاسعة من العشي جاء دور نسيم البر الذي يهب من الجبال فيبقى على هبوبه الى الغداة

سكان ليما في رأيي اشد مافيها غرابة وأدعاه الى المراقبة فلا أظن انه يوجد في سكان بقعة أخرى من بقاع الارض مايوجد في ملامح وجوههم من الاختلاف العظيم وفي ألوان جلودهم من الفروق الدقيقة الواضحة ذلك بأنهم اخلاط من سلالة المستعمرين (وأعنى بهم الاشخاص المولودين في أمريكا ممن هاجروا اليها من الدنيا القديمة خصوصاً أعقاب البيوت الاسبانوليه العتيقة) ومن الهنود والزنوج والخلاسيين(١) وغيرهم من الاصناف فترى من ألوان وجوههم كلما تفقدتهم الابيض الشاحب والاصفر النحاسي والاسود الكهربي وما يتخللها من ضروب الاختلاف الصغيرة المتولدة من

(١) الخلاسي هو الذي يولد بين ابوين احدهما ابيض والثاني اسود

اشتباك الارحام واختلاط الانساب وإني اذا اعتبرت فى الحكم عليهم ماقام بنفسي من آثار الانفعال برؤيتهم لاول مرة حكمت بانهم متشابكون بالارواح كما تشابكوا بالأشباح

تمتاز النساء البيض والخلاسيات عن غيرهن بعينين نجلاوين سوداوين تتوقدان ذكاء وشعور طويلة غدائرها الثقيلة مرسلة ولون تقاوم وضاحته الفطرية حدة الشمس وانف مع خلوه من شبه الانوف اليونانية لايعوزه شيء من القنا (١) وفم مزدان بالثنايا الجميلة على ماقد يكون فيه من السعة احيانا وقامة وسيطة معتدلة وقدمان بلغا من الصغر حدا يدعو الى العجب ويدين صيغتا صياغة دقيقة وجملة القول فى وصفهن ان صورتهن هي صورة «لولا» اذا كبرت

انا لا اعلم الى الآن شيئا من اخلاقهن اللهم الا مايظهر لي من انهن (اعني الغنيات منهن) يقضين اوقاتهن بين الزهور والعطور والاقراص العطرية والمربيات والحلاوى ولئن اعتمدت في الحكم عليهن على ماأسمعه عنهن ممن يحتفون بي لقلت انهن يقسمن وقتهن بين دسائس العشق وشعائر العبادة ولا إخال أحدا لايدهش اذا علم ان الاديار والكنائس تشغل من المدينة ربعها. مما أكده لي أهل ليما ان الرجال منهم شديدو الغيرة على نسائهم ولكني لاأعتقد فى شيء مما يقولون فانهم لو كانوا كذلك حقيقة لما أباحوا لهن الذهاب للاعتراف فى أغلب الاوقات . اه

يوم ٣٠ يونيه سنة ـ ١٨٦

مالبثت مذ وصلنا الى ليما ان التزمت الاشتغال بمصالح « دولوريس » واول شيء رأيت من الواجب البداءة به فى هذا السبيل ان اجمع تفاصيل مايعلمه الناس من الاخبار الموثوق بها في شأن مولدها ووالديها ودونك بالايجاز نتيجة ماهدتني اليه ابحاثي :

اما والدها فهو من بيت اسبانيولي كان رحل الى بلاد البيرو واستوطنها بعد الفتح بزمن يسير واما والدتها فكانت من النساء ذوات اللون ويعني بهن الخلاسيات بحسب اصطلاح الناس هنا وكانت مع احتواء عروقها على شيء من الدم الهندي لايتأتى لامين غير عين المستعمر الخالص الغيوران تكتشف فيها بقايا سمات صنفها التى انمحى اكثر من ثلاثة ارباعها فانه لاقدرة لغير المستعمرين على ان يميزوا في الذات الجميلة لاول نظرة اليها مايسميه الانكليز بأثر ظلف الشيطان المشقوق فهم يلتمسون هذا الاثر حتى في شكل الاظافر

ويحق ان تعلم انه مع خضوع هذه البلاد للحكومة الجمهورية ... مع تمالك لاجيال فيها لايزال بعض البيوتات الاسبانيولية يرون من الامتياز أن يثبتوا صراحة انسابهم

(١) القنا مصدر قني الانف اي ارتفع اعلاه واحدودب وسطه وسبغ [illegible] في طال طرفه

وتقاربها من الاختلاط وان يحرصوا على بقائها كذلك فان هذ في ابهم شارة من شارات الشرف وفي رأي غيرهم والحق يقال نعمة يحسدونهم عليها يدلك عليه ان الخلاسيين في الطبقة الخامسة بل وفي الطبقة السادسة يدعوهم عجبهم الى التألم من أن يعرفهم الناس بهذه الصفة حتى انهم ليبذلون كل مايملكون لو ضمن لهم الانفكاك من أماراتها التي مع نهايتها في الخفاء وقرب تلاشيها تنم على خسة أصلهم كما تقرر في الآراء والافكار

ذلك ماحدا بي الى ان احدث نفسي غالبا بان معيشة الناس مجتمعين ربما كانت في بدايتها مؤسسة على حاجتهم الى احتقار بعضهم بعضا

ومهما يكن من هذا الامر فقد كان زواج ذلك الاسبانيولي الحر بتلك الخلاسية معتبرا عند كل اهل بيته من سوء الحظ لانهم كان قد عاق باذهانهم خزعبلات متعلقة بالجيل الاحمر ورسخت فيها شديد الرسوخ وكانوا يرفعون عقيرتهم افتخارا بانهم لاينفكون عن تحبير الامهات ولا ادري ان كان هذا من أسباب الفرقة التي حصلت بين الزوجين فيما بعد غير انه قد عرف ان اقترانهما لم يقرن بالهناء والغبطة فقد ماتت الفتاة الخلاسية في السابعة عشرة من عمرها بعد أن وضعت بنتا

لم يطوح والد «لولا» بنفسه في الاعمال البحرية تطويحا كليا الا من بعد تأيمه وكانت السفينة التي غرقت به حيال سواحل بنزانس ملكا له وقد اجمع الناس على انه كان كثير الفخر ببنته وانه لعزمه على تربيتها تربية اعلى من التربية التي ينشأ عليها اغلب النساء في ليما حملها معه ليضعها في احدى مدارس لوندره الداخلية

كان يحب هذه الطفلة وفي هذا أقوى موجب للظن بانه هو الذي علقها بمزيد الاحتراس والعناية في أدوات السفينة قبل ان تغتاله الامواج

بلغ خبر الغرق ماوراء البحار غير انه شاع ايضا في ليما ان هذه المصيبة شملت الرجل وبنته فلا شك ان ماأرسلته انا وهيلانة من الرسائل اعلاما بنجاة «لولا» ومطالبة بحقوقها قد حجزها من لهم مصلحة في اعدامها

مانجا من الغرق الا ملاح واحد لم يرجع بعده الى ليما قط لسبب لا اعلمه فلم يتيسر له ان يكذب ماأذيع هناك عمدا من الروايات الموضوعة

لما وصلنا الى ليما عرفت «لولا» بلادها ان لم اكن واهما من خلال ماحفظته ذاكرتها من آثارها في الصغر غير ان هذه البلاد لم تعرفها قط فقد كان من عرفتهم بها من آل بيتها يتظاهرون بالريبة فيها فيقولون نعم انهم كانوا سمعوا بسفان غرق في البحر وبأنه عمهم او ابن عمهم ولكن ما الدليل على ان تلك الفتاة التي عرفتهم بها بنته فانهم كانوا

محقين كل الحق ان يعتقدوا موتها واماما قدمه لهم من الاوراق الدالة على ثبوت نسبها له فكانوا يتعللون عليها بانها مكتوبة بالانكليزية وهم لا يفهمونها بل انهم ما كانوا يريدون ان يكلفوا قراءتها

ذلك ما اضطرني الى ان اقصد العارفين بالقانون فكان رأيهم في القضية انها من القضايا المعضلة المرتبكة وانها تقتضي فراغا واسلاف نقود وعبثا كثيرا من عبث المحاماة وانت تعلم حالة القضاء في بلادنا وهو في بلاد البيرو ادنى منه أيضا الى الطفولية

عمال الحكومة الذين سألتهم في هذ الموضوع وان كان اغلبهم ينتمي الى بيت والدالفتاة متفقون على انه ترك بعض المال غير انهم يقولون وفي قولهم أمارات الريبة ان جل هذا المال ضاع في سداد ديون المتوفى

والذي ظهر لي اشد الظهور أن المضي في هذه القضية يجر الى تشويش كثير من المصالح الخاصة التي لاشك في انها اتسعت بعصبية السفان

تلك هي حالة الأمور . اه

مكافأة امتحان التلامذة في الأزهر

لقد كان فيما حدث من الاصلاح في الازهر بسعي الشيخ محمد عبده تعيين ست مئة جنيه من الأوقاف مكافأة للطلاب الذين ينجحون في الامتحان السنوي الذي جعل اختيارياً لأن الشيوخ المدرسين أبوا أن يمتحن طلاب العلم في الازهر إلزاما لتعرف درجات تحصيلهم . وقد كان الامير مساعداً للشيخ على هذا التمهيد للامتحان الالزامي بالرضى والتنشيط للمجاورين الذين يغلب عليهم الفقر على الجد والتحصيل ولكن الشيوخ الذين يبغضون النظام كانوا كارهين لهذا العمل وطامعين في جعل مكافأة الطلاب زيادة في رواتبهم وسعوا لهذا الأمر سعيه عند الامير فلم يفلحوا لانه على علم واختبار بفوائد الامتحان وفوائد المكافأة . وقد انبرى بعض هؤلاء للطعن في العمل قولا وكتابة فزعموا أولا أن هذه المكافأة ترغب المجاورين في العلوم الحديثة أي التي قضى الاصلاح باحيائها في الازهر حديثا كالحساب والهندسة وتقويم البلدان والتاريخ، الاخلاق الدينية والانشاء، وتضعف هممهم عن تحصيل العلوم الدينية، كذبتهم جداول الامتحان وطريقته إذ ظهر ان المكافأة على العلوم القديمة أكثر مقداراً وان الناجحين في العلوم الحديثة أنجح في العلوم القديمة من سواهم . ثم انبرى بعضهم للطعن في نفس هذه العلوم

الحديثة لاسيما الحساب العملي وتقويم البلدان فزعموا أنها ضارة مفسدة للعقول ومن ذلك ما نشره المؤيد بامضاء الشيخ محمد راضي البحراوي الصغير وثابت ابن منصور الذي يقال انه الشيخ محمد بخيت فرددنا عليهم نحن وغيرنا ولم يفد سعي الشيوخ شيئا حتى قضت حوادث الزمان بأن يتقرب منذ عامين بعضهم من الامير ويحملوه على تحويل المكافأة على الامتحان الى بعض الاشياخ وكذلك كان وحرم الازهر من هذا الضرب من الاصلاح وظهر لكثير من شيوخه المنصفين ضرر هذا الحرمان وتحدثوا به فتحركت أريحية الشيخ عبد الرحيم الدمرداش الى اعادة الامتحان وكتب لمشيخة الازهر ما يأتي بعد رسم الخطاب

• بلغني من طرق متعددة ومن مشايخ وطلبة لاأحصي عددهم ان الامتحان الذي كان يجري في الازهر لنيل المكافأة في كل سنة كان قد افاد الطلبة وبث في كثير منهم روح النشاط والاجتهاد في طلب العلوم التي تقرأ في الازهر من قديم الزمان نفسها فضلا عن اكتساب فنون اخر لم تكن من الدروس المقررة فيه من زمن طويل وان جمهورا عظيما من الطلبة خمدت نفوسهم بعد إلغاء ذلك الامتحان وانه قد ضاع على الازهر شيء كثير بذلك الالغاء كما اكد لي ذلك من لاأحصي عده من اهله ولما تأكدت ذلك وايقنت ان إعادة مثل هذا الامتحان اصبح مما لابد منه في زمن كثرت فيه حاجات الطلبة وانه يسوقهم الى الطلب امثال المكافآت التي كانوا ينالونها عقيب الامتحان وكنت ممن يحب العلم وأهله ويسعى الى ترقيته رأيت أن أقدم من مالي الخاص مبلغ مائتي جنيه انكليزي يصرف مكافآت سنوية لمن يمتحن وتقرر لجنة الامتحان انه من الناجحين المبرزين على من سواهم في العلوم الآتية

(١) علم التوحيد على شرط أن يقيم الطالب الادلة على العقائد التي يسئل عنها من نفسه لاأن يسرد ما يحفظه من عبارات المؤلفين بلا تعقل وبذلك تعرف درجته في علم المنطق بالضرورة (٢) علم الاخلاق الدينية الباحث عن الفضائل والرذائل من جهة ما يسعد ويشقي بها في المعاش والمعاد (٣) تفسير القرآن الكريم من حيث هو كتاب سماوي انزل ليحيي النفوس بمكارم الاخلاق ويثير فيها العبر بمن مضى ومن حضر وكذلك الحديث الشريف (٤) علوم البلاغة قواعد وعملا بحيث يدخل فيها الانشاء وفن الكتابة ويندمج في ذلك النحو بالطبع (٥) الفقه واصوله معا بحيث يمتحن الطالب في مسألة فقهية يردها الى اصلها المعروف في اصول الفقه (٦) الحساب (٧) الجبر (٨) تقويم البلدان (٩) التاريخ

واعرض على مولانا أني أحب أن لايدخل في هذا الامتحان من مضى عليه اقل من ثمان سنين في الجامع الازهر على حسب سجلاته • اما بقية ما يلزم لضبط الامتحان

ليكون كافلا بإعطاء المكافأة لمن يستحقها فذلك وكول لى رأي مولانا الاستاذ ورأيه الموفق ان شاء الله تعالى • وارجو ان تتفضلوا علي بالجواب هل قبل طلبي ولله يتولاكم برعايته • اه

فكتب اليه شيخ الازهر كتابا رسميا بقبول طلبه مع الشكر على أريحيته وغيرته ونحن نشكر له أيضا هذه المبرة ونرجو ان يقتدي غيره من الاغنياء به فى احياء العلم والدين

﴿ قصيدة فى الحرب لحافظ افندي ابراهيم من باب الآثار الادبية ﴾

أساحة للحرب أم محشر   ومورد الموت أم الكوثر
وهذه جند أطاعوا هوى   أربابهم أم نعم تنحر
لله ما اقسى قلوب الاولى   قاموا بامر الملك واستأثروا
غرهم فى الدهر سلطانهم   فأمعنوا فى الارض واستعمروا
قد أقسم البيض بصلبانهم   لايهجرون الموت أو ينصروا
وأقسم الصفر باوثانهم   لايغمدون السيف أو يظفروا
فمادت الارض باوتادها   حين التقى الابيض والاصفر
وأثملتها خمرة من دم   يلهو بها الميكادو والقيصر
وأشبهت يوم الوغى اختها   اذ لاح فيها الشفق الاحمر
(وأصبحت تشتاق طوفانها   لعلها من رجسها تطهر)
أشبعت ياحرب ذئاب الفلا   وغصت العقبان والانسر
وميرت الحيتان في بحرها   ومطمع الانسان لايقدر
ان كان هذا الدب لاينثني   وذلك الرئبال لايقهر
والبيض لاترضي بخذلانها   والصفر بعد اليوم لاتكسر
فما لتلك الحرب قد شمرت   عن ساقها حتى قضى العسكر
سالت نفوس القوم فوق الظبا   فسالت البطحاء والانهر
وأصبحت (مكدن) ياقوتة   يغار منها الدر والجوهر
ياقوتة قد قومت بينهم   بانفس كالقطر لاتحصر
أضحى رسول الموت مابينها   حيران لايدري بما يؤمر
عزريل هل أبصرت فيما مضى   وانت ذاك الكيس الامهر
كذلك المدفع فى بطشه   اذا تعالى صوته المنكر

تراه ان اوفى على مهجة لا الدرع يثنيه ولا المغفر

***

امسي كروباتكين في غمرة وبات اوياما له ينظر
وظلت الروس على جمرة والمجد يدعوهم الا فاصبروا
وذلك الاسطول ماخطبه حتى عراه الفزع الا كبر
أكلما لاح له سابح تحت الدجى اوقارب يمخر
ظن به (توجو) فاهدى له تحية (توجو) بها اخبر
تحية من واجد شيق انفاسه من حرها تزفر
فهل درى القيصر في قصره ماتملن الحرب وماتضمر
فكم قتيل بات فوق الثرى ينتابه الاظفور والمنسر
وكم جريح باسط كفه يدعو اخاه وهو لايبصر
وكم غريق راح في لجة يهوي بها الطود فلايظهر
وكم اسير بات في اسره ونفسه من حسرة تقطر
ان لم تروا في الصلح خير الكم فالدهر من اطماعكم اقصر
تسوءنا الحرب وان اصبحت تدعو رجال الشرق أن يفخروا
اتى على الشرقي حين اذا ماذكر الاحياء لايذكر
ومر بالشرق زمان وما يمر بالبال وما يخطر
حتى اعاد الصفر ايامه فانتصف الاسود والاسمر
فرحمة الله على امة يروي لها التاريخ مايؤثر

﴿أهم مايؤرخ من الانباء . في باب الاخبار والآراء﴾

الدولة العلية والانكليز . الخلاف ، الوفاق والاسطول والمالية

نقرأ في الجرائد آنابعد آن اهتمام الدولة بانشاء أسطول عظيم وقد علمنا ان انكلترا هي التي تحث الدولة وتدعها اليه ولما زار أميرال أسطول البحر المتوسط الانكليزي سلطاننا بالغ السلطان في إكرامه كأنه من بيت الملك وتكلما في ذلك وأكد الاميرال للسلطان الوعد بان انكلترا تساعده على تقوية البحرية حتى بالمال بشرط ان يهتم باصلاح المالية فيعزل ناظرها الذي كان يومئذ ويولي مكانه الناظر الحاضر ويؤلف لجنة للاصلاح المالي . وبعد ان سمعنا هذا رأينا السلطان فعل ذلك . ومع هذا نرى الدولتين مختلفتين على حدود عدن ونرى انكلترا لاتنفك تسعى في تقوية نفوذها في الكويت

وبلاد العرب والسبب في هذا وذاك الخوف على زقاق البوسفور من روسيا وعلى الخليج الفارسي منها ومن المانيا وتمنى لو تقدر الدولة بقوتها على حفظ الخليجين

(ألمانيا في شرقي أفريقية وتنصيرها المسلمين)

كتب الينا ان ألمانيا تلزم الناس في مستعمرتها هناك بالتعلم وبالتنصر إلزاما وتعنى بالايقاع بين العرب المقيمين في المستعمرة وبين الاهالي الأصليين لأن العرب أنور وأشد تمكسا بالاسلام وجذبا اليه وإن كانوا جاهلين. والاكراه على الدين لم يعرف في تاريخ البشر الا عن الاوربيين ومن العجب أن تجترحه دولة كألمانيا في علمها ومدنيتها اتباعا للأثرة والافراط في حب الذات اللذين ربما بسمرك عليهما . وهذه الجريمة السوءى ترشد الشرق والاسلام الى تفضيل الانكليز على جميع الشعوب الأوربية في كل صلة من صلاتهم بأوربا الظالمة المتعصبة

(الدولة العلية وفتنة نجد)

تواترت الاخبار بانتصار ابن سعود الذي اجتمعت عليه كلمة القبائل على ابن الرشيد وقد علمنا من الاخبار الخصوصية التي جاءتنا من بلاد العرب ان ابن سعود يتمنى الخضوع للدولة وانه حاول أو يحاول إرسال الوفود لمخاطبتها بذلك ولكن دسائس ابن الرشيد وأعوانه لدى الحكام في الحجاز والشام والعراق تحول دون وصول هذه الوفود وعسى ان تظهر الحقيقة للدولة لتعلم ان استمرار انتصارها لابن الرشيد خطر عظيم وان السياسة المثلى في إعادة نجد الى آل سعود كما كانت فهم اقدر على حفظها تحت رايتها وحمايتها وبذلك تأمن على الكويت أيضا ولعلها تفعل ان شاء الله تعالى

(إحياء جزيرة العراق)

دعت الدولة العلية السر ويلكوكس المهندس الانكليزي الشهير صاحب مشروع خزان النيل لاختبار جزيرة العراق ووضع تقرير لكيفية احيائها بمياه الدجلة والفرات فلبى الدعوة وزار قبل سفره من هنا مختار باشا الغازي فأرشده هذا الى الوديان التي يمكن ان توضع فيها السدود وتنشأ الخزانات لاجل الري الصيفي فان المياه تقل هناك في الصيف حيث الحاجة اليها شديدة بعكس مياه النيل في مصر فسر المهندس بهذا الارشاد وعند السفر كتب الى الغازي كتابا يشكر له فيه ذلك

(القضاء الشرعي والحكومة المصرية)

انذر قاضي مصر الحكومة بتوقيف الاحكام الشرعية اذا لم ينفذ القرار الذي صدر من المحكمة الكبرى بالحيلولة بين الشيخ علي يوسف وصفية السادات في القضية المعلومة فلم تنفذه ولكن جاملت القاضي ووقعت الحيلولة بالرضى . ثم ان القاضي نشر اعلانا في الجريدة الرسمية يطلب فيه محاسبة نظار الاوقاف الخيرية لأن ذلك من حقوقه الشرعية فاتفق النظار مع الامير بعد استشارة عميد الاحتلال على منع القاضي من هذا الحق وجعله للأمير وكان صدر أمر عال لديوان الاوقاف بهذه المحاسبة فألزمت الحكومة القاضي بالغاء إعلانه والتسليم بعمل ديوان الاوقاف على أنه حق للخديوي. وقد تم هذا بكل سكون ولولم يكن الامير راضيا قامت قيامة الجرائد والعلماء بدعوي الغيرة على الشرع وحقوق السلطان ... وقد عزل الشيخ بخيت من المحكمة العليا تمهيدا للاصلاح

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الخميس غرة شوال سنة ١٣٢٢ — ٨ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(١٨٨ : ١٨٤) * وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

الكلام كما تقدم في سرد الاحكام العملية ولما فرغ من حكم الصوم وفيه حكم أكل الانسان مال نفسه في وقت دون وقت مهد لحكم أكل مال غيره بذكر الحدود العامة والنهي عن قربها ثم قال (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) الخطاب لعامة المكلفين والمراد لا يأكل بعضكم مال بعض واختار لفظ أموالكم وهو يصدق بأكل الانسان مال نفسه للاشعار بوحدة الامة وتكافلها والتنبيه على ان احترام مال غيرك وحفظه هو عين الاحترام والحفظ لمالك لأن استحلال التعدي وأخذ المال بغير حق يعرض كل مال للضياع والذهاب ففي هذه الاضافة البليغة تعليل للنهي وبيان لحكمة الحكم كأنه قال لا يأكل بعضكم مال بعض

بالباطل لأن ذلك جناية على نفس الآكل من حيث هو جناية على الامة التي ه
أحد أعضائها لا بد أن يصيبه سهم من كل جناية تقع عليها فهو باستحلاله مال غير
يجرّئ غيره على استحلال أكل ماله عند الاستطاعة فما أبلغ هذا الايجاز، و
أجدر هذه الكلمة بوصف الاعجاز، وفي الاضافة معنى آخر قاله بعضهم وهو التنبي
على أنه يجب على الانسان ان ينفق مال نفسه في سبيل الحق وأن لا يضيعه في سبي
الباطل المحرمة ونظر فيه بعضهم بمارضيه الاستاذ الامام فقال إنه صحيح في
ذاته ولكن فهمه من الآية بعيد لقوله «بينكم» فهو صريح بأن المراد ما يقع
التعامل بين اثنين فأكثر . والمراد بالاكل مطلق الأخذ والتعبير عن الاخ
بالاكل معروف في اللغة تجوزوا فيه قبل نزول القرآن ومنشؤه أن الاكل أع
الحاجات من المال وأكثرها وان كان بعض الناس يفضل غير الاكل من الاهو
ينفق فيه المال فان هذا لا ينفي ان الحاجة الى الاكل وتقويم البنية أعظم وأعم
وأكثر ما يستعمل أكل المال في مقام أخذه بالباطل وقد يستعمل في غيره .

أما الباطل فهو ما لم يكن في مقابلة شيء حقيقي وهو من البطل والبطلا
أي الضياع والخسار فقد حرمت الشريعة أخذ المال بدون مقابلة حقيقي
يعتد بها ورضاء من يؤخذ منه وكذلك إنفاقه في غير وجه حقيقي ناف
قال الاستاذ الامام ومن ذلك تحريم الصدقة على القادر على كسب يكفيه وان تر
حتى نزل به الفقر اعتمادا على السؤل ونقول انها كما حرمت اعطاءه حرمت علي
الأخذ اذا هو أعطاه معط فلا يحل لمسلم ان يقبل صدقة وهو غير مضطر الي
ولا عاجز عن ازالة اضطراره بسعيه وكسبه، وأبلغ من هذا وذلك ما ذكر
الفقهاء من انه لا يجب على العاري الذي يجد ما يستر عورته في الصلاة أ
يستعير ثوبا يصلي فيه أو يقبله صدقة ممن يبذله له لما في ذلك من المنة التي لا

يكلفه الاسلام باحتمالها وله أن يصلي عاريا - قال ومنه تحريم الربا لأنه أكل لأموال الناس بدون عمل من صاحب المال المعطي ومثل لذلك بما يقع فى الناس كثيرا من أكل الربا أضعافا مضاعفة وفرق بينه وبين السلم وقال ان روح الشريعة تعلمنا بمثل هذه الآية انه يطلب من الانسان ان يكتسب المال من الطرق الصحيحة المشروعة التى لا تضر بأحد وانما أجمل وأوجز القرآن فى الباطل لأنه من الأمور المعروفة للناس بوجوهه الكثيرة وحسب المسلم ان يكف عن كل مايعتقد أنه باطل على أنه بين هذا الاجمال في أمور قد تخفى على الناس كالادلاء الى الحكام الآتي وكتحريم الربا

ويدخل فى هذا الباب التعدي على الناس بغصب المنفعة بأن يسخر بعضهم بعضا فى عمل لا يعطيه عليه أجرا أو ينقصه من الأجر المسمى أو أجر المثل ، ويدخل فيه سائر ضروب التعدي والغش والاحتيال كما يقع من السماسرة فيما يذهبون فيه من مذاهب التلبيس والتدليس اذ يزينون للناس السلع الرديئة والبضائع المزجاة ويسولون لهم فيورطونهم ، وكل من باع أو اشترى مستعينا بايهام الآخر مالا حقيقة له ولا صحة بحيث لو عرف الخفايا وانقلب وهمه علما لما باع أو لما اشترى فهو آكل لماله بالباطل . ومن هؤلاء الوهمين باعة التولات والتناجيس (*) والتمائم وكذا العزائم وختمات القرآن والعدد المعلوم من سورة (يس) أو بعض الاذكار وقد بلغ من هزؤ هؤلاء بالدين أن كان بعض المشهورين منهم يبيع سورة (يس) لقضاء الحاجات أو لرحمة الاموات يقرأها مرات كثيرة ويعقد لكل مرة

(*) التولات جمع تولة كعنبة ماتحمله المرأة ليحبها زوجها والسحر والتناجيس مايحمل انحو ذلك أو للعين من الخرز والعظام التي يعلقونها على الاطفال

عقدة في خيط يحمله حتى اذا ماجاء طالب ابتياع القراءة وأخذ منه الثمن بعد المساومة يحل له من تلك العقد ، بقدر مايطلب من العدد ، ذكر هذه الواقعة الاستاذ الامام فى الدرس وقد كنا نسمع عن رؤساء بعض الملل نحو هذا في بيع العبادة التي يسمونها القداديس فنسخر منهم حتى علمنا اننا قد اتبعنا سننهم شبرا بشبر حتى دخلنا في جحر الضب الذي دخلوه . قال الاستاذ إن كل أجر يؤخذ على عبادة فهو أكل لأموال الناس بالباطل وقد مضى الصدر الاول ولم يكن أخذ الأجر على عبادة ما معروفا ولا يوجد فى كلام أهل القرن الأول والثاني كلمة تشعر بذلك ثم لا يعقل أن تحقق العبادة وتحصل بالاجرة لأن تحققها انما يكون بالنية وإرادة وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته بامتثال أمره ومتى شاب هذه النية شائبة من حظ الدنيا خرج العمل عن كونه عبادة خالصة لله والله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصا من الحظوظ والشوائب . أقول وقد ورد على لسان الشارع تسمية مثل هذا العمل شركا فى حديث مسلم وغيره : « قال الله تعالى : أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه : اذا كان يوم القيامة أتي بصحف مختمة فتنصب بين يدي الله تعالى فيقول الله لملائكته اقبلوا هذا وألقوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا الا خيرا فيقول نعم لكن كان لغيري ولا أقبل اليوم الا ما ابتغي به وجهي » وفى رواية : يقولون ما كتبنا الا ما عمل : الخ وفى حديث أحمد والترمذي وابن ماجه « اذا جمع الله الاولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك فى عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فان الله أغنى الشركاء عن الشرك » وإنما يظهر تأويل مثل هذا فيمن قصد العبادة والاجرة معا بحيث لو لم يستأجر للقراءة لقرأ وأما من لا يقصد الا الاجرة فاذا

لم تكن لا يقرأ تلك الختمة أو العدد من السورة أو الذكر فأمره أقبح وذنبه أكبر وعمله باطل لا يعتد به شرعا فدافع الأجر عليه خاسر لماله، وآخذه منه خاسر لماله، ومثل قصد الاجرة المالية الرياء فانه منفعة معنوية

وقد فرق بعض الفقهاء بين قراءة القرآن وتعليمه فأجاز أخذ الاجرة على تعليمه كتعليم العلم لان الاشتغال بالتعليم يصد عن التفرغ للكسب من الوجوه الاخرى فاذا لم نجزه يتعسر علينا أن نجد من يتصدى لتعليم الاولاد وليس زماننا كزمان السلف يتفرغ فيه الناس لنشر العلم وإفادته تعبدا لله وتقربا اليه . قال الاستاذ الامام من علم العلم والدين بالاجرة فهو كسائر الصناع والاجراء لا ثواب له على أصل العمل بل على إتقانه والاخلاص فيه والنصح لمن يعلمهم . وأذكر أنني سمعته في وقت آخر يقول ينبغي للمعلم الذي يعطى راتبا من الاوقاف الخيرية أن يأخذ اذا كان محتاجا لاجل سد الحاجة لا بقصد الاجرة على التعليم وبذلك يكون عابدا لله تعالى بالتعليم نفسه وعلامته أن يستعفف اذا هو استغنى فلا يأخذ من الوقف شيئا . وقالوا في المؤذن مثل ماقالوا في معلم القرآن ويأتي فيه من القصد والنية ماذكر في المعلم . ولا خلاف في عدم جواز أخذ الاجرة على جواب السائل عن مسألة دينية تعرض له اذ الاجابة فريضة على العارفين وكتمان العلم محرم عليهم وابسط هذه الأحكام موضع آخر . وجملة القول إن أكل أموال الناس بالباطل يتحقق في كل أخذ للمال بغير رضى من المأخوذ منه لاشائبة للجهل أو الوهم أو الغش أو الضرر فيه كالغش بايهام أن قراءة القرآن بالاجرة تنفع المقروء لاجله حيا أو ميتا مع انها معصية كما تقدم وكالضرر العام في الاخلاق والمعاوضات كضرر الربا

بعد ماذكر الاكل مجملا عاما بين نوعا منه خصه بالنهي عنه مع دخوله

في العام لما يقع من الشبهة فيه لبعض الناس اذ يعتقد بعضهم أن الحاكم الذى هو نائب الشارع في بيان الحق ومنفذ الشرع اذا حكم لإنسان بشيء ولو بغير حق فانه يحل له ولا يكون من الباطل فنزل قوله تعالى (وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون) إبطالا لهذا الاعتقاد ليعلم أن الحق لا يتغير بحكم الحاكم بل هو ثابت فى نفسه وليس على الحاكم الا بيانه وإيصاله الى مستحقه بالعدل بل قال الاستاذ الامام «إن الحاكم عبارة عن شخص العدل الناطق بما لكل أحد منه» فاذا نطق بغير الحق خطأ أو اتباعا لهواه، فقد خرج عن حقيقته ومعناه، وتعريفه للمحكوم له غير ما يعرفه لا يغني عنه شيئاً وكذلك إلزام خصمه بالتنفيذ. نعم ان كان المحكوم له بالباطل فى الواقع يعتقد أنه صاحب الحق لشبهة عرضت له وحكم له الحاكم يكون معذورا فيما يأكله بحكمه ولا يعذر اذا كان عالما بأنه غير محق لأن حكم القاضي على الظاهر فقط. قال الاستاذ الامام قد نفت الآية الاشتباه وبينت ان الاستعانة بالحكام على أكل المال بالباطل محرم لان الحكم لا يغير الحق فى نفسه ولا يحله للمحكوم له به ومع هذا فقد اختلف علماؤنا فى حكم القاضي هل هو على الظاهر فقط أم ينفذ ظاهراً وباطنا ويكون الاثم على القاضي وحده ان تعمد الجور دون المحكوم له فالجمهور على أن حكم القاضي ينفذ ظاهرا فقط وأبو حنيفة على أن حكم القاضي بنحو الطلاق وعقد النكاح أو فسخه ينفذ ظاهرا وباطنا وان كان الشهود زورا وحكمه بالمال لا ينفذ الا ظاهرا فلا يحل للمحكوم له تناوله اذا لم يكن له. وأزيد المسألة وضوحا بالتمثيل فأقول يعني أن القاضي اذا حكم بفسخ النكاح أو التفريق بين الزوجين بشهادة زور حرم عليهما أن يعيشا معاً عيشة الازواج واذا شهد شهود الزور بأن فلانا عقد على فلانة

وحكم القاضي بصحة العقد حل للرجل المحكوم له أن يدخل بها بغير عقد اكتفاء بحكم القاضي الذي يعلم أنه بغير حق . وقد نقل النووي في شرح مسلم ان الشافعي حكى الاجماع على أن حكم الحاكم لا يحلل الحرام وقد علمت ان عليه الجمهور ومنهم صاحبا أبي حنيفة فلم يخالفاه الا لانه ظهر لهم قوة دليل الجمهور ومنه حديث أم سلمة عند الجماعة أي الامام أحمد والشيخين وأصحاب السنن وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إنما أنا بشر وانكم تختصمون اليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار » : والمنتصرون لابي حنيفة يقصرون الامر على الاموال لانها الموضوع الذي وردت فيه الآية والحديث كما تراه في لفظ الحديث ولبعضهم فيهما من التحريف ما لا ينبغي أن يحكى ورد الجمهور ذلك بالقاعدة المجمع عليها وهي أن الأبضاع أولى بالاحتياط من الاموال فان لم يتناولها النص بلفظه تناولها بعلته بالأولى . وفي الآية والحديث عبرة لوكلاء الدعاوى الذين يدعون بالمحامين فلا يجوز لمن يؤمن منهم بالله واليوم الآخر أن يقبل الوكالة في دعوى يعتقد أن صاحبها مبطل ولا أن يستمر في محاولة إثباتها اذا ظهر له بطلانها في أثناء التقاضي . واننا لنراهم يعتمدون على خلابتهم في القول ولحنهم في الخطاب ، وما يذكر الا أولو الألباب ،

ومن مباحث اللفظ في الآية أن الإدلاء بمعنى الإلقاء وقالوا انه في الاصل إلقاء الدلو واختير هذا التعبير لانه يشعر بعدم الروية هذا ما اقتصر عليه الاستاذ الامام وفي التفسير الكبير للامام الرازي إلقاء الدلو يراد به إخراج الماء وإلقاء المال الى الحكام يراد به الحكم للملقي وذكر وجها آخر بعيدا . والضمير في قوله تعالى بها قيل إنه يرجع الى الاموال والمعنى لا تلقوها اليهم بالرشوة وقالوا إن

الرشوة رشاء الحكم وقيل ان المراد ولا تلقوا بحكومة الاموال الى الحكام .
والفريق من الشيء الجملة والطائفة منه . والاثم فسره بعضهم بشهادة الزور وبعضهم باليمين الفاجرة وهو أعم من ذلك وان صح ماذكروه في سبب نزول الآية وهو ما أخرجه ابن أبي حاتم من مراسيل سعيد بن جبير أن عبدالله بن أشوع الحضرمي وامرأ القيس بن عابس اختصما في أرض ولم تكن بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف امرؤ القيس فهم به فنزلت . والمراد بالعلم في قوله تعلمون مايشمل الظن وهو احتراس عمن يأكل معتقدا انه حقه ولذلك أمثلة وفروع لاتحصى ذكر الاستاذ الامام منها في الدرس مثل ما اذا علم زيد ان أباه أودع له وديعة كذا عند فلان الذى مات فطالب ولد الميت بذلك وكان هذا يعتقد أن أباه تركه تراثا فمن حكم له به منهما لا يقال إنه أكله بالإثم

وذكر الاستاذ الامام في تفسير الآية ماعليه المسلمون في هذا العصر، لاسيما في بلاد مصر ، من كثرة التقاضي والخصام ، والإدلاء الى الحكام ، حتى ان منهم من لا يطالب غريمه بحقه الا بواسطة المحكمة ولعله لو طالبه لما احتاج الى التقاضي ومنهم من يحاكم الآخر لمحض الانتقام والايذاء وان أضر بنفسه . وكم من ثروة نفدت ، وبيوت خربت ، ونفوس أهينت ، وجماعة فرقت ، وما كان لذلك من سبب الا الخصام ، والادلاء الى الحكام ، ولو تأدب هؤلاء الناس بآداب الكتاب الذي ينتسبون اليه لكان لهم من هدايته ما يحفظ حقوقهم ، ويمنع تقاطعهم وعقوقهم ، ويحل فيهم التراحم والتلاحم ، محل التزاحم والتلاحم ، وانك لترى من أذكيائهم من يزعم أنهم عن هدي الدين أغنياء ، وقد عموا عما أصابهم بتركه من الأرزاء ، فهم بالفسق عنه يتنابذون ويتحاسدون ، ويتنافذون ويتنافدون ، ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ،

﴿ باب الفقه في أحكام الدين ﴾

صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة

جرت عادة الشافعية في الامصار التي تتعدد مساجدها بأن يصلوا الظهر جماعة بعد أداء صلاة الجمعة وقد نشأ صاحب هذه المجلة شافعياً وقلد دينه من تربى بينهم من المنتسبين الى هذا المذهب زمناً فكان يعيد الظهر معهم كما يعيدون معتقداً أن هذا هو مذهب الشافعي ولما قرأت فقه الشافعية علمت أن الاعادة مبنية على قول الامام بوجوب التجميع (إقامة الجمعة) في مسجد واحد وعدم جواز التعدد في الاختيار وان التعدد اذا كان لحاجة بأن عسر اجتماع الناس في مسجد واحد جاز، وانه في حال عدم جواز التعدد تكون الجمعة الصحيحة للسابق وعلى غيره إعادة الظهر . وقد ظهر لي بالاختبار أن التجميع في مسجد واحد يتعذر في مثل مصر لان أكبر مسجد فيها مسجد عمرو وإنك لتراه في آخر جمعة من رمضان مزدحماً بالمصلين والجمعة تصلى في سائر المساجد ومنها ما يكون مزدحماً مثله على أن كثيراً من المكلفين بالجمعة لا يصلون، ومع هذا ترى الشافعية يعيدون صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة في الأزهر وغيره فدلنا هذا على أن إعادة الظهر صار عادة للشافعية وأنهم ليسوا فيها على بينة ولا علم صحيح

وقد وصلت الينا في أواخر رمضان رسالة مطبوعة في بيروت منسوبة الى الشيخ نور الدين الشبراملسي الشافعي المتوفى سنة ١٠٨٧ يقول مؤلفها في أولها إنه قد ذكر بعضهم لحسين باشا حاكم الديار المصرية أن صلاة الشافعية الظهر جماعة يوم الجمعة لا أصل لها قال « فمنع أهل أزهرنا منها ظنا منه صدق القائل، وفضيلة الناقل، والحال أنه إما كاذب أو جاهل، وتحرير المسألة عندنا أن فيها أربعة أوجه الأول وهو الصحيح انه لا يجوز تعدد الجمعة مالم يشق الاجتماع بمحل واحد ولو غير مسجد مشقة لا تحتمل عادة اي يقيناً كما قيد به الشهاب ابن حجر » الخ ثم ذكر ان العبرة فيمن يعسر اجتماعهم بالذين تلزمهم على المعتمد لا من يصلون بالفعل او من تصح منهم او من يغلب حضورهم . والوجه الثاني لا يجوز التعدد مطلقا وذكر أن السبكي انتصر له نقلا ودليلا وصنف فيه اربعة مصنفات وقال انه لا يحفظ عن صحابي ولا تابعي جواز تعددها . ولكنه لم يذكر هل يحفظ عنهم القول بمنع التعدد مطلقاً ؟ كلا انه لم يقل به احد منهم . والثالث ان حال نهر عظيم بين شقي البلد كانا كبلدين

يقام في كل منهما جمعة . والرابع ان كانت قرى واتصلت تعددت الجمعة بعددها

ثم ذكر ان سبب الخلاف عدم إنكار الامام الشافعي على اهل بغداد تعدد الجمعة وكانوا حين دخلها يجمعون بمحلين أو ثلاثة (قال) واجاب عنه جمهور اصحابه بأنه لمشقة الاجتماع لكثرة اهلها وتبعهم الشيخان الى ان نقل عن بعضهم ان مذهب الشافعي لا يحتمل غيره

واننا ننظر في هذه المسألة من جهة مذهب الامام الشافعي ومنه تعلم انه حجة على مؤلف الرسالة في زعمه وجوب الظهر على أهل مصر وعلى من يحتج بها مثل احتجاجه ومن جهة الدليل فقط ومنه تعلم ان سائر المذاهب الاسلامية ارجح من مذهب الشافعية ومن وافقهم في هذه المسألة

اما النص عن الشافعي فقد جاء في مختصر المزني مانصه :

« ولا يجمع في مصر وان عظم وكثر مساجده الا في مسجد واحد منها وايها جمع فيه فبدأها بعد الزوال فهي الجمعة وما بعدها فانما هي ظهر يصلونها اربعا لأن النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده صلوا في مسجده وحول المدينة مساجد لا نعلم احدا منهم جمع الا فيه ولو جاز في مسجدين لجاز في مسجد العشائر »

وجاء في كتاب الام بعد نحو ماتقدم مانصه : وانها جمع فيه اولا بعد الزوال فهي الجمعة وان جمع في آخر ساعة بعد الجمعة كان عليهم ان يعيدوا ظهراً اربعاً :

ثم قال : وهكذا ان جمع من المصر الواحد في مواضع ، الجمعة الاولى وما سواها لا تجزيء الا ظهرا (قال الشافعي) وان اشكل على الذين جمعوا ايهم جمع اولا اعادوا كلهم ظهرا اربعاً (قال الشافعي) ولو اشكل ذلك عليهم فعادوا فجمعت منهم طائفة ثانية في وقت الجمعة أجزأهم ذلك لان جمعتهم الاولى لم تجزءهم وهم اولا حين جمعوا افسدوا ثم عادوا فجمعوا في وقت الجمعة : قال الربيع وفيه قول آخر ان يصلوا ظهرا اه

فهذا نص كتب المذهب الاصلية فأما قول المختصر : لأن النبي (ص) ومن بعده صلوا في مسجده الخ فهو لا يأتي في مسألتنا لان ماحول المدينة ليس منها واذا صح الاستدلال بوقائع الاعيان امكن ان يحتج بهذا على اشتراط التجميع في المصر وجماهير الاصوليين لا يستدلون بها . ومافي المختصر مفروض في قوم ارادوا صلاة الجمعة فعلموا بأن غيرهم قد سبقهم فيجب عليهم الظهر عنده ولا نعرف الآن في البلاد الاسلامية ان قوما

يجمعون بعد العلم بأن غيرهم سبقهم بالجمعة ولو في مسجد آخر وانما يقيمون الصلاة عند الاذان فى عدة مساجد أنشئت للحاجة اليها فى الاغلب ولا نص لهذه المسألة فى المختصر

وعبارة الأم على بسطها لاتخرج عن معنى ما اختصرها به المزني فان قوله الجمعة الاولى وما سواها لاتجزيء الا ظهراً لايستقيم الا في صورة العلم بأن الجمعة أقيمت فيشرع فى الظهر ويوضحها قوله قبلها: وان جمعوا فى آخر ساعة بعد الجمعة كان عليهم أن يعيدوا ظهراً أربعاً: فقوله في آخر ساعة بعد الجمعة تصوير لإقامة الجمعة بعد العلم بانها أقيمت. وأما مسألة الاشكال فهي تظهر اذا اجتمعوا وتحدثوا فظهر لكل فريق منهم ماشككه فى صحة صلاته ولذلك قال إنهم يصلون الظهر وانهم اذا صلوا الجمعة ثانية أجزأتهم لظهور فساد الاولى. فاذا لم نفرض أن كل فريق من المجمعين اجتمع بالآخر واتفقوا على فساد صلاتهم كلهم لايمكن أن نجيز التجميع لطائفة بعد العلم اليقين بأن الجمعة أقيمت اذلو أجزنا هذا لكان المذهب أن الجمعة تصح لاهل المسجد الذين علموا أن جميع المساجد قد جمعت قبلهم فتكون الجمعة للمتأخرين لا للمتقدمين فيتناقض هذا مع قوله: الجمعة الاولى:

فتحرر معنا ان الامام الشافعي يمنع تعدد الجمعة في البلد الواحد فيجب على من اخذوا بقوله ان يجتمعوا فى محل واحد اذا امكن ومن علم منهم بان الجمعة اقيمت ليس له أن يجمع بل يصلي الظهر واذا اجتمعوا واشكل عليهم الامر جمعوا ثانية اوصلوا الظهر. ولم يرد نص فى حال عدم العلم بالتأخر وعدم الاشكال بأن صلى كل فريق ظاناً انه السابق لان الاصل عدم صلاة غيره قبله ولم تطرء له شبهة تعارض الاصل والظاهر انه لايجب عليه اعادة الظهر ولا الجمعة. وربما يستبعد بعض الشافعية قولنا هذا لانه مخالف لما عليه العمل عندهم اذ يصلون الجمعة وهم يعتقدون عدم إجزائها وينوون اعادة الظهر بعدها ولا يوجد نص عن الشافعي ولا عن اصحابه المجتهدين يجيز لاحد ان يشرع فى صلاة وهو يعتقد انها لاتجزئه وكلام المصنفين المقلدين في اجازة ذلك لايعتد به بل ظاهر منع الشافعي لتعدد الجمعة يؤذن بأن الشروع فيها لايجوز على مذهبه الالمن يعلم او يظن انه السابق الذي له الجمعة فان شك بطل احرامه بصلاتها كما هو ظاهر فمن كان مقلداً للشافعي فليتأمل هذا بانصاف ولا يغرنه كلام المصنفين كالشبراملسي

ومن فوقه او تحته فان اكثرهم ينقلون من كتب امثالهم المقلدين ولم يطلعوا على نص الشافعي وهو ماذكرناه لك عن المختصر والام اللذين هما اصل المذهب

ثم ان ماتقدم من نص المذهب صريح في تعدد الجمعة بالاختيار، ولم يقل الشافعي شيئا في حال الاضطرار، وهي ماإذا اتسع المصر وتعذر أو تعسر اجتماع الناس في مكان واحد منه ولكن الاصول العامة عنده وعند سائر الائمة من دفع الحرج والعسر وإجازته تعدد الجمعة في بغداد — إذ اقام فيها سنتين ولم ينقل انه انكر على اهلها التعدد ولا انه كان يصلي الجمعة ثم يصلي عقيبها الظهر — تدل على انه يجيز التعدد لحاجة وقد علمنا من مختصر صاحبه المزني أن دليله على وجوب التجميع في مكان واحد هو فعل النبي وأصحابه وهو على القول بنهوض الوقائع العينية الاجمالية دليلا محمول على عدم الحاجة للتعدد فقد كان مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسع الناس ومن حكم التجميع اجتناب التفرق فأي مسلم يرغب عن الصلاة معه عليه السلام وعن سماع خطبته ويجمع بالناس في مسجد غير مسجده ؟ فالتجميع في مسجد واحد على عهده صلى الله تعالى عليه وسلم كان للحرص على الصلاة معه والتلقي عنه ولموافقة حكمة مشروعية الجمعة وهو الاجتماع وتلقي المواعظ على طريقة واحدة فانه مما يزيد في الوحدة الاسلامية فهو الاصل ولم يعرض من الضرورة والحرج فيه ما يقضي بالتحول عنه . وقد علم مما تقدم انه لا دليل من نص الشافعي ولا من فعله على أنه يجب على من يصلي الجمعة في أمصار المسلمين التي تعددت فيها المساجد للحاجة أن يعيد الظهر بعد صلاة الجمعة فيوطن نفسه على أداء فريضتين في وقت واحد وأن ما قاله في الاعادة هو من قبيل من تبين له بعد الصلاة أنه لم يستكمل شروطها فوجبت عليه إعادتها . وأما ما في كتب الشافعية ومنها رسالة الشبراملسي مما يخالف ذلك أو يزيد عليه فهو من فلسفة أولئك المصنفين الذين لايجوز أحد تقليدهم

وأما النظر في المسألة من جهة الدليل فقد علم بالجملة مما تقدم وإيضاحه أن كلام الامام الشافعي رحمه الله تعالى يؤذن بان الاجتماع في مكان واحد شرط لصحة صلاة الجمعة والظاهر أنه حكمة من حكمها التي تراعى بقدر الامكان ولا دليل على الشرطية فيما نص عليه في المختصر من فعل النبي (ص) والصحابة . ولو كان فعلهم يدل على الشرطية لوجب القول بأن صلاة العيد في الصحراء خارج البلد شرط لصحتها إذ ثبت ان النبي (ص) كان يخرج بأصحابه نساء ورجالا فيصليها فيها . وكذلك كان أصحابه بعده يفعلون والأصل

أن تقام الصلوات في المساجد فالعدول عن المسجد في العيد يدل على أنه مقصود لذاته فلماذا لم يقل الشافعية باشتراط الخروج الى الصحراء لصحة صلاة العيد ؟

ومثل ما ذكر من الاستدلال بالفعل على وحدة المكان استدلالهم على عدد من تنعقد بهم الجمعة فالشافعية والحنابلة على ان أقل عدد تنعقد به الجمعة أربعون واستدلوا بأن المسلمين كانوا في أول جمعة جمعوها أربعين ولم ينقل أنهم جمعوا بأقل من هذا ويرد عليهم حديث الذين انفضوا الى التجارة وتركوا النبي قائماً يخطب وقد صلاها بمن بقي وهم أثنا عشر والحديث في الصحيح عند البخاري ومسلم وغيرهما . وفي الواقعة نزلت آية «وإذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً » وما رواه الطبراني من أنهم انفضوا الا أربعين رجلا ضعيف تفرد به علي بن عاصم من الضعفاء فهذه الواقعة علمتنا أن العدد الكثير إنما كان لكثرة الناس . وما يدرينا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بتعدد الجمعة لو رأى أمصاراً كبيرة يتعذر أو يتعسر على الناس الاجتماع فيها على إمام واحد في مسجد واحد كمصر والاستانة وبيروت . أوليس سكوت أئمة القرن الثاني ومنهم الامام الشافعي على تعدد الجمعة في بغداد دليلا على أنهم ما كانوا يرون بذلك بأساً عند الحاجة . على أن بغداد كانت عند تعدد الجمعة فيها على عهد المنصور حديثة النشأة ولم تكن كمصر على عهد الشبراملسي في الاتساع وكثرة الناس ولا كبيروت الآن . وهي قد تم بناؤها سنة ١٤٩ أي قبل ولادة الشافعي بسنة واحدة والنتيجة ان إعادة الظهر بعد الجمعة في هذه الامصار لاينطبق على قول الشافعي ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس صحيح وان موافقة سائر المذاهب فيها هو المتعين لمن يحب الوحدة الاسلامية والله الموفق

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

عرض أعمال الأمة على النبي (ص)

(س ٩١) عبد الحميد أفندي السوسي بالاسكندريه : أرفع لفضيلتكم هذا السؤال وهو أني سمعت فقيهاً يقول إن أعمال الأمة المحمدية تعرض على الحضرة المصطفوية

كل أسبوع وبالسؤال منه عن الكيفية أجابني بانها تعرض عليه مقيدة في كشف فلم ارتح لجوابه وطالبته بزيادة الايضاح بكل احترام فما كان منه الا أن رماني بالكفر ونهرني (وأنا السائل) وشتمني وصاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام يقول : مابعثت سباباً ولكن بعثت رحمة للعالمين : حصل بيني وبينه ماحصل ولم استفد منه شيئا غير ماتقدم . ولما كنتم فضيلتكم من الذين يجب علينا أن نأخذ الدين عنهم لاعن سواهم عولت على أن استفهم من سيادتكم عن صحة ماسمعته من الفقيه راجياً إجابتي بجواب مؤيد بالدليل كما هي عادتكم مع بسط الكلام عن حكمة العرض وكيفيته ولكم من الله الأجر ومن المؤمنين الشكر

(ج) ان هذا الذي قاله لك من سميته فقيهاً غير صحيح على انه من أمور الآخرة أي من عالم الغيب الذي لايبيح الدين لاحد أن يقول فيه برأيه واجتهاده وانما يجب الوقوف فيه عند النصوص الثابتة عن الشارع فاذا كانت هذه النصوص قطعية كآيات القرآن العظيم كان الايمان بما ورد فيها حكاية عن عالم الغيب واجباً وتكذيبها كفراً واذا لم تكن قطعية كاحاديث الآحاد ولو صحيحة السند لايكون التسليم بها واجبا بأن تعد من أركان الإيمان التي يكفر منكرها فكيف يكفر من يسأل عن كيفيتها وبيانها . نعم إن من ثبت عنده حديث فى ذلك لابد أن يصدقه ويسلم بمضمونه اذا كان ممكنا شرعاً أو عقلا او يحمله على وجه ممكن . ثم إن ماثبت من النصوص عن عالم الغيب يجب أن تؤخذ على ظاهرها أي من غير اجتهاد فيها ولا بحث عن كيفية مالم يرد في النصوص ولا بيان كيفيته فاذا فرضنا أن عندنا آية على أن الأعمال تعرض عن النبي (ص) بعد موته لم يكن لنا أن نسأل عن كيفية العرض لانه من عالم الغيب الذى لانعرفه وانما نؤمن بما جاء فيه عن الله تعالى لانه جاء عن الله تعالى ؛ وهذا لايمنعنا عن البحث فى فائدة اخبار الله تعالى به اذ ليس فى الدين شيء الا وهو لمنفعة الناس واصلاح حالهم . ولو كانت مسألة عرض الاعمال على النبي (ص) بعد موته من قواعد الايمان التي يكفر منكرها لما خلت كتب العقائد من ذكرها ولكن هؤلاء الشيوخ قد تعودوا على تكفير كل من يعارضهم في مسألة دينية كأن الدين من مقتنياتهم يهبونه لمن شاؤا ويمنعونه من أرادوا وقد يكون بعضهم أجدر بالكفر لكذبه على الله وتكفير المؤمنين

هذه المسألة لم ترد في كتاب الله تعالى ولا في أحاديث الصحيحين أو السنن أو المسانيد وانما ورد فيها خبر آحادي مرسل عن بكر بن عبد الله المزني عند ابن سعد وهو « حياتي خير لكم ووفاتي خير لكم تحدثون فيحدث لكم فاذا أنا مت عرضت على أعمالكم فان رأيت خيراً حمدت الله تعالى وان رأيت شراً استغفرت الله لكم » وورد بلفظ آخر وقد اختلف العلماء في الاحتجاج بالحديث المرسل في الاحكام العملية فذهب بعضهم كالشافعية الى انه لايحتج به فكيف يجعل حجة في العقائد وأصول الايمان على أن هذا معارض بمثل حديث عائشة عند البخاري اذ قالت وارأساه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ذاك لو كان وانا حي فأستغفر لك وأدعو لك » الحديث وهو أصح سنداً ومسند لاخلاف في الاحتجاج به . ثم ان الرواية المرسلة ليس فيها بيان للكيفية التي ذكرها فقيه السؤال ولا للتوقيت بالاسبوع فهو مفتات على الدين وعلى عالم الغيب . أما حكمة الاخبار بعرض الاعمال على تقدير سلامته من المعارضة ومايمنع الاحتجاج به فهي أن المؤمن بذلك اذا تذكره يكون من أسباب احجامه عن السيئات حياء من الرسول مع الحياء من الله تعالى

حكم حلق اللحية

(س ٩٢) أحد القراء في (الجزائر) ماقولكم خلدت افادتكم في حكم حلق اللحية

(ج) هو مكروه والاصل فيه التخنث بالتشبه بالنساء

حكم تعليق الوسامات في الصدور

(س٩٣) ومنه : وماقولكم في حكم تعليق النياشين والوسامات في الصدور خصوصاً المهداة من الدول الاوربية

(ج) ينظر في التحلي بهذه الاوسمة المعروفة بالنياشين من وجهين احدهما مادتها فاذا كانت ذهبا أو فضة فالمذاهب الاربعة متفقة على تحريم تعليقها على الرجال وقد تقدم في جواب السؤال السابع والخمسين من الجزء الحادي عشر من هذا ماورد في ذلك وحكمته . وثانيهما معناها وطريق الوصول اليها وما أنشئت لاجله وتأثير ذلك في حاملها وفي الناس وهذا لم يرد فيه شيء في السنة لانه من المحدثات بعد التشريع فالحكم فيه راجع الى قاعدة تحريم كل ضار واباحة كل نافع ونعني بالمباح هنا مايقابل المحرم

والمكروه . واننا نعلم ان هـذه الاوسمة قد وضعت فى الاصل لتكون سمة وعلامة تميز من يخدم دولته وأمته خدمة جليلة ليرغب غيره فى مثل تلك الخدمة حبا بالامتياز الذي هو ركن للشرف ركين وهـذا شيء يختلف باختلاف البلاد والاشخاص واننا نرى ان نيل هذه الاوسمة وكذلك رتب التشريف التي تقارنها غالباً قد خرجت فى هذه البـلاد وفى الدولة العثمانية عن وضعها وصار الناس يتوسلون الى نيلها بالمال وبسيئات الاعمال حتى عرف الخاص والعام ان لها سماسرة في مصر والاستانة وان لها أثمانا معينة تختلف باختلاف درجاتها وأسمائها وأن بعض الاعمال السيئة كالتجسس والسعاية قد تغني عن المال في ذلك . ولاشك أن ابتغاء هذه الوسائل الخسيسة الى مثل هذا الشرف الوهمي من الاعمال المحرمة فى الدين القبيحة فى نظر العقل . وللحكومة المصرية اصطلاح فى اعطاء الرتب والاوسمة للمستخدمين فيها وهي أنهم يعطون على حسب درجات وظائفهم وأنواعها ويطلبها لهم رؤساؤهم فلا يبذلون فى ذلك مالا ، ولا يقدمون للقصور أعمالا ،

ثم اننا نشاهد لها في هـذه البلاد مضرات اخرى فى الأخلاق والاقتصاد فان بعض محبي الفخفخة يبيع مايملك ليشتري رتبة او وساماً حتى افتقر بعضهـم ونرى من ينال منها شيئا يدخل غالباً فى طور جديد من السرف والخيلاء ومنافسة القرناء بالباطل حتى يحملهم على السعي فى مساواته او مساماته . وكثيراً مايقع التنازع والتعادي فى النسب والصهر للتفاوت العارض بينهم بأخذ بعضهم رتبة او وساماً دون عشيرته وكل هذه مفاسد محرمة وقد بلغتنا وقائع منها لاسيما بين نساء العشيرة فان المرأة التي ينال أبوها او أخوها وساماً او رتبة أولقب (بيك) يسرع اليها الصلف والتكبر على زوجها ويتلوه الشقاق فالفراق او يسعى الزوج في مساواة ابيها فى ذلك . ومن هـذه المضرات تعالي الوضيع برتبته او وسامه على الرفيع بفضله وعلمه اومجده وشرفه حتى تبرم الفضلاء ، وتبظرم السفهاء ، وصرنا نرى في الناس من يلهج بذم هذه الزينة الباطلة وذم باعتها ومشتريها وسماسرتها . وعندي انه لم يبق لهـذه الرتب والاوسمة من الشرف في الشرق الادنى الا بقية في رؤساء الجند وما كان من جمعيات أو ، بالعلمية

أما حكم هذه الأوسمة من الدول الأوربية فهو تابع لسبب إعطائها فان كان من

يعطاها قد خدم الدولة الاجنبية خدمة جائزة شرعا بان كانت نافعة غير ضارة بأمته ولا بلادها فلا يحظر حمله الوسام من هـذا الوجه الا اذا كان مرغبا في خدمة الاجنبي ولو بغير حق وسبباً للاعتزاز به من دون الحق . وان كانت الخدمة غير جائزة شرعا فلا شك ان حمل الوسام يكون آية على الاصرار ودوام الرضى بالذنب وان المعصية الصـغيرة لتكون بالاصرار عليها كبيرة

(اللباس الرسمي وكساوي التشريف)

(س ٩٤) ومنـه : وما قولكم في اتخاذ الولاة والحكام لباساً رسمياً خصوصياً «كالبرنس الاحمر عندنا» وتحلي العلماء والوجهاء بالكساوي التشريفية أفيدونا مأجورين

(ج) ان الاسلام لم يشرع للناس لباساً خاصاً ولم يحظر عليهم زياً من الازياء فلكل فرد ولكل صنف أن يلبس ما أحب واختار إلا ما ورد في لبس الحرير والذهب والفضة وقد تقدم شرحه في الجزء الحادي عشر، وما ورد من النهي عن لباس الشهرة وتقدم أيضاً . وأنت تعلم أن هذا اللباس تابع للرتب بل هو مظهرها ومجلاها وقد علمت ما فيها، ونزيد هنا التذكير بما ألمنا به من قبل من أن الدولة العثمانية قد أخذت ملابسها الرسمية عن الروم وأقدمها ملابس العلماء وهي مرتبة على نحو ترتيب الروم في أزياء البطارقة والقسيسين وهو ما يسمونه ملابس الكهنوت المطرزة أو الموشاة بالذهب والفضة وأعلاها الحلة البيضاء التي يلبسها بطريق القسطنطينية في المواسم والأعياد وهي في الدولة لشيخ الاسلام وقد أشرك السلطان معه الشيخ أبا الهدى في السنة الماضية . ومن مفاسد السياسة أن العلماء صاروا يتنافسون في هذه الملابس مع اتفاق مذاهبهم على تحريم التحلي بالذهب والفضة في اللباس وغيره وتحريم التشبه بغير المسلمين في الشعائر الدينية ونحوها وهم مع ذلك يحرمون لبس القلنسوة المعروفة بالبرنيطة مطلقاً على أنها ليست لبوساً دينياً وقصارى ما قال فقهاؤهم في قصد التشبه بالكافر في غير أمور الدين إنه مكروه ولم يقولوا إنه محرم فليحظروا على أنفسهم مايسمونه كساوي التشريف (الكسوة بالضم ويكسر اللباس ج كسى) أولا ليسمع قولهم فيما هو دونها، والبرنس الأحمر المعروف عندكم خير من الجبب المفضضة والمذهبة عندنا اذا لم يكن مثلها او من الحرير المصمت والله أعلم

القسم العمومي

فرنسا والأزهر

نشرت جريدة الاجيبت الفرنسية التي تصدر في القاهرة مقالة عنوانها (فرنسا والازهر) في العدد الصادر في ٢٤ نوفمبر الماضي فأحببنا نشر ترجمتها في المنار ليعرف أهل الازهر ما يقول فيهم كتاب الافرنج ويعتبر بما فيها سائر المسلمين وهي

حدث في الازهر أخيراً أن رجلا معتوها أطلق الرصاص على شيخ رواق المغاربة فتنبهت لهذا الحادث صحف فرنسا واهتمت بالبحث في شؤون ذلك الفريق المخصوص الذي يعيش وراء الجدران الصامتة في تلك الكلية الإسلامية الجامعة. ونحن نغار على كل ما يمس جاه فرنسا ونفوذها في تصديها لإدخال الحضارة في ربوع المشرق ونهتم بكل ماله علاقة بالوظيفة التي أخذت على عاتقها القيام بها في تلك الاقطار فلذلك لم يكن يسوغ لنا أن نترك هذا الحادث المحزن من غير أن نخوض في موضوعه ونتكلم في عواقبه فانه مرتبط بعلائق فرنسا بالمشرق أشد الارتباط

لا يصح لمن يعيشون بقرب هذه المدرسة أن لا يعبأوا بأي أمر يتعلق بها فان في وسعهم أن يعرفوا مقدار تأثيرها في العالم الاسلامي . هذه المدرسة في نظر الباحث المدقق كسياج للافكار الاسلامية لكونها في القاهرة أعظم عواصم الاسلام مدنية وحضارة وبالقرب من ضريح الامام محمد بن إدريس الشافعي أحد أصحاب المذاهب الاربعة . بل نقول تقريباً للحقيقة من أفهام الغربيين ان للأزهر في بلاد المشرق تلك المكانة التي أحرزتها في الزمن الغابر مدرسة بولونيا الكلية حينما ورث عواهل المانيا صولجان قياصرة الرومان، وسيف الامبراطور شارلمان، بل هي كمدرسة السوربون في فرنسا أيام رفع افاضل العلماء فيها نبراس الافكار، فأضاء تلك الاقطار، بما جددوا من معارف اللاتينيين ومحوا من تلك الظلمات المتراكمة التي أحدثتها غارات البرابرة. اذا كان جميع المسلمين يولون وجوههم شطر المسجد الحرام فكذلك الغيورون على مصلحة المسلمين في الاستقبال قد جعلوا الأزهر قبلة للاماني وكعبة للآمال

نعم ان الذي يمر بالازهر اليوم ولم يكن قد أوتي شيئاً من العلم والفطانة ، أو البصيرة والرزانة، لا يرى في هذا البناء الذي علته الشرفات العربية، وازدان بالحجرات المغربية، الا آثار مدنية قديمة غادرها الزمان في سبات عميق فليست في الاموات ولا

في الاحيا، كما كانت بزنطية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية حين ضرب عليها التصوف رداءه وأحاط بها التقشف من كل مكان، فان مايدور فيها من الجادلات العتيقة العقيمة في العلوم التي يسمونها الوسائل والعلوم التي يسمونها المقاصد لاتسفر عن وجه يشعر بجدد الحياة. ولكن من يسبر الاشياء بمسبار الروية، وينظر الى الامور بعين البصيرة، يري فى هذا الجمع المتكاثف وبين اولئك الطلبة الذين يدرسون ويشتغلون كامثالهم فى كليات أمريكا اهتزازات تدل على حياة جديدة ويجد فى نفسه انتعاشاً يشعر بنشأة أخرى ولكن هذه الاهتزازات الحيوية مستورة بالسكينة والوقار مغشاة بما امتاز به الشرق من التجرد وعدم المبالاة. ذلك أن بعض سروات المسلمين الذين لابسوا أهل أوربا وعلموا أن مدنيتهم قائمة على أساس العلم والتربية تبرعوا بأموال طائلة ونصبوا لاولئك الطلاب المنقطعين للرياضات وأنوار التجلي أساتذة من الذين نبغوا فى مدارس أوربا ليبثوا بينهم علومنا العصرية ومعارفنا الحديثة بحيث قد جنحت المدنية الاسلامية جنوحاً ظاهراً للاستقاء من معارفنا والامتزاج بنا بدلا من أخذ الاهبة وحمل السلاح لمكافحة المدنية النصرانية فهى لنا بمثابة الاخت الصغرى ونهضتها هذه تشابه نهضة تجدد المعارف اللاتينية فى أوربا مشابهة تامة تدعو الى العجب والدهشة ولكنها متأخرة عنا بستة قرون هي المدة بين نهضة المسلمين (الاولى) ونهضتنا وليس يخشى عليها غير خطر واحد هو أن تتبلور عقول أهلها تبلورا صوفيا تجريديا والدافع لهذا الخطر والواقي منه هو الازهر فان حركته الذاتية تسير ببطء فى طريق كافل نيل المرام ولن يتخلف الازهر عن الوفاء بما نيط به مادام المهيمن عليه من أولئك الذين انفتقت أذهانهم بالافكار العصرية

أسهبنا فى شرح مقدمة الموضوع الذي نتوخى الخوض فيه وما ذلك الا لأنه كان من الضروري بيان درجة الازهر ومكانته العليا فى عالم الاسلام وماله من الشأن الكبير فى مزج المدنيتين وهو أمر واقع بلا شك فى يوم من الايام على سواحل البحر الابيض المتوسط. ومن المعلوم أن فرنسا وانكلترا هما الدولتان العظيمتان اللتان لهما السيطرة على كثير من بلاد الاسلام ولذلك أوجبت هذه المكانة على تينك الامتين الكريمتين فرضاً لا يمكن سقوطه بكرور الزمان ألا وهو السعي المتواصل في دوام تحسين العلاقات الفكرية

والعلمية التي وصلت بنفسها عالم الشرق بعالم الغرب وأخص فرنسا التي قد اكتسبت من عهد قريب مكانة راجحة في مراكش فانها لا ينبغي لها بإزاء الامم الاسلامية ترك ما هو محتم عليها بمقتضى الروح الساري في جثمانها وما هو مدون في تاريخها أعني وظيفتها التي هي حماية الامم المستضعفة ونشر ألوية الحرية والاخاء في ربوعها

فاذا نظرنا الى فرنسا وجدناها على رأس مملكة إسلامية فسيحة لها شأن عظيم وقيمة غالية وهذه المملكة تمتد من تونس الى سنغا مبيا على سواحل البحر الأبيض والمحيط الاطلانطي وقد ازدادت هذه المملكة بدخول مراكش في دائرتها فليس لفرنسا إذن ان تحتقر اية وسيلة لرفع شأن الحضارة الاسلامية في مملكتها الشاسعة الاكناف البعيدة الاطراف بل عليها أن تبذل كل ما في وسعها لتجعل لها على العالم الاسلامي نفوذاً عقلياً يكون لها من ورائه فوائد يا لها من فوائد لا تذكر بجانبها مزايا ماتراه من التودد لها في بطانة صاحبي تونس وفاس فيعود ذلك عليها بالنفع أمام ذلك المجتمع العظيم الممتد على سواحل أفريقية المتألف من قبائل متغايرة وشعوب متنافرة .

وليس الازهر بأقل ضمانه أو أقل فعلا من غيره من الوسائل التي يجب على فرنسا استخدامها لزيادة نشر نفوذها الأدبي التمديني في العالم الاسلامي المستقر في مملكتها الافريقية . فحينئذ نرى أن فرنسا قد نيطت بها بطبيعة الحال وظيفة يجب عليها أن لا تخل عنها وذلك أنها بصفتها وارثة لملوك تونس فليس لحكومتها الجمهورية أن تنسى أن الباي محمد صاحب تونس هو الذي أسس في حدود سنة ٨٠٠ للهجرة رواق المغاربة في الأزهر وما يتبعه من الاوقاف وخصصه لاقامة ومعيشة رعاياه من أبناء المغاربة الذين يرحلون من بلادهم لطلب العلم بالأزهر مجذوبين الى هذه المدرسة التي هي كنبراس للعلوم الاسلامية قد أرسل أشعته وأنواره على الأقطار والأصقاع كافة

ثم جاء عبد الرحمن باي تونس (يقول المترجم هذا خلط مع المرحوم عبد الرحمن بك كتخدا اذ ليس في بايات تونس عبد الرحمن المذكور) وجم غفير من أبناء الغرب مثله زادوا على توالي الزمان في الأوقاف المخصصة لرواق المغاربة بالازهر فلما انحلت عرى الجامعة وتضعضعت اركان الدولة الاسلامية انمحت الآثار وضاعت الرسوم وانسدل على أمور الازهر حجاب من النسيان فاغار أبناء طرابلس على رواق المغاربة وجعلوا

أنفسهم أصحاب الاستحقاق حتى ارتفع بعد ان لم يكن شيئاً مذكوراً عدد الطلبة منهم فى أيامنا هذه الى ٥٠ مجاوراً من ١١٨ مغربياً وربما كان السبب فى زيادة نسبتهم كون بلادهم ملاصقة لديار مصر أو زيادة العناية من المشايخ الطرابلسيين فاذا كان هـذا الأمر مضراً بمصالح الرعايا المستظلين باللواء الفرنسي من المراكشيين والجزائريين والتونسيين الذين يجاورون بالازهر أو يترشحون لذلك، فلا ريب فى أنه مضر أيضا ضرراً بليغاً بصوالح فرنسا إذ يحرمها من وسيلة فعالة في نشر نفوذها الادبي والتهذيبي بين الامم الاسلامية العائشة في ممالكها الافريقية

ولا يصح لنا ان نغفل عن كون السلطان عبد العزيز سلطان مراكش بصفته مالكي المذهب يعتبر فى قسم عظيم من أفريقية الشمالية انه هو النائب الشرعي الاكبر للجماعة اي جماعة اهل السنة من المسلمين وليس لنا ان ننسى ايضا من جهة اخرى اننا اذا صرفنا النظر عن الشافعية وهم السواد الاعظم من المجاورين ولكنهم كلهم من اهل هذه الديار نجد ان الحنفية المتبعين للمذهب السائد في المشرق والمالكية اي المنتمين لمذهب امام دار الهجرة وهو الشائع في المغرب يبلغ عددهم ٧٢ و٧٧ (فى المئة) وفي ذلك دليل على ان اواصر القرابة الروحية بين الازهر والامة الاسلامية بأفريقية الفرنسية هي كثيرة الالتئام متينة الإحكام بحيث لا يجوز التغاضي عنها لمن اراد ان يقوم بسياسة الدخول والامتزاج فى افريقية الشمالية الغربية وجعل المهارة قائده والاحتراس رائده ليفوز من عمله بالقسط الاوفر ويتكلل مسعاه بالنجاح الاوفى . ليس من نيتنا ان نداخل بأي وجه كان في امور الازهر الداخلية فاننا نعلم مقدار تعلقه بما له من الاستقلال ومحافظته على كيانه مع خراب سائر النظامات الاهلية الاخرى ولذلك نعلم انه ينظر شزرا وغضبا الى كل تداخل اجنبي في شؤونه الخصوصية

نحن نظن أن الاستاذ الاكبر فى الازهر لا يخطئنا فى زعمنا الذى نراه وفى دعوانا التي ندعيها وذلك انه طالما جاهر الناس ونادوا على رؤوس الاشهاد ان فرنسا لها وظيفة مقدسة فى المشرق وهى حماية طائفة الكاثوليك وهم لا يتجاوزون بضعة الآلاف عداً فمن باب أولى يجوز لنا أن نقول ان على الجمهورية فى البلاد الاسلامية واجباً أقدس وفرضاً ألزم الا وهو حماية المسلمين ايضاً وعددهم يتجاوز الملايين .

ان حكومة الجمهورية الفرنسية تنفق الاموال الطائلة لاستمرار المدارس النصرانية في بلاد المشرق فهل تكون مخطئة اذا طلبت من الاستاذ الاكبر ومفتي الديار المصرية الاذن في الجري على سنة الملوك والاغنياء المغاربة الذين آلت اليها ممالكهم واملاكهم وذلك بأن تجعل في ميزانيتها اعانة سنوية لتكون بمثابة وقف على رواق المغاربة في الازهر

لاريب ان مشايخ الازهر لا يرفضون الوسائل التي يكون من ورائها اقبال الطلاب على دروسهم وزيادة من يتلقى العلم عنهم فتنتشر تعاليمهم بفضل عناية الجمهورية الحرة الكريمة الشيم فتزيد نفوذ فرنسا الادبي في شمال افريقية الغربي

وبذلك ينتهي ايضا الخلاف القائم الآن بين طلبة الرواق وشيخهم الحالي الذي يتهمونه بتوزيع النصيب الاعظم من الايراد على ابناء وطنه ومن اخص المزايا التي تنتج عن هذا العمل تسهيل الامتزاج بين مسلمي سواحل بحر الروم الجنوبية وبين المدنية الغربية وبذلك الامتزاج يمكن تحقيق تلك الاماني الجسام وتجديد مارآه التاريخ في سالف الايام من مآثر المفاخر وآثار الفخار التي تولدت في العالم باسره واضاءت الكون كله حينما انقادت ازمة الاحكام بأيدي العرب الامجاد في اسبانيا وصقلية فأدهشوا الدنيا بما ابتكرته قرائحهم الصافية من عجائب الغرائب وروائع البدائع اه

(المنار) لقد بالغ الكاتب في بعض ما كتب وكان دقيق النظر في بعضه والروح الذي كان مستحوذاً عليه هو روح الغيرة على دولته ودلالتها على طريق لما تحاوله من استقرار السلطان في الممالك الاسلامية المغربية • وقد تجاوز كتاب الفرنسيس في هذا الصدد حدّ الكثرة في الآراء والافكار ولا نكاد نرى فيهم من يحز في المفصل ولو اهتدوا الى استشارة أهل الرأي الصحيح من المسلمين المخلصين للاسلام دون تحيز الى أمرائه وسلاطينه واطمأنوا لهم لكان لهم من رأيهم نبراس يهتدون به الى الجادة • يتوهم هؤلاء الكتاب البلغاء والساسة الاذكياء ان خلابة القول وزخرف الدعاوى يؤثران في نفوس المسلمين حتى يبلغ القائل منها مايريد من التأثير العقلي والأدبي ولعلي لو نصحت لهم أستفيد الظنة وتكون مجلتي في مستعمراتهم تحت المراقبة على الاقل ولكنني استأذنهم في كلمة مبنية على الاختبار الصحيح بعيدة من نزغات السياسة ومفاسدها وخداعها وخلابها

وهي انه لاسبيل لفرنسا الى الوفاق الصحيح مع المسلمين الا بمساعدتهم في مستعمراتها على التعليم الاسلامي ثم العصري وإطلاق الحرية لهم في الدين والفكر، دون الفحش والنكر، وليعتبروا بسيرة انكلترا في مستعمراتها ويعلموا انه يتسنى لهم ان يزيدوا عليها نفوذاً معوياً في العالم الاسلامي اذا هم زادوا عليها في حرية التربية والتعليم ومن لوازمها حرية المطبوعات والجرائد

نقول هذا حباً بأبناء ملتنا اولا وحباً بالاحرار النافعين للبشر ثانياً واعتقاداً منا بأن وفاق الحكومة الفرنسية مع اهل الجزائر وتونس ظاهراً وباطناً خير للفريقين من الخضوع لجبروت القوة والسلطان الذى ينفع القوي الحاكم ابتداء والضعيف المحكوم اخيراً اذ الشدة هي اعظم مرب للامم والشعوب. وانما كان خيراً لهما معا لانه يجمع بين منفعة الفريقين فى الحال والاستقبال . وقد لاح لنا ان فرنسا انشأت تشعر بأن هذا هو الرأي الصواب وانما نحن نذكرها بأن الاقناع به يجب ان يكون بالعمل دون القول ومدح الحكومة الجمهورية بالانتصار للضعفاء والتحرير للمستعبدين. ويجب ان يكون العمل في الجزائر ثم فى تونس لافي مصر فانفاق الف دينار على التعليم فى الجزائر مع الحرية الدينية التامة هو اقوى تأثيراً من اعطاء مليون دينار للازهر واشد اقناعاً حتى لاهل الازهر بحسن نية فرنسا وانتفاء الخطر على الاسلام نفسه في تسلطها على المسلمين

أما النظر في المقالة من الجهة السياسية فقد كتبت مقالة فى المؤيد الصادر في ٣٠ رمضان جاء فيها بعد ذكر أمهات مسائل المقالة ملخصة مانصه:

وفي هذه المقالة وجوه من العبر اهمها المقابلة بين فرنسا وانكلترا التي اعترف الكاتب بأنها ضريبة فرنسا في نشر الحضارة في المشرق والنفوذ في العالم الاسلامي

أما انكلترا فقد احتلت مصر منذ نحو ربع قرن وعظم نفوذها فيها مع عدم اعتراف أوروبا لها بذلك حتى كان الوفاق الفرنسي الانكليزي وأذعنت أوربا للاحتلال تبعاً لفرنسا ووعدت بعدم التعرض له ومع ذلك لم نر من انكلترا تعرضاً للازهر ولا ميلا لنشر نفوذها فيه كما نشرته في جميع مصالح الحكومة المصرية ولم يقم من ساسة الانكليز وكتابهم من يطالب حكومته باستعمال الازهر للتأثير في العالم الاسلامي

وأما فرنسا التي كانت تعارض الاحتلال خوفاً منه على ضياع مصالحها ونفوذها في مصر فأنها ما أمنت على هذه المصالح بالوفاق الاخير مع انكلترا حتى قدح ساستها زناد الفكر في استنباط الوسائل لبث نفوذها في أعظم معهد للتعليم الاسلامي وجعله آلة لنشر نفوذها العقلي والأدبي في المسلمين والشرق ولعلها تريد أن تؤيد العلم والحضارة فيه كما أيدتهما فى الجزائر ولو كانت هي المحتلة فى مصر فماذا كانت فاعلة بالازهر ؟

اذا كان كاتب تلك المقالة لايشك فى قبول مساعدة مشايخ الازهر لفرنسا فاننا نحن نقطع ونجزم بعدم قبولها بالقصد الذي اقترحه . وأما اذا قدمت الاعانة المالية للازهر على أن تتصرف فيها ادارة الازهر كما تشاء من غير أن يكون لفرنسا حق فى كيفية صرفها ولا فى السؤال عن حالة مجاوري المغاربة وملاحظة احوالهم أو تعليمهم فيحتمل ان يقبلها فضيلة شيخ الجامع كما يقبل سائر الاعانات والمساعدات من المتبرعين . واذا كانت فرنسا تحب أن يكون لها نفوذ عقلي ادبي فى مسلمي مملكتها الافريقية المتحققة والمأمولة فلتطلق للمسلمين فى الجزائر حرية العلم والتعلم من غير مراقبة ولتساعدهم على ذلك بالفعل ليظهر له أثر في الوجود يوثق به لبعده عن نزغات السياسة والا كانت هذه الاقوال والاقتراحات مثاراً لسوء ظن المسلمين بفرنسا وجزمهم بأنه لاتوجد دولة اوروبية ناصرة للحرية الدينية والعلمية غير انكلترا فالأقوال والدعاوى لا تقنع أحداً وإنما العبرة بالأعمال (م ٠ ر)

آثار علمية أدبية

﴿تفسير ابن جرير الطبري - انتقاد شواهده فى الطبعة الاولى﴾

الى السيد المحترم منشيء مجلة المنار الغراء

السلام عليكم ورحمة الله أما بعد فقد كاد يركز في الطباع ان نقد المطبوعات من دلائل الحياة فى الامم وشعر كل من أقدم على نشر كتاب ان إظهار أغلاطه من دلائل العناية به بعد أن كان ذلك ثقيلاً على النفوس والاسماع شأن الحق عند من لا يريده ولما كنت ممن يرون وجوب النقد وإصلاح الخطأ ليحترس كل طابع فيما ينشر وكل مؤلف فيما يكتب جئتك راجياً نشر كلمتي هذه .

ظهر في عالم المطبوعات كتاب جليل لامام عظيم ذلك تفسير محمد بن جرير الطبري كتاب طالما استشرفت الانفس الى قراءته واقتباس فوائده

اقتنيت هذا الكتاب وشغفت بمطالعته فوجدت له كثيرا من الامتياز على غيره من كتب التأويل ومن ذلك انه جمع فيه مايقرب من ألف وتسعمائة شاهد من منظوم العرب الذين يحتج بهم في اللغة العربية فزادني ذلك فيه حبا •

ولكن كانت تداخلني الريبة في كثير من الشواهد لاستغلاق معانيها او اعوجاج مبانيها فعنيت بجمعها وترتيبها على حروف المعجم ثم شرعت اقابلها على أصولها في كتب اللغة ودواوين العرب فهالني ان وجدت مايقارب النصف محرفا عن أصله في ذلك تحريفاً يخل باللفظ والمعنى ومنه مايخل بالوزن وكنت رأيت على أول صفحة من الكتاب ان الكتاب صحح بعناية جمع من أفاضل العلماء ووجمت شواهده على مظانها ولكن كذب الخبر الخُبْر • فعمدت الى نسختي فصححتها ثم رأيت من الواجب على ان أعلن ذلك على صفحات مجلتكم الغراء لأمرين أولهما أن يصحح مقتنو الكتاب ما عندهم من نسخه ثانيهما أن يعرف الطابعون أن وراءهم من ينقب عن أغلاطهم لعلهم يهتمون بالتصحيح فعلا لا قولا وها أنا ذا أبدأ اليوم باربعة وثلاثين شاهدا وسأوافيك بمابقى ان شاء الله • (محمد الخضري)

الشواهد من معلقة طرفة

(١) تبارى عتاقا ناجيات وأتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد

جاء فى الجزء الاول (ص ٥٢) وكتب هكذا : تبارى عنان الناجيات : الخ

(٢) كأن كناسى ضالة يكنفانها وأطر قسى تحت صلب مؤيد

ورد في الجزء الثلاثين (ص ٤٢) وكتب الشطر الثاني هكذا: واظرف شيء الخ

(٣) الا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

وورد في ثلاثة مواضع آخرها فى الجزء الثلاثين (ص) وكتب بدل الزاجرى – الراجزى –

(٤) أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد

ورد فى الجزء الثلاثين (ص ١٥٤) وكتب بدل يعتام – يغتام – بالغين المعجمة والمتشدد كتب بدلها المتشدذ بالذال المعجمة آخر الحروف ووضع كلمة النفوس بدل الكرام فى الشطر الاول

(٥) لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد

فى الجزء الاول (ص ٣٦٠) ووضع بدل كلمة وثنياه ـ وتذساه ـ ولذلك استعصى المعنى على المصحح فأحال على عدد (٧) وياليته احال على المعلقة فيعرف ماخفى عليه

﴿ من دالية النابغة ﴾

(٦) وقفت فيها أصيلا لأسائلهـا عيت جوابا وما بالربع من أحد

الا أوارىّ لأيا ما أبينهـا والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

جاء البيتان فى خمسة مواضع الاانهما جاء في بعضها تامين وفي بعضهما مقتصراً فيهما على ماإليه الحاجة ففي الجزء الاول (ص ٦٠) كتب الشطر الأول من البيت الثاني هكذا :

* الا أوارى لايا ما ٧ أبينها * وكتبوا أسفل الصفحة: هكذا بيت بالاصل وهو كما لايخفى لامعنى له فلينظر :

وفى الجزء الاول (ص ١٨٠) كتب هذا الشطر بعينه: * الا أوارى لايام ابينها* ولم يعقب عليه هنا ولعله فهمه

وفى الجزء الخامس (ص ١٦٤) وضع الشطر ولكن المصحح لم يفهمه فوضع وسطه عدد (٧)

وفي الجزء الحادي عشر (ص ١٠٩) وضع بدل كلمة لأيا ـ لأبا بموحدة ولعله فهم هنا المعنى فترك البيت من غير تعقب

وفي الجزء الثلاثين (ص ١٢٦) كتب الشطر الثاني من البيت الاول والأول من الثاني هكذا :

وما بالربـع من أحـد الا أواروي لأبا ماأتيتها ـ (فنعوذ بالله)

(٧) من وحش وجرة موشىّ أكارعه طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

ورد فى الجزء السابع (ص ١٦٩) والشطر الاول هكذا :

* من وحس وجوه موسى أكارعه *

ولا ندرى كيف فهمه المصحح وأين غاب عنه عدد (٧)

(٨) الا سليمان اذ قال المليك له قم فى البرية فاحددها عن الفند

وخيس الجن انى قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

البيت الاول ورد في الجزء الاول (ص ٢٢١) وكتب في آخره: على الفند: وهو خطأ وجاء الثاني فى الجزء الثالث عشر (ص ٥٤) وكتب الشطر الثاني هكذا ـ يبنون تدمي الخ واشتبه المعنى على المصحح فاحال على عدد (٧)

(٩) لاتقذفني بركن لا كفاء له وان تأثفك الاعداء بالرفد

ورد في الجزء الثلاثين (ص ١٩٨) وكتب الشطر الثاني هكذا: ولو تؤثفك الخ وهو غلط في الرسم يحرف المعنى

***

(١٠) أزف الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

في الجزء السابع والعشرين (ص ٤٣) وكتب أول الشطر الثاني هكذا (لمايزل)

(١١) غنيت بذلك اذهم لي جيرة منها بعطف رسالة وتودد

في الحادى عشر (ص ٦٥) وورد الشطر الثاني هكذا ـ منها تعطف وتناله وتودد ـ واحيل على عدد ٧

(١٢) والبطن ذو عكن خميص لين والنحر تنفجه بثدى مقعد

في السادس (ص ٤٨) وكتب الشطر الثانى هكذا ـ والبحر منفحة يدى مقعد ـ (نعوذ بالله)

(١٣) تجلو بقادمتى حمامة أيكة برد أسف لثاته بالاثمد

في التاسع عشر (ص ٦٠) وكتب هكذا

نحلوا بقادمتى جماعة أيكة بردا أسف لثاته بالاثمد

(١٤) تخب إلى النعمان حتى تناله فدى لك من رب طريفي وتالدى

في الاول (ص ٤٧) وقد كتب الشطر الثاني *فدى لك من رب تليدى وطارفى* وهو تحريف لان القصيدة دالية وقبل البيت

فلا بد من عوجاء تهوى براكب الى ابن الجلاح سيرها ليل قاصد

***

(١٥) اريني جوادا مات هزلا لعلنى أرى ماترين أو بخيلا مخلداً

في الاول (ص ٤١٣) وهو من كلمة لحاتم وقد وضع فى آخر الشطر الاول كلمة: لاننى: بدل لعلنى وهو تحريف

(١٦) تمسي اذا العيس أدر كنا نكائها خرقاء يعتادها الطوفان والزود

في التاسع (ص٢٠) وهو للراعي يصف ناقته وتأمل كيف حرفوه

يضحى اذا العيش أدركنا حرفا يعتادها الطوفان والرود

(١٧) فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج سراتهم في الفارسى المسرّد

من كلمة لدريد بن الصمة يرثى بها أخاه وقد جاء في موضعين فى الثالث عشر (ص٥١) وكتب الشطر الاول هكذا ــ فظنوا بالفى فارس مثلث ــ

وجاء في الخامس والعشرين (ص ٧٦) وكتب الشطر الاول فيه هكذا

* فقلت لهم ظنوا بالفى مذحج *

(١٨) صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود

لابي زبيد الطائى وورد فى الثاني عشر (ص ١٢٩) ووضع فيه كلمة ــ عصره ــ بها بدل «عصرة بتاء

(١٩) أتيت حريثا زائرا عن جنابة فكان حريث عن عطائى جامداً

للأعشى يذكر الحرث بن وعله وهوذة بن على وكان قصد الاول فلم يحمده وعرج عنه الى الثاني وورد البيت في موضعين أولهما في الخامس (ص٤٨) هكذا

ابيت حزينا زائرا عن جنابة فكان حريب في عطائى جاهداً

الثاني في العشرين (ص٢٤) هكذا

أبيت حزينا زائراً عن جنابة فكان حريث عن عطائى جاحداً

(٢٠) تضيفته يوما فقرب مجلسى واصفدنى على الزمانة قائداً

من الكلمة السابقة يشير الى هوذة بن على وكتبت الكلمة الاخيرة هكذا ــ فائداً ــ بفاء وصوابها بقاف

(٢١) فبات يعد النجم في مستجيرة سريع بأيدى الآكلين جمودها

في السابع والعشرين (ص ٢٢) هكذا

فباتت بعد النجم فى سحيرة ــ (نعوذ بالله)

(٢٢) فلا انا بدع من حوادث تعترى رجالا عرت من بعد بؤس وأسعد

لعدي بن زيد وورد في السادس والعشرين (ص٤) ووضع فيه كلمه موس بدل بؤس

(٢٣) شاقتك ظعن الحي حين تحملوا فتكنسوا قطنا يصر خيامها

من معلقة لبيد ورد في الجزء السابع والعشرين (ص٨٣) وكتب هكذا

ساقيك ظعن الحي يوم تحملوا فتكسبوا قطبا بصر خيامها

(٢٤) من كل محفوف يظل عصيه زوج عليه كلة وقرامها

من معلقة لبيد ورد في الجزء الثامن (ص٤٥) وكتب هكذا

من كل محفوف نطيل غصيه زوج عليه كلة وقوامها

وفزع المصحح الى عدد ٧ ولو فزع الى نسخة من المعلقات لامكنه تصحيح البيت

(٢٥) فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عرّدت إقدامها

من معلقة لبيد ورد في الجزء السابع (ص٩٨) وكتب فيه بدل عردت عرب ولا معنى لها

(٢٦) فتوسطا عرض السرى وصدعا مسجورة متجاورا قلامها

من معلقة لبيد ورد في ثلاثة مواضع (١) في الجزء السادس عشر (ص٤٧) وهنا استبدلت مسحورة بمسجورة . ومتجاوزا بمتجاوراً (٢) في السابع والعشرين (ص١١) وهنا صححت الغلطة الاولى لان فيها الشاهد وبقيت الثانية على حالها (٣) في الثلاثين (ص٣٨) وهنا أنشد البيت صحيحاً .

(٢٧) لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب لا يمن طعامها

من معلقة لبيد في الاول (ص ٢٨٨) وقد حرف اقبح تحريف فكتب هكذا

لمقر فهد تنازع سلوة عبس كواسب لاتميز طعامها

(٢٨) حتى اذا يئس الرماة أرسلوا غضفا دواجن قافلا أعصامها

في الثالث عشر (ص٩١) وكتب بدل الشطر الثاني . عصفاً دواجن ناقلا أعصامها .

(٢٩) تراك أمكنة اذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حمامها

في الخامس والعشرين (ص٥٥) وكتب بدل تراك : انزال : ويعتاق بالتاء وهو غلط

***

(٣٠) بها العين والآرام يمشين خلفة وإطلاؤها ينهضن من كل مجثم

من معلقة زهير في الثاني (ص ٣٧) ووضع فيه بدل خلفة خافه وبدل مجثم محثم وجاء أيضاً في التاسع عشر (ص ١٩) وأنشد صحيحاً

(٣١) أثافيّ سفعاً في معرّس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم .

ورد فى الاول (ص ٢٨٥) وفيه شفعاً بدل سفعا وكجرم بدل كجذم

(٣٢) فلما وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيم

في الثلاثين (ص ١٠١) وفيه درقا بدل زرقاً

(٣٣) وقد قلتما أن ندرك السلم واسعاً بمال ومعروف من الامر نسلم

في الثاني (ص ١٨١) وفيه جعل ندرك و نسلم بتاء التكلم وهوغلط وانما هما بالنون

(٣٤) فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

في الثاني (ص ٥٦) وفيه جعل الافعال الثلاثة تنتج وترضع وتفطم بالياء وانما هى بالتاء لان الحديث عن الحرب المذكورة في قوله

وما الحرب الا ماعلمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

(المنار) قد تركنا طريقتنا هنا في نقط الياء المتطرفة لأن الطبعة المنتقدة لانقط للياء فيها وهو ماعليه كاتب النقد وتساهلنا فى مثل لفظ (الثانى وفي)

(تفسير جزء عم يتساءلون)

تلامذة المدارس الأميرية وكثير من المدارس الاهلية يحفظون الجزئين الأخيرين من القرآن ولكنهم لا يفهمون معاني سورهما التي تتلى عادة فى الصلاة وقد توجهت عزيمة الاستاذ الامام رئيس الجمعية الخيرية الى تفسيرهما لأجل قراءة تفسيرهما في مدارس الجمعية إلزاما ولينتفع بهما من شاء من المسلمين في المدارس وغيرها وقد تم تفسيره لجزء « عم يتساءلون » وقال في مقدمته انه كتب « ليكون مرجعا للأساتذه لمدارس الجمعية فى تفهيم التلامذة معاني مايحفظون من الجزئين لينشئوا متعودين على فهم مايحفظون ، وتدبر مايقرءون ، وليكون مافي تلك السور ، من دلائل التوحيد والعظات والعبر ، مشرقا للعقائد السليمة فى نفوسهم ، وعاملا للاصلاح فى أعمالهم وأخلاقهم ، » وقد تبرع حفظه الله بالتفسير للجمعية فطبع على نفقتها

أما الجزء فان أكثر سوره مكية وهي من أول القرآن نزولا لذلك تراها تقرر أساس الدين وأصوله الكلية بالاجمال وهي توحيد الله تعالى والحياة الآخرة وعمل الخير وترك الشر وهذا ما يحتاج كل ناشيء من البشر الى الاهتداء به ولو من غير المسلمين . وأما التفسير فحسبنا ان نقول انه للشيخ محمد عبده ، وان كان لابد من التنبيه على بعض المسائل التي انفرد بتحريرها فيه دون من نعرف من المفسرين فليكن

ذلك «ماروي من أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر وان سورة الفلق نزلت في ذلك» ولا تغفل فيه عن الدقة في تجلية المعاني بما يطابق العلم الحديث مع المحافظة على مذهب السلف كقوله في معنى بناء السماء: «والبناء ضم الاجزاء المتفرقة بعضها الى بعض مع ربطها بما يمسكها حتى يكون عنها بنية واحدة وهكذا صنع الله بالكواكب وضع كلا منها على نسبة من الآخر مع مايمسك كلا في مداره حتى كان عنها عالم واحد في النظر سمي باسم واحد وهو السماء التى تعلونا » الخ

ثمن النسخة من الجزء خمسة قروش صحيحة فهى على قلتها في مقابلة الكتاب إعانة للجمعية الخيرية وأجرة البريد قرش واحد وهو يطلب من مكتبة الجمعية ومن ادارة مجلة المنار بمصر

﴿ كتاب الصناعتين ـ الكتابة والشعر ﴾

سبق أهل القرون الثلاثه الأولى للاسلام ببلاغة القول. وفصاحة المنطق، وحسن الاسلوب، وكمال البيان، وكان ما طرأ على اللغة من العجمة، وما اختاره الضعفاء من الصنعة والكلفة، مغلوبا صاحبه على أمره، مفمولا في أهل عصره. ثم قوي في القرن الرابع والخامس سلطان المتكلفين، وكثر عدد الكتاب الاعجمين، فانبرى أهل الذوق السليم، والنقد الصحيح، من فرسان الآداب، وأئمة الكتاب، الى كشف عوارهم، وهتك أستارهم، وكان من السابقين في هذا المضمار أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى المتوفي سنة ٣٩٥ واشهر ما كتبه في البلاغة كتاب الصناعتين. وقد بين سبب تأليفه في المقدمة، فأورد امثلة من الكلام الفج الغليظ، والوخم الثقيل، مما قاله الاعراب، واختاره محبو الغريب والإغراب، من علماء الاعراب، ثم قال: «فلما رأيت تخليط هؤلاء الاعلام، فيما راموا من اختيار الكلام، ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل، ومكانه من الشرف والنبل، ووجدت الحاجة اليه ماسة، والكتب المصنفة فيه قليلة، ـ وذكر ان اكبرها واحسنها كتاب البيان والتبيين وقال بعد وصفه وعدم كفايته ـ فرأيت ان أعمل كتابي هذا مشتملا على جميع ما يحتاج اليه في صنعة الكلام نثره ونظمه، ويستعمل في محلوله ومعقوده، من تقصير وإخلال، وإسهاب وإهذار،»

ثم ذكر ابوابه وما فيها من المسائل كموضوع البلاغة وحدودها ووجوهها وتمييز جيد الكلام من رديئه ومعرفة الصنعة فيه وبيان حسن السبك وجودة الوصف

وذكر الايجاز والاطناب وحسن الاخذ والتضمين وقبحه والقول في التشبيه والسجع والازدواج وانواع البديع ومقاطع الكلام ومباديه • وفي كل باب وفصل منه من الامثلة المختارة مايطبع ملكة البلاغة في النفوس المستعدة • وقد طبع الكتاب طبعاً جيلاً في الاستانة على نفقة احمد افندي ناجي الجمالي ومحمد امين افندي الخانجي الكتبي ويطلب منهما ومن إدارة مجلة المنار وثمن النسخة منه غير مجلدة عشرة قروش صحيحة والمجلدة تجليدا افرنجيا ١٥ وأجرة البريد قرشان

تاريخ علم الأدب . عند الافرنج والعرب

(وفيكتور هوكو)

وهو كما قال ناشره «يشتمل على مقدمات تاريخية واجتماعية فى علم الأدب عند الافرنج ومايقابله من ذلك عند العرب من إبان تمدنهم الى عصورهم الوسطى وما اقتبسه الافرنج عنهم من الادب والشعر فى نهضتهم الاخيرة وخصوصاً على يد فيكتور هوكو . ويلحق بذلك ترجمة هذا الشاعر الفيلسوف ووصف مناقبه ومواهبه ومؤلفاته ومنظوماته وغير ذلك » طبع الكتاب فى مطبعة الهلال بنفقتها وكان نشر فى الهلال وقد عزي الى المقدسي (ونظن انه محمد روحي افندي الخالدي الشهير) والكتاب مما يقرأ ويشكر لمؤلفه العناية بتصنيفه لما فيه من الفوائد التي تذكر أبناء هذه اللغة بما يجب عليهم لإحياء لغتهم ومايفتح لمتأدبها من الابواب الجديدة للفكر والشعر . ولولا ضيق فى الوقت وكثرة فى الكتب المهداة الجديرة بالنظر فيها لوفيته حقه من النقد وقد فتحته عند كتابة هذه الكلمات فوقع نظري فى الصفحة (٥١) على ذكر اشهر الشعراء المولدين فاذا هو يقول فى ابي تمام : هو ميال للتصنع والتكلف والتعويص فى المعاني : ولم يصفه ولا شعره باكثر من هذا وقد ظلمه فهو ولا تنكر الصنعة والتفاوت فى كلامه فى مقدمة الطبقة العليا وله من المحاسن مالم يدرك فيه شأوه احد ممن حاول مجاراته . وذكر ابانواس فقال : وله سبك جيد وحلاوة ورقة : وهو ماوصفه به المتقدمون ولكن كان يجب أن يوفيه حقه فهو اشعر المولدين على الاطلاق حاشا بشار ابن برد . والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمنه عشرة قروش

﴿ إرشاد القاصد * الى أسنى المقاصد ﴾

رسالة نفيسة للشيخ شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري من علماء القرن الثامن (توفي سنة ٧٤٩) ذكر فيها أنواع العلوم وأصنافها وموضوعاتها ومنافعها ومراتبها فذكر ستين علما وأرشد فى كل علم الى كتب من أحسن ما صنف فيه ومنها علم النواميس وعلم البيطرة والبيزرة وعلم المرايا المحرقة وعلم عقود الابنية وعلم مراكز الاثقال وعلم جر الأثقال وعلم انباط المياه وعلم البنكامات وعلم الآلات الحربية . ومن هذه الرسالة يتبين لمن لم يطلع حق الاطلاع على تاريخ المسلمين أن سلفنا رحمهم الله لم يتركوا علما من علوم العمران وغيرها الا واشتغلوا به وحصلوه وألفوا فيه وقد اخترنا ذكر بعض العلوم التي صارت غريبة عندنا حتى ان علماء الازهر لا يدرون موضوعاتها ولا أن سلفهم الصالح اشتغل بها فما بالك بما ذكره من سائر العلوم الرياضية والطبيعية والاجتماعية كعلم السياسة وعلم تسطيح الكرة وعلم الآلات الظلية وعلم حساب التخت والميل ، ولو اقترح على علماء الازهر إدخال شيء من هذه العلوم فيه لصاحوا صيحة منكرة وقالوا: إن هذا الا إزهاق لروح الدين ، وإبطال لعلومه من المسلمين ، : فهل نصدق انهم أعرق فى الدين من آبائهم الاولين ، وسلفهم الصالحين ؟! وقد أحيا هذه الرسالة بعد ما قبرت في المكاتب القديمة الشيخ طاهر المغربي الشهير بغيرته وعلمه وأصلح بالمقابلة على ما عثر عليه من نسخها ما أفسد النساخ فيها وطبعت على نفقة أسعد بك حيدر احد وجهاء قضاء بعلبك وصححها سليم افندي البخاري من علماء دمشق فجزى الله الاستاذين والبيك الجزاء الحسن على ما أحسنا الينا بهذه النصيحة والموعظة الحسنة

الزهرة السوداء

قصة لاسكندر دوماس الكبير ، الكاتب الفرنسي الشهير ، نقلها الى اللغة العربية سامي أفندي نوار وموضوعها ان أحد علماء النبات كان مشغولا باتخاذ الوسائل الصناعية لايجاد زهرة سوداء من « الطوليب » وأن حاسداً كسولا من جيرانه كان يراقبه ليسرق الزهرة اذا هي وجدت ليفوز بشرف الاختراع وبالجائزة التي عينتها لجنة معرض الزهور لمن يجيء بالزهرة وهي مئة ألف جنيه . ثم سجن العالم بذنب سياسي أتهم به فعشق ابنة السجان وعشقته وساعدته على تربية الزهرة بعد ما وجد

بصلة نباتها ، وهيأه بالصناعة لانباتها ، حتى اذا ماظهرت سرقها المراقب وقدمها للجنة الزراعة وكاد يفوز بالجائزة لولا أن تأثرته البنت وأثبتت سرقته إياها بوجه كان مبرئاً لعاشقهامن الذنب السياسي وانتهت القصة بتزوجه بها

هذا هو الموضوع كله ولكنه مبسوط في ٢٤٠ صفحة بسطاً يروق ويفيد بما فيه من تصوير سلامة القلب وكرم الاخلاق والتوله فى حب العلم والعشق المجمل بالعفة والنزاهة . كما يفيد الكتاب ، باسلوب الاسهاب ، وقد أودعها المترجم من التنبيه على مواضع الاستفادة بما وضعه فى خلال الكلام بين الاقواس ما يزيد فى فائدتها الادبية . وقد طبع القصة صاحب مكتبة الشعب فى مطبعته وهي تطلب منها وثمنها خمسة قروش صحيحة

﴿ برح الخفاء ﴾

سبق ذكر هذه القصة في تقريظ سوابقها وقد صدرت بعد صدورهن وفيها من الفوائد تصوير الصدق والوفاء فى الصحبة وتمثيل الروابط الطبيعية بين الاهل والاقربين وكيف تبلغ كمالها فى بيوت المجد وبيان سوء عاقبة فاسدي الاخلاق في أنفسهم وأهليهم ولاتنس مامهدت له القصة التى قبلهامن بيان طريق اختيار الازواج وما للافرنج من الحيل فى ذلك فعسى أن ينتبه قراء هذه القصص لهذه العبر ولايكون حظهم منهامحض التفكه كالجاهلين لذين يرون العبر بأعينهم فى الخليقة كل يوم ولايفقهون

(الارجوزة المصرية)

نظم أخنوخ أفندى فانوس المحامي المشهور بمصر أرجوزة سماها بهذا الاسم « بحث فى تاريخ اليابان وأسباب تقدمها وفي أن كثيراً من الشرائع الدينية جاءت بحسب الظروف والمكان ، ونصائح للأمة المصرية ، وتحرير المرأة ، وأضرار تعدد الزوجات ، وأضرار الطلاق والتسري ، وغير ذلك من المباحث الهامة » بهذا عرفها وقدمها الى الامة المصرية سلالة أولئك الفراعنة ورعاياهم الذين تنطق آثارهم بمدنيتهم والى الانسانية . وإننا نورد منها أمثلة قال في فاتحتها

ماللبيـاني عن خبـاه مالا	فزلزل السهول والجبـالا
وذكره صبح فى الآذان	يشجي نفوس القوم كالالحان

وبطشه قد سار في الركبان أحدوثة الفرسان والشجعان
وحبه للموت والجهاد في خدمة الاوطان والبلاد
أضحى نشيد القوم فى (النوادي) لم تخل منه بقعة أو وادي
قد حير الالباب والعقولا اذ خالف المعقول والمنقولا
فياله شبلا نراه أسدا فى لحظة معفراً ومرعدا
قد ازبأر الشبل والناب بدا فانذعر الدب فولى وعدا
وكل يوم يكشف الستار عن آية فيها النهى تحار
لكن هذى آية الزمان هادية الشيوخ والشبان

ثم ذكر أن لكل شيء سبباً وأن سبب ارتقاء اليابان ماوهبه لها الميكادو الحاضر من الحرية فى الرأي والدين والروية وانتقل من هنا الى ذم التعصب الذميم الذى يخرب البلاد ويهلك الامم ومنه الى اختلاف الشرائع والاديان، باختلاف الزمان والمكان، وذكر الامثلة من لدن آدم حتى انتهى الى كلمة المسيح «أعطوا ماللقيصر لقيصر وما لله لله» فنظمها هكذا

أما ترى المسيح ابن مريما إذ قال قولا صائباً ومحكماً
لما به احتاطوا وقالوا مكراً العشر نعطي قيصراً أم نمرى
قال لهم وقوله حكم سرى لله أعطوا ماله وقيصراً

ثم زعم أن اليابان أدركوا هذه الحكمة فانطلقوا من بؤسهم للنعمة وذلك أن كتاب النصارى يأخذون من هذه الكلمة أكثر مما تعطي والناظم حسن القصد وان كان يعلم انه لم يكن في اليابان أديان متنازعة وأن تنازعها كان سبب ضعفها السابق وان الحرية التي منحها الميكادو للامة التي هي أزالت التعصب حتى تسنى لها النهوض والارتقاء . ويعلم أن الديانة البوذية لاتعصب فيها ولذلك سهل على القوم اقتباس العلوم والصنائع الأوربية عند ماأحسوا بالحاجة اليها بعد ماأرسلت اليهم حكومة الولايات المتحدة سفنها الحربية ونكلت بهم تنكيلا . فمن هذه الجهة يصح ان نعتبر بمضرة الجمود الذي يحول بيننا وبين اقتباس العلوم والصنائع النافعة لاسيما الحربية من الامم القوية وان هذا الجمود الذي نسميه دينا هو خلاف أمر الدين وسبب لضعفه وإذلال أهله.
ثم ذكر مايقصد من النصيحة بنظم الارجوزة وهو

وهذه نصيحتي الصفيه اليكم من خالص الطويه
أن تجملوا المسائل الدينية في حيز عن صالح الأرضية
وتقفوا في وجه كل مفسد وقفة من لا ينثني كالأسد
وتجملوا المصرية الاخاء وكل شيء دونها هباء

ومن هنا استطرد الى ذكر النصائح في النساء والتعليم وختمها بنصيحة الأمير فقال

اليك يا مليكنا المعظما نبسط كفا سائلا مسترحما
رعاية للامة الحزينة قبل فوات الفرص الثمينه
فاوسعن للفضلا المجالا تحط في رحابك الرحالا
واقصين الكاذب الخسيسا وأبعدن الخائن الدسيسا
واجعل لديك الرتب السنيه جوهرة ثمينة عليه
ينالها النوابغ العظام أهل العلا الافاضل الاعلام
فتزدهي في ملكك الآداب ويختفي من أرضك المعاب
وامسك بحسن الرأي والمشوره من خبرة وحنكة مشهوره

ونظم سائر الارجوزة كما ترى ولعل نصائحها تنفع المستعد لقبولها

(كتاب حافظ ابراهيم الى الشيخ محمد عبده)

لما قدم حافظ أفندي ابراهيم الجزء الاول من ترجمة البؤساء الى الاستاذ الامام كتب اليه الاستاذ كتاب شكر نشرناه في الجزء السابع من المجلد السادس (ص ٢٧٨) وقد جاء فيه : « فان كان البؤس قد هبط على صاحبه (أي مؤلف الكتاب) بتلك الحكمة ، ثم كان سبباً في امتيازك من بين المترفين بتلك النعمة ، (الترجمة) سألت الله أن يزيد وفرك من هذا البؤس حتى يتم الكتاب على نحو ما ابتدأ » الخ وقد كتب حافظ في هذه الايام بهذا الكتاب الى الاستاذ يذكره بتلك الدعوة ويذكر من تأثيرها قال : مولاي الاستاذ الامام

دار الفلك دورته ، وضرب الدهر ضربته ، فشابت ناصية الامل ، ونبت عذار الملل ،

وجاشت إلي النفس أول مرة فردت على مكروهها فاستقرت

ولولا يقين أخذته عنك ، وخوف لله لبسته منك ، لنعاني الأدب في ناديك ،

وخرجت منها وأنا أناديك، :أيها المحب لاعدائه ،الرحيم البر بأوليائه،

إني رجوتك للدنيا وعاجلها كما رجوتك يوم الدين للدين

فلئن فاتني ذلك منك في دار الفناء، فلن يفوتني ان شاء الله فى دار البقاء، ولكني ذكرت عزمك فشدّ مني، ونظرت في مأثور قولك فرفّه عني، فبت استعزر ،ما كنت استنزر ، وجعلت أتمزّز من تلك الصبابة الباقية ، وآتدم بالصبر على تكاليف هذه الفانية، نضبت الاولى، وعزني الصبر على الثانية، فعمدت الى التماس ما فوق الصبر ان كان فوقه فوق . فما زلت انظر الى الدنيا من بعيد، وأتمثل فيها بقول مسلم بن الوليد :

دلت على نفسها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهر مما كان أعطاني

حتى ذكرت تلك الدعوة التي دعوت عليّ فى ذلك الكتاب الذي تقدمت به اليّ، فيها أيها الحكيم الذى لا يفاجأ فى دهره ،ولا يبادر فى شيء من أمره، لم يكن فتاك من فلاسفة الهنود ،(١) فيتجمل بالصبر عن لمس النقود، ولا بالساكن في عين شمس، (٢) فيصرع الاماني بقوة النفس ، ولكنه ذلك المخلوق الذى عق نفسه ، وتولت الكواكب نحسه ونكسه، كلما وقت لامر وقتا ضحك منه المقدار، أوحسب لشيء حساباً أفسده عليه الليل والنهار، فهو في خفض الا من العيش، وفى عزلة الا عن الدهش والطيش، فأنفحه أيها الامام بنفحة من نفحاتك، وأدركه أيها المخلص بدعوة من دعواتك، فاني رأيتها الى السماء أقرب منها الى فيك، والى استجابة الله أسرع منك الى من يناديك ،ولا تنزل أمري على الجرأة عليك، اذا نفضت فى هذا الكتاب جملة حالي اليك، فانت صاحب الدعوة الأولى ، ولك فى محوها اليد الطولى ، فكن صاحب الثانية ، والا فهي القاضية ، اه

---

(١) يشير الكاتب الى فيلسوف من صوفية الهنود البراهمة وفد على مصر في الشهر الماضي وهو ممن لم يمس في عمره نقداً وإنما يعيش ويسافر على التوكل وقد زار الاستاذ الامام وتكلما فى مسئلة القدر وغيرها من معضلات المسائل الدينية والصوفية والفلسفية فقال الاستاذ انه صوفي قح قد اتحد عقله وقلبه فيما هو عليه من علم واعتقاد. ولا يخفى أن المسلمين أخذوا التصوف الذي أساسه الوحدة والزهادة عن الهنود

(٢) يريد الكاتب بالساكن في عين شمس الاستاذ الامام نفسه

حسن باشا عاصم

ليس من شأن المنار أن يذكر من الاخبار ، الا ماهو محل العظة والاعتبار ، وليس فى الاتعاظ بالحوادث أبلغ من حوادث رجال الاستقلال والاستقامة وقد شهد كل من عرف حسن باشا عاصم من وطني وأجنبي أنه فى مقدمة رجال العلم والعمل والاستقلال والاستقامة والادارة والنظام عرفوا ذلك منه بالمشاهدة والاختبار اذ كان رئيساً للنيابة ثم قاضياً أهلياً ثم رئيساً للتشريفات الخديوية ثم رئيساً للديوان الخديوي - وقد أخذه الامير من كرسي القضاء الى قصر الامارة لما عرف عنه من الجد والنظام وكانت دائرة التشريفات قبله مختلة فأقامها على نظام ثابت خضع له حتى الاجانب ثم رقاه الى أكبر وظيفة فى القصر وهي رياسة الديوان الخديوي فكان صاحب المؤيد يومئذ يفتخر بحسن اختيار الامير للرجال تفضيلا له على اختيار الحكومة التي تخرج مثل حشمت باشا من المديرين وتقرفها مثل فلان وفلان

وقد حدث فى أواخر رمضان أن أحال الأمير هذا الرجل على المعاش من غير سبب ذكر فى أمر الاحالة فدهش الناس لذلك وما فتئوا يلهجون به . وقد اتفقت الجرائد المنتشرة التي لها رأي على الثناء على حسن باشا والاعتراف بفضله واستقامته ومن أصحابها من اكتفى بالشهادة له بالاستقامة والصدق فى خدمة الامة وخدمة الامير كصاحب المؤيد والاهرام ومنها ما ذكر مع الثناء تعليلا للاحالة على المعاش كالمقطم فانه ذكر ان حسن باشا في عدله واستقامته قد خلق لان يكون قاضيا لا لأن يكون في بلاط الامراء ... واما اللواء فانه رجح أن سبب الاحالة غضب الامير على رئيس ديوانه منذ حدثت مسألة استبدال مزرعة الأمير المعروفة بمشتهر بأرض لديوان الاوقاف في الجيزة والمسألة مشهورة وملخصها أن طالب الاستبدال كان طلب من ديوان الاوقاف ثلاثين الف جنيه زيادة فما رضي الديوان حتى أخذ منه عشرين الف جنيه فكانت الخسارة بالنسبة الى طلبه الاول خمسين ألف جنيه وكان ذلك بموافقة حسن باشا اذ كان عضواً نائباً عن الامير في مجلس ديوان الاوقاف الاعلى الذي تجري أمثال هذه الاعمال بموافقته والتفصيل معروف للناس فلا نطيل به

ومهما كان من السبب فى ذلك فان أهل العقل والفضل آسفون لحرمان حكومة

البلاد من خدمة هذا الرجل النابغة وجازمون بأن هـذا من دلائل الانحطاط . ونحن جازمون مع هذا بأن حرمان الحكومة من خدمته ربما يكون سبباً لزيادة حظ الامة منها فقد كان على اشتغاله بأعمال الحكومة يخدم الجمعية الخيرية أجل خدمة وكذلك جمعية إحياء العلوم العربية فكيف به وقد صار وقته أوسع وقد عرفناه لا يضيع شيئاً من الوقت سدى باختياره . وإنما كتبنا هذه الكلمات التي هي عند المصريين من قبيل : السماء فوقنا : لترغب من يقرأ المنار في سائر البلاد ، في التأسي برجال الجد والاجتهاد ،

﴿ استعراض الامير لجيش الاحتلال احتفالا بجلوس ملك الانكليز ﴾

جرت عادة المحتلين بأن يستعرض عميـدهم جيش الاحتـلال في ميدان قصر عابدين لما لا يخفى وقد سبق من توفيق باشا الخديو السابق التراءي للجيش من شرفة القصر ولكن عباس باشا الخديو الحالي أعرض عن ذلك ، حتى كان في احتفال هـذا العام وكان في أول أيام الصيام أن خرج بملابسه العسكرية وحضر الاستعراض مع اللورد كرومر تحت العلم الانكليزي فكان لذلك تأثير عظيم في النفوس وامحى بهذا ومماسبقه من قبيله ما كان يتوهمه الدهماء من أن الامير هو المعارض للمحتلين وان النظار هم المشايعون لهم وعلموا أنه أشد من نظاره وفاقاً معهم لان أولئك يوافقونهم لمكان القوة فيما يريدون ، وهو يمنحهم اكثر مما يطمعون ، ولا نقول الا ان ماظهر وتبـين نافع وان خفاء الحقيقة قبله كان ضاراً لمـا فيه من غش الامة والقـذف بها في معامي الغرور والوهم ، فللأمير وفقه الله تعالى الشكر على ما يرضيه بتكذيبه بعمله أولئك المغرورين المخادعين الذين شغلوا قلوب الناس بمسألة وهميـة وهي مقاومة المحتلين ونسأل الله تعالى أن يوفق أهل هـذه البلاد الى الاستفادة من هذه الحالة بالمحافظة على أرضهم وتثميرها وعمـارتها وبالعناية بتربية أولادهم وتعليمهم العلم النافع ليحيوا حياة اجتماعية شريفة يرتقون بهـا الى أن يكونوا أمـة عزيزة فان الحرية الهادئة لا يرتقي فيهـا الا المهذب المقتصد ومن اتبع فيها هواه ، خسر دينه ودنياه

﴿ إمارة نجد ﴾

علم الواقفون على أخبار البلاد العربية أن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل وارث إمارة نجد قد انتصر على ابن الرشيد في ملحمة فاصلة في ١٧ رجب فانهزم الى طرف

الإمارة تاركا كل مامعه من السلاح والذخائر والمال الناطق والصامت حتى قدروا خسارته بمبلغ ٢٢٠ الف ليرة عثمانية على الاقل وقتل ممن معه ٤٨٥ رجلا ولم يقتل من جماعة ابن سعود الا خمسة عشر رجلا ٢ من عنيزه و٤ من الرس و٣ من بريدة والباقي من اهل الجنوب . ولو شئنا لذكرنا عدد ماترك ابن الرشيد من الابل والغنم والخيل والمدافع ولكن لافائدة فى التفصيل وانما الفائدة فى بيان خطأ اشتهر بواسطة الجرائد الكاذبة التي تكتب مايمليه الدينار أو الهوى فان بعض أغنياء العرب من انصار ابن الرشيد يوهمون الدولة بواسطة الجرائد وحكام العراق والحجاز والشام ان ابن سعود يريد أن يؤسس دولة مستقلة بضم الحجاز الى نجد بحماية الانكليز وانه لاوسيلة الى منع ذلك الا بنصر ابن الرشيد عليه وقد انخدعت الدولة اولا فأمدت ابن الرشيد بالمال والسلاح والرجال ولكن لم يغن المدد شيئا ثم أشاعت الجرائد الكاذبة زعمها انتصار ابن الرشيد أن الدولة جهزت جيشاً آخر من الشام لمساعدته وظهر كذبها

والحقيقة التي علمناها من مصادر متعددة بريئة من السياسة وخداعها وأهوائها ان ابن سعود يريد أن يكون تحت سيادة الدولة العثمانية وان يجعل لها من الحقوق والسلطة في نجد أكثر مما كان لها بشرط واحد وهو أن لاتدخل القوانين فى تلك البلاد فان أهلها لايقبلون الا حكم الكتاب والسنة. وقد اجتهد ابن سعود فى عرض رغبته هذه على الدولة وإيصالها الى السلطان ولكن أعوان ابن الرشيد فى العراق والحجاز حالوا دون ذلك حتى تكفل به نقيب الاشراف فى البصرة ويظن انه أوصله الى السلطان ولكن لاندري أظهر كل الحقيقة أم قضت سياسته باظهار بعضها وإخفاء بعض ولا حاجة لايهام الدولة بأن ابن سعود يلجأ الى الحماية الانكليزية اذا هي أصرت على امداد ابن الرشيد واسعاده فاننا نعلم أنه وقومه فى تعصبهم الديني الشديد يفضلون الفناء على الالتجاء الى الانكليز ونعلم ان أكثر البلاد العربية تخضع له وتبغض ابن الرشيد لظلمه ولو شاء أن يستنجد اهل اليمن لانجدوه فان بلاده متصلة ببلادهم وان الخير للدولة ان تعيد هذه الامارة الى نصابها وان كانت فى ريب من امره فلترسل اليه من اهل العلم والدين من تثق بهم ليقفوا على صحة ماقلنا والله الموفق

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الجمعة ١٦ شوال سنة ١٣٢٢ — ٢٣ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(١٨٩ : ١٨) يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ، وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَى وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

ذكر الله تعالى حكم الاموال عقيب ذكر أحكام الصيام لما تقدم من المناسبة، والصيام عبادة موقوتة لا يتعدى فرضها شهر رمضان والاموال وسيلة لعبادة الحج وهو يكون فى الاشهر الحرم ولعبادة القتال مدافعة عن الملة والامة وهي قد كانت ممنوعة فى هذه الاشهر فناسب ان يعقب بعد أحكام الصيام والاموال بذكر مايشرع فى الاشهر الحرم من الحج ومن القتال عند الاعتداء على المسلمين ويبدأ ذلك بذكر حكمة اختلاف الأهلة ولذلك قال (يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج) أي مواقيت لهم فى صيامهم وحجهم

من العبادات وفى نحو عدة النساء وآجال العقود من المعاملات، فان التوقيت بها يسهل على العالم بالحساب والجاهل به وعلى أهل البدو والحضر فهي مواقيت لجميع الناس واما السنة الشمسية فان شهورها تعرف بالحساب فهي لا تصلح مواقيت الا للحاسبين ولم يقدروا على ضبطها إلا بعد ارتقاء العلوم الرياضية بزمن طويل. وقد ورد فى أسباب نزول الآية ان بعضهم سأل النبي عن الاهلة مطلقا وان بعضهم سأل لم خلقت؟ والروايتان عند ابن أبي حاتم. وأخرج أبو نعيم وابن عساكر من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنيمة قالا يارسول الله مابال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد فنزلت. وقد اشتهر هذا السبب لأن علماء البلاغة يذكرونه فى مطابقة الجواب للسؤال وعدمها وزعموا أن مراد السائلين بيان السبب الطبيعي لهذا الاختلاف وأن الجواب انما جاء ببيان الحكمة دون بيان العلة لأنه موضوع الدين جريا على مايسمى فى البلاغة أسلوب الحكيم أو الاسلوب الحكيم

قال الاستاذ الامام: كانه قال كان عليكم أن تسألوا عن الحكمة والفائدة في اختلاف الاهلة ان لم تكونوا تعرفونها والا فعليكم الاكتفاء بها وعدم مطالبة الشارع بما ليس من الشرع. ففى الكلام تعريض بأن سؤالهم فى غير محله ولو توجه هذا السؤال ممن يتعلم علم الفلك الى أستاذه فيه لما عد قبيحا ولا قيل إنه فى غير محله ولكنه موجه من أمي الى نبي لا الى فلكي فهو قبيح من هذا الوجه لا لذاته وإلا لكان النظر فى السموات والارض لأجل الوقوف على أسرار الخليقة وأسباب مافيهما من الآيات والعبر مذموما وكيف

يذم وقد أرشدنا الله تعالى اليه ، وحثنا فى كتابه عليه ، « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » والآيات فى هذا المعنى كثيرة

هـذا وإن الرواية عن ابن عباس ضعيفة بل قالوا إن رواية الكلبي عن أبي صالح هي أو هى الطرق عنه على أن السؤال غير صريح فى طلب بيان العلة وحمله على طلب الحكمة والفائدة ولو مع العلة غير بعيد فالمختار أن الجواب مطابق للسؤال وقد ذكر الاستاذ الامام بمناسبة القول المشهور في السؤال وأنه عن العلة مابعث الانبياء لبيانه فهم يسئلون عنه وما ليس كذلك فقال مامثاله : العلوم التي نحتاج اليها في حياتنا على أقسام منها مالا نحتاج فيه الى أستاذ كالمحسوسات والوجدانات فهذا هو القسم الأول، ومنها مالا نجد له أستاذا لأنه ممالا مطمع للبشر فى الوصول اليه ألبتة وهو كيفية التكوين والايجاد الاول المعبر عنه بسر القدر. يمكن للنباتي أن يعرف مايتكون منه النبات وكيف ينبت وينمو ويتغذى وللطبيب أن يعرف كيفية تولد الحيوان والاطوار التي يتدرج فيها منذ يكون نطفة الى ان يكون إنسانا مستقلا عاقلا ولكن لا يعرف نباتي ولا طبيب كيف وجدت أنواع النبات وأنواع الحيوان أومادتهما لأول مرة ولا كيف وجد غيرهما من المخلوقات ومن هنا تعلمون ان العلاقة بين الخالق والمخلوق من هذه الجهة - جهة الايجاد والخلق - لا يمكن اكتناهها. وكذلك لايمكن اكتناه ذات الله تعالى وصفاته . وهذا هو القسم الثاني. ومنها مايتيسر للناس ان يعرفوه بالنظر والاستدلال والتجربة والبحث كالعلوم الرياضية والطبيعية والزراعية والصنائع والهيئة الفلكية ومنها أسباب أطوار الهلال ، وتنقله من حال الى حال ، وهذا هو القسم الثالث

القسم الرابع ما يجب علينا للخالق العظيم الذي أودع في فطرنا الشعور بسلطانه وهدى عقولنا الى الايمان به بما نراه من آياته في الآفاق وفي أنفسنا . فان هذا الشعور وهذه الهداية مبهمان لا سبيل لنا الى تحديدهما من حيث ما يجب اعتقاده في الله تعالى وفي حكمة خلقنا ومراده منا وما يتبع ذلك من أمر مصيرنا ، ومن حيث ما يجب له من الشكر والعبادة - وهذا مما لا سبيل الى معرفته بطريق صناعي أو كسب بشري فقد وقعت الامم في الحيرة والخطأ في مسائله لجهلهم بالصلة والنسبة بين المخلوق والخالق فمنهم من وصفه تعالى بما لا يصح أن يوصف به ومنهم من توهم أن أعمالنا تفيده أو تؤلمه وأنه ينعم علينا أو ينتقم منا بالمصائب لاجل ذلك . ومنهم من توهم أن الحياة الأخرى تكون بهذه الاجساد ، والجزاء فيها يكون بهذا المتاع ، فاخترعوا الادوية لحفظ أجسادهم ومتاعهم . واذا كان الانسان عاجزا عن تحديد ما يجب عليه ويحتاج اليه من الايمان بالله وبالحياة الأخرى وما يجب عليه في الحياة الاولى شكرا لله واستعدادا لتلك الحياة لأن الحواس والعقل لا يدركان ذلك فلا شك أنه محتاج الى عقل آخر يدرك به ما يعوز أفراده من هذه الامور وهذا العقل هو النبي المرسل .

وبقي قسم خامس وهو ما يستطيع العقل البشري إدراك الفائدة منه ولكنه عرضة للخطأ فيه دائماً لما يعرض له من الاهواء والشهوات التي تلقي الغشاوة على الابصار والبصائر فتحول دون الوصول الى الحقيقة أو تشبه النافع بالضار وتلبس الحق بالباطل . مثال ذلك السعاية والمحل يدرك العقل ما فيه من الضرر والقبح ولكنه اذا رأى لنفسه فائدة من السعاية بشخص يزينها له هواه ويراها حسنة من حيث يخفى عليه ضررها لذاتها

وكذلك شرب الخمر والحشيش قد يعرف الانسان مضرتهما فى غيره ولكن الشهوة تحجبه عن إدراك ذلك فى نفسه فيؤثر حكم لذته على حكم عقله الذى ينهاه عن كل ضار فصار محتاجا الى معلم آخر ينصر العقل على الهوى. ووازع يكبح من جماح الشهوة ليكون على هدى ،

فما يمكن للانسان أن يصل اليه بنفسه لا يطالب الانبياء ببيانه ومطالبتهم به جهل بوظيفتهم وإهمال للمواهب والقوى التي وهبه الله إياها ليصل بها الى ذلك . وكذلك لا يطالبون بما يستحيل على البشر الوصول اليه كقول بعض بني إسرائيل لموسى « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » وأما ما كان إدراكه ممكنا وكسبه بالحس والعقل متعذرا أو تحديده متعسرا فهو الذي نحتاج فيه الى هاد مخبر عن الله تعالى لنأخذه عنه بالايمان والتسليم ولذلك قلنا إن الرسول عقل للامة وهداية وراء هداية الحواس والوجدان والعقل

لو كان من وظيفة النبي أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية لكان يجب أن تعطل مواهب الحس والعقل وينزع الاستقلال من الانسان ويلزم بأن يتلقي كل فرد من أفراده كل شيء بالتسليم ولوجب أن يكون عدد الرسل فى كل أمة كافيا لتعليم أفرادها فى كل زمن كل مايحتاجون اليه من أمور معاشهم ومعادهم وإن شئت فقل لوجب أن لا يكون الانسان هذا النوع الذى نعرفه.

نعم إن الانبياء ينبهون الناس بالاجمال الى استعمال حواسهم وعقولهم فى كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التى ترتقي بها نفوسهم ولكن مع وصلها بالتنبيه على ما يقوي الايمان ويزيد فى العبرة . وقد أرشدنا نبينا صلى الله عليه وسلم الى وجوب استقلالنا دونه في مسائل دنيانا فى واقعة تأبير النخل اذ قال «أنتم أعلم بأمور دنياكم» ومن ههنا كان السؤال عن حقيقة الروح فى خطأ وقد أمر

الله نبيه أن يجيب السائلين بقوله « قل الروح من أمر ربي » أي إنها من المخلوقات التي لا يسئل النبي عنها كما كان السؤال عن علة اختلاف أطوار الاهلة خطأ لا تصح مجاراة السائل عليه بل عده القرآن من قبيل إتيان البيوت من ظهورها كما فى تتمة الآية .

فان قيل إن التاريخ من العلوم التي يسهل على البشر تدوينها والاستغناء بها عن الوحي فلماذا كثر سرد الأخبار التاريخية في القرآن وكانت فى التوراة أكثر ؟ والجواب ليس فى القرآن شيء من التاريخ من حيث هو قصص وأخبار وإنما هي الآيات والعبر تجلت في سياق الوقائع ولذلك لم تذكر قصة بترتيبها وتفاصيلها وإنما يذكر موضع العبرة فيها « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولي الالباب » - « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » وكل ما تراه فى هذه التوراة التى عند القوم من القصص المسهبة والتاريخ المتصل من ذكر ولادة آدم وما بعدها فهي مما ألحق بالتوراة بعد موسى بقرون بل كتب أكثر تواريخ العهد القديم بعد السبي ورجوع بنى إسرائيل من بابل . ومن أراد كمال البيان فى وظائف الرسل فعليه برسالة التوحيد للاستاذ الامام

وإذا كان ما ورد فى السؤال عن الأهلة لم يصح سندا كما تقدم فلا ينفي ذلك ان السؤال قد وقع بالفعل ولا أن الرواية التى قالوها هي فى نفسها صحيحة فما كل مالم يصح سنده باطل ولا كل ما صح سنده واقع فرب سند قالوا إنه صحيح لأنهم لا يعرفون جارحا فى أحد من رجاله وهو غير صحيح لان فيهم من خفي كذبه واستتر أمره . يدل على السؤال فى الجملة قوله « يسئلونك » ويستأنس لقول من قال أن السؤال كان عن العلة

والسبب قوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) فان فيه تعريضا بأن من يسأل النبي عما لم يبعث النبي لبيانه ولا يتوقف عرفانه على الوحي فهو فى طلبه الشيء من غير مطلبه كمن يطلب دخول البيت من ظهره دون بابه . وبهذا التقرير يكون الاتصال والالتحام بين أجزاء الآية أحكم وأقوى . ولولا أن هذا مفيد لحكم من أحكام الحج الذي يعرف ميقاته بالأهلة لكان لا معنى له الا تأديب السائلين بتمثيل ذلك السؤال بمثال لا يرتضيه عاقل وهو إتيان البيوت من ظهورها وإرشادهم الى ماينبغي ان يستفيدوه وتحسينه لهم بجعله كإتيان البيوت من أبوابها

أما الحكم الذى أفادته الآية فهو إبطال ما كانوا يفعلونه فى الجاهلية إذا هم أحرموا من إتيان البيت من ظهره وتحريم دخوله من بابه . روى البخاري وابن جرير عن البراء قال كانوا اذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيت من ظهره فانزل الله الآية . واخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن جابر قال كانت قريش تدعي الحمس وكانوا يدخلون من الأبواب فى الاحرام وكانت الانصار وسائر العرب لا يدخلون من باب فى الإحرام فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الانصارى فقالوا يارسول إن قطبة بن عامر رجل فاجر وإنه خرج معك من الباب فقال له : ما حملك على مافعلت ؟ قال رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت قال : إني رجل أحمسي : قال له فان ديني دينك فأنزل الله الآية . واخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه وعبد ابن حميد ماهو بمعناه . وذكر ابن جرير عن الزهري في سبب ذلك أنهم كانوا يتحرجون من الدخول من الباب من أجل أن سقف الباب يحول بينهم وبين السماء . وبعد أن أعلمهم

الله تعالى بخطئهم فى ذلك بين لهم البر الحقيقي فقال (ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون) أي ان البر هو تقوى الله تعالى بالتخلي عن المعاصي والرذائل، وعمل الخير والتحلي بالفضائل، واتباع الحق واجتناب الباطل، فأتوا البيوت من أبوابها وليكن باطنكم عنوانا لظاهركم بطلب الامور كلها من مواضعها واتقوا الله رجاء ان تفلحوا فى أعمالكم، وتبلغوا غاية آمالكم، فمن يتق الله يجعل له من أمره يسرا،

ومن مباحث اللفظ أن الأهلة جمع هلال وهو القمر فى ليلتين أو ثلاث من أول الشهر على الاشهر وقيل حتى يحجر أي يستدير بخط دقيق وقيل حتى يبهر ضوءه سواد الليل وقدروا ذلك بسبع . وقالوا إنه مأخوذ من استهل الصبي اذا صرخ حين الولادة وذلك أنهم كانوا يرفعون أصواتهم عند رؤيته للاعلام بها يقولون : الهلال والله : وأهلّ الرجل رفع صوته عند رؤيته وأهل بالحج رفع صوته بالتلبية وأهل بذكر الله وباسم الله . وأهل القوم واستهلوا رأوا الهلال . ثم قال تعالى

(١٩٠: ١٨٦) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا، إِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (١٩١: ١٨٧) وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ، وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ، فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ، كَذَٰلِكَ جَزَاءُ ٱلْكَافِرِينَ (١٨٩: ١٧٦) فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٣: ١٨٩) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ، فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّالِمِينَ (١٩٤: ١٩٠) ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ، فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ

عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين (١٩٥ : ١٩١) وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين

وردت هذه الآيات في الأذن بالقتال للمحرمين في الأشهر الحرم اذا فوجئوا بالقتال بغيا وعدوانا فهي متصلة بما قبلها أتم الاتصال لأن الآية السابقة بينت أن الأهلة مواقيت للناس في عباداتهم ومعاملاتهم عامة وفي الحج خاصة . وهو في أشهر هلالية مخصوصة كان القتال فيها محرما في الجاهلية واخرج الواحدي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في صلح الحديبية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صُدَّ عن البيت ثم صالحه المشركون فرضي على أن يرجع عامه القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف ويفعل مايشاء فلما كان العام القابل تجهز هو وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي لهم قريش وأن يصدوهم عن المسجد الحرام بالقوة ويقاتلوهم وكره أصحابه قتالهم في الحرم والشهر الحرام فأنزل الله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) يقول أيها المؤمنون الذين تخافون أن يمنعكم مشركو مكة عن زيارة بيت الله والاعتمار فيه نكثا منهم للعهد وفتنة لكم في الدين وتكرهون أن تدافعوا عن أنفسكم بقتالهم في الاحرام والشهر الحرام إنني أذنت لكم في القتال على أنه دفاع في سبيل الله للتمكن من عبادته في بيته وتربية من يفتنكم عن دينكم وينكث عهدكم لا لحظوظ النفس وأهوائها والضراوة بحب التسافك فقاتلوا في هذه السبيل الشريفة من يقاتلكم (ولا تعتدوا) بالقتال فتبدءوهم - ولا في القتال فتقتلوا من لا يقاتل كالنساء والصبيان والشيوخ والمرضى أو من ألقى اليكم السلم وكف

عن حربكم - ولا بغير ذلك من أنواع الاعتداء كالتخريب وقطع الاشجار.
وقد قالوا إن الفعل المنفي يفيد العموم . علل الاذن بأنه مدافعة فى سبيل
الله وسيأتي تفصيله فى الآية التالية وعلل النهي بقوله (إن الله لا يحب
المعتدين) أي إن الاعتداء من السيئات المكروهة عند الله تعالى لذاتها فكيف
اذا كان فى حال الاحرام ، وفي أرض الحرم والشهر الحرام ، ثم قال

(واقتلوهم حيث ثقفتموهم) أي اذا نشب القتال فاقتلوهم أينما أدركتموهم
وصادفتموهم ولا يصدنكم عنهم أنكم فى أرض الحرم الا ما يستثنى فى
الآية بشرطه (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي من مكة فقد كان
المشركون أخرجوا النبي وأصحابه المهاجرين منها بما كانوا يفتنونهم فى
دينهم ثم صدوهم عن دخولها لاجل العبادة فرضي النبي والمؤمنون على
شرط أن يسمحوا لهم فى العام القابل بدخولها لأجل النسك والاقامة فيها
ثلاثة أيام كما تقدم فلم يكن من المشركين الا أن نقضوا العهد . أليس من رحمة
الله تعالى بعباده أن يقوي هؤلاء المؤمنين ويأذن لهم بأن يعودوا الى
وطنهم ناسكين مسالمين ، وان يقاوموا من يصدهم عنه من أولئك المشركين
الخائنين ، وهل يصح أن يقال فيهم إنهم أقاموا دينهم بالسيف والقوة ،
دون الإرشاد والدعوة ، ؟ كلا لا يقول هذا الاغر جاهل ، أو عدو
متجاهل ، ثم زاد التعليل بيانا فقال (والفتنة أشد من القتل) أي إن فتنتهم
إياكم فى الحرم عن دينكم بالايذاء والتعذيب والإخراج من الوطن
والمصادرة فى المال أشد قبحا من القتل فيه إذ لا بلاء على الإنسان أشد من
إيذائه واضطهاده وتعذيبه على اعتقاده الذي تمكن من عقله ونفسه ، ورآه
سعادة له فى عاقبة أمره ، والفتنة فى الأصل مصدر فتن الصائغ الذهب

والفضة اذا أذابهما بالنار ليستخرج الزغل منهما ويسمى الحجر الذي يختبرهما به أيضا فتانه – كجبانة – ثم استعملت الفتنة فى كل اختبار وأشده الفتنة فى الدين وعن الدين ومنه قوله تعالى «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتَنون» وغير ذلك من الآيات . وما تقرر في هذه الآيات على هذا الوجه مطابق لقوله تعالى فى آيات الحج «أُذِنَ للَّذينَ يُقاتَلُونَ بأنهم ظُلِمُوا وَإنَّ اللهَ عَلَى نَصرِهِم لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخرِجُوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » الآيات . وفسر بعضهم الفتنة هنا وفي الآية الآتية بالشرك وجرى عليه الجلال ورده الاستاذ الامام بأنه يخرج الآيات عن سياقها وذكره البيضاوي هنا بصيغة التضعيف «قيل» ورد قولهم أيضا ان هذه الآية ناسخة لما قبلها وذلك أنه كبر على هؤلاء أن يكون الاذن بالقتال مشروطا باعتداء المشركين ، ولأجل أمن المؤمنين فى الدين ، وأرادوا أن يجعلوه مطلوبا لذاته . وقال إن هذه الايات نزلت مرة واحدة في نسق واحد وقصة واحدة فلا معنى لكون أحدها ناسخا للآخر وأما ما يؤخذ من العمومات فيها بحكم أن القرآن شرع ثابت عام فذلك شيء آخر .

ثم استثنى من الأمر بقتل هؤلاء المحاربين فى كل مكان أدركوا فيه المسجد الحرام فقال (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) أي ان من دخل منهم المسجد الحرام يكون آمنا الا أن يقاتل فيه وينتهك حرمته فلا أمان له حينئذ . ولما كان القتل فى المسجد الحرام أمرا عظيما يتحرج منه أكد الإذن فيه بشرطه ولم يكتف بما فهم من الغاية فقال (فان قاتلوكم فاقتلوهم) ولا تستسلموا لهم فالبادىء هو الظالم ، والمدافع غير آثم ، (كذلك جزاء الكافرين) أي ان من سنة الله تعالى أن يجازي الكافرين

مثل هذا الجزاء فيعذبهم فى مقابلة تعرضهم للعذاب بتعدي حدوده فيكونوا هم الظالمين لأنفسهم وقرأ حمزة والكسائي: ولا تقتلوهم .. حتى يقتلوكم .. فان قتلوكم فاقتلوهم: من قتل الثلاثي وهو يخرج على أن قتل بعض الأمة كقتل جميعها لتكافلها والمراد حتى يقتلوا أحدا منكم فان قتلوا أحدا فاقتلوهم وهو أسلوب عربي بليغ. ثم قال

(فان انتهوا) عن القتال فكفوا عنهم، أو عن الكفر فان الله يقبل منهم، (فان الله غفور رحيم) يمحو عن العبد ماسلف ، اذا هو تاب عما اقترف ، ويرحمه فيما بقي ، اذا هو أحسن واتقى ، « ان رحمة الله قريب من المحسنين »

(وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله) عطف على قاتلوا فى الآية الأولى فتلك بينت بداية القتال وهذه بينت غايته وهى انتفاء الفتنة فى الدين ولهذا قال الاستاذ الامام: أي حتى لاتكون لهم قوة يفتنونكم بها ويؤذونكم لأجل الدين ويمنعونكم من إظهاره أو الدعوة اليه (ويكون الدين لله) أن يكون دين كل شخص خالصا لله لا أثر لخشية غيره فيه فلا يفتن عنه ولا يؤذى فيه ولا هو يحتاج فيه الى الدهان والمداراة ، أو الاستخفاء أو المحاباة . وقد كانت مكة الى ذلك العهد قرار الشرك والكعبة مستودع الأصنام فالمشرك فيها حر فى ضلالته ، والمؤمن مغلوب على هدايته ، قال (فان انتهوا) أي فى هذه المرة عما كانوا عليه (فلا عدوان الا على الظالمين) أي فلا عدوان عليهم لان العدوان إنما يكون على الظالمين تأديبا لهم ليرجعوا عن ظلمهم ففى الكلام إيجاز بالحذف واستغناء عن المحذوف بالتعليل الدال عليه . ويجوز أن يكون المعنى فان انتهوا عما كانوا عليه من القتال والفتنة فلا عدوان بعد ذلك الا على من كان منهم ظالما بارتكابه

ما يوجب القصاص. أي فلا يحاربون عامة وإنما يؤخذ المجرم بجريمته. ثم زاد تعليل الاذن بالقتال بيانا ببنائه على قاعدة عادلة معقولة فقال تعالى

(الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص) لما خرج المؤمنون مع النبي (ص) للنسك عام الحديبية صدهم المشركون وقاتلوهم رميا بالسهام والحجارة وكان ذلك في ذي القعدة من الاشهر الحرم ولو قابلهم المسلمون عامئذ بالمثل ولم يرض النبي بالصلح لاحتدم القتال، ولما خرجوا في العام الآخر لعمرة القضاء وكرهوا قتال المشركين وان اعتدوا ونكثوا العهد في الشهر الحرام بين لهم أن المحظور في الاشهر الحرم إنما هو الاعتداء بالقتال دون المدافعة وأن ما عليه المشركون من الاصرار على الفتنة وإيذاء المؤمنين لانهم مؤمنون أشد قبحا من القتل لازالة الضرر العام وهو منعهم الحق وتأييدهم الشرك. ثم بين قاعدة عظيمة معقولة وهى أن الحرمات أي ما يجب احترامه والمحافظة عليه يجب أن يجري فيه القصاص والمساواة - ذكر هذه القاعدة حجة لوجوب مقاصة المشركين على انتهاك الشهر الحرام بمقابلتهم بالمثل ليكون شهر بشهر جزاء وفاقا. وفي جملة: والحرمات قصاص: من الايجاز ماترى حسنه وابداعه. ثم صرح بالامر بالاعتداء علي المعتدي مع مراعاة المماثلة وإن كان يفهم مما قبله لمكان كراهتهم للقتال فى الحرم والشهر الحرام فقال تفريعا على القاعدة وتأييدا للحكم (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم) وإنما يتحقق هذا فيما تتأتى فيه المماثلة وسمي الجزاء اعتداء للمشاكلة وقد استدل الامام الشافعي بالآية على وجوب قتل القاتل بمثل ما قتل به بأن يُذبح اذا ذبح ويخنق اذا خنق ويغرق اذا أغرق وهكذا. وقال مثل ذلك فى الغصب والاتلاف. والقصد أن يكون الجزاء على قدر الاعتداء بلا حيف ولا ظلم

ولذلك قال تعالى بعد شرع القصاص والمماثلة (واتقوا الله) فلا تعتدوا على أحد ولا تبغوا وتظلموا فى القصاص بأن تزيدوا فى الايذاء . وأكد الامر بالتقوى بما بين من مزيته وفائدته فقال (واعلموا أن الله مع المتقين) بالمعونة والتأييد فان المتقي هو صاحب الحق وبقاؤه هو الاصلح والعاقبة له فى كل ماينازعه به الباطل .

ثم ذكر مايتوقف عليه القتال فقال (وانفقوا في سبيل الله) عطف على قاتلوا رابط لاحكام القتال والحج بحكم الاموال السابق فهناك ذكر مايحرم من أكل المال مجملا وههنا ذكر مايجب من إنفاقه كذلك وسبيل الله هو طريق الخير والبر والدفاع عن الحق ثم ذكر علة هذا الامر وحكمته على ماهى سنته فى ضمن حكم آخر فقال (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) بالامساك عن الانفاق في الاستعداد للقتال فان ذلك يضعفكم ويمكن الأعداء من نواصيكم فتهلكون . ويدخل فى النهي التطوح في الحرب بغير علم بالطرق الحربية التى يعرفها العدو كما يدخل فيها كل مخاطرة غير مشروعة بأن تكون لاتباع الهوى لا لنصر الحق وتأييد حزبه . وقال بعضهم يدخل فيه الاسراف الذي يوقع صاحبه فى الفقر المدقع فهو من قبيل « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » وفسر الجلال سبيل الله بطاعته الجهاد وغيره والتهلكة بالامساك عن النفقة وترك الجهاد قال لانه يقوي العدو عليكم . قال الاستاذ الامام : أصاب مفسرنا وأجاد فى تفسير هذه الآية وقال بعضهم فى تفسير النهي عن التهلكة أي لاتقاتلوا الاحيث يغلب على ظنكم النصر وعدم الهزيمة وهذا لامعنى له إذ لايلتئم مع ماسبقه وقال بعضهم انه نهي عن الاسراف ولا يلتئم مع الاسلوب قبله وبعده ايضا وانما الذي يلتئم ويناسب هو ماقاله الجلال وآخرون

فالمعنى اذا لم تبذلوا فى سبيل الله وتأييد دينه كل ماتستطيعون من مال واستعداد فقد أهلكتم أنفسكم: وفى أسباب النزول عن أبي أيوب الانصاري قال نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما أعز الله الاسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرا إن أموالنا قد ضاعت وان الله قد أعز الاسلام فلو أقمنا فى أموالنا فأصلحنا ماضاع منها فأنزل الله يرد علينا ماقلنا «وأنفقوا» الآية فكانت التهلكة الاقامة على الاموال وإصلاحها وتركنا الغزو: رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان والحاكم وغيرهم. وروي انه قاله لما خاطر رجل من المسلمين فى القسطنطينية فدخل فى صف الروم فقال الناس ألقى بيديه الى التهلكة فقال أبو أيوب أيها الناس إنكم تؤولون هذه الآية وذكره.

أقول وبيانه أن المشركين كانوا بالمرصاد للمؤمنين فلو انصرفوا عن الاستعداد للجهاد الى تثمير الاموال لاغتالوهم. واصلاح الاموال واستثمارها فى هذا الزمان هو أساس القوة فقوى الدول على قدر ثروتها فالأمة التي تقصر فى توفير الثروة هي التي تلقي بأيديها الى التهلكة ولا ثروة مع الظلم ولا عدل مع الحكم المطلق الاستبدادي. ثم قال تعالى (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) الامر بالاحسان على عمومه أي أحسنوا كل أعمالكم وأتقنوها فلا تهملوا إتقان شيء منها ويدخل فيه التطوع بالانفاق

الاستاذ الامام: محصل تفسير الآيات ينطبق على ماورد من سبب نزولها وهو إباحة القتال للمسلمين فى الاحرام بالبلد الحرام والشهر الحرام اذا بدأهم المشركون بذلك وأن لا يبقوا عليهم اذا نكثوا عهدهم واعتدوا فى هذه المرة وحكمها باق مستمر لا ناسخ فيها ولا منسوخ فالكلام فيها متصل بعضه ببعض في واقعة واحدة فلا حاجة لتمزيقه ولا لإدخال آية

براءة فيه وقد نقل عن ابن عباس انه لانسخ فيها ومن حمل الأمر بالقتال فيها على عمومه ولو مع انتفاء الشرط فقد أخرجها عن أسلوبها وحملها مالا تحمل . وآيات سورة آل عمران نزلت فى غزوة أحد وكان المشركون هم المعتدين ، وآيات الانفال نزلت في غزوة بدر الكبرى وكان المشركون هم المعتدين أيضا وكذلك آيات سورة براءة نزلت فى ناكثي العهد من المشركين ولذلك قال « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » وقال بعد ذكر نكثهم «ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهمّوا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة» الآيات . كان المشركون يبدءون المسلمين بالقتال لأجل إرجاعهم عن دينهم ولو لم يبدءوا فى كل واقعة لكان اعتداؤهم باخراج الرسول من بلده وفتنة المؤمنين وإيذاؤهم ومنع الدعوة - كل ذلك كافيا فى اعتبارهم معتدين . فقتال النبي صلى الله عليه وسلم كله كان مدافعة عن الحق وأهله وحماية لدعوة الحق ولذلك كان تقديم الدعوة شرطا لجواز القتال وانما تكون الدعوة بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان فاذا مُنعنا من الدعوة بالقوة بأن هدد الداعي أو قتل فعلينا ان نقاتل لحماية الدعاة ونشر الدعوة لا للاكراه على الدين فالله تعالى يقول « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي » ويقول «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» واذا لم يوجد من يمنع الدعوة ويؤذي الدعاة أو يقتلهم أو يهدد الامن ويعتدي على المؤمنين فالله تعالى لا يفرض علينا القتال لأجل سفك الدماء وإزهاق الأرواح ولا لأجل الطمع فى الكسب . ولقد كانت حروب الصحابة في الصدر لأجل حماية الدعوة ومنع المسلمين تغلب الظالمين لا لأجل العدوان فالروم كانوا يعتدون على حدود البلاد العربية التي دخلت فى حوزة الاسلام ويؤذون هم وأولياؤهم

من العرب المتنصرة من يظفرون به من المسلمين . وكان الفرس أشد ايذاء للمؤمنين منهم فقد مزقوا كتاب النبي صلى الله تعالى عليه ورفضوا دعوته وهددوا رسوله وكذلك كانوا يفعلون وما كان بعد ذلك من الفتوحات اقتضته طبيعة الملك ولم يكن كله موافقا لأحكام الدين فان من طبيعة الكون ان يبسط القوي يده على جاره الضعيف ولم تعرف أمة قوية أرحم في فتوحاتها بالضعفاء من الامة العربية شهد لها علماء الافرنج بذلك

وجملة القول في القتال انه شرع للدفاع عن الحق وأهله وحماية الدعوة ونشرها فعلى من يدعي من الملوك والامراء انه يحارب للدين ان يحيي الدعوة الاسلامية ويعد لها عدتها من العلم والحجة بحسب حال العصر وعلومه ويقرن ذلك بالاستعداد التام لحمايتها من العدوان ومن عرف حال الدعاة الى الدين عند الامم الحية وطرق الاستعداد لحمايتهم يعرف ما يجب في ذلك وما ينبغي في هذا العصر (١) . وبما قررناه بطل ما يهذي به أعداء الاسلام حتى من المنتمين اليه من زعمهم ان الاسلام قام بالسيف وقول الجاهلين والمتعصبين انه ليس دينا الهيا لأن الاله الرحيم لا يأمر بسفك الدماء وأن العقائد الاسلامية خطر على المدنية فكل ذلك باطل والاسلام هو الرحمة العامة للعالمين

تنبيه

يرى القراء اننا قد وضعنا عند كل آية في التفسير عددين مفصولا بينهما بنقطتين هكذا : ونخبرهم ان الاول هو عدد الآية بحسب ما في المصحف العثماني المطبوع في الاستانة والثاني هو عدد الآية في المصحف المطبوع بألمانيا الذي وضع له معجم كلمات القرآن

(١) قد كتبنا في المجلد الثالث من المنار مقالا عنوانه الدعوة حياة الاديان ومقالا آخر في الدعوة وطريقها وآدابها فليراجعهما من شاء في (ص ٤٥٧ و ٤٨١) منه

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ أوقاف الزوايا والحرمين والاشراف - صرف ريعها فى التعليم ﴾

(س ٩٥) م ٠ ب ٠ في (تونس) : ما قولكم اطال الله بقاءكم في الاوقاف الموقوفة على الزوايا والحرمين الشريفين والاشراف وغيرها مما لا يعود نفعه على مصلحة عامة شرعية هل يجوز جمعها وصرف ريعها في إقامة مدرسة او مدارس كلية خاصة بالمسلمين تزاول بها العلوم العصرية ؟

(ج) الأصل فى الاوقاف أن يصرف ريع الاعيان الموقوفة على ماوقفت لاجله من البر والخير وان لايحول الى جهة بر أخرى الا اذا تعذر وضعه في موضعه وقد قال أكثر علمائنا إن شرط الواقف كنص الشارع اي لايغير ولكن بعضهم أبطل هذا القول بالادلة القوية وجوز صرف ريع الموقوف على شيء غير محمود شرعاً الى ماهو خير منه فراجع تفصيل ذلك في (ص ٢١٠) من مجلد المنار الخامس ومنه تعلم حكم الموقوف على الزوايا والحرمين ٠ وأما الموقوف على الاشراف فلا وجه لحرمانهم منه بدعوى انه ليس من المصالح الشرعية العامة إذ لم يقل أحد من المسلمين بأن الوقف لايجوز الا على المصالح العامة

أما مايجول فى فكر السائل من وجوب انتفاع المسلمين من الاوقاف القديمة التي قصد بها الخير والنفع وهي الآن لاتكاد تفيد بل منها ماهو ضار ومعين على الافساد فانه يجول فى أفكار عقلاء الامة فى كل مكان لاسيما الذين أحسوا بالحاجة الى العلم وهم يرون أن بعض التكايا والزوايا قد أمست مأوى الفساق والكسالى الذين ينقطعون عن أعمال الدين والدنيا ويلجؤن الى هذه التكايا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام ويشربون الخمور ولا يقصرون في سائر ضروب الفجور فلا شك أن اعانة أمثال هؤلاء على بطالتهم وجهالتهم وفسقهم من أكبر المعاصي والانفاق عليهم من ريع الاوقاف الخيرية مما يعلم بالضرورة أنه غير مقصود للواقفين رحمهم الله تعالى ٠ ثم

ان هـذه الاوقاف الخيرية على قسمين منها ما أوقف على جهة بر مخصوصة بشروط معروفة كالموقوف على زوايا وتكايا عامرة فيمكن للنظار أن يشترطوا لقبول الناس فى هذه التكايا أن يتعلموا ماينفعهم وينفع الناس بهـم مع المحافظة على شروط الواقفين الموافقة للشرع . ومنها ماجهلت شروطه أو تعذرت اقامتها كأن يندرس المكان أو يزول المكين فهذه هي التي ينبغي لعقلاء الامة أن يسعوا في الاستعانة بها على انشاء المدارس العالية التي تتعـلم فيها الامة ما تعتز به فى دينها ودنياها معا وهي في كل قطر اسلامي كافية لذلك لولا أهواء الرؤساء الغاوين من الامراء والفقهاء الذين أذلوا هذه الامة وأفسدوا عليها أمر دينها ودنياها كما أذل أمثالهم كل أمة ذلت ، وأفسدوا كل ملة فسدت ، وان أمثال هذه الاماني لاتتم لعقلاء المسلمين الا اذا كثروا وصار لهم من النفوذ والتأثير فى نفوس العامة ، مايمكنهم من الأمور العامة ، فان الرؤساء الغاوين ، لايقهرون العقلاء المصلحين ، الا بقوة الرأي العام ، الذي أخضعته لهم التقاليد والاوهام ، ولذلك تراهـم يحاربون المصلحين بتبغيضهم الى العوام . ان لم يتمكنوا من الانتقام منهم بالنفي أو الاعدام ،

حكم اللواط وعقوبة اللذين يأتيانه

(س ٩٦) من عبد الفتاح أفندي هنو «بالاسكندرية» :

ما يقول حضرة الاستاذ الامام ، (أدام الله بقاه) في ما يجب على اللوطية من الاحكام الشرعية هل هو قتل الفاعل والمفعول مطلقاً كما ذهب اليه جماعة من العلماء أم حكم الفاعل حكم الزاني بخلاف المفعول كما ذهب الى ذلك جمع آخر ام لاحد على الفاعل والمفعول كما هو المشهور عن ابي حنيفة رضي الله عنه واذا كان الواجب قتل الفاعل والمفعول فهـل فى ذلك نص قاطع من الكتاب او من السنة المتواترة املا وهـل فى ذلك خبر آحاد أملا وهل على تقدير ورود خبر آحاد فيـه يجب العمل بمقتضاه املا ومن قال إن حكم الفاعل حكم الزاني هل له دليل من الكتاب أو من السنة او دليله القياس واذا كان دليله القياس فما العلة وعلة تحريم الزنا معلومة ومفقودة فى اللواط. وهل ادعاء ان المشـهور عن أبي حنيفة ما ذكر اعلاه صحيـح املا واذا رأيتم ان لاحد على الفاعل والمفعول فهل ترون حرمة ذلك واذا رأيتموها فهل هي

من الكبائر واذا كانت منها فهل هي أكبر من الزنا وهل اذا أنكر منكر تحريم ذلك مطلقاً يحكم بكفره أم لا افيدوا لازلتم مهديين

(ج) ورد هذا السؤال على مفتي الديار المصرية فأرسله الينا لنجيب عنه وقد كنا سئلنا في السنة الماضية عن حد اللواط فأجبنا عن السؤال في الجزء الثالث عشر منها وملخص الجواب ان الله تعالى امر بحبس النساء اللاتي يأتين الفاحشة وبايذاء اللذين يأتيانها وذكر هذا باسم الموصول للمثنى المذكر والمتبادر انه اراد الزاني واللائط وهو المروي عن مجاهد وابي مسلم وبه اخذ الشافعي وقيل ان المراد بهما فاعلا اللواط اي الفاعل والمفعول. والايذاء في الآية مجمل وقد ورد في بيانه من الحديث الأمر بقتل الفاعل والمفعول كما في حديث احمد واصحاب السنن وغيرهم. وورد حديث آخر في الامر برجمهما وروى الطبراني ان عثمان بن عفان أتي برجل قد فجر بصبي فسأل عن إحصانه فقيل له انه تزوج بامراة ولم يدخل بها فقال علي لعثمان لو دخل بها لحلّ عليه الرجم فأما اذا لم يدخل بها فاجلده الحد فقال ابو ايوب اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الذي ذكر ابو الحسن. ونقل ابن حجر في الزواجر عن بعض الصحابة الامر باحراق اللوطي ولم يصح ونقل عن بعض أئمة التابعين القول بأن حد اللواط هو حد الزنا قال وبه قال الثوري والاوزاعي وهو اظهر قولي الشافعي ويحكى عن ابي يوسف ومحمد. وذكر مذاهب واقوالا اخرى تراجع فى الجزء المذكور من منار السنة الماضية. وصفوة القول ان الله قد امر بعقوبة اللذين يأتيان الفاحشة وهي تشمل اللواط قطعا بدليل التعبير عنها بلفظ الفاحشة في الكلام على قوم لوط فانكار ذلك انكار لنص القرآن وكذلك انكار كونه معصية اذ لا عقوبة في غير معصية ومما يدل على كونها معصية كبيرة مع الاجماع تلك الآيات التي تقبح عمل قوم لوط اشد التقبيح مع قوله «قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن» فليس لمؤمن ان يتردد فى كون هذا العمل محرما يجب عقاب مقترفه اما كون العقوبة تسمى حداً وكونها عين عقوبة الزنا فهو مما علم برواية الآحاد فلا حرج على من انكره اذا لم يثبت عنده كما روي عن ابي حنيفة ولا مندوحة لمنكرها عن القول بوجوب العقاب على مرتكب هذه الفاحشة بما يظن

الحاكم انه يردعه عنها ويردع امثاله . والعمل بأخبار الآحاد الصحيحة المبينة لاجمال الكتاب فى الاحكام العملية مما لاخلاف فيه بين علماء الاصول والمراد بالصحيح هنا مايقابل الضعيف والمعلول . واما الرواية عن ابي حنيفة فهي في متون المذهب قال فى البداية «ومن أتى امرأة فى الموضع المكروه او عمل عمل قوم لوط فلاحد عليه عند ابي حنيفة ويعزر وزاد فى الجامع الصغير ويودع في السجن وقالا هو كالزنا فيحد» قال فى الهداية بعد هذا: وهو احد قولي الشافعي وقال فى قول يقتلان فى كل حال لقوله عليه السلام «اقتلوا الفاعل والمفعول» ويروى فارجموا الاعلى والاسفل ولهما انه فى معنى الزنا لانه قضاء الشهوة فى محل مشتهى على سبيل الكمال على وجه تمحض حراما لقصد سفح الماء: اه المراد

ثم إننا نقول بأن القياس يتفق مع النص فى تحريم هذه الفاحشة والعقاب عليها بعقاب الزنا او نحوه فان ضررها كبير وإفسادها عظيم فمنه إضاعة النسل بالمرة وهي اشد ضررا من وضعه فى غير موضعه فالامة التي يفشو فيها اللواط يقل فيها النسل مالا يقل في فشو الزنا وان كان الزنا ايضا من اسباب قلة النسل وذلك أن في فشو اللواط اهمالا للنساء بقدرة ولاحاجة الى زيادة التفصيل في بيان هذه المفسدة وحسبك ماتسمع كل يوم عن فرنسا من اهتمام ساستها وعلمائها بما علم من قلة النسل فيها . ومنه افساد البيوت فان البيت الذى يرتكب صاحبه هذه الفاحشة الدنيئة يسري فيه الفحش سريان السم في الجسم فلا تبقى فيه امرأة ولا ولد الا ويتسمم بفساده ومن بحث فى سيرة الفساق بحث مستفيد معتبر يعرف صحة هذا القول . ومنه ان مرتكبي هذه الجريمة يغلب عليهم المهانة وفقد احساس الشرف والغيرة وغير ذلك من الاخلاق الذميمة حتى انهم يكونون محقرين مستذلين عند الاحداث والسفهاء. ومنه أن المفعول به يصاب بداء الأبنة ولا داء يذل صاحبه ويشينه ويحقره مثل هذا الداء الذميم الذي يتعذر كتمانه لاسيما فى الكبر وانك لتسمع فى هذه المدينة الفاسقة بذكر رجال من بيوتات الجاه الرفيع يوصمون بهذه الوصمة ، فيقترن ذكرهم باللعنة . ولم تبق لهم في نفوس الناس قيمة ، ولولا دهان غلب على الناس لبصقوا في وجوههم في حضرتهم ، كما يمضغون لحومهم في غيبتهم ،

الانتقام من الابناء بذنوب الآباء

(س ٩٧) أحمد افندى المشد المحامي في (ملوي): هل المولى عز وجل ينتقم من الابن بسبب الأب وما هو الدليل القرآني أو الحديث على صحة أي القولين

(ج) يقول الله تعالى في سورة فاطر: «ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى» أي لاتحمل نفس وازرة (مذنبة) وزر نفس اخرى وانما تحمل كل نفس وزر نفسها وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب والاوزار نفسا اخرى الى حمل شيء من ذنوبها لاتجاب دعوتها ولايحمل من تدعوه عنها شيئا ولو كان من الاقربين كالآباء والابناء وهذا المعنى مكرر في القرآن «ولا يظلم ربك أحدا» وأما قوله تعالى «وليحملن أثقالهم واثقالا مع اثقالهم» فهو في المضلين الذين يحملون إثم الضلال الذى وقع من الناس باغوائهم ويوضحه قوله تعالى «ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم»

تربية اللقطاء

(س ٩٨) ومنه: هل يجوز شرعا تربية الأطفال اللقطاء وهذا السؤال مفرع على ماقبله

(ج) التربية الصالحة من افضل الاعمال ولا شيء منها غير جائز ولو فرضنا ان الابناء يؤاخذون بذنوب الآباء لماكان ذلك مانعاً من جواز تربيتهم فان اهمال التربية الصالحة سبب لكثرة الشر والفساد في الارض

(عقيدة الدروز)

(س ٩٩) سعيد افندي قاسم حمود في كنتون أوهايو من (أميريكا الشمالية) دار بين جماعة منا معشر المسلمين وجماعة من الدروز اللبنانيين حديث أفضى الى ذكر الحشر والنشر والموقف العظيم فقال أحد الدروز هل تعتقدون ايها المسلمون بيوم القيامة وبالجنة والنار فقلت نعم قال فانتم اذن كالعيسويين فاستوقفته حينئذ عن هذه المحاجة التي أدت به الى الكفر وجئتكم أنا وإخواني المسلمين سائلين عن هذه الشيعة الدرزية هل تؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيوم البعث أم ماذا يعبدون وبماذا يؤمنون؟ عرفونا لنكون على حذر ونؤدبهم بمنار كم المؤيد الى أبد الآبدين آمين

(ج) لا يضرنا معشر المسلمين أن نوافق النصارى فى بعض عقائدهم فالاصل موافقة جميع الاديان في العقائد ولولا تحريف الامم وإضاعتهم لما خالفت عقيدة نبي عقيدة من قبله من الانبياء • وأما الدروز فانهم فرقة من فرق الباطنية الذين انشقوا من المسلمين وهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ولكنهم يحرفون القرآن بالتأويل كسائر الباطنية ويعتقدون بأن العلى والبار وأبو زكريا وعلي والمعل والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم اله واحد والحاكم هذا هو أعظمهم ويعبرون عنه بمولانا ويدينون بتوحيده وهو الحاكم بأمر الله من الملوك العبيديين المعروفين بالخلفاء الفاطميين والحاكم هذا كان ظالماً وظلمه مشوب بفن من الجنون • ومبنى عقيدة الدروز على التناسخ وقد ذكرنا طرق الاستدلال عندهم وبعض عقائدهم في مقالات المصلح والمقلد فى المجلدين الثالث والرابع من المنار ولا حاجة للاطالة بها والجدال معهم عبث فانه لاقانون فى دينهم للاستدلال اذ العمدة فيه على الحروف وحساب الجمل على أن العارفين بالدين منهم قليلون وهم الذين يدعونهم العقال • وقد رأينا من المتعلمين على الطريقة العصرية ومن أهل البصيرة والنباهة من يتمنون نشر التعاليم الاسلامية فى قومهم ولو وجد للمسلمين نهضة للتعليم ورقي في العلم والاجتماع لسهل عليهم جذب معظم هذه الطائفة في زمن يسير

القسم العمومى

كتاب المصالحة المنتظمة بين سلطان مراكش ولويز الخامس عشر ملك فرنسا

الحمد لله وحده هذا ماصالح عليه مولانا الامام المظفر الهمام السلطان الاعظم الامجد المعظم سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن اسماعيل . الله وليه ومولاه ابن مولانا اسماعيل قدس الله سره سلطان مراكش وفاس ومكناسة وسوس وتافلالت وغيرها طاغية جنس الفرنسيس ومن فى حكمه لويز الخامس عشر من اسمه بواسطة الباشا دور المفوض اليه من قبله وهو كونط دبرنيون على شروط تذكر وتفصل بعد هذا وتم هذا الصلح وانبرم في آخر ذي الحجة الحرام عام ثمانين ومئة والف الموافق لتاريخ الروم لثمانية وعشرين من شهر مايه عام سبع وستين وسبع مئة والف •

(الشرط الاول) يؤسس هذا الصلح وينبرم على ما انبرمت عليه المصالحة بين السلطان الاعظم سيدنا ومولانا اسماعيل قدس الله سره وبين طاغية الفرنسيس فى ذلك الوقت لويز الرابع عشر من اسمه والشروط المشار اليها هي هذه •

(الشرط الثاني) إن لرعيتي الدولتين أن يذهبوا بتجاراتهم ومراكبهم حيث شاءوا براً وبحراً في أمن وأمان بحيث لايتعدى أحدهما على الآخر ولا يغنمهم أحد من ذلك

(الشرط الثالث) اذا التقت سفن سيدنا نصره الله الجهادية أو غيرها بقراصين الفرنسيس أو غيرها من سفنهم البازركانية حاملة لسنجق الفرنسيس وعندهم بصابرط من قبل طاغيتهم على الوجه المصطلح عليه كما هو مرسوم آخر هذه الشروط فلا يتعرض لهم ولا يفتش فيهم ولا يطالبون بغير احضارها وان احتاجوا لما يقضونه لبعضهم على وجه الخير قضوه من الجانبين وكذلك السفن الفرنسيسية يفعلون مع سفن سيدنا أيده الله ماذكر أعلاه اذا التقوا معهم ولا يطالبونهم بشيء الا باظهار خط يد القونصوا الفرنسيسي المستوطن بإيالة سيدنا نصره الله على الوجه المصطلح عليه أيضاً كما هو مرسوم بآخر هذه الشروط. ولا تطالب القراصين الفرنسيسية الكبيرة باحضار الباصابرط اذا التقت بهم سفن سيدنا أيده الله اذ ليس من عادتهم حملها ويؤخر البحث عن الصغار لمضي ستة أشهر تأتي من تاريخه أولها يونيه وآخرها نومبر الآتي. وفي هذه المدة يعطي طاغيتهم امارة بالكتابة للسفن الصغار وتأتي نسخة منها على يد القنصوا لتصاحب قراصين سيدنا في سفرهم بحيث اذا التقوا بهم يستظهر كل واحد بما عنده من ذلك العمل في نزول الفلوكة على ماوقع الشرط فيه بينهم وبين الجزيريين

(الشرط الرابع) اذا دخلت سفينة من سفن سيدنا الجهادية أو غيرها لمرسى من مراسي الفرنسيس أو بالعكس فلا يمنعون من حمل ما يحتاجون اليه من مأكول أو مشروب لهم ولمن معهم في سفنهم من الجانبين وكذلك ان احتاجوا الى آلة من آلات سفنهم فلا يمنعون من ذلك بالثمن الجاري بين الناس من غير أن يزاد عليهم شيء في جميع ذلك مراعاة للصلح الذي بين الرعيتين.

(الشرط الخامس) لرعيتي الدولتين الدخول لأي مرسى شاؤا من مراسي سيدنا أيده الله أو من مراسي بلاد الفرنسيس والخروج منها سالمين آمنين وأن يبيعوا ويشتروا ماشاؤا على حسب ارادتهم وان باعوا من سلعهم بعضاً وأرادوا ردّ الباقي لمراكبهم فلا يطالبون بوظيف آخر وانما يطالبون بتعشير السلع أولا عند نزولها فقط ولا يدفعون في التعشير زيادة على غيرهم من الاجناس ولتجار الفرنسيس التصرف في البيع والشراء

في جميع ايالة سيدنا نصره الله كغيرهم وان تفضل سيدنا أيده الله على جنس من أجناس النصارى بنقص شيء من القمرق أو من الصاكة وغيرها فهم من جملتهم .

(الشرط السادس) اذا انتقض الصلح بين أهل تونس والجزائر وأهل طرابلس وغيرهم وبين الفرنسيس ودخلت سفينة من سفن الفرنسيس أيا كانت لمرسى من مراسي سيدنا نصره الله وتبعتها سفينة حربية من سفن عدوّهم لتأخذها فعلى أهل تلك المرسى منع سفينة الفرنسيس المذكورة من عدوّهم المذكور ولو برميه بالمدافع ليبعد عدوّهم عنها ويحبس المركب الطالب لها بالمرسى مدة حتى تبعد السفينة المطرودة عنها لئلا يتبعها في الحال حسبما هي العادة واذا التقت مراكب سيدنا الجهادية بعدوهم بكوشطة الفرنسيس فلا يأخذونهم الا بعد تجاوز ثلاثين ميلا .

(الشرط السابع) اذا دخلت سفينة من عدو الفرنسيس لمرسى من مراسي سيدنا أيده الله وبها أسارى من الفرنسيس فان كانوا باقين بالمركب لم ينزل أحد منهم للبرّ فلا كلام معهم فيهم وان نزلوا للبر فهم مسرحون وينتزعون من يد الذي هم تحت أسره وكذلك اذا دخلت سفينة من عدو سيدنا نصره الله لمراسي الفرنسيس وفيها أساري من الايالة المولوية يفعل بهم مثل ذلك وان دخل عدو للفرنسيس أيا كان لإيالة سيدنا بغنيمة أو دخل عدو سيدنا أعزه الله بغنيمة لمراسي الفرنسيس فان الجميع يمنعون من بيع الغنيمتين بالايالتين . واذا وجد عدو احدى الدولتين تحت سنجق الاخرى فلا يتعرض له ولا لمساله من الجهتين واذا اخذت سفينة سيدنا أيده الله غنيمة ووجد فيها بعض الفرنسيس ركابا فانهم يسرحون بأموالهم وأثاثهم كله وكذلك اذا غنم الفرنسيس سفينة لعدوه أيا كان ووجد فيها ركابا من الايالة المولوية فانهم يفعل بهم مثل ذلك وأما ان كانوا بحرية فلا يسرحون من الجانبين .

(الشرط الثامن) لا يلزم رؤساء المراكب البازركانية بحمل مالم يريدوه في سفنهم ولا ان يتوجهوا لمحل من غير ارادتهم

(الشرط التاسع) اذا انتقض الصلح بين وجاقات الجزائر ووجاقات تونس وطرابلس وبين الفرنسيس فلا يأمر سيدنا نصره الله باعانة الوجاقات المذكورين بشيء أصلا ولا يترك أحداً من رعيته يتسلح ويركب تحت سنجق أحد الوجاقات ليقاتل الفرنسيس

ولا يترك أحداً يخرج من مراسيه ليقاتلهم وان فعل أحد من رعيته ذلك عاقبه وضمن ما أفسده وكذلك يفعلون مع من عادى الجناب المولوي اسماه الله لا يعينونه ولا يتركون من يعينونه من رعيتهم*

(الشرط العاشر) لا يكلف جنس الفرنسيس بدفع آلة الحرب من بارود ومدافع وغير ذلك مما يقاتل به

(الشرط الحادي عشر) لطاغية الفرنسيس أن يجعل بايالة سيدنا نصره الله من القونصوات ماأراد وفي أي بلد شاء ليكونوا وكلاء له في مراسي سيدنا ايده الله ليعينوا التجار ورؤساء البحر والبحرية في جميع ما احتاجوا اليه ويسمع دعاويهم ويفصل بينهم فيما يقع بينهم من النزاع لئلا يتعرض لهم أحد من حكام البلد غيرهم وللقونصوات المذكورين أن يتخذوا بدورهم موضعاً لصلاتهم وقراءتهم ولا يمنعون من ذلك ومن أراد إتيان دار القونصوا للصلاة أو للقراءة من أجناس النصارى ايا كانوا فلا يتعرض لهم أحد ولا يمنعون من ذلك وكذلك رعية سيدنا أيده الله اذا دخلوا بلاد الفرنسيس لا يمنعهم أحد من اتخاذ مسجد لصلاتهم وقراءتهم بأي مدينة كانوا . ومن استخدمه القونصوات المذكورون من كتاب وترجمان وسماسير وغيرهم فانه لا يتعرض لمن استخدموه بوجه ولا يكلفون بشيء من التكاليف أيا كانت في نفوسهم وبيوتهم ولا يمنعون من قضاء حاجة القونصوات والتجار في أي مكان كانوا ولا يدفع القونصوات ملزوماً ولا وظيفاً عما اشتروه لأنفسهم من مأكول ومشروب وملبوس ولا يأخذ منهم العشر عما جاءهم من بلادهم من الحوائج المعدة للباسهم ومأكولهم ومشروبهم كيفما كانت ولقونصوات الفرنسيس التقدم والتصدر على غيرهم من قونصوات الاجناس الآخرين ولهم أيضاً أن يذهبوا حيث شاؤوا من ايالة سيدنا أيده الله براً وبحراً من غير مانع لهم من ذلك ويذهبون أيضاً لسفن جنسهم ان أرادوا من غير مانع أيضاً ودورهم موقرة لا يتعدى فيها احد على آخر .

(الشرط الثاني عشر) اذا وقع نزاع بين مسلم وفرنسيسي فان امرهما يرفع للسلطان نصره الله أو لنائبه حاكم البلاد ولا يحكم بينهما القاضي في نازلتهما.

(الشرط الثالث عشر) اذا ضرب فرنسيسي مسلماً فلا يحكم فيه الا بعد إحضار القونصوا

ليجيب ويدافع عنه وبعد ذلك ينفذ فيه الحكم بالشرع وان هرب النصراني الضارب فلا يطالب به القونصوا لأنه ليس بضامن له وكذلك اذا ضرب المسلم الفرنسيس وهرب فلايطالب باحضاره .

(الشرط الرابع عشر) اذا كان لأحد من التجار دين على أحد من رعية الفرنسيس فلايكلف القونصوا بخلاصه إلا اذا ضمن المال وكتب فى ذمته فحينئذ يكون الخلاص عليه وان توفي أحد من النصارى الفرنسيس في جميع إيالة سيدنا نصره الله فتسلم أرزاقه وأمتعته ليد القونصوا ليزممها ويختم عليها أو يتصرف فيها بماشاء ولايعنه أحد من ذلك ولايتعرض له أحد من القاسمين ولا من أهل بيت المال.

(الشرط الخامس عشر) اذا رمى الريح مركباً من المراكب الفرنسيسية على سواحل ايالة سيدنا نصره الله اوجاء هارباً من سفن أعدائه فليعط سيدنا أمره لجميع أهل سواحله ان من وقع عنده مثل ذلك يعينونهم على قدر طاقتهم امابإخراج المركب للبحر ان امكن وان حرث اعانوهم على تخليص الامتعة التي به وجميع آلاته وكل ما خرج من المركب يتصرف به القونصوا القريب من ذلك المكان او نائبه بما شاء ليخلص تلك السفينة بعد أن يعطي لمعينه اجرته ولايؤخذ عن تلك السلع حال التحريث عشر الا مابيع منها فيؤخذ عشره .

(الشرط السادس عشر) اذا دخلت مراكب الفرنسيس القرصانية لمرسى من مراسي سيدنا نصره الله فليلتقوا بالبشر والبشاشة مراعاة للصلح الحاصل ورؤساء هذه المراكب ان اشتروا بدرهمهم شيئاً من مأكول او مشروب لايطالبون بصاكة ولا بغيرها وكذلك يفعل بمن دخل لمراسي الفرنسيس من سفن سيدنا أيده الله وهذا المأكول والمشروب المذكوران لانفسهم ولاهل مراكبهم .

(الشرط السابع عشر) اذا دخل قرصان من قراصين الفرنسيس لمرسى من من مراسي الايالة المولوية فان القونصوا الحاضر فى الوقت بالبلد يخبر حاكمها بذلك ليتحفظ على الاسارى الذين بالبلاد لئلا يهربوا للسفينة المذكورة فان هرب أسير وحصل المركب فلايفتش عليه ولا يطالب به القونصوا ولا غيره لانه دخل تحت سنجق الفرنسيس ولاذ به وكذلك من فعل من أسارى المسلمين أيا كانوا اذلاذ بمراسي الفرنسيس لايفتش عليه لان السنجق حرم .

(الشرط الثامن عشر) ما بني من الشروط يفسر ويشرح على وجه مفيد معتبر لكي يحصل منها خير كثير ونفع عام لرعيتي الدولتين ولان بواسطتها تشد عقود الموالاة والمصافاة

(الشرط التاسع عشر) اذا حصل خلل في الشروط التي انعقد عليها الصلح فلا يفسد الصلح بسبب ذلك وإنما يبحث في المسألة ويرجع فيها للحق من أي إيالة كانت ولا يتعرض لرعايا الدولتين الذين لا مدخل لهم في شيء من الاشياء ولا يباشر أحد من الرعيتين الخصومة والجدال الا بعد مخالفة الشريعة والحق اعلاناً.

(الشرط الموفي العشرين) إن قدر الله بنقض الصلح المنبرم فجميع من بإيالة سيدنا نصره الله من جنس الفرنسيس يؤذن لهم في الذهاب لبلادهم بأموالهم وأمتعتهم لمضي ستة أشهر .

(ذكر الباصابرط المصطلح عليها)

لكل مركب من المراكب الفرنسيسية البازركانية من عند أمير البحر بكل مرسى من مراسي الفرنسيس لويس جان مري دربون دك دبنطيور امير البحر بايالة الفرنسيس السلام على كل من ينظر هذه الاسطر نعلمه انا دفعنا ونفذنا إجازة بالباصابرط هذه لفلان رئيس المركب المسمى فلاناً فيه من الوسق كذا وانه ذاهب الى بلد كذا موسوق بكذا مكاحله ومدافعه كذا رجاله كذا وهذا بعد ما صار النظر والاطلاع الشرعي بما فيه فشهادة على ذلك وضعنا امضاءنا وطابعنا وكتب بخط يده كاتب البحر فلان في مدينة باريز في شهر كذا سنة كذا

لويز جان مري دبوربون وتحت ذلك من جانب حضرته السمية غرامبرك مختوم

(ذكر خط يد القونصو المصطلح عليه الذي يكون عند سفن سيدنا أيده الله)

صورته

كاتبه فلان قونصو الفرنسيس بايالة سيدنا نصره الله بثغر كذا نعلم كل من رأى هذه الاحرف أن المركب المسمى كذا رئيسه فلان وفيه كذا وهو من ثغر كذا بأنه هو ومن معه من إيالة السلطان المنصور بالله سيدنا محمد بن عبد الله سلطان مراكش ومن انضاف اليه رجاله كذا مدافعه كذا وشهادة على ذلك وضعنا اسمنا على هذه الورقة التي ختمناها بخاتمنا في بلاد كذا في شهر كذا من سنة كذا

﴿ العبرة بحال مراكش ﴾

كانت مملكة مراكش منذ قرن أو قرنين عزيزة الجانب مرهوبة الشذى من ممالك أوربا ولكن غرور المسلمين ، واختيارهم الجهل بحجة الدين ، قد جعل شرأحوالهم عواقبها وخواتيمها (والعياذ بالله تعالى) فانظر أيها القاري بعين العبرة في هذه المعاهدة أو المصالحة بين سلطان مراكش وملك فرنسا التي وقعت من نحو قرن ونصف تجد أن السلطان المسلم كان هو وقومه فرحين مغتبطين بالفخفخة والاطراء ، والألقاب الضخمة ورسوم الدعاء ، والاغترار برضى ملك فرنسا بلقب الطاغية ولم يفقهوا أن هذه المصالحة التي توهموا ان لهم فيها العزة والشوكة والصولة والدولة ماهي الامبدأ الخيبة والانخذال ، ومقدمات الاضمحلال والانحلال ، ولو وجد في ذلك الوقت رجل حكيم بصير بالعواقب وقال إن المزايا التي أعطيتموها لفرنسا على أن لكم منها مثلها ستكون وسيلة لاستيلائها على جيرانكم من إخوانكم ثم عليكم لانخذالكم وتفرقكم : لأفتي الفقهاء منهم بكفره ، وحكم الحاكمون بقتله ، وأجمعت الامة على لعنه ، لأنه خالف « مولانا الامام المظفر .... » واعترض أمره ، ولكن من رأى فرنسا استولت على الجزائر ثم احتلت تونس ثم انشبت براثنها في مراكش التي خذلت جارتها الجزائر في محاربتها لفرنسا من قبل وسمع ساستها وكتابها يفتخرون بانهم ورثوا ملك هذه البلاد وأملاكها — من رأى وسمع ماذكر يسهل عليه أن يعرف درجة جهل مراكش من ذلك اليوم بقوتها ، وخطر استرسالها في جهالتها ، وهل أفاق بعد هذا كله المراكشيون ، لعمرك أنهم لفي سكرتهم يعمهون ،

لانريد بهذه الذكرى إيقاظ أهل مراكش لأجل مقاومة نفوذ فرنسا فاننا نعلم أن الارض يرثها من عباد الله الصالحون لعمارتها وإقامة النظام والعدل فيها وأهل مراكش كأمثالهم من سائر المسلمين في هذه العصور أعداء العدل والنظام ، عشاق الخلل الاستبداد ، حرب العلم والصناعة ، سلم مع التفريط والاضاعة ، لاهم لهم في عالم السياسة الافي التزلف والاستخذاء لأمير أو سلطان منهم يسومهم سوء العذاب ، ويجعل نفسه في مصاف الارباب ، وهم لايحامون وصفه بصفات الالوهية ، ووسم أنفسهم بسمات العبودية ، ولقد كانوا يتنزهون عن هذا اللفظ (العبودية والعبد) ثم صار يقال جهراً ، ويحسب ديناً لا كفراً ، اوإقامة عدة زعماء ، وتمزيق الامة بتفرقهم في الاهواء ، ويا ويل من أنكر عليهم مايعرفون ،

وأنذرهم مغبة ماينكرون. – إنني أكتب هذا وأفكر فيمن يألمه وأزن آلامي بكل ما أتخيل من آلام فأراها ترجح في إحساسي واعتقادي وان قلمي ليقطر حبراً أحمر وقلبي يقطر دما أسود فليقل من شاء ماشاء فلا يستطيع أحد ان يؤلمني بقوله بأشد مما أنا فيه.

وأعود الى ماأريد من الذكرى، أريد أن يتنبه من عنده استعداد للفهم من أعداء الاصلاح الى حاجتهم الى التدبر والتأمل في كل قول ينتقد به حال أمتهم وملتهم وان كان القائل ظنينا عندهم فى رأيه واعتقاده، وأن يعلموا ان ضعف الامم وهلاكها بفساد رؤسائها وان الذين يعظمون هؤلاء الرؤساء ويتقربون منهم ويتمتعون بأموالهم وبجاههم ومنه رتب الشرف وأوسمته هم الجديرون بالاتهام بغش الامة في كل زمان ومكان، كذلك كانوا وكذلك هم الآن، ولكن الرياسة تستعبد الطامعين، والسياسة فتنة للعالمين،

كانت دولة مراكش عند عقد هذه المصالحة لاتزال عزيزة قوية ولكنها جاهلة بأن دوام الدولة إنما يكون بقوة الامة، وقوة الامة فى هذه الأزمنة لاتكون الا بالعلم والصناعة والثروة، ولقد كانت دولة فرنسا لذلك العهد ملكية مطلقة كدولة مراكش فلماذا سقطت هذه الدولة الاسلامية حتى صارت لاتقوى على تأديب خارج عليها ونهضت تلك الدولة حتى صارت فى مقدمة الدول العظمى؟ ولماذا صارت لا ترى مانعا من الاستيلاء على مملكة مراكش الا معارضة دول أوربا فلما رضوا قالت انا وارثة هذا الملك بعد ان كانت ترضى من صاحبه بتلك المصالحة التى يلقب فيها ملكها بالطاغية ويرضى بما دون المساواة لصاحب مراكش؟ ولقد كان الحال بين الدولتين على عهد لويس السادس عشر كما كان على عهد من قبله وكان محمد بن عبد الله بن اسماعيل يتعالى على لويس في الخطاب كما كان يتعالى على من قبله وآخر كتاب رأيناه منه مؤرخ فى سنة ١١٩١ على ان محمداً من خير من ولي مراكش عند أهلها ولويس السادس عشر من شر ملوك فرنسا عند أهلها اذ كانت الثورة الكبرى على عهده وقد أهانت الامة دماء الملوك بسفك دمه فكيف نهضت فرنسا على ما كان من ضعف ملكها وسقطت مراكش على ما كان من عظمة سلطانها وفضله؟ الجواب عن هذه الاسئلة واحد وهو أن الامة الفرنسية كانت تجد فى نشر العلم وجمع كلمة أهل الرأي لتقييد السلطة المطلقة حتى ظفرت بها وسارت على سنة الله فى ارتقاء البشر بالاسباب والامة المراكشية كانت تتوهم أنها مؤيدة من السماء،

ومتعبدة بالخضوع للرؤساء، لايخطر على بالها انها في حاجة الى العلوم الكونية، والصناعات العملية ، والقوة القومية ، فكانت تزيد تفرقا من حيث يزيد الفرنسيس اجتماعا ، وتوغل في فيافي الجهل ، كلما اوغل الفرنسيس في ربوع العلم ، وتستخذي لسلطة الرؤساء والحكام . إذ ساواهم الفرنسيس في الحقوق بالعوام ، وتتكل على كرامات الاحياء والاموات ، كما يتكل الفرنسيس على ما وهبهم الخالق من القوى والادوات ، فأي الفريقين احق بالقوة والسيادة ،

من المصائب الكبرى ان الامراء والسلاطين السكاري بخمرة السلطة المطلقة والاستبداد لايسمعون النذر التي تصيح بجوارهم ، ولا يبصرون العبر التي تنزل بديارهم ، وان الاعوان الغارين الغاشين للأمة بهم لايكفون عن غشهم للمرءوس، وتملقهم للرئيس ، مادام في يده لماج يأكلونه ، أو وشل يشربونه ، أو وسام يتحلون به أو يبيعونه ؛ وإن العامة تقبل هذا الغش ، وتدين لذلك القهر ، مفتونة بقوة الغالب، وخلابة الخالب ،

جميع الممالك والبلاد الاسلامية على خطر السقوط في أيدي أوربا وجميع أهلها سادرون في غرورهم الا أفرادا من المملكة العثمانية يطلبون الاصلاح الواقي بما يظنون نفعه والجماهير ينبزونهم بالألقاب ويتهمونهم بسوء القصد أو بسوء العمل والجرائد الخاتلة الخادعة تنفر العامة منهم ـ هذا والمملكة العثمانية أقدر الممالك على الاصلاح لكثرة المتعلمين القادرين على الادارة المنتظمة فيها. وهناك أفراد في المملكة الفارسية يقال ان الشاه نفسه يود معهم الاصلاح ولكن سلطة الشاه مقيدة بسلطة العلماء والمجتهدين، الذين لم يشعروا بالخطر المحيط بالمسلمين ؛ وليس عنده رجال، يقومون بالأعمال. فماذا نقول في بلاد نجد وحضرموت وهم على بداوتهم يخضعون لرؤساء في عزلة عن الكون وما فيه من القوى الحربية والسياسية التي لاتبارى الا بمثلها. ولعلك اذا قلت في البلاد العربية أو الفارسية انه يجب على الأمة ان تتعلم العلوم الرياضية والطبيعية والاجتماعية ترمى بالكفر ولا يبعد ان ترمى بعده بالرصاص

لايسهل تذكير المسلمين الا اذا سلبوا كل قوة وزالت من أيديهم كل سلطة وأنى لهم الذكرى حينئذ . ولو قلت للعقلاء العائشين منهم في بلاد الجهل والاستبداد

عليكم ان تفكروا عليكم ان تجتمعوا عليكم ان تتعلموا عليكم ان تعملوا عليكم ان تخاطروا ولا يغرنكم نبذ الاكثر منكم لكلام النذير لكم وزعمهم انه ضد للرؤساء بل تمثلوا حال كل بلاد استولى عليها الاجانب تجدون أن الناصحين كانوا فيها على خطر ثم ظهر صدق قولهم وتأويل وعدهم: لاختلفوا في الجدل، مع الاتفاق على ترك العمل، الا من هداه الله من المتقين ، وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ،

باب الأخبار والآراء

﴿ مصاب مصر بحسانها ومحسنها ﴾

رزئت الديار المصرية في هذا الشهر برجلين عظيمين لاخلف لهما فيما امتازا به وهما حسان الشعر وأديب القطر محمود سامي البارودي، ومحسن مصر الكبير أحمد المنشاوي فخسرت الأمة بفقدهما خسارة عظيمة لاعوض لها الا فيما نرجوه من فضل الله تعالى بتوفيقه من شاء أن يكون مثل محمود في بلاغة اللسان وثبات الجنان وعلو الهمة ومكارم الاخلاق وحب الاصلاح ومثل أحمد في بسطة اليد وسخاء النفس وحب الخير للبشر والاعانة على الاصلاح . أما المصاب بالاول فقد كان موجعاً لأهل الأدب لأنهم هم الذين يعرفون قيمة الفقيد ولمعارفه من الوجهاء والفضلاء وقد نسي مقامه السياسي عند من كان على رأيه ومن كان مخالفاً له لان علو المناصب عرض يطرأ فيكون له حكمه، ويزول فيمحى رسمه، ولا يذكر الانسان الا بصفاته وأعماله . وأما المصاب بالثاني فقد أحست به جميع الطبقات في الامة فتألم له العالم والجاهل والمسلم والاسرائيلي والنصراني بل تألم له كل عنصر يقيم فى مصر حتى الاجانب لان احسانه رحمه الله كان شاملا عاما وقد كان له لتشييع جنازته مشهد ما رأينا مثله لأمير ولا لعالم أو وزير، وانا نذكر مجملا من سيرة الرجلين ليكون درساً في التاريخ يستفيد به المستبصرون

﴿ محمود سامي البارودي ﴾

(ترجمته عن صحيفة كانت عنده يقال بان الشيخ محمد عبده كتبها معه سنة ١٢٩٨)

هو محمود سامي بن حسن حسني بك البارودي ينتهي نسبه الى نوروز الأتابكي

الملكي الاشرفي(١) ٠ والبارودي نسبة الى إيتاي البارود بلدة من مديرية البحيرة بمصر كان أحد أجداده ملتزماً لها فنسب اليها على عادة تلك الأيام ٠ ولد المترجم لثلاث بقين من رجب سنة ١٢٥٥ وبعد أن تلقى المبادي التعليمية دخل المدارس الحربية فى سنة ١٢٦٧ في مبادي حكومة عباس باشا الاول وخرج منها في أواخر سنة ١٢٧١ في أوائل حكومة سعيد باشا ٠ وكان في طبعه ميل غريزي الى الآداب العربية وفنون الانشاء والنظم فاشتغل بها حتى بلغ درجة عالية في النظم والنثر وفي شعره من السلاسة والمتانة وحسن التخيل ولطف الاداء وبهجة الديباجة ما لاترى نظيره الا في شعر فحول المخضرمين ٠ ثم جنحت نفسه الى تحصيل فنون الآداب التركية فرحل الى القسطنطينية وأقام هناك يتلم كتابة السر بنظارة الخارجية في الباب العالي فأتقن اللغة التركية قراءة وكتابة وله فيها من الأشعار والرسائل مايعترف أدباء الترك ببلاغته، وتعلم هناك ايضاً اللغة الفارسية

ولما انتهت امارة مصر الى اسماعيل باشا وسافر الى الاستانة لاجل القيام بالشكر للحضرة السلطانية على ولاية مصر عاد بصاحب الترجمة في حاشيته وكان ذلك فى رمضان سنة ١٢٧٩ ٠ ورقي الى رتبة البكباشي العسكرية في سبع بقين من المحرم سنة ١٢٨٠ وفيها سافر مع جماعة من ضباط العسكر المصري الى فرنسا لمشاهدة التمرينات العسكرية التي تكون هناك كل عام في المعسكر المعروف باسم « قان دوسالون » وسافر بعد أن قضى لبانته من ذلك الى لندره عاصمة انكلترا لاختبار الاعمال العسكرية والآلات الحربية فيها ثم عاد الى مصر فارتقى الى رتبة القائمقام في الألاي الثالث من الفرسان المعروف بلقب (الغارديا) وكان ذلك فى ١١ ج سنة ١٣٨١ وفى غاية ذي القعدة من هذه السنة ارتقى الى رتبة أمير ألاي فكان على الألاي الرابع من عسكر الحرس المعروف بالغارديا ٠ ولما خرج أهل جزيرة كريد عن طاعة الدولة في ربيع الاول سنة ١٢٨٣ وأرسلت الامارة المصرية جيشا لاسعاد الدولة على تأديبهم أرسل المترجم مع الجيش المصري بوظيفة رئيس الياورية وبعد اخماد نار الفتنة في ٣ جمادى الثانية سنة ١٢٨٤

(١) وفي الاصل الى المقام العالي المولوي الاميري الكبيري السيدي المالكي المخدومي العضدي الذخري المجاهدي السيفي نوزور الاتابكي الخ فحذفنا هذه النسب الاعجمية كما حذفنا القاب الامير والدعاء له كلما ذكر كما هي سنة المنار السلفية

أنعم السلطان عبد العزيز عليه بالوسام العثماني من الدرجة الرابعة وعاد الى مصر فكان من حجاب الخديو (ياور) ولما صدر الفرمان السلطاني بحصر الخديوية المصرية فى ذرية اسماعيل باشا فى ١٣ ربيع الاول سنة ١٢٩٠ وصار محمد توفيق باشا ولي العهد جعل صاحب الترجمة رئيس الحجاب (الياوران) وبعد ثلاث سنين جعله الخديو كاتب السر الخاص له (مكتوبي أو سكرتير) وبعد سنتين عاد الى العسكرية . ولما خرجت بلاد الصرب على الدولة عقيب فتنة الهرسك وأرسلت الحكومة المصرية جيشا لمساعدة الدولة على تدويخها أرسل هو الى الاستانة برسالة خاصة بذلك فأقام فيها ثلاثة أشهر وعاد الى مصر ثم أرسل اليها برسالة أخرى تختص بفتنة البلغار وخروج الجبل الأسود على الدولة . ولما اشتعلت نار الحرب بين الدولة وروسيا سافر بعسكره مع الجيش المصري الذي أرسل لمساعدة الدولة الى وارنه ولم يعد الا بعد عقد الهدنة الاخيرة وفي خلال ذلك رقي الى رتبة أميرلواء ومنح الوسام المجيدي الثالث والمداليا .

وفي شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩٥ عين مديرا للشرقية ثم عين رئيساً للشحنة (الضبطية) فى مصر مدة سنة كاملة اهتم فيها بحفظ الامن وكانت المخاوف تتناوش الناس من كل مكان لما كان فيها من الاصابع الخفية التي تتلاعب بإثارة الخواطر في ذلك الوقت أي أواخر حكم اسماعيل باشا بما كان من المنافسة بين الامراء والكبراء ومن توجه كثير من الافكار لإثارة الشرور وإيقاف حركة الادارة حتى اذا ماتم أمر الله بعزل اسماعيل باشا واقيم ولي عهده توفيق باشا اميراً لمصر جعل صاحب الترجمة عضواً في مجلس الوزارة وقلده نظارة عموم الاوقاف المصرية وكانت مختلة معتلة فأصلح خللها وداوى عللها بما وضعه لها من القواعد والترتيب (وسمع منه صاحب هذه المجلة انه اجتهد يومئذ فى جمع الكتب الموقوفة المتفرقة فى المساجد وإنشاء دار للكتب (كتبخانه) تجمع فيها وكان ذلك مبدأ الفكر فى إنشاء المكتبة المصرية المعروفة بالكتبخانة الخديوية) ولما تم أمر التصفية المصرية على ما يرام رقي المترجم الى رتبة فريق واعطى الوسام المجيدي من الدرجة الثانية وذلك فى ٩ شعبان سنة ١٣٩٧

﴿ الفتنة العرابية ﴾

فى غرة شهر ربيع الاول من سنة ١٢٩٨ كانت واقعة تألب الضباط المصريين

على ناظر الجهادية لأسباب أحفظتهم عليه فاجتمعوا على طلب عزله من النظارة فأجيب طلبهم وعين الخديوي صاحب الترجمة ناظراً للجهادية جامعاً بينها وبين نظارة الاوقاف فاجتهد فى إثلاج صدور الضباط واتخاذ الوسائل التي تكفل حفظ الامن فتم له ذلك ولكن ظهر له ان ادارة العسكرية أشد اختلالا من نظارة الاوقاف وأنها فى حاجة الى إصلاح عظيم لابد فيه من الروية وطلبه من أسبابه بالتدريج فوجه عناية لذلك واثقاً بحسن نيته ومضاء عزيمته وثقة الأمير والأمة به — قال كاتب الصحيفة التى نقلنا عنها ماتقدم بتصرف فى العبارة دون المعنى : وفي هذه المدة القصيرة تيسر له إصلاح كثير من شؤونها وتحويل بعض أحوالها الى ماهو أحسن ومن المأمول أن يساعده التوفيق الالهي على إتمام مقاصده فيها أن شاء الله تعالى اه

وإننا تم ترجمته بحسب مانعلمه من أصح الروايات وقد علم مما مر وهو ماكان يحفظه المرحوم مما كتب في أوائل أيام الفتنة أنه لم يكن للمترجم سابقة تقتضي استياءه من الأمير فانه نشأ في حجر الامارة عزيزاً كريما فبينه وبين رؤساء العسكرية الذين أثاروا الفتنة فرق وهم أحمد عرابي وعلي فهمي وعبد العال وأحمد عبد الغفار فإنهم كانوا كأكثر المصريين فى العسكرية وغيرها مهضومي الحقوق والمهضوم يندفع عند الفرصة إلى ازالة الهضم وطلب الحقوق بشعور قوي من نفسه بالحاجة الى ذلك وكثيرا مايقوى سلطان الشعور على الفكر فقد كان فكر زعماء الفتنة تابعاً لشعورهم بالألم والخطر المتوقع من جراء تهم مافعلو الاسيما بعد على الظهور بمظهر القوة أمام قصر الامارة وإلزام الأمير باطنابما أجابهم اليه بالرضى ظاهرا. وامامحمود باشا سامي فانه كان يعمل بالفكر لمصلحة أميره وأمته معا ولا يبعد ان يكون شعوره بوجوب تأييد سلطة الأمير المطلقة وقتئذ أقوى من فكره بوجوب تأييد مطالب أهل البلاد وعدم تميز الترك والجراكسة عليهم لأن الشعور دائما يتبع المنفعة الخاصة والفكر يؤيد المصلحة العامة ، والذي نظنه انه كان معتدلا جامعا بين مقتضى الشعور ومقتضى الفكر

كان الرجل على ما بينا ولكنه فى رمضان من السنة التي جعله الأمير فيها ناظراً للجهادية (سنة ١٢٩٨) أحس بسوء ظنه فيه واتهامه إياه بالاتفاق والاشتراك مع الضباط فيما كان يصدر عنهم من الاعمال المخالفة للنظام فاستعفى فأعفاه الأمير وعين داود باشا

يكن ناظر للجهادية . ولكن استعفاءه زاد الفتنة احتداما فى منتصف شوال حصلت المظاهرة المشهورة فى ميدان قصر عابدن بعد ما اجتهد الامير فى تسكين جاش الرؤساء المضطربين وكان ما كان فى القصر من الكلام بين رئيس الفتنة أحمد عرابي و بين الأمير أولا وقنصل الانكليز ثانياً وطلب عرابي إسقاط وزارة رياض باشا والتصديق على قانون العسكرية الجديد الذي ألفوه وعزل شيخ الازهر و بعد المراجعة رضي باسقاط الوزارة قبل نزوله من القصر الى جيشه المحدق به وتأجيل ماعداه فأجيب الى ذلك . ولما بلغ محمود سامي باشا خبر سقوط وزارة رياض باشا أسف أسفا شديدا لاعتقاده أن الخلل سيزيد والفوضى ستنتشر بعده وقد سئل عن رأيه في تأليف وزارة تحت رياسة شريف باشا وهل يجيب الدعوة ليكون فيها ناظراً للجهادية كما كان فأجاب بأنه عقد النية على ان لايدخل في خدمة الحكومة مادام لرجال العسكرية سلطان يعلو سلطان النظام وصمم على ذلك مع الاخلاص وصدق العزيمة ولما قبل شريف باشا تأليف الوزارة دعاه ليكون ناظر الجهادية فأبى ولكن الامير توفيق باشا نفسه دعاه وأكد له القول بأنه لم يسيء به ظنا قط بل كان يعتقد اخلاصه فى جميع أعماله وان الذي أساء به الظن هو رياض باشا وذكر له أمورا أثرت فى نفسه تأثيرا حمله على قبول نظارة الجهادية لا رغبة فيها ولكن خضوعا للامير وتشفيا ممن كان سببا فى تسوئة سيرته وتشويه سمعته ووقع بحسن نيته في الشرك الذي كان يتحامى الوقوع فيه . وفى أثناء هذه الوزارة تألف مجلس النواب المصري وعارض وكيلا دولتي فرنسا وانكلترا في نظر النواب وتقريرهم لميزانية الحكومة لما للدولتين من الديون عند الحكومة التي تسمح لهم بمراقبة ماليتها. ولما أصر النواب على وجوب النظر في الميزانية كغيرها وعدم قبول تداخل الاجانب في ذلك ولم يقبلوا ماتقحت الوزارة به لائحة مجلس النواب بل أرسلوا وفدا الى الامير يطلبون تنفيذ ماقرروه او اسقاط الوزارة فاختار الامير صاحب الترجمة لتأليف وزارة تحت رياسته ففعل وكان ذلك في منتصف ربيع الأول من سنة ١٢٩٩ وسارت الاعمال بعد ذلك سيراً مرضياً

ثم كانت المسألة التي سموها مسألة الجراكسة وهي كيد ضباطهم لعرابي باشا وعزمهم على قتله وكان ناظر الجهادية فأمر بالقبض عليهم ومحاكمتهم فى مجلس حربي والمشهور

أنهم قبضوا على أربعين منهم عثمان رفقي باشا الذي كان ناظر الجهادية من قبل وان رئيس المجلس الحربي الذي حكم عليهم كان راشد باشا الجركسي فحكم عليهم بالنفي الى أقاصي السودان ولكن مجلس النظار طلب من الأمير تخفيف العقوبة فأصدر أمره بذلك ولكن خاطب به نظارة الداخلية لا نظارة الجهادية خلافاً للمتبع يومئذ فوقع الخلاف يومئذ بين الأمير ومجلس النظار ومن ثم وقع الخطر وما كان أغناه عنه

اجتهد النظار في استرضاء الامير بواسطة جماعة من النواب استقدموهم من بلادهم فكلموه وكلمه غيرهم فلم يجب طلبهم. وسأل حينئذ وكلاء الدول من النظار عن حال الأوربيين في مصر هل يخشى عليهم من خطر فأجابوهم بأنه لا خوف عليهم ولا خطر ولكن الامير قال عقيب ذلك لهؤلاء الوكلاء انه لم يبق آمنا على مسنده ولا على دماء الاوربيين وأموالهم في مصر فطلب قنصل فرنسا وانكلترا من دولتيهما إرسال اسطولين الفرنسي طلبه للتهديد والانكليزي طلبه للعمل ولما حضر الاسطولان قدم القنصلان لائحة يطلبان فيها اسقاط الوزارة واخراج عرابي من القطر المصري وغير ذلك وكان ذلك في ٧ رجب سنة ١٢٩٩ الموافق ٢٥ مايو (ايار) سنة ١٨٨٢ فقبلها الامير واستعفى المترجم من الوزارة وكان اعتماد الامير على انكلترا دون فرنسا ومن آية ذلك تصريح المستر غلادستون يومئذ بأن دولته تريد أن تؤيد كلمة الجناب الخديوي توفيق باشا لما أظهر من أدلة الصداقة والإخلاص ... وكان في أثناء ذلك ما كان من الفوضى والاضطراب وكتب عرابي الى قناصل الدول يضمن لهم الامن العام ويقترح رجوع الاسطولين من الاسكندرية ووضع قانون اساسي يحدد حقوق الامير والوزراء وجعل صلات الدول بمصر من حقوق الدولة العثمانية. وفي تلك الاثناء ارسلت الدولة درويش باشا مندوبا لينظر في تلافي الامور فكان للاعمال ظهر وبطن واشتبه الامر على الناس وحشر الاجانب الى الإسكندرية وهاجر الألوف منهم فزاد الخوف وكثر الاعتداء في الاسكندرية وتفاقم الشر بعد ذلك بحريق الاسكندرية الذي كان بمعرفة محافظها عمر باشا لطفي بوحي خفي لا يخالف. وكان مرشد الأمير في تلك الاطوار المسترملت قنصل انكلترا الذي أمر رسميا من دولته بأن يترك القاهرة بعد حضور الخديوي الى الاسكندرية ويلازمه فيها. ثم اتخذ أمير الاسطول الانكليزي (سيمور) سببا للعدوان فزعم ان الجهادية تحصن قلاع الاسكندرية لأجل

محاربته وفي سبع بقين من شعبان بلغ الانكليز الخديوي عزم سيمور على مباشرة القتال بعد يومين وأشاروا عليه بأن يترك قصر رأس التين ويقيم في قصر الرمل ففعل. وفي اليوم التالي لذلك سافر الاسطول الفرنسي ولم يترك غير سفينتين وفي اليوم الذي بعده أطلق الاسطول مدافعه على حصون الاسكندرية — الخ ما كان مما لا محل هنا لشرحه بل نكتفي بالمثل « دم أضاعه أهله » والمراد ان الفتنة قد بلغت أشدها والحرب وقعت والاحتلال حصل والمترجم معتزل لاعمال الحكومة جهادية وإدارية حتى اذا كانت الحرب البرية ألزمه عرابي إلزاما بقيادة فرقة الصالحية فاضطر للقبول. ولما تمكن الانكليز من البلاد وحاكموا رجال الثورة حكم عليه بالنفي الى سيلان كما هو معلوم. وبهذا انتهت سيرة حياة الرجل السياسية ومن عرف أخلاقه وأفكاره وأطواره يجزم معنا بانه لم يكن في عمل عمله سيء القصد أو التصرف بل كان يريد الخير لبلاده تحت سلطة أميره الذي تغذى بنعمه ونعم أبيه وارتقى في قصرهما ولذلك عفا أمير البلاد الحالي عباس حلمي باشا عنه عند التماس بعض أصحابه ذلك من سموه راضيا وقابله بعد حضوره وأعاد له جميع حقوقه المدنية مع شدة بغضه لغيره من زعماء الفتنة العرابية حتى انه ليتألم من ذكر أسمائهم. وسنذكر في الجزء الآتي نبذة من سيرة الفقيد الأدبية وترجمة محسن مصر أحمد باشا المنشاوي رحمهما الله تعالى وأحسن عزاء أهلهما ومحبيهما

(سلطان زنجبار)

خلق الله سلطان زنجبار لهذا العهد مستعدا للخير والاصلاح ولقد تلقى العلوم في مدرسة بلندن فزادته بصيرة ولم تنقص من دينه ولا من فضائله الاسلامية شيئا فهو فاضل ميال الى منهج السلف كثير المذاكرة في القرآن والسؤال والبحث في تفسيره وقد أمر من عهد غير بعيد بابطال بدع أهل الطرق في اجتماعهم للذكر وغيره فظنوا ان هذا من تأثير المنار ولم يعلموا بدرجة بغضه للابتداع وحبه للاتباع وقد توجهت عزيمته الصادقة الى انشاء مدرسة عظيمة في زنجبار والحكومة تجد في بنائها الآن. وقد سررنا جدا لهذا النبأ العظيم ولكننا لم نقف على قانون المدرسة ولا على برنامج التعليم فيها فنذكر رأينا فيه وانما وصلت الينا آراء عنها غير مقطوع بها

على اختلافها فقيل انهم فرضوا على كل تلميذ ٣٥ روبية في الشهر وقيل انهم جعلوا التعليم فيها مجانا لان العرب لم يتعودوا دفع الاجرة على التعليم والهنود يفضلون مدارسهم لتقدمهم بها في التعليم ولكون الاجرة فيها أقل . وهذا هو القول الاخير ولعله الصحيح وقيل ان العناية ستكون فيها موجهة الى اللغتين الفرنسية والانكليزية ثم العربية لان زمامها سيكون بأيدي الافرنج وقيل لم يتحقق ذلك فعسى أن يتفضل علينا بعض القراء بالخبر اليقين لنبدي رأينا فيه

﴿ الشيخ حسين الجسر ﴾

وفد على القاهرة في هذه الأيام أستاذنا الاول الشيخ حسين الجسر الطرابلسي العلامة الشهير مؤلف الرسالة الحميدية فتلقي بالحفاوة من العلماء والفضلاء العارفين بفضله وهو الاستاذ الذى تلقينا عنه العلوم العقلية والنقلية ما عدا الحديث وفقه الشافعية فاننا أخذناهما عن شيخ الشيوخ محمود نشابه (رحمه الله) وعلى يد هذين الشيخين تخرجنا ومنهما أخذنا الاجازة بالتدريس وسيقيم أستاذنا الجسر فى القاهرة أياما ويسافر بعدها الى الحجاز لأداء الفريضة يصحبه محمد كامل بك البحيرى صاحب جريدة طرابلس فنسأل الله لهما السلامة في السفر والاقامة

﴿ هدم الألمانيين للمساجد وتعصبهم على العرب ﴾

كتب الينا بعض من حضر المعرض الذي أقامته الحكومة الألمانية في دار السلام قاعدة مستعمرتها فى شرقي أفريقية انه شاهد هناك المركبات المعروفة بالعربات يجرها الرجال منها الحسن وهم يمنعون العرب منه ومنها الردئ ويباح للعرب قال « ولكن بعد أن حرموهم من النوعين » . وقال كان لرجلين من اليونان لهما خدمة فى الحكومة بيت قريب من المسجد الجامع فكانا يشتمان المؤذن ثم شكواه الى الحكومة فهدمت الجامع وأعطت المسلمين جزاء حقيرا عنه ثم منعته فماذا ترى ؟ وكان في بلد تانقا جامع قريب من الساحل فاستاء منه الالمانيون وهدموه وأعطوا المسلمين بدله محلا آخر فماذا ترى ؟ اه

أرأيت أيها القارئ لو أن حكومة اسلامية فعلت مثل هذا ماذا يكون من أثره السيء عند هؤلاء المتمدنين وعند جميع النصارى بل وعند المسلمين. أتذكر أن معاوية

ومن بعده من ملوك بني أمية قد اجتهدوا في ارضاء نصارى دمشق ببدل عن تلك الكنيسة التي أرادوا بها توسعة المسجد فلم يقبلوا لأنهم في ظل الاسلام. أرأيت كيف أغضبوا الوليد بن عبد الملك وأهانوه وهددوه حتى اغتصبها وادخلها في المسجد وكيف جاء عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فحاول هدم المسجد وارجاع ما كان منه كنيسة الى ما كان عليه لولا ان استرضى مسلمو دمشق النصارى كما ذكرنا في جزء سابق . ارأيت كيف ان المسلمين متفقون على ان الوليد كان ظالما وان اهانوه وهددوه لان الاسلام لايجيز له ان ينتقم منهم لنفسه بذلك كما انهم متفقون على ان عمر بن عبد العزيز هو العادل الذي جرى في هذا العمل وغيره على منهج الراشدين. فانظر الفرق بين المسلمين يوم كانوا اقرب الى البداوة لمكان العمل بالدين وبين الافرنج وهم في اعلى درجة ارتقوا اليها في العلم والتربية والعدالة يظهر لك ان الاسلام هو الرحمة الكبرى للأنام ، وان هؤلاء الافرنج مهما ارتقوا فإنهم اشد الناس تعصباً لانفسهم وايذاء لغير ابناء جنسهم . وقد سلطهم الله على المسلمين الذين تركوا التمسك بفضائل دينهم لعلهم يرجعون بظلمهم إياهم الى هذا الدين ، او يكونون من الهالكين ،

ممباسا ولاموا أو سيئات الانكليز في الاستعمار

قلنا في اجزاء مضت إن انكلترا اقرب دول اوربا الى الحرية والعدل وانهم اذا لم يساعدوا اهالي مستعمراتهم على الارتقاء لايمنعونهم منه بالقوة كهولندا وما كان على شاكلتها وقد كتب الينا من زار ممباسا ولاموا من مستعمراتها ان الاموال هناك قد قلت والاهالي قد هلكوا لعجزهم عن مجاراة النصارى وفتك (ميكروبات) المدينة الاوربية فيهم اذ جرفت اليهم ماجرفت الى مصر من جند الشهوات الفتاكة على مافيهم من الجهل العام ولو ارتقت الانكليز في الرحمة والانسانية درجة اخرى لمنعت هؤلاء المساكين او منعت عنهم هذه المضار وسارت في هذا الامر كما سارت في بعض الامور على منهج المسلمين الذين يشترط عليهم القرآن ان يأمروا في الأرض التي يتمكنون منها بالمعروف وينهوا عن المنكر . بل كتب الينا من زنجبار انهم اخذوا اوقاف المساجد بحجة المحافظة عليها فهل فعل المسلمون مثل هذا العدوان في ايام تمسكهم بالاسلام ، وقوتهم التي دان لها الانام ؟ أو في يوم ما من الايام ؟

(تنبيه) وقع غلط بنمرة الصفحة (٧٩٢) حيث كتب (٨٩٢) فلتصحح

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق)

(مصر — السبت غرة ذي القعدة سنة ١٣٢٢ — ٧ يناير (ك٢) سنة ١٩٠٥)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(١٩٦ : ١٩٢) وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ، فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ، ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * (١٩٧ : ١٩٣) الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى، وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ *

اتصال هذه الآيات بما قبلها جلي جدا لا سيما لمن قرأ ما تقدم من التفسير فان آيات القتال السابقة نزلت في بيان أحكام الاشهر الحرم والاحرام والمسجد الحرام فكان الغرض الاول من السياق بيان أحكام الحج بعد بيان أحكام الصيام لان شهوره بعد شهره الذى هو رمضان ولما أراد النبي (ص) العمرة وصده المشركون أول مرة بالحديبية وأراد القضاء في العام القابل وخاف أصحابه غدر المشركين بهم واضطرارهم الى قتالهم اذا هم نقضوا العهد وبدأوا بالقتال أنزل الله تعالى أحكام القتال بعد ذكر الحج في حكمة اختلاف الاهلة ثم قال (وأتموا الحج والعمرة لله) فالعطف والتعبير بالاتمام ظاهران في أن السياق في الكلام عن الحج ولذلك لم يقل هنا كتب عليكم الحج كما قال في الصيام . وقد كان الحج معروفا في الجاهلية لانه فرض على عهد ابراهيم واسماعيل فاقره الاسلام في الجملة ولكنه أزال ما أحدثوا فيه من الشرك والمنكرات ، وزاد ما زاد فيه من المناسك والعبادات ، فالآية ليست في فرضيته وفرضية العمرة بل هي في واقعة تتعلق بهما وبقاصديهما وقد كانوا توجهوا الى ذلك قبل نزولها بعام كما تقدم فدل ذلك على أن المشروعية سابقة على نزول هذه الآيات . والمراد بإتمام الحج والعمرة الاتيان بهما تامين ظاهرا بأداء المناسك على وجهها وباطنا بالاخلاص لله تعالى وحده دون قصد الكسب والتجارة أو الرياء والسمعة . ولا ينافي الاخلاص البيع والشراء في أثناء الحج اذا لم تكن التجارة هي المقصودة في الاصل . وسيأتي التفصيل في حكم التجارة في الحج في تفسير « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » وأما الرياء وحب السمعة فاذا كان هو الباعث على الحج فالحج ذنب للمرائي لا طاعة واذا عرض الرياء في أثنائه فقيل إنه لا يقبل منه شيء

لما ورد من أن الله تعالى لا يقبل الا ما كان خالصا لوجهه والاحاديث فى ذلك كثيرة واذا كان هذا قد بدأ بالنسك لوجه الله فانه لم يتمه لله كما أمر وقيل بل يؤاخذ بقدر قصده الطاعة والاخلاص وقدر قصده الرياء وكل شيء عنده تعالى بمقدار « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وتجد القول فى هذه المسألة مفصلا في كتاب الرياء من الجزء الثالث من الاحياء فراجعه . وقد نبه الاستاذ الامام في الدرس على عامة الحجاج فى هذا الزمان فقال إن أكثرهم لا يخطر فى بالهم مناسك الحج وأركانه وواجباته ولا يقصدونها للجهل بها وانما يقصدون زيارة (أبو ابراهيم) يعني النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ومنهم من لا يعرف للحج معنى سوى هذه الزيارة وهؤلاء هم الهائمون المغرمون بالحج . ومن الناس من يحج ليقال له الحاج فلان أو ليحتفل بقدومه وهـذا من أخس ضروب الرياء وكثير منهم يقترض بالربا ويحج فيريد ان يعبد الله بانكر المنكرات . وقـد استدل بالآية القائلون بوجوب العمرة كالحج وهو المروي عن علي وابن عمر وابن عباس وجماعة من كبار التابعين وعليه الشافعي وأحمد وقيل إنها سنة ويروى عن ابن مسعود وجابر بن عبد الله وعليه مالك والحنفية وعن أبي حنيفة قول بالوجوب . وقد تقدم أن الآية ليست فى وجوب الحج والعمرة فلا تصلح حجة على القائلين بالسنية لان الامر باتمام الحج والعمرة خطاب لمن شرع فيهما ويصدق وان كانت العمرة سنة . ويدل على فرضية الحج قوله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » والاحاديث الصريحة وأما الاحاديث فى العمرة فمتعارضة والصواب أن الاحاديث الناطقة بأن العمرة غير واجبة وبأنها تطوع ضعيفة وأقواها حديث الاعرابي الذي سأل

النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : أخبرني عن العمرة أواجبة هي؟ فقال « لا وأن تعتمر خير لك » وهو عند أحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وصححه الترمذي وفى إسناده الحجاج بن أرطاه وقد ضعفه الاكثرون وبالغ ابن حزم فقال ان هذا الحديث مكذوب باطل، والصواب ماقاله النووي من اتفاق الحفاظ علي تضعيفه . وأقوى أحاديث القائلين بوجوب العمرة حديث أبي رزين العقيلي قال يارسول الله ان أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن فقال « حج عن أبيك واعتمر » رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي بلا نكير بل قال الامام أحمد لا أعلم فى إيجاب العمرة حديثا أوجب من هذه ولا أصح منه . فهو حجة على القائلين بأن الامر للوجوب مالم يصرفه صارف وقد يقال إن هذا السائل لم يقصد السؤال عن مشروعية أصل الحج والعمرة فانه كان يعلم حكمهما وانما سأل هل يصح أن يأتي بهما عن أبيه الذى يقعده عنهما العجز ولا ينافي هذا كون العمرة سنة متبعة لا فرضا لازما ويؤيد هذا عدم ذكرها فى الآية الناطقة بالوجوب ولا في حديث أركان الاسلام فهي تطوع النسك وإن لم يصح الحديث الذى فيه لفظ التطوع . وقال بعضهم إن العمرة سنة فمتى شرع فيها كان إتمامها واجبا . وماتقدم فى معني الاتمام هو المتبادر والجامع بين الاقوال المختلفة ومارواه ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية في سبب نزولها ان صح لا ينافيه وهو أن رجلا جاء النبي صلى الله عليه وسلم متضمخا بالزعفران عليه جبة فقال كيف تأمرني يارسول الله فى عمرتي فأنزل الله الآية فقال «أين السائل عن العمرة ؟ قال : ها أنا ذا : فقال له «ألق عنك ثيابك ثم اغتسل واستنشق ما استطعت ثم ما كنت صانعا فى حجك فاصنعه فى عمرتك »

وأركان الحج الاحرام من الميقات وهو أول أرض الحرم والوقوف بعرفة والطواف بالكعبة والسعي بين الصفا والمروة والحلق أو التقصير للشعر فمن أدى هذه الاعمال فقد أدى الفريضة التي هي ركن من أركان الاسلام، وله أعمال أخرى واجبة من قصر في شيء منها كان عليه فدية. وأركان العمرة هي ماعدا الوقوف من أركان الحج. وفرضية الحج مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة من أنكرها كان مرتدا. والراجح أنه فرض سنة تسع من الهجرة وعليه الجمهور وهذه الآية نزلت سنة ست ولكن ليس فيها ان الحج فرض على كل مستطيع من المؤمنين رجالا ونساء.

أمر بالاتمام ثم ذكر حكم ماعساه يحول دونه فقال (فان أحصرتم فما استيسر من الهدي) الحصر والاحصار في اللغة الحبس والتضييق يقال حصره عن السفر وأحصره عنه اذا حبسه ومنعه وقال بعض أئمة اللغة إن الاحصار هو المنع بسبب الناس والحصر بسبب المرض وقال بعضهم بالعكس وقوله تعالى بعد «فإذا أمنتم» يرجح ان المراد بالاحصار منع العدو أي ان منعتم من إتمام النسك فعليكم ماتيسر لكم من الهدي وهو مايهديه الحاج والمعتمر الى البيت الحرام من النعم ليذبح ويفرق على فقرائه وذهب الجمهور الى أن المراد بما استيسر الشاة وهي أدناه وقال ابن عمر وعائشة وابن الزبير جمل أو بقرة والمتبادر من الآية ان على كل أحد ما استيسر له من بدنة أو بقرة أو شاة قال ابن عباس وماعظم فهو أفضل. والجمهور على انه يذبحه حيث أحصر ولو في الحل ويتحلل لأنه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل على الارجح. وقالت الحنفية يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم أمارة فاذا جاء اليوم وغلب على ظنه أنه ذبح تحلل

ثم قال (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله) الدخول في الحج أو العمرة يكون بالاحرام وهو نية النسك عند الابتداء به بالتلبية ولبس غير المخيط والخروج منهما ويعبر عنه بالاحلال والتحلل يكون بحلق الرأس أو تقصير شعره فالنهي عن الحلق هنا عبارة عن النهي عن الاحلال قبل بلوغ الهدي الى المكان الذى يحل ذبحه فيه وهو فى حال الاحصار حيث يحصر الحاج والا فالكعبة لقوله تعالى « هديا بالغ الكعبة » وقوله « ثم محلها الى البيت العتيق » واستدل الحنفية بهذا على عدم جواز نحر الهدي فى محل الاحصار وحجة الجمهور فعل النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديبية وأن الاصل فى الهدي أن يبلغ الكعبة لانه مهدي اليها وحال الاحصار حال ضرورة لاسيما فى السنة التى أنزلت فيها الآية فقد كانت الكعبة فى أيدي المشركين فلا يعقل أن يأمر الله تعالى بارسال الهدي اليها فيكون غنيمة لهم على أن ابلاغه محله فى حال الاحصار يكون متعذرا أو متعسرا فكيف يتوقف الاحلال عليه . على ان اكتفاءهم بذبحه فى أدنى مكان من أرض الحرم لا ينطبق على الآيتين الناطقتين ببلوغ الكعبة والبيت العتيق وقولهم انه عليه السلام ذبح عام الحديبية فى أول الحرم غير مسلم فجمهور أهل النقل على خلافه . ثم انهم احتاجوا فى تصحيح قولهم الى تقدير العلم أي حتى تعلموا ان الهدي بلغ محله ولا حاجة الى تقدير على رأي الجمهور . واستدل الجمهور بالاقتصار على الهدي في مقام البيان على أن القضاء غير واجب على المحصر وقالت الحنفية يجب قضاء العمرة لان النبي قضاها بأصحابه وسميت عمرة القضاء وقال الشافعي سميت عمرة القضاء والقضية للمقاضاة التي وقعت بين النبي (ص) وبين قريش لا على أنه أوجب عليهم قضاء تلك العمرة . والهدي جمع هدية

كجدي وجديه والمحل بكسر الحاء اسم لمكان من حل يحل

ثم ذكر حكم من يؤذيه عدم الحلق فقال (فمن كان منكم مريضا) مرضا ينفعه فيه الحلق ويضره عدمه (أو به أذى من رأسه) كقمل أو جرح (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) أي فعليه إن حلق فدية من هذه الاجناس الثلاثة على التخيير . أخرج البخاري من حديث كعب بن عجرة قال وقف عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ورأسي يتهافت قملا فقال « يؤذيك هوامك؟» قلت نعم قال « فاحلق رأسك » قال فنزلت هذه الآية وذكرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم « صم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق بين ستة أو انسك بما تيسر » قال البخاري وعنه رضي الله عنه أنه قال : نزلت فيّ خاصة وهي لكم عامة : والفرق بالتحريك قيل وبالفتح مكيال بالمدينة يسع ستة عشر رطلا . وقوله بين ستة أي من المساكين والنسك ههنا قال ابن عبد البر لا خلاف بين العلماء في أنه شاة. ثم قال تعالى (فاذا أمنتم) الاحصار وذهب خوف العدو قال بعض الفقهاء ومثله المرض (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي) أي فمن تمتع بمحظورات الاحرام بسبب العمرة أي أدائها بأن أتمها وتحلل وبقي متمتعا الى زمن الحج ليحج من مكة فعليه ما استيسر له من الهدي أي فعليه دم جبر لأنه أحرم بالحج من غير الميقات يذبحه يوم النحر أو قبله جوازا عند بعضهم أو المعنى فمن قام بأعمال العمرة قبل الحج منتهيا اليه فعليه ذلك (فمن لم يجد) الهدي لعدمه أو عدم المال (فصيام ثلاثة أيام في الحج) أي في أيام الاحرام بالحج وتمتد الى يوم النحر (وسبعة اذا رجعتم) من الحج الى بلادكم ويصدق بالشروع في الرجوع وعليه الأئمة الثلاثة وغيرهم من السلف قالوا يجزيه الصوم في الطريق ولا يتضيق عليه الا اذا وصل الى

وطنه وقال مالك اذا رجع من منى فلا بأس أن يصوم وقال أبو حنيفة معناه اذا فرغتم من أعمال الحج فيجوز الصوم عنده قبل الشرع بالرجوع الى الوطن وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن عمر فى حجة الوداع انه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجع الى أهله» ولهذا الحديث قال بعض العلماء انه لا يجوز صيامها قبل الوصول الى أهله لانه تقديم للعبادة البدنية على وقتها ويجاب عنه بأن لفظ الرجوع يصدق بالشروع فيه ولا يخفى أن الاحتياط ان يصومها بعد الوصول الى أهله .

وقوله تعالى (تلك عشرة كاملة) إشارة الى الثلاثة والسبعة مبين لجملة العدد الواجب كما بين تفصيله ومزيل لوهم من عساه يتوهم ان الواو العاطفة لسبعة للتخيير كما عليه بعض العرب فى مثل : جالس الحسن وابن سيرين : وروي ان بعض العرب كانوا يستعملون عدد السبعة للكثرة فى الآحاد كما يستعملون عدد السبعين لغاية الكثرة فالفذلكة تزيل وهم هؤلاء ايضا ولذلك أكدها بقوله كاملة . قال الاستاذ الامام إن الله تعالى اذا أراد أن يقرر حكما وكان في التعبير المألوف عنه ما يوهم خلاف المقصود ولو لبعض المخاطبين يأتي بما يؤكد الحكم وينفي أدنى وهم يعرض فيه ولذلك وصف كتابه بالمبين وبالتبيان . واذا كان هذا شأنه فيستحيل أن يطلق فى مقام بيان الاحكام القول فى نفي شيء بصيغة الاثبات كما قدر بعضهم النفي فى قوله « وعلى الذين يطيقونه فدية »

ثم بين تعالى أن التمتع بالعمرة مضمومة الى الحج أو إلى وقت الاحرام بالحج وما يتبعه من الاحكام خاص بالآفاقيين دون أهل الحرم فقال (ذلك لمن

لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وذلك ان أهل الآفاق هم الذين يحتاجون الى هذا التمتع لما يلحقهم من المشقة بالسفر الى الحج وحده ثم السفر الى العمرة وحدها . هذا ما اختاره الاستاذ الامام وعليه الحنفية فلا متعة ولا قران عندهم لحاضري المسجد الحرام وقال غيرهم كالشافعية ان الاشارة الى أقرب مذكور وهو الجزاء على التمتع من الهدي او بدله لأن الآفاقي اذا تمتع يحرم بالحج من مكة لا من الميقات فيكون حجة ناقصاً يجبر بالهدي أو بدله اذا لم يجد ولعل وجه الاختيار التعبير باللام المفيدة ان التمتع رخصة دون «على» المفيدة للجزاء . وحضور الاهل المسجد الحرام كناية عن الاقامة في أرض الحرم قال الجلال : والاهل كناية عن النفس : وما قلناه في الكناية أظهر والعبارة تشمل من لا أهل له على كل حال و المتبادر أن أهل المسجد الحرام هم أهل مكة ومن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام غيرهم وعليه مالك وقال طاووس هم أهل الحل وأبو حنيفة هم من وراء الميقات والشافعي هم من كان على مرحلتين من مكة اي مسافة القصر عنده . ثم ختم الآية بالامر بتقوى الله المقصودة من كل أمر ونهي والاعلام بشدة عقوبته لمن لم يتقه فقال (واتقوا الله) بالمحافظة على امتثال هذه الاوامر والنواهي وغيرها من ضروب الهداية التى فيها سعادتكم (واعلموا ان الله شديد العقاب) بما جعل عاقبة التفريط والاضاعة شديدة على المفرطين فى الدنيا والآخرة فاذا علمتم ذلك علما صحيحا رجي لكم الاستمساك بحبل التقوى وكنتم من المفلحين . وأما من لم يكن على علم بسر وعيد الله تعالى بأن ظن انه تعالى يخلفه وان لم يتب ويتق صاحبه فهو من الخاسرين .

ذكر الله تعالى فى هذه الآية حكم التمتع بالعمرة الى الحج وقد علم ان

الحرمي فيه ليس كالآفاقي ويفهم منه ان هناك حجا واعتمارا على غير هذه الطريقة وقد ذكروا ان الحج مع العمرة على ثلاثة ضروب نذكرها هنا لإفادة من لم يقرأ الفقه او لمن لا يعرف فيها الا ما قاله بعض الفقهاء وهي التمتع والافراد والقران وقد اختلفوا في أفضلها لتعارض الاحاديث في حجة الوداع أي الضروب كانت. فالتمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج فيتمها ويتحلل ثم يحرم بالحج من مكة أو من قريب منها وقال بعضهم لا يشترط التحلل فتدخل في القران وقد أشرنا الى الوجهين في تفسير الآية. والافراد أن يحرم بالحج وحده ثم يعتمر بعد أدائه. والقران أن يحرم بهما جميعاً أو يحرم بالعمرة ثم يدخل الحج عليها أو العكس كما تقدم.

وقد اختلفت الاحاديث الصحيحة في حجه صلى الله عليه وآله وسلم فمن بعض الصحابة أنه كان تمتعا وعن بعضهم أنه كان إفرادا وعن بعضهم أنه كان قرانا وقد جمع المحدثون بين الروايات بوجوه أقواها وأجمعها انه أهلّ بالحج مفردا ثم أدخل عليه العمرة فصار قرانا فيحمل قول القائلين بالافراد على ما أهل به وقول القائلين بالقران على ما انتهى اليه عمله من إدخال العمرة على الحج وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: إن التمتع عند الصحابة يتناول القران: فتحمل عليه رواية من قال إنه حج تمتعا فتصح جميع الروايات. وصفوة القول ان حجه صلى الله عليه وسلم كان قرانا ولذلك فضل كثير من العلماء القران وقال بعضهم التمتع أفضل واحتجوا له بحديث جابر عند البخاري وأبي داود قال «أهلّ النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بالحج وليس مع أحد منهم هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم وطلحة وقدم علي من اليمن ومعه هدي فقال أهللت بما أهلّ به النبي صلى الله عليه وسلم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم

أصحابه أن يجعلوها عمرة ويطوفوا ثم يقصروا ويحلوا الا من كان معه الهدي وحكى استنكارهم وقول النبي (ص) ردا عليهم « لو استقبلت من أمري مااستدبرت ماأهديت ولولا أن معي الهدي لأحللت » . وقال بعضهم وهو رواية عن أحمد إن الافضل التمتع لمن لم يسق الهدي لا مطلقا . وقال ابن القيم فى اعلام الموقعين : أفتى صلى الله عليه وآله وسلم بجواز فسخهم الحج الى العمرة ثم أفتاهم بفعله حتما ولم ينسخه شيء بعده وهو الذى ندين الله به أن القول بوجوبه أقوى وأصح من القول بالمنع منه وقد صح عنه صحة لاشك فيها انه قال « من لم يكن أهدى فليهل بعمرة ومن أهدى فليهل بحج مع عمرة »

ثم قال تعالى (الحج أشهر معلومات) أي الوقت الذي يؤدى فيه الحج أشهر يعلمها الناس وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة أي إنه يؤدى فى هذه الاشهر ولا يلزم أن يكون من أول يوم منها الى آخر يوم بل معناه أنه يصح الاحرام به من غرة أولها وتنتهي أركانه وواجباته فى أثناء آخرها فالوقوف في التاسع من الحجة وبقية المناسك في أيام العيد وهي يوم النحر الذي فسر به قوله تعالى « يوم الحج الاكبر » وأيام التشريق وجوز بعض السلف تأخير طواف الزيارة الى آخر ذي الحجة . وقد اختلف العلماء فى ذلك فقال بعضهم انها الاشهر الثلاثة من أولها الى آخرها ويروى عن ابن مسعود وابن عمر وعليه مالك وقال بعضهم انها الشهران وعشر من ذي الحجة ويروى عن ابن عباس وعليه أبو حنيفة والشافعي وأحمد ولا حجة فى الآية لأحد على تحديده والمتبادر منها ماذكرناه . وقد استدل بالآية على أنه لايجوز الإحرام بالحج فى غير هذه الاشهر لانه شروع فى العبادة فى غير وقتها كمن يصلي قبل

دخول الوقت ويروى عن بعض علماء التابعين وعليه الشافعي والاوزاعي وأبو ثور من أئمة الفقه وقال أبو حنيفة وأحمد إنه جائز مع الكراهة ومالك بلا كراهة . وقد بحث بعض العلماء في لفظ الاشهر وكونها جمع قلة وهل ورد في بيانها نص أو إجماع وأقول إنه بحث لا وجه له فالمراد بقوله تعالى معلومات انها هي أشهر الحج المعروفة للعرب قبل الاسلام ولا خلاف في أنها الثلاثة التي ذكرناها ولذلك لم يؤثر عن الصحابة فيها الا ما قيل في الثالث منها هل تكون أيامه كلها أيام حج أم تنتهي أعمال الحج في العاشر منها فالآية ظاهرة في أن الحج لا يكون الا في هذه الاشهر ولعل هذا هو سر جعلها خبرا عنه ولما كان أعظم أركانه وهو الوقوف بعرفة يكون في التاسع من الثالث علم أن الحج لا يتكرر فيها فمن أحرم بالحج بعد هذا اليوم فلا حج له . قال تعالى (فمن فرض فيهن الحج) اي أوجبه وألزمه نفسه بالشروع فيه وقد مر بيان كيفيته (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) تقدم تفسير الرفث في آيات الصيام وفسروه هنا بالجماع والفسوق الخروج عن حدود الشرع بأي فعل محظور وقيل هو الذبح للاصنام خاصة وخصه بعضهم بالسباب والتنابز بالالقاب . والجدال قيل هو بمعنى الجلاد من الجدل بمعنى القتل وقيل هو المراء بالقول وهو يكثر عادة بين الرفقة والخدم في السفر لان مشقته تضيق الاخلاق . هذا هو المشهور وقال الاستاذ الامام ان تفسير الكلمات الثلاث ينبغي أن يكون متناسبا وبحسب حال القوم في زمن التشريع فاما الرفث فهو كما قيل الجماع ومقدماته والكلام فيه وفيما هو بمعناه من الفحش . وأما الفسوق فهو الخروج عما يجب على المحرم الى الأشياء التي كانت مباحة في الحل كالصيد والطيب والزينة باللباس المخيط .

والجدال هو ما كان يجري بين القبائل من التنازع والتفاخر في الموسم فبهذا يكون التناسب بين الكلمات والا حملت كلها على مدلولها اللغوي فجعل الرفث قول الفحش والفسوق التنابز بالالقاب على حد «ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق» والجدال المراء والخصام فتكون كلها آدابا لسانية

والنكتة في منع هذه الاشياء على أنها آداب لسانية تعظيم شأن الحرم وتغليظ أمر الاثم فيه اذ الاعمال تختلف باختلاف الزمان والمكان فللملأ آداب غير آداب الخلوة مع الأهل ، ويقال في مجلس الاخوان ، ما لا يقال في مجلس السلطان، ويجب أن يكون المرء في أوقات العبادة والحضور مع الله تعالى على أكمل الاداب وأفضل الأحوال وناهيك بالحضور في البيت الذي نسبه الى الله سبحانه اليه وقد بينا معنى هذه النسبة في تفسير «واذ جعلنا البيت مثابة للناس» الآيات

وأما السر فيها على أنها محرمات الاحرام فهو ان يتمثل الحاج انه بزيارته لبيت الله تعالى مقبل على الله تعالى قاصد له فيتجرد عن عاداته ونعيمه وينسلخ من مفاخره ومميزاته على غيره بحث يساوي الغني الفقير ، ويماثل الصعلوك الامير، فيكون الناس من جميع الطبقات ، في زي كزي الاموات، وفي ذلك من تصفية النفس وتهذيبها وإشعارها بحقيقة العبودية لله والاخوة للناس ما لا يقدر قدره، وان كان لا يخفى أمره، وفي حديث ابي هريرة في الصحيحين «من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وذلك أن الإقبال على الله تعالى بتلك الهيئة والتقلب في تلك المناسك على الوجه المشروع يمحو من النفوس آثار الذنوب وظلمتها ويدخلها في حياة جديدة لها فيها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

ثم قال تعالى بعد النهي عن هذه المحظورات (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) وفيه التفات الى الخطاب ويشعر العطف بمحذوف تقديره ان اتركوا هذه الامور الممنوعة في الحج لتخلية نفوسكم وتصفيتها وحلوها بعد ذلك بفعل الخير لتتم لكم تزكيتها فان النفوس بعد ذلك تكون أشد استعداد للتأثر بالخير والله لا يضيع عليكم أقل شيء منه لأنه عالم به وبأنكم وافقتم فيه سنته وشريعته (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) قالوا إن هذا نزل في ردع أهل اليمن عن ترك التزود زعما أنه من مقتضى التوكل على الله فقد أخرج البخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم عن ابن عباس أنه قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ثم يقدمون فيسألون الناس فنزلت فالمراد بالتقوى على هذا اتقاء السؤال وبذل ماء الوجه. قال الاستاذ الامام وهو غير ظاهر من العبارة بل المتبادر منها أن الزاد هو زاد الاعمال الصالحة وما يدخر من الخير والبر كما يرشد اليه التعليل في قوله فان خير الزاد التقوى والمعنى من التقوى معروف وهو ما به يتقى سخط الله وليس ذلك الا البر والتنزه عن المنكر ولا يعلل بان التقوى خير زاد الا وهو يريد التزود منها اما المعنى الذي ذكروه فلا يصلح مرادا من الآية لانه لولا ما أوردوا من السبب لم يخطر ببال سامع اللفظ والسبب ليس مذكورا في الآية ولا مشارا اليه فيها فلا يصلح قرينة على المراد من ألفاظها. نعم ان السبب قد ينير السبيل في فهم الآية ولكن يجب أن تكون مفهومة بنفسها لان السبب ليس من القرآن ولذلك أتمها بقوله (واتقون يا أولي الالباب) يعني من كان له لب وعقل فليتقني فانه يكون على نور من فائدة التقوى وأهلا للانتفاع بها: أقول ويدخل في فعل الخير والطاعة الأخذ بالاسباب كالتزود وتحامي وسائل الحاجة الى السؤال المذموم والله أعلم

توضيح وكشف إبهام

في بيان معنى واما السائل فلا تنهر من تفسير جزء عم لمؤلفه قال ايده الله

كنت أمس ضائق الصدر لمرض صديق أفقد بفقده معيناً على العلم يذكرني اذا نسيت ، ويلومني لوم المحب إن أخطأت وأصررت

جاءني وانا على تلك الحال صادق في مودتي وذكر مايقول قائل في كلام جاء في تفسير سورة الضحى مما وضعته على جزء عم وهو : « والسائل هو المستفهم عما لايعلم وليس هو طالب الصدقة فان هـذا اللفظ لم يرد في كتاب الله عنوانا للفقير والمسكين بل جرت سنة الكتاب المبين على ذكرهما بوصفهما » يقول القائل كيف هـذا وقد جاء (السائل) عنواناً للفقير أو المسكين في سورتي الذاريات والمعارج — في الاولى «وفي أموالهم حق للسائل والمحروم» وفي الثانية «والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» ذكر الصـادق ذلك من قول القائل فكأني ذكرت به ما كنت ناسياً وبادرت الى نسخة الكتاب فأصلحت الخطأ وعولت على أن أعلن ذلك في الجرائد حتى لايضل ضال ، ولا يتطاول جاهـل ، وماذا عليّ في ذلك ولست أعلى كعباً في استحضار الكتاب، من الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، حين همّ بعقاب من يقول : إن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات : حتى ذكره الصديق رضي الله عنه بقوله تعالى «إنك ميت وإنهم ميتون» فقال كأني لم اسمعها من قبل او كما قال — وحين شدد في أمر المغالاة في المهور وهو على المنبر فقالت له امرأة كيف ذلك والله يقول «وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخـذوا منه شيئاً» فتنبه رضي الله عنه للصواب وقال :رجل أخطأ وامرأة أصابت: ومن أنا من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العلم بكتاب الله والإحاطة بما فيه

لكني رجعت الي بعد ذلك نفسي فراجعت الأصول التي كانت بين يدي يوم كتبت ما كتبت فذكرت اني قصـدت من العنوان ما يدل على المعنى بنفسه بدون قرينة تبينه منه وكنت حققت معنى السائل خصوصاً في آية الذاريات وهو المستجدي الذي يطلب من مال غيره ولا يلزم أن يكون فقيراً ومسكيناً وغاية أمره أن يظن فيه الفقر اذ أحسن الظن فيه ولم يعلم أنه طلب لحاجة عارضة . ولم يفهم منه معنى الفقر في الآيتين الابقـرينة المـال واقترانه بالمحروم وقد أفادت القرينة مع ذلك أنه يملك شيئاً ولولا هذا ماعطف عليه المحروم الذي لاشيء عنده . وكذلك قوله تعالى في

سورة البقرة «وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين» فان قرينة اعطاء المال هي التي دلتنا على أن السائلين هنا هم طلابه والعطف على المساكين دليل على أن السائل لا يلزم ان يكون مسكيناً . وقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم عنه المسكنة فيما روي من قوله «ليس المسكين الذى ترده الأكلة والأكلتان واللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان» قالوا فما هو قال «الذى لا يجد ولا يتصدق عليه» وقد رووا عنه انه قال «للسائل حق وان جاء على فرس» وقالوا ان السائل هو الطالب وقد يسمى في عرف الناس الفقير بالسائل ولكنه فى الكتاب العزيز ليس عنوانا للفقير والمسكين يفهمان منه بالنص كما تفهم المعاني الحقيقية من دوالها الوضعية او الغالبة فيها فاذا اطلق السؤال مفرداً عن القرائن المعينة لمعناه المراد منه لم يفهم منه الفقير على ماجرت به سنة الكتاب العزيز فى التعبير فان سنته جارية باستعمال السؤال في معنى الطلب لا في معنى الفقر الذي هو من اللوازم البعيدة لضرب منه وهو طلب المال كما هي جارية بأنه اذا أراد الحث على معاونة الفقراء والمساكين جاء في التعبير عنهم بما يحقق اوصافهم ويعين المراد منهم ولهذا يبعد ان يراد من كلمة السائل في هذه السورة الفقير لانها ليست عنواناً له كما ذكرنا ولا يفهم هذا المعنى منها الا بقرينة كما سبق

وأبعد من هذا أن يراد منها طالب المال مطلقاً فان السياق يأباه أشد الإباء لان لفظ السائل لابد أن يكون فى الآية دالا على معنى يلاقي شيئاً مما ذكر فى الآيات التي قبل «فأما اليتيم» الخ لأن هذا التفصيل مفرع على ماقبله فلو أريد منه طالب الصدقة لم يتوهم أن يكون ملاقياً الا لمعنى العائل وهو الفقير والسائل ليس عنوانا له وقد يتنافان الذى يقابل العائل فيها هو التحديث بالنعمة

واذا لم يصح ملاقيا لشيء مما سبق الا بحمله على المستفهم طالب البيان الذى هو عنوان له يتبادر منه الى الذهن عند الاطلاق تعين حمله عليه ويكون على ذلك ملاقيا لمعنى « ووجدك ضالا فهدى » ويؤيد هذا المعنى ماورد فى أحوال الذين كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام بيان مايشتبه عليهم فمنهم أهل الكتاب الممارون ومنهم الأعراب الجفاة ومنهم من كان يسأل عما لا يسئل عنه الانبياء فلا غرو أن يأمره الله تعالى بالرفق بهم وينهاه عن نهرهم كما عاتبه على التولي عن الأعمى السائل فى سورة عبس

وعبارة التفسير فيها اجمال جر الى تأليف حاشية كهذه فاستغفر الله مما صنعت فيها وأرجو أن لا أعود الى مثلها. في ٢٢ شوال سنة ١٣٢٢ محمد عبده

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة . اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ التعارض والترجيح في أدلة الاحكام - الخروج بالزوجة من بلدها ﴾

(س ١٠٠ و ١٠١) رشيد أفندي غازي مدير ناحية بيرة الأجرد سابقا (بالشام)

من المعلوم الذي لايختلف فيه اثنان ان مراجعة الكتب الفقهية لايستغني عنها أحد ولذلك أصبحت قريبة المنال شأن الأشياء المحتاج اليها الا أن المطالع بها يقف عند وجود الاختلاف في المسألة الواحدة ولاسيما عند وجود ترجيح أحد القولين على الآخر بلا دليل متحيراً تتوق نفسه الى الدليل ولم يكن ممن يتجلى له خصوصاً اذا كانت القضية من الواقعات ولم يسعه حينئذ الا مراجعة جهابذة الفن فلذلك أقدمت بعرض سؤالي هذا على العلماء الأعلام طالباً منهم ترجيح أحد هذين القولين على الآخر مع بسط دليل كل منهما وترجيح أحد الدليلين على الآخر ليكون السؤال والجواب عامين تتميما للفائدة وهذه صورة المسألة

المرأة اذا أراد زوجها ان يخرجها الى بلدة أخرى وقد أوفى مهرها ليس له ذلك كذا اختاره الفقيه أبو الليث رحمه الله قال الامام ظهير الدين رحمه الله الأخذ بقول الله تعالى أولى من الأخذ بقول الفقيه قال الله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) خلاصة . بزازية . ثم المرجو أيضا بيان ماهو المقصود من أفعل التفضيل وهو قوله أولى هل هو على بابه أم لا . وأولى بالفضل والصواب من أجاب

(ج) التعارض والترجيح من أدق مباحث علم أصول الفقه ولكن قلما تجد الفقهاء يطبقون الأحكام في كتبهم على قواعده الا للجدل في المذاهب ومحاولة كل ترجيح مذهبه . وأما الخلاف في روايات المذهب الواحد ووجوهه فللحنفية قواعد أخرى فيه مبنية على تقديم بعض الكتب على بعض وبعض الفقهاء على بعض ويسمون

هذا رسم المفتي فمن عرف ما كتبوه في ذلك يسهل عليه ان يعرف القول الراجح بذكر قائله أو يعزوه الى الكتاب المنقول عنه وان لم يذكر الدليل اذالمرجح المعتمد هو العزو الى شخص أو كتاب ، دون نصوص السنة والكتاب ، لأن النظر في النصوص لايفعله الا المجتهدون ، وقد أقفل الباب دونهم منذ قرون ، ـ هذا ما عليه الناس ولكن يوجد في كل عصر علماء نجباء أتقياء اذا ظهر لهم النص لايقدمون عليه قول أحد من المجتهدين في المذهب ولا على الاطلاق . ومنهم من يحتج بالنص اذا وافق قولا في مذهبه ولا يحتج به اذا وافق مذهبا آخر بل يأوّله أو يكل فهمه الى المجتهدين الأولين في المذهب . وخير العلماء في كل زمان ومكان من لايقدم على النص الثابت عن الله ورسوله كلام أحد

أما مسألة السكنى فالآية تدل على أنه يجب على الزوج أن يسكن امرأته في مكان يسكن هو فيه وورودها في المعتدة انما هو من حيث كونها زوجا فان لم تكن غير المطلقة مثلها في ذلك فهي أولى منها . وهذا مما لانزاع فيه . وما فهمه ظهير الدين من دلالتها على ان للزوج ان يسافر بامرأته ظاهر وأما اسم التفضيل فهو على غير بابه اذا قلنا ان ظهير الدين لايجيز الأخذ بقول أحد اذا ظهر له في الكتاب أو السنة مايخالفه وهو أفضل الظن به وحجة القول الذي اختاره أبو الليث أن السفر مضارّة والله يقول بعد الامر بالسكنى « ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن » وهما قولان في المذهب قال في فتح القدير : واذا أوفاها مهرها نقلها الى حيث شاء لقوله تعالى « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » وقيل لايخرجها الى بلد غير بلدها لان الغريب يؤذى وفي قرى المصر القريبة لاتتحقق الغربة : فأنت ترى أنه أورد القول بالمنع بصيغة التمريض ولكنه المرجح في المذهب لان كثيرا من المشايخ أفتى باختيار أبي الليث . ولاشك ان دليل الجواز أقوى بشرط ان لايعلم أن الزوج لايقصد بالسفر مضارتها لاجل التضييق عليها ففي هذه الحالة يمنع من السفر بها دون سائر الاحوال والله أعلم

نجاسة الكلب واتخاذه

(س١٠٢) محمد أفندي صدقي في (زفتى) : نرجوكم أن تبسطوا لنا رأيكم في نجاسة الكلب فغير خاف على حضرتكم ان في بعض المذاهب من قال بنجاسته بين لعابه

وجسمه اذا كان ميتلا وانه اذا ولغ في إناء وجب غسله سبع مرات إحداهن بالتراب وبعضهم قال بعدم نجاسة جسمه ولالعابه فأي الفريقين أقوى حجة وهل يجوز للمسلم اقتناؤه والاختلاط به أم لا. ولا يخفى على حضرتكم ماهو مشهور به هذا الحيوان من الامانة وحرصه على صاحبه. ننتظر من حضرتكم القول الفصل والله المسؤل ان يبقيكم خير هاد الى سبيله القويم

(ج) ثبت فى الاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه تعالى وآله وسلم رخص للناس في اتخاذ الكلاب للصيد والزرع والماشية كما فى صحيح مسلم وغيره لما له من المنفعة واذن بأكل الصيد اذا جاء به الكلب ميتا ولم يأكل منه . واما الخلاف فى طهارة الكلب ونجاسته فالأصل فيه أحاديث فى الصحيح تأمر بغسل الاناء اذا ولغ فيه الكلب سبع مرات وفى بعض هذه الروايات الاكتفاء بذلك وفى بعضها احداهن بالتراب وفى رواية عند أحمد ومسلم وعفروه الثامنة بالتراب ، وأحاديث الاذن باتخاذه مع العلم بتعذر الاحتراز من ملابسته عادة. ولا ترى مذهبا من الاربعة أخذ بأحاديث الولوغ كلها فالشافعية والحنابلة على وجوب الغسل من نجاسته سبع مرات احداهن بالتراب وعلماؤهم يعلمون ان الحديث صح بتعفيره الثامنة بالتراب ومن أصولهم ان زيادة الثقة في الرواية مقبولة تخصص العام وتقيد المطلق. وصرحوا بأنه نجس العين وقالت المالكية بطهارة عينه وأوجبوا غسل الاناء الذي يلغ فيه سبع مرات من غير تتريب وقالت الحنفية بنجاسة لعابه لاعينه ويغسل عندهم منها مرة واحدة ومن قال بطهارته قال ان الأمر بغسل مايلغ فيه للتعبد وقيل غير ذلك مما ذكرناه في المنار من قبل ولعل العلة الحقيقية في ذلك الاحتياط لأنه يأكل النجاسات والجيف وأثرها ضار أو الحذر من الدودة الوحيدة وقد فصل هذا المعني بعض المشتغلين بالطب فى مقالة نشرت في المجلد السادس من المنار

وقد ورد فى حديث أبي هريرة عند أحمد والشيخين وأصحاب السنن « من اتخذ كلبا الاكلب صيد أوزرع أوماشية انتقص من أجره كل يوم قيراط » فاستدلوا بهذا على كراهة الاتخاذ لغير حاجة مع الجواز اذلو كان محرما لامتنع ولولم يكن فيه نقص الثواب. وقد اختلفوا في سبب الكراهة فقيل لانها تروع الناس الزائرين والسائلين

والمارين وقيل لأن الملائكة لا تدخل البيوت التي فيها الكلاب وقيل لأن بعضها شياطين أي ضارة وقيل لان الاحتراز عن ولوغها في الأواني متعسر فيترتب على ذلك عدم امتثال الامر احيانا نقول أو ينشأ عن ولوغها الضرر من غير ان يشعر به المتخذ وقيل لنجاستها وقيل لعدم الامتثال . قال الحافظ ابن عبد البر وجه الحديث عندي ان المعاني المتعبد بها فى الكلاب من غسل الاناء سبعا لايكاد يقوم بها ولا يتحفظ منها فربما دخل عليه باتخاذها ماينقص أجره من ذلك . وروي ان المنصور بالله سأل عمرو بن عبيد عن سبب هذا الحديث فلم يعرفه فقال له المنصور لأنه ينبح الضيف ويروع السائل . وتجد تفصيل ذلك في فتح الباري وفي نيـل الاوطار . والمختار عندنا ان الكلب طاهر العين وانه ينبغي لمن يتخذه لحاجته اليه ان يحترز من ولوغـه فى الأواني بقدر الامكان فان علم انه ولغ في إناء فليغسله كما ورد واذا غسله بمحلول السلماني فذلك توق من الدودة الوحيدة

﴿ الحكمة فى حرمان الاخ الشقيق فى المسألة المشتركة ﴾

(س١٠٣) ومنه : قص علينا من لا نرتاب بصدقه إشكالا ميراثيا حصل فى إحدى العائلات الكبيرة نقصه على حضرتكم وهو أنه مات عميد العائلة المذكورة عن تركة عظيمة وله من الورثة زوجة وولدان ذكر وأنثى وقد أخذ كل فريق ماخصه من الفريضة الشرعية ثم تزوجت البنت بعد وفاة أبيها ومكثت مع زوجها مدة وتوفيت ولم ترزق منـه بأولاد وكانت أمها تزوجت بعد وفاة أبيها أيضا برجل آخر رزقت منه اولاداً بين ذكور واناث ولما أراد شقيقها (من الأب والأم) أخذ نصيبه من تركة أخته المتوفاة منع بحكم شرعي حيث قيل له أن ورثتها هي أمها وزوجها واخواتها من امها فقط وذلك على مذهب ابي حنيفة فما هي الحـكمة الشرعية فى منع اخيها الشقيق من امها وابيها من الميراث الا يكون له اسوة بأخوتها الذين من امها فقط نرجوكم ان تبينوا لنا (ان كان ذلك جائزا) ماهي الحـكمة الشرعية في ذلك لازلتم مصدر الفضائل وعميد التربية الدينية والله المسؤل ان يبقيكم خير ناصر الدين والسلام

(ج) لم ترد هذه المسألة بنصها في الكتاب والسنة وانما هي من فروع قوله تعالى « وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس » فقد قالوا ان الكلالة من لا ولد له ولا والد وان المراد بالاخ والاخت هنا الاخوة لام فقط

لان الكلام فى ميراثها وذلك مأثور فهم من أصحاب الفرائض وانتم تعلمون ان الوارثين على قسمين أصحاب فرض وهم الذين لهم حصص معينة بالنص وعصبات وهم الذين لهم مابقي بعد تلك الحصص وفى الغالب يكون حظهم أوفر. فالسؤال ههنا ينبغي أن يكون عن حكمة كون الاخوة لأم أصحاب فرض اذا ورثوا دون الاخوة الاشقاء والاخوة لاب وهي أنهم لبعدهم جعل لهم حصة معينة هي السدس للواحد والثلث للجمع مهما كثروا ولو كانوا عصبة لاخذوا التركة كلها أو جلها فى بعض الاحوال كما يأخذها الاخ الشقيق فاذا اجتمع جمع كثير من الاخوة لأم مع أخ شقيق واحد كان لهم الثلث وله الثلثان وكذلك الاخ لأب عند عدم الشقيق فانت ترى أن العصبة أفضل ولذلك كان الاولاد عصبات وهم أقوى الوارثين ولما كانت القاعدة في الارث أن يأخذ أصحاب الفرائض فروضهم ويأخذ العصبات الباقي اتفق في هذه الصورة ان لايبقى لهم شيء والمسائل النادرة لاتبطل القواعد المطردة — هذا ماجرى عليه أصحاب هذا القول

وهناك قول آخر وهو التشريك بين الاخ الشقيق والاخوة لأم وروي ان المسألة وقعت على عهد عمر رضي الله عنه فقال: لم يزدهم الاب الاقربا: وورث الجميع وعليه ابن مسعود وزيد أعلم الصحابة بالفرائض وشريح القاضي والشافعية وهو أقرب الى العدل على أنه اجتهادي والله أعلم

آثار علمية ادبية

﴿ تاريخ السودان القديم والحديث ﴾

كتاب ظهر حديثا في هذه البلاد مؤلفه نعوم بك شقير رئيس قلم وكالة حكومة السودان في مصر . كتاب كبير يدخل في ثلاثة أجزاء تزيد صفحاتها على مئة وألف بقطع المنار وحروفه هذه وفيه كثير من الصور والرسوم . كتاب لم ينقله مؤلفه نقلا من الكتب ولم يسلك فيه طريق القصص والفكاهة بل سلك فيه مسلك المؤرخ المطلع المختبر الراوي الممحص ووضعه على طريقة التواريخ الأوربية الحديثة فهو حسن الترتيب والتبويب حسن النقل والاختيار حسن التأليف والاستدلال حسن

الاستنباط والاستنتاج كأحسن ماألف الافرنج فى التاريخ . اعتمد في التاريخ القديم على ما كتب أشهر مؤرخي العرب وغيرهم من الامم مع مراجعة معاجم العلم الاوربية وفى الجديد على الكتب الحديثة للافرنج والمصريين والسودانيين والسوريين وعلى الروايات القولية عن الرجال الذين لقيهم في مصر والسودان من العلماء والحكام وعلى المشاهدة والاختبار والكتابات الرسمية . وقد سهل له ذلك استخدام الانكليز إياه في قلم المخابرات ومرافقته حملة اللورد ولسلي في السودان وتقلبه فى هذه الاعمال ولابد أن تكون هذه الصفة الرسمية التي مكنته من معرفة أخبار فتنة السودان الاخيرة وحقائق أخبار الفتح المصري الانكليزي له بعد الحكم بانفصاله من المملكة المصرية قد حكمت عليه بأن يكتم بعض الحقائق ويكتفي منها بالرسمي وهذا كل مانظنه أو نتوهمه من النقص فى هذا الكتاب والكمال لكتاب الله وحده

بدأ الجزء الأول وهو في جغرافية السودان بجغرافيته الطبيعية وفيها الكلام على حدوده ونيله وأراضيه ومعادنه وهوائه ونباته وحيوانه وسكانه . وثنى بالجغرافية الادارية وجعل الباب الثالث في حضارة السودان ــ لغات أهله وأديانهم ومعارفهم وزراعتهم وصنائعهم وتجارتهم وحكومتهم، والباب الرابع في عاداتهم وخرافاتهم وأخلاقهم. والجزء الثاني في تاريخ السودان القديم وفيه خمسة أبواب . واما الجزء الثالث فهو في تاريخه الحديث وصفحاته سبع مئة ونيف وفيه خمسة أبواب الاول فى تاريخ الفتح المصري وفيه ٤ فصول،الثاني فى تاريخ الثورة المهدية وفيه ٢٣ فصلا،الثالث فى خلافة التعايشي وفيه ١٠ فصول ، الرابع فى استرجاع السودان وفيه ٨ فصول ، الخامس في السودان المصري الانكليزي وله ملحق في تاريخ السودان وجغرافيته تتبعه خريطة السودان والحبشة ومصروسوريا وجنوب آسيا الصغرى وبلاد العرب.وقد جعل للكتاب كله فهرسا عاما مرتبا على حروف المعجم على الطريقة الحديثة يذكر فيها البلاد والمواقع والاشخاص وغيرذلك وعبارة الكتاب في غاية السلاسة والانسجام ويقل فيها الخطأ جدا لا كما تراه فى أكثر مايكتب المعاصرون . وثمن الكتاب ستون قرشا صحيحاً وأجرة البريد خمسة قروش . فنحث القارئين على قراءته والكاتبين على احتذاء مثاله

﴿ تنوير الاذهان . في علم حياة الحيوان والانسان ﴾

(وتفاوت الامم في المدنية والعمران)

يؤلف هذا الكتاب الذي يدل اسمه على فضله الدكتور بشاره زلزل ويصدره بالطبع أجزاء صغيرة وقد صدر الجزء الاول منه في ٦٤ صفحة وفيه من المباحث المفيدة مايدل على قيمة ماوراءه وقد صدره بجملة يقدمه فيها الى السلطان عبدالحميد نصر الله دولته ويتلو ذلك صورة اللورد كرومر – فهو كالجامع بين الضب والنون – ففاتحته فمقدمته التي يبين فيها أقسام العلم الطبيعي ومعنى تسمية علم المولدات الطبيعية بالتاريخ الطبيعي ومنشأ هذا العلم وترقيه وقصور الشرقيين فيه وفيها بحث في الترجمة والنقل أنحى فيها على مترجمي هذا العصر ووصف من قصورهم وعاب عليهم نقل الالفاظ الافرنجية التي لها مرادف في العربية وذكر ان منها ماهو عربي الاصل كالصندل يكتبونه سانتال والقلقطار الذي يكتبونه كوالتار قال: وبعضهم لايفهمون للحراقة معنى الا اذا كتبت كراكة وانما هي عربية الاصل أخذها الافرنج عن العرب ولكنهم أبدلوا الحاء كافا لان لفظ الحاء غير مألوف عندهم : أي ليس في لغتهم. ثم عاب على فريق من المتأدبين إيثار نقل الالفاظ المصطلح عليها عند الافرنج على علاتها وزعمهم ان تعريبها يخرجها عن الدلالة العلمية الموضوعة لها وذكر تخبطهم في طريقتهم هذه مع بعض الامثلة فيها . ومن رأيه ان التعريب ينبغي أن يخص بالكلمات التي لايوجد في الالفاظ العربية مايدل عليها بوجه كاسماء العلماء وبعض الحيوانات الغريبة التي اكتشفت حديثا ووضعت لها أسماء جديدة ووعد بأنه سيجري في كتابه هذا على أسلوب جديد وهو البحث عن الكلمات العربية للتعبير عن المصطلحات العلمية وتحاشي النقل « الاحيث اقتضى التعريب» قال « وأزيد على ذلك انني أهملت بعض الكلمات المترجمة مما درج عليه الجمهور تحديه بعض الذين استعملوها جزافا لخروجها عن حقيقة المعنى الموضوعة له كالزلال يريدون به بياض البيض وانما الزلال الماء البارد. والآح في لغة العرب بياض البيض الذي يؤكل فهو أصح دلالة على مايسميه الافرنج بالالبومن . وقد سمى القدماء احدى رطوبات العين بالبيضية بالنسبة الى بياض البيض والمحدثون يسمونها بالزجاجية كما سموا الرطوبة الثانية من رطوبات العين بالجليدية بالنسبة الى الجليد وهو

الجمد ويسمونها أيضا بردة اما المحدثون فانهم ترجموا اللفظ الافرنجي فقالوا «البلورية» الخ ما أورده

فأنت ترى ان هـذا المؤلف يخدم العلم واللغة معا . وسيكون الكتاب مجلدين كل مجلد اثنى عشر جزءا كل جزء كهذا الجزء وهو يطبع في مطبعة الجامعة طبعا نظيفا على ورق جيد والمباحث العلمية توضح بالرسوم والصور فنثني على همة المؤلف وفضله ونحث محبي العلم على الاشتراك في الكتاب وعلى من اراده ان يكتب اليه في الاسكندرية

﴿ تولستوي والحرب الروسية اليابانية ﴾

هى مقالات للفيلسوف المتدين تولستوي الروسي شنع فيها على الحرب الحاضرة اقبح تشنيع وايد رأيه بالحجج العقلية والدينية ووصف غش الحكومات لرعاياها وسوقها اياهم الى ذبح بعضهم بعضاً بغير سبب صحيح ولا فائدة توازي خسائر الحروب وذم رجال الدين والكتاب والعلماء الذين يشايعون الحكومة الظالمة بنفوذهم المعنوي ويكونون عونا لها على ذلك . وقد انتشرت هـذه المقالات في العالم وهزئ بكاتبها المفتونون بالسياسة ومنهم من رد عليه ردا علميا بزعمه محتجين بأن الحرب سنة طبيعية فى الاجتماع البشري وان فوائدها كثيرة ولكننا نقول ان هذه الآراء والافكار صحيحة فى ذاتها واذا كان البشر لم يستعدوا لها الى الآن فالواجب على محبي السلام وخير البشر من حملة الاقلام ان يؤيدوها ليعدوا الناس لها ولعله لولا الفلاسفة والكتاب الفرنسيون وغيرهم ممن سبقوا في بيان مضار الحروب لما خطر لهذا الكاتب ان يكتب ما كتبه بل لما كان الملوك ورؤساء الامم يتحدثون بوجوب فصل النزاع بين الدول بالتحكيم فحبذا ما كتب الفيلسوف . وقد ترجم هذه المقالات بالعربية سيد افندي كامل احد طلبة الحقوق في مصر بعبارة واسلوب كنحو عبارة جريدة المؤيد واسلوبها وطبعها على ورق جيد فنشكر له هذه الهمة

سهل القريض

هو ديوان شعر لمحمود أفندي شكري سكرتير مديرية المنيا وكله مدائح فى الاحتفال بموالد الصالحين وفي السلطان والخديوي والحكام وغيرهم وتهان ومراث للوجهاء وكل هذه الضروب من المديح مما لانحبه ولذلك لم نقرأ منها غير أبيات متفرقة فعسى ان نرى بعد للناظم من الشعر فى الموضوعات المفيدة ما هو خير من هذا

(محمود سامي باشا البارودي)

ذكرنا في الجزء الماضي تاريخ نشأة هذا الرجل وترجمته السياسية وهذا ماوعدنا به من سيرته الادبية ننشرها في باب الآثار فهو أولى بها.

يقولون ان التربية هي التي تكوّن الرجال النابغين وليس وراء التربية الا الوراثة ونقول مع الاذعان لهذا القول ان الانسان ابن استعداده لا ابن أبيه وعشيرته التي يتربى فيها ويتكيف بصفاتها وعاداتها فان كان العامل في الاستعداد هو الوراثة لأحد الآباء والجدود فذاك والا فان الاستعداد الذي يولد في بعض الناس بغير سبب منهم ولا ممن يربونهم هو الاصل في تكوّن الرجال النابغين في كل زمان ومكان والتربية تساعد الاستعداد في تكميل الشخص أو تقاومه فيبقى ناقصاً وحوادث الزمان تساعد صاحبه فيظهر اثره او تعانده فلا يظهر له أثر . وقد ولد محمود سامي معتدل المزاج مستعداً للبلاغة والتأثير في القول وللاتقان مع الاعتدال في العمل وقد كان الزمن الذي نشأ فيه غير مساعد على تكوين ملكة البلاغة وسجية الشاعر المفلق ولم يعرف في آبائه وعشرائه شاعر مطبوع ولا كاتب بليغ وكان المتأدبون لا يتنافسون الا في مثل شعر البهاء زهير وابن الفارض فمن دونهما من المتأخرين المتكلفين ولكن استعداده غلب وراثته الاعجمية وتربيته القومية فنشأ في المدرسة الحربية شاعراً ساحراً جامعاً بين السلاسة والمتانة وقد قال الشعر في شبابه فكان في بدايته خيراً من جميع شعراء عصره في نهايتهم ولكن له ابياتا زعم فيها انه جري في الشعر على عرق اذ ورث النظم عن خاله والمعالي عن جده وهي مما يوحي معاني الشعر قال

أنا في الشعر عريق   لم أرثه عن كلاله

كان ابراهيم خالي   فيه مشهور المقاله

وسما جدي علي   يطلب النجم فناله

فهولي إرث كريم   سوف يبقى في السلاله

ولم يكن يحفظ لخاله مايصح له به الحكم ولكنه سمع انه كان ينظم وان نظمه ضاع فان صح انه كان بليغاً فالاستعداد مؤيد بالوراثة من جهة أمه اوهو هي . ومن نظم المترجم في شبابه قوله في الحرب الروسية العثمانية

أدور بعيني لاأرى غير أمة | من الروس بالبلقان يخطئها العد
جوات على هام الجبال لغارة | يطير بها ضوء الصباح اذا يبدو
اذا نحن سرنا صرّح الشر باسمه | وصاح القنا بالموت واستقتل الجند

وقال معارضاً قصيدة ابي فراس «اراك عصي الدمع»

طربت وعادتني المخيلة والسكر | واصبحت لايلوي بشيمتي الزجر
كأني مخمور سرت بلسانه | معتقة مما يضن بها التجر

ومنها في الفخر

من النفر الغرّ الذين سيوفهم | لها في حواشي كل داجية فجر
اذا استلّ منهم سيد غرب سيفه | تفزعت الافلاك والتفت الدهر

وبالله مارق حاشية قوله « لها في حواشي كل داجية فجر » وما ادق غزل خياله فيه . واما البيت الثاني فانه ليكاد يروع ببلاغته السامع حتى يخيل اليه ان الافلاك تصدعت مما تفزعت فيلمس راسه مخافة ان يصيبه كسف منها ويتمثل له الدهر رجلا فجئه العجب ، فالتفت الى السبب ، وليكاد يلفته ما تخيل من التفات الدهر ، ويلم به الدهش والذعر ، او يذهب به الوهم الى ان التفات الدهر هو التفات أهله فيحسب كل فرد من الناس قد ألوى عنقه وشخص ببصره مقطباً ينظر ما يكون من فعل ذلك السيف المستل . في يد ذلك البهمة الامثل ، وجملة مايقال في البيتين انهما من السحر الذي يأخذ المرء عن نفسه . ويحكم سلطان الخيال في عقله وحده ، ولكني لااعرف صيغة (تفزّع) في هذه المادة لغيره ولو كان لي ان أجيز مثلها لأجزتها وقلت انها مما يشتق قياساً فاني لاأرى لغيرها مثل روعتها

وله من قصيدة أخرى نحو هذا الفخر

وأصبحت محسود الجلال كأنني | على كل نفس في الزمان أمير
اذا صلت كفّ الدهر من غلوائه | وان قلت غصت بالقلوب صدور

وله قصيدة يعارض بها دالية النابغة الذبياني ومنها في وصف الحرب والفرس

ولقد شهدت الحرب في ابانها | ولبئس راعي الحي ان لم اشهد
تتقصف المرّان في حجراتها | ويعود فيها السيف مثل الادرد
عصفت بها ريح الردى فتدفقت | بدم الفوارس كالأتيّ المزبد
مازلت اطمن بينها حتى انثنت | عن مثل حاشية الرداء المجسد

ولقد هبطت الغيث يلمع نوره في كل وضاح الاسرة اغيد
تجري به الآرام بين مناهل طابت مشاربها وظل ابرد
بمضمر أرنكائن سراته بعد الجميم سبيكة من عسجد
خلصت له اليمنى وعم ثلاثة منه البياض الى وظيف اجرد
فكأنما انتزع الاصيل رداءه سلبا وخاض من الضحى في مورد
زجل يردد في اللهات صهيله دفعا كزمزمة الحبي المرعد
متلفتا عن جانبيه بهزه مرح الصبا كالشارب المتغرد
فاذا ثنيت له العنان رأيته يطوي المعاهد فدفدا في فدفد
يكفيك منه اذا استحس بنبأة شدا كألهوب الإباء الموقد
صلب السنابك لايمر بجلمد في الشد الا رض فيه بجلمد
نعم العتاد اذا الشفاه تقلصت يوم الكريهة في العجاج الاربد

وقال عند ما كان يصطلي بنار الحرب في جزيرة كريد يصفها

اخذ الكرى بمعاهد الأجفان وهفا السرى بأعنة الفرسان
والليل منشور الذوائب ضارب فوق المتالع والربى بجران
لاتستبين العين في ارجائه الا اشتعال اسنة المران
تسري به ما بين لجة فتنة تسموا غواربها على الطوفان

الى ان قال

فالبدر اكدر والسماء مريضة والبحر اشكل والرماح دوان
والخيل واقفة على ارسانها لطراد يوم كريهة ورهان
وضعوا السلاح الى الصباح واقبلوا يتكلمون بألسن النيران
حتى اذا ما الصبح اسفر وارتمت عيناي بين ربى وبين محان
فاذا الجبال أسنة واذا الوها د اعنة والماء احمر قان

ونظم في عهد الصبا قصيدة في العلم قال في مطلعها

بقوة العلم تقوى شوكة الامم فالحكم في الدهر منسوب الى القلم
كم بين ماتلفظ الاسياف من علق وبين ما تلفظ الاقلام من حكم

وهذا الذي قاله وهو من رجال الحرب يدل على مبلغ استعداده للعلم. ومنها

شيدوا المدارس فهي الغرس ان بسقت افنانه اثمرت غضاً من النعم
مغنى علوم ترى الابناء عاكفة على الدروس به كالطير في الحرم
من كل كهل الحجا في سن عاشرة يكاد منطقه ينهلّ بالحكم
كأنها فلك لاحت به شهب تغني برونقها عن انجم الظلم
يجنون من كل علم زهرة عبقت بنفحة تبعث الاموات في الرمم

ثم وصف الشاعر منهم والكاتب والحاسب والمهندس والطبيب والخطيب والسياسي والقانوني وذكر التهذيب والفضيلة وقال

أنّى يفوز لنا قدح بفائدة ونحن في زاخر بالجهل ملتطم
لا تجعلوا اليأس عذراً فهو داعية الى المذلة بعد العز والشمم
لو كان يعلم حيٌّ ان خيبته من زلة الرأي لم يعتب على القسم

وقال بعد النفي يصف النوى ، ويذكر الهوى ، ويمثل أخلاقه ، ويشكو رفاقه ، وقد سمعناها من انشاده بعد عودته

محا البين ما أبقت عيون المهى مني فشبت ولم أقض اللبانة من سني
عناء ويأس واشتياق وغربة ألا شدّ ما ألقاه في الدهر من غبن
فان أك فارقت الديار فلي بها فؤاد أضلته عيون المهى عني
بعثت به يوم النوى إثر لحظة فاوقعه المقدار في شرك الحسن
فهل من فتى في الدهر يجمع بيننا فليس كلانا عن أخيه بمستغن
ولما وقفنا للوداع وأسبلت مدامعنا فوق الترائب كالمزن
أهبت بصبري ان يعود فعزني وناديت حلمي ان يثوب فلم يغن
وما هي الا خطرة ثم أقلعت بنا عن شطوط الحي أجنحة السفن
فكم مهجة من زفرة الوجد في لظى وكم مقلة من غزرة الدمع في دجن
وما كنت جرّبت النوى قبل هذه فلما دهتني كدت أقضي من الحزن
ولكنني راجعت حلمي وردني الى الحزم رأي لا يحوم على أفن
ولولا بنيات وشيب عواطل لما قرعت نفسي على فائت سني
فيا قلب صبراً ان جزعت فربما جرت سنحاً طير الحوادث باليمن

فقد تورق الاغصان بعد ذبولها ويبدو ضياء البدر فى ظلمة الوهن
واي حسام لم تصبه كهامة ولهذم رمح لايفل من الطعن
ومن شاغب الايام لان مريره وأسلمه طول المراس الى الوهن
وما المرء فى دنياه إلا كسالك مناهج لاتخلو من السهل والحزن
فان تكن الدنيا تولت بخيرها فأهون بدنيا لاتدوم على فن
تحملت خوف المن كل رزيئة وحمل رزايا الدهر أحلى من المن
وعاشرت أخدانا فلما بلوتهم تمنيت ان أبقى وحيداً بلا خدن
اذا عرف المرء القلوب وماانطوت عليه من البغضاء عاش على ضغن
يرى بصري من لا أود لقاءه وتسمع أذني ماتعاف من اللحن

وقد نظم في منفاه بجزيرة سيلان قصيدة طويلة فى السيرة النبوية على روي البردة قال في فاتحتها

ياراند البرق يمم دارة العلم واحد الغمام الى حي بذي سلم
وان مررت على الروحاء فامر لها أخلاف سارية هتانة الديم
من الغزار اللواتي في حوالبها ري النواهل من زرع ومن نعم
اذا استهلت بأرض نمنمت يدها برداً من النور يكسو عاري الاكم
ترى النبات بها خضراً سنابله يختال في حلة موشية العلم
أدعو الى الدار بالسقيا وبي ظمأ أحق بالري لكنني أخو كرم
منازل لهواها بين جانحتي وديعة سرها لم يتصل بفمي
اذا تنسمت منها نفحة لعبت بي الصبابة لعب الريح بالعلم
ادر على السمع ذكراها فان لها فى القلب منزلة مرعية الذمم
عهد تولى وابقى في الفؤاد له شوقاً يفل شباة الرأي والهمم
اذا تذكرته لاحت مخايله للعين حتى كأني منه فى حلم
فما على الدهر لورقت شمائله فعاد بالوصل او ألقى يد السلم
تكاءدتني خطوب لو رميت بها مناكب الارض لم تثبت على قدم
فى بلدة مثل جوف العير لست ارى فيها سوى امم تحنو على صنم

لا أستقرّ بها الا على قلق ... ولا ألذ بها الا على ألم
اذا تلفتّ حولي لم اجد اثراً ... الا خيالي ولم اسمع سوى كلمي
فمن يرد على نفسي لبانتها ... او من يجير فؤادي من يد السقم
ليت القطا حين سارت غدوة حملت ... عني رسائل اشواقي الى إضم
مرت علينا خماصاً وهي قاربة ... من العواصف لاتلوي على أرم
لاتدرك العين منها حين تلمحها ... الا مثالا كلمح البرق في الظلم
كأنها احرف برقية نبضت ... بالسلك فانتشرت في السهل والعلم
لاشيء يسبقها الا اذا اعتقلت ... بنانتي في مديح المصطفى قلمي
محمد خاتم الرسل الذي خضعت ... له البرية من عرب ومن عجم
سمير وحي ومجنى حكمة وندى ... سماحة وقرى عاف وريّ ظمي
قد ابلغ الوحي عنه قبل بعثته ... مسامع الرسل قولا غير منكتم

قوله قاربة مؤنث قارب وهو طالب الماء ليلا . وأرم بالتحريك ككتف بمعنى أحد لايستعمل الافي النفي

وقال بقصر الجزيرة بعد عودته من سيلان فتذكر أيام إسماعيل ونظم معتبراً ومذكراً

هل بالحمى عن سرير الملك من يزع ... هيهات قد ذهب المتبوع والتبع
هذي الجزيرة فانظر هل ترى أحدا ... ينأى به الخوف أو يدنو به الطمع
أضحت خلاء وكانت قبل منزلة ... للملك منها لوفد العز مرتبع
فلا مجيب يرد القول عن نبأ ... ولا سميع اذا ناديت يستمع
كانت منازل أملاك اذا صدعوا ... بالامر كادت قلوب الناس تنصدع
عاشوا بها حقبة حتى اذا نهضت ... طير الحوادث من أوكارها وقعوا
لوأنهم علموا مقدار مانفرت ... به الحوادث ماشادوا ولارفعوا
دارت عليهم رحا الايام فانشعبوا ... أيدي سبا وتخلت عنهم الشيع
كانت لهم عصب يستدفعون بها ... كيد العدوّ فما ضروا ولانفعوا
أين المعاقل بل أين الجحافل بل ... أين المناصل والخطية الشرع
لاشيء يدفع كيد الدهر ان عصفت ... احداثه أو يقي من شر مايقع

زلوا فما بكت الدنيا لفرقتهم ... ولا تعطلت الاعياد والجمع
والدهر كالبحر لاينفك ذا كدر ... وانما صفوه بين الورى لمع
لو كان للمرء فكر في عواقبه ... ما شان اخلاقه حرص ولا طمع
وكيف يدرك مافي الغيب من حدث ... من لم يزل بغرور العيش ينخدع
دهر يغرّ وآمال تسرّ واعـ ... ـمار تمرّ وايام لها خدع
يسعى الفتى لامور قد تضر به ... وليس يعلم ما يأتي وما يدع
ياايها السادر المزورّ من صلف ... مهلا فانك بالايام منخدع
دع ما يريب وخذ فيما خلقت له ... لعل قلبك بالايمان ينتفع
ان الحياة لثوب سوف تخلعه ... وكل ثوب اذا مارثّ ينخلع

فهذه القصيدة من آخر مانظم وفيها من آيات النذر ، للمغرورين بكثرة المال والدثر ، مايستعبر له صاحب القلب ، ويعتبر به من له اب ،

والطبع في قوله « ماشان أخلاقه حرص ولا طبع » بالتحريك الدنس والفساد والكسل وأصله من طبع (كتعب) السيف اذا علاه الصدأ. والسادر في الاخير المتحير والذاهب عن الشيء ترفعا والذي لايبالي ماصنع

﴿ أثره الادبي ـ منتخبات ثلاثين ديوانا ﴾

كان للفقيد في ذوق الشعر وملكة البيان مايشعر به شعره، واشتهر به دون السياسة والرياسة امره ، فهو كما ترى قد ناهز الجاهليين في القوة والمتانة ، وخاطر المخضرمين في الفصاحة والبلاغة ، وبذ المولدين في الرقة والسلاسة ، فصح ان يلقب برب السيف والقلم ، وصاحب الحُكم والحِكم ، وفارس الميدان والبيان ، والصائل بالسنان واللسان ، ومازال أهل الادب يعجبون بذوقه وحسن اختياره وقد رأى بعد عودته من سيلان ان يؤلف ديوانا في الأدب من مختار فحول الشعراء المولدين ليكون عونا للناشئين على طبع ملكة البلاغة العربية في النفس وتقوية سليقة الشعر في الخيال فاختار دواوين ثلاثين شاعرا فقرأها واختار منها فرائدها ورتبها في سبعة أبواب ـ الادب المديح الرثاء الصفات النسيب الهجاء الزهد والحكم ، ورتب أسماء الشعراء على حسب أزمنتهم لاعلى حسب مكانهم وهم (١) بشار بن برد (٢) العباس بن الاحنف (٣) أبونواس (٤) مسلم بن الوليد (٥) أبو العتاهية (٦) محمد بن عبد الملك الزيات (٧) أبو تمام (٨) البحتري

(٩) ابن الرومي (١٠) عبـد الله بن المعتز (١١) أبو الطيب المتنبي (١٢) أبو فراس الحمـداني (١٣) ابن هانئ الاندلسي (١٤) السري الرفاء (١٥) ابن نباتة السعدي (١٦) الشريف الرضي (١٧) أبو الحسن التهامي (١٨) مهيار الديلمي (١٩) أبو العلاء المعري (٢٠) صردر (٢١) ابن سـنان الخفاجي (٢٢) ابن حيوس (٢٣) الطغرائي (٢٤) الغزي (٢٥) ابن الخياط (٢٦) الارجاني (٢٧) الأبيوردي (٢٨) عمارة اليمني (٢٩) سبط التعاويذي (٣٠) ابن عنين .

ونقول ان بشار بن برد أولهم مات سنة ١٦٧ عن نحو تسعين سنة فهو من أهل القرن الأول والثاني وابن عنين (بالتصغير) توفي سنة ٦٣٠ وقيل سنة ٦٣٤ أي في أوائل القرن السابع فهؤلاء فحول الشعراء المولدين في نحو سـبعة قرون فأشعارهم هي تاريخ اللغة والادب في هذه القرون وقد تحامى الفقيد في اختياره المجون فانه كان يكرهه قولا فكيف يثبته كتابة . وقد وضع تعليقا لهذا الديوان العظيم يفسر فيه الالفاظ الغريبة والمعاني المغلقة وسيشرع اهله فى طبعه فى زمن قريب ان شاء الله تعالى

هذا هو الأثر العظيم لفقيد الادب وأشعر الشعراء فى هـذا العصر وتلك مثل من شعره فى الموضوعات المختلفـة وكان أدبه النفسي أعلى من أدبه اللساني وقد خانه رحمه الله فى نكبته كل صلة بالناس ماعدا هذه الصلة الادبية فلم يف بعهده ويرعى حقوق وده ، من انتفعوا بجاهه ورفده ، ولـكن وفى له الادباء والشعراء ، ووداه الفضلاء والعلماء ، الذين تجمعه بهم الصلة الروحية ، والمشاكلة الطبيعية ، فكانوا يكاتبونه فى غيبته ، ويغشون ناديه بعد عودته ، وكان أشدهم له وفاء الاستاذ الامام ، ومثله من يقوم بحقوق الصداقه حق القيام ، وقد عرفناه وصحبناه في هذه المدة وكنا نذاكره فى شؤون الاصلاح فنراه متفقا معنا فى كل مانعتقد ونكتب في وسائل اصلاح حال المسلمين وكان له ولوع بالمنار حتى كان أحيانا يطلبه قبل صدوره بل قبل تمام طبعه فنرسل له الكراسة بعد الاخرى خالصة له من دون المحبين

توفاه الله تعالى في يوم الاثنين لخمس خلون من شهر شوال فشيعت جنازته باحتفال عظيم وصلى عليـه الاستاذ الامام ولم أره صلى على ميت غيره الا مأموما وسيجتمع شعراء مصر وأدباؤها فى اليوم التاسع والثلاثين لموته (الجمعة ١٤ ذى القعدة ٢٠ يناير) عند ضريحه ويؤبنونه ويرثونه بما نظموه من القصائد فنسأل الله تعالى أن يرحمه رحمة واسعة ويجعل فى ذريته خير خلف له آمين

باب الأخبار والآراء

﴿ ترجمة أحمد باشا المنشاوي ﴾

هو ابن أحمد آغا المنشاوي بن الجوهري المنشاوي نسبة الى قرية المنشاة في مركز زفتى من مديرية الغربية بمصر ولد سنة ١٢٥٠ وقيل ١٢٥٦ ومات والده عن ثمانية أولاد هو أصغرهم وترك لهم مئتي فدان فرباه أخوه الأكبر محمد بك المنشاوي وعلمه مبادي القراءة والكتابة بالعربية والتركية وفي الثامنة عشرة من عمره عين معاونا في عمال المزارع التي تسمى الدائرة السنية فعرف كيفية ادارة الزراعة وتثمير الارض بالطرق المنتظمة التي كان يجري عليها أمراء مصر . وقد خلقه الله كبير النفس فحدثته نفسه بالمعالي ولم تك المعالي يومئذ الا في قرب الحكام ووفرة المال فوجه نفسه الى جمع الثروة وكان مبدأ أمره فيها ان اشترى تبنا كثيرا من الدائرة السنية بثمن بخس فارتفع ثمنه جدا حتى بلغ ثمن الحمل جنيها فربح ربحا عظيما ثم اشترى مقدارا عظيما من بزر البرسيم الاردب بجنيه فعلا ثمنه حتى بلغ ثمن الأردب اثنى عشر جنيها ثم اشتغل بأعمال زراعية أخرى فنجح فيها نجاحا عظيما بكده وجده حتى وثق به اسماعيل باشا المفتش العام الذى كان يدير دفة الحكومة المصرية فى عهد الخديو اسماعيل باشا ورقاه فى عمله ومن أقدر على جمع الثروة ممن كان يثق به هذا ويوليه الاعمال الزراعية ؟ نعم ماكل ماتسنح له الفرص يحسن استخدامها كما استخدمها المترجم بمهارته وحذقه الفطري وشجاعته وقد كانت قيمة الارض قليلة في ذلك العهد لكثرة الضرائب والمظالم من الحكومة حتى كأن الفلاحين كلهم عبيد للأمير لاينالون من تعبهم في استغلال الارض له الا مايسد الرمق ويحفظ الدماء ولولا الحاجة اليهم للخدمة والاستعباد لبخلوا عليهم بذلك الاماج ، الذي كان بمثابة الدواء والعلاج ، ولكن أصحاب الجراءة والاقدام ، والزلفى عند أولئك الحكام ، كان يسهل عليهم من جمع الثروة مايعز على غيرهم وبلغنا ان المترجم لم يملك على عهد اسماعيل باشا أكثر من ألف فدان فان صح هذا كان دليلا على ان لم يستعن على تحصيل ثروته الواسعة باستبداد الحكام كما يزعم بعض الناس بل حصلها بجده واجتهاده تدريجا . وليرجع القاريء هنا الى ماقلناه

في مقدمة ترجمة محمود سامي باشا الأدبية من هذا الجزء ليتذكر أن نجاح الانسان في أعماله هو أثر استعداده وثمرة خلائقه وقد جرى المترجم بحسب ميله واستعداده في طرق الاثراء وكانت براعته فى عمارة الارض واستغلالها أشد من براعته في امتلاكها فقد ملك عشرة آلاف فدان كانت غلتها نحو مئة ألف جنيه في السنة ومن الناس من يملك فى مصر أكثر من ذلك أرضا ولا ينال منه نصف ما كان ينال المنشاوي ربما واهل هذه الديار يعرفون كثيرا من معاصريهم الذين ترك لهم آباؤهم عشرات الالوف من الفدادين ، فأضاعوها وانقلبوا مساكين. فلا يحسبن الجاهل ان الثروة تنال بما يسمونه البخت أو بمساعدة أصحاب السلطة والجاه اوسنوح الفرص بل يجب ان يعلم ان الوسيلة الاولى هي الاستعداد الفطري والاخلاق ثم العمل والجد عن علم بالميل الناشيء عن ذلك فالبخت اسم لمسمى وهمي والفرص تسنح لكثير من الناس وقليل منهم المستفيد منها ، والعلم بطرق الكسب لايغني وحده فكم من عالم خائب والجد والكد بغير مساعدة الاخلاق قليل الغناء فاكثر الناس كادح ناصب فى تحصيل الرزق والناجح قليل من كثير. ومن يقول ان الحريص كالمهل المفرط ، والمقتصد كالمسرف المضيع ، والجريء كالجبان الهلوع ، والسخي كالبخيل المنوع ، والعزيز الكريم ، كالمهين الاثيم ، ومن دلائل حذق المنشاوي ومهارته فى تدبير أمر الثروة انه دائرته الواسعة لم يكن فيها من العمال والكتاب عشر مافى أمثالها من دوائر أمراء مصر وأغنيائها الذين هم فوقه علما ودونه مهارة وعملا وكان ينظر كل شيء بنفسه ولا يتم في الدائرة عمل الى بإذنه وتوقيعه

كان عزيز النفس أبيا ولوعا بالشهرة بالمعلي مغرما بحب المدح والثناء وصاحب هذه الخلال وان لم يقف بها عند الحدود المشروعة والموضوعة خير من المهين المغمول المستولغ الذي لايبالي أعده الناس مسيئا فذموه أو محسنا فمدحوه كما عليه كثير من أمرائنا وأغنيائنا الذين لاهمّ لهم الا التمتع باللذات البهيمية. ولذلك كان يدخل فى المآزق ويركب المصعب لإحراز المكانة في نفوس الناس . ومن ذلك توسطه بين عربان القطر المصري وعرابي باشا حين أراد هذا إلزامهم بقبول ضرب القرعة العسكرية في أبنائهم فأبوا وتألبوا يبغون الفتنة ولما أغرى شيطان السياسة المصريين بقتل الافرنج ومن على

شاكلتهم من اليهود والنصارى الغرباء في الاسكندرية سرى سم الاعتداء منها الى طنطا وطفق الرعاع يقتلون ويضربون فانبرى الفقيد يومئذ الى اغاثتهم فنفر عنهم طائر الفتنة وحمل المئين منهم على قطارين الى بلدته القرشية فوضع كبارهم في قصره العظيم والباقين في مزارعه هناك فكانت لهم حرما آمنا يلجأ اليه الخائف، ويفرخ روع الواجف، وكان ينفق عليهم من سعته وجهز كثيرين منهم فسافروا بحمايته ونفقته الى بورسعيد فأوربا. وزعم بعض المنتقدين أنه لم يفعل ذلك الالما كان يتوقعه من ظفر الانكليز واثابتهم اياه على صنيعته وما كان الرجل بعيد النظر فى الامور الاجتماعية والسياسية فيدرك مالم يكن يخطر على بال أكثر المتعلمين والحاكمين بل كان على غاية البساطة فى غير الامور الزراعية والاقتصادية وما أرى السائق له الا الاريحية الفطرية وحب معالي الامور مع الاحساس بالقدرة على ذلك لماله من الاعوان والعصبية وقد آوى غيره من الوجهاء بعض الناس على جبنهم وخوفهم ولكن لم يشتهر أمرهم واما عمل المنشاوي فلعظمه قد طارذكره في الآفاق فاهديت اليه أوسمة الشرف من دول أوربا وجمعياتها. ولكن الذين تتوجه نفوسهم الى الشر دائما لا يصدقون بأنه يوجد الدنيا من يعمل الخير لوجه الله تعالى أو لحب الخير. على أن الذى يطلب الحظوة عند الدول أو عظماء الناس بفعل الخير قليل فى الناس وما كثر هذا الفريق في أمة الا وارتقت وعظم شأنها فالمنشاوي كان خيرا من منتقديه وان صدق سوء ظنهم فيه، وقد فعل مثل فعله في مصر الأمير عبدالقادر وغيره من علماء وعظماء المسلمين في الشام في ابان الفتنة التي حدثت سنة ١٨٦٠ م فهل كانوا يتوقعون ان يأخذ الفرنسيس الشام فيكافئوهم ويرفعوا شأنهم ؟ كلا ثم كلا انهم كانوا بباعث الدين والمروءة ينبعثون

وقد كان من المتهمين فى الفتنة العرابية وحوكم فلم يثبت عليه بما يحكم به عليه ولكنه في أعقاب الفتنة سافر الى بلاد الشام وأقام مدة في بيروت كان فيها عونا للمنفيين المحتاجين من المصريين ولكنه لم يسلم من شرهم فسعوا فيه الى السلطان عندما سافر الى الاستانة سنة ١٣٠١ فكتبوا الى المابين إنه متفق مع اسماعيل باشا على تأسيس دولة عربية فلم تضره سعايتهم وأقام فى الاستانة زمناً ثم سافر الى تونس فأكرم الباي وجله مثواه وأنعم عليه برتبه أمير الامراء ووسام الافتخار ثم سافر الى نابولي فلقي من

رجال بعض الجمعيات الانسانية حفاوة واكراما ثم عاد الى مصر سنة ١٣٠٥ وأقام في قصره بالقرشية وكان حب الكرامة والعلاء قدماً فى نفسه فلم يكن يسعه ذلك القصر الفخيم والجنة التي أنشأها له وفيها من كل فاكهة وكل زهر وريحان مما لا يكاد يوجد في مكان ، ولذلك كان كثير الشؤون مع الامير والحكومة ولا موضع في المنار لذكر شيء من ذلك وانما نشير الى الهضم الذى ناله من جراء ذلك فهب باعث ردّ الفعل الى العلاء والكرامة من الطريق الحقيقي فنال لقب « محسن مصر الكبير » وهو أفضل من لقب باشا وأمير ،

بعد المترجم عن أمير البلاد لهذا العهد زمنا ثم قرب منه وقيل انه قدم هدية لولي العهد يومئذ مزرعة تبلغ ألف فدان . واتفق فى زمن هذا القرب أن سرق من مزارع الامير ثور لم يهتد رجال الحكومة الى سارقه فتصدى لمساعدتهم ارضاء للامير وكان من أقدر الناس على ذلك لما اعتاده بواسطة خدمه وأعوانه من التنكيل باللصوص من أيام الاستبداد فضرب بعض المتهمين الذين أحضرهم وكان عنده مأمور مركز طنطا يبغي التحقيق فقامت لذلك قيامة الحكومة لان المحتلين يشتدون فى ازالة السلطة الشخصية من مصر ويعاقبون أشد العقوبة كل من يعمل عملا لا يجيزه له القانون لاجل ارضاء الامير أو بوحي من قصره فحوكم المترجم وحكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر وعزل المأمور تأديبا وعزل مدير الغربية سعد الدين باشا بالاحالة على المعاش . فعظم الامر على الفقيد وذهب بعد خروجه من السجن الى أوربا لينتقم من اللورد كروم بما يكتب فى الجرائد الاوربية ، سول له ذلك بعض الطامعين فى ماله فنبله لبساطته ثم رجع يائسا وقد أراد بعد عودته ان يغيظ المحتلين بزيادة القرب من الأمير وتعظيم شأنه فلما أراد الأمير ان يسافر للاحتفال لقناطر زفتي التمس منه ان يمرّ على محطة القرشية فقبل فأعد هناك زينة واحتفالا لم يعرف لمثلهما نظير في القطر المصري وقبيل السفر كتب اليه من حاشية الامير بأن العزم قد تحوّل عن المرور من هناك فعظم عليه الامر جداً وانكمشت نفسه حيناً لتندفع الى العمل العظيم الذي لا خيبة فيه ولا إضاعة بل هو الشرف الرفيع الذي يمحو كل غضاضة وما عتم ان أنشأ تلك الوقفية العظيمة التي نوهنا بها فى السنة الماضية (المجلد السادس) فعم إحسانه العلماء والفقراء من جميع الملل

ولما توجهت نفسه للخير والبر بالسخاء الحاتمي صار يكثر معاشرة أهل الخير والعلم فوثق عرى وداده بالشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وصار يكثر زيارته ويستشيره فى شؤونه وقد عرفنا فى اثناء ذلك . وكنت كثيرا ما أحدث الشيخ فيما تتوق اليه نفسه من السعي في إنشاء مدرسة جامعة فى مصر تكون في ضواحي القاهرة فكان يشكو من بخل الاغنياء وجهلهم بفائدة هذا العمل الذي لايتم الا بمبلغ عظيم فلما اتصل المنشاوي به رغبه فى هذا العمل الذى يكبر على غير نفسه الكبيرة ويده المبسوطة فوعد بأنه سيفعل ولما وقف تلك الارض التي قيل ان ريعها يناهز أربعين ألف جنيه فى السنة وهو في الحقيقة لايقل عن ٢٥ ألف جنيه خفنا أن يكون رجع عن رأيه فاذا هو لم يرجع وكنت كلما لقيته أحدثه فى أمر المدرسة وأعظم من شأنها حتى انني رأيته فى غرة رمضان من السنة الماضية فأقسم لي بالله انه سيكلم فى ذلك النهار احد الامراء في شراء قصر له (بشبرا) لينشىء المدرسة فيه موقتا الى أن يبني لها البناء الذي يليق بها ثم علمت انه كلمه ولم يتفق معه على الثمن . وبلغ الخبر أرباب الجرائد فطفقوا يذكرون المدرسة الكلية الجامعة بما يزيد في تشويقه رحمه الله حتى اذا كان يوم السبت (١٠ شوال الماضي) كتب الى مجلس النظار كتابا يطالب فيه أن تبيعه الحكومة عشرة آلاف فدان معينة (كانت باعتها من رجل اجنبي بثمن وشروط لم يستطع القيام بها ففسخت البيع) ليجعلها وقفا على مدرسة كلية يريد إنشائها في مصر بالقرب من القاهرة ومن عادة الحكومة أن تبيع الأرض للمدارس والاعمال الخيرية بثمن بخس والفقيد طلب هذه الارض بمثل الثمن الذي كانت باعتها به وكتب اليها انه يوقع على حجة الوقفية في الوقت الذي توقع له المالية على عقد البيع . ثم توسل بالمفتي الى نظارة المعارف بأن توصي الحكومة بالتعجيل بعقد البيع منه ووعدها بأن تكون المدرسة تحت رعايتها وقد ذاكر وكيل المعارف ناظرها فى ذلك فكتب للحكومة أحسن توصية وبلغنا ان الحكومة قبلت ولو أمهل القدر الرجل الى آخر الاسبوع لتم الأمر ولكن عاجلته المنية فاختطفته من مصر فى يوم الثلاثاء (١٣ شوال الموافق ٢٠ دسمبر) فكان فقده خسارة علمية هيهات تعوض بالألوف من هؤلاء الاغنياء البخلاء .

وقد كنا زرناه في ذهبيته بعد عيد الفطر وتحدثنا فى أمر المدرسة فقال : إنني الآن قد

بدأت بضرب الطوب (الآجر) لاجل البناء في الصيف الآتي : وأخبرنا عن المكان الذي سيبني فيه وهو في أرض له تمرف بيسوس على ضفة النيل وأخبرنا انه كان عازما على شراء مراكب بخارية صغيرة من النوع المعروف بالرفاص لاجل نقل أساتذة المدرسة الذين يقيمون فى القاهرة مع التلامذة الخارجيين صباحا ومساء فى النيل ووعدنا بأن سيطلعنا على ذلك المكان فياحسرة العلم والبلاد عليه

هيهات ان يأتي الزمان بمثله   ان الزمان بمثله لبخيل

ومن كرمه الحاتمي انه تبرع بألفي جنيه لمساعدة السكة الحديد الحجازية واقتدت به حرمه فتبرعت بخمس مئة جنيه وقد جمع لذلك مالا كثيرا بسعيه فأنعم عليه السلطان برتبة بيلربكي ٠ ومن الدلائل على حسن خاتمته رحمه الله تعالى انه قبل موته بيوم طاف على جميع الذين كان بينه وبينهم مغاضبة أو عداوة فصالحهم على عزة نفسه وشدة ضغنه فلم يقبضه الله تعالى الا بعد أن زكى نفسه من الحرج على الناس فنسأل الله تعالى أن يحسن اليه في الآخرة أضعاف ماأحسن الى عباده فى الدنيا وان يتجاوز عن جميع ماسلف منه بمغفرته وإحسانه

أشرنا فى الجزء الماضي الى ما كان لتشييع جنازة المترجم من المشهد الذي لم نر مثله لأحد من الامراء والعلماء ونزيد الآن بيانا فنقول إن الشوارع كانت غاصة بالناس من شاطئ النيل حيث كانت ذهبيته التي توفي فيها الى محطة مصر اذ نقل من المحطة الى طنطا لاجل دفنه في القبر الذي أعده لنفسه . وكان الازدحام على أشده من ميدان الازبكية الى المحطة وكان فى مقدمة المشيعين مفتي الديار المصرية وأحد حجاب الامير نيابة عنه وكثير من العلماء والوجهاء من جميع الطوائف والملل المقيمة فى مصر ولكن لم نر فى ذلك الجمع الكبير أحدا من أسرة الامراء ولا من النظار حتى كأنهم ليسوا من الامة كما قيل ٠ وكان المشهد في طنطا على نحو ما كان فى مصر وزاده تأثيرا هناك اجتماع تلامذة مدرسة الجمعية الخيرية فيها و ٣٠٠ تلميذ من تلامذة مدارس جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية معهم الموسيقى الخاصة بهم جاءوا مع أعضاء ادارة الجمعية فى في قطار خاص بهم لاجل تشييع الجنازة وقد حمد الناس من هؤلاء الاعضاء الاكارم هذه العناية وعدوها من شكرهم لفضل الفقيد على مدارسهم لاسيما مدرسة محمد علي

الصناعية التي لم تكن لولاه شيئا يرجى ثباته

مات رحمه الله تعالى عن زوجة كان مغبوطاً بها محترما لها أشد ما احترم رجل امرأته وماذلك الا لانها بحسن معاملتها قد عرفت كيف تملك قلبه . وعن شابين وبنت متزوجة وهم من غير زوجته التي مات عنها واحد الولدين مسجون وقد توجهت قلوب الناس الى الأمير بالعفو عما بقي من مدة سجنه . وقد رضي المسجون بأن يجعل أخاه المطلق يوسف بك قيما عليه . فحوّم الذين اعتادوا الاستفادة من تركات الأغنياء بالتحريش بين الوارثين وتوريطهم في الشكاوي والدعاوي على يوسف بك هذا وأنشأوا يوسوسون له ليوقعوا بينه وبين وكيل الدائرة بسيوني بك الخطيب وبقية الورثة . فاذا فطن لأمرهم وعرف تأثير أمثالهم فى أمثاله ووعي أقوال النصحاء المخلصين يرى ان هذا الوكيل كان محل ثقة أبيه الذي خبر الناس وبلاهم وان ثروته كانت تزيد على عهده وأراضيه وأملاكه تزداد عمراناً وريعا وعند ذلك يغفل وسوسة الموسوسين ويبقي كل شيء على حاله والا فانه يخسر بالقضايا والمشكلات أضعاف ماتوهمه شياطين الانس الآن انه يخسره بالمسالمة فينعم زمانا قصيراً ثم يعود — حماه الله — الى حال المساكين ، والعاقبة للمتقين ؛

وفاة الشيخ محمد محمود الشنقيطي

لم ترقأ دمعة عين الأدب المنسجمة على محمود سامي ولم يهدأ روع محبي العلم والخير حزنا على أحمد المنشاوي حتى فجع العلم وأهله بوفاة الشيخ محمد محمود الشنقيطي العالم اللغوي الشهير فى مساء يوم الجمعة لسبع بقين من شوال فقد فقدت مصر بل الامة العربية فى هذا الشهر ثلاثة رجال لاخلف لهم فيمن نعرف من أبنائها . مات رحمه الله بمرض انحلال الشيخوخة عن سن تناهز التسعين فيما نظن وكان حضر تشييع جنازة صديقه محمود سامي باشا ومشى فيها قليلا ثم عاد عجزاً عن متابعة السير . وقد شيعت جنازته ظهر اليوم التالي على السنة التي كان يحبها وينتصر لها على نفقة صديقه الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ومشى فيها أهل الصفاء والوفاء من العلماء والفضلاء العارفين بفضله ولم يترك رحمه الله مايورث عنه وجميع كتبه النفيسة موقوفة ووصيه الشيخ محمد عبده وقد وضعت امرأته بعد وفاته وقبل صدور هذا

الجزء غلاما فسمى باسمه نسأل الله ان يجعله من اهل الحياة ليربيه وصيه الحكيم أحسن تربية ، وسنذكر ترجمة الفقيد في الجزء الآتي إن شاء الله تعالى

رأي في احتلال فرنسا لمراكش

جاء فى رسالة لمكاتب المؤيد في باريس علي أفندي زكى نشرت في العدد ٤٤٥٧ منه ما نصه

« يحق على كل محب للمراكشيين أن يبحث عن وجوه سعادتهم واني ممن لا يرون في التداخل الفرنساوي بالبلاد المراكشية أدنى ضرر على شرط أن يكون هذا التداخل غير ماس باستقلال البلاد المراكشية من جهة ولا بسياج دين أهلها ولا بكرامتهم

وان كل مطلع على تاريخ البلاد وكيفية استعمارها يحكم ان مراكش لا يمكنها أن تقوم بنفسها بما تقتضيه راحة رعاياها وسعادة بنيها بل لابد لها من مساعد يساعدها ويمدها بالمال والرجال حتى تخرج من أزمتها الحالية واذا نظرنا الى الدول جميعا نرى ان الدولة القريبة منها المشتركة معها في صوالحها هي الدولة الفرنساوية ولكن هذا لا يمنعنا أن نكون ضد سياسة فرنسا إذا أرادت مس استقلال البلاد المراكشية بل ويلزمنا محاربتها بأقلامنا وبكل جهد استطاعتنا حتى نرجعها الى صوابها » اه

وياليت شعري ماذا فعلت محاربة انكلترا بالاقلام لاخراجها من مصر وهل فرنسا أضعف من انكلترا وأشد خوفا من أقلام أمثال هذا الكاتب السياسي ؟

معاهد العلم الديني فى الاسكندرية

امر الامير منذ عامين بأن يكون طلاب العلم في الاسكندرية تابعين للجامع الازهر فى قانونه ونظامه وعين الشيخ محمد شاكر الذي كان قاضي القضاة فى السودان شيخا لعلماء الاسكندرية لاجل ادارة نظام التعليم فيها. وقد خصص فى ميزانية ديوان الاوقاف لسنة ١٩٠٥ ست عشرة واربع مئة وأربعة آلاف جنيه من ريع الاوقاف الخيرية لنفقات التعليم فى الاسكندرية وقد سار الشيخ محمد شاكر في ذلك على نظام نذكره بعد

(تصحيح غلط) لفظ البنات في السطر ١٦ من الصفحة ٨٢٩ صوابه النبات وفي س ٦ من ص ٨٣٠ منهما صوابه منها وفي س ٢١ نفرت صوابه (ففرت) وفي س ٣ من ص ٨٣١ طمع صوابه طبع ٠ وقولنا في صفحة ٨٣٢ يوم الاثنين صوابه ليلة الثلاثاء

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر — الاحد ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٢ — ٢٢ يناير (ك٢) سنة ١٩٠٥)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(١٩٨:١٩٤) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ، فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ * (١٩٩:١٩٥) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (٢٠٠:١٩٦) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ * (٢٠١:١٩٧) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * (٢٠٢:١٩٨) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * (٢٠٣:١٩٩) وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا

إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ*

قوله عز وجل (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) متصل بما قبله واقع موقع الاستدراك والاحتراس مما عساه يسبق الى الفهم من الأمر بالتزود من التقوى وعمل البر والخير وهو خير الزاد ثم مخاطبة أولي الألباب بالامر بالتقوى تعريضا بأن غير المتقي لا لب له ولا عقل وهو ان أيام الحج لا يباح فيها غير أعمال البر والخير فيحرم فيها ما كانت عليه العرب فى الجاهلية من التجارة والكسب فى الموسم كما يحرم الرفث والفسوق والجدال الذى هو من لوازم التجارة غالباً والترفه بزينة اللباس المخيط والحلق والافضاء الى النساء، فأزال هذا الوهم من الفهم وعلمنا ان الكسب فى أيام الحج مع ملاحظة أنه فضل من الله غير محظور لانه لا ينافي الاخلاص له فى هذه العبادة وإنما الذي ينافي الاخلاص هو أن يكون القصد الى التجارة بحيث لو لم يرج الكسب لم يسافر لأجل الحج. هذا ما عليه الجماهير وحمل أبو مسلم ذلك على ما بعد الحج ومنع الكسب فى أيامه. ويرد عليه نزول الآية فى سياق أحكام الحج ونفي الجناح الذى لا معنى له في غير الحج وما ورد فى أسباب نزولها. أخرج البخاري عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا فى الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في الموسم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت وقرأ ابن عباس الآية بزيادة: فى موسم الحج: ولعله قاله تفسيرا. وأخرج أحمد وابن أبي حاتم وابن جرير والحاكم وغيرهم من طرق عن أبي أمامة التيمي قال قلت لابن عمر إنا نكري – أي الرواحل للحجاج – فهل لنا من حج فقال ابن عمر جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم

فسأله عن الذى سألتني عنه فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية - وذكرها فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال «أنتم حجاج» وفى رواية أن ابن عمر قال لهم: ألستم تلبون ألستم تطوفون بين الصفا والمروة ألستم ألستم ثم ذكر ماتقدم.

وقال الاستاذ الامام: كان بعض المشركين وبعض المسلمين فى أول الاسلام يتأثمون فى ايام الحج من كل عمل حتى كانوا يقفلون حوانيتهم فعلمهم الله تعالى أن الكسب طلب فضل من الله لا جناح فيه مع الاخلاص وقال إن قوله تعالى «من ربكم» يشعر بأن ابتغاء الرزق مع ملاحظة أنه فضل من الله تعالى نوع من أنواع العبادة وأن سيدنا عمر قال فى هذا المقام لسائل: وهل كنا نعيش الا بالتجارة ؟ : أقول لكن قال بعض العلماء إن نفي الجناح يقتضي أن هذه الاباحة رخصة وان الاولى تركها فى أيام الحج . وهذا لا ينافي ماقاله اذا أريد بأيام الحج الايام التي تؤدى فيها المناسك بالفعل لا كل أيام شوال وذي القعدة وذي الحجة اوعشره الاول وذلك أن لكل وقت عبادة لا تزاحمها فيه عبادة أخرى كالتلبية للحجاج والتكبير فى أيام العيد والتشريق لغيرهم . والمراد من الآية ان الكسب مباح فى أيام الحج اذا لم يكن هو المقصود بالذات وانه مع حسن النية وملاحظة انه فضل من الرب تعالى يكون فيه نوع عبادة وان التفرغ للمناسك في أيام ادائها أفضل، والتنزه عن جميع حظوظ الدنيا فى تلك البقاع الطاهرة اكمل، ثم قال تعالى

(فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) الافاضة من المكان الدفع منه مستعار من إفاضة الماء واصله أفضتم انفسكم ويقال ايضا افاض فى الكلام اذا انطلق فيه كما يفيض الماء ويتدفق وعرفات اعرف من ان تعرَّف وقد جاء هذا الاسم بصيغة الجمع وقيل انه جمع وضع لمفرد

كاذرعات وهو مرتجل وذكروا وجوها للتسمية احسنها أنه يتعرف فيه الى الله بالعبادة اوانه يشعر بتعارف الناس فيه وعرفة اسم لليوم الذى يقف فيه الحجاج بعرفات وهو تاسع ذي الحجة وأطلق أيضا على المكان فى كلامهم. ولعرفات أربعة حدود حد الى جادة طريق المشرق والثاني الى حافات الجبل الذى وراء أرضها والثالث الى البساتين التى تلي قرنيها على يسار مستقبل الكعبة والسابع وادي عرنة (بضم ففتح) وليست عرنة ولا نمرة (بفتح فكسر) من عرفات. والوقوف بعرفات أعظم أركان الحج وكلها موقف. والمشعر الحرام جبل بالمزدلفة يقف عليه الامام ويسمى قزح سمي مشعرا لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته وقيل المزدلفة كلها من مأزمي عرفات الى وادي محسر (بكسر السين المهملة المشددة) وليس هو من مزدلفة ولا من منى بل هو مسيل ماء بينهما فى الاصل وقد استوت أرضه الآن أو هو من منى والمعنى أنه يطلب من الحاج اذا نزل من عرفات الى المزدلفة أن يذكر الله عند المشعر الحرام بالدعاء والتكبير والتهليل والتلبية وقيل بصلاة العشائين جمعا وليس هو المتبادر بل قالوه لينطبق على قولهم الامر للوجوب مع قولهم ان الذكر هناك غير واجب. وفى حديث جابر عند مسلم «أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصوا (أي ناقته الجدوعة وهذا اسمها وهو بالفتح والقصر ويمد) حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس» الحديث وهو دليل على أن المشعر الحرام هو قزح وأن الذكر غير صلاة العشائين جمعا. والمبيت

بمزدلفة «وتسمى جمعا» من جملة المناسك قال الاستاذ الامام أمر بالذكر عند المشعر الحرام للاهتمام به لانهم ربما تركوه بعد المبيت ولم يذكر المبيت لانه كان معروفا لايخشى التهاون فيه والقرآن لم يبين كل المناسك بل المهم وبين النبي (ص) الباقي بالعمل . ثم قال (واذكروه كما هداكم) أي اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة إذ أنجاكم من الشرك واتخاذ الوسطاء كما كنتم فى الجاهلية تذكرونه مع ملاحظة غيره بينكم وبينه لايفرغ قلبكم له . وكانوا يقولون فى التلبية : لبيك لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك : فالكاف للتشبيه لاللتعليل كما قيل (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أي وانكم كنتم من قبله ضالين عن الحق فى عقائدكم وأعمالكم . قال الاستاذ الامام أي من قبل الله الذي آمنتم به إيمانا صحيحا بهداية الاسلام دون الخيال الذي كنتم تدعونه إلها له وسطاء شركاء يقرّبون اليه ويشفعون عنده فان ذلك الخيال لاحقيقة له ، وبهذا التقرير يستغنى عن تقدير المضاف ولا بأس بجعل ضمير « قبله » للهدى كما قال المفسر وغيره لسبق فعله ويمكن أن يراد به القرآن كما قال بعضهم اكتفاء بدلالة المقام كقوله تعالى « إنا أنزلناه »

(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) جعل المفسر (الجلال) كغيره الخطاب هنا لقريش خاصة اذ ورد فى حديث عائشة عند الشيخين أن قريشا ومن دان دينهم وهم الحمس كانوا يقفون فى الجاهلية بمزدلفة ترفعا عن الوقوف مع العرب فى عرفات فأمر الله نبيه أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها أي إبطالا لما كانت عليه قريش فالمراد بهذه الافاضة الدفع من عرفات كالاولى قال : وثم للترتيب فى الذكر : وأنكر الاستاذ الامام هذا لان الأسلوب ينافيه وذلك أن الخطاب فى الآيات كلها عام .

قال وهم يذكرون هذا كثيرا ولا يذكرون له نكتة تزيل التفاوت من النظم ويمكن أن يقال هنا إنه بعد أن ذكر كذا وكذا من أحكام الحج قال هذا كأن المعنى هكذا: بعد ماتبين لكم ماتقدم كله من أعمال الحج وليس فيها امتياز أحد على أحد ولا قبيل على قبيل وعلمتم أن المساواة وترك التفاخر من مقاصد هذه العبادة بقي شيء واحد وهو أن تلك العادة المميزة لا وجه لها فعليكم أن تفيضوا مع الناس من مكان واحد

والمتبادر أن المراد بالافاضة هنا الدفع من مزدلفة لانه ذكر الدفع من عرفات في خطاب المؤمنين كافة وهو لا يكون الا بعد الوقوف فعلم أنهم سواء في الوقوف بعرفات وفي الافاضة منها الى المزدلفة وبعد ان أمرهم بما يتوقع أن يغفلوا عنه فيها عند المشعر الحرام منها ذكر الافاضة منها، وقوله «ثم» يفيد أن الافاضة من مزدلفة يجب أن تكون مرتبة على الافاضة من عرفات ومتأخرة عنها ففيه تأكيد إبطال تلك العادة وقوله «من حيث أفاض الناس» يشعر بأنه لا معنى للامتياز في الموقف ترفعا على الناس اذا كانوا بعد ذلك يتساوون في الافاضة فان غير قريش من العرب كانوا يفيضون من المزدلفة أيضا. فالآية تتضمن إبطال ما كانت عليه قريش مع كون المراد بالافاضة فيها الدفع من مزدلفة ولعل هذا هو المراد من الاثر وأنه روي بالمعنى والظاهر أن المراد بالناس الجنس وقيل ابراهيم واسمعيل ومن كان على دينهما وقوله (واستغفروا الله) يراد به الاستغفار مما أحدثوا بعد ابراهيم من تغيير المناسك وإدخال الشرك وأعماله فيها والا فهو استغفار من الضلال الذي ذكرهم به في الآية قبلها ومن عامة الذنوب في الحج وغيره (ان الله غفور رحيم)

(فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او أشد ذكرا)

كان للعرب في الجاهلية مجامع فى الموسم يفاخرون فيها بآبائهم ويذكرون أنسابهم وفعالهم أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يقفون فى الموسم يقول الرجل منهم : كان أبي يطعم ويحمل الحمالات ويحمل الديات: ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم فأنزل الله هذه الآية. ولابن جرير عن مجاهد كانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا آباءهم الخ وروي أنهم كانوا يقفون بمنى بين المسجد والجبل يتفاخرون ويتماكظون ويتناشدون فأمرهم الله تعالى بأن يذكروا الله تعالى بعد قضاء المناسك وهي أعمال الحج كما كانوا يذكرون آباءهم فى الجاهلية أو أشد من ذكرهم إياهم. وقد كان فى حجة الوداع أن خطب النبي فى اليوم الثاني من أيام التشريق فأرشدهم الى ترك تلك المفاخرات. روى أحمد من حديث أبي نضرة قال حدثني من سمع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فى أوسط أيام التشريق فقال « يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر الا بالتقوى ، أبلَّغت ؟ » قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقوله تعالى « او أشد ذكرا » معناه ظاهر وهو بل اذكروه اشد من ذكركم آباءكم وفيه من الايجاز ماترى حسنه. قال الاستاذ الامام وقد تعسف فى إعرابه الذين حكموا النحو الذي وضعوه فى القرآن ويعجبني قول بعض الائمة واظن انه أبو بكر ابن العربي : من العجيب ان النحويين اذا ظفر أحدهم ببيت شعر لأحد أجلاف الاعراب يطير فرحا به ويجعله قاعدة ثم يشكل عليه اعراب آية من القرآن فلا يتخذها قاعدة بل يتكلف فى إرجاعها الى كلام أولئك الأجلاف وتصحيحها به كأن كلامهم الأصل الثابت . ويعجبني أيضا ماقاله

أبو البقاء وهو ان للقرآن ايجازا واختصارا فى بعض المواضع المفهومة من المقام وهو أن المعنى هنا أو كونوا أشد ذكرا ومثل هذا شائع فى اللغة . وقال الاستاذ هنا كلمته التي يقولها فى مثل هذا المقام وهي انه كان يجب أن يكون القرآن مبدأ إصلاح في اللغة العربية وقد ذكرناها من قبل

ثم بين تعالى ان الذين يذكرونه فيدعونه على قسمين (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق) الخلاق النصيب والحظ ذكر تعالى أن هذا الفريق يطلب حظ الدنيا مطلقا ولم يقل انه يطلب فيها حسنة لان من كانت الدنيا كل همه لا يبالي أكانت شهواته وحظوظه حسنة أم سيئة فهو يطلب الدنيا من كل باب ويسلك اليها كل طريق لا يميز بين نافع لغيره وضار فباستيلاء حب الدنيا عليه لم يكن للآخرة وما أعده الله فيها للمتقين من الرضوان موضع من نفسه يرجوه ويدعو الله فيه كما أنه لا يخاف ما توعد الله به المجرمين فيها فيلجأ اليه تعالى بأن يقيه شره .

فحرمان هذا الفريق من خلاق الآخرة هو أثر كسبه وسوء اختياره وتفضيله حظوظ الدنيا الفانية على سعادة الآخرة الباقية . ويالله ما أبلغ حذف مفعول « آتنا » في هذا المقام ، فهو من دقائق الايجاز التي تحار فيها الافهام ، وتعجز عنها قرائح الأنام ، وقد اختلف المفسرون في تعيين هذا الفريق فقيل هم الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة واستدلوا بما روي عن ابن عباس وأنس من دعاء المشركين في ذلك المقام بحظوظ الدنيا وقيل هم المسلمون الذين لم تمس أسرار الدين وحكمه قلوبهم ، ولم تشرق أنوار هدايته على أرواحهم ، بل اكتفوا بالتقليد في رسومه الظاهرة ، فكان همهم في الدنيا دون الآخرة ، وذكروا هنا ما روي في المرفوع من أن

الله تعالى يؤيد هذا الدين بمن لا خلاق لهم . واستدلوا على صحة رأيهم بالسياق . ولا شك أن هذا القسم موجود في المسلمين كما وجد في كل أمة ومن بلا الناس وفلاهم عرف ذلك

(ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) أي ومنهم من يطلب خير الدنيا والآخرة لا حظوظ الدنيا كيفما كانت كالفريق الاول لان هذا لا يتفق مع طلب حظ الآخرة . وقد اختلف المفسرون فى تعيين الحسنة هل هي العافية والكفاف أو المرأة الصالحة أو الأولاد الأبرار أو المال الصالح أو العلم والمعرفة أو العبادة والطاعة وروي بعض هذه الاقوال عن بعض السلف ولعل كل ذي قول يطلقها على المهم عنده والظاهر أن حسنة وصف لمحذوف أي حياة حسنة وانظر بم تكون حياة المرء حسنة فيكون سعيدا فى الدنيا . فمن دعا الله تعالى دعاء إجماليا فليدعه بسعادة الدنيا والآخرة والحياة الطيبة فيهما يكن مهتديا بالآية ومن كانت له حاجة خاصة فدعاه لها من حيث هي حسنة فهو مهتد بها ، على انهم اختلفوا فى حسنة الآخرة فقيل الجنة وقيل الرؤية واختلفوا فى عذاب النار ورووا عن علي كرم الله وجهه انه المرأة السوء. وقد علم مما تقدم في تفسير « أجيب دعوة الداع اذا دعان » أن الطلب من الله تعالى انما يكون باتباع سننه فى الاسباب والمسببات والتوجه اليه تعالى واستمداد المعونة والتوفيق منه ، للهداية الى ما يعجز العبد عنه ، وعلى هذا يتخرج تفسير الحسن لقوله تعالى (وقنا عذاب النار) بقوله أي احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية اليها . فطلب الحياة الحسنة فى الدنيا يكون بالاخذ بأسبابها وأعظمها وأنفعها الثقة بالله والاخلاص وقصد الخير في الاعمال كلها وتوقي الشرور كلها، وطلب الحياة

الحسنة في الآخرة يكون بالايمان الخالص والعمل الصالح بقدر الاستطاعة، وطلب الوقاية من النار يكون بترك المعاصي والشهوات المحرمة مع القيام بالفرائض المحتمة - هذا هو الطلب بلسان القلب والعمل وأما الطلب بلسان المقال فهو يصدق ذلك بما يذكر القلب بأن هذه الاسباب من الله يعطي بها فضلا منه ورحمة وانه لا يرجع الى سواه فى الهداية الى ما خفي والمعونة على ما عسر. ولم يذكر في التقسيم من لا يطلب الا حسنة الآخرة لأن التقسيم لبيان ما عليه الناس فى الواقع ونفس الامر بحسب داعي الجبلة وتأثير التربية وهدي الدين ولا يكاد يوجد فى البشر من لا تتوجه نفسه الى حسن الحال في الدنيا مهما كان غاليا فى العمل للآخرة لإن الاحساس بالجوع والبرد والتعب يحمله كرها على التماس تخفيف ألم ذلك الاحساس. وفى الآية إشعار بأن هذا الغلو مذموم خارج عن سنن الفطرة وصراط الدين معا. وفي حديث أنس عن البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ المنتوف فقال له « هل كنت تدعو الله بشيء؟» قال نعم كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبي به فى الآخرة فعجله لي في الدنيا :فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبحان الله إذاً لا تطيق ذلك ولا تستطيعه فهلا قلت : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار : » ودعا له فشفاه الله تعالى . وأبعد من هذا فى الغلو ان بعض الصوفية سمع قارئا يتلو قوله تعالى « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » فصاح : أواه ، أين من يريد الله : وهو قول حسن الظاهر قبيح الباطن فالآية خطاب لخيار الصحابة وهو وشيوخه من الصوفية لم يبلغوا مد أحدهم ولا نصيفه فارادة الدنيا والآخرة بالحق ارادة لمرضاة

الله وعمل بسنته. وقد ورد فى الصحيح ان الآية كانت أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهل يدعي ذلك الصوفي وأمثاله من الغلاة أنهم أشد حبا منه لله وطلبا له عز وجل ثم قال تعالى بيانا لمن يسأل عن حظ هؤلاء

(اولئك لهم نصيب مما كسبوا) الاشارة بأولئك الى الذين يطلبون سعادة الدارين والحسنة فى المنزلتين لان حكم الفريق الذي يطلب الدنيا وحدها قد علم من قوله تعالى « وماله فى الاخرة من خلاق » فان العطف يشعر بمحذوف كأنه قال هذا الفريق له حظه من الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق ومجموع الكلام فى الفريقين بمعنى قوله تعالى « من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من خلاق » وقد بينت الآية صريحا أنهم يعطون ما دعوا الله تعالى فيه بكسبهم وهذا نص فيما تقدم من معنى الدعاء وانه لابد أن يكون طلب اللسان مطابقا لما فى النفس من الشعور بالحاجة الى الله تعالى بعد الاخذ بالاسباب والسعي فى الطرق التي مضت بها سنة الله تعالى ولهذا قال « مما كسبوا » ولم يقل : لهم ما طلبوا : والمعنى أنهم لما كانوا يطلبون الدنيا بأسبابها ، ويسعون للآخرة سعيها ، كان لهم حظ من كسبهم هذا فى الدارين على قدره (والله سريع الحساب) يوفي كل كاسب أجره عقيب عمله بحسبه لأن سنته مضت بأن تكون الرغائب آثار الاعمال فهو يوفي كل عامل عمله بلا إبطاء وكما يكون الجزاء سريعا فى الدنيا كذلك يكون فى الآخرة فان أثر الأعمال الصالحة يظهر للمرء عقب الموت وهو أول قدم يضعه فى باب عالم الآخرة . وهذ أحسن بيان لما قالوه فى تفسير « سريع الحساب» من أنه إجابة الدعاء . والاكثرون على ان المراد حساب الآخرة

واختلفوا في كيفية ذلك على أقوال أقربها الى التصور ان سرعة الحساب عبارة عن إطلاع كل عامل على عمله أو إعلامه بماله مما كسب وما عليه مما اكتسب وذلك يتم في لحظة وقد ورد ان الله تعالى يحاسب الخلائق كلهم في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا وورد في قدر فواق الناقة وورد بمقدار لمحة البصر . ثم قال تعالى بعد ان أمر بذكره عند المشعر الحرام وكانوا لا يذكرونه هناك وذكره عند تمام قضاء المناسك بعد أيام منى اذ كانوا يذكرون مفاخر آبائهم

(واذكروا الله في أيام معدودات) حكى القرطبي عن الحافظ ابن عبد البر وغيره الاجماع على ان الأيام المعدودات هي أيام منى وهي أيام التشريق الثلاثة من حادي عشر ذي الحجة الى ثالث عشره ويؤيده حديث عبد الرحمن ابن يعمر عند أحمد وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم قال . ان ناسا من أهل نجد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة فسألوه فأمر مناديا ينادي « الحج عرفة من جاء ليلة جمع - أي المزدلفة - قبل طلوع الفجر فقد ادرك . أيام منى ثلاثة أيام فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه » وأردف رجلا ينادي بهن : أي أركب رجلا معه ينادي بهذه الكلمات ليعرف الناس الحكم وهو أن من أدرك عرفة ولو في الليلة التي ينفر بها الحاج الى المزدلفة للمبيت فيها وهي الليلة العاشرة من ذي الحجة فقد أدرك الحج وأن أيام منى ثلاثة وهي التي يرمون فيها الجمار وينحرون فيها هديهم وضحاياهم فمن فعل ذلك في اليومين الأولين منها جاز له ومن تأخر الى الثالث جاز له بل يظهر انه الافضل لانه الاصل . فالحديث مفسر للأيام المعدودات وعليه العمل عند أهل العلم كما قال الترمذي في سننه . وانما أمر سبحانه بالذكر في

هذه الايام ولم يأمر بالرمي لأنه من الأعمال التي كانوا يعرفونها ويعملون بها وقد أقرهم عليها وذكر المهم الذي هو روح الدين وهو ذكر الله تعالى عند كل عمل من تلك الأعمال وتلك سنة القرآن يذكر إقامة الصلاة والخشوع فيها وذكر الله تعالى ودعاءه وتأثير ذلك فى إصلاح النفوس ولا يذكر كيفيـة القيام والركوع والسجود ككون الاول يفعل مرة فى كل ركعة والثاني يفعل مرتين وانما يترك ذلك لبيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بالعمل . وبينت السنة أيضا ان ذكر الله تعالى فى هـذه الأيام هو التلبية والتكبير أدبار الصـلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغـير ذلك من الأعمال فقد روى الجماعة عن الفضل ابن العباس قال كنت رديف رسول الله (ص) من جمع الى منى فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة: وروى احمـد والبخاري عن ابن عمر انه (ص) كان يرمي الجمرة يكبر مع كل حصاة وورد فى التكبير فى أيام التشريق أحاديث كثيرة منها حديث ابن عمر في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان يكبر بمنى تلك الأيام وعلى فراشـه وفي فسطاطه وفى مجلسه وفى ممشاه فى تلك الايام جميعا . وأما الذكر فى يوم عرفة ويوم النحر فهو التكبير لغير الحاج وله أعم ففي حديث أحمد والشيخين أن محمد بن أبي بكر بن عوف قال سألت أنسا ونحن غاديان من منى الى عرفات عن التلبية كيف كنتم تصنعون مع النبي صلى الله عليه وسـلم قال: كان يلبي الملبي فلا ينكر عليـه ويكبر المكبر فلا ينكر عليـه : وفى حديث أسامة عند النسائي أنه (ص) رفع يديه يوم عرفة يدعو . وفى روايات ضعيفة السـند ان أكثر دعائه يوم عرفة لا اله الا الله وحـده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير . وقد ذكرنا ذكره عليه السلام عند

المشعر الحرام وقد قالوا إن التلبية أفضل الذكر للحاج ويليها التكبير في يوم عرفة والاضحى وأيام التشريق وكيفية التلبية : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لك لا شريك لك ، : هذا هو المرفوع وله أن يزيد من الذكر والثناء والدعاء ماشاء . والتكبير المرفوع صحيحا : الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا : ويزيدون

وقد جعل الله تعالى التخيير في التعجيل والتأخير مشروطا بالتقوى فقال (فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى) أي من استعجل في تأدية الذكر عند الاعمال المعلومة في يومين من تلك الأيام المعدودات فلا حرج عليه ومن أتمها كذلك اذا اتقى كل منهما الله تعالى ووقف عند حدوده فإن التقوى هي الغرض من الحج ومن كل عبادة والوسيلة الكبرى اليها كثرة ذكر الله تعالى وانما تلك الاعمال مذكرات للناسي ثم أمر بالتقوى بعد الاعلام بمكانتها فقال (واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون) أي اتقوه في حال أداء المناسك وفي جميع أحوالكم وكونوا على علم يقين بأنكم تجمعون وتساقون اليه في يوم القيامة فيريكم جزاء أعمالكم والعاقبة للمتقين . «تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا» فان العلم بذلك هو الذي يؤثر في النفس فيبعثها الى العمل وأما من كان على ظن أو شك فانه يعمل تارة ويترك أخرى لتنازع الشكوك قلبه. ومن فوائد الاسلوب أن تكرار الامر بالذكر وبيان مكانة التقوى ثم الامر بها تصريحا في هذه الآيات التي فيها من الايجاز ماهو في أعلى درج الاعجاز حتى سكت عن بعض المناسك الواجبة للعلم بها — كل ذلك يدلنا على أن المهم في العبادة ذكر الله تعالى الذي يصلح النفوس وينير الارواح حتى تتوجه الى الخير وتتقي الشرور والمعاصي فيكون صاحبها من المتقين

فتاوى المنار

فتحناهـذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ أخذ الاجرة على القرآن ﴾

(س١٠٤) ا ٠ ف ٠ فى الاسكندرية) : قرأنا في مناركم نقلا عن الاستاذ الامام عند تفسير قوله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الخ » الوجوه التى يعتبر أخذ المال فيها محرما وفيها ما يؤخذ على العدد المعلوم من سورة يس — وان القراءة لاتحقق الا اذا أريد بها وجه الله خالصة فاذا شابت هذه النية شائبة فقد أشرك بالله غيره في عبادته بالتلاوة — وكذا من يقرأ القرآن لاخذ الاجرة لاغير فاذا لم تكن لايقرأ وعلم من ذلك ان الحرمة على المعطي والآخذ فاذا كان الاول يعطي بمحض ارادته واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » فكيف تكون الحرمة وكيف الجمع بين القولين

والحديث كما لايخفى رواه البخاري عن ابن عباس فى (كتاب الطب) وهو حجة الشافعي (كما سمعنا) على جواز أخذ الاجرة على القراءة وحجة أبي حنيفة على جواز أخذها على الرقى . أسعفونا بالجواب فأنا كالظمآن ينتظر ورود الماء ولكم الفضل أولا وآخرا

(ج) حمل بعض العلماء الاجر في الحديث على الثواب لأجل الجمع وخصه بعضهم بالرقية وينبغي ان تكون صالحاً على شفاء لديغ فاذ شفي استحق الراقي الاجرة كما كانت واقعة الحال لأن ماجاء على خلاف القياس لايقاس عليه وقد تقدم الكلام على الرقية بالقرآن ونفعه فى شفاء المرضى أو عدم نفعه في الكلام على المسائل الزنجبارية ٠ ومنها يعرف انه على خلاف القياس ٠ ومن الاحاديث المعارضة له مارواه أحمد والبزار من حديث عبد الرحمن بن شبل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اقرءوا القرآن ولا تغلوا فيه

ولا تجفوا عنه ولا تستكثروا به » : ورجاله ثقات وما رواه أحمد والترمذي وحسنه من حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « اقرءوا القرآن واسألوا الله به فإن من بعدكم قوما يقرءون القرآن يسألون به الناس » : وما رواه أبو داود من حديث سهل بن سعد وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اقرءوا القرآن قبل ان يقرأه قوم يقيمونه كما يقام السهم يتعجل أجره ولا يتأجل » وما رواه أيضاً من حديث جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابي والعجمي فقال: « اقرءوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه » : فهذا وما ذكر في التفسير كاف في بيان الحق وجعل حديث الرقية خاصاً بتلك الواقعة وما كان فى معناها وهي تدل على أن الأجرة كانت محرمة فان الراقي لما أخذ الشاء أنكر عليه رفاقه من الصحابة حتى أتوا النبي وأذن لهم بأكلها وكانوا استضافوا أولئك العرب من المشركين فلم يضيفوهم فرقى احدهم لهم سيدهم وكان لديغاً على ان يعطوه القطيع اذا شفي . فانت ترى انهم كانوا مضطرين او محتاجين ولا يقال ان المعطي يعطي برضاه فان العقد فاسد وهذه شبهة مستحل الربا . والشافعي لم يقل ما ذكروا انما هو بحث للشافعية في صحة الاجارة وعدمها .

حياة البرزخ وحياة الآخرة

(س ١٠٥) يوسف افندي هندي في بريد (بورسعيد) : أكد لي أحد طلبة العلم بالازهر الشريف ان الميت يشعر ويحس ويتألم ويسمع كل ما قيل أمامه حتى وطء النعال على قبره واستشهد بحديث عمر « ما انت بأسمع منهم »

واني شاك فى ذلك لبعده عن التصور وعدم تسليم العقل به مباشرة لأسباب منها عدم تألم المرء بما يفعل بجسمه اذا خدر بدنه بالمادة المغيبة (البنج) والروح فيه فما باله بعد مفارقتها بدنه ومنها ان الميت في بورسعيد يوضع في صندوق ويلقى فى حفرة رملية ويهال عليه التراب ولا شك ان الأرض تغور به لانها رملية فهل يسلم العقل بأن الميت يشعر بهذا كله ونحوه أرجو التكرم بشرح الحقيقة مأجورين

(ج) ولع كثير من الذين يشتغلون بعلم الدين بالكلام في الغرائب ولا أغرب من أمور عالم الغيب واحتجوا عليه بالروايات حتى الضعيفة والموضوعة وأدخلوا فيه القياس

على مارووا بل منهم من احتج فيه بالرؤى والاحلام حتى قالوا وكتبوا ما يحمل كثيراً من الضعفاء على الشك فى أصل الدين . ومن ذلك ان الاموات يأكلون فى قبورهم ويشربون ويغشون النساء . والحق المجمع عليه ان حياة الآخرة من أمور عالم الغيب فما ورد فيها من النصوص القطعية عن الله ورسوله نؤمن به من غير بحث في كيفيته ونؤمن مع ذلك ان عالم الغيب ليس كعالم الشهادة فلا نقيس حياة الآخرة على الحياة الدنيا فى شيء . والعقل لا ينافي هذا لانه يدلنا على أن الذي وهبنا هذه الحياة قادر على ان يهبنا بعد الموت حياة أخرى ارقى منها أو أدنى وقد اختلف المسلمون في حياة البرزخ فقال الاكثرون ان الميت يحيا بعد الدفن لأجل السؤال وانه يعذب بعد الموت قبل البعث يوم القيامة وعليه جمهور أهل السنة لاحاديث وردت في ذلك ولكن هذه الحياة عندهم غيبية لا يقاس عليها

ونقل صاحب لوائح الانوار البهية — فى شرح عقيدة الفرقة المرضية عن الامام ابن حزم في كتاب الملل والنحل ان من ظن أن الميت يحيا فى قبره قبل يوم القيامة فقد أخطأ لأن الآيات تمنع من ذلك يعني قوله تعالى « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » وقوله « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » قال ولو كان الميت يحيا فى قبره لكان الله تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا وهذا باطل وخلاف القرآن إلا من أحياه الله آية لنبي من الانبياء — ثم ذكر قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، والذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها — اي ان الآيات تجيء على خلاف الأصل والاصل هنا انه لا حياة بعد الحياة الدنيا الا حياة الآخرة وذكر في الاحتجاج قوله تعالى « ويرسل الأخرى الى أجل مسمى » أي يرسل روح الذى يموت الى يوم القيامة فلا حياة له قبلها . ثم قال ابن حزم ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خبر صحيح ان أرواح الموتى ترد الى أجسادهم عند المسألة ولو صح ذلك لقلنا به وانما تفرد بهذه الزيادة من رد الارواح الى القبور المنهال بن عمرو وليس بالقوي تركه سعيد وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبي وهو أحد الأئمة : ما جازت للمنهال بن عمرو قط شهادة في الاسلام على ماقد نقل وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك . (قال) وهذا الذى قلناه هو الذى صح عن الصحابة : وذكر آثاراً عنهم تؤيد ما قال

وقد أورد صاحب اللوائح ردا عليه لابن القيم قال إن أراد ابن حزم بقوله : من

ظن أن الميت يحيا في قبره فقد اخطأ الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتصرفه وتدبره ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ كما قال والحس والعقل يكذبه كما يكذبه النص. وان أراد به حياة أخرى غير هذه الحياة بأن تعاد الروح اليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا ليسئل ويمتحن في قبره فهذا حق ونفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله « فتعاد روحه في جسده » في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما وساق الحديث وهو عند أحمد وأبي داود ثم ذكر ان قوله فيه « ثم تعاد روحه في جسده » لا يدل على حياة مستقرة ثم ذكر ان تعلق الروح بالبدن من أول التكوين الى يوم القيامة خمسة أنواع ذكرها المؤلف وهذا نوع منها ٠ اي وهو غيبي لا نعرف حقيقته ٠ ثم ذكر ان جرح المنهال خطأ وذكر من وثقه وأن أعظم ماقيل فيه أنه سمع صوت غناء من بيته. وأما حديث أهل القليب وقوله عليه الصلاة والسلام: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم: فهو يدخل في الآيات فقد قال قتادة رضي الله عنه أحياهم الله تعالى حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلبي في سيرته: أقول والمراد بإحيائهم شدة تعلق أرواحهم بأجسادهم حتى صاروا كالاحياء في الدنيا للغرض المذكور: ولا بعد ان يريد أن أرواحهم هي التي سمعت فانها هي التي تدرك وتعقل فلا تتوقف صحة الحديث على رجوعها الى الاجساد ولكن هل يقاس على النبي غيره في مخاطبة الارواح والقائس لا يعرف حقيقة مابه القياس ؟ ام يعطي الله لكل أحد يكلم الموتى من الآية في اسماعهم ما أعطى نبيه عليه الصلاة والسلام ؟ كلا فعلم ماتقدم ان ماسمعتموه من أن الاموات أحياء غير صحيح ، بل هو تناقض صريح ، والله أعلم

(دعوى الولاية والتصرف في الكون)

(س ١٠٦) الشيخ أنور محمد يحيي في (الابراهيمية): ظهر في بلدة الإبراهيمية رجل يسمى الشيخ ..... بالتصوف ومشيخة الطريق فأخذ عليه العهد نحو ثمانين شخصاً لما له من الشهرة بالصلاح فراودت نفسي ان آخذ عليه العهد وأتخذه مرشداً فلما اجتمعت مع أحد تلامذته وسألته عن أحوال هذا الاستاذ أقسموا لي بالله ثلاثا انه يوجد في تلامذته من تفوق رتبته رتبة سيدي أحمد البدوي وأن له التصرف في الكون فأنكرت ذلك عليه فسألني ثانياً أتنكر ذلك فقلت له نعم فأجابني بأنه لابد من أن يصيبك

مرض شديد لانك مصر على إنكار التصرف فصرت منتظراً حدوث المرض كما أوعدني فلم يحصل فهل يجوز لنا أن تنكر على هذا شرعا أم لا بينوا لنا ....

(ج) جاء فى كتب العقائد أنه لا يجب على أحد ان يصدق بأن فلانا بعينه من أولياء الله تعالى وإن ظهرت الخوارق على يده، وانا نذكر لك ما جاء فى اللوائح عند شرح قوله

وكل خارق أتى عن صالح   من تابع لشرعنا وناصح
فانها من الكرامات التي   بها نقول فاقف للادلة

قال في تفسير الصالح : وهو الولي العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات من ذكر وانثى الخ : وقال في تفسير ناصح : لله ولرسوله ولكتابه ولشريعة النبي صلى الله عليه وسلم التي اتى بها عن الله وناصح لأئمة المسلمين وخاصتهم وعامتهم فان الدين النصيحة : الخ ثم قال في سياق النقل عن ابن حمدان حقيقة الكرامة : ولا تدل على صدق من ظهرت على يده فيما يخبر به عن الله تعالى او عن نفسه ولا على ولايته لجواز سلبها وان تكون استدراجاً له يعني ان مجرد الخارق لا يدل على ذلك ولذلك قال ولا يساكنها ولا يقطع هو بكرامته بها ولا يدعيها وتظهر بلا طلبه تشريفاً له ظاهرا ولا يعلم من ظهرت منه هو او غيره انه ولي لله تعالى غالباً بذلك وقيل بلى . ولا يلزم من صحة الكرامات ووجودها صدق من يدعيها بدون بينة أو قرائن خالية تفيد الجزم بذلك وان مشى على الماء او في الهواء او سخرت له الجن والسباع حتى تنظر خاتمته وموافقته للشرع فى الأمر والنهي . فان وجد الخارق من نحو جاهل فهو مخرفة ومكر من إبليس وإغواء وإضلال :

فهذا نص عالم من اشد الناس انتصارا للكرامات وانكاراً على منكريها من المسلمين كالاستاذ ابي اسحق الاسفرايني والشيخ عبد الله الحليمي من ائمة الاشاعرة وغيرهم من الفرق . وتفسيره للولي يؤخذ من لفظه فان معناه الناصر والموالي ولا يكون ناصراً لدين الله ومواليا له الا بالعلم والعمل بالكتاب والسنة والنصيحة لله ورسوله باقامتهما والنصيحة لأئمة المسلمين وهم السلاطين والامراء الذين يحرم منافقو هذا الزمان نصيحتهم ويلعنون الناصح لهم ولعامتهم . ثم انه يذكر ان الولي لا يدعي الكرامة ولا هي تكون باختياره وتصرفه ولكن اذا وقع له امر خارق للعادة حقيقة يحمل على إنه إكرام

من الله وعناية منه به ولكن ما كل من يظهر على يده الخارق يكون وليا بل ربما يكون ذلك استدراجا له ، واذا كان جاهلا أو عاصيا فاننا نجزم بأن ماظهر على يديه استدراج له ليزداد اثما هذا اذا لم يظهر لنا انه حيلة وشعوذة ولذلك اشترط رحمه الله العلم الجزم بوقوع الخارق. فكيف حال هؤلاء الادعياء الجهلاء الذين يخدعون العوام بدجلهم وحيلهم ويهددون ضعفاء العقل بالامراض والمصائب اذاهم انكروا عليهم حتى كأن الكرامات صناعة لهم وسلاح يحاربون به الناس لا كل اموالهم بالباطل والسيادة عليهم بالبهتان

لا تصدق احدا يدعي الولاية او الكرامة او يبث التلامذة والاعوان لدعواها وان انذر بعض الناس بالمرض فإن الدعي دعيّ ولا يغرنك ما تكتبه الجرائد التي تسمى اسلامية عن بعض أهل الجامنهم وانكر عليهم وانصح للمسلمين بالاعراض عنهم ووال من والى الله ورسوله بالعلم والعمل والنصح للمسلمين . وتبرأ من العصاة والجاهلين .

آثار علمية ادبية

﴿ انتقاد شواهد تفسير ابن جرير الطبري ﴾

تابع لما قبله

(٣٥) أقوى وأقفر من نعم وغيرها هوج الرياح بهابي الترب موّار

وردفى الجزء ٢٧ ص ١٠٤ وكتب بدل: بهابي الترب: بها فى الترب

والبيت من قصيدة النابغة التى أولها

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى وأحجار

(٣٦) ونركب خيلا لاهوادة بينها ونعصى الرماح بالضياطرة الحمر

نعص بالرمح أى نضرب به ونطعن ويروى بدلها ونسقى

وجاء البيت شاهداً فى موضعين (١) فى الجزء ١٧ ص ١٨ وأنشد هنا صحيحاً (٢) فى الجزء ٢٠ ص ٦٤ وكتب هكذا

وتركت خيلا لاهوادة بينها تسقى الرماح بالدياضرة الحمر

والبيت لخداش بن زهير العامري

(٣٧) كأنها برج رومىّ يشيده بان بجصّ وآجر وأحجار

ورد في موضعين (١) فى الجزء ١٩ ص ١٨ وكتب هنا صحيحاً (٢) فى الجزء ٢٩ ص ١٢٩ وكتب باسقاط كلمة بان حتى انكسر البيت

(٣٨) بجيش تضل البلق فى حجراته ترى الأكم فيه سجدا للحوافر

من أبيات لزيد الخيل وجاء فى موضعين (١) فى الجزء الأول ص ٢٢٩ وكتب هكذا

تجمع فضل البلق في حجراته ترى أولاؤكم فيه سجداً للحوافر

(٢) فى الجزء الأول ص ٢٧٧ وكتب هكذا

تجمع ظل البلق فى حجراته ترى الاكم فيها سجدا للحوافر

ويظهر أن هناك رواية بجمع بدل بجيش ولكن المبرد روى فى كامله الابيات الاربعة هكذا

بنى عامر هل تعرفون اذا غدا أبو مِكْنَف قد شد عقد الدوابر
بجيش تضل البلق فى حجراته ترى الأكم فيه سجداً للحوافر
وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثير تواليه سريع البوادر
أبت عادة للورد أن يكره الوغى وحاجة رمحى فى نمير وعامر

(٣٩) لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم طفحت عليك بناتق مذكار

من كلمة للنابغة الذبياني يهجو زرعة بن عمرو بن خويلد وجاء شاهدا فى الجزء ٩ ص ٦٩ وكتب الشطر الثاني هكذا دحقت عليك نتائق مذكار

(٤٠) كأن رماحهم أشطان بئر بعيد بين جاليها جرور

من أبيات لمهلهل بن ربيعة وجاء شاهداً فى الجزء السابع ص ١٧٠ وكتب الشطر الثانى هكذا

بعيد بين حالبها حرور * جال البئر وجولها جانبها

(٤١) غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيمياء لاتشق على البصر

ورد فى موضعين (١) الجزء ٣ ص ٦٠ وكتب فى الشطر الثانى سيما بدون ياء قبل الالف وهذا تحريف به ينكسر البيت و(٢) فى الجزء ٨ ص ١٣٠ وكتب هنا صحيحا الا انه ترك همز سيميا

(٤٢) قعود الدى الابواب طلاب حاجة عوان من الحاجات أو حاجة بكرا

للفرزدق وورد في موضعين (١) فى الاول ص ٢٦٠ (٢) فى السابع ص ١٧٢ وهنا استبدلب طالب بطلاب وهو تحريف يختل معه قوام البيت

(٤٣) أتونى فلم أرض مابيتوا وكانوا أتونى بأمر نكر

لأنكح أيمهم منذرا وهل ينكح العبدَ حر لحر

ورد فى الخامس ص ١٠٥ وكتبا هكذا واحيلا على عدد ٧

أتونى فلم أرض مابيتوا وكانوا أتونى بشئ منكر

لاينكح اليهم منذر فهل ينكح العبد حر بحر

(٤٤) وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سِب الزبرقان المزعفرا

ورد فى الثانى ص ٢٦ وكتب بدل حلولا حؤلا وهو غلط والحلول جمع حالّ مثل شاهد وشهود وكتب بدل سبّ بيت وهو خطأ أيضا والسب بالكسر الثوب الرقيق هكذا رواه اللسان فى مادة س ب ب ولكن رواه فى مادة ح ج ج بيت ولكنه خطأ

(٤٥) ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان أبو بكر ولا عمر

لجرير وورد فى موضعين (١) فى الاول ص ٦٢ (٢) فى الثانى ص ٣٠ ووضعت كلمة فعلهما بدل فعلهم وذلك خطأ لان قبله

وما لتغلب ان عدوا مساعيهم نجم يضيء ولاشمس ولاقمر

(٤٦) جاء الشتا واجثألّ القنبر * وطلعت شمس عليها مغفر * وجعلت عين الحرور تسكر

هكذا روي الاساس وقال اجثأل الطائر نفش ريشه من البرد ووردت فى الحادى عشر ص ٩ وكتبت هكذا

جاء الشتاء واحتال القير * واستحفت الامعاء وكادت تطير * وجعلت غير الحرور تسكر

(٤٧) فنكرنه فنفرن وامترست له عوجاء هادية وهاد جرشع

من مرثية أبي ذؤيب ورد فى الثاني عشر ص ٤١ وكتب هكذا

فنكرنه فنفرن وامترست به هوجاء هادية وهاد جرشع

(٤٨) تأبى بدرتها اذا ما استعصبت الا الحميم فانه يتبضع

ورد فى السابع ص ١٤٠ وكتب الشطر الاول هكذا

تأني بدريها اذا ما استصعبت

(٤٩) وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

ورد فى ثلاثة مواضع (١) فى الاول ص ٣٨٣ وكتب صحيحا (٢) فى الحادى عشر ص ٥٨ وهنا استبدلت إذ بأو فى الشطر الثانى (٣) فى الثانى والعشرين ص ٤١ وكتب صحيحا

(٥٠) وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن تتصدعا

ورد فى الثلاثين ص٧ وكتب أول البيت عشنا بدل وكنا فانكسر البيت وأحال المصحح هنا على نمرة ٧

(٥١) وما وجد أظآر ثلاث روائم رأين مجراً من حوار ومصرعا

ورد فى التاسع والعشرين ص ١١٨ وكتب هكذا

فما وجد أطار ثلاث روائم وأين مجرى من جوار ومصرعا

(٥٢) على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت ألما أصح والشيب وازع

ورد في ثلاثة مواضع (١) فى السابع ص ٨٥ (٢) في التاسع عشر ص ٨٠ (٣) فى الثلاثين ص ٤٩ وفيهما كتب يصح بدل أصح

(٥٣) ومنا الذى اختير الرجال سماحة وجوداً اذا هب الرياح الزعازع

ورد فى التاسع ص ٤٨ وكتب بدل اختير اختار وهو خطأ يضيع معه الشاهد

(٥٤) ولها بالماطرون اذا أكل النمل الذي جمعا

خلفة حتى اذا ارتبعت سكنت من جلق بيعاً

ليزيد بن معاوية وردا فى التاسع عشر ص١٩ وكتب آخر الثانى منهما تبعاً وصوابه بيعاً والماطرون قرية بالشام والخلفة ثمر يخرج بعد الثمر الكثير

(٥٥) حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مُغل" الاصبع

ورد في السادس ص٩ وكتب بدل مغل معل وذلك خطأ

(٥٦) بذات لوث عفرناة اذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لعاً

للاعش ورد فى السابع ص٦٨ وكتب الشطر الاول هكذا

* بذت لوث عفرنا اذا اعثرت *

(٥٧) وإن شفائي عـبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معوّل

من معلقة امرئ القيس وردفي الثالث ص ١١٨ وكتب هكذا

وان شفاى عـبرة مهراقة فهل عـنـد رسم دارس من معول

(٥٨) وكان الخمر العتيق من الإسـ فنط ممزوجـة بمـاء زلال

با كرتهـا الاعراب في سنة النو م فتجري خـلال شوك السيال

للاعشى وجاء الاول في الثالث ص ٩ وكتب فيه الاسفط بدل الاسفنط .وجاء الثانى في الثالث ص ٥ وكتب هكذا

با كرتها الاعراب في سنة النوم فيجري خلال ٧ سؤل السـيال

(٥٩) من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت عرضتها طامس الاعـلام مجهول

من : بانت سعاد: ورد في أربعة مواضع (١) فى الثانى ص ٢٢٧ وكتب صحيحاً (٢) فى الخامس ص ٧٤ وكتب الشطر الاول هكذا

من أجل نصاحة الذفرى اذا عرقت وذكر في الكتاب عراسقها بدل عرضتها وهي تخل قوام البيت وفسرها الطبرى بما بين الجفنين ولم اعثر على الكلمة ولا على معناها وهى محرفة (٣) في الحادى عشر ص ١٠٠ وكتب صحيحاً (٤) فى السابع والعشرين ص ٥٦ وكتب هكذا

من كل نضاجة الدفرى اذا عرقت غرصتهـا طامس الاعلام مجهول

(٦٠) فى مهـمه قلقت به هاماتهـا قلق الفؤس اذا أردن نصولا

وردفي الخامس عشر ص١٧٢ وكتب فيه قلقت وقلق بالفاء وصوابه بالقاف

(٦١) فآب مضلوه بعـين جلية وغودر بالجولان حـزم ونائل

ورد فى الثالث ص ١٩٩ وكتب هكذا .

فاب مضلوه بعـين حلية وغود بالخذلان حزم ونائـل

(٦٢) وقد خفت حتى ماتزيد مخافتى على وعل في ذي المطارة عاقـل

ورد في موضـعين (١) فى الثانى ص ٤٢ (٢) فى الثـلاثين ص ١٢٥ ووضع فى المرتين كلمة غافل آخر البيت وصوابه عاقل ومعناه الممتنع فى صعوده

(٦٣) طرقاً فتلك هما همى أقريهما قلصا لواقـح كالقـى وحولا

وردفي السادس ص ٩٤ وكتب طرفا وافريهما بقائين وصوابهما بفاءين

(٦٤) اغزوا بنى ثعل والغزو جدكم عدوا الروابى ولا تبكوا لمن قتلا

ورد في التاسع والعشرين ص ٥٧ وكتب فيه الروايا بدل الروابى والروابى الاشراف

(٦٥) رب ابن عم لسليمى مشمعل اروع في السفر وفى المن غزل

طباخ ساعات الكرى زاد الكسل

وردفي الثالث عشر ص ٢٤٨ وكتب آخر الابيات دار الكسل بدل زاد الكسل

(٦٦) اعطى فلم يبخل ولم يخل كُوم الذرى من خول المخوول

وردفي السابع ص ١٦٩ وكتب البيت الثانى هكذا . كرام الذرى خوْل المخول .

وورد ثانياً فى الثالث والعشرين ص ١١٦ وكتب صحيحاً

(٦٧) خرقوا جيب فتاتهم لم يبالوا سوءة الرَّجُلة

ورد في الثامن ص ٩٩ وكتب هكذا

خرقوا جيب قبابهم لم يبالوا سوءة الرحلة

(٦٨) ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريث وعجل

ورد فى التاسع ص ١٠٨ وكتب هكذا

ان يفوى بنا خير نفل ويأذن الله ربى وعجيل

(٦٩) وان الذي يسعى يحرّش زوجتى كساع الى اسد الشرى يستبيلها

وردفي الاول ص ٣٤٩ وكتب فى آخر البيت يستقيلها بدل يستبيلها

(٧٠) ابعد الذى بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذى تراب وجندل

وردفى السادس عشر ص ١٥٣ وكتب فيه نعف كراكب بدل نعف كويكب

(٧١) ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل

يوما باطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها اذدنا الاصل

البيت الاول ورد فى الثالث ص ٤٤ وكتب صحيحاً . والثلاثة في الحادى والعشرين ص ١٧ وكتب في البيت الاول من رياض الحسن بدل من رياض الحزن . وكتب الشطر الثانى من البيت الثاني هكذا *مورد بصميم النبت مكتمل* وذلك غلط كله

(٧٢) اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عواسل

ورد في اربعة مواضع (١) في الخامس ص ١٥٦ وكتب الشطر الثاني هكذا . *وخالفها في بيت نوب عوامل* (٢) في الحادى عشر ص ٥٦ وكذلك كتب (٣) في الخامس والعشرين ص ٧٦ وكتب هكذا

اذا لسعته الدبر لم يرج لسها وخالفها في نيت نوب ٧ عوامل

لما صحت الكلمة جهل معناها واحيل على عدد ٧ (٤) فى التاسع والعشرين ص ٥٢ وكتب كالاول والثانى . قال في اللسان النوب النحل جمع نائب لانها ترعى وتنوب الى مكانها قال الاصمى هو من النوبة التي تنوب الناس لوقت معروف قال ابو عبيدة سميت نوبا لانها تضرب الى السواد (لها بقية)

﴿رثاء محمود سامي باشا البارودي﴾

اجتمع جمهور من الشعراء والادباء عند قبر أمير الشعر والادب فى اليوم الموعود فرثوه وأبنوه بالشعر والخطب واننا ننشر مرثية حافظ أفندي ابراهيم ، لانها واسطة ذلك العقد النظيم ، وهي

ردوا علي بياني بعد محمود اني عييت وأعيى الشعر مجهودي
ما للبلاغة غضبى لا تطاوعني وما لحبل القوافي غير ممدود
ظنت سكوتي صفحاً عن مودته فاسلمتني الى هم وتسهيد
ولو درت ان هذا الخطب أخرسني لا طلقت من لساني كل معقود
لبيك يامؤنس الموتى وموحشنا يافارس الشعر والهيجاء والجود
ملك القلوب وأنت المستقل به أبقى على الدهر من ملك ابن داود
لقد نزحت عن الدنيا كما نزحت عنها لياليك من بيض ومن سود
أغمضت عينيك عنها وازدريت بها قبل الممات ولم تحفل بموجود
لبيك ياشاعرا ضن الزمان به على النهى والقوافي والاناشيد
تجري السلاسة فى أثناء منطقه تحت الفصاحة جري الماء فى العود
في كل بيت له ماء يرف به يغار من ذكره ماء العناقيد

لو حنطوك بشعر أنت قائله ... غنيت عن نفحات المسك والعود
حليته بعد ان هذبته بسنا ... عقد بمدح رسول الله منضود
كفاك زاداً وزيناً ان تسير الى ... يوم الحساب وذاك العقد في الجيد
لبيك ياخير من هزّ اليراع ومن ... هزّ الحسام ومن لبى ومن نودي
ان هد ركنك منكوبا فقد رفعت ... لك الفضيلة ركنا غير مهدود
ان المناصب في عزل وتولية ... غير المواهب في ذكر وتخليد
اكرم بها زلة في العمر واحدة ... ان صح انك فيها غير محمود
سلوا الحجى هل قضت أربابه وطرا ... دون المقادير أو فازت بمقصود
كنت الوزير وكنت المستعان به ... وكان همك هم القادة الصيد
كم وقفة لك والابطال طائرة ... والحرب تضرب صنديداً بصنديد
تقول للنفس ان جاشت اليك بها ... هذا مجالك سودي فيه أو بيدي
نسخت يوم كريد كل مانقلوا ... في يوم ذي قار عن هاني بن مسعود
نظمت أعداك في سلك الفناء به ... على رويٍّ ولكن غير معهود
كأنهم كلم والموت قافية ... يرمي بها عربي غير رعديد
اودى المعري تقي الشعر مؤمنه ... فكاد صرح المعالي بعده يودي
وأوحش الشرق من فضل ومن أدب ... واقفر الروض من شدو وتغريد
وأصبح الشعر والاسماع تنبذه ... كأنه دمم في جوف ممعود
لوى به الضعف واسترخت أعنته ... فراح يعثر في حشو وتعقيد
وأنكرت نسمات الشوق مربعه ... تثيرها خطرات الخرّد الغيد
لو أنصفوا أودعوه جوف لؤلؤة ... من كنز حكمته لا جوف اخدود
وكفنوه بدرج من صحيفته ... أو واضح من قميص الصبح مقدود
وانزلوه بأفق من مطالعه ... فوق الكواكب لا تحت الجلاميد
وناشدوا الشمس ان تنعي محاسنه ... للشرق والغرب والامصار والبيد
أقول للملأ الغادي بموكبه ... والناس ما بين مكبود ومفؤود
غضوا العيون فان الروح يصحبكم ... مع الملائك تكريماً لمحمود

يا ويح للقبر قد أخفى سنا قمر | مقسم الوجه محسود التجاليد
يا ويحه حل فيه ذو قريحته | لها بخدر المعاني ألف مولود
فرائد خرّد او شاء أودعها | محصي الجديد سجلات المواليد
كأنها وهي بالالفاظ كاسية | وحسنها بين مشهود ومحسود
لالئ خلف بلور قد اتسقت | في بيت دهقان تستهوي نهى الغيد
محمود اني لأستحييك فى كلمي | حياً وميتاً وان جودت تقصيدي
فاعذر قريضي واعذر فيك قائله | كلاهما بين مضعوف ومحدود

باب الأخبار والآراء

﴿ الفتنة في نجد وحقيقة الحال ﴾

كتبنا في آخر الجزء التاسع عشر نبذة في إمارة نجد وانتصار ابن سعود على ابن الرشيد وكذبنا بعض الجرائد المصرية التي تتجر بالأمة والملة في زعمها ان ابن سعود خارج على الدولة العلية وقلنا إنه أطوع لها وأشد خضوعا من ابن الرشيد الذي نفر منها أهل نجد بظلمه . وقد جاءتنا بعد ذلك رسائل متعددة من بلاد العرب فيها بيان الطرق التي أرسلت منها الدنانير الى بعض أصحاب الجرائد المصرية التي تسمى إسلامية لتشنع على ابن سعود وتكذب عن لسانه الرسائل الى رؤساء الجند العثماني ينكر فيها ولاية السلطان وخلافته بزعمهم . وجاءتنا أيضاً صور البرقيات التي أرسلها الامير ابن سعود والامير قاسم ابن ثاني قائمقام قطر والولي الحميم للدولة العلية ومؤيد نفوذها فى البلاد العربية الى السلطان وهي الحجة القاطعة على أن هذه الجرائد كانت ساعية بتفريق كلمة المسلمين وغش الدولة بإغرائها بحرب ابن سعود وعدم قبول طاعته وان انضم اليه أكثر القبائل . وقد اتضح للدولة العلية من هذه الرسائل التي يظهر انها وصلت بعد ما حالت العمال المرتشون دون وصولها زمناً ان ابن سعود صادق في ولائه وأكد ذلك عندها حالة (الحسا) فانها على عهد ابن الرشيد كانت تتناوبها المخاوف ويتخطف الناس من حولها حتى يعسر الوصول اليها وكان الحجاج الذين يخرجون منها يتسلحون ويخرجون بقوة ثم لا تمنعهم قوتهم

من المشقة العظيمة والخسائر الكثيرة ، ولما استولى ابن سعود وغلب أمره صار الناس يخرجون منها مثنى وفرادى لا يصيبهم أذى وحكومة البصرة وبغداد عالمة بذلك . ولذلك كفت الدولة العلية عن إنجاد ابن الرشيد وأمرت والي البصرة بأن يطلب الاجتماع بعبد الرحمن الفيصل بالمحل الذي يريد لاجل المذاكرة والمشاورة في الأمر وكانت الدولة قد قطعت مرتب عبد الرحمن الشهري فأعادته اليه

هـذا ما كتب الينا (بتاريخ ٢١ شوال الماضي) ثم علمنا من مكاتبات من بغداد وردت على بعض العربان التجار في مصر بأن الدولة جهزت أربعة توابير (التابور بالتاء عربي وبالطاء تحريف) وقد وجل لذلك انصار ابن الرشيد وارتاب انصار ابن سعود الذي روى انه زحف بخيله ورجله على حايل عاصمة ابن الرشيد . وسبب الريب ان الدولة العلية كانت تريد ان تجعل القصيم معسكراً لاجل حفظ الأمن في بلاد نجد برضى ابن سعود . أخذت في بوادر هذا الأمر ثم سكتت عنه ولعلها عادت اليه الآن ولا بد ان يأتينا الخبر اليقين بعد حين

وانا نبدأ الآن بنشر رسالة وردت علينا في الموضوع ثم نذكر بعدها الرسائل البرقية التي أشرنا اليها وننصح للدولة العلية أن ترفق بعملها في بلاد العرب وتحذر كل ما يريب ويشكك الناس بحسن قصدها . قال المكاتب الخبير

﴿ حقيقة الحال في الحادثة النجدية ﴾

لما كانت مجلتكم الغراء هي الوحيدة في خدمة الجامعة الاسلامية المرشدة لجمع الكلمة مع بيان أقرب الطرق وأقومها مسلكاً وأنجحها مسعى حق قدرها الرأي العمومي الاسلامي في سائر أقطار المعمورة حق قدرها وأحلوها من القبول محلها فصار صداها يخترق حجب المسامع وهي نعمة جليلة توفقت لها لحسن قصدها دون من سواها آتيت أتلو على سمعكم ما عن لنا بشأن الحادثة النجدية ذات البال في الجامعة الاسلامية

ان الفتنة التي حدثت في هذه السنين الاخيرة في القطعة النجدية قد نظر اليها الرأي العام من عقلاء المسلمين وحكمائهم نظر الاهتمام كانها الداء العضال العادي الذي يهدد صحة الاعضاء الرئيسة من الجسد الاسلامي حيث انهم قد أدركوا بثاقب أفهامهم المنورة بنور الايمان انها اذا لم تتداركها حكمة جلالة خليفة المسلمين بالحل السلمي

السديد لاتنتهي الا بمداخلة يد الاغيار المشتت لجموعنا أولا وآخرا وهذا ماعنينا به من قولنا كانها الداء العضال العادي الخ

وحقيقة اذا نظرنا نظرهم هذا أخذت بنا الدهشة كل مأخذ واستولت علينا الحيرة من كل جانب حتى اذا ماثبتنا بعد الدهشة واهتدينا غب الحيرة ورجعنا لتلافي الامر وليس لنا من الامر شيء سوى استلفات واستعطاف أصحاب أهل الحل والعقد من أمراء الدولة العلية الذين هم لايهمهم سوى الاصلاح لتلافي هذا الامر وإخماد ثورة هذه الحادثة واطفاء نار هاته الفتنة بالاصلاح والتوفيق السديد لابيرق السيوف ورعد المدافع وتحشيد العساكر والضغط الموجب للانفجار وتخريب الدار وتدمير الديار وتداخل يد الاغيار ولو بدون أهلية واستحقاق كما نعلم وتعلمون

نعم قد ولي عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بلاد أبيه وجده بقاعدة الرياسة المعروفة بالمشيخة في البلاد العربية متغلباً على الامير عبد العزيز بن رشيد وكما تدين تدان «وتلك الايام نداولها بين الناس» لكن نظراً لما جبل عليه الاميرابن رشيد من اباية الغبن ولما هو متصف به من العناد ولماله من نفوذ الكلمة وقبول القول لدى أمراء الدولة العلية اغتراراً بما يرون منه من بهارج القول وطمعاً بما ينالونه من ثمين الهدايا استمالهم لمساعدته فساعدوه غير ناظرين لما يؤل اليه أمر مساعدته من . ومن . ومن واذا لم يفكروا الا في ان في نفس مساعدته وتقويته إذهاب قسم عظيم من ملك الدولة العلية العثمانية فضلا عما يكلف الدولة العلية من المشاق والخسائر وإضعاف النفوذ وتلف مئات ألوف من المسلمين والتداخل الاجنبي الى غير ذلك من أنواع المضرات التي لاثمرة لها غير التفريق والتشتيت لوجب ان يكون ذلك حاجزا قويا بين أرباب الحل والعقد وبين الميل لمساعدة أحد الفريقين على الآخر فضلا عن المساعدة فعلا، بل لوجب جمع فكرهم على اتخاذ الاسباب والوسائل لإصلاح ذات بين الفريقين وجمع كلتهم تحت الراية المقدسة العثمانية على ان الامل الوطيد والحق الحقيق هو ان عبد العزيز بن سعود هو أطوع من غيره لارادة جلالة متبوعه مع انه لم ينظر اليه بعين الرضا كغيره ولو نظر اليه بعين الرضى ورأى المساواة بينه وبين غيره لرأت الدولة العلية من خدماته الصادقة النافعة مايجعله أقرب قريب لديها ولا نظن الا ان الذي أغمض عنه هذه العين الجليلة هو

مداخل الاوهام من خرافات المموهين بان الخطر على الحرمين الشريفين واطرافهما من عبد العزيز بن سعود محقق لانه وهابي والحال ان التوهب الذي يرمون به ابن سعود وعشائره أهل نجد هو اعتقاد السلف الصحيح في توحيد الذات الإلهية وتقديس صفات الربوبية وهذا شيء لادخل له بالملك والسياسة لكن المقاصد تغلب الحقائق واما محافظة ابن سعود على الحرمين وطريقهما وقصادها وفود الحجاج وكسر شوكة الذين كانوا يتعرضونهم من ثوار العشائر البادية فهذا محسوس ومشاهد بالعيان حتى رأى الحجاج منذ عامين في طريقهم كل تسهيل موفرين ومقتصدين لما كانوا يعطون من الرسوم المقررة لرؤساء العشائر عن يد وهم صاغرون فكفت ايدي البادية ورأى الحجاج من العزة والاحترام ما لم يروه قبل وهذه قضية مسلمة يقر ويعترف بها حتى الخصم نفسه فنسأل الله جل جلاله ان ينصر دولتنا العلية ورجالها الصادقين ويلهمهم السلوك فى طريق الرشاد فيصلحوا ذات بين الفريقين وتحفظ الدولة العلية لنفسها حقوق سيادتها المقدسة في الجانبين كذي قبل واذا اختلف أحد منهم عن ارادتها وخالف رضاءها العالي اذ ذاك فلها ان تؤنب وتعنف وتؤدب بما شاءت وكيفما شاءت وهي ذات السيادة المطلقة في جميع ممالكها المحروسة

لما حدثت الحوادث في بلاد نجد وانتصر ابن سعود على ابن الرشيد وخيف من سوء العاقبة انبري لتلافيها ارباب الحمية الدينية وهو الشهم الغيور ذو الصداقة والعبودية والاخلاص لحضرة متبوعه ملجأ الخلافة الكبرى الاسلامية قائمقام قضاء قطر ورئيس العشائر وشيخ القبائل فيه (الشيخ جاسم الثاني) الذي مافتيء عند حدوث كل حادثة في القطعة العربية يعرض ثمين النصائح لجلالة متبوعه الاعظم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة) فانه حفظه الله لما نظر لهذه الحادثة نظر المندهش المتخوف من وخامة عاقبتها اهتم بها اهتمام الحكيم المتدين العاقل فقدم النصيحة الى عبد العزيز ابن سعود بأن لايتخذ له يداً مع الاغيار مهما آل اليه الامر وان لايخرج عن رسم الطاعة لجلالة المتبوع الاعظم ملجأ الخلافة العظمى الاسلامية وأراه وخامة العاقبة اذا لم يسلك طريق السمع والطاعة والخضوع لارادة سلطان الحرمين الشريفين وبين له من التبيان وأوضح له من الدلائل بتنويع القول وتكرار النصائح ما أقنعه بأن الدولة العلية

تتلقى خضوعه لها بالقبول وقد رأيت ثمرتها بقبوله لها وامتثاله اياها فأخذ عبد العزيز بن سعود يسلك طريق الاسترحام من جلالة متبوعه الاعظم بكمال خضوع وتذلل واطاعة واستعطاف ودخالة بعدم الأمر بسوق العسكر عليه وان لا يطلق عليه ولا على عشائره عنوان العصيان لانه متعقد بكل المطالب سامع ومطيع لجميع الاوامر واليك ماوصلنا من نصوص تلغرافاته التي قدمها الى الاعتاب الملوكانية بواسطة وبلا واسطة كما تلقيناها من مصدر موثوق به (انظروا لمنصوص تلغرافات عبد العزيز) وهي واصلة طيا

واما حضرة الفاضل الشيخ جاسم الثاني فانه ما اكتفى ببث النصيحة لعبد العزيز حتى اشفعها كذلك بعريضة خطية لحضرة والي ولاية البصرة واخرى تلغرافية الى الاعتاب السلطانية بواسطة الوالي وبواسطة مجلس الوكلاء الخاص وواسطة الكاتب الاول في المابين وواسطة سماحة أبي الهدى افندي وهذا نصهما كما لقيناهما من مصدر موثوق (انظروا عريضتي الشيخ جاسم الثاني)

فأملنا ورجانا من حضرتكم نشر جميع التلغرافات والعرائض مع مايتعلق بخصوص حضرة الشيخ جاسم الثاني ونصائحه في مجلتكم الغراء مع مايبدو لفكركم السامي من الشرح والتعليق واني اكرر الدعاء لفاطر الارض والسماء ان يوفق امراء دولتنا العلية لحل هذه المشكلة حلا سلمياً لا دخل فيه لعامل أجنبي وفي الختام ارجو قبولكم فائق احترامي

التلغراف الأول من ابن سعود

الى اعتاب سيدي وولي نعمتي سلطان البرين وخاقان البحرين خليفة رسول الله السلطان المعظم السلطان عبد الحميد خان الثاني أدام الله عرش سلطنته الى آخر الدوران آمين

أقدم عبوديتي وطاعتي ودخالتي الى الاعتاب السامية المقدسة ممتثلا كل ارادة وفرمان لست بعاص ولا خارج عن دائرة الامر بل أنا العبد الصادق في خدمة دولتي وجلالة متبوعي الاعظم أريد الاصلاح مااستطعت قد ابتلاني سبحانه وتعالى بشرذمة يحسدون ويفسدون ولا يصلحون قاموا يشوشون أفكار دولة جلالة ولي النعم ويدخلون على فكره الشريف الاوهام الواهية يريدون تفريق الكلمة الاسلامية وتقسيم الجامعة المقدسة العثمانية وإلجائي الى الاحتماء بالدول الأجانب فحاشا ثم حاشا عبد جلالتكم عثماني صرف

أفدي السدة العثمانية بعزيز روحي أجمع كلمة بادية الخطة النجدية بما آتاني الله ومنحتني دولتي العلية من النفوذ تحت راية مولانا أمير المؤمنين سلطان المسلمين السلطان عبد الحميد نصره الله لكن هؤلاء الذين يريدون تفريق الجامعة العثمانية لا يألون جهداً في إلقاء الدسائس حتى تمكنوا من جعل الامر في غير قالبه واستجلبوا لي انحراف الرضاء العالي فساقوا علي "العساكر الشاهانيه أولا واسترحمت وقدمت طاعتي فلم أوفق لازالة الشبهة التي أدخلها المفسدون والآن بلغني ان الحكومة السنية ساقت علي "عساكر غير الأولى فانا أضرع الى مرحمة وشفقة وحنان وحماية وديانة مولانا أمير المؤمنين ان لا يؤاخذني بدسيسة ألقاها المفسدون ولا شبهة احتج بها الحاسدون المزورون فينظر الي "حفظه الله بعين العدالة والشفقة والمرحمة ويحقن دماء ألوف من المسلمين الطائعين الداعين بدوام عرش جلالته وعلى كل حال فليس لي ارادة أو قول او فعل يخالف الرضاء العالي وتظهر الحقيقة بالاختبار كما أني أسترحم من حكمة جلالة مولانا ومتبوعنا الاعظم وفطنته السامية أن لا يروّج مقاصد ارباب الفساد أعداء الدين والدولة الذين يريدون اشغال دولتنا العلية وتشتيت عساكرها المظفرة يمينا وشمالا واضعاف ماليتها فان لهم بذلك مقاصد لا تخفى على سمو حكمة جلالة مولانا امير المؤمنين وانا عبد صادق خادم مطيع ملتجئ لمرحمة وشفقة جلالتكم .

١ رمضان سنة ١٣٢٢

عبد الدولة العثمانية عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود

﴿ التلغراف الثاني ﴾

الى اعتاب سيدي الخ

ان مرحمة جلالتكم وشفقة عظمتكم وعفو سلطنتكم اجل واعظم من ان يمنعوا (كذا) عن عبد صادق فى عبوديته لسدة اعتابكم مثلي قدمت جملة دخالات على اعتاب خلافتكم السامية الاسلامية معلنا اذعاني وانقيادي وطاعتي لارضاء ولي نعمتي متبوعي الاعظم ومع هذا فلم تصدر ارادة المرحمة والشفقة بايقاف الحركة العسكرية الموجهة ضدي مولاي امير المؤمنين عبد جلالتكم هذا يعلم علم اليقين ما يكلف سوق العساكر الشاهانية الى قطعة نجد من المشاق والاضرار على الملة الاسلامية والجامعة العثمانية ويعلم ان المسبب لهذه المشاق والاضرار دسيسة من اعداء السلطنة السنية يريدون تفريق الجامعة

المقدسة العثمانية ليدركوا مطالبهم واما عبد جلالتكم هذا فسامع مطيع مسترحم عفو جلالتكم وان لم اذنب دخيل على شفقتكم ومراحمكم في عفوي (كذا) ان كان صدر مني ذنب وحقن دماء ألوف من المسلمين من عبيدكم الطائعين الداعين بدوام عرش السلطنة الحميدي وحاشا حكمة جلالتكم ان تصغوا بعد ذلك لزخارف دسائس ارباب المقاصد المفسدين هذا عرضي واسترحامي والفرمان العلي الشأن لحضرة جلالة امير المؤمنين

٥ رمضان سنة ١٣٢٢ عبد الدولة العثمانية عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن سعود

أرسل من كل واحد من التلغرافين نسخة باسم السلطان بلا واسطة و نسخة بواسطة باشكاتب المابين و نسخة بواسطة مجلس الوكلاء و نسخة بواسطة أبي الهدى أفندي . وكذلك فعل الشيخ جاسم الثاني في تلغرافه وزاد نسخة بواسطة والي البصرة وهو

﴿ تلغراف الشيخ جاسم الثاني ﴾

الى الاعتاب المقدسة والركاب المحروسة السلطانية ايد الله سرير سلطنته بالعز والنصر آمين

ان عبوديتي وصدقي واخلاصي وصداقتي وغيرتي وحميتي لا يدعونني ان أترك النصح لديني ودولتي وسلطاني سواء صادف قبولا ام لا فقد سبق من هذا العبد الصادق العرض بعدم تنسيب سوق العساكر الشاهانية على ابن سعود وان الامر دون ذلك حيث ان المشهور والمعروف من سياسة وحكمة مولانا أمير المؤمنين خليفة رسول رب العالمين نصره الله وأيده المرحمة والشفقة لعموم التبعية السلطانية وان ليس في طبعه الشريف اتباع آراء أرباب المقاصد والاغراض الذين لا يقدرون عواقب الامور حق قدرها والذين لا يهمهم الا منافعهم الشخصية على انه ليس هناك سبب يستوجب سوق العساكر المنصورة على ابن سعود سوى العداوة السابقة الثابتة بحكم الطبيعة بينه وبين الامير ابن رشيد وان الامير ابن رشيد وجد من يساعده على مقاصده من أرباب الاطماع ببذل النقدين حباً للانتقام وقد أعرضت بلسان الصدق والصداقة واسترحمت عدم سوق العساكر الشاهانية على ابن سعود وان كل مطلب ومقصد يحصل بدون ان تطلقوا على نجد وأهلها اسم العصيان الذي يكلف الحكومة السنية من المشاق والمصاريف والخسائر ماهي غنية عنها بدون فائدة على ان ابن سعود ليس بعاص ولا خارج عن رسم الطاعة

نعم ان الذين أدخلوا في افكار مولانا امير المؤمنين سوء قصد ابن سعود وان منه الخطر على نجد وما يليها هم أعداء الدولة والملة الذين يريدون تفريق الكلمة حيث ان أمثال هؤلاء لا يستفيدون نقداً وجاهاً وموقعاً الا باحداث مثل هذه المشاكل والقلاقل كما فعلوا في غير هذه القضية وكما فعلوا في مبادي مسئلة الكويت وقد اعرضت أفكاري عند حدوث كل حادثة والآن قد بلغني ان الدولة العلية صانها رب البرية قد عزمت على اظهار عساكر مرة ثانية لنجد وحيث ان هذا القصد مبني على اوهام لا وجود لها اتيت أعرض ما يجب عليّ ذمة وديناً من أداء النصيحة بأن سوق العساكر على نجد واهلها ليس فيه صلاح ولا منه فائدة واجل الفائدة واعظم الفوز بجمع الكلمة الاسلامية العثمانية وأهل نجد بالتحقيق ماخرجوا عن هذه الدائرة ولا صدر منهم سوى احتلالهم وطنهم بحكم المشيخة والرياسة حسب القواعد العربية وحيث ان الذي كان مترئساً فيها ابن رشيد قام هو ومن هو مساعد له وعلى شاكلته يدخلون الاوهام على الحكومة السنية وليس عندهم الاحب الانتقام بدون مصلحة ولا فائدة والاولى والاصلح ان ينذر ابن سعود وكبار نجد وعلمائه بالنذر ويبلغوا البلاغات المقتضية سياسة ويوعظوا بالحكمة والموعظة الحسنة فان اذعنوا واطاعوا لارادة سلطانهم وخليفتهم فنعم ذلك وهو المقصود وان أبوا وعصوا فذاك آخر علاج على أنه قد بلغني أن ابن سعود قد استرحم مراراً بان الحكومة تشكل لجنة لتحقيق أحواله وأحوال ابن رشيد وكف الطرفين وذلك أولى وأصلح وأحقن لدماء المسلمين وأفود للدولة العلية وعلى كل حال استرحم باسم العدالة والصداقة والحمية ان يصرف النظر عن سوق العساكر وتنظر الدولة العلية في الامر بجعل مشايخ نجد مأمورين رسميين لا فرق بين ابن سعود وبين ابن رشيد كما اني استرحم ان لا تجعل نصيحتي هذه في زوايا الاهمال والامر والفرمان لحضرة من له الامر

٨ رمضان سنة ٣٢٢ العبد الصادق قائمقام قضاء قطر ورئيس عشائرها وقبائلها

جاسم الثاني

كتابه لوالي البصرة

(لجانب والي ولايت البصرة الجليلة صاحب الدولة مخلص باشا الافخم)

يقتضي على كل عبد صادق صاحب وجدان وغيرة وحمية لدينه ودولته وسلطانه عند

حدوث كل مشكلة سياسية فى داخل الممالك المحروسة ان يعرض فكره ونصيحته لاولياء الامور عساه أن يصادف قبولا ويوفق لأداء واجب الخدمة بالنصيحة فانه لايخفى على دولتكم حدوث القلاقل والمشاكل فى قطعة نجد بين الامير ابن رشيد والمترأس فى وطن آبائه وأجداده عبد العزيز بن سعود حتى تحول نظر أرباب الحل والعقد من أمراء ومأموري الدولة العلية الى هذه المسألة فلبست غير قالبها الحقيقي فجعلوها محوجة للتداخل العسكري ويقيننا أن ذلك غير موافق للرضاء العالي فان رضاء امير المؤمنين حفظه الله ونصره في حل كل مشكلة حلا لايخالطه وجود غائلة ولايلجئ الدولة لتكبد المشاق والخسائر وإهراق دماء ألوف من المسلمين فان كل حادث لايحوج حقيقة الى التداخل العسكري اذا صارت فيه المداخلة بادئ بدء كانت نتائجه غير محمودة وموجب للتلف وتكبد الخسائر والمشاق وإهراق دماء المسلمين وفي النهاية لاتأتي بفائدة ولاتنتج نتيجة حسنة وما ذلك الا الخطأ السياسي يتبع ونحن جماعة المسلمين لنا شريعة إلهية تنهانا عن تفريق الكلمة وتأمرنا بتوحيدها والطاعة الكاملة بجميع معناها لخليفة رسوله أمير المؤمنين بنص «ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» نعم ان من دأبه بذر حب الشقاق والتفرقة بين جماعات المسلمين يجدون لهم عند حدوث كل حادث باباً واسعاً من الاوهام يدخلون فيه على متبوعهم الاعظم ليجروا الامور على غير وفق الرضاء العالي لينالوا بذلك مركزاً وثروة وليس قصدي من هذه بيان مساوي بعض الامراء والمأمورين بل قصدي أداء مايجب عليّ ذمة وحمية وديانة من أداء النصيحة ببيان لزوم حل هذه المسألة حلا يوافق للمصلحة بدون احداث مشاكل أصعب ماهي فيه الآن وذلك امتثالا للشريعة الالهية «ادع الى الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» فيلزم على من هو مثل دولتكم حائزاً هذا المقام متصفاً بالصفات الحميدة ان يجعل كل اجتهاده في حل هذه المسألة حلا يوافق للمصلحة الحاضرة وذلك بطريق الاصلاح بين الفئتين المتشاجرتين بدون مساعدة أحد الطرفين على الآخر حتى لايوجب له المروق عن الطاعة حقيقة وفعلا وذلك بأن يكف الفريقان كفاً قطعياً عن احداث القلاقل والزام كل منهما الراحة والسكون وان كان ثمة اشتباه من ابن سعود وأمره أعطي التعليمات اللازمة وانذر الانذارات المقتضية فان أذعنوا وأطاعوا فلا تبغوا عليهم سبيلا وإن عتوا وعصوا فسوق العساكر آخر علاج تستعمله الدولة

لاخضاع الرعايا على ان ابن سعود طلب هذا الامر مراراً وبحجة النوهب أدخل أرباب الاغراض على الحكومة السنية الاوهام ومنعوها من استعمال الرفق الذي هو أوفق للمصلحة ومع هذا فاني مقدم للاعتاب الملوكانية ولمجلس الوكلاء الخاص تلغرافاً هذه صورته أقدمها لفاً لتعرض ايضاً بواسطة دولتكم عساه ان يصادف قبولا فافوز بخدمتي لديني ودولتي ومتبوعي الاعظم خليفة رسول رب العالمين نصره الله وأيده وعلى كل حال الامر والفرمان لحضرة من له الامر ٨ رمضان سنة ١٣٢٢

(العبد الصادق المخلص قائمقام قضاء قطر ورئيس عشائرها وقبائلها جاسم الثاني)

(المنار) نشرنا هذه الرسائل بنصوصها وقد علم ان رأينا حصر المصلحة في إقرار ابن سعود على امارة نجد الموروثة له وان لاتقبل الدولة العلية في بلاد العرب مايزعزع ثقتهم بها واذا وثق بها اهل نجد سهل عليها حل عقدة اليمن كذا عقدة الكويت والله الموفق

(فتنة اليمن)

شاع من مدة أن حميد الدين مدعي الإمامة فى اليمن قد توفي وكان يظن أنه هو الذي كان يثير الناس على الدولة ولكن الفتنة قد عظمت من بعده وقد استفاضت الاخبار بأن الثائرين في اليمن قد استفحل أمرهم حتى انهم حاصروا صنعاء عاصمة الولاية • ويؤيد هذه الاخبار ما جاءتنا به أخبار سوريا من اهتمام الدولة بجمع عسكر الرديف الذى لايجمع عادة الا فى الحروب العظيمة لأجل اليمن بضرب القرعة العسكرية قبل أوانها . وقد كانت الدولة وفقها الله تعالى فى غنى عن هذا كله لو أحسنت الادارة والسياسة هناك فان الأهالي لايثورون الا من الظلم والضيق وسبب الظلم ان عمال الحكومة هناك أكثرهم من الاشرار الذين أرسلوا الى اليمن عقوبة لهم وتأديباً ثم انهم يكلفون بجمع المال وارساله الي الاستانة ولا يسمح لهم أن ياخذوا رواتبهم منه الا فى كل عدة أشهر مرة فيضطرونهم الى الظلم والرشوة والنهب • والطريقة المثلى لذلك ان تختار الدولة جميع العمال لتلك البلاد من أهل العلم والدين ، وتعهد اليهم بأن يحكموا بالشريعة دون القوانين ، وتعطيهم رواتبهم فى كل شهر وتعاقب من يشذ منهم اشد العقاب . ثم تجتهد فى عمران تلك البلاد التي كانت لها مدنية لاتضارعها فى وقتها مدنية .

﴿ أريحية التساهل والوفاق ﴾

يتوهم المتحمس للدين المتعصب له ببغض المخالفين ان من ليس على دينه مباين له في خلائقه وصفاته البشرية فاذا رأى منه عملا صالحا أو برا بأهل دين آخر أو علامة من علامات الصدق والاخلاص التمس لما رأى ضروبا من التعليل فان لم يهتد الى العلة والسبب ، جعله من مواطن العجب ، وذلك للجفاء والمقاطعة بين أبناء الملل فان الذين يعاشرون الناس ويختبرونهم يعلمون ان الناس - كما ورد في الحديث - معادن خيارهم جاهلية خيارهم إسلاماً فما من أمة الا وفيها الخيار والأشرار وأهل التعارف والتآلف ، وذوو التناكر والتخالف ، وقد اجتمع في جنيف عاصمة سويسرة في صيف احدى السنين ألفاف من الاوربيين والامريكيين وكان هناك أحد فضلاء المصريين فلما طالت عشرتهم له مدة الصيف ورأوا من تدينه وآدابه مارأوا قالت امرأة غالية في دينها : ما كنت أظن قبل ان أرى هذا الرجل أن الطهارة والتقوى توجد في غير المسيحية . ولاشك ان العارفين بالنصرانية من المسلمين والعارفين بالاسلام من النصارى يعتقدون بأن كلا من الدينين يأمر بالبر والاحسان الى كل الناس ومن أحكام الفقه عند المسلمين انه يجب عليهم شرعا اذا اضطر الذمي ان يواسوه بما يزيل اضطراره وانه يستحب الاحسان عند عدم الاضطرار الى جميع المحتاجين . وانما كان منشأ التعصبات والتحزبات والتباعد والتفريق بعض رؤساء الدين والدنيا لمآرب لهم في ذلك. وقد رغب الينا غير واحد من المتعصبين بأن نسكت عن تنبيه المسلمين على تقصيرهم وتنفيرهم عن سيئاتهم و نستبدل بذلك الرد على النصارى وماغرض أكثرهم الا التلذذ والتشفي دون المنفعة للمسلمين والإيذاء لغيرهم لان الانتقاد هو دائما ينفع ولا يضر والنهي عن المنكر يفشو في المسلمين فرض اذا لم يقم به أحد كان جميع العارفين الساكتين من الفاسقين . وكذلك رد مايثير الشبهات في الدين واجب ولولا تصدي المبشرين من البروتستنت لنشر دعوتهم بين المسلمين لما كتبنا في هذه الموضوعات خلافا لبعض الجرائد التي تريد من التنديد بالمبشرين إرضاء متعصبي المسلمين لمنفعتها فلا ترد شبهة بل تثير الفتنة ، على ان هذه الدعوة تنفع المسلمين ولاتضرهم . وقد نبهنا على هذا مرارا

وغرضنا من هذه النبذة ان نبشر أنفسنا بوفاق حسن في مستقبل قريب رغما

عن أنوف مثيري الفتن من المتعصبين فان تقارب العقلاء في هذا الزمن وشعورهم بحاجة بعضهم الى بعض ومايسبق اليه أهل البر من كل فريق له تأثير حسن في نفوس الامة ولو كانت الجرائد تنوه باحسان مثل المرحوم أحمد باشا المنشاوي على جميع طوائف النصارى واليهود وتذكر مافيه من داعية التأليف ، وتبرع مثل الخواجات سمعان للجمعية الخيرية الاسلامية بمثل ذلك لكان الاثر أقوى والاعتبار أعم فمثل هذه الاعمال لايصح ان تغفل عند التنويه من هذا التنبيه

وقد شهدنا من مدة قريبة اريحية من هذا القبيل هي كبيرة في معناها وان رؤيت صغيرة في صورتها وذلك ان صديقنا نسيم بك خلاط احد وجهاء النصارى وفضلائهم في طرابلس الشام قدم الى القاهرة في الشهر الماضي فزار الشيخ محمد عبده في معهد الافتاء بالازهر وكان لايعرفه الا بآثاره وذكر في حضرته انه قرأ رسالة التوحيد واعجب بحقيقها وبلاغة عبارتها وذكر من اعجاب فضلاء السوريين بها وتعلقهم بالاستاذ . وكان في المجلس جماعة من علماء الازهر فقال احدهم لنسيم بك هل اشتهرت رسالة التوحيد عندكم حتى قراها المسلمون وغيرهم فقال نعم ولها حظها من حسن الذكر والاعجاب كما ان جميع الطوائف عندنا تجل سماحة الاستاذ وتعشق مشربه في الاصلاح والتأليف بين الطوائف الذى نحن في اشد الحاجة اليه ولانجاح لنا بسواه . قال العالم لكنني اخبرك بخبر ربما تعجب له وهو ان بعض علماء الازهر لما يقرأ هذه الرسالة : فقال من اليك العجب وقال اني اتبرع بخمسين نسخة من الرسالة توزع على الاذكياء الفقراء ، ثم انه امضى ذلك التبرع بالفعل فكان له من حسن التأثير عند المفتي وسائر العلماء مايستحقه

لاجرم ان نمو هذه الاريحية فيناهي التي تقرب بعضنا من بعض وبأمثال هؤلاء الرجال يغلب فضلاء المصلحين عصائب المفسدين المفرقين ، الذين لاتجمعهم لغة ولا جنسية ولا قانون ولا دين ، بل اخترعوا لهم وطنية بالبهتان ، لايشهد لها شرع ولا برهان ، وانما اساسها الاهواء ، وابتزاز الدراهم من الدهماء ،

﴿ ترجمة الشنقيطي ﴾

لم تمكن من كتابة ترجمة فقيد العلم واللغة الشيخ محمد محمود الشنقيطي لانها تتوقف على رؤية بعض آثاره في كتبه التي تودع في دار الكتب الأميرية ولما يتم ذلك

كتاب ليون تولستوي الى القيصر

كتب هذا الفيلسوف الشهير كتاب نصيحة الى القيصر خاطب فيه ذلك العاهل المطاق فى ذلك الملك العظيم بقوله (أخي العزيز) . وقد بين له فيه السيرة السوءى التي عليها الحكومة الروسية ونصح له بأن يتنزل من سماء عظمته الى أرض المملكة ويتعرف حال العمال والفلاحين ويرفق بهم ويهب الامة حرية التعلم والاعتقاد والانتفاع بالارض بالغاء حق ملكية الحكومة لها وإباحتها للامة وحل عقدة مسألة العمال ومما قاله فى كتابه:

أخي العزيز : ليس لك الاحياة واحدة فوق هذه الارض فان شئت قضيتها سدى فى ايقاف حركة الانسانية وانتقالها من الضار الى النافع ومن الظلام الى النور وهي حركة قضت بها حكمة الله تعالى وجرت بها سنته ، وان شئت قضيتها بهدوء وتقى فى خدمة الله والناس بأن تعرف حاج الامة ومطالبها فتوقف حياتك على قضائها:

وقد ترجمت هذا الكتاب بعض الجرائد الاوربية والمصرية وعجب به الناس ولم يقل احد منهم ان ذلك العالم قد اساء الى دولته وسلطانه او امته بل يرون بلادا فيها مثل هذا العقل وهذه الارادة جديرة بأن تنهض فتزيل من بلادها حكم الاستبداد وتلحق بالامم العزيزة . واما الذين يعشقون العبودية والاستخذاء ، فهم بعيدون عن اسباب الارتقاء

(سقوط ميناء أرثر)

قد اقام الروس فى هذا الموقع الحربي البري البحري من الحصون والقلاع والمعاقل مالا يعرف له نظير في غيره فكان حصار اليابانيين له اليماً شديدا ولكن الحزم والعزم والثبات من العالم القوي لا يقف امامها شيء فقد كانوا يلغمون الارض وينسفون الحصون حتى اضطرت الحامية الروسية الي التسليم مع ان عندها من المؤنة والذخائر ما يكفيها للمقاومة كمدة لا تفيد الا سفك الدماء عبثاً فكان لهذا التسليم وقع عظيم فى العالم ارتفعت به مكانة اليابان الحربية ، من حيث خفضت منزلة الروسية ، وبهذا ازداد اليابانيون حماسة وإقداماً على الحرب وظهرت بوادر الثورة في روسيا فقام المتعلمون يهيجون العمال ، حتى اعتصبوا على ترك الاعمال ، والامة تطلب الآن ترك الحرب والحرية العامة وما أدراك ما الحرية العامة، هي إزالة العبودية ، والارتقاء عن البهيمية، الى التمتع بالمزايا الانسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يشترك في مجلة (المنار) الاسلامي الا من يحب تأييدما ينشر فيها من الفوائد والمسائل في أسرار الدين وحكمه، وهداية القرآن وبلاغته، وتنبيه الامم والافراد الى ما يجب للترقي، اذ لا يتوقع أحد من المنار مدحا ولا يخاف منه ذما - وهؤلاء هم خيرة الناس وفضلاؤهم وأحسنهم أداء ووفاء. وقد جرت العادة في هذه البلاد بأن كثيرا من الناس لا يدفعون قيمة الاشتراك في الصحف الا لمن يطالبهم من وكلائها ولكن ثقة المنار بفضل قرائه أغنته عن الوكلاء في أكثر الارجاء فأكثرهم يؤدي القيمة أو يرسلها بغير طلب أو بعد التذكير بها ان نسي

وقد جعل الله الناس ثلاثة أصناف: « فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » : والراجح المختار ان هذه الصفات تجري في كل شيء فالظالم لنفسه في هذا المقام من يأكل قيمة الاشتراك أو يماطل فيها بدون عذر والمقتصد هو الذي يدفع ما عليه في وقته ولو عند الطلب والسابق بالخير هو الذي يدفع سلفا ولولا هؤلاء لتعذر أو تعسر القيام بالمشروعات والاعمال التي تفيد الامة

وإننا في ختام سنة المنار السابعة (١٣٢٢) نشكر فضل السابقين ونذكر فضلاء المقتصدين « فان الذكرى تنفع المؤمنين » وندعو الله تعالى بأن يوفق الذين ظلموا أنفسهم بتعمد هضم الحق ويلهمهم التوبة فان هضم الحقوق يذهب بالثقة من الناس والثقة أساس النجاح في جميع الأعمال

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الاثنين غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٢ — ٦ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٥)

« القسم الديني »

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(٢٠٣ : ٢٠٠) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * (٢٠٤ : ٢٠١) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * (٢٠٥ : ٢٠٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ * (٢٠٦ : ٢٠٣) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ *

أرشدتنا آيات المناسك السابقة الى أن المراد منها ومن كل العبادات هو تقوى الله تعالى باصلاح القلوب وإنارة الأرواح بنور ذكر الله تعالى واستشعار عظمته وفضله — والى أن طلب الدنيا من الوجوه الحسنة

لا ينافي التقوى بل يعين عليها بل هو مما يهدي اليه الدين خلافاً لأهل الملل السابقة الذين ذهبوا الى أن تعذيب الاجساد وحرمانها من طيبات الدنيا هو أصل الدين وأساسه - والى أن من يطلب الدنيا من وجه ويجعل لذاتها أكبر همه ليس له خلاق في الآخرة لأنه مخلد الى حضيض البهيمية لم تستنر روحه بنور الايمان ، ولم يرتق عقله في معارج العرفان ، ولما كان محل التقوى ومنزلها القلوب دون الألسنة وكان الشاهد والدليل على مافي القلوب الأعمال دون مجرد الاقوال ذكر في هذه الآيات ان الناس في دلالة أعمالهم على حقائق احوالهم ومكنونات قلوبهم قسمان كما ذكر في آيات الدعاء السابقة أنهم قسمان فكانت هذه متصلة بتلك في بيان مقصد القرآن العزيز وهو إصلاح القلوب ولذلك عطفها عليها فقال

(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) معناه يعجبك قوله وأنت في هذه الحياة لأنك تأخذ بالظواهر وهو منافق اللسان يظهر خلاف مايضمر ، ويقول مالا يفعل ، فهو يعتمد على خلابة لسانه ، في غش معاشريه وأقرانه ، يوهمهم أنه نصير للحق والفضيلة ، خاذل للباطل والرذيلة ، متق لله في السر والعلن ، مجتنب للفواحش ما ظهر منها وما بطن ، لا يريد للناس الا الخير ، ولا يسعى الا في سبيل النفع ، (ويشهد الله على مافي قلبه) أي يحلف بالله على أن مافي قلبه موافق لما يقول ويدعي • وفي معني الحلف أن يقول الانسان : الله يعلم أو يشهد بأنني أحب كذا وأريد كذا : قال تعالى « قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون » وهو تأكيد معروف في كلام العرب

أليس الله يعلم أن قلبي يحبك أيها البرق اليماني

وقال العلماء ان هذا آكد من اليمين وعن بعض الفقهاء ان من قاله

كاذبا يكون مرتدا لأنه نسب الجهل الى الله تعالى . وأقول ان أقل ما يدل عليه عدم المبالاة بالدين ولو لم يقصد صاحبه نسبة الجهل الى الله عز وجل فهو قول لا يصدر الا عن المنافقين الذين « يخادعون الله والذين آمنوا » فإن أحدهم ليبالغ فى الخلابة والتودد الى الناس بالقول (وهو ألد الخصام) أي وهو فى نفسه أشد الناس مخاصمة وعداوة لمن يتودد اليهم أو هو أشد خصمائهم على ان الخصام جمع خصم ككعاب جمع كعب وهو المختار . وفيه وجه آخر قاله بعضهم وهو ان الخصام بمعنى الجدال أي وهو قوي العارضة فى الجدل لا يعجزه ان يختلب الناس ويغشهم بما يظهر من الميل اليهم واسعادهم فى شؤونهم ومصالحهم . قال صاحب هذا القول فالاوصاف المحمودة التي يعتمد عليها ثلاثة حسن القول بحيث يعجب السامع، واشهاد الله تعالى على صدقه وحسن قصده وفى معناه ماهو دونه من ضروب التأكيد الذي يقبله خالي الذهن، وقوة العارضة فى الجدل التي يحج بها المنكر أو المعارض . واما بيان سوء حاله وفساد أعماله فهو فى الآيتين التاليتين وقد مهد لهما بقوله تعالى « فى الحياة الدنيا » والتمهيد فى بداية الكلام للمراد منه فى غايته من ضروب البلاغة وأفنانها

هذا الفريق من الناس يوجد في كل أمة وتختلف الخلابة اللسانية فى الامم باختلاف الاعصار ففي بعض الازمنة لا يتيسر للواحد ان يغش بزخرف القول الا الفرد أو الأفراد المعدودين وفى بعضها يتيسر له أن يغش الامة فى مجموعها حتى ينكل بها تنكيلا (١) وان الجرائد فى عصرنا هذا

---

(١) فى التاريخ شواهد كثيرة على هذا من أعجبها أن غليوم دورانج الماكر الهولندي كاد (لجان وكورنيل دي ويت) مؤسسي جمهورية هولندا في القرن السابع عشر اللذين

قد تكون طريقا للغش العام كما تكون طريقا للنصح العام وانما يكون تلبيسها سهلا على من يعجب العامة قولهم فى الامم التي يغلب فيها الجهل لاسيما فى طور الانتقال من حال الى حال اذ تختلف ضروب الدعوة وطرق الارشاد (١)

وفي الآية وجه آخر ذهب اليه بعض المفسرين وهو أن الظرف « فى الحياة الدنيا » متعلق بالقول قبله أي يعجبك قوله اذا تكلم في شؤون الحياة الدنيا وأحوالها وطرق جمع المال وإحراز الجاه فيها لان حبها قد ملك عليه أمره، والميل الى لذاتها وشهواتها قد استحوذ على قلبه، وصار هو المصرّف لشعوره ولبه ، فينطلق لسانه – ومثله قلمه – فى كل مايستهوي أصحاب الجاه والمال ، ويستميل أهل السيادة والسلطان ، ولكنه اذا تكلم فى أمر الدين جاء بالخطل والحشو ، ووقع فى السلطة واللغو ، فلا يحسن وقع قوله في السمع، ولا يكون له تاثير في النفس ، وذلك ان روح المتكلم تتجلى فى قوله وضمير المتكلم يظهر فى لحنه ، « ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم * ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم * » وفي الحكم كل كلام يبرز وعليه

خدما أمتهما بغاية الاخلاص وهيج الامة عليهما باسم الوطنية والدعاوى الكاذبة حتى قتلتهما شر قتلة. وكم رأينا من مضرات مدعي خدمة الوطن فى هذه البلاد ولا نزال نرى

(١) مثال ذلك حال أمتنا اليوم فانك ترى من المفتونين بحب المال والجاه والانغماس فى اللذات من يخادعها بوساوس السياسة وأوهام الوطنية لاجل الوصول الى شهواتهم ، وترى من المخلصين من يدعو الى الاعتصام بعروة الدين لاجل جمع القلوب والتخلص من جيوش الفسق كالخمر والقمار والزنا المبيدة للأموال المفسدة للاخلاق وينهى عن الاغترار بوساوس السياسة والاشتغال بها عن العلم وتوفير الثروة، وتجد المخادعين يناصبونهم حتى باسم الدين، والأعمال هي الشاهدة على حقائق الاحوال

كسوة من القلب الذي عنه صدر، ولهذا كان ارشاد المخلصين نافعا، وخداع المنافقين صادعا، وعلى هذا الوجه فى التفسير تكون جملة «ويشهد الله» وصفا مستقلا غير حال مما قبله. أي إنه لا يحسن الا الكلام فى الدنيا يعجب السامع ويخدعه ولكنه يزعم أن قلبه مع الله وأنه حسن السريرة. وانك لترى هذا فى سيرة المجرمين ظاهرا جليا كما وصف الله تعالى - يتركون الصلاة، ويمنعون الزكاة، ويشربون الخمور، ويتسابقون الى الفجور، ويأكلون أموال الناس بالباطل ثم يفضلون أنفسهم فى الدين على أهل النزاهة والتقوى زاعمين ان هؤلاء المتقين قد عمرت ظواهرهم بالعمل والارشاد، ولكن بواطنهم خربة بسوء الاعتقاد، ويقولون نعم اننا نحن نأكل الربا أو القمار ولكننا نحرمه، ونأتي فى نادينا وخلوتنا المنكر ولكننا لا نستحسنه، وان ما نبتزه من جيوب الاغنياء بخلابتنا، ليس المقصود منه ترفيه معيشتنا، وانما هو أجر على السعي فى إعلاء شأنهم، ومكافأة على خدمة أوطانهم، فهم بهذه الدعاوى ألد الخصماء، الا أنهم هم السفهاء، فقد جرت سنة الله تعالى فى خلقه، ودلت هدايته فى كتابه، على أن سلامة الاعتقاد واخلاص السريرة هما ينبوع الاعمال الصالحة، والاقوال النافعة، «والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا»

وانظر ما قاله عز شأنه فى وصف فريق هذه الدعاوى العريضة، والقلوب المريضة، قال (واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها) فى تفسير التولي هنا قولان أحدهما أن صاحب الدعوى القولية اذا أعرض عن مخاطبه وذهب الى شأنه فان سعيه يكون على ضد ما قال. يدعي الصلاح والاصلاح وحب الخير ثم هو يسعى فى الارض بالفساد ذلك انه لا هم له الا فى الشهوات واللذات

والحظوظ الخسيسة فهو يعادي لاجلها أهل الحق والفضيلة ويؤذيهم لانه ألد خصم لهم للتناقض والتضاد فى الغرائز والسجايا ويعادي أيضا المزاحمين له فيها من أمثاله المفسدين فلا يكون لههم وراء التمتع وأسبابه الا الكيد للناس ومحاولة الايقاع بهم فهو يفسد باعتدائه على الاموال والاعراض (ويهلك الحرث والنسل) بما يكون من أثر إفساده في اعتدائه وهو ذهاب ثمرات الحرث وهو الزرع والنسل وهو ماتناسل من الحيوان وكأنه إشارة الى مكاسب أهل الحضارة وأهل البادية، وفى هذا عبرة كبرى للذين يقطعون الزرع ويقتلون البهائم بالسم وغيره انتقاما من يكرهونهم وهي جرائم فاشية فى ارياف مصر لهذا العهد فاين الاسلام وأين هداية القرآن ؟ وذكر الازهري أن المراد بالحرث ههنا النساء كما في قوله « نساؤكم حرث لكم » وبالنسل الاولاد . وهل المراد نساء الناس وأولادهم أم نساء المفسدين وأولادهم خاصة ؟ لعل الامر أعم فان المفسدين الذين يطمحون بأبصارهم الى نساء الناس أو يسعون في إفساد نظام البيوت بما يلقون من الفتن ويعملون من التفريق لاتكاد تسلم بيوتهم من الخراب ظاهرا وباطنا أو باطنا فقط فالمفسد الشرير يؤذي نفسه وأهله بضروب من الايذاء قد يعميه الغرور عنها أو عن كونها من سعيه . وقال الاستاذ الامام ان إهلاك الحرث والنسل عبارة عن الايذاء الشديد وقد صار التعبير به عن ذلك من قبيل المثل فالمعنى انه يؤذي مسترسلا فى إفساده ولو أدى الى اهلاك الحرث والنسل . وكذلك شأن المفسدين يؤذون ارضاء لشهواتهم ولو خرب الملك بارضائها

والقول الآخر أن المراد بتولى صار واليا له حكم ينفذ وعمل يستبد به وإفساده حينئذ يكون بالظلم مخرب العمران وآفة البلاد والعباد وإهلاكه

الحرث والنسل يكون إما بسفك الدماء والمصادرة فى الاموال وإما بقطع آمال العاملين من ثمرات أعمالهم وفوائد مكاسبهم ومن انقطع أمله انقطع عمله الا الضروري الذي به حفظ الدماء ولا حرث ولا نسل الا بالعمل . وقد شرحت لنا حوادث الزمان وسير الظالمين هـذه الآية فقرأنا وشاهدنا أن البلاد التي يفشو فيها الظلم تهلك زراعتها وتتبعها ماشيتها وتقل ذريتها وهذا هو الفساد والهلاك الصوريان . ويفشو فيها الجهل وتفسد الاخلاق وتسوء الاعمال حتى لا يثق الاخ بأخيه ولا يثق الابن بأبيه (١) ، فيكون بأس الامة بينها شديدا ولكنها تذل وتخنع للمستعبدين لها . وهذا هو الفساد والهلاك المعنويان . وفى التاريخ الغابر والحاضر من الآيات والعبر ، مافيه ذكرى ومزدجر ،

ولما كان هـذا المفسد يشهد الله على هداية قلبه ، عند من يظن انه يجهل حقيقة أمره ، قال تعالى بعد بيان عمله فى الافساد ، (والله لا يحب الفساد) أي إن إفساد هذا المختلب بقوله ظاهر في الوجود والظاهر عنوان الباطن فلو كان قلبه صالحا لكان عمله صالحا ولكن إفساده في عمله دليل على فساد قلبه والله لا يحب المفسدين لانه لا يحب الفساد . وفي الآية دليل على أن تلك الصفات الظاهرة المحمودة لا تكون محمودة مرضية عند الله تعالى الا اذا أصلح صاحبها عمله فان الله تعالي لا ينظر الى الصور والاقوال ، وانما

(١) من أعجب عبر الفساد فى الاخلاق مانقل الينا عن بعض المفسدين الذين تعجبك أقوالهم في الحياة الدنيا أنه قال لاحد هؤلاء الولاة لا يسلم لك ملكك وتستقر عظمتك الا اذا نفيت من بلادك أخي وفلاناً وفلاناً : ونقل عنه أيضاً أنه قال للوالي ان ابني فلاناً يهجوك مع فلان وفلان . وتلك غاية فى الافساد ، لم تكن تخطر في بال أحد من العباد ،

ينظر الى القلوب والاعمال ، وهي ترشدنا الى التمييز بين الناس بأعمالهم وسيرتهم وعدم الاغترار بزخرف القول فان الناس اذا انصرفوا من مجالس القول لم يكن لهم بد من سعي وعمل والعمل اما خير واصلاح ، وإما شر وافساد ، وكل إناء ينضح بما فيه .

ولما كان الافساد يصدر تارة عن الجهل وسوء الفهم، وأحيانا عن فساد الفطرة وسوء القصد ، وكان من يعمل السوء بجهالة سريع التوبة ، مبادرا الى قبول النصيحة ، وكان شأن الآخر الاصرار على ذنبه، كالمستهزيء بربه، ذكر من صفة المفسد ما يميز بينه وبين المخطيء فقال (واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم) أي انه اذا أمر بمعروف أو نهي عن منكر يسرع اليه الغضب ويعظم عليه الامر فتأخذه الكبرياء والانفة، وتخطفه الحمية وطيش السفه، فيكون كالمأخوذ بالسحر ،لا يستقم له فكر، لانه مصر على إفساده لا يبغي عنه حولا ، وعبر عن الكبرياء والحمية بالعزة للاشعار بوجه الشبهة للنفس الامارة بالسوء وهو تخيلها النصح والارشاد ذلة تنافي العزة المطلوبة . وهذا الوصف ظاهر جدا فى تفسير التولي بالولاية والسلطة فان الحاكم الظالم المستبد يكبر عليه ان يرشد الى مصلحة ، أو يحذر من مفسدة ، لانه يرى أن هذا المقام الذي ركبه وعلاه يجعله أعلى الناس رأيا وأرجحهم عقلا ، بل يرى الحاكم المستبد الذي لا يخاف الله تعالى أنه فوق الحق كما أنه فوق أهله فى السلطة فيجب أن يكون أفنه خيرا من أجودة آرائهم ، وإفساده نافذا مقبولا دون إصلاحهم، فكيف يجوز لأحد منهم أن يقول له : اتق الله فى كذا : ؟ وان الأمير منهم ليأتي أمرا فيظهر له ضرره فى شخصه أو فى ملكه ويود لو يهتدي السبيل الى الخروج منه فيعرض له ناصح يُشرع له السبيل فيأبى

سلوكها وهو يعلم ان فيها النجاة والفوز الا أن يحتال الناصح فى إشراعها فيجعله بصيغة لا تشعر بالارشاد والتعليم ولا بان السيد المطاع فى حاجة اليه . وقد عرضت نصيحة على بعضهم مع ذكر لفظ النصيحة بعد تمهيد له بالحديث « الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » وبيان معناه فعظم عليه أن يقول أحد انني أنصح لك لانك إمامي وكان ذلك آخر عهد الناصح به : فانظر كيف لم يرض حاكم مسلم بأن يبذل له ما يجب أن يبذل لله ولرسوله وللائمة . وقد كان العلماء ينصحون للخلفاء والملوك المسلمين، فيأخذون بالنصح بحسب مكانهم من الدين، واما الطغاة البغاة الذين ليس لهم من الاسلام الا مايخدعون به العامة من إتيان المساجد في الجمع والاعياد والمواسم المبتدعة فانهم يؤذون من يشير إشارة ما الى أنهم فى حاجة الى تقوى الله في أنفسهم أو فى عيال الله الذين سلطوا عليهم وإن لم يبق لهم من السلطان والحكم ، مايمكنهم من كل مايهوون من الافساد والظلم ، واذا كان هذا شأن أكثر الملوك والامراء الذين ينتسبون الى الدين ويدعون اتباعه فهل نجد دعوى فرعون الالوهية غريباً عجيباً ؟

وحمل التولي على الوجه الآخر لا يتنافر مع أخذ العزة بالإثم من جرّاء الأمر بالتقوى فان فى طبع كل مفسد النفور ممن يأمره بالصلاح والاحتماء عليه لأنه يرى أمره بالتقوى والخير تشهيرا به وإلفاتا لعيون الناس الى مفاسده التي يسترها بزخرف القول وخلابته ولكن التعبير أظهر فى ارادة الولاة والسلاطين . وقد يبلغ نفور المفسدين فى الارض من الحق والداعين الى الخير الى حد استثقالهم والحقد عليهم والسعي في إيذائهم وان لم يأمروهم بذلك أفيرون ان الدعوة الى الخير والنهي عن المنكر على إطلاقهما كافيان في فضيحتهم،

وذاهبان بخلابهم ، فلا يطيقون رؤية دعاة الخير ولا يرتاحون الى ذكرهم بل يتتبعون عوراتهم وعثراتهم ليوقعوا بهم وينفروا الناس عن دعوتهم فان لم يظفروا بزلة ظاهرة التمسوها بالتحريف والتأول، أو الاختراع والتقول، ولذلك تجد طعن المفسدين فى الأئمة المصلحين ، من قبيل طعن الكافرين فى الأنبياء والمرسلين، : خطأ جميع الناس ، وصفهم بالضلال ، سفه أحلامهم ، شنع على أعمالهم ، فرق بينهم ، : وما أشبه هذا . هذه آثار المفسدين فى الارض عند العجز عن الايقاع بالآمر بالتقوى وان قدروا احبسوا وضربوا ، ونفوا وقتلوا ، ولذلك قال عز وجل فيمن يأنف من الامر بالتقوى (فحسبه جهنم) أي هي مصيره وكفاه عذابها جزاء على كبريائه وحميته الجاهلية . ثم وصف جهنم وهي دار العذاب فى الآخرة بقوله (ولبئس المهاد) المهاد الفراش يأوي المرء اليه للراحة واللام واقعة فى جواب قسم محذوف فالله تعالى يقسم تأكيدا للوعيد بأن الذي يرى عزته ما نعة له عن الاذعان للأمر بتقوى الله سيكون مهاده ومأواه النار وهي بئس المهاد وشره لا راحة فيها ولا اطمئنان لاهلها ، وقال بعض المفسرين انه عبر بالمهاد الذي هو مظنة الراحة للتهكم

وأنت ترى من هذا التقرير ومن كون التقسيم حقيقيا فى نفسه شارحا لما عليه البشر في حياتهم متصلا بما قبله ملتئما معه فى السياق أن الكلام عام وماروي من أن له سببا خاصا لا ينافي عمومه . وقد اختلفوا في السبب للآيات فروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت في رجلين من المنافقين قالا لما هلكت سرية للمسلمين ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لا هم قعدوا في أهليهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم . وروى

ابن جرير عن السدي أنها نزلت في الأخنس بن شريق أقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر له الاسلام فأعجبه ذلك منه ثم خرج فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر . فان صحت الروايتان فالظاهر ان من جعلهما سببا حمل الآيات عليهما في الجملة والا فأنت ترى أن الآيات ليست مطابقة للحادثتين اللتين كانتا في وقتين

ثم ذكر الفريق الآخر المقابل لمن تأخذه العزة اذا ذكر بالله تعالى فقال (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) وكان مقتضى المقابلة أن يوصف هذا الفريق بالعمل الصالح مع عدم الدعوى والتبجح بالقول أو مع مطابقة قوله لعمله وموافقة لسانه لما في قلبه . والآية تضمنت هذا الوصف وان لم تنطق به فان من يبيع نفسه لله لا يبغي ثمنا لها غير مرضاته لا يتحرى الا العمل الصالح وقول الحق والاخلاص في القلب فلا يتكلم بلسانين ، ولا يقابل الناس بوجهين، ولا يؤثر على ما عند الله عرض الحياة الدنيا وما عند كبرائها ومترفيها من القصور، ومتاع الزينة والغرور . وهذا هو المؤمن الذي يعتد القرآن بايمانه . وأما الايمان القولي الذي يظهر على الألسنة ولا يمس سواد القلوب ، ولا تظهر آثاره في الاعمال ، ولا يحمل صاحبه شيئا من الحقوق لدينه وملته ، ولا لقومه وأمته ، فلا قيمة له في كتاب الله ، ولا يقام لصاحبه وزن في يوم الله، بل يخشى ان يقال لذويه يومئذ «أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون»

ذكر الله تعالى هذا الشراء في آيات أخرى تشرح هذه الآية وتفسرها وتبين ان المؤمنين باعوا وان الله قد اشترى كقوله عز وجل « ان الله

اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة » - الى قوله « فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ثم وصف هؤلاء المؤمنين فى الآية التي بعدها بما يجب على المؤمن أن يجعله معها ميزانا للايمان وأهله. فنفس المؤمن لله لا للشهوة واللذة البهيمية والمكر الشيطاني . فمن آثر شهوته على مرضاة ربه والتزام حدوده والمحافظة على هدى دينه فلا وزن له فى هذا البيع . ولقد نعلم انه ليكبر هذا القول على المفتونين بزينة الحياة الدنيا ولذاتها وقصورها وخمورها وحورها وإن كانوا يزعمون أنهم من زعماء الدين وخدمته المخلصين ، لأن الحق مر فى مذاق المبطلين ،

والآية لا تنافي ما دلت عليه آية الدعاء من أن الاسلام شرع لناطلب الدنيا من الوجوه الحسنة كما شرع لنا طلب الآخرة بل هي مؤيدة لها فان طلبها من الطرق الحسنة أي المشروعة النافعة لا ينافي مرضاة الله تعالى ببيع النفس له ولذلك لم يحرم سبحانه علينا الا ما هو ضار بفاعله أو بغيره فلنا ان نتمتع بها حلالا ونكون مثابين مرضيين عند الله تعالى قال بعض الصحابة لما قال عليه الصلاة والسلام « وفى بُضع أحدكم صدقة » : يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟» ولكن الذي ينافي مرضاة الله تعالى وينافي سعادة الدنيا قبل الآخرة أن يسترسل المرء فى سبيل حظوظه وشهواته خارج الحدود المشروعة فيفسد فى الارض ولا يبالي ان يهلك بافساده الحرث والنسل

ثم ان هذا البيع لا يتحقق الا اذا كان المؤمن يجود بنفسه وبماله فى سبيل الله اذا مست الحاجة لذلك . وسبيل الله هي الطريق التي يحفظ بها دينه ويصلح بها حال عباده . ومعنى هذا انه لا يكتفى من المؤمن أن يكتسب

بالحلال ويتمتع بالحلال وينفع نفسه ولا يضر غيره ويصلي ويصوم لأن كل هذا يعمله لنفسه خاصة، بل يجب أن يكون وجوده أوسع، وعمله أشمل وأنفع، فيساعد على نفع الناس ودرء الضرر عنهم بحفظ الشريعة وتعزيز الامة بالمال والاعمال والدعوة الى الخير ومقاومة الشر ولو أفضى ذلك الى بذل روحه . فان قصر في واجب يتعلق بحفظ الملة وعزة الامة من غير عذر شرعي فقد آثر هوى نفسه على مرضاة الله تعالى وخرج من زمرة كملة المؤمنين الذين باعوا أنفسهم لله تعالى وكان أكبر إجراما ممن يقصر في واجب لا يضر تقصيره فيه الا بنفسه . ذلك أن الحكمة في تربية النفس بالاعمال الحسنة والاخلاق الفاضلة هي أن ترتقي ويتسع وجودها في الدنيا فيعظم خيرها وينتفع الناس بها وتكون في الآخرة أهلا لجوار الله تعالى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم وجعلوا أكثر أعمالهم خدمة للناس وسعيا في خيرهم . فالله تعالى لم يشتر نفوس المؤمنين من الحظوظ والشهوات الشخصية الخسيسة لاجل نفعه سبحانه أو دفع الضر عنه جل شأنه فهو غني عن العالمين وانما شرع هذا ليكون المؤمن باتساع وجوده وعموم نفعه سيد الناس . فليعرض مدعو الايمان أنفسهم على الآية وأمثالها فمن ادعى أنه من الذين باعوا أنفسهم لله، وآثروا مرضاته على ما سواه، فليعرضه غيره من المنصفين عليها لا سيما اذا ادعى أنه واسع الوجود خادم للامة والملة . لا جرم ان كثيرا منهم لا يصدق عليهم شيء من ذلك بل ولا قوله تعالى «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم» فان معنى أسلمنا انقدنا لاحكام الدين الظاهرة وأخذنا بأعماله البدنية . وكثير ممن تعجبك أقوالهم من صنف المسلمين

لا يصلون ولا يصومون ولا يزكون ولا يحجون، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون، ويأتون كثيراً من الكبائر جهارا، ويصرون عليها إصرارا،

ذكر تعالى ان من الناس من يشري أي يبيع نفسه وهم المؤمنون الخلص كما في الآيات الاخرى والاخبار بذلك أقوى في طلبه من الامر به وأدل على تقريره ثم بين أنه ما شرع هـذا الا رأفة بعباده فقال (والله رؤف بالعباد) إذ يرفع همم بعضهم ويعلي نفوسهم حتى يبذلوها في سبيله لدفع الشر والفساد عن عباده وتقرير الحق والعدل والخير فيهم ولولا ذلك لغلب شر اولئك المفسدين في الارض حتى لا يبقى فيها صلاح « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » وان هذا يؤيد ماقلناه في إزالة وهم من يتوهم أن بيع النفس يؤذن بترك الدنيا وأن لا يتمتع المؤمن نفسه بلذاتها ولو كان كذلك وهو من تكليف مالا يطاق لما قرنه الله تعالى باسمه الرؤف الدال على سعة رحمته بعباده ، فيالله ما أعجب بلاغة كلام الله ، وما أعظم خذلان المعرضين عن هداه ، ومن الدقة الغريبة هذا في التعبير الموجز بيان حقيقة عظيمة وهي أن وجود هذه الامة في الناس رحمة عامة للعباد لا خاصة بهم والامر كذلك بل كثيرا ماينتفع الناس بعمل المصلحين من دونهم اذ تظهر ثمرات إصلاحهم من بعدهم . وأن على من يبذل نفسه مرضاة لله تعالى فى نفع عباده أن لا يتهور ويلقي بنفسه فى التهلكة بل عليه أن يكون حكيما يقدر الامور بقدرها اذ ليس المقصود بهذا الشراء إهانة النفس ولا اذلا لها وانما المراد دفع الشر وتقرير الخير العام رأفة بالعباد وإيثارا للمصلحة العامة . وان أمة يتصف جميع أفرادها أو أكثرهم بهذا الوصف لجديرة بان تسود العالمين، وان أمة تحرم من هذا الصنف لخليقة بأن تكون مستعبدة لجميع المتغلبين،

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

الحيلة فى الطلاق الثلاث

(١٠٧ س) محمود أفندي أبو المكارم بطنطا: من علماء الجامع الاحمدي رجل يناهز السبعين من العمر قضى نحو أربعين سنة في وظيفة التدريس وللعامة ثقة بفتواه وقد اعتاد ان يرجع المطلقة من زوجها ثلاثا أو أكثر اليه بفتوى لا أظن ان الكتاب والسنة يبيحانها ولا السلف الصالح سبقه اليها. ذلك ان الرجل اذا أتاه فاخبره بانه طلق زوجته ثلاثا ولم يجد من هذا الرجل شبهة أو تحريفا في كيفية الحلف كالتنفس في أثناء اليمين القاطع للكلام أو غير ذلك من الحيل يقول له من الذي وكل لزوجتك عند العقد عليها أهو وليها أم غيره فان قال له الثانية حكم بفسخ العقد الاول وعقد له عليها ثانية ولو كان رزق منها بأولاد وقد حدثت منه هذه الفتوى لاقرب الناس الي من عدة سنين وملخص هذه الواقعة ان لي قريبا تزوج بفتاة بالغة عاقلة رشيدة وكلت رجلا أجنبيا لانها لا أقارب لها الا ابن خالة كان في هذا الوقت على ما أظن لم يبلغ الحلم ومكث هذا القريب مع زوجته هذه عدة سنين رزق منها فيها بعدة أولاد وحدث انه طلقها طلقة وراجعها ثم بعد مدة طلقها ثلاثا وسأل عدة من العلماء فأفتوه بأن لا مسوغ شرعاً لارجاعها اليه حتى تنكح زوجاً غيره فأتى اليه هذا العالم وافتاه بما تعود عليه من الفتوى وعقد له عليها جديداً والمستفتي فى الحقيقة معذور لجهله بالشريعة وثقته بما يتحلى به هذا العالم من العمامة واللحية ذات الاكمام الواسعة وقد عمت هذه البلوى فأرجو إفادتي على صفحات مجلتكم الغراء عن ماترونه فى هذه الفتوى هل هي موافقة للكتاب والسنة أو أتى بمثلها السلف الصالح أم لا فان كانت الاولى فما النصوص وان كانت الاخرى فما قولكم فى النظام الواقع بعد العقد الجديد وما حكم الشريعة فيما أعقباه من الاولاد بعد هذا العقد فهذان سؤالان أرجو الاجابة عليهما بعد اثباتهما على صفحات المجلة حيث

لا ثقة لنا الا بارشاداتكم جعلكم الله هادين لهذه الامة التي أصبحت عديمة النصير حتى يرتجع أصحاب الغايات المضلين الى أصل الشريعة الغراء . . .

(ج) ان ماذكر في السؤال من كيفية إرجاع المطلقة ثلاثا الى المطلق لم يعرف عن أحد من السلف الصالح ولايدل عليه كتاب ولم تمض به سنة وإنما هو من احتيال المتفقهة المبني على اختلاف المذاهب وهو من مفاسد التقليد للعبارات من غير مراعاة نصوص الشرع وحكمه والكتاب والسنة لااختلاف فيهما « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » فمن عمل بهما لايمكن ان يفتي في المسألة الواحدة (كالطلاق الثلاث) بفتاوي مختلفة وما أظن الرجل يدعي ذلك فيبين خطأه بذكر الآيات والأحاديث وانما يدعي أنه يفتي بمذاهب الأئمة عليهم الرضوان فنقول فى بيان خطأه انه لم يقل أحد منهم بجواز اقامة الرجل مع المرأة زمنا بعقد على مذهب ثم اعتباره فاسدا وتجديد عقد آخر على مذهب آخر واعتبار الأولاد الذين ولدوا لهما في زمن كل من العقدين أولادا شرعيين . وقد صرحوا بأنه « اذا عمل العامي بقول المجتهد في حكم مسألة فليس له الرجوع منه الى غيره اتفاقا وأما فى حكم مسألة أخرى فيجوز له ان يقلد غيره على المختار » وذلك أن التزام أحد أقوال المجتهدين بالعمل به يرفع الاختلاف بالنسبة الى العامل كحكم الحاكم

ربما يقول هـذا الملفق ان عمله من التلفيق الذى أجازه بعض العلماء . ونحن نعترف بأن بعض العلماء أجاز التلفيق خلافا لما جاء فى كتاب الدر المختار من كتب الحنفية من حكاية الاجماع على بطلان الحكم الملفق ولكن الذي يجيزه يشترط ان يكون في مسألة واحدة بحيث يأتي بحكم لم يقل به أحد من المسلمين وان لايكون فيه رجوع عما عمل به أو عن لازمه إجماعا كما هنا، ذكر هذا ابن نجيم فى رسالتـه في بيع الوقف بغبن فاحش وقال انه مأخوذ من إطلاقهم جواز تقليد من قلده في غير ما عمل به

واذا كان العاميّ الغافل عرضة للمتجرين بالدين يصدق كل مايقولون فكيف يجرأ العالم المدرس على الفتوى بأقوال متناقضة كالقول بأن الولي شرط في صحـة النكاح والقول بأنه غير شرط مع علمه بأن الحق واحد واجتماع النقيضين محال . أيعمل بقول من قال : نحن مع الدراهم قلة وكثرة : وهل يستحل أولئك الذين أجازوا الأنفسهم

الفتوى بالقولين المتضادين لكثرة الدراهم أن يفتوا بهما الرجل الواحد في الموضوع الواحد أم يخففون وطأة بيع الاحكام الدينية فيفتون كل مستفت بقول ليكون هذا مقلداً لفلان والآخر مقلداً لفلان ، اذ لا معنى لتقليد شخص واحد لعالمين مختلفين فى مسألة واحدة لها لوازم مختلفة كواقعة السؤال

اما ما كان عليه السلف فى مسألة الطلاق الثلاث فالاجماع على ان من طلق امرأته ثلاث مرات فانها لا تحل له حتى تنكح زوجا آخر نكاحا صحيحاً مقصوداً وهذا ظاهر نص القرآن وجرت به السنة وعليه العمل واختلفت الروايات والاحاديث فى الطلاق مرة واحدة بلفظ الثلاث فالمذاهب الاربعة على اعتبارها ثلاثا الا بعض الحنابلة كابن تيمية وابن القيم ولهم سلف وحديث صحيح يحتجون به وتقدم تفصيله فى المنار فلا نعيده وانما نقول: ان عمل العالم المذكور فى السؤال ليس عليه الا ان يكون بعد العدة وعليه اذا طلق الزوج مرة اخرى كانت ثالثة لها حكم الثلاث

﴿ توبة الآيس ﴾

(س ١٠٠) ن . ب الطالب بمدرسة خانقاه فى (سراي بوسنه) : ما تقولون فى توبة الآيس هل تصح أم لا ؟ صرح كثير من العلماء بصحة توبته وقبولها عند الله استدلالا ببعض الاحاديث مع أنهم قائلون بعدم صحة الايمان وقت اليأس وفرقوا بينهما بأن التوبة تجديد عهد والايمان إنشاء عهد لم يكن وبوجوه أخرى سوى هذه ، وآية «وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار» بظاهرها تنادي على خلاف ذلك. نحن نطلب رأيكم فى ذلك عمركم الله سبحانه وتعالى

(ج) ان الله تعالى ماذكر فى هذه الآية الذين لا توبة لهم عنده الا بعد أن ذكر الذين تقبل توبتهم فى الآية التي قبلها بصيغة الحصر وهي « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله توابا رحيما » والمعنى ظاهر فصيح لا تعارضه تلك الأقيسة . وما ورد فى بعض الاخبار من أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر فهي واردة فى معرض الزجر عن اليأس من رحمة الله والترغيب في التوبة مادام الانسان حيا وهو الواجب على

المسلم اذ هو قبل الغرغرة مكلف بجميع الاحكام الشرعية بشروطها ومنها وجوب التوبة اذا كان عاصيا . ولكن افرض ان الكتاب العزيز لم يبين هذه المسألة بهذا الايضاح الذي نراه فى الآيتين بل وكلها الى افهام الناس وعقولهم فهل يتصور عقلك ان التوبة تحقق ممن حضره الموت وايقن بمفارقة الدنيا ؟ أليس معنى التوبة الرجوع عن المعصية الى الطاعة مع التأسف على مامضى والعزم على الاهتداء والاستقامة فيما يأتي طوعا واختيارا لطاعة الله على معصيته ؟ وهل هذا معقول ممن حضره الموت ؟

ثم ان الحكمة من بعثة الرسل وانزال الشرائع هي اصلاح الأرواح وترقيتها بالايمان الصحيح والعمل النافع ليصلح حال الناس في الدنيا ويكونوا أهلا لجوار الله تعالى فى الآخرة مع أصحاب الأرواح العالية من الملائكة والنبيين والتوبة من الكفر أو من المعاصي عند حضور الموت لاتفيد صاحبها شيئاً من هذه الحكمة فهي ندم عند استقبال الآخرة كالندم في الآخرة لايفيد لأن وقت العمل قد فات ، ولكن من يتوب قبل حضور الموت اي قبل الشعور بنزوله به ويأسه من الحياة فلابد ان تكون نفسه قد اعرضت عن باطلها الأول واذعنت بقبحه وتوجهت الى الحق والخير وهي ترجو العمل به لأملها بالحياة وهذا صفاء في النفس وارتقاء عظيم تستفيد به لانها قد ارتقت عن طبقة الاشرار وان عاجلها الموت عقيبه فلم تمكن من العمل الصالح الذي توجهت اليه ولكنها لاتكون فى مرتبة الذين عملوا وأصلحوا «أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون »

وهنا بحث أدق من هذا وهو هل يصرّ الانسان على عمل السيئات والمعاصي ثم يتوب قبيل الموت توبة صحيحة ترتقي بها روحه عن أرواح الاشرار ؟ وبعبارة أخرى هل جرت سنة الله تعالى بأن النفس التي تكيفت بأفعال الشر والخبث تدريجاً حتى صارت أخلاقها وصفاتها سيئة وملكاتها رديئة تنقلب فجأة الى ضد ماتكيفت به ؟ المعروف في علم النفس هو ما يستفاد من آيتي التوبة المشار اليهما في السؤال والجواب فان قوله « يتوبون من قريب» يفيد أن الحكمة بالقرب عدم تأثر النفس بالاصرار ويفيده أيضاً قوله « يعملون السوء بجهالة» أي بسفه عارض كسورة غضب او ثورة شهوة

أي لا بالميل الغريزي الى الشر والخلق المطبوع ولذلك لم يأت بهذا القيد في آية من يقبل توبتهم. ومن قوله تعالى « بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» وقوله «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» ومن حديث النكتة السوداء. ومن قول السلف: المعاصي بريد الكفر. وعلم النفس والاخلاق يفيدنا ان الملكات التي تنطبع في النفس بالعمل هي صفة للنفس كصفات الجسد، وان مقاومة الاخلاق السيئة انما تكون بترك العمل الذي هو أثر الخلق الذميم والمواظبة على عمل يضاده زمنا طويلا مع التكلف ليحدث في النفس وصف يضعف ذلك الوصف ويغلب عليه ومن عني بتهذيب نفسه او غيره في الكبر ولو بمقاومة بعض العادات والاخلاق يعرف صعوبة هذا الأمر وتعسره. نعم ان من خلط عملا صالحا وآخر سيئاً فتزاحمت في نفسه آثار الخير وآثار الشر يرجى ان يغلب في آخر عمره أثر الخير بتوفيق الله تعالى كما قال تعالى في بعض المتخلفين عن الجهاد من المؤمنين في واقعة تبوك «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم» وربما كانت توبة الكافر من الكفر قبيل الموت أقرب الى المعقول لأن الايمان مسألة عقلية اذا زالت الشبهة وقامت الحجة يزول الكفر ويستقر الايمان حالا

واذا طلبت زيادة النور في هذا المقام فعليك بمطالعة كتاب التوبة للامام الغزالي وما كتبه في معنى (سوء الخاتمة) نعوذ بالله منها في باب الخوف من الجزء الرابع من الاحياء. ولا تأخذ بظواهر أقوال بعض الفقهاء وتعليلاتهم اللفظية كقولهم عهد جديد وعهد قديم وغير ذلك. والله أعلم. وسنجيب عن سؤالك الآخر في جزء آخر ان شاء الله تعالى

باب المناظرة والرسائل

(شكل حكومة الاسلام، وضعف المسلمين باستبداد الحكام)

« مراجعة الشيخ صالح بن علي اليافعي من (حيدراباد الدكن) ورده الثاني على رفيق بك العظم »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ثم أهدي السلام ورحمة الله وبركاته الى حضرة العلامة الفاضل خادم السنة وقامع البدعة مولانا

السيد محمد رشيد رضا مدير المنار الاغر المنير سلك الله بنا وبه منهج الرشد والرضاء آمين — وبعد فاني وقفت على المراجعة التي كتبها حضرة العلامة الفاضل كبير النفس وشديد الغيرة ورفيع الهمة ، ذو المكارم الجمة ، أخونا رفيق بك العظم ونشرت في الجزء ١٧ من المجلد السابع من المنار تحت عنوان (ضعف المسلمين بمزج السياسة بالدين) وافتنا هذه الرسالة في آخر رمضان شهر الرحمة والغفران ورأيتكم وعدتم بكتابة شيء في الموضوع فأخرت الجواب لعلمي بأنكم ان فعلتم تأتوا بالحق الصراح وفصل الخطاب ان شاء الله وفي رمضان المعظم شاغل عما هو اهم من هذا ووراء ذلك كله سبب آخر وهو ان محبكم الحقير أصيب بالحمى وحين حصلت الافاقة ورأيت حضرتكم ارجأ البحث كتبت الى جنابكم هذه الكلمات لتنظروها أولا ثم تصلحوا مايلزم ثم تنشروها في ناركم الاغر عسى بتكرار نشر هذه الابحاث ان يجلي الله الصدأ عن متخيلات الامة ، ويكشف عنهم الغمة والظلمة ،

وأقول أولا ليعلم القراء الكرام ان هذه الابحاث والمكاتبات والمراجعات الصادرة مني ومن الاخ الفاضل رفيق ، حفنا الله واياه بالتوفيق ، ليست من مباراة المتنطعين ، ولا من مغالبة المتعصبين ، وانما مقصد كل منا ظهور الحق وبيان الحقيقة التي هي ضالة كل مؤمن ومنصف وغاية كل منا تنبيه أهل ملتنا على حالتهم الواهنة وموقفهم الحرج المهين بإزاء الامم المتراهنة في حلبة السبق الى مواقف الكمال وحلول منازل الشرف والسيادة • فياعون الله وياغارة الله مالنا وماذا حل بنا اين الأنفة والغيرة التي يحتقبها من يؤمن بقوله تعالى « ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » الآية؟أعدم وثوق بوعده تعالى شأنه اتانا النصر ؟إنه لعار علينا ان نكون من سلالة أولئك الابطال الشجعان ، ليوث المعامع والطعان ، الذين أجابوا بالتلبية داعي الايمان ، ثم نحن نخضع ونرضى بخطة الذل وموقف الهوان ، فواعجباه وواأسفاه : أفهذا الجبن والجمود والعبودية لغير الله محبة فى هذه الحياة المنغصة التي يزهد فيها كل ذي شهامة ؟ ام انقلب الأمر وعكست القضية حتى صدق علينا قوله تعالى « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » وقوله تعالى « يود أحدهم لو يعمر ألف سنة » أما نتلوها كما كان يتلوها أسلافنا في أناس أهانهم الله وسلطنا عليهم ثم أهانونا وتسلطوا علينا ؟ أم كذبنا

بما وعد الله عباده المؤمنين تكذيباً؟ وليت شعري كيف يتصور ان عاقلا يزهد في الدنيا وفيما عند الله معا؟ نعوذ بالله من الحور بعد الكور، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، ويا ترى من أي صوب رمينا، ومن أي وجهة بلينا، وما سبب هذا الداء العضال ، الذي حير ألباب الرجال

وأخونا الفاضل شريكنا في الألم والحزن والتوجع على القوم وقد أبان في ذلك من رأيه ماقد اطلع عليه القراء الكرام وأظهرت من رأيي ما ترجح لدي " وكان من رأيه ان هذا السقوط الذي يكاد ان يقضي على حياة الامة باليأس والقنوط سببه مزج السياسة بالدين منذ بدء الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت المرذول وشرحت من رأيي ان هذا المرض لم تصب به هذه الامة الا بعد الخلافة النبوية وسببه ترك الدين وكلما امتد الزمان وبعد العهد زاد بعدهم عن الدين وبذلك يزداد مرضهم وضعفهم الذي هم الآن يأنون من وطئته بلسان حالهم لا بلسان مقالهم. وقلت انهم لو مزجوا السياسة بالدين كما أمرهم الله لما نزل بهم ما نزل . الاخ الفاضل يدعوهم الى تدارك مافات العرب في بدء الاسلام من إقامة سلطة شورية نيابية وأنا ما أنكرت عليه ما استحسنه من هذه السلطة بل وافقته عليها كما اني وإياه ككل ذي لب وغيرة مشتركون في الكآبة والنوح على ما أصاب أهل ملتنا وانما أنكرت اطلاق ان سبب هذا الضعف هو مزج السياسة بالدين وتمنيه ان لو تركوا الدين جانباً والسياسة جانباً وتمنيه أيضاً ان لو سلك العرب في اقامة الحكومة مسلك الرومان وقوله في العرب : لعراقتهم في البداوة : والحال انه يعلم ان من العرب بدواً وحضراً ومنهم تبابعة وسلاطين وأمراء وأقيالا ولو كانوا كلهم أهل بداوة لما صح نهيه صلى الله عليه وسلم من تحضر أن يعود الى البداوة والصحابة رضي الله عنهم هم سادات الحضر وظني ان الأخ الفاضل انما أطلق هذا اللفظ على ماهو المتعارف في هذا الزمان من ان البداوة ليست نقصاً أو لعل مراده العرب غير الصحابة لأن صحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم أنالتهم كل فضيلة فهم سادات الحاضرة ولكن لم يوجد لديهم تاريخ أساسي ولا سياسي للدولة لكون اسلافهم متأصلين في البداوة وهذا الاحتمال هو اللائق بعلمه وفضله . وأنا ذكرت ان الله تعالى أغنانا بما شرع لنا ولم يحوجنا الى الرومان ولا الى غيرهم على أن الوقوف على معرفة أحوالهم وتواريخهم كان

يومئذ متعذراً وفي غاية الاستبعاد فطريقتهم مجهولة مهجورة والحكومات التي كانت بذلك العهد شخصية استبدادية ولو قلنا ان العرب بل وأكثر طوائف ذلك العهد لم يداخل متخيلاتهم ولم يطرق اسماعهم شورى الرومان النيابية لم يبعد قولنا فاقتراح ذلك على العرب أو غيرهم ليس في محله —

ورأيت أقرب من هذا الاقتراح لو ان المسلمين توجهوا الى الآيات والأحاديث التي تتعلق بالامامة العامة والحكومة فجمعوها وفرعوا عليها كما توجهوا الى ماورد في غيرها من سائر الفرعيات من عبادات ومعاملات وغيرها مما دونوه في كتب الفقه وشروح الحديث وغير ذلك وذكرت انه لم يمنعهم ويصدهم عما ذكر الا ظلم ظلمة المستبدين وقلت ان الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لم تكن امارتهم شخصية استبدادية بل خلافة شورية أمرهم الله بها ووصفهم بها ومدحهم عليها وانه لم يكن في استطاعتهم رضي الله عنهم نصب مجلس شورى انتخابي كالمعهود في هذا الزمان عند النصارى أو يكاد ان يكون مستحيلا لان أكثر كبارهم وقرائهم وعلمائهم الذين لو وقع انتخاب لم يتعدهم كانوا متفرقين في الغزو والجهاد في سائر البلاد مشتغلين بقيادة المجاهدين ونشر الدين ولو أقيم مجلس شورى انتخابي منهم لفاتهم الغرض الذي لأجله بعث الله أنبياءه وأنزل كتبه وهو نشر الدين والبعض القليل بقي في جوار الخلفاء فمن ينتخب ومن يترك ومن هي الرعية التي تنتخب ؟ فلم يبق في استطاعة الخلفاء في اقامة هذا الواجب شرعاً وعقلاً الا ما عملوا به وهو انهم كانوا اذا نابهم الأمر ينادون: الصلاة جامعة : فيجتمع من ثم من المسلمين ويعرض الامر المستشار فيه فهذا عذرهم فاحفظه. واما من سواهم ممن جاء بعدهم من الظلمة فقل فيهم ماشئت. بقي ان الصحابة رضي الله عنهم لم يدونوا لمن يأتي بعدهم الطريقة لتأسيس السلطة العامة فجوابه انهم لم يجمعوا غير القرآن حذراً من تدوين كتاب مع كتاب الله وقد ثبت ذلك في الرسالة السابقة —

أما قول الاخ الفاضل انه قد ثبت عند الاصوليين ان الانبياء قد يخطئون في اجتهادهم والعرب في صدر الاسلام لو فرضنا انهم اجتهدوا وأخطؤا فهل في ذلك مايدعوا الى استكبار ذكر هذا الخطأ : فأقول في جوابه ماذكره من جواز اجتهاد الانبياء ثم جواز وقوع الخطأ فيه الذي لايقرون عليه ذكره الاصوليون واضطربوا فيه وما جزم به هو

الحق الذي عليه أهل الاثر إنما بقي أمر وهو ان كان الصحابة وسائر العرب اجتهدوا واقاموا الحكومة وفرض أنهم أقاموها شخصية مطلقة فأخطئوا كما ذكر أفاليس يلزم حينئذ تجويز الخطأ على إجماعهم وعملهم المستمر وأنا وهو لانقول به أما اذا لم يكن إجماع فاني لاأستكبر ذكر هذا الخطأ انما يستكبره الجامدون على التقليد الذين يحيلون الخطأ من أئمتهم ويستثنونهم ممن يجوز عليه الخطأ من افراد الامة ـ

قال الاخ الفاضل والرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤسس دولة بل شرع شرعاً الى ان قال وليس هناك نص بعينه يبين كيفية تأسيس الدولة : كذا قال وليس بصحيح على اطلاقه من وجوه

(الوجه الاول) ان من ابعد كل بعيد ان يكون الشارع مع كمال حكمته وعدله وعلمه الذي لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات والارض يدلنا على كل أبواب الخير وطرقه ورسوله صلى الله عليه وسلم يعلمنا اكمل الاخلاق حتى آداب العشرة وآداب قضاء الحاجة ثم يهمل الارشاد الى هذا الامر العظيم الذي به قوام شرعه وصلاح حزبه

(الوجه الثاني) ماهو الجواب اذا قالت الطواغيت المستبدة وحزبهم اعوان الشياطين وبطانات السوء انكم اذا سلمتم ان الشرع لم يبين تأسيس الحكومة وانما تركها الى اجتهادنا فأي قباحة اذا اخترناها شخصية مطلقة ؟ واذا كانت إمارة الخلفاء الراشدين مطلقة فلنا بهم اسوة فنحن مثابون على كلا التقديرين ومتبعون وأما ماترونه من سلاطيننا ظلماً فانما هو باجتهاد منهم وهم مثابون على ذلك الاجتهاد أيضاً لأن الامور العامة منوطة بهم واجتهادهم كاف ثم يقولون ان الاستشارة الواردة فى الكتاب اذا لم تكن تأسيساً للدولة ولا بياناً لطرزها فايجابها على أي أمير باطل وغايته ان تكون مندوبا اليها استحباباً

(الوجه الثالث) ان السلطة العامة اما ان تكون جمهورية نيابية أو شخصية مقيدة أو شخصية مطلقة لاسبيل الى الاخير لان تعيين الخليفة الشرعي مشروط برضاء المسلمين واختيارهم له وبيعتهم والاصل ان تبقى لهم هذه الحقوق بعد نصبه والا فاتت فائدة منحهم اياها ابتداء وايضاً فلا تعقل حكمة لهذا الانتخاب والبيعة الا اذا استمرت للامة هذه الحقوق فى كل شئون الدولة؛ يؤيد ذلك حجية الاجماع

وان الامة لاتجتمع على ضلالة وانهم كالجسد الواحد الى غير ذلك من وصفهم بالاتحاد والاشتراك وتعميمهم بالخطاب ووصفهم بالتعاون على ماورد من أصول المدنية وتكميل كل خير عمومي وفى القرآن والحديث من ذلك الكثير الطيب وكله مناف لتعيين أشخاص تستبد فأقل حالات المستبد أن يكون عاصياً بتركه ماأمره الله وأوجبه عليه من استشارة المسلمين وهذا الواجب لايسقط بمجرد اختياره اناساً من خاصته الذين يتلونون بلونه ويتكيفون كيف شاء اذ لايكون باستشارة هؤلاء مستشيراً للمسلمين لاشرعاً ولا عرفاً أما المستبد الظالم فتهديدات الشارع وزواجره وإيعاده بغل يديه تارة وبالنار أخرى الى غير ذلك من القوارع لا يبقى معها شك ان اقامة هذا القسم من الحكومات لايأتي بها الشرع المتين ، ولا يرضاها الله ولا رسوله ولا المؤمنون ، وتجويز ان الله شرع وأرشد إلى حكومة مطلقة إنما يقوله البغاث والغثاء الذين لايعبأ الله بهم المتزلفون بالمصانعة والنفاق الى طواغيتهم الظلمة فقولهم هـذا عار وخزي على المسلمين كما انه كذب صريح على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو تنقيص لاكمل الاديان يقتضي نسبة الظلم وتقريره والرضاء به على الله ورسوله (ص) وان يكون الشرع آتيا بنقيض ما تستحسنه العقول السليمة ويكفي فى رد هذا القول مجرد حكايته ويكفي في عدم المبالاة بقائليه الذين هم أهون على المسلمين من قمامة الطريق مع وضوح افترائهم صغر أنفسهم وسقوط هممهم واقتصارهم على الحظوظ الشخصية واختيارهم هذا العرض الأدنى واستبداله بالذي هو خير وتركهم الانسانية واعوجاجهم عن طريق العقلاء مع الوقاحة وقلة الحياء والغيرة قلل الله عددهم وأخزاهم

وإذا بطلت الحكومة المطلقة شرعا وعقلا بقيت الحكومة المقيدة ، والحكومة الجمهورية النيابية ، فاذا نظرنا بالانصاف والعدل ورمينا الافراط والتفريط بعيداً عنا رأينا ان الشارع لم يهمل هـذا الامر المهم العظيم وان إرشادات الكتاب والسنة دائرة على جواز تأسيس إحدى هاتين الحكومتين على التبادل واختيار إحداها بالمصلحة التي تقتضيها حاجة المسلمين وعلى الحكومة الاولى مضت سنة الخلفاء الراشدين ويدل عليها قوله تعالى مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وسلم « وشاورهم فى الامر » وقد قرر علماء الاصول ان الامر يقتضي الوجوب فهذه الآية أصل عظيم فى جواز تأسيس الحكومة

الشخصية المقيدة بالشورى ، بيانه ان الاستشارة واجبة وترك الواجب معصية فترك الاستشارة معصية وقد جاء في الحديث : لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق : والسلطان المستبد مخالف لامر الله فى حكمه وكل مخالف لامر الله في حكمه لايرضاه بل يسخط عليه فالسلطان المستبد لايرضاه الله شرعا فلزم أن هذا السلطان لاطاعة له ولا يرضاه الله فلا يكون شرعياً الا اذا كانت سلطته مقيدة بالشوري فالمسلمون ينصبون الخليفة ويولّونه وهذه الآية الكريمة تقيد سلطته وتبين طرز الحكومة فتعينه ونصبه بأيديهم وأمور الحكومة مشتركة بينهم وبينه بحكم الشرع والعقل ويجب عليهم نصحه وطاعته فى كل منصوص شرعا أوما أجراه بعد إبرام أهل الرأي والمشورة وتكون طاعته فى الامر الاول كوجوب امتثال حكم القاضي، ولا يلزم فى احكام القضاة المنصوصة المشاورة واذا كان الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة المسلمين مع عصمته وتأييده بالوحي من السماء فما بالك بمن يجوز عليه الخطأ وهو يدعي النيابة عن هذا الرسول المقبول وانه من اتباعه وأمته أيليق به أن يرغب عن نهج متبوعه الا ان يكون كاذباً في دعواه مارداً متمرداً والله تعالي لايرحم المارد المتمرد

ووالله ان هؤلاء الظلمة وأعوانهم قد تجرأوا على الله وخالفوا أمره واتبعوا غير طريق الرسول (ص) والمؤمنين وخالفوا العقول واستغنوا عما لم يستغن عنه من يدعون أنهم نائبون عنه. أفسدوا أمر الامة وأوهوا قواها وأماتوا إحساسها وشعورها ولقد بلغ هؤلاء النوكى من التهافت المبلغ الاردأ وهم للامة والدين والعقل أعداء . فلا أهلا ولا سهلا بهذه الوجوه القاحمة ولا سمعاً ولا طاعة ولا هم امراء ونابل الخصوم اللد . ولكن ذلك عقاب ما كسبت ايدينا والتقصير منا واللوم عائد علينا إذ وسدنا أمورنا الى مثل هؤلاء وجعلناهم مختارين وخالفنا بذلك ديننا وعقول العقلاء ولو انا نشترط مع تأمير كل أمير مايضمن لنا السلامة من فجوره وفتكه في امورنا وانفسنا لما تعدى طوره (١)

(١) المنار : يظهر أن الكاتب تخيل ان الواجب فى الشرع من اختيار الامة لأمراء المؤمنين واقع بالفعل ولكنها أساءت الاختيار لجهلها ولو استملى الوجود دون التصور الخيالي لقال ان ابتلاء المسلمين بهؤلاء الامراء هو عقوبة على تركهم مقومات الأمة حتى صاروا أفراداً متفرقين لايجمعهم جامع يحقق فيهم معنى الامة التي تختار امراءها وتلزمهم بالتزام شريعتها فوثب عليهم المتغلبون ، وأذاقوهم عذاب الهون ، وانما تكشف الغمة ، اذا صاروا أمة ،

اليس من العجيب الغريب ان نأتي و نعمد الى شخص كسائر افرادنا فنرفعه و نعلي رتبته ونوليه اموالنا وأعراضنا وانفسنا ونحن نرى ونذوق من امثاله من مرارات الاستبداد والظلم ما يضعضع الجبال ولا يجهله الاطفال ومع ذلك كله لا نشترط عليه شروطاً شرعها الله وقضى بها العقل؟ وهل هذا الا عار على الانسانية وترك للدين او سفاهة وجنون اللهم سلم سلم

أما الحكومة الثانية أعني الجمهورية النيابية فيستدل على جوازها بقوله تعالى « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض » وقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » بيانه ان وعد الله لهم بالاستخلاف جاء تبشيرهم وادخال السرور على جميع المسلمين وهو لا يتحقق الا اذا كان أمر الاستخلاف مشتركا بينهم ولكل فرد فرد منهم فيه حق يستوفيه ويباشره بنفسه اصالة أو بإنابة من يثق به وهذا المعنى يتم بانتخاب النواب فى الجمهورية فالآية تدل على هذه الحكومة وتحتمل الدلالة على الحكومة المقيدة أيضاً كل منهما فى الوقت اللائق به

أما قوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » فهى تبين وصفهم على سبيل المدح والرضاء والتقرير فى الحال والاستقبال والمراد بالامر الذي لا يجوز ارادة غيره الأمر الذي أمر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشاورهم فيه جمله في هذه الآية بينهم مشتركا لم يخص به أميراً دون مأمور على تنزيل المعدوم الموعود به في آية الاستخلاف منزلة الموجود والخبر بهذه الصفة يفيد معنى الأمر مع زيادة تأكيد لدلالته على الحال والاستمرار بخلاف الامر بصيغته ولفظه فانه لا يدل على التجدد

ومما يحتمل ان يراد به هذه الحكومة أو شبهتها قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » الآية وللمفسرين فى أولي الامر قولان الاول الامراء والثاني العلماء ومآل التفسيرين ومعناهما واحد لان الامراء الذين يأمر الله بطاعتهم لابد وان يكونوا علماء وقد تقدم ان الله لا يرضى بتأمير الجهلة ولا يأمرنا بنصبهم للخلافة قط ولا يجوز لأي طائفة من المسلمين ان يختاروا للامارة من كان بهذه الصفة سواء كان من نواب جمهورية أو من أهل شورى مع الامام أو من سائر العمال . وجه دلالة الآية ان المأمور بطاعتهم في هذه الآية جماعة

لاسيما على قول من قال ان أولي الأمر العلماء ولا تحقق اطاعة كلهم أو أكثرهم الا اذا كانوا مجتمعين معينين بالشخص والزمان والمكان واتفاقهم على أمر واحد وكل ذلك لايتصور الا في الجمهوريات أو ماشابهها على الاقل . والمراد بالعلماء العلماء بالكتاب والسنة اذ لم يكن اذ ذاك علماء سواهم وهم الذين يردون فصل متنازعاتهم الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اما المقلدة فانما يتحاكمون الى كتب مذاهبهم والى ماوجدوا عليه آباءهم من كتب واقوال مشايخهم، والعلماء والأئمة قد ذموا المقلد ونهوا عن تقليدهم وقالوا المقلد حاطب ليل وقالوا ليس هو من العلماء ولا هو داخل في عدادهم وزمرتهم

وايضاً قوله تعالى «فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول» يؤيد ويوضح ان المراد بذلك طاعة أهل الحكومة الجمهورية أو ماهي قريبة منها ومشابهة لها اذ لا مراجعة ولا رجوع بعد النزاع الا في هاتين السلطتين أما حكومة الفراعنة والنماردة المستبدة فلا يستطيع أحد من الاعيان فضلا عن عامة الرعية مراجعة أصحابها فما بالك بمنازعتهم

وأيضاً قوله تعالى في شيء عام يدخل فيه التنازع في كل الاشياء وبعض هذه أشياء الحكومة فاذا كان المتنازع فيه أمراً من امور الحكومة فالمتنازعون فيه هم أهلها وهو المراد . يؤيده انه لو كان المتنازعون غير أهل الحكومة لكان رد تنازعهم الى اهل الحكومة ليفصلوا بينهم بحكم الله ورسوله (ص) فلزم ان اهل الحكومة هم المتنازعون وذلك لايكون ابداً إلا اذا كانت الحكومة جمهورية او قريبة منها والله اعلم

وهذه الآية الكريمة حملها اعوان السلاطين المستبدين على غير محملها وارادوا منها غير ماأراده الله فموهوا على المسلمين وخوفوا بها العامة وقادوهم بها مرغمين افتراء على الله ورسوله « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » من زوال النعمة والرياسة ثم غضب الله وعذابه

بقي امر وهو ماإذا تغلب على امر المسلمين احد هذه الطواغيت فهل يجوز خلعه والخروج عليه ام لا والحق انه يجوز خلعه او يجب واما الخروج عليه فلا يخلو اما ان تترجح المصلحة على المفسدة واما ان يتساويا واما ان تترجح المفسدة على المصلحة ففي الصورتين الاولين الجواز او الندب وفي الاخيرة اختلاف والجمهور من المتأخرين قالوا بالمنع واجازه كثير من السلف وقد خرج جماعة من كبارهم على جبابرة زمانهم

ولم ينقل الينا عن علماء ذلك العصر انكار عليهم ولم يبدعهم احد منهم ولا من المتأخرين القائلين بالمنع أيضاً اما الاحاديث فى هذا الباب فهى كثيرة وبعضها قد يوهم التعارض ومن جمع بين اطرافها وتحقق فحوى خطابها عرف ان الاولى والافضل عدم الخروج فى هذه الصورة لاعدم الجواز لان السائل لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أجالدهم بسيفي هذا: قال له « الا أدلك على ماهو خير لك من ذلك » وأرشده الى الكف عنهم ووقع مثل هذا السؤال من كثير من الصحابة فأجابهم بمثل ذلك أو مقاربه وهو لم يقل لأحد منهم انك ان فعلت ذلك تكن من الظالمين المعاقبين وفى بعضها اطلاق الأمر بالطاعة وفى بعضها تقييدها بغير المعصية وقد كان هؤلاء السائلون افراداً كل واحد يسأل عما يفعل حالة كونه منفردا فجوابه صلى الله عليه وسلم بالكف والصبر يحتمل أن يكون من باب الشفقة ولئلا يكلفهم مالا يطيقونه مع تحقق عدم المنفعة والجدوى بخروجهم أو لئلا يفتح باب الفتن لأمته وخوفاً من أن يحمل كل ظالم من أهل البغي وقطاع الطريق سيوفهم بدعوى التأويل فيخرجون على الأمة يضربون برها وفاجرها وقد صرح بهذا عليه السلام وروي عنه في احاديث كثيرة فأرشد الى ما هو الاحوط والافضل

أما اذا كان الخارجون على هذا الظالم طائفة يترجح عادة ان يزيلوا ظلمه ويكبحوا جماح غيه فلا ريب ولا شك فى جواز خروجهم عليه حيث امن ان يكون خروجهم فرصة يغتنمها عدو الدين اعني الكفار فاذا امن هذا المانع فأقل الحالات دخول جواز الخروج فى عموم احاديث الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهى تؤذن بجواز ذلك ان لم نقل باستحبابه وقد قال صلى الله عليه وسلم: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فلينكره بقلبه: وفى روايات زيادة وذلك اضعف الايمان

قال اخونا الفاضل: والذي يستنتج من رأيه هذا ان الخلافة لو بقيت باختيار اهل الحل والعقد ووسدت الى أهلها ممن عناهم حضرته لما حل بالأمة من مصايب الاستبداد ماحل ولما طرأ على الدولة الاسلامية من الضعف ماطرأ ـ الى أن قال: وما دام مسلما معنا بهذه المقدمات فقد كان يلزمه أن يبحث عن السبب الذي أفضى بالخلافة الى غير أهلها ويبين

الوجه الذي يضمن بقاءها على ماتركها عليه الخلفاء الاولون سائرة على نهج الحق والعدل لاسبيل لأولئك النازعين الى الملك المتوثبين على الخلافة الى خرق حرمتها والتغلب على من كانوا أهلها واحق بها ويرى ماالذي أدخل على مركز الخلافة الاضطراب من عهد الاضطراب عهد الخليفة الثالث رضي الله عنه حتى زعزعته عواصف الفتن الخ

وأقول قد تقدم لنا ذكر تأسيس الحكومة الاسلامية شرعا وبيان خلافة الخلفاء الراشدين بما له وما عليه وفيه الكفاية على اختصاره وجواب هذا السؤال أن نقول قال الله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء » والا فهل يمكن أن يكون في طوق البشر صد كل الحوادث والاحتراز عن جميع الطوارق التي تأتي على غير المعتاد والمنتظر وهل يلزم من وجود الأسباب انتفاء المعارضات والموانع ؟ لاشيء يقطع للملك بالدوام ولو بلغ من الانتظام والاتقان مابلغ ، والافليبين لنا أخونا الفاضل ماهو السبب الذي تداعت له أركان جمهورية الرومان ، ولماذا هاج وماج وذهب أدراج الرياح ذلك النظام المستقر على النواميس السياسية والبراهين العقلية الطبيعية لحكومة كانت نيابية تجدد في أوقات مقررة فاضمحلت بعد الهرم حتى لم يبق لها عين ولا اثر أيام ظهور الاسلام والفتح الاسلامي والحق أن يقال سنة الله في خليقته « وتلك الايام نداولها بين الناس » ونحن لانترك الاسباب بل نعمل ونجتهد فاذا غلبنا فوضنا مع الاعتراف بأن لله الحكمة البالغة وهو أعدل الحاكمين وما أصابنا من مصيبة فبما كسبت أيدينا

على أن سبب تلك الاعاصير والزوابع التي زعزعت سرادقات الخلافة في دورها الثالث معلوم منشؤها الا وهي دسيسة ذلك الوزغ الطريد راجت على اولئك الأغبياء الذين اوردوا الخليفة حياض المنون وفتحوا على الامة باب الشر والبلاء وهم لم يأتوا ماأتوا بدعوى دينية وانما ساقهم الى الخروج سورة غضب من لم يستثبت ولم يغضب لله ولدينه يوضح ذلك طلبهم واقتراحهم عليه مالا يستحقونه شرعاً من خلع نفسه أو تحويلهم ذلك الطريد المنحوس ، والأول ليس لهم انما هو الى كبار الامة أهل الحل والعقد وتأديب المجرم الى الحاكم وهو هو اذ ذاك ولو انهم طالبوه بالحقوق الواجبة عليه للامة من إقامة مجلس شورى ونحوه لكان هناك شبهة على انهم قاموا عليه بدعوة دينية . على أن تلك العصابة كانوا قبل ذلك الحادث المحزن خاضعين مذعنين

له باستحقاقه الخلافة أو حقيتها وعلى كل حال فالاولى بنا أن نقول «تلك أمة قد خلت» الآية وانما موضوع البحث ان الشارع هل وضع اصلا تؤسس عليه الحكومة أم لا وقد مر بيان ذلك

وقوله : فاذا توهم أخونا الفاضل ان هذه الحياة لاتكون طيبة سعيدة الااذا انصبغت بصبغة الدين فما رأيه في اليابانيين وهم من الوثنيين؟ جوابه أني لم اتوهم ذلك ولم أقل ان العقل بمجرده لايدل على حسن هذه الحياة السياسية وانما قلت ان المسلمين هم اولى بها عقلا وشرعا . هذا وقد اتفق العقلاء على أن أقوى أسباب الاتحاد والتعاون والهجوم والدفاع هي الرابطة الدينية والجابانيون وان كانوا وثنيين ومعارفهم ليست فرعا عن داع ومحرك ديني" فاتحادهم وثباتهم في ميادين الوغى المشهودة انما هو ناتج عن اتحادهم الديني بزعمهم و«كل حزب بما لديهم فرحون»

أما من تركوا الاديان بالكلية وانخرطوا في سلك الدهرية فاتحادهم المتكلف للمصلحة هو اوهى من بيت العنكبوت ولذلك لاتجد دهريا متحققاً بدهريته شجاعا ابداً بل هو أحرص الناس على الحياة وأشد الناس حرصاً وجهداً في أسباب الثروة والراحة لايبالون من أي طريق وجدوها سواء لديهم الخيانة ونقض العهد والاغتيال والظلم الا اذا خافوا ضرراً يحبط أعمالهم أو صعوبة تؤدي الى إنفاق الانفس والأموال والمنفعة المترقبة لهم في مقابلة ذلك أقل . فاذا توجسوا أمامهم هذه العقاب والصعاب تكايسوا وعادوا الى روغانهم وكلامهم المشهور عنهم من ذكر المدنية وحب الامان والانسانية وشبهها من حبالات مكرهم وخداعهم . والعقلاء منهم عرفوا ذلك من أنفسهم ولهذا تلبسوا بلباس عامتهم الديني وشاركوهم في رسومه الظاهرة حرصاً منهم على بقاء الرابطة الدينية في عامة أقوامهم . وهم تحققوا وعرفوا ان العامة تكون بدعوة الدين ترساً وحائلا عظيما لحفظهم وصد كل هاجم على بلادهم وأعراضهم وأنفسهم وأموالهم، وتارة يصدرون العامة ويتخذونهم آلة للهجوم وفتح البلاد أما ان أحداً من هؤلاء الدهرية التاركين للدين يستميت في هذه السبيل فحاشا وكلا لان ذلك مناف للوازم مازعموا أنهم درسوه من علومهم ومناقض لما قام بأنفسهم واعتقدوه وان شذ أحد منهم فذلك لأسباب أخرى كأن تنغصت حياته بالآلام حتى انقلب عليه نعيمها عذاباً وصفوها كدراً وحينئذ

قد يرغب بعضهم عن هـذه الحياة ولهذا وامثاله ترى بعض هؤلاء ينتحر باخعا نفسه وهؤلاء هم كبار الزنادقة وعلماؤهم ومثلهم في حب الحياة والحرص عليها من تدين بدين يعلم بطلانه كاليهود الذين كانوا في عصر نبينا صلى الله عليه وسلم

وفي مقابلة هؤلاء وعلى نقيضهم علماء الاسلام واهل الايمان وحزب الرحمن الذين يتحابون في الله ويتعاونون له مستمينين به ويشفقون على اهل ملتهم وعوامهم ابتغاء مرضاة الله تعالى لا يخلون ولا يجبنون ولا يتخذون العامة وقاية وترسا بل يتقدمون الصفوف ويصافحون الحتوف رجاء فيما عند الله ومزيد رضاه « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » تحققوا بوراثة النبيين وعلموا انه ما من فضيلة ومزية اخروية او دنيوية الا والوحي وفق العقل رائدها ودليلها وموضحها إيجاباً أو استحباباً أو إباحة وانهم مثابون في كل ذلك حتى في اللقمة يرفعها احدهم الى فيه ، وما من رذيلة او اثم او نقيصة دنيوية أو اخروية الا وقد كرهها لهم الدين المبين . فكل العلوم والمكاسب التي فائدتها ونفعها أكثر من مضرتها المستعملة لتقدم الطوائف وشرفها فأكثرها لا يحط حكمها عن فروض الكفاية وقد يكون بعضها من فروض الاعيان ومنها ما يستحق حكم الاستحباب وأقل حالات بعضها الاباحة ومن عرف دين الاسلام عرف ما ذكرناه

ولما فسد هـذا الصنف من المسلمين فسد سائر الامـة الا اناساً قليلين غرباء لا يزالون يدعون الى الصلاح والاصلاح فنسأل الكريم المجيب ان يكثر عددهم وعددهم ويؤيدهم بروح منه . ولقد ظهرت في هـذا العصر تباشير الظفر والنجاح ، وطلعت اعلام الهدى والنجاح ، وزال الغطاء عن أذهان كثير من المسلمين فلا يزال يزداد اشتراك المسلمين في معارف هذه الطائفة المصلحة وذلك بفضيلة مولانا الامام وشيخ الاسلام المفتي محمد عبده توجه الله بتاج عزه ، وأخزى عدوه وأزّه ، وأردا في رزءه ، ووفقنا الله وإياه الى الحق واشاعته ، وارضاء الله وطاعته ، وأعان من تصدى لخدمة هذه الطائفة وبذل المجهود والجهد في اظهار الحق ونشره امين

أما قول أخينا الفاضل اني استعظمت قوله بترك الدين جانباً والسياسة جانباً حتى تفرس في سوء الظن به حفظه الله فصحيح ولقد صدقت فراسته والحق أحق أن يقال وصدق رسول صلى الله عليه وسلم «اتقوا فراسة المؤمن» الحديث وكان ذلك قبل معرفتي

بحاله اما الآن فقد ذهب ذلك الظن واستغفر الله لي وله وسرني سروراً لامزيد عليه موافقته اياي على ذم التمذهبات والتقليد الذي فرق المسلمين ونهك اتحادهم وذكر ان له فيه كلاماً طويلا في كتابه (أشهر مشاهير الاسلام) ووددت لواني اطلعت عليه ولكن حتى الآن لم ييسره الله لي جعلنا الله وإياه من حزبه ووفقنا للعمل الصالح واتباع كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

في ٣ ذي القعدة سنة ١٣٢٢ (صالح بن علي اليافعي)

(المنار) كثر في هذا الزمان الطعن في الاسلام حتى من بعض المنتسبين اليه وأشد ما يطعنون فيه شكل الحكومة إذ يظن الاجانب انها حكومة ملكية مطلقة ومن المسلمين المشتغلين بالقوانين من يظن ذلك ومنهم من يقول ان الشريعة الاسلامية لم تبين شكل الحكومة ولم تضع لها أصلا . ثم ان المستبدين الذين اتخذوا علماء السوء اعوانا يقنعون العامة بأن الخضوع للسلطة الاستبدادية الشخصية فرض ديني حتى انه ليوجد في العامة من يعتقد ان انتقاد أعمال السلاطين كفر . بل سمعت رجلا خطيباً ومدرساً رسميا يقول من يعترض على السلطان فأنا لا أعتقد بصحة اسلامه . لهذا نرى كثيراً من أصحاب الغيرة طفقوا يبرؤن دين الاسلام الحق وشريعته العادلة مما يقول الاعداء له والجاهلون به ورفيق بك يوجه كلامه الى هؤلاء المعاصرين ويريد من الدين القسم التعبدي الذي يجب الاخذ فيه بظواهر النصوص الواردة في الكتاب والسنة بلا تصرف ولا زيادة ولا نقصان ولا ينكر ان للحكومة أصلا اجتهاديا في الشريعة فكلامه في ترك الدين جانبا والدنيا جانبا مبني على الفرق بين القسم الديني المحض من الشريعة والقسم الدنيوي المحض وهو اصطلاح عصري وكلام الشيخ صالح اليافعي مبني على عدم التفرقة وهو الاصطلاح الاسلامي القديم وقد فتحنا بابا في المنار لمناظرتهما ليتجلى الحق في هذه المسألة العظيمة التي هي مصدر كل شقاء إذ لا يجلي البحث الذي عمي على أهله قرونا طويلة الا بكثرة المراجعة وإيضاح الدلائل . واما أهل الذكاء والاطلاع فيكتفون بما هو دون ذلك ، وقد نشرنا في المجلد الرابع ماورد في الاخبار النبوية وآثار السلف في مسألة الحكومة الاسلامية وجمعنا بين الاحاديث التي أشار اليها الشيخ صالح في مقالته هذه . والاحاديث التي أوردناها هناك ثلاثون حديثا ونيفا ، وقد جلى الاخ الصالح أصل المسألة على ان في بعض كلامه مجالا للبحث وان لنا لعودة الى الموضوع في زمن قريب ان شاء الله تعالى

آثار علمية أدبية

(كتاب العلم والعلماء ونظام التعليم)

كتاب صدر من عهد قريب وكتب عليه انه السفر الأول من أسفار (التعاليم الاسلامية) مؤلفه الشيخ محمد بن ابراهيم الأحمدي الظواهري أحد علماء الدرجة الأولى بالأزهر والمدرس فعلا فى الجامع الأحمدي بطنطا وهو من النابتة الجديدة الأزهرية التي فطنت لسيئات النظام القديم (أي عدم النظام) فى الأزهر وفساد طريقة التعليم فيه ، وشعرت بحاجة المسلمين الى إصلاح ذلك والى العناية بوضع طريقة جديدة للتعليم الاسلامي ولتربية المسلمين ، والا كانوا حرضاً أو كانوا من الهالكين.

وهذا الكتاب مؤلف من تسعة أبواب أولها فى العلماء وفيه بيان وظائف العلماء وأقسام التعليم وأبحاث فى الاخلاق والارشاد والعبادة والنفوذ والتأثير و(التنور) العام والجرائد والمجلات ، وبيان حال العلماء اليوم وما يجب عليهم وطريقة نيل العالمية ومرتبات العلماء . وثانيها في المدارس الدينية ونظامها ومعارف طلابها ومعيشتهم وآدابهم وعقائدهم ونتيجة تعلمهم ومدة دراستهم والاصلاح وطرقه فيهم . وثالثها في العلوم وفيه الكلام فى الفقه والتفسير وسبب التهاون فيه والحديث وثمرات علمه وكيفية الاشتغال به ، والتوحيد والبلاغة والدعوة الاسلامية الخ ورابعها فى طرق التعليم ونظامه وفيه بيان اهمال العلماء فى أمر التعليم وإهمال المشيخة فى التعليم وعيوب طريقة الأزهر وطرق إصلاح التعليم . وخامسها فى تعليم الجمهور وهو تعليم المدارس الاميرية والأهلية وتعليم العامة والبعثات العلمية . وسادسها فى التعليم الابتدائي وبيان تقصيرنا فيه . وسابعها فى الارشاد وطرقه والوعظ والخطبة . وثامنها في طرق تنفيذ الاصلاح وفيه الكلام على المكافآت وعلى كساوي التشريف . وتاسعها فى الادارة الدينية وفيها الكلام على الادارة الدينية ومشيخة الجامع الازهر واقتراح مؤتمر إسلامي ومجتمع عام للعلماء وخاتمة الكتاب فى بيان مبدإ مؤلفه أي رأيه ومشربه

تلك أبواب الكتاب وجل مسائله ويسرنا جدا ان نرى من أثر النهضة الجديدة

مدرساً أزهريا يتكلم فى المسائل العامة ويبحث معنا فى حال المسلمين ويشعر مع عقلاء الأمة بموقف الامة المحفوف بالاخطار وبوجوب السعي فى تلافي ذلك ويعلن رأيه بكتاب ينشره بين الناس ، فقد بحّ صوت الاستاذ الامام من نداء الإيقاظ والتنبيه فرأينا عيون بعض تلامذته فى الازهر قد فتحت ، وأعناقهم قد التفتت، ولكن مازالت الالسنة ساكتة ، والاقلام ساكنة ، حتى سمع هذا الصوت الشديد ، ورؤيت هذه الحركة العنيفة ، أعني هذا الكتاب الذي أغلظ فى الانكار على مايراه من المنكرات وأبرزها في اشنع صورة وأقبح منظر مما كنا نحامي مثله فى انتقادنا ولم نعدم مع ذلك من عدنا مشددين او متحاملين . وقد دعا الى انتقاد مسائل الكتاب شأن المخلص الباحث عن الحقيقة ولكنه نهى عن انتقاد عبارته وهو يدعو الى اصلاح القول كما يدعو الى اصلاح العمل ويعلم أن العلم الاسلامي لايرتقي الا اذا ارتقت اللغة العربية وانتقاد العبارة وسيلة لارتقائها . ومالا ينبغي ان تكون عبارة مدرس من الدرجة الاولى وداع من دعاة اصلاح العلوم العربية الا بمكانة يقل فيها الخطأ في الكلم والجمل والاسلوب والرسم وانما نهتم أولا بالبحث فى مسائل الكتاب ثم نذكر ماتراه فى عبارته بعد ذلك ونكتفي في هذا الجزء بذكر رأي المؤلف الذي جاء فى خاتمة كتابه تنويها به قال مانصه بحروفه

«أرى على الاجمال اننا معشر العلماء فى نقص كثير وتقصير كبير واهمال زائد فى أداء ماتوجبه علينا للأمة وظيفتنا الدينية من التعليم والارشاد وغرس المبادئ الشريفة وتأسيس الملكات الكمالية والتفنن فى سبيل اعلاء كلمة الدين وترقية الشعوب الاسلامية الخ الخ وأننا قد بلغنا في هذا النقص والتقصير حداً لم يبق للعلماء معه رفعة ولا احترام ولا للأمة الاسلامية شائبة قوة ولا تقدم ولا ارتقاء في حال من الاحوال . وان من الواجب التنبيه الى هذا الامر الخطير والمبادرة الى الخروج من هذا النقص والتقصير والنهوض بالامة الاسلامية وتخليصها من هذا الخطر الذي أحدق بها بالارشادات العالية والتربية المفيدة . أرى ان الامة قد فاقت العلماء الحاضرين في كثير من مراتب الاستكمال والترقي العقلي وأنه قد فقدت صفة التناسب بينهما حتى لم يعدوا مؤثرين عليها (كذا) وكان الواجب ان يكونوا دائماً هم الفائقين ليكون لهم سلطان على القلوب وتأثير في العقائد والاميال والأعمال . أرى وجوب البحث والتدقيق والتدبير في معرفة ما هو

كما لنا لنسارع الى التحقق به ومعرفة ماهي وظيفتنا وما هي واجباتها حتى نوصل الليل بالنهار فى طريق القيام بها واتقانها. أرى وجوب البحث في معرفة ماهي الغاية التي يدعو اليها الاسلام وماهي المبادئ والاحوال التي ينبغي ان يكون عليها المسلم فى العصر الحاضر لكي نرشد الناس اليها. أرى وجوب استئصال ماهو متفش بين الامة والعلماء من العقائد الفاسدة والآراء السخيفة. أرى وجوب التفاني في عتق الامة من رق الاوهام وتخليصها من النقائص التي لاتكاد تتناهي. أرى ان أجزاء الكمال الاسلامي قد تفرقت وتشتت فكان منها شيء عند الصوفية وشيء عند العلماء وشيء عند (المتنورين) من طبقات الأمة (كل حزب بما لديهم فرحون) وكان منها ما فر من أيدي الأمم الاسلامية وحل عند الامم الغربية وما لايكاد يوجد من يتصف به. وأرى أن العالم الكامل هو من يأخذ بأطراف هذا الكمال أو بتعبير مشهور من يمزج الحقيقة بالشريعة ثم يمزج هذا المجموع بخلاصة التقدم الغربي والتمدن الحديث ويجمع صفات الكمال المتفرقة فى الامم والأفراد

«يستمد في علمه من العقل المفكر والنقل الصحيح والوجدان العالي الحاصل من التقرب الى الجناب الأقدس. لايقدس العادة ولا يثق بفكره، يبشر وينذر ويدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويتفنن فى أساليب الدعوة وطرق الارشاد، يبحث عن اللب ولايقف مع القشور، يلاحظ مقاصد الشريعة واسرار التشريع، يقدم الاصول على الفروع والحاجيات على التحسينيات. يقرب المعقول من المنقول. يصفح ويسامح ويصافي سائر الطوائف والفرق الاسلامية ولا يجادلهم الا بالتي هي أحسن (كأهل الكتاب) ويبذل الجهد فى احياء الجامعة الدينية واماتة المميزات الخلافية وترقية الأمة الاسلامية ويبث فى العالم مبدءاً اسلامياً عالياً هو المبدأ الذي جاء سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ليعطيه لسائر الامم. يسعى فى سبيل سعادة الدارين وعمارة النشأتين. يجتهد فى سبيل تربية أبناء المسلمين وتقويمهم وارشادهم ويسلك فى التربية والتعليم والارشاد الطرق الصحيحة والاساليب العالية. لاتفتر له همة ولايتراخى له عزم فى سبيل الوصول الى تلك الغاية السامية والمطالب العالية والدعوة الى هذه المبادئ ونشر تعاليمها بين الناس سراً وعلانية. أكبر همه أن يعلي قدر المسلمين

ويرفع من شأنهم ويرشدهم الى ضروب السعادات الدنيوية والأخروية وان يظهر في الكون مبدءاً اسلامياً عالياً وأمة مسلمة جديدة وطبقة أخرى كاملة تضع غاية التصوف في فؤادها ونهاية العلوم في رأسها وتحمل لواء الدين الاسلامي باليد اليمنى ولواء التقدم المدني باليد اليسرى وتسير بسم الله في حرب الاهواء السخيفة والآراء الضعيفة والاخلاق الناقصة والفرق المبتدعة والمارقة من الدين مؤيدة بالنصر معززة بجنود الحق (وما النصر الا من عند الله)

هذا رأيي ومذهبي ابنته ليكون اما مبدأ عاماً واما مشروع مبدأ عام يعدله اهل العقول الكاملة والافكار الصحيحة . ولو ان كلاً يبدي ما يكنّ خالياً من كل تعصب ملتزماً للآداب طالباً للحق قابلا له ولو من اصغر صغير لأمكن للناس ان يبلغوا من غايات الكمال. مالا يكاد يخطر بالبال. » اه

الخواطر العراب * في النحو والاعراب

نوهنا في الجزء السابع بهذا الكتاب قبل تمام طبعه فالقراء قد عرفوا انه تأليف جبر افندي ضومط م . ع أستاذ العربية في الكلية الأمريكانية ببيروت وعرفوا أن أسلوبه جديد يسهل علم النحو على طلابه ، ويدخلهم اليه من أقرب أبوابه ، وقد سألنا عنه غير واحد من المشتغلين فنبشرهم بأنه قد تم طبعه ونشر فكانت صفحاته ٣٣٤ وهو امثل كتب التعليم التي رأيناها ، يفيد قارئه نحو وإعرابا ، ومعاني وآدابا ، بما فيه من الامثلة المختارة والشرح والتمرين • وعبارة الكتاب كعبائر كتاب العصر سهولة واسلوبا لذلك لاتخلو مما عساه ينتقد على المعاصرين ولعل بعض ذلك على قلته مبني على ان المؤلف يرى صحته فقد صحح في كتابه بعض ماينتقده العلماء بحسب القواعد او السمع كما فعله في باب العدد • ولا يعرف فضل الكتاب الا بالاطلاع عليه او بإيراد نموذج منه ولعلنا نورده في جزء آخر

(النوادر المطربة)

كتاب لطيف الحجم جمعه من كتب الادب إبراهيم أفندي زيدان وجعله خمسة أقسام — النوادر المطربة ، محاسن المحبوب ، وصف الشعر ، الغزل ، منظومات لجامعه واتبع هذه الاقسام بملحق في الشجاعة والتهديد والاسلحة وطلب الثار والتحذير من

الحرب والهزيمة والفرار ، وكلها نوادر وحكم وأفاكيه وملح نثرية وشعرية واليك ثلاثة أمثلة وجيزة من ذلك

(١) قال مقاتل بن مسمع لعباد بن الحصين : لولا شيء لاخذت رأسك : قال نعم ذلك الشيء سيفي وقال

تواعدني لتقتلني نمير   متى قتلت نمير من هجاها

(٢) نظر فيلسوف الى رام تذهب سهامه يميناً وشمالاً فقعد فى موضع الهدف وقال لم أر موضعاً أسلم من هذا

(٣) قيل للكاتب الى م تدل بهذه القصبة ؟ فقال هو قصب ، ولكنه يقطع العصب ، ان القلم يقطع قضاء السيف ، ويفسخ حكم الحيف ، ويؤمن مسالك الخوف ، والكتاب يطلب من مؤلفه في مكتبة الهلال بالفجالة

(لايعنيني)

خطاب ألقاه في حفلة أدبية في بيروت جرجي أفندي نقولا من بضعة أشهر ونشرته جريدة المناظر المفيدة لما حواه من تشنيع أمور الاهمال الفاشي فى بلادنا وإهمال الامور العامة ثم طبعته على حدته لتعميم فائدته واهدتنا نسخة منه فنشكرها ذلك كما نشكر لها إهداءها كتاب الفيلسوف تولستوي في الدين وقد أخذه منا صديق قبل مطالعته فأضاعه ولذلك لم نتمكن من تقريظه

باب الأخبار والآراء

خطبة اللورد كرومر بالفيوم

(أو المدنية والخمر والميسر)

سري سم الفسق من القاهرة وسائر المدن الكبيرة في القطر الى القرى والمزارع في الأرياف فكثر هنالك الخمر والميسر والزنا وغير ذلك من آفات الترف التي تدمر القرى وتهلك الامم اذا هي فشت فيها • ويتوهم كثيرون من العمد وأغنياء الفلاحين ان شرب الخمر والدعوة اليه والمضاربة ونحوها من أنواع القمار من أمارات المدنية

العصرية ولذلك سبق اليها الأمراء والوجهاء في المدن والصواب ان جميع فضلاء أوربا وعقلائها لاسيما الاطباء والفلاسفة ينكرون أشد الإنكار على السكر والقمار والذين يأتون هاتين الرذيلتين يعدون عندهم من السفهاء . على ان آداب ديننا أعلى من مدنيتهم وفضائله أسمى من فضائلهم لو كنا نعلم ونعمل

وقد زار في هذه الأيام اللورد كرومر مدينة الفيوم فاجتمع لاستقباله والاحتفاء به المئون من وجهاء المديرية وعمد قراها فخطب فيهم خطبة ظهرت منها مكانته في الفضيلة مضارعة لمكانته في السياسة . فنصح للناس بأن يتركوا الخمر والميسر لما فيهما من إفساد الاخلاق التي يمتاز بها عادة سكان القرى والمزارع على سكان الحواضر والمدائن وألمع الى انتقال هذين الوبائين من المدن الى القرى وأرشد العمد الى العناية بمنع انتشارهما . فاذا كان يوجد من سفهاء الاحلام من يعتقد ان من دلائل مدنيته وجود الخمر في بيته وتقديمها لمن عساه يلم به من الانكليز أو غيرهم من الاجانب فهذا كلام اللورد حجة عليه فهو أعلى القوم مكانا وأوسعهم عرفانا وهو يعد معاقرة الخمر منافية للفضيلة وذاهبة بها من الارياف بعد ان كانت تمتاز بها على القرى وهذا هو ركن المدنية الصحيحة وإنما تبيح اوربا الفسق لما فيه من الكسب ولتكون الفضيلة اختيارية . وقد حثهم على الاقتصاد وحفظ العفو من أموالهم في صناديق التوفير كما حثهم على ترك المقامرات التي تخرب البيوت العامرة وتجعل الاغنياء فقراء والاعزاء أذلاء وقلما ربح منها أحد فكان من الموسرين

(قوله في الكتاتيب المنتظمة)

وأفصح عن رغبته في ازدياد عدد الكتاتيب حتى يعم تعليمها الابتدائي القطر بلغته العربية . ولعمري ان عناية المعارف بالكتاتيب عظيمة وان فائدة البلاد منها فوق ما يظن الذين لا ينظرون لشيء تفعله الحكومة في مصر الا من وجه السياسة وحسبك أنها تجعل الطبقة الدنيا من الاهالي متصلة بالطبقة التي فوقها فيسهل انتقال الافكار والشعور بحاجات الامة من أعلاها معرفة وشعوراً الى أدناها رتبة في الوجود وذلك تمهيد لابد منه لتكوين الامة اذا وجد من يسعى له سعيه . وكلمة اللورد الوجيزة تؤثر في نفوس الوجهاء والعمد في المساعدة على تكثير الكتاتيب وانجاحها تأثيراً عظيما اذ لا يوجد في

الارض من يحترم مقام أصحاب السلطة كأهل هذه البلاد · ولا أظن أن لتنظيم الكتاتيب كما تفعل المعارف غائلة ما الا اذا صح ما نسمعه من قلة العناية بحفظ القرآن، واتقاء هذه الغائلة فرض حتم على مفتشي هذه الكتاتيب وهو في استطاعتهم اذا أرادوا

وقد تكلم اللورد فى مسائل أخرى فى مصلحة الأهالي ليست من موضوعنا وزار جميع معاهد الحكومة والمدرسة الاهلية فتعجب الناس للفرق بين هؤلاء الاجانب غنهم وبين أمرائهم وحكامهم في القرون الاخيرة

﴿ نشرة إفساد ، أو حبالة صياد ﴾

علمنا ان قد ورد من باريس الى مصر صحيفتان أو نشرتان سريتان إحداهما فرنسية والأخرى عربية يزعم كاتبهما وناشرهما انهما من لجنة عليا لجمعية عربية غرضها فصل البلاد العربية من الخليج الفارسي الى البحر الاحمر من سلطنة الترك وجعلها مملكة مستقلة بمساعدة بعض الدول · وقد اطلعنا على العربية التي كتب عليها انها تعريب الفرنسية فاذا هي طعن في ادارة الترك وسيرتهم بل وإسلامهم وتحريض عليهم وترغيب للعرب فى الانسلاخ عنهم. ويزعم الكاتب انه مستعد بجمعيته لعمله من غير اهراق قطرة دم!! وان لجمعيته هذه أعضاء فى جميع البلاد العربية!!

وفي رأينا ان هذه النشرة لا تعدو أمرين احدهما اثارة الهواجس في (يلدز) تمهيداً لأمر تريده بعض الدول وهو المرجوح وثانيهما انه وسيلة من رجل أو نفر من المحتالين بأمثال هذه الوساوس لنيل الرتب والرواتب المالية من السلطان وهو الاوجح ولا يبالي هؤلاء المفسدون بما عساه يكون وراء افسادهم من فتح أبواب الايذاء للجواسيس في الولايات العربية لا سيما لمن أرسلت اليهم النشرة اذا وجدت عندهم وان كانوا لا يعرفون مصدرها

وقد كنا نصحنا لسلطاننا فى المجلد الثاني من المنار بأن لا يبالي بشيء مما يكتب في الجرائد الطعانة على اختلافها ونحوها هذه النشرات وان لا يحسن الى صاحب جريدة على مدح ، ولا يلتفت لما تكتبه فى بلاد الحرية من قدح ، الا لملاحظة، او معرفة الحقيقة من المنصفين، فعدم المبالاة بأصحاب الدسائس والاغراض السافلة هو أكبر عقوبة لهم واحسن اصلاح لغيرهم

اذا نطق السفيه فلا تجبه فان جوابه أن لايجابا

وما من سلطان أو أمير أو كبير يهتم بأمثال هذا الكلام الا ويسلط على نفسه السفهاء حتى لايدعون له راحة كما هو مشاهد. ولقد كان أبو الهدى افندي الشهير مغرما بمدح الجرائد ونحوها فسلطها بذلك عليه حتى ذمته أضعاف ما مدحته فلما ترك مكافأة المادح، ومكافحة الفادح، صان عرضه، وحفظ عمره وبرضه، وقد تحرشت الجرائد بمختار باشا فلم يأبه بها فتركته وشأنه. ومن كان الطمع فيهم أكبر. كان هذا المسلك في حقهم اوجب،

أما الموعظة التي تؤخذ من أمثال هذه النشرة فهي انه يجب على إخواننا الترك ان يتناسوا مسألة الجنسية والنداء بها ويجعلوا العثمانية مناط الارتباط بسائر شعوب المملكة فانما يمزق الاعداء الدولة باختلاف الجنسية. واذا عنوا باللغة العربية حتى جعلوها لسان الدولة فانهم يجددون لهم قوة وحياة لاتغالب ان شاء الله وهو الموفق

﴿ نقلة أخبار الحرب والثقة بالتاريخ ﴾

نود ان نلفت الناس المرة بعد المرة الى تهافت نقلة أخبار الحرب وتناقضهم ومن ذلك أنهم ذكروا بعد استيلاء اليابانيين على ميناء (بور) آرثر ان حاميتها سلمت الحصون والقلاع لنفاد المؤن والذخائر الحربية وهلاك معظم الجند وقالوا أن التسليم كان شريفا ثم كروا على هذا الخبر بالنقض واثبتوا ان ذلك التسليم عار عظيم على الروس وانه كان في استطاعتهم الدفاع عدة أشهر أخرى. وكانوا قالوا ان الاسطول الروسي الذي تعطل وأغرق في الميناء لاينتفع به ثم عادوا فقالوا أنه يسهل استخراج سفنه ماعدا اثنتين منها ويمكن إصلاحها بنفقة قليلة. وكذلك اختلفوا في الذخائر التي غنمها اليابانيون فحقر شأنها بعضهم وعظمه آخرون، وكانوا قد اتفقوا على اطراء ستوسل قائد حامية الروس ثم انقلبوا يسلقونه بألسنة حداد. والجرائد هي ينابيع هذه الاخبار مع الشركات البرقية. وقد أخذنا من ذلك قاعدة عامة وهي انه لايوثق بالاخبار الجزئية المختلف فيها وأما مايتفقون عليه فيوثق به ظناً بعد زمن يمر على الاتفاق وانما الثقة الحقيقية بالنتائج المتفق عليها ككون اليابانيين لهم الظفر في كل الوقائع. والتاريخ القديم أجدر بهذه القاعدة وجرائد بلادنا في الجملة أجدر بعدم الثقة.

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر — الثلاثاء ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٢٢ — ٢٠ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٥)

القسم الديني

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(٢٠٤:٢٠٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * (٢٠٥:٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (٢٠٦:٢٠٩) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ *

بعد مابين عز وجل اختلاف الناس فى الصلاح والفساد والاصلاح والافساد أراد أن يهدينا الى ان شأن المؤمنين الاتفاق والاتحاد وجعل هذه الهداية بصيغة الأمر وشرف أهل الايمان بالخطاب فقال (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) الخ والسلم بكسر السين وفتحها المسالمة

والانقياد والتسليم فيطلق على الصلح والسلام وعلى دين الاسلام . قرأ ابن كثير ونافع والكسائي بفتح السين والباقون بكسرها . وقد فسره بعض المفسرين بالصلح وبعضهم بالاسلام وعليه الجلال وقال في تفسير « كافة » : حال من السلم أي في جميع شرائعه : وهذه كلمة عظيمة وقاعدة لو بنى جميع علماء الدين مذاهبهم عليها لما تفاقم أمر الخلاف في الامة ذلك انها تفيد وجوب أخذ الاسلام بجملته بأن ننظر في جميع ماجاء به الشارع في كل مسألة من نص قولي وسنة متبعة ونفهم المراد من ذلك كله لا أن يأخذ كل واحد بكلمة أو سنة ويجعلها حجة على الآخر وان أدت الى ترك كثير من النصوص والسنن وحملها على النسخ أو المسخ بالتأويل ، اوتحكيم الاحتمال بلا حجة ولا دليل ، ولو انك دعوت العلماء الى العمل بالآية على هذا الوجه الذي عرفوه ولم ينكره على قائليه أحد منهم وان رجح بعضهم في التفسير غيره عليه لولوا منك فرارا ، وأعرضوا عنك استكبارا ، وقالوا مكر مكرا كبارا ، اذ دعا الى ترك المذاهب ، وحاول اقامة المسلمين على منهج واحد ، ومن آيات العبرة في هذا المقام اننا نجد في كلام كثير من علمائنا هدى ونورا لو اتبعته الامة في أزمنتهم لاستقامت على الطريقة، ووصلت الى الحقيقة ، بعد الخروج من مضيق الخلاف والشقاق ، الى بحبوحة الوحدة والاتفاق ، والسبب في بقاء الغلب لسلطان الخلاف والنزاع فشوّ الجهل وتعصب أهل الجاه من العلماء لمذاهبهم التي اليها ينتسبون، وبجاهها يعيشون ويكرمون ، وتأييد الامراء والسلاطين لهم استعانة بهم على اخضاع العامة ، وقطع طريق الاستقلال العقلي والنفسي على الامة ، لان هذا أعون لهم على الاستبداد ، وأشد تمكينا لهم مما يهوون من الفساد

والافساد ، اذ اتفاق كلمة علماء الامة واجتماعها على أن الحق كذا بدليل كذا ملزم للحاكم باتباعهم فيه لأن الخواص اذا اتحدوا تبعهم العوام ، وهذه هي الوسيلة الفردة لابطال استبداد الحكام ، وهذا التفسير مؤيد بالنعي على الذين جعلوا القرآن عضين ، والانكار على الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ،أي يعملون ببعضه على انه دين ،ويتركون بعضا بالتأويل أوغير التأويل، كشأن من لم يصدق بأنه من الله ، فوجوب أخذ القرآن والدين بجملته ، وفهم هدايته من مجموع ماثبت عمن جاء به ، أمر مقرر في ذاته سواء فسرت به الآية أم لا لأن الآيتين اللتين أشرنا اليهما آنفا فى جعل القرآن عضين والايمان ببعضه والكفر ببعض وما فى معناهما من النصوص تثبته

وذهب بعض المفسرين الى أن « كافة » ترجع الى الذين آمنوا أي ادخلوا فى الاسلام جميعا لايتخلف منكم أحد . وصاحب هذا القول يصرف نداء « الذين آمنوا » الى أهل الكتاب أي آمنوا بالانبياء السابقين والوحي حتى لايرد عليه أن الايمان يستلزم الدخول في الاسلام فيكون أمر المؤمن بالاسلام من تحصيل الحاصل . ووجه اللزوم أن الايمان هو التصديق الجازم مع إذعان النفس فمن صدق بالشيء وأذعن له فقد دخل فى أعماله وانقادلأحكامه لامحالة . وأما قول الجماهير إن العلم لايوجب العمل فهو على اطلاقه خطأ فالعلم التصديقي الاذعاني المتعلق بالمنافع والمضار يوجب العمل مالم يعارضه فى موضوعه علم أقوى منه وأما العلم التصوري والعلم النظري المعارض بعلم ضروري أونظري أقوى منه فلايوجبان العمل . وقدصرح حجةالاسلام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية والحافظ الشاطبي

صاحب الموافقات بأن العلم الصحيح يستلزم العمل والحق التفصيل الذي أشرنا اليه آنفا وآيات الكتاب العزيز دالة عليه ومعززة له. ويدل لمن قال ان الآية نزلت في أهل الكتاب ما رواه ابن جرير عن عكرمة قال قال عبد الله بن سلام وثعلبة وابن يامين وأسد وأسيد ابنا كعب وسعيد بن عمر وقيس بن زيد كلهم من يهود : يارسول الله يوم السبت نعظمه فدعنا فلنسبت فيه وان التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها بالليل : فنزلت . فالخطاب على هذا لليهود خاصة لا لأهل الكتاب عامة ولكن الرواية غير صحيحة وهي تنم على نفسها فهي موضوعة للآية وهناك رواية أخرى بمعناها

والوجه الثاني في تفسير السلم وهو المسالمة والوفاق يتوقف على الوجه الاول ـ أخذ الدين بجملته ـ لانه أمر برفع الشقاق والتنازع وبالاعتصام بحبل الوحدة وشد أواخي الاخاء ولا يرتفع الشيء الا برفع أسبابه ولا يستقر الا بتحقق وسائله وهو بمعنى قوله عز وجل «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» الآية وقوله تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا » وقوله عليه الصلاة والسلام : لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض : وقد خالفنا كل هذه النصوص فتفرقنا وتنازعنا وشاق بعضنا بعضا بشبهة الدين اذ اتخذنا مذاهب متفرقة كل فريق يتعصب لمذهب ويعادي سائر إخوانه المسلمين لاجله زاعما انه ينصر الدين ، وهو يخذله بتفريق كلمة المسلمين ، ـ هذا سني يقاتل شيعيا ، وهذا شيعي ينازل أباضيا ، وهذا شافعي يغري التتار بالحنفية ، وهذا حنفي يقيس الشافعية على الذمية ، وهؤلاء مقلدة الخلف ، يحادون من اتبع طريق السلف ، «أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين» أم أمروا بهذا من الله ورسوله ومن الائمة المجتهدين ، كلا بل كان التعادي

والتنازع انحرافا عن الصراط المستقيم ، واتباعا لخطوات الشيطان الرجيم ، فكما خالف المفرقون المتنازعون ربهم في ذلك الأمر ، خالفوا ما أتبعه به من هذا النهي ، اذ قال

(ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) الخطوات جمع خطوة بالضم وبالفتح وهما مابين قدمي من يخطو أي لا تسيروا سيره وتتبعوا سبله في التفرق في الدين او الخلاف والتنازع مطلقا . وسبل الشيطان وخطواته هي كل أمر يخالف سبيل الحق والخير والمصلحة وسبيله هنا ماعبر عنه بالسلم قال تعالى « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » فذكر تعالى أن له سبيلا واحدة سماها صراطا مستقيما لأنها أقرب طريق الى الحق والخير والسلام وأن هناك سبلا متعددة يتفرق متبعوها عن ذلك الصراط وهي طرق الشيطان ، وقد علم من جعل التفرق تابعا لاتباع سبل غير صراط الله ان الذين يتبعون سبيل الله لا يتفرقون « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » نعم قد يطرأ عليهم سبب الخلاف والتنازع ولكنهم متى شعروا بأن التنازع قد دب اليهم فزعوا الى تحكيم الله ورسوله فيه برده الى حكمهما كما أمرهم بقوله « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » فالآيات يفسر بعضها بعضا اذا نحن أخذنا القرآن بجملته كما أمرنا . وهذه الآيات حجة لعلماء الاصول القائلين بأن الحق واحد لا يتعدد . وياليت أصحاب هذا الاصل فرضوا على أنفسهم الاجتماع لكل خلاف يعرض لهم والبحث عن وجه الحق فيه بلا تعصب ولا مراء حتى اذا ماظهر لهم أجمعوا عليه واذا هو لم يظهر لبعضهم ثابروا على تطلابه باخلاص لا يعادي أحد فيه أحدا ولا يحمله

ذريعة لتفريق الكلمة ،

طريق الحق هو الوحدة والاسلام ، وطرق الشيطان هي مثارات التفرق والخصام ، وهي معروفة في كل الامم ولكن الشيطان يزين طرقه ويسول للناس المنافع والمصالح في التفرق والخلاف فقد كانت يهود أمة واحدة مجتمعة على كتاب واحد هو صراط الله فسول لهم الشيطان فتفرقوا وجعلوا لهم مذاهب وطرقا واضافوا الى الكتاب ما أضافوا وحرفوا من كلمه ما حرفوا واتبعوا السبل فتفرقت بهم عن سبيل الله حتى حل بهم الهلاك والدمار ومزقوا كل ممزق . وكذلك فعل غيرهم كأنهم رأوا دينهم ناقصا فكملوه ، وقليلا فكثروه ، وواحدا فعددوه ، وسهلا فصعبوه ، فثقل عليهم بذلك فوضعوه ، فذهب الله بوحدتهم ، حتى لم تغن عنهم كثرتهم ، وسلط الله عليهم الاعداء ، وأنزل بهم البلاء ، « سنة الله التي قد خلت في عباده » (*)

هذا هو المتبادر من خطوات الشيطان في هذا المقام . ومن خطواته طرق الفواحش والمنكرات كلها ولذلك قال تعالى في سورة النور « ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر » أما كون الشيطان عدوا مبينا فذلك ان جميع ما يدعو اليه ظاهر البطلان بيّن الضرر لمن تأمل وعقل فمن لم يدرك ذلك في مبدإ الخطوات أدركه في غايتها عند ما يذوق مرارة مغبتها لا سيما بعد تذكير الله تعالى وهدايته عباده الى ذلك فلا عذر لمن بلغته هذه الهداية اذا بقي على ضلالته واستحب العمى على الهدي ولذلك قال عز شأنه

(فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم)

(*) قد ذكرنا طريق الخروج من ظلمات الخلاف الى نور الوحدة الاسلامية في مقالات المصلح والمقلد فلتراجع في المجلد الرابع من المنار وفيها رأي الغزالي في ذلك

أي فان زللتم وحدتم عن صراط الله وهو السلم الى خطوات الشيطان وهي طرق الخلاف والافتراق والباطل والشر من بعد ان بين الله تعالى لكم ان سبيله واحدة وهي السلم وان الشيطان لكم عدو مبين وأمركم أن تتخذوه عدوا وتجتنبوا طرقه وخطواته ثم فصل لكم من ذلك ما اضطررتم اليه وأكد النهي عن شر تلك الطرق وأشأمها وهي طرق التفرق والخلاف - فاعلموا أن أمامكم أمرا جليلا ، وأخذا وبيلا ، ذلك ان الله تعالى لعزته لا ينسى من ينسى سننه ويزل عن شريعته بل يأخذه أخذ عزيز مقتدر ولحكمته قد وضع تلك السنن في الخليقة، وهدى اليها الناس بما أنزل من الشريعة ، ومن ذلك ان جعل لكل ذنب عقوبة وجعل العقوبة على ذنوب الامم أثرا من آثارها لازما لها حتما . فكأنه تعالى قال فاعلموا أنه يحل بكم العقاب لأنه عزيز لا يغلب على أمره، حكيم لا يهمل أمر خلقه ، ولكن هذا التعبير أبلغ لانه بيان للحجة وتقرير للبرهان بالاشارة الى مقدماته اكتفاء بها عن ذكر النتيجة وهو من ضروب إيجاز القران ، التي لم تعهد في كلام انسان ، قال الاستاذ الامام انه ذكر من صفاته تعالى ماهو دليل العقاب وهو مالا مطمع فى زواله ، ولا هزء فى الدين أكبر من ظن المغرور أنه ينال جنة عرضها السموات والارض وفيها من النعيم والرضوان مالم يخطر على قلب بشر بغير الاعمال التي أرشدت اليها آيات الله تعالى مبينة ان العقوبات على تركها من آثار صفاته القديمة التي لا يلحقها تغيير ، ولا تؤثر فيها الحوادث بتبديل ولا تحويل ، ونقول نحن على طريقته ان ظن المغرورين بأنه يكون لهم السلطان والخلافة فى الارض بمجرد دعوى الايمان والاسلام ولو مع بعض الاعمال البدنية من غير اقامة العدل في الناس والعمارة والاصلاح

فى الارض هو من الهزء بآيات الله فى كتابه وآياته فى خلقه فانها متفقة على ان الأرض يرثها عباد الله الصالحون لعمارتها واقامة العدل فيها « وما كان ربك ليهلك القرى » أي الامم « بظلم » أي شرك وكفر « وأهلها مصلحون » فى أعمالهم وسياستهم

والآيتان المفسرتان آنفا ومافي معناهما كقوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » الى قوله « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم » وقوله « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء » كلها هادمة للتقاليد التي فرقت الامة وجعلتها شيعا حتى صار بأسها بينها شديدا فسفكت دماءها بأيديها ومزقت دنياها بتمزيق دينها وكان من أمرها بعد ذلك ماترى

ثم بين تعالى غاية الوعيد المشار اليه فى الاسمين الكريمين فقال (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) وقد غير الاسلوب بالالتفات عن الخطاب والامر الى الحكاية عن الزالين عن صراط الله بضمير الغائب . والحكمة في الالتفات تناول هذا الوعيد لجميع من زل من المؤمنين المخاطبين في الدخول فى السلم والمنهيين عن ضده ومن زل من غيرهم ، أو هي الإيذان بأن الزالين لا يستحقون شرف الخطاب الالهي

الاستفهام فى الآية للانكار وينظرون بمعنى ينتظرون وهى كثيرة الاستعمال بهذا المعنى فى الكتاب العزيز لاسيما فى أمور الآخرة كقوله تعالى « فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة » – « ماينظرون الا صيحة واحدة » وإتيان الله تعالى فسره الجلال وآخرون باتيان أمره أي عذابه كقوله في آية أخرى « أو يأتي أمر ربك » أي فهو بمعنى ماجاء من التخويف بعذاب الآخرة

فى الآيات الكثيرة الموافقة لهذه الآيات فى أسلوبها وأقر الاستاذ الامام الجلال على ذلك وبين في الدرس أن هذا الاستعمال من أساليب العرب المعروفة من حذف المضاف واسناد الفعل الى المضاف اليه مجازا وأوضحه أتم الايضاح فهو على حد « واسأل القرية » ومن المفسرين من قال ان الإسناد حقيقي وانما حذف المفعول للعلم به من الوعيد السابق أي هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بما وعدهم به من الساعة والعذاب. وعده آخرون من المتشابهات فقالوا ان الله تعالى يأتي بذاته ولكن لا كاتيان البشر بل إتيانه من صفاته التي لا نبحث عن كيفيتها اتباعا للسلف وأما تأويل الاتيان بما نقله البيهقي عن الاشعري فلا نذكره لانه مما يزيد المعنى بعدا عن الفهم

وقد يقال إنه ليس من مقتضى مذهب السلف أن يجعل كل ما يسند الى الله تعالى من المتشابهات التي لا تفهم بحال، ولا تفسر ولو باجمال ، فحسبنا أن نقول على رأي من فسر إتيان الله هنا باتيان أمره وما وعد به من العذاب أو إتيانه بما وعد به أن نفوض اليه تعالى كيفية ذلك وبذلك نكون على طريقة السلف فى التفويض مع العلم بان الله تعالى ينذر الذين زلوا عن صراطه وفرقوا دينه بأمر معروف في الجملة لا بشيء مجهول مطلق . ومما يدلنا على أن المراد بالآية ماذكرنا قوله تعالى « ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا» مع الآيات الكثيرة الناطقة بأن قيام الساعة وخراب العالم يكون « اذا السماء انشقت » وانتثرت كواكبها وانما يأتي بذلك الله تعالى بتغيير هذا النظام الذي وضعه لارتباط الكواكب وحفظ كل كوكب فى فلكه

وأما ظلل الغمام فهي قطع السحاب الاول جمع ظلة بالضم كغرف

جمع غرفة وهي ماأظلك والثاني جمع غمامة كسحاب وسحابة وزنا ومعنى سمي بذلك لانه يغم السماء أي يسترها وخص بعضهم الغمام بالسحاب الابيض وزاد بعض آخر الرقيق وفيه أن الابيض الرقيق لايمطر والعرب تسمي البرد حب الغمام وذكر المفسرون أن إتيان أمر الله أوعذابه فى الغمام عبارة عن مجيئه من حيث ترجى الرحمة بالمطر وذلك أبلغ فى تمثيل هوله وفظاعته لأن الخوف اذا جاء من موضع الامن كان خطبه أعظم والعذاب اذا فاجأ من حيث ترجى الرحمة كان وقعه آلم، كما وقع لعاد قوم هود « قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم » وهو مبني على أن الغمام مظنة المطر والظاهر ان من قال ان الغمام هو السحاب الابيض لايعني به تلك السحائب البيض الرقاق المرتفعة التي تظهر فى أيام الصيف وانما أراد به ذلك السحاب المسف لثقله بالمطر الذي هو أقرب الى البياض منه الى السواد . وقال الاستاذ الامام ان الحكمة في نزول العذاب فى الغمام انزاله فجأة من غير تمهيد ينذر به، ولا توطئة توطن النفوس على احتماله وذلك أبلغ فى هوله « مامن دهي بالامر كالمعتد » وهو ذلك الغمام الذي يحدث عن تخريب العالم فجأة فيأتيهم العذاب قبل أن يتبدد الغمام الناشيء عن الخراب: وهذا القول يتفق مع الاول وهو أقرب الى معنى قوله تعالى فى الساعة «لا تأتيكم الا بغتة» ويجب ان تكون هذه الآيات عبرة للمؤمن ترغبه فى المبادرة الى التوبة لئلا يفاجئه وعد الله تعالى وهو غافل فان لم يفاجئه قيام الساعة العامة التي بها يهلك هذا العالم كله فاجأه قيام قيامته بموته بغتة فان لم يمت بغتة مرض بغتة حتى لايقدر على العمل وتدارك الزلل

وإذا جرينا على هذه الطريقة التي أرشدتنا اليها الآية السابقة على

الوجه الاول في تفسيرها فحملنا بعض الآيات على بعض واستخرجنا المعنى من مجموعها كان لنا أن نقول : اذا وقعت الواقعة ، وقرعت القارعة ، وكورت الشمس ، وتناثرت الكواكب ، وانشقت السماء شقا ، ورجت الارض رجا وبست الجبال بسا ، فكانت أولا كالعهن المنفوش ثم صارت هباء منبثا ، فان مادة هذا الكون تعود كما كانت قبل التكوين أي مادة سديمية وهي ماعبر عنه في بدء التكوين بالدخان ، وفي الحكاية عن الخراب بالغمام . وان كثيرا من علماء الهيئة الغربيين ليتوقعون خراب هذا العالم بقارعة تحدث من اصطدام بعض الكواكب ببعض بحيث تبطل الجذب العام ، الذي به قام هذا النظام ، وهو في معنى ماورد من تشقق السماء بالغمام ، وهذا المعنى لم يكن يخطر ببال أحد على عهد نزول القرآن

وأما اتيان الملائكة هنا فهو بمعنى نزولهم في قوله « ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا » أي وتأتيهم الملائكة الموكلة بكل ما قضاه الله يومئذ . وقوله (وقضي الامر) جملة حالية أي كيف ينتظرون غير ذلك وهو أمر قضاه الله وأبرمه فلامفر منه (والى الله ترجع الامور) فيضع كل شيء في موضعه الذي قضاه فهو الاول ومنه بدأت الاشياء وهو الآخر واليه ترجع وتصير وهو بكل شيء محيط « يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لاتنفذون الا بسلطان * فبأي آلاء ربكما تكذبان *»

واذا كان كل ما سنه الله تعالى من النظام لخلقه حتما مقضيا لايضل واضعه ولا ينسى فعلى من زل عن صراطه واتبع خطوات الشيطان أن يبادر بالتوبة والرجوع الى الحق قبل أن يحيق به زلله ، ويبسله عمله ، وقبل أن

تقوم قيامته أو قيامة الناس أجمعين ، فيجازي على زلله و « كل امرىء بما كسب رهين » واجدر الناس بالمبادرة الى هذه التوبة علماء الأمة الذين أبسلوها بخلافهم فعليهم أن يحكموا كتاب الله وسنة رسوله فيما شجر بينهم من غير تعصب ويسلموا تسليما

وذكر الاستاذ الامام في تفسير الآية وجها آخر يمهد بيانا للقول بأن الاتيان مضاف الى الله تعالى على انه هو الذي يأتي لاعذابه ولا يومه الموعود وهو من الآيات الكبرى ، وأسرار المعارف العليا ، فقال ما مثاله: من الناس من يؤمن بالله تعالى وصحة دينه ايمانا موافقا لما جاء فى كتابه ويكون فى ايمانه على حق اليقين والاطمئنان الذي لا زلزال فيه ولا اضطراب وأهل هذا اليقين هم الذين يقال إن الله حاضر عندهم وانه معهم أينما كانوا لان معرفته ثبتت فى عقولهم والتوكل عليه قد لابس قلوبهم وهم الذين قال قائلهم : لو كشف الحجاب ما ازددت يقينا: ومنهم من ليس له تلك المعرفة وهذا اليقين فلا يقال ان الله عندهم لان ما حضر فى عقله هو غير ما وصف الله تعالى به نفسه وشهدت به آياته فى كتابه وآياته فى خلقه ثم هو ليس على يقين مما عنده ، أولئك أصحاب الظنون وأرباب الشكوك وحملة التقاليد الذين زلوا من بعد ما جاءتهم البينات فاتخذوا بينهم وبين الله حجابا ووسطاء وشبهوه بخلقه فى كثير من الشؤون فهم غائبون عن الله تعالى ومحجوبون عن ربهم بحيث لا تطوف معرفته الحقيقية بعقولهم ولا تلابس عظمته وكماله قلوبهم ، فاذا كان يوم القيامة وكشف الحجاب عرفوا الله ربهم الحق وتبين لهم ما كانوا عليه من الباطل فذلك إتيان الله لهم أي يأتيهم من معرفته ما كانوا غائبين عنه ومحرومين منه فى الدنيا . والاتيان يكون في المعقولات

كما يكون في المحسوسات فلا حاجة للتأويل

وان هؤلاء الزالين عن صراط الله تعالى صنفان صنف اعتقدوا الباطل حقا فلم يعرفوا حقيقة التوحيد ورجوع كل أمر الى من أعطى كل شيء خلقه على سنن ثابتة ولا غير التوحيد من اصول الايمان، وصنف اتبعوا الظن ، وهاموا في أودية الوهم ، فلم يكونوا على بينة من هذا الامر . فاذا ما تجلى الله تعالى في ذلك اليوم على الأرواح ، وزالت الحجب التي كانت دونها في سجن الاشباح ، زال جهل الجاهلين ، وانكشف ظن الظانين ، وبطل وهم الواهمين ، وعرف الجميع رب العالمين ، بما جاءهم من الحق اليقين ، فذلك مجيء الله تعالى وإتيانه في يوم الدين ،

أما كون الاتيان في ظلل من الغمام فهو من الامور الاخروية الغيبية التي قلنا مرارا باننا لا نبحث عن حقيقتها فكون معرفة الله تعالى واليقين به مما يحصل للجاهلين والغافلين بحصول ظلل من الغمام نفوض سره الى الله تعالى وما يدرينا ان في ذلك الغمام آيات بينات ، وحججا باهرات ، واتيان الملائكة على هذا التأويل أظهر منه في التأويل الاول لان المقام مقام تمثيل ظهور سلطان الله تعالى وعظمته ، واستغراق القلوب في الخضوع لجلاله عند ما يغشاها نور معرفته ، ولا ريب أن حضور الملك في جنده الاكبر ، هو أبين لكمال العظمة وأظهر ، ولذلك قال في سورة الفجر «وجاء ربك والملك صفا صفا » وقال في سورة النبأ « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا »

والمراد بهذه الذي قرره الاستاذ الامام ، تقريب هذا المذهب من الافهام ، ولا يعني أن هذا بيان لكيفية الاتيان في الغمام ، . ويمكن أن يقال

ان الغمام في الآية اشارة الى الحجاب أو الرداء الذي ورد فى حديث أبي موسى عند الشيخين وغيرهما «وما بين القوم وبين أن يروا ربهم الارداء الكبرياء على وجهه» وبيانه أنه ورد فى أحاديث أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «سألت جبريل عليه السلام هل ترى ربك فقال ان بيني وبينه سبعين حجابا من نور» الحديث وقال الغزالي وغيره من أئمة الصوفية ان الحجب أي الموانع التي تمنع العبد من معرفة الحق كثيرة اكثفها نفسه وهذه الحجب تزال يوم القيامة عن المؤمنين الاحجابا واحدا فيعرفون الحق معرفة كاملة تستغرق الروح وذلك ماعبر عنه بالرؤية وبمجىء الله واتيانه. فالغمام فى هذا المقام التمثيلي اشارة الى الحجاب الذي لايحصل كمال المعرفة الممكنة بدونه وبذلك تتفق الآيات مع الاحاديث «ولله المثل الاعلى - ليس كمثله شي» ولنا أن نقول على هذه الطريقة مع تفسيرنا الغمام بمادة التكوين الاولى كما مر إن الحجب التي تشغل الانسان عن ربه فى الدنيا من حظوظ النفس وشهواتها وشواغل الحس بالمحسوسات والفكر بالمدركات كلها ترتفع فلا تعود حائلة دون كمال العلم بالله تعالى ماخلا سر الايجاد والتكوين الاول مم كان وبم كان وكيف كان فهذا لايرتفع فى الدنيا للموقنين، ولافى الآخرة للمقربين،

هذا وأنت ترى ان الوجه الاول فى تفسير الآية هو المتبادر والمنطبق على الايات الاخرى فى نذر القيامة وفى كل منهما عبرة وهداية للمؤمنين وأما المرتابون الممارون فلا يزيدهم الكلام عن الآخرة الاظلمة ورجسا الى رجسهم لانهم محجوبون فى حسهم حتى عن نفسهم وكل حزب بما لديهم فرحون،

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

السواك بعد الصلاة أو عندها

(س ١٠٩) عبد الرحمن أفندي رحمي (بالخرطوم): رأيت أحد اساتذة العلم يستاك بعد كل صلاة ركعتين فسألته عن ذلك فقال لي: ورد في الحديث الصحيح (كل من يصلي ركعتين بسواك أفضل ممن يصلي ستين ركعة بلا سواك: فقلت له اني لا أعلم ذلك الا ان استعمال المسواك محمود بعد اليقظة من النوم لإزالة قذارة الاسنان ومنع الرائحة الكريهة من الفم فجئت بهذا ملتمساً إرشادنا الخ

(ج) السواك سنة مؤكدة ووردت أحاديث متعددة باستحبابه عند القيام من النوم وعند الوضوء وعند الصلاة ومن أصحها حديث أبي هريرة عند أحمد والشيخين وأصحاب السنن «لولا ان أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» قال النووي السواك مستحب فى جميع الاوقات لكن فى خمسة أوقات اشد استحباباً عند الصلاة وعند الوضوء وعند قراءه القرآن وعند الاستيقاظ من النوم وعند تغير الفم وتغيره يكون بأشياء منها ترك الأكل والشرب ومنها أكل ماله رائحة كريهة ومنها طول السكوت وكثرة الكلام. والحديث الذى ذكرتموه رواه الدارقطني فى الافراد عن أم الدرداء بلفظ «ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك» وابن زنجويه عن عائشة مثله لكن بلفظ صلاة بدل ركعتين وهو ضعيف وله طرق تقويه وليس منها ماذكرتم والغرض من سنة السواك تنظيف الاسنان وتطييب الفم كما فى حديث «مالكم تدخلون عليّ قلحا استاكوا» الخ والقلح جمع أقلح وهو أصفر الاسنان. ومن اطلع على كثرة الاحاديث في السواك يكاد يعجب لشدة تأكيدها ويتوهم إذا كان جاهلا بطبائع البشر وعادات الناس أنها مبالغة ربما كانت غير صحيحة إذ لاحاجة الى

ذلك في هذا الامر الصغير الواضح ولكنه اذا فطن مع هذا الى تقصير الناس فى تنظيف أسنانهم وأفواههم حتى المسلمين الذين هم أحق الناس بهذه النظافة وعلم ما لهذا التقصير من الضرر فى الصحة لانه من أسباب تأكل الاسنان وسرعة سقوطها وأن هذا سبب لعدم إجادة مضغ الطعام وقلة التلذذ به وبذلك تقل تغذيته وفائدته — ثم فطن الى أن مجرد اقناع الناس بأن هذا الشيء نافع لا يحملهم على المواظبة عليه والعناية به حتى يلزموا به بأمر ديني أو يتربوا عليه من الصغر بالالزام والتعويد ، فانه يفهم سر ذلك الحث والتأكيد ،

الاستعانة بأصحاب القبور

(أو حديث « إذا ضاقت بكم الأمور ، فعليكم بأصحاب القبور)

(س١١٠) ن . ب . في (سراي بوسنة) انكم تنكرون الاستعانة بأصحاب القبور فضلا عن الاستعانة منهم (كذا) وأوردتم الحجج والدلائل على ذلك الا أنكم لم تقولوا شيئاً في حديث « إذا تحيرتم في الامور فعليكم بأصحاب القبور » الذي اشتهر بين الناس وأورده ابن كمال باشا الوزير — الذى هو من مشاهير العلماء وثقاتهم — فى رسالته الاحاديث الاربعين وشرحه على وجه يقنع كل أحد ممن لم يتعمق فى العلم مثلكم بصحة الحديث المذكور ، ومضمونه الاستعانة من أصحاب القبور : (كذا) نرجوكم ان تتفضلوا علينا بحل اشكالنا هذا والاجابة عن الحديث المذكور ولكم الفضل ومنا الشكر ومن الله الاجر

(ج) الحديث لا أصل له ولم يروه المحدثون ولكن ورد في حديث انس عند البيهقي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه قسوة القلب فقال : اطلع فى القبور واعتبر في النشور : وقال البيهقي متن هذا الحديث منكر ورواية مكي بن نمير مجهول ولو صح الحديث الذى اورده ابن كمال باشا لكان بمعناه لان من تحير فى أمره وضاق له صدره فتفكر فى أصحاب القبور وكيف تركوا كل شيء كان يهمهم ولقوا ربهم هان عليه الامر ، واتسع منه الصدر ، ولا تهولنك شهرة ان ابن كمال باشا بالعلم فتعجب لايراده حديثا لا اصل له فهو انما اشتهر بفقه الحنفية واكثر هؤلاء الفقهاء لا يعنون بالحديث ولا يعرفون صحيحه وضعيفه وموضوعه ومعروفه ومنكره بل منهم من يزعم

انه لاحاجة اليه مع الفقه الان يقرأ للتبرك به ويصرحون بأنه لايجوز العمل به لان ذلك من الاجتهاد الذي حرموه باجتهادهم وانك لترى كتب الفقهاء الذين هم اعظم منه شهرة بهذا الفقه من غير استعانة بالوزارة والامارة قد حشوا كتبهم بالاحاديث الموضوعة كالاحاديث التي اوردها صاحب الدر المختار في مدح الامام ابي حنيفة رحمه الله تعالى وغيرها . وقد صرح علماء هذا الشأن بأنه لايجوز لاحد ان يسند الى الرسول صلى الله عليه وسلم حديثا الا اذا كان هو قد رواه رواية يثق بها او يذكر درجتها اواخذه عن كتب الحفاظ الذين يذكرون ذلك وليس ابن كمال الوزير منهم . ثم ان عبارة الحديث تدل على وضعه لمن ذاق طعم الاساليب العربية الفصيحة فلعل واضعه من المتأخرين ، وناهيك بنكارة متنه ومخالفته لظاهر اصول الدين لاسيما اذا حمل على ما ذكرتم

واذا فرضنا ان الحديث صح وكان معناه ماذكرتم دون ماأولناه به فاتنا نرجح عليه مايعارضه مما هو اقوى منه كحديث الطبراني مرفوعاً «انه لايستغاث بي إنما يستغاث بالله تعالى» وحديث ابن عباس مرفوعاً «واذا استعنت فاستعن بالله» بل عندنا القطعي كقوله تعالى « واياك نستعين » فانها نص في عدم جواز الاستعانة بغير الله تعالى كما ان قوله عز وجل « اياك نعبد » نص في عدم جواز عبادة غيره لمكان الحصر في تقديم المفعول .

ومن عجائب تحريف المسلمين الجغرافيين لنصوص القرآن القطعية ما أطلعنا عليه بعض الناس في الجريدة الحدثة التي تسمي الظاهر من تأويل (واياك نستعين) اذ قال المحرف ان الاستعانة على ضربين حقيقية وهي الممنوعة بنص الآية ومجازية كالاستعانة بالموتى الصالحين وهي جائزة لاتمنعها الآية ولايتناولها الحصر فيها . ولو صح هذا لصح ان يقال مثله في « إياك نعبد » ويقال ان العبادة حقيقية ومجازية فالأولى لله والثانية لغيره فيعبد هؤلاء المحرفون غير الله ويسمون عبادتهم مجازية لايخرجون بها من دائرة الاسلام وحظيرة الايمان ، ونعوذ بالله من الخذلان ، فان هذا الضرب من التحريف للنصوص القاطعة لم يسمع عن امة من الامم اقبح منه ولا يمكن ان يثبت معه دين !! اتظن ان صاحب هذه الجريدة أضاف هذا التحريف الى نفسه حتى لايخشى انخداع العامة به لعدم ثقتهم بهذه الجرائد في امر الدين وعلمهم بجهل اصحابها ؟ كلا بل زعم انها جاءته من عالم ازهري ، ولا تدري العامة ان رواية الثقة عن المجهول غير

معتبرة فكيف برواية غير الثقة. فبمثل هذه الكتب والصحف فسدت الاديان واختل نظام العلم ولذلك نقول تبعا للأئمة المجتهدين انه لايجوز لاحد ان يأخذ في الدين بكلام عالم مالم يعرف دليله فان كان الدليل حديثا شريفا فلا تصح الثقة به الا اذا نقل عن المحدثين الثقاة الذين رووه لتعرف درجته وتمكن مراجعته ، وعلى هذا جرينا في المنار والله المستعان ، دون فلان وفلان ،

تعدد الجمعة عند الشافعية وإعادة الظهر

(س١١١) مستفيد في (سنغافورا) : حصلت مباحثة احببنا رفعها اليكم لاستجلاء الحقيقة والاستهداء فنرجوكم الاجابة على صفحات المنار . تفضلتم في الجزء التاسع عشر من المنار الهادي بنقل نصوص الامام الشافعي في تعدد التجميع مما لم تكتحل به عيوننا قبل وجزمتم آخر الجواب بأنه لامحل لصلاة الظهر عقب الجمعة في نحو مصر فبعد التأمل وقع لدينا ماجزمتم به موقع الاستحسان وعليه عملنا منذ تيقظنا . ولكن ظهر لبعض طلبة العلم من الشافعية بطرفنا ان مقتضى تلك العبارات ونتيجتها هو ان الذمة لاتبرأ يقينا الا بصلاة الظهر بعد الجمعة في نحو سيقافوره(*) وان من اراد الاقتصار مثلا على الجمعة فقط او الظهر فقط فالاولى له ان يصلي الظهر ويترك الجمعة لانه بالظهر يبرأ يقينا ولا تبرأ ذمته بالجمعة وحدها يقينا . وقال ان مانقلتم عن الشافعي لايفيد سوى مافهمه لا ماذكرتم فهل ما قاله هذا البعض صحيح ام محتمل ام لا ؟ ولتكونوا على بصيرة من سيقافوره نفيدكم انها بلد مستطيل يبلغ طوله نحو ستة أميال انكليزية لكن عرضه لايبلغ نحو نصف طوله وتصلى الجمعة فيه في نحو خمسة عشر مسجدا بعضها مزدحم وباليقين ان المحتاج اليه منها للجمعة هو بعضها وربما كان اقل من النصف لالقلة المسلمين ولا لكثرة تاركي الصلاة منهم بالكلية بل لتهاونهم في حضور الجمعة وقد يظن ان اعتقادهم عدم اجزاء الجمعة منهم يثبط بعضهم ، فافيدونا بالحكم على رأي الشافعي ثم اشرحوا لنا على طريقة المنار ماهي شروط الجمعة التي لاتصح الا بجميعها وتبطل بفقد واحد منها وماهي ادلتها الشرعية الواضحة وبينوها بالعزو الى مخرجيها لتتم الفائدة لمستجديكم واهل هذه القاصية لازلتم هداة للرشاد نافعين للعباد

(*) هكذا يكتب اسم البلد اكثر العرب الذين فيها

(ج) عبارة مختصر المزني ليس فيها ذكر اعادة الظهر على من صلى الجمعة وعلم انها صليت فى مسجد آخر بل هي نص في وجوب التجميع في مسجد واحد وان كان لايسع الناس وانه لايصلى بعد اقامتها في أحد المساجد الا الظهر أي بعد العلم بأنها صليت . وزادتها إيضاحاً عبارة الأم وهي «وأيما (١) جمع فيه اولا بعد الزوال فهي الجمعة وان جمع فى آخر ساعة بعد الجمعة كان عليهم ان يعيدوا ظهرا اربعا » فقوله: في آخر ساعة بعد الجمعة : يشعر بأنهم جمعوا مع العلم بأن الجمعة صليت ويؤيده مسألة الاشكال التي اوردها بعد فانها تفيد ان المسألة قبلها مفروضه فى صورة العلم . وانما تأتى مسألة الاشكال التي قالها الامام في صورة الاجتماع والشك في السبق بعد التجميع بأن صلوا في مساجد متعددة معتقدا اهل كل مسجد انهم السابقون اوغير عالمين بتجميع غيرهم بالمرة ثم علموا وطرأ عليهم ماأوقعهم فى الشك والاشكال ولذلك اوجب عليهم اعادة الجمعة في قول فقال « ولو اشكل عليهم فعادوا فجمعت منهم طائفة ثانية فى وقت الجمعة اجزاهم ذلك» وصلاة الظهر فى قول آخر وهو الذي ذكرناه هناك عنه اولا وعن الربيع آخرا . وهل المراد من القولين التخيير ام يريد الامام ان الظهر حتم على من لم يتمكن من اعادة الجمعة ام رجع بأحد القولين عن الآخر؟ كل محتمل ولا محل هنا للبحث فى الترجيح ، وانما المراد ان الامام لم ينص على ما اذا جمعوا في مساجد متعددة ولم يطرأ عليهم اشكال في السبق بأن احرم اهل كل مسجد بها بناء على ان الاصل عدم سبق غيرهم لهم والاصل في مثل هذه الصلاة الصحة ولم يطرأ مايعارض الاصل

والدليل على تصوير المسألة الاولى فيما قلنا انه ظاهر عبارة الامام وفيما قلناه في المسألة الاخيرة هو ان الصلاة لاتنعقد الا بالنية ومن شروط النية في المذهب تحقق المقتضي فمن احرم بصلاة وهو يشك فى دخول وقتها لايصح احرامه فان صلى به يكون عاصيا بعمله ولا يعتد به صلاة . ولا شك ان الشافعية فى مصر وسنغافور وبيروت ونحوها من الامصار التي تتعدد بها المساجد يحرمون بصلاة الجمعة وهم معتقدون ان صلاتهم تامة الشروط من دخول الوقت واستيفاء العدد وعدم سبق غيرهم لهم بجمعة في بلدهم ولو احرموا غير معتقدين بأحد هذه الشروط وهم يعتقدون انها شروط

(١) كتبت «ايما» في الجزء ١٩ «أنها» وهو غلط مدرك بالبداهة

(لانهم شافعية) لكانوا عصاة متلاعبين بالدين كمن يصلي بغير وضوء وحاشاهم من ذلك

وجملة القول ان الامام منع تعدد التجميع اختيارا مع العلم وصرح بعدم إجزاء جمعة ثانية بعد الأولى فجعل الاعتقاد بأن هذه الجمعة هي الأولى أو عدم العلم بأنها مسبوقة بجمعة صليت قبلها شرطا لصحة الجمعة فمن لم يتحقق عندهم الشرط لايجوز لهم التجميع عنده. فاذا كان أهل الامصار التي تتعدد مساجدها لايتحقق عندهم هذا الشرط فلا يجوز لهم التجميع اذلا تنعقد صلاتهم بالجمعة مع فقد شرطها، وان كان يتحقق لان الاصل عدم السبق كما قلنا كانت جمعتهم صحيحة ولايجوز لاحد ان يصلي عقبها ظهرا. وأما الاقدام على صلاة فريضتين في وقت واحد مع اعتقاد ان كلا منهما واجب كما يفعل أكثر الشافعية في الامصار فمما لادليل عليه في قول الامام رحمه الله تعالى بل مقتضى المذهب حرمته

وقد زارنا بعد كتابة ما كتبناه في الجزء التاسع عشر أحد علماء الشافعية المدرسين في الأزهر فقرأه فأعجبه فقلنا له أنظن أحداً ينازع فيه فقال ربما ينازع فيه الضعيف فذكرنا له نحو ما كتبناه آنفاً في النية فقال ان هذا يقنع من عساه يعارض وليتك كتبته • فاذا اقتنع ذلك الطالب في سنغافوره بهذا الايضاح والا فليشرح لنا فهمه ودليله

ثم ان هذا كله مفروض فيما اذا كان التجميع في مساجد تزيد عن الحاجة وقد علم مما كتبه الشبراملسي وغيره ان العبرة بزيادتها عمن تجب عليهم الجمعة لاعن المصلين بالفعل فاذا كانت مساجد سنغافوره دون حاجة المسلمين فيها لو صلوا الجمعة فلا اشكال في صحة الجمعة وعدم وجوب اعادة الظهر . ومن الغريب أن يذهب ذاهب الى ترك هذا الشعار بالمرة ويزعم انه من الاحتياط . وقد اطلعنا في هذه الايام على رسالة في المسألة للشيخ مصطفى الغلاييني البيروتي كانت بيد بعض الازهريين ورغب الينا في نشرها فنحن ننشرها لزيادة الايضاح وسنذكر بعد نشرها ماصح في الكتاب والسنة في صلاة الجمعة ان شاء الله تعالى

باب الفقه فى الدين

رسالة (البدعة . فى صلاة الظهر بعد الجمعة) للشيخ مصطفى الغلاييني

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم ياملهم الصواب ، ومانح السداد ، ومنزل الكتاب ، لهدي العباد ، نسئلك الاعانة والتيسير ، والهداية والرشاد ، انك على كل شيء قدير ، فاهدنا قويم النجاد ،

أما بعد فاني كاتب فى هذه الاوراق اليسيرة مايتعلق بصلاة الظهر بعد الجمعة كتابة يرتفع بها ستار الاوهام ، وتتقشع عن وجه الحقيقة سحب الظلام ، مقيما على ذلك البراهين القاطعة ، والحجج الواضحة الساطعة ، حتى يجلي الصبح لذي عينين ، ويزول الغطاء والرين ، فتبدو الشمس من برجها مشرقة الوجه ، زاهرة الطلعة ، فلا يبقى حينئذ مقول لقائل ، ولا مجال لمعترض ، فالحق أحق أن يتبع ، وما الحقيقة الا بنت البحث ، وما القصد من هذه السطور الا اظهار الحق ، وتبيان الصدق ، ولا بد للحقيقة أن يعلو منارها ، ويشرق سناؤها ، فتفل كتائب الباطل وتزهق ، وتفشل انصاره وتمحق ، وقد قال بعض أساتذتنا الاعلام « انما بقاء الباطل فى غفلة الحق عنه » آخذا هذا المعنى من قول الله سبحانه (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) وقوله جل ثناؤه (ان الباطل كان زهوقا)

والداعي لتحرير هذه الرسالة ان بعض خطباء المساجد في مدينتنا بيروت منع من صلاة الظهر بعد الجمعة فى مسجده فاعترض عليه بعض الفقهاء الشافعية وحصل في المسألة أخذورد وانقسم طلاب العلم على قسمين فمنهم من يقول بمنعها ومنهم من يقول بوجوبها أو سنيتها ومضى على ذلك أشهر والمسألة فى ميدان البحث والانتقاد الى أن ظهرت فى هذه الايام رسالة فى الموضوع للشيخ المرحوم علي نور الدين الشبراملسي الشافعي حكى فيها اقوال الشافعية فى المسألة وحكم بأن صلاة الظهر بعد الجمعة مع التعدد إما واجبة مع التعدد لغير حاجة وإما سنة مع التعدد للحاجة ، وقد سعى في هذه الرسالة بعض المنتسبين للعلم واغرى بعض المثرين بطبعها وتوزيعها على العوام مجانا

وقد جاء في مقدمة الساعي بطبعها من الانتقاد على الخطيب مالا يحمد ذكره ، فقد وصفه بأنه فرق كلمة الخاصة وشوش اذهان العامة ثم اتبع ذلك بقوله « ولا يخفى مافى ذلك من الضرر المبين حيث يؤدي الى شق عصا المسلمين » الى آخر ماقال . على حين

ان العامة لم تشوش أفكارهم ، ولم تفرق كلمتهم ، وانما تحزب بعض الفقهاء من أمثاله هو الذي نبه أفكار الخاصة ،وشتت أذهان العامة ، على أن هذه المسألة خاصة بالشافعية ومن وافقهم دون غيرهم من المسلمين .فكيف يقال أنه شق بعمله هـذا عصا المسلمين وفرق كلمتهم . واني متكلم في هذه المسألة على ثلاثة ابحاث : البحث الاول فى الكلام على تعدد الجمعة • الثاني فى الكلام على الظهر بعد الجمعة • الثالث في عرض المسألة على الكتاب والسنة

﴿ البحث الأول فى الكلام على تعدد الجمعة ﴾

اعلم أن الفقهاء اختلفوا فى تعدد الجمعة على قسمين فمنهم من منع التعدد مطلقا سواء كان لحاجة أم لا وهو غير معتمد في المذهب كما صرحوا به ومنهم من أجاز التعدد بشرط الحاجة وهو الصحيح من المذهب وعليه أكثر الفقهاء .ثم اختلف أصحاب هذا القول في تفسير الحاجة على أقوال فمنهم من قال الحاجة باعتبار من يصلها بالفعل ومنهم من قال الحاجة باعتبار من يغلب حضوره فعلى هذين القولين يكون التعدد في بيروت ونحوها زائداً عن الحاجة لان الذين يحضرونها تكفيهم مساجد أقل من المعدة لها : ومنهم من قال الحاجة باعتبار من تصح منه الجمعة ويدخل فى ذلك النساء والصبيان، ومنهم من قال إن الحاجة باعتبار من تلزمه الجمعة وهو المعتمد عندهم • فعلى هـذا القول المعتمد وما قبله يكون التعدد في بيروت ونحوها حتى مصر ودمشق لحاجة بل هو أقل من الحاجة

«ولباب القول» أنه ان اعتبرتم أن الجمعة فى بيروت ونحوها متعددة لغير حاجة فيجب الاقتصار على ما يكفي الناس لا أن نوجب عليهم صلاة الظهر بعدها لانها عبادة لم يأمر الله ولا رسوله بها ، وان اعتبرتم أنهـا متعددة لحاجة بناء على القول المعتمد فلا لزوم لصلاة الظهر بعدها لان الامام حينما دخل بغداد صلى فيها الجمعة مع تعددها ولم يصل بعدها الظهر .واعلم أن منشأ هذه الاقاويل ما تعارض من قول الامام الشافعي وفعله فظاهر كلامه أنه لا يجوز التعدد وأما دخوله الى بغداد ووجوده أهلها يصلونها بمحلين أو ثلاثة وعدم انكاره عليهم وصلاته معهم سنتين فهو دليل على اقراره التعدد ان كان لحاجة . وأما من قال أن سكوته من باب ان المجتهد لا يرد على مجتهد فمنقوض لانه ان كان لا يجيز التعدد لحاجة بدليل بعد سكوته على ذلك من باب رؤية المنكر وعدم ازالته ونجل

الامام عن ذلك، وان كان يجيز التعدد لحاجة فقد قضي الامر، ومن قال يحتمل ان الشافعي صلى الظهر لا الجمعة أو انه كان يعيد الظهر بعد الجمعة نقول له ان الدين لا يثبت بالاحتمال وان المنقول خلاف ما تحتمل وغير ما تدعي، ولهذا أجاب عنه جمهور أصحابه بأن تعدد الجمعة في بغداد اذ ذاك لمشقة الاجتماع لكثرة أهلها وتبعهم الشيخان كالروياني قال في الحلية «ولا نص فيه للشافعي ولا يحتمل مذهبه غيره» اه أي لم ينص الشافعي على مسألة التعدد في حالة الاضطرار ومذهبه يقتضي جوازه لان المشقة تجلب التيسير، وأما قول المزني في المختصر «ولا يجمع في مصر وان عظم وكثرت مساجده الا في مسجد واحد» فليس فيه ما يدل على عدم جواز التعدد لحاجة فينبغي حمله على حالة السعة والاختيار، دون المشقة والاضطرار، وهي فيما اذا وجد مسجد يجمعهم جميعا لان مسألة الامام في بغداد دليل على ذلك، وصريحة في جواز التعدد عند الافتقار، فسقط قول من قال لا يجوز تعددها ولو في حالة الاضطرار،

وشبهة من قال بعدم جواز تعدد الجمعة هو أنها لم تفعل في زمنه صلى الله عليه وسلم الا كذلك أي في مكان واحد فلو جاز تعددها لحصل ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام ونقول في الجواب من وجوه

الاول انه لم يكن من حاجة الى التعــدد لان مسجد الرسول كان يكفيهم جميعا فلا معنى حينئذ للكثرة لما هو معلوم من أن المسلمين لم يكونوا يبلغون من العدد ما بلغوه بعد زمان النبي والخلفاء الراشدين لكن لما اتسعت دائرة الاسلام وكثرت فتوحاته ودخل الناس فيه أفواجاً أفواجاً في مشارق الارض ومغاربها تعسر عليهم الاجتماع لاقامة الجمعة في مسجد واحد فدعتهم الحاجة الى تعددها عملا بقوله عليه الصلاة والسلام يسروا ولا تعسروا وقوله تعالى «وما جعل عليكم في الدين من حرج» ولانه ان كان القصد من عدم التعدد شعار الجمعة فالشعار حاصل أيضا مع التعدد لحاجة

الثاني الحرص على الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم وسماع خطبه ومواعظه وأوامره ونواهيه وأي مسلم يرغب عن الصلاة مع النبي الى غيره،

الثالث الحرص على اجتماع الكلمة وعدم التفرق بقدر الامكان لان هذا هو من حكم صلاة الجمعة لا يعدل عنه الا لضرورة كضيق المصلى الواحد مثلا. وقد تفلسف بعضهم

فقال يجب اقامة الجمعة في مصلى واحد ولو غير مسجد وان حصل بذلك مشقة من حر أو برد أو مطر الخ٠ وقد قاس تلك المشقة على مسألة الجهاد والحج وان لم يكن بين المقيس والمقيس عليه جامع ، قال بعض الفقهاء عندنا: وذلك كرمل بيروت ونحوه ، بخ بخ

والجواب عن ذلك أن هذا القول عار عن الدليل ومخالف لعمل الامام الشافعي لأنه لم يأمر أهل بغداد بالاجتماع في غير المساجد بل أقرهم على التعدد للحاجة اليه

اني لاعجب من تجويزهم أو ايجابهم الاجتماع للجمعة في غير المسجد ان لم يمكن فيه لانهم منعوا التعدد بحجة أنها لم تعدد في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف يقولون بصحتها في غير المسجد مع أنها لم تفعل في زمن الرسول الا في المسجد (١)

فلعمري ان هذا ترجيح بلا مرجح فتجويزكم للمسألة الأولى يقتضي تجويز الثانية وهو التعدد للضرورة وهو ما أقر عليه الامام الشافعي ولم ينكره، فعدولكم بلا دليل عن عمل الامام ، ضرب من التعنت والاوهام ،

على أنه لم ينقل عن المعصوم ولا عن الصحابة ما يدل على عدم جواز التعدد وأما من قال ان عدم التعدد في زمنهم دليل على عدم جوازه فنقول له قد أخطأت المرمى فان كثيراً من الامور لم تكن في عهد الرسول ثم دعت الحاجة والوقت الى إيجادها منها ان القرآن لم يكن مجموعاً في عهده صلى الله عليه وسلم ثم رأت الصحابة رضوان الله عليهم ان من اللازم جمعه خشية ضياعه ، وهكذا الأحاديث الشريفة كانت العلماء تتناقلها في الصدور ثم رأوا من المصلحة كتبها في الدفاتر وهكذا أكثر العلوم الدينية والعربية الخ فهل يقال لايجوز فعل ما تقدم ، نعم لايجوز أن نخترع أمراً دينياً لم يكن على عهد النبي اذا لم تحوج الضرورة الى فعله كصلاة الظهر بعد الجمعة مثلا

---

(١) اللهم الا ما ورد من اقامتها في غيره اذ كان النبي مسافراً مع الصحابة في بعض الاسفار ولا حجة لهم به لان ذلك كان في السفر لا الحضر فان قالوا نحن نخرج لضرورة الضيق فنقول لهم نحن نعدد للضرورة نفسها والمسئلتان سواء ، على أنهم لا يعملون بهذا الحديث لانهم يوجبون لصحة الجمعة أربعين مقيمين والصحابة اذ ذاك مسافرون فاحتجاجهم بشيء منه وطرح الآخر ضرب من البعد عن الحق وسيأتي معنا توضيح المقام في البحث الثالث ان شاء الله اهـ منه

ثم ان عدم التعدد في زمانه عليه الصلاة والسلام ليس دليلا على عدم جواز التعدد لانه لم يرد قول يمنعه ، ومن المعلوم المسلم المقرر أن الاصل فى الشيء ان يكون مباحا الا اذا ورد دليل على تحريمه أو كراهته وأي دليل ورد في ذلك ، فالحق الحق عباد الله فالحق أحق ان يتبع ان شريعتكم سهلة سمحة لاتكلف فيها فلاتضيقوا على أنفسكم فنبيكم يقول «الدين يسر ولن يشادّ الدين أحد الاغلبه» وقال أيضاً فى حديث آخر «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدوداً فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها»

فعلمت مما تقدم ان الحق من مذهب الشافعي رحمه الله تعالى هو جواز تعدد الجمعة متى دعت الحاجة الى ذلك وهو ماتقتضيه قواعد الشريعة المطهرة وان المعتمد في تفسير الحاجة أن العبرة بمن تجب عليهم الجمعة صلوا أم لا فان كانوا لايكفيهم مصلى واحد صلوا في عدد يكفيهم من المساجد ، وعليه فالمساجد التي تقام فيها الجمعة فى بيروت ومصر وماضارعهما من المدن متعددة للحاجة بل هي أقل من الحاجة إذ لو صلى كل من تلزمهم الجمعة لضاقت عليهم المساجد وبقي منهم جمّ بلا صلاة كما هو المشاهد فى رمضان والاعياد

البحث الثاني فى الكلام على الظهر بعد الجمعة

علمت في البحث السابق الكلام على التعدد وان الحق جوازه.وإنا ذاكرون لك فى هذا الفصل الكلام على صلاة الظهر بعد الجمعة اذا تعددت فنقول: ان ذلك واقع فيما اذا كان تعددها لغير حاجة فان الظهر تلزم بعدها فى صور نذكرها لك قريباً ، وأما اذا تعددت لحاجة فلا ظهر بعدها مطلقاً بل هي باطلة قطعا ان صليت.ولا يقال تسن الظهر اذا تعددت لحاجة خروجا من خلاف من أوجبها ، لانا نقول بل السنة بل الواجب تركها مراعاة لمن لم يقل بها لانها لم يدل عليها دليل بل هي مخالفة لعمل الامام الشافعي رضي الله عنه لانه لم يصلها في بغداد ولم يؤثر عنه قول فى سنيتها مع التعدد لحاجة فكيف نترك الامام ونعمل بغير قوله ان هذا لمن العجب ، على أن التلقيد للشافعي لالهم حتى يخترعوا أقوالا لم يقلها أو يخالفوه او يقولوا بغير قوله ومع ذلك يقولون هذا مذهب الشافعي وما هو بمذهبه وقد ذكرت لبعضهم ان كتاب «الام» للامام الشافعي يطبع فى هذه الايام فقال

لاحاجة لنا به لأنه لايجوز ان نعمل إلا بكلام المتأخرين ، يعني لايجوز له تقليد الشافعي فاسمع هـذا وأعجب ... ، نعم لو ظهر أن كلام الامام مخالف للدليل وكلام اتباعه موافق له يجب أن نترك قول الشافعي ونتبع أتباعه لان الشافعي أمر باتباع الدليل حيثما كان وقد صح عنه أنه قال « اذا صح الحديث فهو مذهبي » ونكون فى هـذه الحالة أيضاً متابعين للشافعي لامناقضين له ويفهم هذا السر من يفهمه ويجهله من يجهله ، ولكنهم يخالفونه فيما لادليل لهـم عليه وذلك من عدم الاطلاع على كلامه وإهمال كتب المتقدمين التي فيها الخير كله ،

وقد قال بعض الفقهاء عندنا معرضاً بالمانعين من صلاة الظهر بعد الجمعه « أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى » على اني أفسح صدري وأفتح أذني لسماع اعتراضه وأجيبه عليه وان كان كلامه مما لاينبغي أن يرد عليه فأقول أرأيت أيها الفقيه لو ان انساناً صلى الظهر ست ركعات مثلا اتدعه يصلي أم تمنعه ؟ ارأيت لو ان جاهلا صلى نفلا ليس له سبب متقدم أو مقارن في وقت من الأوقات المحظور فيها ذلك أتبيح له الصلاة أم تحظرها ؟ ارأيت ارأيت الخ ...

ولنرجع الى بحثنا فنقول: ان مذهب الشافعي عليه الرحمة فى هذه المسألة ان الجمعة إن تعددت لغير حاجة فى البلد الواحد فى مواضع فالجمعة للسابق ويصلي الباقون الظهر لفساد جمعتهم، وان أشكل السابق أعادوا كلهم ظهرا ولو أعادت طائفة منهم الجمعة أجزأهم ذلك ، ومسألة الاشكال لاتتأتى الا اذا اجتمعوا وتذاكروا فظهر لكل فريق منهم ماأوقع فى نفسه الريب والشك في سبقه بالجمعة ، وأما قبل الاجتماع بالفريق الآخر الذي أقام جمعة ثانية وثالثة والتحدث معهم فلا يحصل الشك ، يدل على ذلك ما قاله الشافعي وهو قوله « ولو أشكل ذلك عليهم فعادوا فجمعت منهم طائفة ثانية فى وقت الجمعة اجزأهم ذلك » اه فهل يستقيم ذلك الا بعد الاجتماع والتحدث ؟ والافكيف يحكمون بفساد جمعتهم كلهم بدون تثبت ؟ وأما اذا لم يعلم السابق ولم يحصل اشكال بل صلى كل فريق ظاناً انه السابق ولم يطرأ عليه ماشككه بسبقه فلا ظهر عليه وجمعته صحيحة وهـذه الصورة لم ينص عليها الشافعي فينبغي حملها على ماقلناه لأن الأصل عدم سبق غيره له ولم يكن هناك مايعارضه فيبقى ما كان على ما كان

على أنه لو فرضنا ان الجمعة في بيروت ونحوها متعـددة لغير حاجة ، وان كان الواقع خلافه بناء على القول المعتمد » فلا تلزم بعدها الظهر أيضا والسبب في ذلك عدم معرفة السابق بالجمعة وعدم الشك بالسبق لان كل انسان يصلي ظانا انه السابق ويذهب لاشغاله ولم يكن هناك اجتماع ولا تحادث في السابق حتى يعلموا فساد جمعتهم او الشك في صحتها بل من الغريب ان الداخل الى المسجد من الطلبة او العامة موطن نفسه على صلاة الظهر بعد انقضاء صلاة الجمعة بدون تثبت ولا تحقق معتقدين ان الجمعة لا تجزئهم لانها صارت عادة لهم قضى بها التقليد الاعمى الصرف . وكيف يجوز ان يصلي المرء صلاة معتقداً انها لا تجزئه؟ لعمري لم ينقل عن الشافعي ولا اصحابه ما يجيز ذلك بل ولا عن احد من الأئمـة اللهم الا بعض الفقهاء المتأخرين ، الذين لا يجوز تقليدهم لأحد من المسلمين

هذا وممن يقول بعدم لزوم الظهر بعدها من علماء الشافعية الاحياء علمان من اعلامهم وبحران من بحورهم لا يمكن ان ينكر فضلهما او يجحد علمهما وهما الاستاذ العلامة الفقيه المحدث الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي مدينتنا بيروت والشيخ الفقيه الزاهد المفضال خاتمة المحققين في المذهب الذي اطلق عليه لقب الشافعي الصغير الشيخ عيسى الكردي المتوطن في دمشق الشام . وقـد نقل الموجبون لصلاتها عن كتاب الكفاية للاستاذ مفتي بيروت المتقدم ما يدل على وجوبها او سنيتها او الحقوه برسالة الشبراملسي بعد طبعها وتوزيعها فان كانوا يعتبرون ان كلامه ليس حجة فلا قيمة اذن لهـذا النقل ولا حجة لهم به وان كانوا يعتبرون انه حجة فنقول لهم : انه كتب ذلك مسايرة للفقهاء المتأخرين وقد رجع عن هذا القول كما صرح بذلك لمن استفتاه بهـذا الخصوص ، وقوله في المسألة هو ما فصلناه سابقا وقـد ألف بهذا الخصوص رسالة مطولة جواباً لسائل سأله اسمعني اياها

وقد نقل عدد من اهالي بيروت ان الفهامة المحدث الفقيه علامة وقته المرحوم الشيخ محمـد الحوت الكبير البيروتي صاحب التآليف النافعة لم يكن يصلي الظهر بعد الجمعة ابداً ، وكذا ولده العالم الزاهد الشيخ عبد الرحمن احد القائلين بوجوبها قد ثبت باقراره انه لا يصليها في مناظرة جرت بينه وبين بعض القائلين بعدم مشروعيتها وقد

راقبته مرات فلم اره يصليها

وقد رأيت فى كتاب الاجوبة العراقية للشيخ الآلوسي العلامة الشهير صاحب التفسير كلاماً فى الموضوع قال بعد أن اورد كلام متأخري الشافعية مانصه : وكنت اذ انا شافعي مقلدا هذا القول « وهو جواز تعددها في البلد الواحد » فلم اكن أصلي الظهر بعد الجمعة. نعم كنت احياناً اصليها في بيتي وانكر في قلبي على من يصليها فى الجامع بجماعة لما كنت اسمع من كثير من العوام ما يدل على اعتقادهم ان الله تعالى فرض على العباد يوم الجمعة وليلتها ست صلوات . وما كنت ارى منشأ لذلك الظهر من إلزام كثير من الشافعية لاقامة الظهر فى المسجد الجامع بجماعة وانا اليوم ارى صلاة الظهر بعدها فى البيت للاشتباه في تحقق بعض شروط الصحة واني ليضيق صدري ولاينطلق لساني » اه (لها بقية)

آثار علمية أدبية

(كتاب الامامة والسياسة)

كنا نسمع بهذا الكتاب ونرى اسمه في الكتب فتتمنى لو نراه لمكان مؤلفه أبي عبد الله بن قتيبة في العلم وتقدمه في الزمن فهو من أهل القرن الثالث ومن أصحاب الرواية حتى أتاح الله لطبعه فى هذه السنة محمد أفندي محمود الرافعي وهو تاريخ للخلفاء الراشدين ومن بعدهم من ملوك المسلمين الى عهد المأمون. والكتاب في انسجام عبارته، وتحري مؤلفه فى روايته ، مما لايستغني المسلم عن قراءته ، ومن قرأه معتبراً يعرف شيئاً من قوة روح الاسلام وكيف أحيا الله به هذه الامة حتى صار يؤثر عنهم من العدل والحكمة وهم لم يدارسوا السياسة ولا تربوا في حجورها — مالا يؤثر مثله عن ملوك أوربا وحكامها على رقيهم المشهود في العلوم الاجتماعية والسياسة وأخذ أممهم على أيديهم. ومما نحب توجيه النظر اليه المقارنة بين ملوك المسلمين وامرائهم حتى بعد ان صارت الخلافة ملكا عضوضا مخالفا لكثير من أصول الاسلام وبين ملوكهم وأمرائهم في هذا الزمان ، الذي انحطت فيه الامة الى حضيض الهوان. فمما أورده في ذلك

(دخول سفيان الثوري وسلمان الخواص على أبي جعفر المنصور)

ومما ذكره عن سفيان انه أجاب ابا جعفر عند ماقال له : الي الي ادن مني: بقوله اني لأطأ مالاأملك ولا تملك : فقال أبو جعفر : ياغلام ادرج البساط وارفع الوطاء : فتقدم سفيان فصار بين يديه وقعد ليس بينه وبين الارض شيء وهو يقول « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فدمعت عينا أبي جعفر . ثم تكلم سفيان دون ان يستأذن فوعظ وأمر ونهى وذكر وأغلظ في قوله فقال له الحاجب أيها الرجل أنت مقتول فقال سفيان: وان كنت مقتولا فالساعة : فسأله أبو جعفر مسألة فأجابه . ثم قال سفيان : فما تقول أنت ياأمير المؤمنين فيما أنفقت من مال الله ومال أمة محمد بغير إذنهم وقد قال عمر فى حجة حجها وقد أنفق ستة عشر دينارا هو ومن معه « ماأرانا الا وقد أجحفنا ببيت المال » وقد علمت ماحدثنا به منصور ابن عمار - وأنت حاضر ذلك وأول كاتب كتبه فى المجلس - عن ابراهيم بن الاسود عن علقمة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رب متخوض في مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غدا » فقال أبو عبيد الكاتب : أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا ؟ فقال له سفيان اسكت فانما أهلك فرعون هامان وهامان فرعون . ثم خرج سفيان فقال أبو عبيد الكاتب ألا تأمر بقتل هذا الرجل فوالله ماأعلم أحدا أحق بالقتل منه فقال أبو جعفر : اسكت ياأنوك (أي ياأحمق) فوالله مابقى على الارض أحد اليوم يستحيا منه غير هذا ومالك بن أنس . اه

ومثل هذه الرواية كثير فى الكتاب وغيره . هذا وقد كان الامام مالك الذي قال فيه المنصور ماقال يرى عدم صحة بيعته على علمه وفضله لان الحكومة كانت دخلت فى طور الاطلاق المخالف للشرع وان لم يكن ثم قانون غير الشرع . فانظر ما أبعد الفرق بين المنصور وأمثاله على علاتهم وبين ملوكنا وامرائنا المتأخرين وهل يطيق أحد منهم ان يسمع من عالم كلمة حق على أنهم قد شرعوا لانفسهم من الحقوق مالم يأذن به الله كتعطيل الاحكام الشرعية واستبدال القوانين بها ومنع الجند والعمال أرزاقهم وهبة ماشاءوا من بيت المال بغير الحق - وهذه الاخيرة قديمة عهد . ونوجه أنظار القراء إلى مافى الكتاب من دلائل الحياة الادبية كخطب موسى بن نصير والمقارنة بينها

وبين حياتنا اليوم

والكتاب جزءان في مجلد واحد وثمنه عشرة قروش صحيحة واجرة البريد قرش ونصف وهو يطلب من ادارة مجلة المنار ومن المكتبة الازهرية

نموذج من خطب السيد عبد الحق الاعظمي

نشرنا في الجزء ١٧ من المجلد السادس خطبة من خطب صاحبنا الشيخ عبد الحق البغدادي إمام وخطيب المسجد ذي المنارات في بمبي (الهند) فعلم منها منهاجه في الخطب وأنه ينشئ الخطب إنشاء بحسب حال العصر وما ابتدع المسلمون فيه وما عوقبوا به من البلاء وسوء الحال. وقد كان أرسل الينا طائفة من هذه الخطب ابتغاء نشرها في المنار فلم تمكن من ذلك ثم انتدب بعد ذلك صاحبنا الشيخ عبد الله الجيتيكر الكتبي في بمبي لطبع هذه الخطب ونشرها وهي اثنتا عشرة خطبه ابتغاء تعميم نفعها وحث الخطباء على احتذاء مثالها فله مع الخطيب الشكر والثناء

وقد أرسل الخطيب نسخا من هذا النموذج المطبوع الى أصحاب الجرائد التي سمع بها والى بعض العلماء المشهورين في الاقطار وطلب منهم انتقادها وذلك من دلائل إخلاصه وتوجهه لاحسان عمله . ونقول في هذه الخطب انها أنفع ما رأيناه مطبوعاً وفي مصر من يخطب على هذه الطريقة كالشيخ خالد النقشبندي في جامع (الست الشاميه) والشيخ محمد المهدي في جامع عزبان . ولو كان هؤلاء كلهم لايلتزمون السجع المقفى بل يكتفون بجمل الجمل وجيزة على نحو جمل السجع لكان اولى. ثم ان معظم هذه الخطب في الوعظ العام الاجمالي فلو فصل فيها ما انتشر من البدع والمعاصي وبين فيها المعروف والخير المطلوب لتحسين حال المسلمين كمساعدة الجمعيات الخيرية وكيفية التعليم والتربية ومعاملة النساء ونحو ذلك يكون نفعها أتم فان أكثر الذين يسمعون الكلام العام المجمل من العامة لا يعرفون الغرض منه ولا يدرون ماذا يراد منهم

وقد أعجبني من صاحب النموذج انتقاده ما يأتيه المسلمون من الشيعة وأهل السنة في عاشوراء وانتقدت عليه الشدة في التعبير في بعض المواضع مما له مندوحة عنه والتعريض في قوله : فساء مبارك صباح المسلمين : فهو غير محكم، والتكلف في السجع

وتطويله أحياناً لاسيما الاقتباس كقوله في النبي صلى الله عليه وسلم « ويدعوهم الى توحيد الخالق وتفريده بالعبادة وينقذهم من ضلال عبادة الاصنام التي كانوا عليها عاكفين ، وقال له «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» ، خلقي أجمعين» ولو أتم الآية لكان خيراً من وصله بها مالا يلائمها من الحشو • واحب له أن يعنى بتصحيح ما يطبعه بعد فان في هذا المطبوع شيئاً من الاغلاط الفاشية فى الجرائد وكلام المعاصرين كقوله : تعينت إماماً : ها أنتم قد استقبلتم : — والصواب ها أنتم أولاء — : والفراحش المخفية : — والصواب المخفاة — : تحصلتم على كذا : والصواب حصلتم —

وقد أرسل الينا طائفة من هذه النسخ للبيع فنحث الخطباء الذين يخطبون من الدواوين المتداولة المملولة المثبطة للهمم أن يحفظوا هذه الخطب ويفضلوها فانها خير من تلك وأنفع • وثمن النسخة أربعة قروش وهي قليلة بالنسبة الى الفائدة لكنها غير قليلة بالنسبة الى الورق والطبع ، وأجرة البريد عشرا القرش (ملیمان)

(الزهرة فى نظام العالم والامم)

رسالة لطيفة في الزهرة للشيخ طنطاوي جوهري كتبها بأسلوبه المعروف وهو مزج الكلام فى الطبيعة ونظام الكون بآيات القرآن الحكيم ولو ألف التلامذة وغيرهم من قراء العربية فى عصرنا هذا الاسلوب لانتفعوا بما فى هذه الكتب واستلذوه • وفى هذه الرسالة مقارنة بين رأي للامام الغزالي ورأي لجون لبك العالم الطبيعى العصري وبحث فى القرآن والمسلمين ومتأخري الافرنج وبحث في جمال النبات ونظام الازهار ، والكلام على الزهر ذي الاقفال والمفاتيح والزهر ذي الحراس والزهر ذي الجند والزهر ذي السياسة الحقيقية والوهمية والزهر المنظم ونور الزهر • والمؤلف يعتمد فى الكلام العلمي على مؤلفات الافرنج الحديثة ويزيد على ذلك إسناد هذا النظام الى فاعله الحقيقي والتنبيه على سر صنعته ، وبديع حكمته ، فنحث الناس على قراءة كتبه

(دليل مصر والسودان)

يؤلف الافرنج كتباً للممالك يصفونها بها ويبينون مافيها من المعاهد والمشاهد والمطابع والجرائد ويذكرون الكبراء والمشهورين وغير ذلك • ويسمى هذا النوع من

الكتب بالدليل ويمتاز أفراده بالاضافة فيقال دليل فرنسا دليل انكلترا . وبهذه الكتب يعرف أهل الوطن من وطنهم مالم يكونوا يعرفوه بأنفسهم ، وبها يستعين الغرباء على اختبار البلاد إذا جاءوها سائحين وقد ألف غير واحد من الافرنج دليلا لمصر والسودان ولم يمن أحد من ابناء العربية بذلك حتى قام به في هذه السنة « ثابت وإنطاكي » فالفا للقطرين دليلا جعلاه جزئين احدهما تبلغ صفحاته زهاء ثلاثمئة وثانيهما ١٧٦ صفحة وقد ألحقا به كتاب طبائع الاستبداد برمته فكان الكتاب سفراً كبيراً ومجلداً ضخما لاتستغني عنه خزائن الكتب العربية إذ عار علينا أن لا نعرف بلادنا الا من كتب الاجانب . وثمن النسخة من الكتاب أربعون قرشاً صحيحاً ويطلب من أصحابه بمصر

﴿ فتح الملك العلام . فى بشائر دين الاسلام ﴾

كتاب جديد فى بشائر كتب الانبياء عليهم السلام بدين الاسلام جمعه أحمد أفندي ترجمان . وقد سلك فيه مسلك التدقيق مع النصارى فى تحريف كتب العهد القديم لصرفها بشائرها بالاسلام عنه الى غيره وجادلهم بالتي هي أحسن كإقامة الحجة عليهم من كتبهم راجعاً عند الخلاف في التفسير الى العبارات العبرانيه . مثال ذلك قول النبي أشعيا « ٤٠ : ٣ صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب قوموا فى القفر سبيلا لإلهنا » الخ فالنصارى حملوا هذا النص على السيد المسيح عليه السلام وهو لم يأت من القفر بل المراد بالقفر البلاد العربية لأن النص العبراني « بعربه » فترجموه بالمعنى حتى لايظهر التحريف . وفي أشعيا أيضاً مما يؤيده « ٢١ : ١٣ وحي من جهة بلاد العرب فى الوعر فى بلاد العرب تبيتين ياقوافل الدرانيين » . ومما يؤيده فى المزامير « ٦٨ : ٤ غنوا لله رنموا لاسمه أعدوا طريقاً للراكب في القفار باسمه » والنص العبراني « بعربوت » بدل في القفار وهي بلاد العرب . وعلى ذلك فقس . وصفحات الكتاب تقرب من ثلاثمئه وعبارته في غاية النزاهه فنحث القراء على مطالعته . ونطلب من الذين ينشرون الجرائد والمجلات للدعوة إلى النصرانيه والطعن فى الاسلام أن يجيبوا عما أورده هذا الكتاب عليهم إن كانوا يعتقدون مايقولون

﴿ شهادة إسرائيل لاسماعيل ﴾

جواهر التوراة والانجيل * لمحمد بن ابراهيم الخليل

الف محمد أفندي حبيب رسالة سماها بهذا الاسم ذكر في أولها ان الكتب المقدسة القديمة تكثر فيها الرموز والكنايات ومن هذه الرموز استنبطت البشارات والنذر في كتب الانبياء بالحوادث العظيمة التي جاءت بعدهم وأعظمها ظهور الانبياء والشرائع والنصارى يسمون بشارات الانبياء ونذرهم بالنبوات وتوسعوا في ذلك حتى حولوا كثيراً من أخبارهم المعروفة حوادثها الى حوادث جاءت بعدهم وتحكموا في ذلك كما تحكموا في تحويل بعض الانباء عن المستقبل الى مالا ينطبق عليه . وقد بين محمد افندي حبيب في رسالته هذه أمثلة من ذلك وأظهر خطأ القسوس فيها على نحو ما اشرنا اليه في تقريظ الكتاب السابق وهو قد كان مساعداً لصاحبه على تأليفه لمعرفته اللغة العبرانية .

من ذلك ماجاء في الفصل الخامس من النشيد «١٦ حلقه حلاوة وكله مشتهيات هذا حبيبي» قال المؤلف: فلفظ مشتهيات في الاصل العبراني (محمديم) والقواميس العبرانية تقول ان هذه اللفظة لاتفيد مشتهيات ولكن تفيد أنه محمود أو محمد: ونقول ان هذه صريحة في نبينا عليه السلام وليس عندهم بشارة صريحة مثلها في المسيح عليه السلام وقوله قبلها حلقه حلاوة كناية عن فصاحة كلامه ولم يأت نبي بكلام أحلى مما جاء به خاتم الانبياء . وقوله بعدها وهذا حبيبي نص في لقب النبي عليه الصلاة والسلام فانه حبيب الله عز وجل . وقد عزا المؤلف العبارة الى التوراة فيتوهم القارىء انها من الاسفار المنسوبة الى موسى عليه السلام وهي من النشيد كما قلنا . ومنه ماجاء في الفصل الثاني من النشيد «اسمعيني صوتك لأن صوتك لطيف ووجهك جميل» وفي الاصل العبراني عيرب بدل جميل أي عربي .

ومنه مافي الفصل الثاني من نبوة حجي «٧ وأزلزل كل الامم ويأتي مشتهى كل الامم ، فأملأ هذا البيت مجداً: قال رب الجنود» وكلمة مشتهى هذه أصلها العبراني «حمدوت» ومعناه محمد أو محمود وهي من الفعل العبراني «حمد» . ومنه قول المزمور الرابع والثمانين «طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك في قلوبهم ٦ عابرين في وادي البكاء» والاصل العبراني وادي بكة (وذكر العدد في الرسالة غلطاً) فأبدل لفظ بكاء بلفظ (بكة) وهي مكة في نص القرآن . وغير ذلك . والرسالة تطلب من مؤلفها في دكانه (المعرض العام وبرج بابل بمصر) وثمنها نصف قرش . فنطلب من أصحاب الجرائد والمجلات النصرانية الجواب عنها أو السكوت عنا والا فانهم مشاغبون، يقولون مالا يعتقدون

خاتمة السنة السابعة

باسم الله وحمده نختم الجزء الرابع والعشرين من هذه السنة كما افتتحنا أول جزء منها باسمه جل ثناؤه ، وحمده وشكره عظمت نعماؤه ، فلله الحمد أولا وآخراً ، وباطناً وظاهراً ، بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون

قلنا في فاتحة هذه السنة ان المنار دخل في سن التمييز بالنسبة الى الأشخاص . ذلك أن للأعمال أطواراً كأطوار الناس — طفولية ومراهقة وشبابا وكهولة وشيخوخة ، وان العامل ليتقلب في أطوار عمله فيكون في أوله كالطفل أو الغلام الصغير ، وان كان في علمه أو سنه كالشيخ الكبير ، لان حياة التجربة والخبر ، غير حياة النظر والفكر ، وانما لم نقل إن المنار دخل في سن التمييز تواضعا كما يقال ولا عنينا به الخروج عن حدود الخطة التي اختططناها ، أو السبيل التي أشرعناها له وذكرناها بالايجاز في فاتحة العدد الاول من سنته الأولى فان من راجع تلك الفاتحة يعلم ان كل ما كتب في السنوات السبع تفصيل لاجمالها ومن سنة الله تعالى في هذا النوع أن كتابة العلم آلة لاخراجه من حيز الاجمال والابهام ، الى حيز التفصلة والايضاح ، وأن من عمل بما علم ، ورثه الله علم مالم يعلم ، كما ورد في الحديث الذي ذكرناه في تلك الفاتحة . وانما عنينا بالدخول في سن التمييز ان العمل نما نموا طبيعياً وانا أنشأنا نعرف في هذه المعاملة بيننا وبين الناس مالم نكن نعلم من أمر الاستعداد للاصلاح الديني والاجتماعي ودرجات ارتقاء الاخلاق والأفكار ومبلغ التعاون والتساند والاختلاف في ذلك بين أصناف الناس في قطر واحد والتفاوت بين أهل الاقطار المتعددة

طفولة المنار وتمييزه بين ال[illegible]

دخلنا في هذا العمل ونحن على غرارة الاطفال في معرفة الناس — اذا أظهر لنا أحد استحسانا اعتقدنا انه مستحسن ، وكنا مسرورين ، واذا بلغنا عن آخر استهجان اعتقدنا أنه مستهجن ، وكنا آسفين عاذرين ، ومتى رأينا من أحد ميلا الى نشر المنار أو الدعوة معه الى ما يدعو اليه ، وثقنا به وعولنا عليه ، ولم يكن في الفكر ولا في القلب شيء . ألا آن الامة في حاجة الى الاصلاح وان حوادث الزمان أعدتها له في الجملة وأن الكلام في ذلك والدعوة الى ما يجب يزيدان الامة استعدادا لما به تكون أمة عزيزة ويكون عونا للساعين في سبيل نهضتها ، والعاملين لتكوينها وعزتها ،

بدا لنا من فضل الله تعالى ما كنا نرجو ونحتسب وفوق ما كنا نرجو ونحتسب ، فقد انتشر المنار في جميع الاقطار ولا يزال انتشاره في نمو مستمر من غير سعي ولا دعوة تذكر

وبدا لنا من الناس ماعلمنا به علم تجربة واختبار أنه لاينبغي أن يوثق بكلام أحد في أمور الجد والاعمال العامة التي لاحظ فيها الأهواء الأفراد إلا من شهدت له الأعمال والأخلاق بالاختبار الصحيح وقليل ماهم ثم قليل ماهم ثم قليل ماهم، وأنه لاينبغي لمن لايتبع أهواء الامراء والرؤساء والاغنياء أن يرجو من أحد مساعدة على خدمة الملة والامة بل يجب أن يخشى ويحذر من إيذائهم وفتنتهم

بدا لنا أن من يريد أن يخدم دين الله وعيال الله دون العظماء المترفين يجب عليه أن لايعتمد في نجاح عمله الا على تحري الحق والخير والعلم بحاجة الامة الى خدمته وبأن الاحساس والشعور بهذه الحاجة قد دب في نفوس كثير من افرادها وان حركته فيها حركة حية ولا علامة للحياة إلا النمو والزيادة — هذا هو الاساس المتين الذي يجب البناء عليه ولا يشترط معه للنجاح الا حرية العامل وثباته فمتى صادف الداعي الى الحق حرية وثبت على عمله فان فضل الله تعالى كافل له بالنجاح رغماً عن انوف المبطلين الذين يتعقبونه يضعون في طريقه العقاب ويبغونه العواثير، «ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز»

الدعوة الى المنار

بدا لنا ان الدعوة الى العمل الذي يعمل للأمة لايرجى نفعها الا ممن يعتقد نفع ذلك العمل ويشعر بدافع من الغيرة يدفعه الى الدعوة، ولقد كنا نعرف هذا نظراً واستدلالا ولكن ذلك لم يصدق بنا قبل الاختبار عن الاغترار بأناس مدحوا على هدى، ثم عادوا فذموا عن هوى، وأناس أقبلوا على علم، ثم أعرضوا بغير عذر. وعن الرجاء بمن عهد الينا إرسال المنار الى اشخاص على انه كفيل بالتحصيل منهم ومرت السنون، ولم يأت شيء من الكافل ولا من المكفول، وقد وقع لنا هذا من غير واحد ولم يكن ذلك مخادعة بل كان سعيا في النفع ولكنه غير مستوف للشرط فكان ضارا من حيث ينوي به النفع فلاصحابه الشكر على نيتهم الاولى والعذر على اهمالهم الاخير.

ولولا أن كتبنا في المجلدات السابقة كلمات ظهر لنا انها كتبت بمداد الغرة لما نبهنا على اغترارنا في آخر هذا المجلد ونصرح الآن بأن العبرة في مساعدة المنار على مانقول بعد دون ماقلنا قبل تصريحاً أو تلميحاً وانما استفاد المنار من دعوة من رغبوا فيه عن اعتقاد ودافع من شعور الغيرة ودافعوا عنه بمدافعتهم عن اعتقادهم لاحبا في شخص منشئه ولا إرضاء لبعض محبيه، ودعاة المنار وانصاره هم أسلم الناس من الظنة، وابرأهم من التهمة، وابعدهم عن الهوى،

واقربهم بفضل الله من الهدى ، اذ لامجال لنوال ، ولا مطمع فى جاه أو مال، ولا وسيلة الى رتبة أو وسام ، ولا رجاء فى مدح ولا خوف من ذام ،

مقاومة المنار

للمنار خصماء ينفرون عنه ويذمونه فمهم من يطعن فيه وينفر عنه بغضا ببعض محبيه، ومنهم من يجرم عليه تزلفا الى بعض مبغضيه ، ومنهم من يكرهه حسدا وموجدة ، ولا يكاد يخفى أمر هذه الاصناف على أحد الا من كان خالي الذهن غير مطلع على حقيقة امرهم وحقيقة مايطعنون فيه . وان مقاومة امثال هؤلاء الناس - وان ضخمت ألقابهم - لاتضر الحق الا حيث يحرم الحق من الحرية كبلاد الاستبداد والظلم واما فى بلاد الحرية فانها تكون اكبر نفعا له واعون على نشره واعلاء شأنه من المدح والاطراء لان النفوس لاتتوجه الى مايمدح ويدعى اليه الا ببعض توجهها الى مايذم ويصد عنه ، وانما يعرف الحق بالتوجه اليه ، والاطلاع عليه ، ولذلك تجد أهله لايجزعون من المناصبة ، ولايحفلون بالقيل والقال، ولا يبالون بمحل اهل الكيد والمحال ، وان تفننوا في الاعتداء ، وبالغوا في الافتراء، وتجد اهل الباطل يجزعون من ذكر اعمالهم ، ويضطربون من معرفة الناس لاحوالهم، فيبذلون المال لكذبة المؤرخين، وللشعراء الغاوين، ليلبسوا الحق بالاباطيل، ويشغلوا الاذهان بالخلابة والتخييل، . وسيكون التاريخ حكما بيننا وبين من تصدى للمنار من هؤلاء فى الدنيا والله خير الحاكمين

ومن الناس من يمقت المنار لان مباحثه ومسائله تبين للناس ماهم عليه من الاباطيل التي اتخذوها وسيلة للرزق وجمع المال، وسلما للصعود في مراقي الشرف والجاه، كبعض الدجالين الذين يدعون الولاية والقرب من الله والوساطة بينه وبين عباده يقربونهم اليه زلفى، ويدفعون عنهم البلاء، ويستنزلون لهم النعماء، وكسدنة القبور، وأكلة النذور، وكبعض اصحاب الجرائد الذين يخادعون الناس بمايوهمونهم من الدفاع عن بلادهم، والذود عن حقيقتهم ، والدعوة الى حفظ شريعتهم ، وهم لاشأن لهم فى امور البلاد، ولا قيمة لكلامهم عند اصحاب السلطة والنفوذ ، ولامعرفة لهم بأمر الدين فيقرروا عقائده، أو يدفعوا الشبه عنه، او يبينوا حكمه للجاهلين، ويذكروا بهدايته الجاهلين، وهؤلاء يعذرون بمداوتهم لنا في دنياهم، ولا يبالون بأمر اخراهم، والعاقبة للمتقين، ولاعدوان إلا على الظالمين،

ومن الناس من ينفر من المنار ويصد عنه لانه يخالف رأيه ومذهبه فى بعض المسائل - وما آفة الاولين والآخرين الا العداء بالخلاف، ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ،

فللخروج من الخلاف خالفنا رأيهم اومذاهبهم ولكننا لم نبغضهم ولم نعادهم بل نحبهم من حيث يكرهوننا ، ونحترمهم وان كانوا لايحترموننا ، ونعذرهم وهم لايعذروننا ، ولعلنا بهذا نفضلهم ونود لو يساوونا او يفضلوننا ، وهذا الصنف على قسمين مقلد جامد لايقرأ ولا يبحث ولا يطالب بدليل بل يذم ويعيب لانه سمع من يفعل ذلك فصدقه وتبعه، وذي رأي ونظر يقرأ ويبحث ولكنه رأى مايخالف اعتقاده فظنه ضاراً فكرهه وصد عنه ، وهذا الفريق يكاد يكون نادرا في امتنا لهذا العهد الذي قال في اهله الشاعر

غوينا فلا الداعي إلى الخير بيننا يعان ولا الداعي الى الشر يخذل

بل كثيراً مانرى أناساً يخذلون داعي الخير لأ قل شبهة ، ويعينون داعي الشر والفتنة ، ولنا مع من يكره المنار لمخالفة رأيه كلمات ثلاث نقولها في خاتمة هذه السنة

(الاولى) من البديهي ان الخلاف في البشر طبيعي ولا يكاد يوجد اثنان يتفقان في كل شيء حتى في الامور العامة الظاهرة فمن الجهل ان نجعل امرا طبيعيا لامفر منه سببا للتعادي والتباغض لان ذلك يجعل هذا التعادي دائما مستمرا في الامة ومااستمر التعادي في امة الا وكانت من الهالكين

(الثانية) إن الذي يخالفك في أمر من الأمور العامة بأن كنت تخشى ضرره إذا انتشر وهو يرجو نفعه يجب عليك أن تتروى في أمره فلا تقدم على عداوته والصد عن عمله لئلا تكون صاداً عن الحق والخير من حيث لاتعلم بل عليك أن تنظر في رأيه بامعان وإنصاف فان ظهر لك خطأه فاكتب إليه اوكله بماظهر لك لينشره حيث ينشر رأيه فإما أن تقنعه وترجعه واما أن يقنعك ويرجعك واما أن يعرض الرأيان على الناس فيكونوا هم الحاكمين وأي ذلك كان ، فهو خير من التنازع والخصام ، ولا ينبغي لك أن تخاف على حقك من باطله اذاهما تصارعا معاً فانه ماتصارع شيئان إلا وغلب أقواهما أضعفهما والحق اقوى من الباطل فاذاقذف به عليه دمغه فاذاهو زاهق

(الثالثة) أولى الناس بأن يعامل هذه المعاملة من تدل حاله على أنه يعتقد مايقول وانه يرجو النفع والافادة للأمة، ويخلص لها الخدمة، ومن آية ذلك ترك الدهان والتقرب الى الذين ينال المال والجاه بالتقرب اليهم واتباع أهوائهم والعدول عن ذلك الى مايسيء المبطلين من الخاصة، ولا يوافق أهواء العامة. وآية أخرى أكبر من أختها وهي انه ينادي دائما بأنه يقبل كل اعتراض وانتقاد وينشره كما تنادي في كل عام

ضروب الانتقاد على المنار

الانتقاد على المنار على ضربين انتقاد خطة وانتقاد مسائل . فأما الأول فمن الناس من يرى أنه لاينبغي للمنار الخوض فى السياسة وأول من صرح لنا بهذا الرأي الشيخ محمد عبده عند اطلاعه على أول عدد صدر من السنة الاولى ثم انتار أينا رياض باشا على هذا الرأي أيضاً وذلك ان هذين الشيخين الكبيرين يعتقدان أن خوض الجرائد فى السياسة قد أضر بهذه البلاد ويودان لو يكون المنار الذى يعتقدان نفعه بعيداً عنها وقد ذكر لنا كل واحد منهما رأيه غير مرة، ولكن السياسة فتنة العالمين وإنه ليصعب على الانسان أن يرى الاهواء تعبث بالامور العامة ويرى أهلها يخفون الحقائق ويموهون على الناس ويغشونهم وهو ساكت لايجبر قولا ولا يكشف لبساً . على أننا قلما نقصد الى السياسة ونبحث فيها وانما نذكر فى باب الاخبار والآراء أحياناً بعض المسائل التاريخية والجوائب الطارئة ونذكر وجه العبرة فيها والعبر التاريخية كلها سياسية على أنهما يغنيان السياسة المصرية وهذه قلما نعرض لها أو نلتفت اليها. ومن الناس من ينتقد ذكر الاخبار والادبيات في المنار زاعما انه مجلة دينية لاينبغي التعرض فيها لغير مسائل الدين وجواب هؤلاء مكتوب على غلاف المجلة منذ وجدت وهو «مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية أخبارية »

مسلك المنار السلفي

ومن هذا الفريق من ينتقد على المنار اتباع طريق السلف فى الاستدلال على المسائل بالكتاب والسنة ويسمون هذا اجتهاداً ويقولون إن منشئ المنار لاتسلم له دعوى الاجتهاد . ونجيب هؤلاء من وجهين (أحدهما) أن المنار يتكلم في مسائل الدين فى أبواب منها باب التفسير ولا ينبغي لمسلم أن يقول انه يجب أن نجعل أحد المذاهب أصلا ونرجع القرآن اليه ونحكمه فيه بل الواجب اعتقاد أن القرآن هو أصل الدين وأساسه، وينبوعه ومصدره، يرجع اليه كل شيء منه وهو لايرجع إلى شيء لانه فوق كل شيء . ومنها بابا الفقه والسؤال والفتوى وهما موضوعان لبيان حكم الدين وأسراره ودفع الشبه والاعتراضات عن الاسلام وإقامة الحجة على المتهاون بأحكامه وليس يضر الاسلام والمسلمين أن يكون بعض المسائل الاجتهادية في بعض المذاهب منتقداً أو غير

ظاهر الحكمة أو غير معمول به اذ لابد من هذا وانما يضرنا أن يتوجه الانتقاد الى أصل الكتاب والسنة وأن يكون هذا الاصل مخالفاً للبرهان العقلي فى عقائده وللمصلحة فى أحكامه . ثم ان المنار قد أنشيء لجميع المسلمين لا لأهل مذهب معين منهم والمسائل ترد اليه من اهل المذاهب المختلفة فى الاصول والفروع وهم لايسألونه عن مذهب معين الا نادراً وانما يسألونه عن أصل الدين وهو الكتاب والسنة ومن يسأله عن مذهب معين يجيبه عنه ان علم والا قال لاأدري بلسان المقال أو بلسان الحال وهو السكوت

(الوجه الثاني) إن رأي المنار ان الوحدة الاسلامية لاتحقق الابالرجوع الى الكتاب والسنة المتبعة المجمع عليها فى امور العقائد والعبادات المحضة كما كان السلف وان يكون الاجتهاد فى المعاملات قائما على اصولهما العامة مع مراعاة مصلحة الامة وعرف الزمان كما جرت المذاهب وعدم التفريط فى مصلحة الامة لاجل موافقة مذهب دون مذهب وما نذكر من المسائل بأدلتها مع بيان حكمتها وانطباقها على المصلحة نريد به مع الرد على المنكرين بيان النموذج الذي نرى اتباعه جامعاً لكلمة الامة ومحيياً النشأة الدين فيها ولا نلتزم في ذلك الا موافقة الكتاب والسنة وإجماع الامة فما كتبنا شيئاً يخالف هذه الاصول ولا القياس حيث لم توجد . فاذا كان نشر كل مايخالف مذهبك أيها المعترض ضاراً فكتب التفسير والحديث ضارة لانها مملوءة بذكر الخلاف والادلة وكذلك أكثر كتب الفقه وللمنار اسوة بها

وأما الضرب الثاني وهو انتقاد المسائل فاننا ننشر في كل سنة مايرد علينا منه ونذكر رأينا فيه وقد جاءنا فى أواخر هذه السنة رسالتان احداها من فاس ينتقد صاحبها فتوى نشرت في المنار والثانية من الهند ينتقد صاحبها الحنفي ما كتبناه في مسألة اشتراط الولي فى النكاح فلم نتمكن من الرد عليهما فأرجأناه الى أجزاء السنة الثامنة . وقد رأينا فى جريدة الافكار البرازيلية انتقاداً على ما كتبناه فى مسألة تعدد الازواج سنذكر خلاصته ونجيب عنه ايضاً

تقريظ المنار ومدحه

ذكرنا كل ما انتهى الينا علمه من الانتقاد علينا فان كان أحد يعلم انه كتب الينا شيئاً لم نذكره فليذكرنا به. ولكننا لانذكر ولا نشير إلى تلك التقاريظ والثناء الذي يرد علينا من هذه البلاد ومن المشرقين والمغربين بل نثني على أهله ونشكر لهم حسن ظنهم وثقتهم بالمنار ودعوتهم اليه والله تعالى يتولى مثوبتهم أجمعين

مشتركو المنار

زاد عدد المشتركين في هذه السنة كالتي قبلها عدة مئين ونحن نرى أن قراءه خير القراء، وأقربهم الى الوفاء ؛ ولايزال المنار مستغنيا بالثقة بوفائهم عن الوكلاء – الآن كثيرين منهم لم يرسلوا الينا القيمة انتظارا لوكيل يطالبهم فعسى ان يتفضلوا بارسالها حوالة على البريد اواحد المصارف (البنوك) وقد شغل وكيلنا الفاضل بتونس في هذه السنة عن إنجازوعده الذى ذكرناه في آخر السنة الماضية وهو يشكو من عسر التحصيل فى البلاد البعيدة عن الحاضرة لما في إرسال المحصل اليهم من النفقة فنرجو من هؤلاء ومن جميع من لم يتيسر له التحصيل منهم ان يسعفونا بارسال القيمة حوالة على البريد كما نرجو من همته العالية إنجازوعده بتسديد حساب السنين الماضية عن قريب

البريد

زادت شكوى القراء في هذه السنة من فقد أجزاء المنار وكثرت مطالبتهم للادارة بما لم يصل اليهم . ومنهم من رد عمال البريد أجزاءهم زعما منهم انهم هم الذين رفضوها ثم تبين لنا خلاف ذلك وفقد لنا في البريد رسائل ومطبوعات أخرى فلعل هذا الامر لايعود لئلا يثلم شرف البريد المصري الذي رفعه مديره الهمام

السنة المقبلة

ومما أفادنا الاختبار ان نتحامى الوعود الجازمة وانما نذكر مانتويه على انه بيان للعزم كعزمنا على العود الى انشاء المقالات الاجتماعية والفلسفية في الابحاث المفيدة كبحث (١) الشعور والوجدان ، والفكر والاذعان ٢ الاعداد والاستعداد ٣ تكون البيوت ٤ تكون الامم ٥ هلاك الامم ٦ الحياة الزوجية ٧ الحياة الملية ٨ الحياة الوطنية ٩ الزعماء والمصلحون ١٠ ايذاء المصلحين ١١ الاستقلال والتقليد ١٢ التعاون والتخاذل ١٣ تنازع البقاء ١٤ الحياة والموت ١٥ اللغة والحياة ١٦ اللذتان ١٧ الجنسية ١٨ الجمعيات ١٩ السياسة والساسة ٢٠ الملك والخلافة ٢١ طغيان الاستغناء ٢٢ القوة والحق ٢٣ الدين والدنيا ٢٤ المال والجاه ٢٥ الدنيا والآخرة . وما أشبه ذلك

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا فيما يأتي لخير ماوفقنا له فيما مضى وان يقينا زلة القلم، ويحفظنا من سوء القصد فى القول والعمل ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين